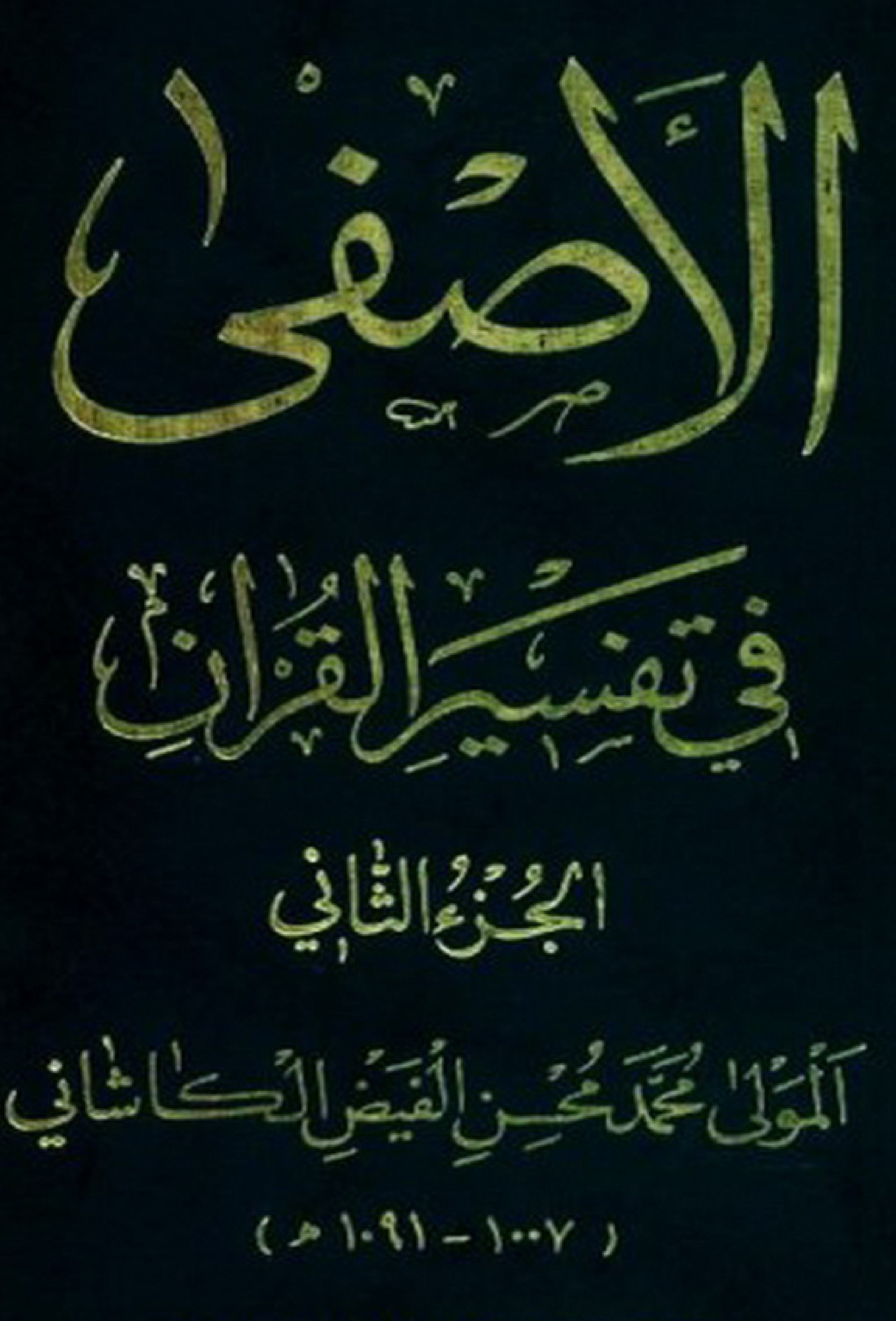


مركز الأبحاث والدراسات الإسلامية

سورة الكهف

[مكيّة وهي مائة وعشر آيات][1]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلىٰ عَبْدِهِ الْكِتابَ﴾ يعني القرآن، علّم اللّه سبحانه عباده كيف يحمدونه على أجلّ نعمه عليهم، الّذي هو سبب نجاتهم ﴿وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجاً﴾ باختلالٍ في اللفظ وتناقضٍ في المعنى.

﴿قَيِّماً﴾: جعله مستقيماً معتدلاً، لا إفراط فيه ولا تفريط.

والقمّي قال: هذا مقدّم ومؤخّر؛ لأنّ معناه: الّذي أنزل على عبده الكتاب قيّماً ولم يجعل له عوجاً، فقُدِّمَ حرف على حرف[2].

﴿لِيُنْذِرَ﴾ الذين كفروا ﴿بَأْساً﴾: عذاباً ﴿شَدِيداً مِنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصّالِحاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً حَسَناً﴾.

﴿ماكِثِينَ فِيهِ أَبَداً﴾.

﴿وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قالُوا اتَّخَذَ اللّٰهُ وَلَداً﴾.

﴿ما لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلا لِآبائِهِمْ﴾ الذين يقلّدونهم فيه، بل يقولون عن جهل مفرط

١ ـ مابين المعقوفتين من «ب».

٢ ـ القمي ٢: ٣٠.

وتوهّم كاذب ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً﴾: عظمت مقالتهم هذه في الكفر؛ لما فيها من التّشبيه والإشراك ﴿تَخْرُجُ مِنْ أَفْواهِهِمْ﴾. استعظام لاجترائهم على إخراجها من أفواههم. ﴿إِنْ يَقُولُونَ إِلّا كَذِباً﴾.

﴿فَلَعَلَّكَ باخِعٌ نَفْسَكَ﴾ قال: «قاتلٌ نفسك»[1]. ﴿عَلىٰ آثارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهذا الحَدِيثِ﴾: القرآن ﴿أَسَفاً﴾. متعلّق بباخع، وهو فرط الحزن والغضب.

﴿إِنّا جَعَلْنا ما عَلَى الأَرْضِ زِينَةً لَها﴾: ما يصلح أن يكون زينة لها ولأهلها؛ من زخارفها ﴿لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾ في تعاطيه[2]. وهو من زهد فيه، ولم يغترّ به، وقنع منه بالكفاف.

﴿وَإِنّا لَجاعِلُونَ ما عَلَيْها صَعِيداً جُرُزاً﴾ قال: «لا نبات فيها»[3]. وهو تزهيد في الدّنيا، وتنبيه على المقصود من حسن العمل.

﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحابَ الكَهْفِ وَالرَّقِيمِ﴾ في إبقاء حياتهم على تلك الحال مدّة مديدة ﴿كانُوا مِنْ آياتِنا عَجَباً﴾. القمّي يقول: قد آتيناك من الآيات ما هو أعجب منه.

قال القمّي: وهم فتية كانوا في الفترة بين عيسى بن مريم عليه السلام ومحمّد صلى الله عليه وآله، وأمّا الرّقيم[4]: فهما لوحان من نحاس مرقوم، مكتوب فيهما أمر الفتية وأمر إسلامهم، وما أراد منهم دقيانوس[5] الملك، وكيف كان أمرهم وحالهم[6].

١ ـ القمّي ٢: ٣١، عن أبي جعفر عليه السلام.

٢ ـ تعاطاه: تناوله، وفلان يتعاطى كذا، أي: يخوض فيه. الصّحاح ٦: ٢٤٣١ (عطا).

٣ ـ القمّي ٢: ٣١، عن أبي جعفر عليه السلام.

٤ ـ واختلف في «الرّقيم»: فقيل: هو لوح من رصاص رُقِمَتْ فيه أسماؤهم جُعِلَ على باب الكهف، وقيل: هو اسم الوادي الّذي كان فيها الكهف، وقيل: هم النَّفَر الثلاثة الذين دخلوا في غارٍ فانسدّ عليهم فدعا كلّ واحد منهم بما عَمِلَهُ للّه خالصاً ففرّج عنهم. جوامع الجامع ٢: ٣٥٤.

٥ ـ دَقْيانُوس بن خلاتوس: كان مَلِكاً جبّاراً، كان على بقايا ممّن كان على دين المسيح عليه السلام، وكان يعبد الأصنام ويذبح للطّواغيت، وكان يدعو أهل مملكته إلى عبادة الأصنام، فمن لم يجبه قتله، وكان أصحاب الكهف في زمانه، وكان في زمن الفترة. مجمع البحرين ٤: ٧١ (دقيس).

٦ ـ القمّي ٢: ٣١.

وفي رواية: «هم قوم فقدوا[١] وكتب ملك ذلك الدّيار[٢] بأسمائهم وأسماء آبائهم وعشائرهم في صحف من رصاص، فهو قوله: "أَصْحابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيم"»[٣].

وورد في قصّتهم ما ملخّصه: «إنّهم كانوا مؤمنين، وكانوا في زمن ملك جبّار عات، يدعو أهل مملكته إلى عبادة الأصنام، فمن لم يجبه قتله، فخرجوا هؤلاء بعلّة الصّيد، ومرّوا براعٍ في طريقهم فدعوه إلى أمرهم فلم يجبهم، وكان مع الرّاعي كلب، فأجابهم الكلب وخرج معهم، فلمّا أمسوا دخلوا كهفاً والكلب معهم، فألقى اللّه عليهم النّعاس فناموا، حتّى أهلك اللّه المَلِكَ وأهلَ مملكتِه، وذهب ذلك الزّمان وجاء زمان آخر وقوم آخرون، ثمّ انتبهوا» الحديث[٤]. وتمامه يأتي متفرّقاً.

﴿إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقالُوا رَبَّنا آتِنا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً﴾ توجب لنا المغفرة والرّزق والأمن من العدوّ ﴿وَهَيِّئْ لَنا مِنْ أَمْرِنا﴾: من الأمر الّذي نحن عليه، من مفارقة الكفّار ﴿رَشَداً﴾ نصير بسببه راشدين مهتدين.

﴿فَضَرَبْنا عَلَى آذانِهِمْ﴾ أي: ضربنا عليها حجاباً يمنع السّماع. يعني أنمناهم إنامةً لا يُنَبِّهُهُمْ منها الأصوات ﴿فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَداً﴾: ذوات عددٍ.

﴿ثُمَّ بَعَثْناهُمْ﴾: أيقظناهم ﴿لِنَعْلَمَ﴾: ليقع علمنا الأزليّ على المعلوم بعد وقوعه ويظهر لهم ﴿أَيُّ الْحِزْبَيْنِ﴾ المختلفين ﴿أَحْصى لِما لَبِثُوا أَمَداً﴾: ضبط أمداً لزمان لَبثِهم، أو أضبط له.

﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ﴾. قال: «كانوا شيوخاً[٥]»[٦]. وفي رواية:

١ ـ في المصدر: «فرّوا».

٢ ـ في المصدر: «ذلك الزمان».

٣ ـ العيّاشي ٢: ٥٣١، الحديث: ٥، عن أبي عبد الله عليه السلام.

٤ ـ القمي ٢: ٣٢ ـ ٣٣، عن أبي عبد الله عليه السلام.

٥ ـ الشّيخ: مَن استَبانَتْ فيه السّنّ؛ أو من خمسين أو إحدى وخمسين إلى آخر عمره أو إلى الثمانين. القاموس المحيط ١: ٢٧٣ (شيخ).

٦ ـ الكافي ٨: ٣٩٥، الحديث: ٥٩٥، عن أبي عبد الله عليه السلام.

«كُهُولاً[1] فسمّاهم اللّه فتية بإيمانهم، وقال: من آمن باللّه واتّقى فهو الفتى»[2]. ﴿آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدىً﴾ بالتّوفيق والتّثبيت.

﴿وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ أي: قوّيناها وشدّدنا عليها، حتّى صبروا على هجر الأوطان، والفرار بالدّين إلى بعض الغيران ﴿إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلٰهاً لَقَدْ قُلْنَا إِذاً شَطَطاً﴾: قولاً ذا شطط، أي: ذا بُعْدٍ عن الحقّ مفرطاً في الظّلم. قال: «يعني جوراً على اللّه تعالى، إن قلنا: إنّ له شريكاً»[3].

أقول: قالوه سرّاً من الكفّار، ليس كما زعمه المفسّرون: أنّهم جهروا به بين يدي دقيانوس الجبّار[4].

فقد ورد: «إنّ مَثَلَ أبي طالب مَثَلُ أصحاب الكهف، أسرّوا الإيمان وأظهروا الشّرك، فآتاهم اللّه أجرهم مرّتين»[5].

وفي رواية: «ما بلغت تقيّةُ أحدٍ تقيّةَ أصحاب الكهف، إن كانوا ليشهدون الأعياد ويشدّون الزّنانير[6]، فأعطاهم اللّه أجرهم مرّتين»[7].

وفي أُخرى: «وكانوا على إجهار الكفر أعظم أجراً منهم على الإسرار بالإيمان»[8].

﴿هٰؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْلَا يَأْتُونَ﴾: هلّا يأتون ﴿عَلَيْهِمْ﴾: على عبادتهم ﴿بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ﴾: ببرهان ظاهر ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللّهِ كَذِباً﴾ بنسبة

١ ـ الكَهْل: من وَخَطَه الشّيب ورأيت له بَجالةً؛ أو من جاوز الثلاثين، أو أربعاً وثلاثين إلى إحدى وخمسين. القاموس المحيط ٤: ٤٨ (كهل).

٢ ـ العيّاشي ٢: ٣٢٣، الحديث: ١١، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٣ ـ القمّي ٢: ٣٤، عن أبي جعفر عليه السلام.

٤ ـ البيضاوي ٣: ٢١٨؛ والكشّاف ٢: ٤٧٤.

٥ ـ الكافي ١: ٤٤٨، الحديث: ٢٨، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٦ ـ الزُّنّار: هو ما يشدّه أهل الذّمّة على أوساطهم. لسان العرب ٤: ٣٣٠ (زنر).

٧ ـ الكافي ٢: ٢١٨، الحديث: ٨، عن أبي عبد اللّه عليه السلام؛ وفي العيّاشي ٢: ٣٢٣، الحديث: ٩، مع تقدّم وتأخّر.

٨ ـ العيّاشي ٢: ٣٢٣، الحديث: ١٠، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

الشّريك إليه .

﴿وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ﴾ . خطاب بعضهم لبعض . ﴿وَما يَعْبُدُونَ إِلَّا اللّهَ﴾: واعتزلتم معبوديهم ، أو عبادتهم إلّا اللّه ﴿فَأْوُوا إِلى الكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقاً﴾: ما ترتفقون به ، أي تنتفعون به ، وكان جزمهم بذلك لشدّة وثوقهم بفضل اللّه ، وقوّة يقينهم باللّه .

﴿وَتَرى الشَّمْسَ﴾ لو رأيتهم ﴿إِذا طَلَعَتْ تَزاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ﴾: تميل ولا يقع شعاعها عليهم فيؤذيَهم ، ولعلّ الكهف كان جنوبيّاً ﴿ذاتَ اليَمِينِ﴾: جهة يمين الكهف ﴿وإِذا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ﴾: تقطعهم وتَصْرِمُ عنهم ﴿ذاتَ الشِّمالِ﴾: جهة شمال الكهف ﴿وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ﴾: وهم في متّسع من الكهف ، يعني في وسطه بحيث ينالهم برد النّسيم وروح الهواء ، ولا يؤذيهم كرب الغار ولا حرّ الشّمس ، لا في طلوعها ولا في غروبها . ﴿ذٰلِكَ مِنْ آياتِ اللّهِ مَنْ يَهْدِ اللّهُ فَهُوَ المُهْتَدِ﴾ ، ثناء عليهم . ﴿وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيّاً مُرْشِداً﴾ .

سئل عنه ، فقال: «إنّ اللّه تبارك وتعالى يُضِلُّ الظّالمين يوم القيامة عن دار كرامته ، ويهدي أهل الإيمان والعمل الصّالح إلى جنّته ، كما قال عزّوجلّ: "وَيُضِلُّ اللّهُ الظّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللّهُ ما يَشاءُ"[١] وقال: "إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّالِحاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الأَنْهارُ فِي جَنّاتِ النَّعِيمِ"[٢]»[٣] .

﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقاظاً﴾ قال: «ترى أعينهم مفتوحة»[٤] ﴿وَهُمْ رُقُودٌ﴾: «نيام»[٥] ﴿وَنُقَلِّبُهُمْ﴾ في رقدتهم ﴿ذاتَ اليَمِينِ وَذاتَ الشِّمالِ﴾ كيلا تأكل الأرض ما يليها من

١ ـ إبراهيم ١٤: ٢٧ .

٢ ـ يونس ١٠: ٩ .

٣ ـ التّوحيد: ٢٤١ ، الباب: ٣٥ ، الحديث: ١ ؛ معاني الأخبار: ٢١ ، الحديث: ١ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .

٤ و ٥ ـ القمّي ٢: ٣٤ ، عن أبي جعفر عليه السلام .

٢٧ ـ ٢ / ٢

أبدانهم على طول الزّمان.

قال: «لهم في كلّ سنة نقلتان، ينامون ستّة أشهر على جنوبهم الأيمن، وستّة أشهر على جنوبهم الأيسر»[1].

﴿وَكَلْبُهُمْ باسِطٌ ذِراعَيْهِ بِالْوَصِيدِ﴾: «بالفناء»[2] ﴿لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِراراً﴾: لهربتَ منهم ﴿وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْباً﴾: خوفاً يملأ صدرك، لما ألبسهم الله من الهيبة.

قال: «إنّ ذلك لم يعن به النّبيّ صلّى الله عليه وآله، إنّما عني به المؤمنون بعضهم لبعض، لكنّه حالهم الّتي هم عليها»[3].

﴿وَكَذٰلِكَ بَعَثْناهُمْ﴾: وكما أنمناهم آية بعثناهم آية على كمال قدرتنا ﴿لِيَتَساءَلُوا بَيْنَهُمْ﴾: ليسأل بعضهم بعضاً، فيتعرّفوا حالهم وما صنع الله بهم، فيزدادوا يقيناً إلى يقينهم، ويستبصروا به أمر البعث. ﴿قالَ قائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قالُوا لَبِثْنا يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ قال: «فنظروا إلى الشّمس قد ارتفعت فقالوا: لبثنا يوماً أو بعض يوم»[4]. ﴿قالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِما لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ﴾: بفضّتكم ﴿هٰذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّها أَزْكىٰ طَعاماً﴾: أيّ الأطعمة أطيب. قال: «أزكى طعاماً التّمر»[5]. ﴿فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ﴾: وليتكلّف اللّطف في التّخفّي والتّنكّر، حتّى لا يُعرف ﴿وَلا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَداً﴾.

﴿إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ﴾: إن يظفروا بكم، يعني أهل المدينة ﴿يَرْجُمُوكُمْ﴾: يقتلوكم بالرّجم، وهي أخبث قتلة ﴿أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ﴾: يصيّروكم إليها كرهاً ﴿وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذاً أَبَداً﴾ إن دخلتم في ملّتهم.

قال: «فجاء ذلك الرّجل فرأى المدينة بخلاف الّذي عهدها، ورأى قوماً بخلاف أُولئك، لم يعرفهم ولم يعرفوا لغته ولم يعرف لغتهم. فقالوا له: من أنت ومن أين جئت؟

١ و ٢ و ٤ ـ القمّي ٢: ٣٣، عن أبي عبد الله عليه السلام.

٣ ـ العيّاشي ٢: ٣٢٤، الحديث: ١٣، عن أبي جعفر عليه السلام.

٥ ـ المحاسن: ٥٣١، الحديث: ٧٧٩، عن أحدهما عليهما السلام.

فأخبرهم. فخرج مَلِكُ تلك المدينة مع أصحابه والرّجل معهم، حتّى وقفوا على باب الكهف، وأقبلوا يتطلّعون فيه، فقال بعضهم: هؤلاء ثلاثة ورابعهم كلبهم إلى آخر ما قال اللّه. قال: وحجبهم اللّه عزّوجلّ بحجاب من الرّعب، فلم يكن أحد يقدم بالدّخول عليهم غير صاحبهم، فإنّه لمّا دخل إليهم وجدهم خائفين أن يكون أصحاب دقيانوس شعروا بهم، فأخبرهم صاحبهم: أنّهم كانوا نائمين هذا الزّمن الطّويل، وأنّهم آية للنّاس، فبكوا، وسألوا اللّه أن يعيدهم إلى مضاجعهم نائمين كما كانوا»[1].

﴿وَكَذٰلِكَ أَعْثَرْنا عَلَيْهِمْ﴾: وكما أنمناهم وبعثناهم ليزدادوا بصيرة، أطْلَعْنا عليهم أهل مدينتهم ﴿لِيَعْلَمُوا﴾: ليعلم الّذين أطْلَعْناهم على حالهم ﴿أَنَّ وَعْدَ اللّهِ﴾ بالبعث ﴿حَقٌّ وَأَنَّ السّاعَةَ لا رَيْبَ فِيها﴾ لأنّ حالهم في نومهم وانتباههم، كحال من يموت ويبعث.

وفي الحديث النّبويّ: «كما تنامون تموتون، وكما تستيقظون تبعثون»[2].

وفي آخر: «النّوم أخ الموت»[3].

وفي حديث الرّجعة: «وقد رجع إلى الدّنيا ممّن مات خلق كثير، منهم أصحاب الكهف، أماتهم اللّه ثلاثمائة عام وتسعة، ثمّ بعثهم في زمان قوم أنكروا البعث، ليقطع حجّتهم وليريهم قدرته، وليعلموا أنّ البعث حقّ»[4].

﴿إِذْ يَتَنازَعُونَ﴾: أعثرنا عليهم حين يتنازعون ﴿بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ﴾ قيل: أمر دينهم؛ وكان بعضهم يقول: تبعث الأرواح مجرّدة، وبعضهم يقول: تبعثان معاً[5]. وقيل: أمر الفتية

١ ـ القمّي ٢: ٣٣، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.
٢ ـ الجامع لأحكام القرآن (للقرطبي) ١٥: ٢٦١، ذيل الآية: ٤٢ من سورة الزمر؛ وروضة الواعظين: ٥٣، مع تفاوت يسير.
٣ ـ فيض القدير ٦: ٣٠٠، الحديث: ٩٣٢٥، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله.
٤ ـ الاحتجاج ٢: ٨٨، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.
٥ ـ البيضاوي ٣: ٢٢٠؛ الكشّاف ٢: ٤٧٧.

حين توفّاهم ثانياً ، وكان بعضهم يقول: ماتوا ، وبعضهم يقول: ناموا كنومهم أوّل مرّة[١] .
﴿فَقالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْياناً﴾ حين توفّاهم ثانياً ﴿رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ﴾ . اعتراض . ﴿قالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلىٰ أَمْرِهِمْ﴾ من المسلمين ومَلِكهم ﴿لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِداً﴾ يصلّي فيه المسلمون ويتبرّكون بمكانهم .

قال: «قال الملك: ينبغي أن يُبْنىٰ هاهنا مسجدٌ ونزوره ، فإنّ هؤلاء قوم مؤمنون»[٢] .

﴿سَيَقُولُونَ ثَلاثَةٌ رابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ يعني أهل المدينة وملكهم ، كما سبق . وقيل: بل يعني بهم الخائضين في قصّتهم ، في عهد نبيّنا صلى الله عليه وآله من أهل الكتاب والمؤمنين[٣] .
﴿وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْماً بِالْغَيْبِ﴾ يرمون رمياً بالخبر الخفيّ . والقمّي: ظنّاً بالغيب ما يستفتونهم[٤] . ﴿وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ ما يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ .

في حديث: «من يخرج مع القائم عليه السلام فيكونون بين يديه أنصاراً وحكّاماً ، قال: وسبعة من أهل الكهف»[٥] .

﴿فَلا تُمارِ فِيهِمْ إِلَّا مِراءً ظاهِراً﴾: ولا تجادل أهل الكتاب في شأن الفتية إلّا جدالاً ظاهراً غير متعمّق فيه ، وهو أن تقصّ عليهم بما أُوحي إليك من غير تجهيل لهم ، والرّدّ عليهم ﴿وَلا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَداً﴾ . القمّي يقول: حسبك ما قصصنا عليك من أمرهم ، ولا تسأل أحداً من أهل الكتاب عنهم[٦] .

﴿وَلا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ﴾ تعزم عليه ﴿إِنِّي فاعِلٌ ذٰلِكَ غَداً﴾ .

١ ـ البيضاوي ٣: ٢٢٠ .
٢ ـ القمّي ٢: ٣٣ ، عن أبي عبد الله عليه السلام .
٣ ـ البيضاوي ٣: ٢٢٠ ؛ الكشّاف ٢: ٤٧٨ .
٤ ـ القمّي ٢: ٣٤ . وفي «ب» : «ما يستيقنونهم» .
٥ ـ روضة الواعظين: ٢٦٦ ، عن أبي عبد الله عليه السلام .
٦ ـ القمّي ٢: ٣٤ .

﴿إِلَّا أَنْ يَشاءَ اللَّهُ﴾ إلّا متلبّساً[1] بمشيئته، قائلاً: إن شاء الله. ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذا نَسِيتَ﴾ يعني إذا نسيت الاستثناء، فاستثن إذا ذكرت.

قال: «للعبد أن يستثني ما بينه وبين أربعين يوماً إذا نسي؛ إنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله أتاه ناس من اليهود فسألوه عن أشياء، فقال لهم: تعالوا غداً أحدّثكم؛ ولم يستثن، فاحتبس جبرئيل عليه السلام عنه أربعين يوماً، ثمّ أتاه فقال: "ولا تقولنّ" الآية»[2].

و ورد: «كانت الأشياء المسؤول عنها: قصّة أصحاب الكهف، وقصّة موسى عليه السلام مع العالِم، وقصّة ذي القرنين، ومتى قيام السّاعة»[3].

﴿وَقُلْ عَسىٰ أَنْ يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هٰذا رَشَداً﴾ قيل: أي يهديني لشيء آخر بدل هذا المنسيّ، أقرب منه رشداً وأدنى خيراً ومنفعة، أو لما هو أظهر دلالة، على أنّي نبيّ، من نبأ أصحاب الكهف[4].

﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلٰثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدادُوا تِسْعاً﴾. قال: «ذلك بسِنِي الشّمس، وهذا بسِنِي القمر»[5].

﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِما لَبِثُوا﴾: بمدّة لبثهم، من الّذين اختلفوا فيها من أهل الكتاب. ﴿لَهُ غَيْبُ السَّمٰواتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ﴾: ما أبصره وأسمعه. ذكر بصيغة التّعجّب؛ للدّلالة على أنّ أمره في الإدراك خارج عن حدّ ما عليه إدراك كلّ مبصر وسامع، إذ لا يحجبه شيء، ولا يتفاوت دونه لطيف وكثيف، وصغير وكبير، وخفيّ وجليّ. ﴿ما لَهُمْ﴾: ما لأهل السّمٰوات والأرض ﴿مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ﴾ يتولّى أمورهم ﴿وَلا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ

١ـ في «ألف» و«ج»: «ملتبساً».
٢ـ من لا يحضره الفقيه ٣: ٢٢٩، الحديث: ٤٢٨٤، عن أبي عبد الله عليه السلام.
٣ـ القمّي ٢: ٣١ـ٣٢، عن أبي عبد الله عليه السلام.
٤ـ البيضاوي ٣: ٢٢٢؛ الكشّاف ٢: ٤٨٠.
٥ـ مجمع البيان ٥ـ٦: ٤٦٣، عن أمير المؤمنين عليه السلام، وفيه: «ذاك» بدل «ذلك».

أَحَداً﴾ منهم.

﴿وَاتْلُ ما أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتابِ رَبِّكَ﴾: من القرآن ﴿لا مُبَدِّلَ لِكَلِماتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَداً﴾: ملتجأ وموئلاً. يقال: التحد إلى كذا إذا مال إليه.

﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ﴾: احبسها ﴿مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَداةِ وَالْعَشِيِّ﴾ في طرفي النّهار، أو في مجامع أوقاتهم. قال: «إنّما عنى بهما الصّلاة»[١]. ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ رضا اللّه وطاعته ﴿وَلا تَعْدُ عَيْناكَ عَنْهُمْ﴾: ولا يجاوزهم[٢] نظرك إلى غيرهم من أبناء الدّنيا ﴿تُرِيدُ زِينَةَ الْحَياةِ الدُّنْيا وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنا﴾ بالخذلان ﴿وَاتَّبَعَ هَواهُ وَكانَ أَمْرُهُ فُرُطاً﴾: إفراطاً وتجاوزاً للحدّ، ونَبْذاً للحقّ وراءَ ظَهرِهِ.

القمّي: نزلت في سلمان الفارسي عليه السلام، كان عليه كساء فيه يكون طعامه، وهو دِثاره ورِداؤه، وكان كساء من صوف، فدخل عيينة بن حصين على رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم وسلمان عنده، فتأذّى بريح كساء سلمان، وقد كان عَرِقَ فيه، وكان يوماً شديد الحَرّ. فقال: يا رسول اللّه إذا نحن دخلنا عليك فأخرج هذا وحزبه[٣] من عندك، فإذا نحن خرجنا فأدخل من شئت[٤].

﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾. قال: «وعيد»[٥].

﴿إِنّا أَعْتَدْنا لِلظّالِمِينَ ناراً أَحاطَ بِهِمْ سُرادِقُها﴾: فِسطاطها؛ شبّه به ما يحيط بهم من النّار. ﴿وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا﴾ من العطش ﴿يُغاثُوا بِماءٍ كَالْمُهْلِ﴾: «كدُرديّ الزّيت المغليّ». كذا ورد[٦]. ﴿يَشْوِي الْوُجُوهَ﴾ إذا قُدّمَ لِيُشرَبَ، من فَرْط حرارته ﴿بِئْسَ الشَّرابُ﴾: المُهْل

١ ـ العيّاشي ٢: ٣٢٦، الحديث: ٢٥، عن أبي جعفر وأبي عبد اللّه عليهما السلام، وفيه: «بها».

٢ ـ في «ألف»: «ولا تجاوز».

٣ ـ في المصدر: «واصرفه».

٤ ـ القمّي ٢: ٣٤.

٥ ـ العيّاشي ٢: ٣٢٦، الحديث: ٢٦، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٦ ـ القمّي ٢: ٣٥، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

﴿وَساءَتْ﴾ النّار ﴿مُرْتَفَقاً﴾: مُتّكأً؛ من المِرفَق، وهو يشاكل قوله: "وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقاً".

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّالِحاتِ إِنّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً﴾.

﴿أُولئِكَ لَهُمْ جَنّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الأَنْهارُ يُحَلَّوْنَ فِيها مِنْ أَساوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِياباً خُضْراً مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ﴾ ممّا رَقَّ من الدّيباج وما غَلُظَ منه ﴿مُتَّكِئِينَ فِيها عَلَى الأَرائِكِ﴾. قال: «الأرائك: السّرر عليها الحِجال»[1]. ﴿نِعْمَ الثَّوابُ﴾ الجنّة ونعيمها ﴿وَحَسُنَتْ﴾ الأرائك ﴿مُرْتَفَقاً﴾.

أقول: وكان الثّياب الخضر كناية عن أبدانهم المثاليّة البرزخيّة، المتوسّطة بين سواد هذا العالَم وبياض العالَم الأعلى، فإنّ الخضرة مركّبة من سواد وبياض، والرّقّة والغلظ كنايتان عن تفاوتهما في مراتب اللّطافة.

﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلاً﴾ للكافر والمؤمن ﴿رَجُلَيْنِ﴾: حال رجلين ﴿جَعَلْنا لِأَحَدِهِما جَنَّتَيْنِ﴾: بستانين ﴿مِنْ أَعْنابٍ﴾: من الكروم ﴿وَحَفَفْناهُما بِنَخْلٍ﴾: وجعلنا النّخل محيطة بهما ﴿وَجَعَلْنا بَيْنَهُما زَرْعاً﴾ ليكون كلّ منهما جامعاً للأقوات والفواكه على شكل حسن وترتيب أنيق.

﴿كِلْتَا الجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَها﴾: ثمرها ﴿وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ﴾: ولم تنقص من أكلها ﴿شَيْئاً﴾ كما يكون في سائر البساتين، فإنّ الثّمار تتمّ في عام وتنقص[2] في عام غالباً ﴿وَفَجَّرْنا خِلالَهُما نَهَراً﴾ لِيدومَ شربُهما ويزيد بهاؤهما.

﴿وَكانَ لَهُ ثَمَرٌ﴾: [مال كثير، وعلى قراءة بضمّتين:][3] أنواع من المال سوى الجنّتين؛ من ثمّر ماله إذا كثّره[4] ﴿فَقالَ لِصاحِبِهِ وَهُوَ يُحاوِرُهُ﴾: يُراجِعُه في الكلام ﴿أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ

١ـ القمّي ٢: ٢١٦، عن أبي جعفر عليه السلام، في ذيل الآية: ٥٦ من سورة يٰس.

٢ـ في «ألف»: «يتمّ في عام وينقص».

٣ـ ما بين المعقوفتين من «ج».

٤ـ في «الف» و«ب»: «إذا كاثره».

مالاً وَأَعَزُّ نَفَراً﴾: أولاداً وأعواناً.

﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ﴾ بصاحبه؛ يطوف به فيها، ويفاخِرُه بها ﴿وَهُوَ ظالِمٌ لِنَفْسِهِ﴾: ضارٌّ لها بعُجْبه وكُفْره ﴿قالَ ما أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ﴾: تفنى ﴿هٰذِهِ﴾ يعني هذه الجنّة[1] ﴿أَبَداً﴾ لطول أَمَلِه، وتمادي غفلته، واغتراره بمُهْلَتِه.

﴿وَما أَظُنُّ السّاعَةَ قائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلىٰ رَبِّي﴾ بالبعث كما زعمت ﴿لَأَجِدَنَّ خَيْراً مِنْها مُنْقَلَباً﴾: مَرجِعاً وعاقبةً.

﴿قالَ لَهُ صاحِبُهُ وَهُوَ يُحاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوّاكَ رَجُلاً﴾.

﴿لٰكِنَّا هُوَ اللّٰهُ رَبِّي﴾. أَصْلُهُ: لكن أنا. ﴿وَلا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَداً﴾.

﴿وَلَوْلا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ﴾: وهلّا قلت عند دخولها: ﴿ما شاءَ اللّٰهُ﴾: ما شاء اللّه كائن؛ إقراراً بأنّها وما فيها بمشيئة اللّه، إن شاء أبقاها وإن شاء أبادها.

﴿لا قُوَّةَ إِلّا بِاللّٰهِ﴾ اعترافاً بالعجز على نفسك، وبالقدرة للّه، وأنّ ما تيسّر لك من عمارتها وتدبيرها فبمعونته وإقداره. ﴿إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مالاً وَوَلَداً﴾.

﴿فَعَسىٰ رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِ خَيْراً مِنْ جَنَّتِكَ﴾ في الدّنيا أو في الآخرة، لإيماني ﴿وَيُرْسِلَ عَلَيْها﴾: على جنّتك لكفرك ﴿حُسْباناً مِنَ السَّماءِ﴾: مَراميَ من عذابه، كصاعقة ونحوها ﴿فَتُصْبِحَ صَعِيداً زَلَقاً﴾: أرضاً مَلْساء[2] يُزْلَقُ[3] عليها؛ باستئصال نباتها وأشجارها. والقمّي: محترقاً[4].

١ ـ في «ألف»: «يعني الجنّة».

٢ ـ مَلِسَ الشيءُ ـ من بابَيْ: تَعِبَ وقَرُبَ ـ مَلاسَةً: إذا لم يكن له شيء يُستمسك به وقد لانَ؛ فهو أَمْلَس، والأُنثى: مَلْساء. المصباح المنير ٢: ٢٧٩ (ملس).

٣ ـ زَلِقَتِ القدمُ: لم تَثْبُتْ حتّى سَقَطَتْ. المصباح المنير ١: ٣٠٨ (زلق).

٤ ـ القمّي ٢: ٣٥.

﴿أَوْ يُصْبِحَ ماؤُها غَوْراً﴾: غائراً في الأرض ﴿فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَباً﴾.

﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ﴾: وأهلك أمواله حسبما أنذره صاحبه. روي «إنّ اللّه أرسل عليها ناراً، فأهلكها وغار ماؤها»[1]. ﴿فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ﴾ ظهر البطن، تلهّفاً وتحسّراً ﴿عَلىٰ ما أَنْفَقَ فِيها وَهِيَ خاوِيَةٌ﴾: ساقطة ﴿عَلىٰ عُرُوشِها﴾ يعني سقطت عروش كرومها على الأرض، وسقطت الكروم فوقها ﴿وَيَقُولُ يا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَداً﴾.

﴿وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ﴾ بدفع الإهلاك، أو ردّ المُهْلَك ﴿مِنْ دُونِ اللّٰهِ﴾ فإنّه القادر على ذلك وحده ﴿وَما كانَ مُنْتَصِراً﴾: ممتنعاً عن انتقام اللّه منه.

﴿هُنالِكَ﴾: في ذلك المقام وتلك الحال، أو في الآخرة ﴿الوَلايَةُ﴾: النّصرة، إن فتحت الواو؛ والسّلطانُ والمُلك، إن كسرتها. ﴿لِلّٰهِ الحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَواباً وَخَيْرٌ عُقْباً﴾ لأوليائه.

﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الحَياةِ الدُّنْيا﴾ في زهرتها[2] وسرعة زوالها ﴿كَماءٍ أَنْزَلْناهُ مِنَ السَّماءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَباتُ الأَرْضِ﴾: تكاثف بسببه والتفّ، حتّى خالط بعضه بعضاً ﴿فَأَصْبَحَ هَشِيماً﴾: مهشوماً مكسوراً ﴿تَذْرُوهُ الرِّياحُ﴾: تفرّقه، فيصير كأن لم يكن ﴿وَكانَ اللّٰهُ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِراً﴾.

﴿المالُ وَالبَنُونَ زِينَةُ الحَياةِ الدُّنْيا وَالباقِياتُ الصّالِحاتُ﴾: وأعمال الخير والبرّ الّتي تبقى ثمرتها أبد الآباد ﴿خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ﴾ من المال والبنين ﴿ثَواباً﴾: عائدة[3] ﴿وَخَيْرٌ أَمَلاً﴾ لأنّ صاحبها ينال في الآخرة ما كان يأمل بها في الدّنيا.

قال: «هي الصّلوات الخمس»[4].

١ ـ مجمع البيان ٥ ـ ٦: ٤٧٢.

٢ ـ زَهْرَةُ الدنيا: غضارَتُها وحُسْنُها. الصّحاح ٢: ٦٧٤ (زهر).

٣ ـ في «ب»: «فائدة».

٤ ـ مجمع البيان ٥ ـ ٦: ٤٧٤، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

وقال: «إنّ من الباقيات الصّالحات القيام لصلاة اللّيل»[١].

وفي رواية: «التّسبيحات الأربع»[٢].

وفي أُخرى: «لا تستصغر مودّتنا، فإنّها من الباقيات الصّالحات»[٣].

﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الجِبالَ﴾: نسيّرها في الجوّ ونجعلها هباءً منبثاً ﴿وَتَرَى الأَرْضَ بارِزَةً﴾: بادية برزت من تحت الجبال، ليس عليها ما يَسْترها ﴿وَحَشَرْناهُمْ﴾: وجمعناهم إلى المَوقف ﴿فَلَمْ نُغادِرْ﴾: فلم نترك ﴿مِنْهُمْ أَحَداً﴾.

﴿وَعُرِضُوا عَلىٰ رَبِّكَ صَفّاً﴾ تُرى[٤] جماعتُهم كما يرى كلّ واحد منهم، لا يحجب أحدٌ أحداً. قال: «هم يومئذ عشرون ومائة ألف صفّ في عرض الأرض»[٥].

﴿لَقَدْ جِئْتُمُونا كَما خَلَقْناكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ لا شيء معكم من المال والولد ﴿بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِداً﴾: وقتاً لإنجاز الوعد.

﴿وَوُضِعَ الكِتابُ﴾: صحائف الأعمال ﴿فَتَرَى المُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمّا فِيهِ﴾: خائفين من الذنوب ﴿وَيَقُولُونَ يا وَيْلَتَنا مالِ هٰذا الكِتابِ﴾ تعجبياً من شأنه. ﴿لا يُغادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلّا أَحْصاها وَوَجَدُوا ما عَمِلُوا حاضِراً﴾ مكتوباً.

﴿وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً﴾.

قال: «إذا كان يوم القيامة دُفِعَ إلى الانسان كتابُه، ثمّ قيل له: اقرأه، فَيَقرأُ[٦] ما فيه، فيذكره، فما من لحظة ولا كلمة ولا نقل قدم إلّا ذكره، كأنه فعله تلك السّاعة، فلذلك قالوا:

١ ـ مجمع البيان ٥ ـ ٦: ٤٧٤، عن أبي عبدالله عليه السلام، وفيه: «القيام باللّيل لصلاة اللّيل».

٢ ـ الكافي ٢: ٥٠٦، الحديث: ٤؛ القمّي ٢: ٥٣، عن أبي جعفر عليه السلام؛ معاني الأخبار: ٣٢٤، الحديث: ١؛ العيّاشي ٢: ٣٢٧، الحديث: ٣٢، عن أبي عبد الله عليه السلام، بالمضمون.

٣ ـ مجمع البيان ٥ ـ ٦: ٤٧٤، عن أبي عبد الله عليه السلام.

٤ ـ في «ألف»: «يرى».

٥ ـ الاحتجاج ٢: ٩٨، عن أبي عبد الله عليه السلام.

٦ ـ في المصدر: «فيعرف».

"يا ويلتنا" الآية»[1].

﴿وَإِذْ قُلْنا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ﴾ سبق تفسيره[2]. وإنّما كرّر في مواضع؛ لكونه مقدّمةً للأُمور المقصود بيانها في تلك المحالّ، وهكذا كلّ تكرير في القرآن. ﴿كانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ﴾: فخرج ﴿عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِياءَ مِنْ دُونِي﴾ فتطيعونهم بدل طاعتي ﴿وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً﴾ من الله إبليس وذرّيّته.

﴿ما أَشْهَدْتُهُمْ﴾: ما أحضرت إبليس وذرّيّته أو[3] رؤساء المشركين، وبالجملة شياطين الجنّ والإنس ﴿خَلْقَ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ﴾ اعتضاداً بهم ﴿وَلا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ﴾: ولا أحضرت بعضهم خَلْقَ بعض ﴿وَما كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُداً﴾.

قال: «إنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله قال: اللّهمّ أعزّ الإسلام[4] بعمر بن الخطّاب، أو بأبي جهل بن هشام، فأنزل الله هذه الآية يعنيهما»[5].

﴿وَيَوْمَ يَقُولُ نادُوا شُرَكائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ﴾ أي: زعمتم أنّهم شركائي؛ توبيخ وتبكيت، والمراد ما عبد «من دونه» من الجنّ والإنس وغيرهما ﴿فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنا بَيْنَهُمْ مَوْبِقاً﴾: مهلكاً يشتركون فيه، وهو وادٍ من أودية جهنّم.

﴿وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُواقِعُوها﴾. قال: «يعني أيقنوا أنّهم داخلوها»[6]. ﴿وَلَمْ يَجِدُوا عَنْها مَصْرِفاً﴾.

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنا فِي هٰذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكانَ الْإِنْسانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً﴾.

١ ـ العيّاشي ٢: ٣٢٨، الحديث: ٣٤، عن أبي عبد الله عليه السلام.
٢ ـ في سورة البقرة، الآية ٣٤.
٣ ـ في «ب»: «ورؤساء».
٤ ـ في المصدر: «أعزّ الدين».
٥ ـ العيّاشي ٢: ٣٢٨، الحديث: ٣٩، عن أبي جعفر عليه السلام.
٦ ـ التوحيد: ٢٦٧، الباب: ٣٦، ذيل الحديث الطّويل: ٥، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

﴿وَما مَنَعَ النّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جاءَهُمُ الهُدىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ﴾: إلّا انتظار أن تأتيهم ﴿سُنَّةُ الأَوَّلِينَ﴾ وهي الإهلاك والاستيصال. ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمُ العَذابُ﴾: عذاب الآخرة ﴿قُبُلاً﴾: عياناً.

﴿وَما نُرْسِلُ المُرْسَلِينَ إِلّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَيُجادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالباطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الحَقَّ﴾: ليزيلوا بالجدال الحقَّ عن مقرّه ويبطلوه ﴿وَاتَّخَذُوا آياتِي وَما أُنْذِرُوا هُزُواً﴾.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآياتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْها وَنَسِيَ ما قَدَّمَتْ يَداهُ﴾ من الكفر والمعاصي، فلم يتفكّر في عاقبتهما ﴿إِنّا جَعَلْنا عَلىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ﴾: تمنعهم أن يفقهوه ﴿وَفِي آذانِهِمْ وَقْراً﴾ يمنعهم أن يسمعوه ﴿وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الهُدىٰ فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذاً أَبَداً﴾ لا تحقيقاً لأنّهم لا يفقهون، ولا تقليداً لأنّهم لا يسمعون.

﴿وَرَبُّكَ الغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤاخِذُهُمْ بِما كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ العَذابَ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْئِلاً﴾: ملجأً ومنجى.

﴿وَتِلْكَ القُرىٰ﴾: قرى عاد وثمود وأضرابهم ﴿أَهْلَكْناهُمْ لَمّا ظَلَمُوا﴾ مثل ظلم قريش بالتكذيب والمراء وأنواع المعاصي ﴿وَجَعَلْنا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِداً﴾: وقتاً معلوماً. فليعتبروا بهم، ولا يغترّوا بتأخّر[1] العذاب عنهم.

﴿وَإِذْ قالَ مُوسىٰ لِفَتاهُ﴾ قال: «هو يوشع بن نون»[2]. ﴿لا أَبْرَحُ﴾ قال: «لا أزال أسير»[3]. ﴿حَتّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ البَحْرَيْنِ﴾: ملتقى بحرَيْ فارس والرّوم، وهو المكان الّذي وعد فيه موسى لقاء الخضر ﴿أَوْ أَمْضِيَ حُقُباً﴾: أو أسير زماناً طويلاً. قال: «الحُقُب: ثمانون سنة»[4].

١ ـ في «ألف»: «بتأخير».
٢ ـ العيّاشي ٢: ٣٣٠، الحديث: ٤٢؛ القمّي ٢: ٤٠، عن أبي جعفر عليه السلام.
٣ ـ القمّي ٢: ٤٠، عن أبي جعفر عليه السلام.
٤ ـ القمّي ٢: ٤٠، عن أبي جعفر عليه السلام.

ورد: «إنّ موسى قال في نفسه: ما أرى أنّ اللّه خلق خلقاً أعلم منّي ، فأوحى اللّه إلى جبرئيل: أدرك عبدي موسى قبل أن يهلك ، وقل له: إنّ عند ملتقى البحرين رجلاً عابداً ، فاتّبِعْهُ وتَعَلَّمْ منه»[1] .

القمّي: «فنزل جبرئيل على موسى وأخبره ، وذلّ موسى في نفسه ، وعلم أنّه أخطأ ، ودخله الرّعب ، وقال لوصيّه يوشع: إنّ اللّه قد أمرني أن أتبع رجلاً عند ملتقى البحرين ، وأتعلّم منه ، فتزوّد يوشع حوتاً مملوحاً وخرجا»[2] .

﴿فَلَمّا بَلَغا مَجْمَعَ بَيْنِهِما نَسِيا حُوتَهُما﴾: تركاه ﴿فَاتَّخَذَ﴾ الحوت ﴿سَبِيلَهُ فِي البَحْرِ سَرَباً﴾: مسلكاً .

القمّي: «فلمّا بلغا ذلك المكان وجدا رجلاً مستلقياً على قفاه ؛ فلم يعرفاه ، فأخرج وصيّ موسى الحوت وغسله بالماء ووضعه على الصّخرة ، ومضيا ونسيا الحوت ، وكان ذلك الماء ماء الحيوان ، فحيي الحوت ودخل في الماء» الحديث[3] .

وفي رواية: «فانطلق الفتى يغسل الحوت في العين ، فاضطرب في يده حتّى خدشه وتفلّت منه ، ونسيه الفتى»[4] .

وفي أُخرى: «فقطرت قطرة من السّماء فاضطرب الحوت ، ثمّ جعل يَثِبُ[5] إلى البحر»[6] .

﴿فَلَمّا جاوَزا﴾ مجمع البحرين ﴿قالَ لِفَتاهُ آتِنا غَداءَنا﴾: ما نتغدّى به ﴿لَقَدْ لَقِينا مِنْ

١ ـ علل الشّرائع ١: ٥٩ ، الباب: ٥٤ ، الحديث: ١ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام . وفي العياشي ٢: ٣٣٢ ، الحديث: ٤٧ ؛ والقمّي ٢: ٣٧ ، ما يقرب منه .

٢ ـ القمّي ٢: ٣٧ ، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله .

٣ ـ القمّي ٢: ٣٧ ، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله .

٤ ـ العيّاشي ٢: ٣٢٩ ، الحديث ٤١ ، عن أبي جعفر وأبي عبد اللّه عليهما السلام .

٥ ـ وَثَبَ يَثِبُ والعامّة تستعمله بمعنى المبادرة والمسارعة. المصباح المنير ٢: ٣٦٣ (وثب).

٦ ـ المصدر: ٣٣٢ ، الحديث: ٤٧ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .

سَفَرِنا هذا نَصَباً﴾: عَناء. قال: «وإنّما أعيا حيث جاوزا الوقت»[١]. ﴿قالَ أَرَأَيْتَ﴾ ما دهاني ﴿إِذْ أَوَيْنا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الحُوتَ﴾: تركتُه وفقدتُه، أو نسيتُ ذكر حاله وما رأيتُ منه لك ﴿وَما أَنْسانِيهُ إِلَّا الشَّيْطانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي البَحْرِ عَجَباً﴾.

﴿قالَ ذٰلِكَ ما كُنّا نَبْغِ﴾. قال: «قال ذلك الرّجل الّذي رأيناه عند الصّخرة هو الّذي نريده»[٢]. وذلك لأن أمر الحوت كان آيته كما أخبر به. ﴿فَارْتَدّا عَلىٰ آثارِهِما قَصَصاً﴾: فرجعا في الطّريق الذي جاءا فيه، يتّبعان آثارهما اتّباعاً.

﴿فَوَجَدا عَبْداً مِنْ عِبادِنا﴾ قال: «هو الخضر عليه السلام»[٣]. قال: «وكان نبيّاً مرسلاً بعثه الله إلى قومه، فدعاهم إلى توحيده، والإقرار بأنبيائه ورُسُله وكُتُبه. وكانت آيته أنّه كان لا يجلس على خشبة يابسة ولا أرض بيضاء إلّا اهتزّت خضراء، وإنّما سمّي خِضْراً لذلك. وكان اسمه بليا بن ملكا بن عامر بن أرفخشد[٤] بن سام بن نوح»[٥].

﴿آتَيْناهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنا﴾ هي الوحي والنّبوّة ﴿وَعَلَّمْناهُ مِنْ لَدُنّا عِلْماً﴾ قيل: أي: ممّا يختصّ[٦] بنا من العلم، وهو علم الغيوب[٧].

﴿قالَ لَهُ مُوسىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلىٰ أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمّا عُلِّمْتَ رُشْداً﴾.

﴿قالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً﴾. قال: «قال: لأنّي وكّلت بأمر لا تطيقه، وأنت وكّلت بأمر لا أُطيقه. قال موسى: بل أستطيع معك صبراً. فقال الخضر: إنّ القياس لا مجال

١ـ العيّاشي ٢: ٣٣٢، الحديث: ٤٧، عن أبي عبد الله عليه السلام.
٢ـ القمّي ٢: ٣٨، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله.
٣ـ المصدر، عن علي بن موسى الرّضا عليه السلام؛ علل الشّرائع ١: ٦٠، الباب: ٥٤، الحديث: ١، عن أبي عبد الله عليه السلام.
٤ـ في «ألف» و«ج»: «ارفخشيد».
٥ـ علل الشّرائع ١: ٥٩، الباب: ٥٤، الحديث: ١، عن أبي عبد الله عليه السلام، مع تفاوت يسير.
٦ـ في «ب»: «ما يختصّ».
٧ـ البيضاوي ٣: ٢٣١؛ الكشّاف ٢: ٤٩٢.

له في علم اللّه وأمره»[١]. قال: «وكان موسى أعلم من الخضر»[٢].

﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ ما لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْراً﴾.

﴿قالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شاءَ اللّٰهُ صابِراً وَلا أَعْصِي لَكَ أَمْراً﴾. قال: «فقال له ذلك وهو خاضع له، يستلطفه على نفسه كي يقبله»[٣]. قال: «فلمّا استثنى المشيّة قَبِلَه»[٤].

﴿قالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْراً﴾ قال: «يقول: لا تسألني عن شيء أفعله ولا تنكره عليّ، حتّى أُخبرك أنا بخبره، قال: نعم»[٥].

﴿فَانْطَلَقا﴾ على السّاحل يطلبان السّفينة ﴿حَتّىٰ إِذا رَكِبا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَها﴾ الخضر ﴿قالَ﴾ موسى ﴿أَخَرَقْتَها لِتُغْرِقَ أَهْلَها لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً إِمْراً﴾: عظيماً. القمّي: «هو المنكر، وكان موسى ينكر الظّلم، فأعظم ما رأى»[٦].

﴿قالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً﴾.

﴿قالَ لا تُؤاخِذْنِي بِما نَسِيتُ وَلا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْراً﴾: ولا تغشني عسراً من أمري بالمضايقة والمؤاخذة على المنسيّ، فإنّ ذلك يعسّر عليّ متابعتك.

روي: «كانت الأُولى من موسى نسياناً»[٧].

﴿فَانْطَلَقا﴾ أي: بعد ما خرجا من السّفينة ﴿حَتّىٰ إِذا لَقِيا غُلاماً فَقَتَلَهُ﴾ من غير تروّ واستكشاف حال ﴿قالَ أَقَتَلْتَ نَفْساً زَكِيَّةً﴾: طاهرة من الذّنوب.

قال: «إنّه كان حسن الوجه، كأنّه قطعة قمر، وفي أُذنيه دُرّتان، وكان يلعب بين

١ ـ علل الشّرائع ١: ٦٠، ذيل الحديث: ١، عن أبي عبد اللّه عليه السلام، وفيه «بعلم» بدل «بأمر» في الموضعين.

٢ ـ العيّاشي ٢: ٣٣٠، الحديث: ٤٣، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٣ ـ المصدر: ٣٣١، الحديث: ٤٦، عن أبي عبد اللّه عليه السلام، وفيه: «يستعطفه».

٤ ـ علل الشّرائع ١: ٦٠، الباب: ٥٤، ذيل الحديث: ١، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٥ ـ القمّي ٢: ٣٨ ـ ٣٩، عن عليّ بن موسى الرّضا عليه السلام.

٦ ـ القمّي ٢: ٤٠، عن أبي جعفر عليه السلام، وفيه: «هو المنكر».

٧ ـ مجمع البيان ٥ ـ ٦: ٤٨١؛ تفسير البغوي ٣: ١٧٤، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله.

الصّبيان»[١].

﴿بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾: من غير أن قتلتْ نفساً فتقادَ بها ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً نُكْراً﴾ أي: منكراً.

قال: «فغضب موسى، وأخذ بتلابيبه[٢] و"قالَ أَقَتَلْتَ" الآية. قال الخضر: إنّ العقول لا تحكم على أمر اللّه، بل أمر اللّه يحكم عليها، فسَلِّمْ لما ترى منّي، واصبر عليه، فقد كُنْتُ عَلِمْتُ أنّك لن تستطيع معي صبراً»[٣].

﴿قالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً﴾. في زيادة «لك» زيادة عتاب على رفض الوصيّة.

﴿قالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَها فَلا تُصاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْراً﴾: قد وجدت عذراً من قبلي لما خالفتك ثلاث مرّات.

روي: «وددنا أنّ موسى كان صبر حتّى يقصّ علينا من خبرهما»[٤]. «وأنّه لو لبث مع صاحبه، لأبصر أعجب الأعاجيب»[٥].

﴿فَانْطَلَقا حَتَّى إِذا أَتَيا أَهْلَ قَرْيَةٍ﴾ قال: «هي النّاصرة، وإليها تنسب النّصارى»[٦]. ﴿اسْتَطْعَما أَهْلَها فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُما فَوَجَدا فِيها جِداراً يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ﴾: يداني أن يسقط؛ أُستعيرت الإرادة للمشارفة. ﴿فَأَقامَهُ﴾ قال: «بوضع يده عليه»[٧]. ﴿قالَ لَوْ شِئْتَ

---

١ ـ القمّي ٢: ٣٩، عن عليّ بن موسى الرّضا عليه السلام، مع تقدّم وتأخّر.

٢ ـ لَبَّبَهُ تَلْبيباً: جَمَعَ ثيابَه عند نحره في الخصومة، ثم جرّه. القاموس المحيط ١: ١٣٢ (لبب).

٣ ـ علل الشّرائع ١: ٦٠ ـ ٦١، الباب: ٥٤، ذيل الحديث: ١، عن أبي عبد الله عليه السلام.

٤ ـ صحيح البخاري ٣: ١٥٤، كتاب تفسير القرآن؛ سنن الترمذي ٤: ٣٧٣، أبواب تفسير القرآن، عن النّبيّ صلّى اللّه عليه وآله.

٥ ـ الكشّاف ٢: ٤٩٤، عن النّبيّ صلّى الله عليه وآله. وفي صحيح مسلم ٤: ١٨٥١، كتاب الفضائل، الباب: ٤٦، الحديث: ١٧٢؛ وسنن أبي داود ٤: ٢٨٦، الحديث: ٣٩٨٤، ما يقرب منه.

٦ ـ علل الشّرائع ١: ٦١، الباب: ٥٤، ذيل الحديث: ١؛ العيّاشي ٢: ٣٣٢، الحديث: ٤٧، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٧ ـ علل الشّرائع ١: ٦١، الباب: ٥٤، ذيل الحديث: ١، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْراً﴾ قال: «خبزاً نأكله ، فقد جعنا»[١] .

﴿قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْراً﴾ .

﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْباً﴾ . في قراءتهم عليهم السلام: «كلّ سفينة صالحة»[٢] . قال: «وإذا كانت معيوبة لم يأخذ منها شيئاً»[٣] .

﴿وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ﴾ في قراءتهم عليهم السلام: «وهو طبع كافراً»[٤] . ﴿فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا﴾: أن يغشيهما ﴿طُغْيَاناً وَكُفْراً﴾ .

قال: «علم الله أنّه إن بقي كفر أبواه ، وافتتنا به وضلّا بإضلاله ، فأمرني الله بقتله ، وأراد بذلك نقلهم إلى محلّ كرامته في العاقبة»[٥] .

﴿فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْراً مِنْهُ زَكَاةً﴾: ولداً خيراً منه ؛ طهارة من الذنوب والأخلاق الرديّة ﴿وَأَقْرَبَ رُحْماً﴾: رحمة وعطفاً على والديه .

قال: «إنّهما أُبدلا بالغلام المقتول ابنة ، فولد منها سبعون نبيّاً»[٦] .

﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحاً فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾ .

قال: «كان ذلك الكنز لوحاً من ذهب فيه مكتوب: بسم الله الرّحمن الرّحيم ، لا إله إلّا

١ ـ العيّاشي ٢: ٣٣٣ ، الحديث: ٤٧ ، عن أبي عبد الله عليه السلام .
٢ ـ مجمع البيان ٥ ـ ٦: ٤٨١ ، عن أمير المؤمنين والباقر والصادق عليهم السلام .
٣ ـ القمّي ٢: ٣٩ ، عن عليّ بن موسى الرّضا عليه السلام .
٤ ـ العيّاشي ٢: ٣٣٦ ، الحديث: ٥٥ ، عن أحدهما عليهما السلام ؛ علل الشرائع ١: ٦١ ، الباب: ٥٤ ، ذيل الحديث: ١ ؛ القمّي ٢: ٣٩ ؛ مجمع البيان ٥ ـ ٦: ٤٨٧ ، عن أبي عبد الله عليه السلام .
٥ ـ علل الشرائع ١: ٦١ ، الباب: ٥٤ ، ذيل الحديث: ١ ، عن أبي عبد الله عليه السلام .
٦ ـ الكافي ٦: ٧ ، الحديث: ١١ ؛ من لا يحضره الفقيه ٣: ٣١٧ ، الحديث: ١٥٤٢ ؛ العيّاشي ٢: ٣٣٦ ، الحديث: ٦٠ ، عن أبي عبد الله عليه السلام ؛ العيّاشي ٢: ٣٣٧ ، الحديث: ٦١ ، عن أحدهما عليهما السلام .

اللّه، محمّد رسول اللّه، عجبت لمن يعلم أنّ الموت حقّ، كيف يفرح! عجبت لمن يـؤمن بالقدر، كيف يحزن! عجبت لمن يذكر النّار، كيف يضحك! عجبت لمن يرى الدّنيا وتَصَرُّفَ أهلها حالاً بعد حال، كيف يطمئنّ إليها!»[١]. وفيه روايات أُخر يقرب بعضها من بعض[٢].

﴿وَما فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾: وإنّما فعلته عن أمر اللّه ﴿ذٰلِكَ تَأْوِيلُ ما لَمْ تَسْطِـعْ عَلَيْهِ صَبْراً﴾ حُذِفَ التّاء تخفيفاً.

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْراً﴾ ورد: «إنّه سئل عن طائف طاف المشرق والمغرب، من هو؟ وما قصّته؟ فنزلت»[٣].

«وسئل أمير المؤمنين عليه السلام عنه أنبيّاً كان أم مَلِكاً؟ فقال: لا نبيّاً ولا ملكاً، عـبد أحبّ اللّه فأحبّه اللّه، ونصح للّه فنصح له، فبعثه إلى قومه فضربوه على قرنه الأيمن، فغاب عنهم ما شاء اللّه أن يغيب، ثمّ بعثه الثّانية، فضربوه على قرنه الأيسر، فغاب عنهم ما شاء اللّه، ثم بعثه الثّالثة، فمكّن اللّه له في الأرض، وفيكم مثله، يعني نفسه»[٤]. وفي رواية: «فقتلوه»[٥]. مكان: فغاب عنهم. وفي [رواية][٦] أُخرى: «فأماته اللّه خمسمائة عام»[٧]. و ورد: «إنّ اسمه عيّاش»[٨].

﴿إِنَّا مَكَّـنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْناهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ أراده وتوجه إليه ﴿سَبَباً﴾: وصلة

---

١ ـ معاني الأخبار: ٢٠٠، الحديث ١، عن أمير المؤمنين عليه السلام؛ القمّي ٢: ٤٠، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٢ ـ الكافي ٢: ٥٨، الحديث: ٦ و ٥٩، الحديث: ٩؛ الخصال ١: ٢٣٦، الحديث: ٧٩؛ معاني الأخبار: ٢٠٠، الحديث: ١.

٣ ـ القمّي ٢: ٤٠.

٤ ـ المصدر: ٤١، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٥ ـ العيّاشي ٢: ٣٤٠، الحديث: ٧٣، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

٦ ـ الزّيادة من «ألف».

٧ ـ القمّي ٢: ٤٠، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٨ ـ العيّاشي ٢: ٣٤٠، الحديث: ٧٥ و ٣٥٠، الحديث: ٨١؛ الخصال ١: ٢٤٨، الحديث: ١١٠، عن أبي جعفر عليه السلام.

توصله إليه ؛ من العلم والقدرة والآلة . و ورد: «أي: دليلاً»[١] . قال: «سخّر الله له السّحاب ، ويسّر له الأسباب ، وبسط له النّور ، وكان اللّيل والنّهار عليه سواء»[٢] .

﴿ فَأَتْبَعَ سَبَباً ﴾ أي: فأراد بلوغ المغرب ، فأتبع سبباً يوصله إليه .

﴿ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ ﴾ أي: ذات حمأةٍ . وهي الطّين الأسود . وعلى قراءة حامِيَة ، أي: حارّة . ورد: «في عين حامية ، في بحر دون المدينة الّتي ممّا يلي المغرب ، يعني جابلقا[٣]»[٤] . ﴿ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْماً ﴾: ناساً كفرة ﴿ قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ ﴾ أي: بالقتل على كفرهم ﴿ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْناً ﴾ بإرشادهم وتعليمهم الشّرايع .

﴿ قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ ﴾ أي: نفسه بإصراره على كفره ﴿ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ﴾ قال: «بعذاب الدّنيا»[٥] . ﴿ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ ﴾ قال: «في مرجعه»[٦] . ﴿ فَيُعَذِّبُهُ عَذَاباً نُكْراً ﴾: منكراً لم يعهد مثله في الآخرة . قال: «أي: في النّار»[٧] .

﴿ وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا ﴾: ممّا نأمر به من الخراج وغيره ﴿ يُسْراً ﴾: سهلاً متيسّراً غير شاقّ .

﴿ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَباً ﴾ يوصله إلى المشرق .

﴿ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ ﴾ . قيل: يعني الموضع الّذي تطلع الشّمس عليه[٨] أوّلاً ؛

١ ـ القمّي ٢: ٤٢ ، عن أمير المؤمنين عليه السلام .

٢ ـ كمال الدّين ٢: ٣٩٣ ، الحديث: ٢ ، عن أمير المؤمنين عليه السلام ؛ الخرائج ٣: ١١٧٤ ، الحديث: ٦٨ ، عن العسكري عليه السلام ، مع تفاوت يسير .

٣ ـ جابَلْق: روى أبو روح عن الضحّاك عن ابن عبّاس أنّ جابلق مدينة بأقصى المغرب . وأهلها من ولد عاد ، وأهل جابَرْس من ولد ثمود ، ففي كلّ واحدة منهما بقايا ولد موسى عليه السلام . معجم البلدان ٢: ٩١ .

٤ ـ العيّاشي ٢: ٣٥٠ ، الحديث: ٨٣ ، عن أبي جعفر عليه السلام .

٥ و ٦ ـ العيّاشي ٢: ٣٤٢ ، ذيل الحديث: ٧٩ ، عن أمير المؤمنين عليه السلام .

٧ ـ القمّي ٢: ٤١ ، عن أبي عبد الله عليه السلام .

٨ ـ في «ألف»: «تطلع عليه الشّمس» .

من معمورة الأرض[١]. ﴿وَجَدَها تَطْلُعُ عَلىٰ قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِها سِتْراً﴾.

قال: «ورد على قوم قد أحرقتهم[٢] الشمس، وغيّرت أجسادهم وألوانهم، حتّى صيّرتهم كالظّلمة»[٣]. قال: «لم يعلموا صنعة البيوت»[٤]. والقمّي: لم يعلموا صنعة الثّياب[٥].

﴿كَذٰلِكَ﴾ كان أمره ﴿وَقَدْ أَحَطْنا بِما لَدَيْهِ خُبْراً﴾ من الجنود والآيات والعُدد والأسباب[٦].

﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَباً﴾: طريقاً ثالثاً معترضاً بين المشرق والمغرب، آخذاً من الجنوب إلى الشّمال. قال: «سبباً في ناحية الظّلمة»[٧].

﴿حَتّىٰ إِذا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ﴾ بين الجبلين المبنيّ بينهما سدّه ﴿وَجَدَ مِنْ دُونِهِما قَوْماً لا يَكادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلاً﴾ لغرابة لغتهم، وقلّة فطنتهم.

﴿قالُوا يا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ﴾. قيل: هما قبيلتان من ولد يافث بن نوح[٨].

و ورد: «جميع التّرك والسّقالب[٩] ويأجوج ومأجوج والصّين من يافث؛ حيث كانوا»[١٠].

﴿مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾. قال: «قالوا يا ذا القرنين إنّ يأجوج ومأجوج خلف هذين

١ ـ البيضاوي ٣: ٢٣٥.

٢ ـ في «ب»: «أحرقهم». وفي «ج»: «احترقتهم».

٣ ـ العياشي ٢: ٣٤٢، ذيل الحديث: ٧٩، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

٤ ـ المصدر: ٣٥٠، الحديث: ٨٤، عن أبي جعفر عليه السلام.

٥ ـ القمّي ٢: ٤١.

٦ ـ في «ب»: «والآلات».

٧ ـ العياشي ٢: ٣٤٢، ذيل الحديث: ٧٩، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

٨ ـ البيضاوي ٣: ٢٣٥.

٩ ـ المشهور على الألسنة بالصاد؛ وهم جيل من الناس بين بلاد البلغار والقسطنطنيّة فقط ولكنّهم منتشرون في الشمال الشرقي لأوربا وفي غرب البلغار أيضاً. انظر: تاج العروس ٣: ٦٤ و ٢٠٠ ودائرة المعارف (للفريد وجدي) ٥: ٥٢١.

١٠ ـ علل الشّرائع ١: ٣٢، الباب: ٣٨، الحديث: ١ عن الهادي عليه السلام.

الجبلين، وهم يفسدون في الأرض، إذا كان إبّان[1] زروعنا وثمارنا خرجوا علينا من هذين السّدّين، فرعوا من ثمارنا وزروعنا[2]، حتّى لا يبقون منها شيئاً»[3]. ﴿فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجاً﴾ قال: «أي: نؤدّيه إليك في كلّ عام»[4].

﴿عَلىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنا وَبَيْنَهُمْ سَدّاً﴾.

﴿قالَ ما مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ﴾ ممّا تبذلون لي من الخراج، ولا حاجة بي إليه ﴿فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ﴾: بقوّة فعلة، أو بما أتقوّى به من الآلات ﴿أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْماً﴾: حاجزاً حصيناً، وهو أكبر من السّدّ.

﴿آتُونِي﴾: ناولوني ﴿زُبَرَ الْحَدِيدِ﴾: قِطَعه الكبيرة ﴿حَتّىٰ إِذا ساوىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ﴾: بين جانبي الجبلين؛ بتنضيدها ﴿قالَ انْفُخُوا﴾ أي: قال للعملة: انفخوا في الأكوار ﴿حَتّىٰ إِذا جَعَلَهُ ناراً﴾: كالنّار بالإحماء ﴿قالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْراً﴾ أي: آتوني قطراً أفرغه عليه، أي: نحاساً.

قال: «احتفروا له جبلَ حديد، فقلعوا له أمثال اللّبِن، فطرح بعضه على بعض فيما بين الصّدفين، وكان ذو القرنين أوّل من بَنىٰ رَدْماً على وجه الأرض، ثمّ جعل عليه الحطب وألهب فيه النّار، ووضع عليه المنافيخ؛ فنفخوا عليه. قال: فلمّا ذاب قال: آتوني بقطر، فاحتفروا له جبلاً من مس، فطرحوه على الحديد، فذاب معه واختلط به»[5].

﴿فَمَا اسْطاعُوا﴾ «يعني يأجوج ومأجوج»[6]. ﴿أَنْ يَظْهَرُوهُ﴾: أن يعلوه بالصّعود لارتفاعه وانملاسه ﴿وَما اسْتَطاعُوا لَهُ نَقْباً﴾ لثخنه وصلابته.

﴿قالَ هٰذا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي﴾ على عباده ﴿فَإِذا جاءَ وَعْدُ رَبِّي﴾ بقيام السّاعة ﴿جَعَلَهُ

١ـ في «ألف» و«ب»: «أيّان». وإبّان الشيء: حينُه أو أوّله. القاموس المحيط ٤: ١٩٦ (أبن).

٢ـ في «ب» و«ج»: «فرعوا في ثمارنا وفي زروعنا».

٣ و ٤ـ العيّاشي ٢: ٣٤٣، ذيل الحديث: ٧٩، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

٥ و ٦ـ العيّاشي ٢: ٣٤٣، ذيل الحديث: ٧٩، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

دَكّاءَ﴾: أرضاً مستوية ﴿وَكانَ وَعْدُ رَبِّي حَقّاً﴾.

القمّي: إذا كان قبل يوم القيامة في آخر الزّمان، انهدم ذلك السّدّ وخرج يأجوج ومأجوج إلى الدنيا، وأكلوا النّاس. وهو قوله تعالى: "حَتّىٰ إذا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ"[1].

و ورد: «هم أكثر خَلْق خلقوا بعد الملائكة، وليس منهم رجل يموت حتّى يولد له من صلبه ألف ولد ذكر»[2].

«والرّدم في التّأويل التّقيّة، وهي[3] الحصن الحصين، فإذا جاء الوعد رفعت، وانتقم من أعداء اللّه». كذا ورد[4].

﴿وَتَرَكْنا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ﴾ قال: «يعني يوم القيامة»[5]. ﴿يَمُوجُ فِي بَعْضٍ﴾: يختلطون، مزدحمين، حيارى ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ لقيام الساعة ﴿فَجَمَعْناهُمْ جَمْعاً﴾ للحساب والجزاء.

﴿وَعَرَضْنا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكافِرِينَ عَرْضاً﴾ أي: أبرزناها لهم، فشاهدوها.

﴿الَّذِينَ كانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكانُوا لا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعاً﴾ أي: كانوا صُمّاً عنه. قال: «لم يعبهم بما صنع هو بهم، ولكن عابهم بما صنعوا، ولو لم يتكلّفوا لم يكن عليهم شيء»[6].

﴿أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبادِي مِنْ دُونِي أَوْلِياءَ﴾ يعبدونهم أو يحبّونهم، أي: أفحسبوا أنّهم ينجونهم من عذابي. وفي قراءة أمير المؤمنين عليه السلام:

١ ـ القمّي ٢: ٤١. والآية في سورة الأنبياء (٢١): ٩٦.

٢ ـ المصدر، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٣ ـ في «ج»: «وهو».

٤ ـ العيّاشي ٢: ٣٥١، الحديث: ٨٦، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٥ ـ المصدر، الحديث: ٨٧، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

٦ ـ المصدر: ٣٥٢، الحديث: ٨٨، عن أبي عبد اللّه عليه السلام. وفيه: «لم يعتبهم... ولكن يعاتبهم».

«أَفَحَسْبُ»[١] بسكون السّين ورفع الباء، يعني أفكافيهم في النّجاة. ﴿إِنَّا أَعْتَدْنا جَهَنَّمَ لِلْكافِرِينَ نُزُلاً﴾ قال: «مأوى ومنزلاً»[٢].

﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالأَخْسَرِينَ أَعْمالاً﴾.

﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الحَياةِ الدُّنْيا﴾: ضاع وبطل لكفرهم ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً﴾ لعُجْبهم واعتقادهم أنّهم على الحقّ.

قال: «هم النّصارى والقسّيسون والرّهبان، وأهل الشّبهات والأهواء من أهل القبلة، والحروريّة[٣] وأهل البدع»[٤].

﴿أُولئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآياتِ رَبِّهِمْ وَلِقائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمالُهُمْ فَلا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ القِيامَةِ وَزْناً﴾. قال: «ولا يعبأ بهم، لأنّهم لم يعبأوا بأمره ونهيه»[٥].

﴿ذلِكَ جَزاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِما كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آياتِي وَرُسُلِي هُزُواً﴾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّالِحاتِ كانَتْ لَهُمْ جَنّاتُ الفِرْدَوْسِ نُزُلاً﴾. قال: «الجنّة مائة درجة، ما بين كلّ درجتين كما بين السّماء والأرض، الفردوس أعلاها درجة»[٦].

قال: «نزلت في أبي ذرّ والمقداد وسلمان وعمّار»[٧].

﴿خالِدِينَ فِيها لا يَبْغُونَ عَنْها حِوَلاً﴾: تحوّلاً[٨]. قال: «لا يريدون بها بدلاً»[٩].

١ ـ مجمع البيان ٥ ـ ٦: ٤٩٥، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

٢ ـ القمّي ٢: ٤٦، عن أبي عبد الله عليه السلام.

٣ ـ حروراء، أو حرورا: موضع غير بعيد من الكوفة، اجتمع فيه أهل الخوارج عندما جهروا بالخروج على عليّ عليه السلام وسرعان ما قضى عليهم إلى آخر رجل تقريباً في وقعة النهروان الدامية. وقد نسب الخوارج إلى حروراء، فعرفوا بالحروريّة. دائرة المعارف الاسلاميّة ٧: ٣٦١ (حروراء).

٤ ـ القمّي ٢: ٤٦، عن أبي جعفر عليه السلام.

٥ ـ الاحتجاج ١: ٣٦٤، عن أمير المؤمنين عليه السلام، وفيه: «ولا يعبأ بهم بأمره ونهيه يوم القيامة».

٦ ـ مجمع البيان ٥ ـ ٦: ٤٩٨، عن النّبيّ صلّى الله عليه وآله.

٧ و ٩ ـ القمّي ٢: ٤٦، عن أبي عبد الله عليه السلام.

٨ ـ لم ترد في «ب».

﴿قُلْ لَوْ كانَ الْبَحْرُ مِداداً لِكَلِماتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِماتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنا بِمِثْلِهِ مَدَداً﴾. قال: «إنّ كلام اللّه عزّوجلّ ليس له آخر ولا غاية، ولا ينقطع أبداً»[١].

﴿قُلْ إِنَّما أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحىٰ إِلَيَّ أَنَّما إِلٰهُكُمْ إِلٰهٌ واحِدٌ﴾. قال: «يعني قل لهم: أنا في البشريّة مِثْلُكم، ولكن ربّي خَصَّني بالنّبوّة دونكم، كما يَخُصُّ بعضَ البشر بالغنى والصّحّة والجمال دون بعض»[٢].

﴿فَمَنْ كانَ يَرْجُوا لِقاءَ رَبِّهِ﴾ قال: «يؤمن بأنّه مبعوث»[٣]. ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صالِحاً﴾: خالصاً للّه ﴿وَلا يُشْرِكْ بِعِبادَةِ رَبِّهِ أَحَداً﴾.

قال: «الرّجل يعمل شيئاً من الثّواب لا يَطْلُبُ به وجهَ اللّه؛ إنّما يَطْلُبُ تزكيةَ النّاس، يَشْتَهي أن يسمع به النّاس، فهذا الّذي أشرك بعبادة ربّه، ثمّ قال: ما من عبد أسرّ خيراً، فذهبت الأيّام أبداً حتّى يظهر اللّه له خيراً، وما من عبد يُسِرُّ شرّاً، فذهبت الأيّام حتّى يظهر اللّه له شرّاً»[٤].

وفي الحديث القدسي: «أنا أغنى الشّركاء عن الشّرك، فمن عمل عملاً أشرك فيه غيري فأنا منه بريءٌ؛ فهو للّذي أشرك»[٥].

وفي الحديث النّبويّ في تفسير هذه الآية: «من عمل عملاً ممّا أمره اللّه عزّوجلّ مُراآة[٦] النّاس فهو مشرك، ولا يقبل اللّه عزّوجلّ عمل مرائي»[٧].

وورد في تفسيرها: «من صلّى أو صام أو أعتق أو حجّ يريد مَحْمَدَةَ النّاس فقد أشرك

١ ـ القمّي ٢: ٤٦، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٢ ـ الاحتجاج ١: ٢٩، عن العسكري عليه السلام، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله.

٣ ـ التّوحيد: ٢٧٦، الباب: ٣٦، ذيل الحديث: ٥، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

٤ ـ الكافي ٢: ٢٩٤، ذيل الحديث: ٤، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٥ ـ مجمع البيان ٥ ـ ٦: ٤٩٩، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله.

٦ ـ في «ألف» و«ج»: «مراياة».

٧ ـ القمّي ٢: ٤٧، عن أبي جعفر عليه السلام، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله، مع تفاوت يسير.

في عمله ، وهو مشرك مغفور»[1] .

أقول: يعني أنّه ليس من الشّرك الّذي قال اللّه: "إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ"[2] وذلك لأنّ المراد بذلك ، الشّرك الجليّ ، وهذا هو الشّرك الخفيّ .

و ورد: «إنّه كان يتوضّأ للصّلاة ، فأراد رجل أن يصبّ الماء على يديه فأبى ، وقرأ هذه الآية ، وقال: ها أناذا أتوضّأ للصّلاة وهي العبادة ، فأكره أن يشركني فيها أحد»[3] .

أقول: وهذا تفسيرٌ آخر للآية ، ولعلّه تنزيه وذاك تحريم .



١ ـ العيّاشي ٢: ٣٥٢ ، الحديث: ٩٢ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .

٢ ـ النّساء (٤): ٤٨ و١١٦.

٣ ـ الكافي ٣: ٦٩ ، الحديث: ١ ، عن علي بن موسى الرّضا عليه السلام .

سورة مريم

[مكيّة وهي ثمان وتسعون آية][1]

بسم الله الرحمٰن الرحيم

﴿كٓهيعٓصٓ﴾ . قال: «إنّ هذه الحروف من أنباء الغيب . أطلع اللهُ عبدَه زكريّا عليها ، ثمّ قصّها على محمّد ﷺ ، ثمّ ذكر: أنّ الكاف اسم كربلاء ، والهاء هلاك العترة ، والياء يزيد ، وهو ظالم الحسين ، والعين عطشه ، والصّاد صبره»[2] . في قصّة مذكورة في الصّافي[3] .

وورد في بعض الأدعية: «يا كهيعص»[4] .

﴿ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا﴾ أي: هذا ذكر رحمة ربّك ، و ورد: «ذكر ربّك زكريّا فرَحِمَه»[5] .

﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا﴾ لأنّه أشدّ إخباتاً[6] وأكثر إخلاصاً .

١ ـ مابين المعقوفتين من «ب» .

٢ ـ كمال الدّين ٢: ٤٦١ ، الباب: ٤٢ ، ذيل الحديث الطّويل: ٢١ ؛ المناقب ٤: ٨٤ ، عن الحجّة ؏ .

٣ ـ الصّافي ٣: ٢٧٢ ، نقلاً عن كمال الدّين ، عن الحجّة ؏ .

٤ ـ مجمع البيان ٥ ـ ٦: ٥٠٢ ، عن أمير المؤمنين ؏ .

٥ ـ القمّي ٢: ٤٨ ، عن أبي جعفر ؏ .

٦ ـ أخبت الرجل اخباتاً: خضع لله وخشع قلبه . المصباح المنير ١: ١٩٧ (خبت) .

و ورد: «خير الدّعاء الخفيّ»[١].

﴿قالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ العَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْباً﴾. شبّه الشّيب في بياضه وإنارته بشواظ[٢] النّار، وانتشاره في الشّعر باشتعالها. ﴿وَلَمْ أَكُنْ بِدُعائِكَ رَبِّ شَقِيّاً﴾ بل كلّما دعوتُكَ استجبْتَ لي، فلا يبعد أن أجبْتني.

﴿وَإِنِّي خِفْتُ المَوالِيَ﴾ قال: «الورثة»[٣]. ﴿مِنْ وَرائِي﴾ أن لا يحسنوا خلافتي على أمّتي، ويبدّلوا عليهم دينهم ﴿وَكانَتِ امْرَأَتِي عاقِراً﴾: لا تلد ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ﴾ فإنّ مثله لا يرجى إلّا من فضلك وكمال قدرتك ﴿وَلِيّاً﴾ من صلبي.

﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيّاً﴾ ترضاه قولاً وعملاً.

﴿يا زَكَرِيّا إِنّا نُبَشِّرُكَ بِغُلامٍ اسْمُهُ يَحْيىٰ﴾. جوابٌ لندائه، ووعدٌ بإجابة دعائه. ﴿لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيّاً﴾.

﴿قالَ رَبِّ أَنّىٰ يَكُونُ لِي غُلامٌ وَكانَتِ امْرَأَتِي عاقِراً وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الكِبَرِ عِتِيّاً﴾: عتوّاً؛ من عتا الشّيخ يعتو، إذا كبر وأسنّ؛ وهو اعتراف منه بأنّ المؤثّر فيه كمال قدرته، وأنّ الأسباب عند التّحقيق ملغاة.

﴿قالَ كَذٰلِكَ قالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئاً﴾.

﴿قالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً﴾: علامة أعلَمُ بها وقوعَ ما بشّرتني به ﴿قالَ آيَتُكَ أَلّا تُكَلِّمَ النّاسَ ثَلاثَ لَيالٍ سَوِيّاً﴾: سَوِيَّ الخَلْقِ، ما بك من خَرَسٍ ولا بَكَم. وفي آل عمران: "ثَلاثَةَ أَيّامٍ"[٤]. وفيه دلالة على أنّه تجرّد للذّكر والشّكر ثلاثة أيّام بلياليهنّ.

﴿فَخَرَجَ عَلىٰ قَوْمِهِ مِنَ المِحْرابِ﴾: من المصلّى، أو من الغُرفة ﴿فَأَوْحىٰ إِلَيْهِمْ﴾: فأومأ إليهم، لقوله "إِلّا رَمْزاً"[٥] ﴿أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيّاً﴾.

﴿يا يَحْيىٰ﴾ على تقدير القول ﴿خُذِ الكِتابَ﴾: التوراة ﴿بِقُوَّةٍ﴾: بجدٍّ واستظهار

١ ـ مجمع البيان ٥ ـ ٦: ٥٠٢.

٢ ـ الشّواظ ـ كغُراب وكتاب ـ: لهب لا دخان فيه؛ أو دخان النار وحرّها. القاموس المحيط ٢: ٤١٠ (شوظ).

٣ ـ القمّي: ٢: ٤٨، عن أبي جعفر عليه السلام.

٤ و ٥ ـ آل عمران (٣): ٤١.

١٠ ـ ١١

بالتّوفيق ﴿وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيّاً﴾.

قال: «مات زكريّا فوَرِثَه ابنُه يحيى الكتابَ والحكمةَ، وهو صبيّ صغير، ثمّ تلا هذه الآية»[١].

و ورد: «إنّ الصّبيان قالوا ليحيى: اذهب بنا نلعب، فقال: ما للّعب خُلِقْنا»[٢].

﴿وَحَنَاناً مِنْ لَدُنَّا﴾: ورحمة منّا عليه وتعطّفاً. قال: «تحنّن اللّه. سئل: فما بلغ من تحنّن اللّه عليه؟ قال: كان إذا قال: يا ربّ، قال اللّه عزّوجلّ له: لبّيك يا يحيى»[٣]. وزاد في رواية: «سَلْ، ما حاجتك؟»[٤]. في رواية: «يعني تحنّناً ورحمة على والديه وسائر عبادنا»[٥]. ﴿وَزَكَاةً﴾ قال: «وطهارة لمن آمن به وصدّقه»[٦]. ﴿وَكَانَ تَقِيّاً﴾ قال: «يتّقي الشّرور والمعاصي»[٧].

﴿وَبَرّاً بِوَالِدَيْهِ﴾ قال: «محسناً إليهما، مطيعاً لهما»[٨]. ﴿وَلَمْ يَكُنْ جَبَّاراً عَصِيّاً﴾. قال: «يقتل على الغضب ويضرب على الغضب، لكنّه ما من عبد للّه[٩] إلّا وقد أخطأ أو هَمَّ بخطيئة، ما خلا يحيى بن زكريّا، فلم يذهب ولم يَهُمّ بذنب»[١٠].

﴿وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ﴾ من أن يناله الشّيطان بما ينال به بني آدم ﴿وَيَوْمَ يَمُوتُ﴾ من عذاب القبر ﴿وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيّاً﴾ من هول القيامة وعذاب النّار.

ورد: «إنّ أوحش ما يكون هذا الخلق في ثلاثة مواطن: يوم يولد، ويخرج من بطن أُمّه فيرى الدّنيا، ويوم يموت فيعاين الآخرة وأهلها، ويوم يبعث فيرى أحكاماً لم يرها في دار

١ـ الكافي ١: ٣٨٢، الحديث: ١، عن أبي جعفر عليه السلام.

٢ـ مجمع البيان ٥ـ٦: ٥٠٦، عن عليّ بن موسى الرّضا عليه السلام.

٣ـ الكافي ٢: ٥٣٥، ذيل الحديث: ٣٨، عن أبي جعفر عليه السلام.

٤ـ المحاسن ١: ٣٥، الباب: ٢٥، الحديث: ٣٠، عن أبي عبد اللّه عليه السلام. وفيه: «سل حاجتك».

٥ و٦ و٧ و٨ و١٠ ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٦٥٩.

٩ـ في المصدر: «ما من عَبْد عَبَدَ اللّه».

الدّنيا، وقد سلّم الله عزّوجلّ على يحيى في هذه الثّلاثة المواطن، وآمن رَوْعَتَه[١]، وتلا الآية. قال: وقد سلّم عيسى بن مريم على نفسه في هذه الثّلاثة المواطن، وتلا الآية الآتية»[٢].

﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتابِ مَرْيَمَ﴾: قِصّتها ﴿إِذِ انْتَبَذَتْ﴾: اعتزلت ﴿مِنْ أَهْلِها مَكاناً شَرْقِيّاً﴾.

﴿فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجاباً﴾: ستراً وحاجزاً. القمّي قال: في محرابها[٣]. ﴿فَأَرْسَلْنا إِلَيْها رُوحَنا﴾قال: «يعني جبرئيل»[٤]. ﴿فَتَمَثَّلَ لَها بَشَراً سَوِيّاً﴾: سويّ الخلق.

﴿قالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمٰنِ مِنْكَ﴾ من غاية عفافها ﴿إِنْ كُنْتَ تَقِيّاً﴾ فكيف إن لم تكن، أو أن تتّقي الله فلا تتعرّض لي.

﴿قالَ إِنَّما أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلاماً زَكِيّاً﴾.

﴿قالَتْ أَنّىٰ يَكُونُ لِي غُلامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾ يعني بالحلال ﴿وَلَمْ أَكُ بَغِيّاً﴾: زانية.

﴿قالَ كَذٰلِكِ قالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنّاسِ﴾: علامة وبرهاناً على كمال قدرتنا ﴿وَرَحْمَةً مِنّا﴾ على العباد، يهتدون بإرشاده ﴿وَكانَ أَمْراً مَقْضِيّاً﴾.

﴿فَحَمَلَتْهُ﴾. قال: «إنّه تناول جَيْب مِدْرَعَتها[٥]، فنفخ فيه نفخة، فكمل الولد في الرّحم من ساعته، كما يكمل في أرحام النّساء تسعة أشهر، فخرجت من المُسْتَحَمّ وهي حامل

١ـ الرَّوْعَ ـ بالفتح ـ: الفَزَعُ. والرَّوْعَةُ: الفَزْعَة. الصّحاح ٣: ١٢٢٣ (روع).

٢ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ١: ٢٥٧، الباب: ٢٦، الحديث: ١١؛ الخصال ١: ١٠٧، الحديث: ٧١، عن علي بن موسى الرّضا عليهما السلام.

٣ و ٤ـ القمّي ٢: ٤٩.

٥ـ المِدْرَع والمِدْرَعة واحد، وهو ثوب من صوف يتدرّع به. مجمع البحرين ٤: ٣٢٤ (درع).

مُجِحٌ[١] مثقل، فنظرت إليها خالتُها فأنكرتها، ومضت مريم على وجهها؛ مستحية[٢] من خالتها ومن زكريّا»[٣]. وقال: «كانت مدّة حملها تسع ساعات»[٤].

﴿فَانْتَبَذَتْ بِهِ﴾: فاعتزلت، وهو في بطنها ﴿مَكاناً قَصِيّاً﴾: بعيداً من أهلها. قال: «خرجت من دمشق حتّى أتت كربلاء، فوضعته في موضع قبر الحسين عليه السلام، ثمّ رجعت من ليلتها»[٥].

﴿فَأَجاءَها المَخاضُ﴾: فألجأها تحرّك الولد في بطنها ﴿إِلىٰ جِذْعِ النَّخْلَةِ﴾ لتستتر به، وتعتمد عليه ﴿قالَتْ يالَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هٰذا﴾ استحياءً من النّاس، ومخافة لومهم. قال: «لأنّها لم تر في قومها رشيداً ذا فراسة ينزّهها من السّوء»[٦]. ﴿وَكُنْتُ نَسْياً﴾: ما من شأنه أن يُنسى ولا يُطلَبَ ﴿مَنْسِيّاً﴾: منسيّ الذّكر، لا يخطر ببالهم.

﴿فَناداها مِنْ تَحْتِها﴾. [قال][٧] القمّي: أي: عيسى عليه السلام[٨]. ﴿أَلّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيّاً﴾ روي: «أي: جِدْوَلاً»[٩]. وقال: «ضرب عيسى برجله؛ فظهر عين ماء يجري»[١٠].

﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ﴾: حرّكيه وأميليه إليك ﴿تُساقِطْ عَلَيْكِ رُطَباً جَنِيّاً﴾:

---

١ ـ الجَحّ: بسط الشّيء، ويقال أجَحَّت المرأة: إذا حَمَلتْ فأقربت وعَظُمَ بطنُها، فهي مُجِحٌّ. تاج العروس ٦: ٣٣٢ (جحح).

٢ ـ في «ب»: «مستحيية».

٣ ـ مجمع البيان ٥ ـ ٦: ٥١١، عن أبي جعفر عليه السلام.

٤ ـ المصدر، عن أبي عبد الله عليه السلام.

٥ ـ التّهذيب ٦: ٧٣، الحديث: ١٣٩، عن عليّ بن الحسين عليه السلام.

٦ ـ مجمع البيان ٥ ـ ٦: ٥١١، عن أبي عبد الله عليه السلام.

٧ ـ الزّيادة من «ب».

٨ ـ القمّي ٢: ٤٩.

٩ ـ جوامع الجامع ٢: ٣٩١، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله. والجِدْوَل: النّهر الصّغير. الصحاح ٤: ١٦٥٤ (جدل).

١٠ ـ مجمع البيان ٥ ـ ٦: ٥١١، عن أبي جعفر عليه السلام.

طريّاً. القمّي: وكانت النّخلة قد يَبِسَتْ منذ دهر، فمدّت يدها إليها؛ فأورقت وأثمرت وسقط عليها الرّطب الطّريّ! فطابت نفسها، فقال لها عيسى: قمّطيني [١] وسوّيني، ثمّ افعلي كذا وكذا. فقمّطته وسوّته [٢].

﴿فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْناً فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَداً فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمٰنِ صَوْماً﴾ قال: «أي: صمتاً» [٣]. والقمّي: صوماً وصمتاً، كذا نزلت [٤]. ﴿فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيّاً﴾.

﴿فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَها تَحْمِلُهُ قالُوا يا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئاً فَرِيّاً﴾: بديعاً منكراً.

﴿يا أُخْتَ هٰرُونَ ما كانَ أَبُوكِ امْرَءَ سَوْءٍ وَما كانَتْ أُمُّكِ بَغِيّاً﴾. روي: «إنّ هارون هذا كان رجلاً صالحاً في بني إسرائيل، ينسب إليه كلّ من عُرِفَ بالصّلاح» [٥]. والقمّي: كان رجلاً فاسقاً زانياً، فشبّهوها به [٦].

﴿فَأَشارَتْ إِلَيْهِ﴾: إلى عيسى، أي: كلّموه ليجيبكم ﴿قالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيّاً﴾.

﴿قالَ إِنِّي عَبْدُ اللّٰهِ آتانِيَ الْكِتابَ﴾ قيل: الإنجيل [٧] ﴿وَجَعَلَنِي نَبِيّاً﴾.

﴿وَجَعَلَنِي مُبارَكاً﴾ قال: «نفّاعاً» [٨]. ﴿أَيْنَ ما كُنْتُ وَأَوْصانِي بِالصَّلاةِ وَالزَّكاةِ﴾ قال: «زكاة الرّؤوس؛ لأنّ كلّ النّاس ليست لهم أموال، وإنّما الفطرة على الفقير والغنيّ، والصّغير

١ـ قَمَطَهُ (كقمّطه): شدّ يديْه ورجليه كما يُفعل بالصّبيّ في المهد. والقِماط: ذلك الحبلُ والخرقة التي تَلُفُّها على الصّبيّ. القاموس المحيط ٢: ٣٩٦ (قمط).

٢ و ٤ـ القمّي ٢: ٤٩.

٣ـ الكافي ٤: ٨٩، الحديث: ٩؛ من لا يحضره الفقيه ٢: ١٠٩، الحديث: ١٨٦١، عن أبي عبد الله عليه السلام.

٥ـ مجمع البيان ٥ـ٦: ٥١٢، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم.

٦ـ القمّي ٢: ٥٠.

٧ـ الكشّاف ٢: ٥٠٨؛ البيضاوي ٤: ٨.

٨ـ الكافي ٢: ١٦٥، الحديث: ١١؛ معاني الأخبار: ٢١٢، الحديث: ١، القمّي ٢: ٥٠، عن أبي عبد الله عليه السلام.

والكبير»[١]. ﴿ما دُمْتُ حَيّاً﴾.

﴿وَبَرّاً بِوالِدَتِي﴾. عَطْفٌ على «مباركاً». ﴿وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبّاراً شَقِيّاً﴾. ورد: «إنّه عَدَّ العقوق من الكبائر. قال: لأنّ اللّه جعل العاقّ جبّاراً شقيّاً في قوله، حكاية عن عيسى»[٢].

﴿وَالسَّلامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيّاً﴾.

﴿ذٰلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾ لا ما يصفه النّصارى. وهو تكذيب لهم فيما يصفونه، على الوجه الأبلغ؛ حيث جعله الموصوف بأضداد ما يصفونه، ثمّ عكس الحكم. ﴿قَوْلَ الحَقِّ﴾ أي: هو قول الحقّ الّذي لا ريب فيه ﴿الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ القمّي: أي: يتخاصمون[٣].

﴿ما كانَ لِلّٰهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحانَهُ﴾. تكذيب للنّصارى وتنزيه للّه عمّا بهتوه.

﴿إذا قَضىٰ أَمْراً فَإِنَّما يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾. تبكيت لهم بأنّ مَن إذا أراد شيئاً أوجده بـ «كُنْ» كان منزّهاً عن شبه الخلق، والحاجة في اتّخاذ الولد بإحبال الإناث.

﴿وَإِنَّ اللّٰهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هٰذا صِراطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾.

﴿فَاخْتَلَفَ الأَحْزابُ مِنْ بَيْنِهِمْ﴾ اليهود والنّصارى، أو فِرَق النّصارى، فإنّ منهم من قال: ابن اللّه؛ ومنهم من قال: هو اللّه، هبط إلى الأرض، ثمّ صعد إلى السّماء؛ ومنهم من قال: هو عبد اللّه ونبيّه. ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾.

﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنا﴾ أي: ما أسمعهم وأبصرهم يوم القيامة ﴿لٰكِنِ الظّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾.

﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الحَسْرَةِ﴾: يوم يتحسّر النّاس؛ المُسيءُ على إساءته، والمُحسِنُ على

١ ـ القمّي ٢: ٥٠، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٢ ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ١: ٢٨٦، الباب: ٢٨، ذيل الحديث: ٣٣، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٣ ـ القمّي ٢: ٥٠، وفيه: «يخاصمون».

قلّة إحسانه. قال: «يوم يؤتى بالموت فيذبح»[1]. ﴿إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ﴾: فرغ من الحساب، وتصادر الفريقان إلى الجنّة والنّار. قال: «أي: قُضِيَ على أهل الجنّة بالخلود فيها، وقُضِيَ على أهل النّار بالخلود فيها»[2]. ﴿وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ﴾. متعلّق بقوله «في ضلال»، وما بينهما اعتراض؛ أو بـ«أنذرهم».

﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْها﴾ لا يبقى فيها مالك ولا متصرّف ﴿وَإِلَيْنا يُرْجَعُونَ﴾.

﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتابِ إِبْراهِيمَ إِنَّهُ كانَ صِدِّيقاً نَبِيّاً﴾.

﴿إِذْ قالَ لِأَبِيهِ يا أَبَتِ﴾. التّاء عوض عن ياء الإضافة. وإنّما تذكر للاستعطاف، ولذا كرّرها. ﴿لِمَ تَعْبُدُ ما لا يَسْمَعُ﴾ فيعرف حالك ويسمع ذكرك ﴿وَلا يُبْصِرُ﴾ فيرى خضوعك ﴿وَلا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئاً﴾ في جلب نفع أو دفع ضرّ.

﴿يا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ ما لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِراطاً سَوِيّاً﴾.

﴿يا أَبَتِ لا تَعْبُدِ الشَّيْطانَ إِنَّ الشَّيْطانَ كانَ لِلرَّحْمنِ عَصِيّاً﴾.

﴿يا أَبَتِ إِنِّي أَخافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذابٌ مِنَ الرَّحْمنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطانِ وَلِيّاً﴾. دعاه صلوات اللّه عليه إلى الهدى، وبيّن ضلاله، واحتجّ عليه أبلغ احتجاج، وأرشقه[3] برفق وحسن أدب؛ حيث لم يصرّح بضلاله، بل طلب العلّة الّتي تدعوه إلى عبادة ما لا يستحقّ للعبادة بوجه. ثمّ دعاه إلى أن يتّبعه ليهديه الحقّ القويم والصّراط المستقيم، لما لم يكن مستقلاًّ بالنّظر السّويّ. ولم يَسِمْهُ بالجهل المفرط، ولا نفسه بالعلم الفائق، بل جعل نفسه كرفيق له في مسيره، يكون أعرف بالطّريق. ثمّ ثبّطه عمّا كان عليه؛ بأنّه مع خلوّه عن النّفع، مستلزمٌ للضرّ، فإنّه في الحقيقة عبادة الشّيطان، فإنّه الآمر به. وبيّن أنّ الشّيطان

١ـ معاني الأخبار: ١٥٦، الحديث: ١، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٢ـ القمّي ٢: ٥٠، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٣ـ الرشاقة: الحسن والاعتدال. لسان العرب ١٠: ١١٧ (رشق).

مستعصٍ لربّك المولي للنّعم كلّها . وكلّ عاص حقيق بأن يستردّ منه النّعم ، وينتقم منه ؛ ولذلك عقّبه بتخويفه وسوء عاقبته ، وما يجرّه إليه من صيرورته قريناً للشّيطان في اللّعن والعذاب .

﴿قالَ أَراغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يا إِبْراهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيّاً﴾ . قابل استعطافه ولطفه في الإرشاد بالفَظاظَة[1] وغِلْظَةِ العناد ، فناداه باسمه ولم يقابل بـ «يابنيّ» وأخّره وقدّم الخبر على المبتدأ ، وصدّره بهمزة الإنكار على ضرب من التّعجّب ، ثمّ هدّده بالرّجم بلسانه ، أو الحجارةِ وأَمَرَهُ بالذّهاب عنه زماناً طويلاً .

﴿قالَ سَلامٌ عَلَيْكَ﴾ . توديعٌ ، ومتاركةٌ ، ومقابلةٌ للسّيّئة بالحسنة ، أي: لا أُصيبك بمكروه ، ولا أقول لك بَعْدُ ما يؤذيك ﴿سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي﴾ لعلّه يوفّقك للتّوبة والإيمان ﴿إِنَّهُ كانَ بِي حَفِيّاً﴾: بليغاً في البرّ والإعطاف .

﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَما تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللّهِ﴾ بالمهاجرة بديني ﴿وَأَدْعُوا رَبِّي﴾: وأعبده وحده ﴿عَسىٰ أَلّا أَكُونَ بِدُعاءِ رَبِّي شَقِيّاً﴾: خائباً ضائع السّعي مثلكم في دعاء آلهتكم . وفي تصدير الكلام بـ«عسى» التّواضع ، وهضم النّفس ، والتّنبيه على أنّ الإجابة والإثابة تفضّلٌ غير واجب ، وأنّ ملاك الأمر خاتمته ، وهو غيب .

﴿فَلَمّا اعْتَزَلَهُمْ وَما يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللّهِ﴾ بالهجرة إلى الشّام ﴿وَهَبْنا لَهُ إِسْحٰقَ وَيَعْقُوبَ﴾ بدل مَن فارَقَهُمْ من الكفَرة ﴿وَكُلّاً جَعَلْنا نَبِيّاً﴾ .

﴿وَوَهَبْنا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنا﴾: كلّ خير دينيّ ودنيويّ ﴿وَجَعَلْنا لَهُمْ لِسانَ صِدْقٍ﴾: ذكر جميل وثناء حسن ﴿عَلِيّاً﴾: مرتفعاً ، فإنّ جميع أهل الأديان يتولّونه ويُثْنُونَ عليه وعلى ذرّيّته ، ويفتخرون به . وهي إجابة لدعوته ، حيث قال: "وَاجْعَلْ لِي لِسانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ"[2] .

١ ـ الفظّ: الغليظ الجانب ، السّيّء الخُلُق ، القاسي ، الخشن الكلام . القاموس المحيط ٢: ٤١٢ (فظظ) .

٢ ـ الشّعراء (٢٦): ٨٤ .

وورد في تأويل: «الرّحمة: رسول اللّه، واللّسان الصّدق العليّ: أمير المؤمنين صلوات اللّه عليه»[١].

﴿وَٱذكُرْ فِي الكِتابِ مُوسىٰ إِنَّهُ كانَ مُخْلَصاً﴾: موحّداً أخلص عبادته عن الشّرك والرّياء، وأسلم وجهه للّه. وعلى قراءة الفتح[٢]: أَخْلَصَهُ اللّهُ. ﴿وَكانَ رَسُولاً نَبِيّاً﴾. قد سبق بيان الرّسول والنّبيّ في الأعراف[٣].

﴿وَنادَيْناهُ مِنْ جانِبِ الطُّورِ الأَيْمَنِ وَقَرَّبْناهُ نَجِيّاً﴾: مناجياً.

﴿وَوَهَبْنا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنا أَخاهُ﴾: معاضدة أخيه ومؤازرته، إجابة لدعوته "وَاجْعَلْ لي وَزيراً مِنْ أَهْلي"[٤] ﴿هٰرُونَ نَبِيّاً﴾.

﴿وَٱذكُرْ فِي الكِتابِ إِسْمٰعِيلَ﴾. قيل: هو إسماعيل بن إبراهيم[٥]. وفي رواية: «هو إسماعيل بن حزقيل»[٦]. ﴿إِنَّهُ كانَ صادِقَ الوَعْدِ وَكانَ رَسُولاً نَبِيّاً﴾. ورد: «إنّما سمّي صادق الوعد لأنّه وعد رجلاً في مكان فانتظره في ذلك المكان سنة، ثمّ إنّ الرّجل أتاه بعد ذلك، فقال له إسماعيل: ما زلتُ منتظراً لك»[٧].

﴿وَكانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلاةِ وَالزَّكاةِ وَكانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيّاً﴾.

﴿وَٱذكُرْ فِي الكِتابِ إِدْرِيسَ﴾ قيل: هو سبط شيث وجدّ أبي نوح، واسمه أُخنوخ[٨]. وروي: «إنّه أُنزل عليه ثلاثون صحيفة، وإنّه أوّل من خطّ بالقلم، ونظر في علم النّجوم

١ـ القمّي ٢: ٥١، عن العسكري عليه السلام.
٢ـ مجمع البيان ٥ـ٦: ٥١٧؛ البيضاوي ٤: ٩، وفيه: «وقرأ الكوفيّون بالفتح على أنّ اللّه أخلصه».
٣ـ ذيل الآية: ١٥٧.
٤ـ طه (٢٠): ٢٩.
٥ـ مجمع البيان ٥ـ٦: ٥١٨.
٦ـ المصدر، عن أبي عبد اللّه عليه السلام؛ القمّي ٢: ٥١.
٧ـ الكافي ٢: ١٠٥، الحديث: ٧، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.
٨ـ البيضاوي ٤: ١٠.

والحساب، وأوّل من خاط الثّياب ولبسها، وكانوا يلبسون الجلود»[1]. ﴿إِنَّهُ كانَ صِدِّيقاً نَبِيّاً﴾.

﴿وَرَفَعْناهُ مَكاناً عَلِيّاً﴾ قيل: شرف النّبوّة والزّلفى عند اللّه[2].

وورد ما معناه: «إنّه صعد إلى السّماء على جناح ملك، يطلب ملك الموت ليأنس به، فقبض روحه بين السّماء الرّابعة والخامسة»[3].

﴿أُولئِكَ﴾: المذكورون في السّورة[4] ﴿الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِمْ﴾ بأنواع النّعم الدّينيّة والدّنيويّة ﴿مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْراهِيمَ وَإِسْرائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنا وَاجْتَبَيْنا﴾. قال: «نحن عُنينا بها»[5]. ﴿إِذا تُتْلى عَلَيْهِمْ آياتُ الرَّحْمنِ خَرُّوا سُجَّداً وَبُكِيّاً﴾: خشيةً من اللّه وإخباتاً له.

روي: «اتلوا القرآن وابكوا، فإن لم تبكوا فتباكوا»[6].

﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ﴾: عَقِبُ سوء ﴿أَضاعُوا الصَّلاةَ﴾ قال: «بتأخيرها عن مواقيتها، من غير أن تركوها أصلاً»[7]. ﴿وَاتَّبَعُوا الشَّهَواتِ﴾ قال: «من بنى الشّديد وركب المنظور ولبس المشهور»[8]. ﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيّاً﴾: شرّاً.

﴿إِلّا مَنْ تابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صالِحاً فَأُولئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلا يُظْلَمُونَ شَيْئاً﴾.

﴿جَنّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمنُ عِبادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كانَ وَعْدُهُ مَأْتِيّاً﴾: يأتيه أهله.

١ـ الكشّاف ٢: ٥١٣؛ جوامع الجامع ٢: ٤٠٠؛ قصص الأنبياء (للرّاوندي): ٧٩.

٢ـ الكشّاف ٢: ٥١٣؛ البيضاوي ٤: ١٠.

٣ـ الكافي ٣: ٢٥٧، الحديث: ٢٦، عن أبي جعفر عليه السلام، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله.

٤ـ من زكريّا إلى إدريس عليهم السلام.

٥ـ مجمع البيان ٥ـ٦: ٥١٩؛ المناقب (لابن شهرآشوب) ٤: ١٢٩، عن السّجاد عليه السلام.

٦ـ الكشّاف ٢: ٥١٤؛ البيضاوي ٤: ١٠، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله.

٧ـ مجمع البيان ٥ـ٦: ٥١٩، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٨ـ جوامع الجامع ٢: ٤٠١، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

﴿لا يَسْمَعُونَ فِيها لَغْواً إِلّا سَلاماً وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيها بُكْرَةً وَعَشِيّاً﴾ على عادة المتنعّمين، والتّوسّط بين الزّهادة والرّغابة.

القمّي: ذلك في جنّات الدّنيا قبل القيامة، لأنّ البكرة والعشيّ لا يكونان[1] في الآخرة في جنّات الخلد، وإنّما يكونان[2] في جنّات الدّنيا، الّتي تنتقل[3] إليها أرواح المؤمنين، وتَطْلُعُ فيها الشّمس والقمر[4].

﴿تِلْكَ الجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبادِنا مَنْ كانَ تَقِيّاً﴾.

﴿وَما نَتَنَزَّلُ إِلّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾. حكاية قول جبرئيل. روي: «إنّ النّبيّ صلى الله عليه وآله قال لجبرئيل: ما منعك أن تزورنا؟ فنزلت»[5]. ﴿لَهُ ما بَيْنَ أَيْدِينا وَما خَلْفَنا وَما بَيْنَ ذلِكَ﴾ وهو ما نحن فيه من الأماكن والأحايين[6]، لا تنتقل[7] من مكان إلى مكان، ولا تنزل[8] في زمان دون زمان إلّا بأمره ومشيئته. ﴿وَما كانَ رَبُّكَ نَسِيّاً﴾: تاركاً لك. قال: «ليس بالّذي يَنْسىٰ، ولا يَغْفُلُ، بل هو الحفيظ العليم»[9].

﴿رَبُّ السَّماواتِ وَالأَرْضِ وَما بَيْنَهُما﴾. بيانٌ لامتناع النّسيان عليه. ﴿فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبادَتِهِ﴾. خطاب للرّسول مرتّب عليه. ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيّاً﴾. قال: «تأويله: هل تعلم أحداً اسمه «اللّه» غير اللّه؟»[10].

١ و ٢ ـ في «ألف»: «تكونان».

٣ ـ في «ألف»: «ينتقل».

٤ ـ القمّي ٢: ٥٢، مع تفاوت يسير.

٥ ـ مجمع البيان ٥ ـ ٦: ٥٢١.

٦ ـ الحِينُ: الدهر، أو وقت مبهم يصلح لجميع الأزمان، طال أو قصر. الجمع: أحيان، وجمع الجمع: أحايين. القاموس المحيط ٤: ٢١٩ (حين). وفي «ألف» و«ب»: «الأحانين».

٧ ـ في «ألف»: «لا ينتقل».

٨ ـ في «ألف»: «لا ينزل».

٩ ـ التّوحيد: ٢٦٠، الباب: ٣٦، قطعة من حديث: ٥، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

١٠ ـ المصدر: ٢٦٤، الباب: ٣٦، قطعة من حديث: ٥، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

﴿وَيَقُولُ الإِنْسانُ أَئِذا ما مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيّاً﴾ .

﴿أَوَ لا يَذْكُرُ الإِنْسانُ أَنّا خَلَقْناهُ مِنْ قَبْلُ﴾ أي: قدّرناه في العلم، حيث كان الله ولم يكن معه شيء ﴿وَلَمْ يَكُ شَيْئاً﴾ بل كان عدماً صِرفاً. قال: «لا مقدَراً ولا مكوّناً»[١] .

﴿فَوَ رَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّياطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيّاً﴾ على رُكَبِهم، كما هو المعتاد في مواقف التّقاول، وهو كقوله: ﴿وَتَرىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جاثِيَةً﴾[٢] .

﴿ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ﴾: من كلّ أمّة شايعت ديناً، أي: تبِعَتْ. ﴿أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمٰنِ عِتِيّاً﴾: من كان أعصى وأعتى منهم، فنطرَحُهُم[٣] فيها.

﴿ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلىٰ بِها صِلِيّاً﴾: أولى بالصَّلْي[٤] .

﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلّا وارِدُها﴾. قال: «أما تسمع الرّجل يقول: وَرَدْنا ماءَ بني فلان، فهو الورود، ولم يدخل»[٥] . وفي رواية: «الورود: الدّخول، لا يبقى برّ ولا فاجر إلّا يدخلها، فتكون[٦] على المؤمنين برداً وسلاماً، كما كانت على إبراهيم، حتّى أنّ للنّار ـ أو قال: لجهنّم ـ ضجيجاً من بردها» الحديث[٧] . ﴿كانَ عَلىٰ رَبِّكَ حَتْماً مَقْضِيّاً﴾: كان ورودهم واجباً، أوجبه الله على نفسه وقضى به.

﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ فيساقون إلى الجنّة ﴿وَنَذَرُ الظّالِمِينَ فِيها جِثِيّاً﴾: على هيأتهم كما كانوا.

١ ـ الكافي ١: ١٤٧، الحديث: ٥، عن أبي عبد الله عليه السلام .
٢ ـ الجاثية (٤٥): ٢٨ .
٣ ـ في «ألف» و«ج»: «فيطرحهم» .
٤ ـ أصل الصَّلْي لإيقاد النّار. المفردات: ٢٩٣ (صلا) .
٥ ـ القمّي ٢: ٥٢، عن أبي عبد الله عليه السلام ، وفيه: «ولم يدخله» .
٦ ـ في «ألف» و«ج»: «فيكون» .
٧ ـ مجمع البيان ٥ ـ ٦: ٥٢٦، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله .

روي: أنّه قال: «يرد النّاس النّار، ثمّ يصدرون بأعمالهم، فأوّلهم كلمع[١] البرق، ثمّ كمرّ الرّيح، ثمّ كحضر الفرس، ثمّ كالرّاكب، ثمّ كشدّ الرّجل، ثمّ كمشيه»[٢].

وفي رواية: «تقول النّار للمؤمن يوم القيامة: جُزْيا مؤمن فقد أطفأ نورُك لَهَبي»[٣].

و ورد: «الحُمّى رائد الموت وسجن اللّه في أرضه وفَوْرها من جهنّم، وهي حظّ كلّ مؤمن من النّار»[٤].

وروي: «إنّه لا يصيب أحداً من أهل التّوحيد ألماً في النّار إذا دخلوها، وإنّما يصيبهم الألم عند الخروج منها، فتكون تلك الآلام جزاء بما كسبت أيديهم وما اللّه بظلّام للعبيد»[٥].

وسئل عن هذه الآية، فقال: «إذا دخل أهلُ الجنّةِ الجنّةَ، قال بعضهم لبعض: أليس قد وَعَدَنا رَبُّنا أن نَرِدَ النّار؟! فيقال لهم: قد وردتموها وهي خامدة»[٦].

﴿وَإِذا تُتْلىٰ عَلَيْهِمْ آياتُنا بَيِّناتٍ قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾: لأجلهم أو معهم ﴿أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ﴾: المؤمنين بها أو الجاحدين لها ﴿خَيْرٌ مَقاماً وَأَحْسَنُ نَدِيّاً﴾: مجلساً ومجتمعاً. يعني أنّهم لمّا سمعوا الآيات الواضحات، وعَجِزُوا عن معارضتها والدّخل عليها، أخذوا في الافتخار بما لهم من حظوظ الدّنيا، وزعموا: أنّ زيادة حظّهم فيها تدلّ على فضلهم وحسن حالهم عند اللّه تعالى.

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثاثاً وَرِئْياً﴾. قال: «الأثاث: المتاع. ورئيا: الجمال والمنظر الحسن»[٧].

١ ـ في «ب»: «كلمح». وهو بمعناه، والأصحّ ما أثبتناه كما في المصدر.

٢ ـ مجمع البيان ٥ ـ ٦: ٥٢٥، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله.

٣ ـ مجمع البيان ٥ ـ ٦: ٥٢٦، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله.

٤ ـ الكافي ٣: ١١٢، الحديث: ٧، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٥ ـ الاعتقادات (للصّدوق): ٩٠، باب الاعتقاد في الجنّة والنار؛ الاعتقادات (للمفيد): ٧٧.

٦ ـ البيضاوي ٤: ١٣.

٧ ـ القمّي ٢: ٥٢، عن أبي جعفر عليه السلام.

﴿قُلْ مَنْ كانَ فِي الضَّلالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمنُ مَدّاً﴾: فيمدّه ويمهله بطول العمر والتمتّع به ﴿حَتّىٰ إِذا رَأَوْا ما يُوعَدُونَ إِمَّا العَذابَ وَإِمَّا السّاعَةَ﴾. قال: «خروج القائم، وهو السّاعة»[1]. والقمّي: العذاب: القتل، والسّاعة: الموت[2]. ﴿فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكاناً﴾ من الفريقَيْن. قال: «يعني عند القائم»[3]. بأن عاينوا الأمر على عكس ما قدروه، وعاد ما متّعوا به خذلاناً ووبالاً عليهم ﴿وَأَضْعَفُ جُنْداً﴾ أي: فئة وأنصاراً. قابل به النّدى، فإنّ حسن النّدى باجتماع وجوه القوم وظهور شوكتهم.

﴿وَيَزِيدُ اللّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدىً﴾ قال: «يزيدهم في ذلك اليوم هدى على هدى باتّباعهم القائم، حيث لا يجحدونه ولا ينكرونه».[4] ﴿وَالباقِياتُ الصّالِحاتُ﴾: الطّاعات الّتي تبقى عائدتها أبد الآباد ﴿خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَواباً﴾: عائدة ممّا متّع به الكفرة من النّعم المُخْدَجَة[5] الفانية الّتي يفتخرون بها ﴿وَخَيْرٌ مَرَدّاً﴾: مرجعاً وعاقبة، فإنّ مآلها النّعيم المقيم، ومآل هذه الحسرة والعذاب الدّائم.

﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآياتِنا وَقالَ لَأُوتَيَنَّ مالاً وَوَلَداً﴾ يعني في الآخرة.

قال: «إنّ العاص بن وائل بن هشام القرشيّ، ثمّ السّهميّ[6]، وهو أحد المستهزئين، وكان لخبّاب بن الأرتّ[7] عليه حقّ فأتاه يتقاضاه، فقال له العاص: ألستم تزعمون: أنّ في

---

١ و ٣ و ٤ ـ الكافي ١: ٤٣١، الحديث: ٩٠، عن أبي عبد الله عليه السلام.

٢ ـ القمّي ٢: ٥٢.

٥ ـ المخدجة: النّاقصة. الصّحاح ١: ٣٠٨ (خدج).

٦ ـ العاص (أو العاصي) بن وائل بن هشام السهميّ، من قريش: أحد الحكّام في الجاهليّة، وكان نديماً لهشام بن المغيرة، وأدرك الإسلام وظلّ على الشّرك. ويُعدّ من المستهزئين ومن الزنادقة الّذين ماتوا كفّاراً وثنيّين. وكان على رأس بني سهم في حرب الفجار. وقيل في خبر موته: خرج يوماً على راحلته، ومعه أبناء له يتنزّه، ونزل في أحد الشعاب. فلمّا وضع قدمه على الأرض صاح، فطافوا فلم يروا شيئاً. وانتفخت رجله حتى صارت مثل عنق البعير، ومات، فقالوا: لدغته الأرض. وكان ذلك في الأبواء بين مكّة والمدينة، وهو والد عمر بن العاص. وكان هلاكه في ثلاث سنة قبل الهجرة. الأعلام (للزركلي) ٣: ٢٤٧.

٧ ـ خبّاب بن الأرتّ بن جندلة بن سعد التميميّ، أبو يحيى أو أبو عبد الله: صحابيّ من السّابقين. كان في ←

الجنّة الذّهب والفضّة والحرير؟! قال: بلى! قال: فموعد ما بيني وبينك الجنّة ، فوالله لأُوتينّ فيها خيراً ممّا أُوتيت في الدّنيا»[1].

﴿أَطَّلَعَ الْغَيْبَ﴾: قد بلغ من عظمة شأنه إلى أن ارتقى إلى علم الغيب الّذي توحّد به الواحد القهّار!! حتّى ادّعاه أن يؤتى في الآخرة مالاً وولداً ، وتألّى عليه ﴿أَمِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمٰنِ عَهْداً﴾ بذلك .

﴿كَلَّا سَنَكْتُبُ ما يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذابِ مَدّاً﴾ .

﴿وَنَرِثُهُ﴾ بإملاكنا إيّاه ﴿ما يَقُولُ﴾ يعني المال والولد ممّا عنده منهما ﴿وَيَأْتِينا﴾ يوم القيامة ﴿فَرْداً﴾ لا يصحبه مال ولا ولد ممّا كان له في الدّنيا ، فضلاً أن يؤتى ثمّة زائداً .

﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللّٰهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزّاً﴾ ليتعزّزوا بها ، حيث تكون لهم وصلة إلى الله ، وشفعاء عنده .

﴿كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدّاً﴾ . قال: «يكونون هؤلاء الّذين اتّخذوهم آلهة من دون الله ضدّاً يوم القيامة ، ويتبرّؤون منهم ومن عبادتهم ، ثمّ قال: ليس العبادة هي السّجود ولا الرّكوع ، وإنّما هي طاعة الرّجال ، من أطاع مخلوقاً في معصية الخالق فقد عبده»[2].

أقول: يعني عليه السلام بذلك: أنّ المراد بالآلهة المتّخذة من دون الله ، رؤساؤهم الّذين أطاعوهم في معصية الخالق .

← الجاهلية قيناً يعمل السّيوف بمكّة ، ولمّا أسلم استضعفه المشركون ، فعذّبوه ليرجع عن دينه ، فصبر ، إلى أن كانت الهجرة ، ثمّ شهد المشاهد كلّها ، ونزل الكوفة فمات فيها وهو ابن ٧٣ سنة . ولمّا رجع عليّ عليه السلام من صفّين مرّ بقبره ، فقال: رحم الله خبّاباً ، أسلم راغباً ، وهاجر طائعاً ، وعاش مجاهداً ، توفّي سنة ٣٧هـ . الأعلام (للزّركلي) ٢: ٣٠١ .

١ـ القمّي ٢: ٥٤ ، عن أبي جعفر عليه السلام .

٢ـ القمّي ٢: ٥٥ ، عن أبي عبد الله عليه السلام ، مع تفاوت يسير .

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزّاً﴾: تَهُزُّهم[1] وتغريهم على المعاصي، بالتّسويلات وتحبيب الشّهوات.

القمّي: لمّا طغوا فيها وفي فتنتها وفي طاعتهم، ومدّ لهم في طغيانهم وضلالتهم، أرسل عليهم شياطين الإنس والجنّ "تؤزّهم أزّاً"، أي: تنخسهم[2] نخساً؛ وتحضّهم على طاعتهم وعبادتهم[3].

﴿فَلا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدّاً﴾: فلا تعجل بهلاكهم لتستريح من شرورهم، فإنّه لم يبق لهم إلّا أنفاس معدودة. قيل له: أي عدد الأيّام، فقال عليه السلام: «إنّ الآباء والأُمّهات يحصون ذلك، لا، ولكنّه عدد الأنفاس»[4]. ورد: «نَفَسُ المرء خُطاه إلى أجله»[5].

﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ﴾: نجمعهم ﴿إِلَى الرَّحْمنِ﴾: إلى ربّهم الّذي غَمَرَهم برحمته ﴿وَفْداً﴾: وافدين عليه كما يَفِدُ الوُفّاد على الملوك؛ منتظرين لكرامتهم وإنعامهم.

﴿وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ﴾ كما تساق البهائم ﴿إِلَى جَهَنَّمَ وِرْداً﴾: عطاشاً، كما ترد الدّوابّ الماء.

وفي قراءتهم عليهم السلام: «يوم يحشر المتّقون إلى الرّحمان وفداً ويساق المجرمون إلى جهنّم وِرْداً»[6]. وقد سمع هكذا من قبر الرّضا عليه السلام، وقصّته مذكورة في عيون أخبار الرّضا[7].

قال: «يُحشَرون على النّجائب»[8].

وفي رواية: «إنّ الوفد لا يكونون إلّا ركباناً، أُولئك رجال اتّقوا اللّه فأحبّهم اللّه

١ـ هزّه: حرّكه. القاموس المحيط ٢: ٢٠٣ (هزز).

٢ـ نَخَسَ بالرجل: هيّجه وأزعجه. لسان العرب ٦: ٢٢٩ (نخس).

٣ـ القمّي ٢: ٥٥، مع تفاوت يسير.

٤ـ الكافي ٣: ٢٥٩، الحديث: ٣٣؛ القمّي ٢: ٥٣، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٥ـ نهج البلاغة: ٤٨٠، الحكمة: ٧٤.

٦ و ٧ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ٢: ٢٨٢، الباب: ٦٩، ذيل الحديث: ٦.

٨ـ المحاسن ١: ١٨٠، الباب: ٤١، الحديث: ١٧٠، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

واختصّهم، ورضي أعمالهم، فسمّاهم المتّقين» الحديث بطوله[١]. وفيه صفة حشرهم إلى الجنّة وفي آخره: «هؤلاء شيعتك يا عليّ وأنت إمامهم»[٢].

﴿لا يَمْلِكُونَ الشَّفاعَةَ﴾ قال: «لا يُشفَع لهم ولا يَشفَعُون»[٣]. ﴿إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمنِ عَهْداً﴾ قال: «إلّا من دان اللّه بولاية أمير المؤمنين والأئمّة من بعده؛ فهو العهد عند اللّه»[٤].

وفي رواية: «إنّ العهد هو الوصيّة عند الموت بما اعتقده من الدّين الحقّ»[٥] في ألفاظٍ هذا معناها.

وفي أُخرى: «أيعجز أحدكم أن يتّخذ كلّ صباح ومساء عند اللّه عهداً ـ ثمّ ذكر مثل ذلك، ثمّ قال: ـ فإذا قال ذلك طبع عليه بطابع، ووضع تحت العرش، فإذا كان يوم القيامة نادى مناد: أين الّذين لهم عند اللّه عهد؟ فيدخلون الجنّة»[٦].

﴿وَقالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمنُ وَلَداً﴾. قال: «هذا حيث قالت قريش: إنّ للّه عزّوجلّ ولداً من الملائكة إناثاً»[٧].

﴿لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئاً إِدًّا﴾ قال: «أي: عظيماً»[٨].

﴿تَكادُ السَّماواتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ﴾ قال: «يعني ممّا قالوه، وممّا رموه به»[٩]. ﴿وَتَنْشَقُّ

١ ـ الكافي ٨: ٩٥، الحديث: ٦٩، عن أبي جعفر عليه السلام؛ وفي القمّي ٢: ٥٣، عن أبي عبد اللّه عليه السلام، مع تفاوت يسير.

٢ ـ القمّي ٢: ٥٤، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٣ ـ المصدر: ٥٧، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٤ ـ الكافي ١: ٤٣١، الحديث: ٩٠، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٥ ـ الكافي ٧: ٢، الحديث: ١؛ التهذيب ٩: ١٧٤، الحديث: ١١؛ من لا يحضره الفقيه ٤: ١٣٨، الحديث: ٤٨٢؛ القمّي ٢: ٥٥، عن أبي عبد اللّه عليه السلام، من النبيّ صلّى اللّه عليه وآله.

٦ ـ جوامع الجامع ٢: ٤١٠، عن النبيّ صلّى اللّه عليه وآله.

٧ و ٨ ـ القمّي ٢: ٥٧، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٩ ـ القمّي ٢: ٥٧، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

الأَرْضُ وَتَخِرُّ الجِبالُ هَدّاً﴾ .

﴿أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمـٰنِ وَلَداً﴾ .

﴿وَما يَنْبَغِي لِلرَّحْمـٰنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَداً﴾ .

﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمٰواتِ وَالأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمـٰنِ﴾ . مبدئ نعمه ومولّيها ﴿عَبْداً﴾ يأوي إليه بالعبوديّة والانقياد ، لا يدّعي لنفسه ما يدّعيه هؤلاء .

﴿لَقَدْ أَحْصاهُمْ﴾: حصَرَهم وأحاط بهم ، بحيث لا يخرجون عن حوزة علمه وقَبْضَةِ قدرته ﴿وَعَدَّهُمْ عَدّاً﴾: عدّ أشخاصَهم وأنفاسَهم وأفعالَهم ، فإنّ كلّ شيء عنده بمقدار .

﴿وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ القِيامَةِ فَرْداً﴾ قال: «واحداً واحداً»[١] .

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّالِحاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمـٰنُ وُدّاً﴾: سيحدث لهم في القلوب مودّة .

قال: «ولاية أمير المؤمنين عليه السلام ، هي الودّ الّذي قال اللّه»[٢] .

وقال: «إنّه عليه السلام كان جالساً بين يدي رسول اللّه صلى الله عليه وآله ، فقال له: قل يا عليّ: اللّهم اجعل لي في قلوب المؤمنين ودّاً ، فأنزل اللّه»[٣] .

وفي رواية: «دعا رسول اللّه صلى الله عليه وآله له في آخر صلاته رافعاً بها صوته يُسمع[٤] النّاس ، يقول: اللّهمّ هَبْ لعليّ المودّةَ في صدور المؤمنين ، والهيبةَ والعظمةَ في صدور المنافقين ، فأنزل اللّه»[٥] .

﴿فَإِنَّما يَسَّرْناهُ بِلِسانِكَ﴾ بأن أنزلناه بلُغَتِك . قال: «يعني القرآن»[٦] . ﴿لِتُبَشِّرَ بِهِ

---

١ ـ القمّي ٢: ٥٧ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .

٢ ـ الكافي ١: ٤٣١ ، الحديث: ٩٠ ؛ القمّي ٢: ٥٧ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .

٣ ـ القمّي ٢: ٥٦ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .

٤ ـ في «ألف»: «ليسمع».

٥ ـ العيّاشي ٢: ١٤٢ ، الحديث: ١١ ، ذيل الآية ١٢ من سورة هود ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .

٦ ـ القمّي ٢: ٥٦ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .

الْمُتَّقِينَ وَتُنْذِرَ بِهِ قَوْماً لُدّاً﴾: أشدّاء الخصومة. قال: «أصحاب الكلام والخصومة»[١] وفي رواية: «أي: كفّاراً»[٢]. وفي أُخرى: «بني أُميّة قوماً ظلمة»[٣].

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزاً﴾ قال: «أي: ذكراً»[٤]. والرّكز: الصّوت الخفيّ.



١ ـ القمّي ٢: ٥٦، عن أبي عبد الله عليه السلام.

٢ ـ الكافي ١: ٤٣٢، ذيل الحديث: ٩٠؛ القمّي ٢: ٥٧، عن أبي عبد الله عليه السلام.

٣ ـ روضة الواعظين: ١٠٦، عن رسول الله صلّى الله عليه وآله.

٤ ـ القمّي ٢: ٥٧، عن أبي عبد الله عليه السلام.

سورة طه

[مكيّة وهي مائة وخمس وثلاثون آية][1]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿طه﴾.

﴿ما أَنْزَلْنا عَلَيْكَ القُرآنَ لِتَشْقى﴾ قال: «بل لتسعدَ به»[2].

ورد: «كان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا صلّى قام على أصابع رجلَيْه حتّى تورّم، فأنزل الله تبارك وتعالى «طه» بلُغة طيّ‌ء: يا محمّد ما أَنْزَلْنا، الآية»[3].

أقول: الشّقاء بمعنى التّعَب، ومنه سيّد القوم أشقاهم. وإنّما عدل إليه إشعاراً بأنّه أُنزل إليه ليَسْعَدَ.

﴿إِلَّا تَذْكِرَةً لِمَنْ يَخْشىٰ﴾: لكن تذكيراً لمن في قلبه خشية ورقّة، يتأثّر بالإنذار.

﴿تَنْزِيلاً مِمَّنْ خَلَقَ الأَرْضَ وَالسَّمٰواتِ العُلىٰ﴾ جمع العليا، مؤنّث الأعلى.

﴿الرَّحْمٰنُ عَلَى العَرْشِ اسْتَوىٰ﴾ قال: «يقول: على الملك احتوى»[4]. وقد سبق تمام

١ ـ مابين المعقوفتين من «ب».

٢ ـ الاحتجاج ١: ٢٢٦، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

٣ ـ القمّي ٢: ٥٨، عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام.

٤ ـ التّوحيد: ٣٢١، الباب: ٥٠، الحديث: ١، عن أبي عبد الله عليه السلام.

تفسيره في الأعراف[١].

﴿لَهُ ما فِي السَّمٰواتِ وَما فِي الأَرْضِ وَما بَيْنَهُما وَما تَحْتَ الثَّرىٰ﴾. قال: «فكلّ شيء على الثّرى، والثّرى على القدرة، والقدرة تحمل كلّ شيء»[٢].

﴿وَإِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾. قال: «السّرّ: ما أكْنَنْتَهُ في نفسك، وأخفى: ما خطر ببالك ثمّ أُنسِيتَه»[٣].

﴿اللّٰهُ لا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الأَسْماءُ الحُسْنىٰ﴾.

﴿وَهَلْ أَتاكَ حَدِيثُ مُوسىٰ﴾.

﴿إِذْ رَأىٰ ناراً﴾ «وذلك حين خرج بأهله من عند شعيب يريد أُمّه ووطنه، فأصابهم برد شديد وريح وظلمة في مفازة، وجَنَّهم اللّيلُ وامرأته تَمْخَضُ، فنظر موسى إلى نار قد ظهرت». كذا ورد[٤].

﴿فَقالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ ناراً﴾: أبصرتُها إبصاراً لا شبهة فيه، أو إبصار ما يؤنس به ﴿لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْها بِقَبَسٍ﴾: بشُعْلة. قال: «يقول: آتيكم بقبس من النّار تصطلون من البرد»[٥]. ﴿أَوْ أَجِدُ عَلَى النّارِ هُدىً﴾. قال: «كان قد أخطأ الطّريق، يقول: أو أجد عند النّار طريقاً»[٦].

﴿فَلَمّا أَتاها نُودِيَ يا مُوسىٰ﴾.

﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ﴾. قال: «يعني ارفع خَوْفَيْك، يعني خوفه من ضياع

١ ـ ذيل الآية: ٥٤.

٢ ـ الخصال ٢: ٥٩٧، ذيل الحديث: ١، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

٣ ـ معاني الأخبار: ١٤٣، الحديث ١، عن أبي عبد الله عليه السلام؛ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ٣، عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام.

٤ ـ القمّي ٢: ١٣٩، ذيل الآية: ٢٨، من سورة القصص، عن أبي عبد الله عليه السلام.

٥ و ٦ ـ القمّي ٢: ٦٠، عن أبي جعفر عليه السلام، وفيه: «على النار طريقاً».

أهله ؛ وقد خلفها تمخض ، وخوفه من فرعون»[١] .

وفي رواية: «أي: انزع حبّ أهلك من قلبك إن كانت محبّتك لي خالصة ، وقلبك من الميل إلى من سواي مغسول»[٢] .

﴿إِنَّكَ بِالْوادِ الْمُقَدَّسِ﴾ . قال: «لأنّه قُدّستْ فيه الأرواح ، واصْطُفِيَتْ فيه الملائكة ، وكلَّمَ الله عزّوجلّ موسى تكليماً»[٣] . ﴿طُوىً﴾: اسم للوادي[٤] .

﴿وَأَنَا اخْتَرْتُكَ﴾: اصطفيْتُك للنبوّة ﴿فَاسْتَمِعْ لِما يُوحىٰ﴾ .

﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لا إِلٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي﴾ . قال: «معناه أقم الصّلاة متى ذكرت أنّ عليك صلاة ، كنت في وقتها أم لم تكن»[٥] .

﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكادُ أُخْفِيها﴾: أُخفي وقتها . قال: «أُخفيها من نفسي[٦] . قيل: كيف يخفيها من نفسه؟! قال: جعلها من غير وقت»[٧] . وقيل: معناه: أكاد أُظهرها ، مِنْ أَخْفاهُ: إذا سَلَبَ خَفاه[٨] . ﴿لِتُجْزىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِما تَسْعىٰ﴾ .

﴿فَلا يَصُدَّنَّكَ عَنْها مَنْ لا يُؤْمِنُ بِها وَاتَّبَعَ هَواهُ فَتَرْدىٰ﴾ .

﴿وَما تِلْكَ بِيَمِينِكَ يا مُوسىٰ﴾ . استفهام يتضمّن استيقاظاً ؛ لما يُريه فيها من العجائب .

١ ـ علل الشّرائع ١: ٦٦ ، الباب: ٥٥ ، الحديث: ٢ ، عن أبي عبد الله عليه السلام .

٢ ـ كمال الدّين ٢: ٤٦٠ ، الباب: ٤٣ ، الحديث: ٢١ ، عن الحجّة القائم عليه السلام .

٣ ـ علل الشّرائع ٢: ٤٧٢ ، الباب: ٢٢٢ ، ذيل الحديث: ٣٣ ، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله .

٤ ـ طُوَى ـ بالضّمّ والكسر ، وينوّن ـ: وادٍ بالشّام عند الطّور . القاموس المحيط ٤: ٣٦٠ ؛ معجم البلدان ٤: ٤٤ (طوى) .

٥ ـ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ٥ ، عن أبي جعفر عليه السلام .

٦ ـ المصدر: ٦ ؛ جوامع الجامع ٢: ٤١٧ ، عن أبي عبد الله عليه السلام .

٧ ـ القمّي ٢: ٦٠ .

٨ ـ الكشّاف ٢: ٥٣٢ ؛ البيضاوي ٤: ١٩ ، وفيه: «خفاءه» .

﴿قالَ هِيَ عَصايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْها وَأَهُشُّ بِها عَلىٰ غَنَمِي﴾ وأخبط[١] الورق بها على رؤوس غنمي ﴿وَلِيَ فِيها مَآرِبُ أُخْرىٰ﴾: حوائج أُخرى، مثل أنّه إذا تعرّضت السّباع لغنمه قاتل بها، وإذا قصر الرّشاء[٢] وَصَلَه بها، وكان إذا سار ألقاها على عاتقه فعلّق بها أدواته[٣]، وإذا كان في البريّة ركزها وعرض الزّندين على شعبتيها وألقى عليها الكساء واستظلّ بها.

القمّي: فمن الفَرَق لم يستطع الكلام، فجمع كلامه فقال: "فيها مَآرِبُ أُخرىٰ"[٤].

﴿قالَ أَلْقِها يا مُوسىٰ﴾.

﴿فَأَلْقاها فَإِذا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعىٰ﴾.

﴿قالَ خُذْها وَلا تَخَفْ﴾. قال: «ففزع منها موسى وعدا، فناداه اللّه "خُذْها ولا تَخَفْ"»[٥]. ﴿سَنُعِيدُها سِيرَتَها﴾: هيئتها وحالتها ﴿الأُولىٰ﴾.

﴿وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلىٰ جَناحِكَ﴾: تحت العضد ﴿تَخْرُجْ بَيْضاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾ قال: «يعني من غير برص»[٦]. وفي رواية: «أي من غير علّة، قال: وذلك أنّ موسى كان شديد السُّمْرَة[٧]، فأخرج يده من جيبه فأضاءت له الدّنيا»[٨]. ﴿آيَةً أُخْرىٰ﴾: معجزة ثانية.

﴿لِنُرِيَكَ مِنْ آياتِنا الكُبْرىٰ﴾.

﴿اذْهَبْ إِلىٰ فِرْعَوْنَ﴾ بهاتين الآيتين، وادعه إلى العبادة ﴿إِنَّهُ طَغىٰ﴾: عصى وتكبّر.

١ ـ خَبَطْتُ الشجرَ خَبْطاً: إذا ضربتها بالعصاء ليسقط ورقُها. الصّحاح ٣: ١١٢١ (خبط).

٢ ـ الرِّشاء: الحبل، والجمع: أَرْشِيَة. الصّحاح ٦: ٢٣٥٧ (رشا).

٣ ـ الإداوة: المِطْهَرَة، والجمع: الأداوى؛ وهي إناء صغير من جلد يُتطهّر به ويُشرب. انظر: الصحّاح ٦: ٢٢٦٦ (ادا).

٤ ـ القمّي ٢: ٦٠.

٥ ـ المصدر: ١٤٠، عن أبي عبد اللّه عليه السلام، ذيل الآية: ٣١ من سورة القصص.

٦ ـ طبّ الأئمّة: ٥٦، عن أبي جعفر عليه السلام. وفيه: «من غير مرض».

٧ ـ السُّمْرَة: منزلة بين البياض والسّواد، تكون في ألوان النّاس والإبل وغيرها. تاج العروس ١٢: ٧١ (سمر).

٨ ـ القمّي ٢: ١٤٠، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

﴿قالَ رَبِّ اَشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾ .

﴿وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي﴾ .

﴿وَاَحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسانِي﴾ .

﴿يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾: «كان في لسانه رُتَّة[1]، من جمرة أدخلها فاه» . كذا ورد[2] في قصّة له مع فرعون في صباه .

﴿وَاَجْعَلْ لِي وَزِيراً مِنْ أَهْلِي﴾ .

﴿هٰرُونَ أَخِي﴾ يُعينني على ما كلّفتني به .

﴿أُشْدُدْ بِهِ أَزْرِي﴾: قوّتي .

﴿وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي﴾ .

﴿كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيراً﴾ .

﴿وَنَذْكُرَكَ كَثِيراً﴾ فإنّ التّهاون يهيّج الرّغبات ويؤدّي إلى تكاثر الخيرات .

﴿إِنَّكَ كُنْتَ بِنا بَصِيراً﴾ .

﴿قالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يا مُوسىٰ﴾ .

﴿وَلَقَدْ مَنَنّا﴾: أنعمنا ﴿عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرىٰ﴾ .

﴿إِذْ أَوْحَيْنا إِلىٰ أُمِّكَ ما يُوحىٰ﴾: ما لا يعلم إلّا بالوحي .

﴿أَنِ اَقْذِفِيهِ﴾ قال: «ضعيه»[3] . ﴿فِي التّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي اليَمِّ﴾: ألقيه فيه ، فإنّ القذف جاء بالمعنيين ﴿فَلْيُلْقِهِ اليَمُّ بِالسّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ﴾ . تكرير عدوّ للمبالغة ، أو لأنّ الأوّل باعتبار الواقع ، والثّاني باعتبار المتوقّع ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي﴾ . قيل: أي: أحببتك ، أو محبّة كائنة منّي قد زرعتها في القلوب ، بحيث لا يكاد يصبر

١ ـ الرُّتَّة: العُجْمَة والْحُكْلَة في اللّسان . القاموس المحيط ١: ١٥٣ (رتت) .

٢ ـ القمّي ٢: ١٣٦ ؛ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ٨ ، عن أبي جعفر عليه السلام ؛ تفسير البغوي ٣: ٢١٦ ، في رواية .

٣ ـ القمّي ٢: ١٣٥ ، عن أبي جعفر عليه السلام .

عنك من رآك[1]. قال: «وكان موسى لا يراه أحد إلّا أحبّه. وهو قوله تعالى "وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنّي"»[2]. ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلىٰ عَيْنِي﴾: ولتربّى ويحسن إليك، وأنا راعيك وراقبك.

﴿إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلىٰ مَنْ يَكْفُلُهُ فَرَجَعْناكَ إِلىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُها﴾ بلقائك ﴿وَلا تَحْزَنَ﴾ هي بفراقك[3]؛ أو أنت على فراقها. وفَقْد إشفاقها ﴿وَقَتَلْتَ نَفْساً﴾: نفس القبطيّ الّذي استغاثه عليه الإسرائيليّ، كما يأتي قصّته في القصص[4].

﴿فَنَجَّيْناكَ مِنَ الغَمِّ﴾: غمّ قتله ﴿وَفَتَنّاكَ فُتُوناً﴾: وابتليناك ابتلاءً، أو[5] أنواعاً من الابتلاء فتنة بعد فتنة. وذلك أنّه ولد في عام كان يقتل فيه الوِلْدان، وألقته أُمّه في البحر، وهمّ فرعون بقتله، ونال في سفره ما نال من الهجرة عن الوطن ومفارقة الأُلّاف، والمشي راجلاً على حذر، وفَقْد الزّاد، وأجر نفسه عشر سنين، إلى غير ذلك.

﴿فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلىٰ قَدَرٍ﴾ قيل: أي: على مقدار من الزّمان، يوحى فيه إلى الأنبياء، وهو رأس أربعين سنة[6]. وقيل: معناه: سبق في قدري وقضائي أن أُكلّمك في وقت بعينه، فجئت على ذلك القدر[7]. ﴿يا مُوسىٰ﴾. كرّره ليكون تنبيهاً على أنّه غاية الحكاية.

﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾: واتّخذتك صنيعتي وخالصتي، واصطفيتك لمحبّتي ورسالتي وكلامي.

﴿اِذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآياتِي﴾: بمعجزاتي ﴿وَلا تَنِيا﴾: ولا تفترا ولا تقصّرا ﴿فِي

١ ـ البيضاوي ٤: ٣١.
٢ ـ القمّي ٢: ١٣٥، عن أبي جعفر عليه السلام.
٣ ـ في «ب»: «وأنت».
٤ ـ ذيل الآيات ١٥ إلى ٢١.
٥ ـ في «ب»: «وأنواعاً».
٦ و ٧ ـ الكشّاف ٢: ٥٣٧.

ذِكْرِي ﴾: لا تنسياني حيث ما تقلّبتما وقيل: في تبليغ ذكري والدّعاء إليّ[1].

﴿ إِذْهَبا إِلىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّـهُ طَغىٰ ﴾.

﴿ فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَـيِّناً ﴾ مثل: "هَلْ لَكَ إِلىٰ أَنْ تَزَكّىٰ وَأَهْدِيَكَ إِلىٰ رَبِّكَ فَتَخْشىٰ"[2]، فإنّه دعوة في صورة عرض ومشورة، حذراً أن يحمله الحماقة على أن يسطو عليكما ﴿ لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشىٰ ﴾.

قال: «أمّا قوله: "فقولا له قولاً ليّناً"، أي: ليّناه وقولا له: يا أبا مصعب[3]، وأمّا قوله: "لعلّه يتذكّر أو يخشى" فإنّما قال ذلك ليكون أحرص لموسى على الذّهاب، وقد علـم اللّـه أنّ فرعون لا يتذكّر ولا يخشى إلّا عند رؤية البأس»[4].

﴿ قالا رَبَّنا إِنَّنا نَخافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنا ﴾: أن يَعْجَلَ علينا بالعقوبة، ولا يصبر إلى إتمام الدّعوة وإظهار المعجزة ﴿ أَوْ أَنْ يَطْغىٰ ﴾: أن يزداد طغياناً، فيتخطّى إلى أن يقول فيك مالا ينبغي، لجرأته وقساوته، وإطلاقه من حسن الأدب.

﴿ قالَ لا تَخافا إِنَّنِي مَعَكُما ﴾: بالحفظ والنّصرة ﴿ أَسْمَعُ وَأَرىٰ ﴾ ما يجري بينكما وبينه من قول وفعل، فأُحدث في كلّ حال ما يصرف شرّه عنكما، ويوجب نصرتي لكما.

﴿ فَأْتِياهُ فَقُولا إِنّا رَسُولا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنا بَنِي إِسْرائِيلَ ﴾: أطلقهم ﴿ وَلا تُعَذِّبْهُمْ ﴾ بالتّكاليف الصّعبة ﴿ قَدْ جِئْناكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ ﴾: بمعجزة وبرهان ﴿ وَالسَّلامُ عَلىٰ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدىٰ ﴾: والسّلامة من عذاب اللّه على المهتدين.

﴿ إِنّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنا أَنَّ الْعَذابَ عَلىٰ مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلّىٰ ﴾: أنّ العذاب على المكذّبين للرّسل.

١ـ البيضاوي ٤: ٢٢.

٢ـ النّازعات (٧٩): ١٨ و ١٩.

٣ـ وكان اسم فرعون أبا مصعب الوليد بن مصعب. منه ﷺ في المصدر.

٤ـ علل الشّرائع ١: ٦٧، الباب: ٥٦، الحديث: ١، عن موسى بن جعفر ﷺ، مع تفاوت يسير.

﴿قالَ فَمَنْ رَبُّكُما يا مُوسىٰ﴾ أي: بعد ما أتَياه، وقالا له ما أُمرا به.

﴿قالَ رَبُّنا الَّذِي أَعْطىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ﴾: صورته وشكله الّذي يوافق المنفعة المنوطة به ﴿ثُمَّ هَدىٰ﴾: عرّفه كيف يرتفق بما أعطى.

قال: «ليس شيء من خلق اللّه إلّا وهو يعرف من شكله، الذّكر من الأُنثى. سئل: ما معنى "ثمّ هدى"؟ قال: هداه للنّكاح والسّفاح[1] من شكله»[2].

قيل: وهو جواب في غاية البلاغة، لاختصاره وإعرابه عن الموجودات بأسرها على مراتبها، ودلالته على أنّ الغنيّ القادر بالذّات، المنعِم على الإطلاق هو اللّه تعالى، وأنّ جميع ما عداه مفتقر إليه، منعم عليه في ذاته وصفاته وأفعاله، ولذلك بهت الّذي كفر، فلم ير إلّا صرف الكلام عنه[3].

﴿قالَ فَما بالُ الْقُرُونِ الْأُولىٰ﴾: فما حالهم بعد موتهم، من السّعادة والشّقاوة؟

﴿قالَ عِلْمُها عِنْدَ رَبِّي﴾ يعني أنّه غيب لا يعلمه إلّا اللّه، وإنّما أنا عبد مثلك لا أعلم منه إلّا ما أخبرني به ﴿فِي كِتابٍ﴾: مُثبتٌ في اللّوح المحفوظ ﴿لا يَضِلُّ رَبِّي وَلا يَنْسىٰ﴾.

الضّلال: أن يُخطئ الشّيء في مكانه فلم يهتد إليه؛ والنّسيان: أن يذهب بحيث لا يخطر بالبال.

﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْداً وَسَلَكَ لَكُمْ فِيها سُبُلاً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَخْرَجْنا بِهِ أَزْواجاً﴾: أصنافاً ﴿مِنْ نَباتٍ شَتّىٰ﴾.

﴿كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعامَكُمْ إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآياتٍ لِأُولِي النُّهىٰ﴾: لذوي العقول النّاهية عن اتّباع الباطل وارتكاب القبائح؛ جمع: نُهْيَة. قال: «نحن واللّه أُولو النّهى»[4].

١ - السّفاح، والتّسافح، والمُسافَحَة: الزّنا والفجور. تاج العروس ٦: ٤٧٦ (سفح).

٢ - الكافي ٥: ٥٦٧، الحديث: ٤٩، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٣ - البيضاوي ٤: ٢٣.

٤ - القمّي ٢: ٦١، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

و ورد: «إنّ خياركم أُولو النّهى . قيل: يا رسول اللّه ومن أُولو النّهى؟ قال: هم أُولو الأخلاق الحسنة ، والأحلام الرّزينة[1] ، وصلة الأرحام ، والبَرَرَة[2] بالأُمّهات والآباء ، والمتعاهدون للفقراء والجيران واليتامى ، ويطعمون الطّعام ، ويُفْشون السّلام في العالَم ، ويصلّون والنّاس نيامٌ غافلون»[3] .

﴿مِنْها خَلَقْناكُمْ وَفِيها نُعِيدُكُمْ وَمِنْها نُخْرِجُكُمْ تارَةً أُخْرىٰ﴾ .

﴿وَلَقَدْ أَرَيْناهُ آياتِنا كُلَّها فَكَذَّبَ وَأَبىٰ﴾ .

﴿قالَ أَجِئْتَنا لِتُخْرِجَنا مِنْ أَرْضِنا﴾: أرض مصر ﴿بِسِحْرِكَ يا مُوسىٰ﴾ .

﴿فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنا وَبَيْنَكَ مَوْعِداً لا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلا أَنْتَ مَكاناً سُوىً﴾: منتصفاً يستوي مسافته إلينا وإليك .

﴿قالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ﴾ وهو يوم عيد كان لهم في كلّ عام ، وإنّما خصّه به ليظهر الحقّ ويزهق الباطل على رؤوس الأشهاد ، ويشيع ذلك في الأقطار . ﴿وَأَنْ يُحْشَرَ النّاسُ ضُحىً﴾: واجتماع النّاس في ضحى .

﴿فَتَوَلّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ﴾: ما يكاد به من السّحرة والاتهم ﴿ثُمَّ أَتىٰ﴾ .

﴿قالَ لَهُمْ مُوسىٰ وَيْلَكُمْ لا تَفْتَرُوا عَلَى اللّهِ كَذِباً﴾ بأن تدعو آياته سحراً ﴿فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذابٍ﴾: فيهلككم ويستأصلكم ﴿وَقَدْ خابَ مَنِ افْتَرىٰ﴾ .

﴿فَتَنازَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ﴾ . قيل: أي: تنازعت السّحرة في أمر موسى حين سمعوا كلامه ، فقال بعضهم: ليس هذا من كلام السّحرة[4] . ﴿وَأَسَرُّوا النَّجْوىٰ﴾ . قيل: كان نجواهم:

١ ـ الأحلام: جمع حِلْم ـ بالكسر ـ بمعنى العقل أو الاناءة وعدم التسرّع إلى الانتقام ، وهو هنا أظهر . وفي القاموس: الرزين: الثقيل ، وترزّن في الشيء: توقّر . مرآة العقول ٩: ٢٧٨ .

٢ ـ في «ب»: «والبَرارَة».

٣ ـ الكافي ٢: ٢٤٠ ، الحديث: ٣٢ ، عن أبي جعفر عليه السلام .

٤ ـ البيضاوي ٤: ٢٥ .

إن غَلَبَنا موسى اتّبعناه، أو إن كان ساحراً فسنغلبه، وإن كان من السّماء فله أمر[١].

﴿قالُوا إِنْ هٰذانِ لَساحِرانِ﴾ وهي لغة فيه[٢]. ﴿يُرِيدانِ أَنْ يُخْرِجاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ﴾ بالاستيلاء عليها ﴿بِسِحْرِهِما وَيَذْهَبا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلىٰ﴾: بمذهبكم الّذي هو أفضل المذاهب.

﴿فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ﴾: فأزمعوه[٣] واجعلوه مجمعاً عليه، لا يتخلّف عنه واحد منكم ﴿ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا﴾: مصطفّين، لأنّه أهيَب في صدور الرّائين ﴿وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلىٰ﴾.

﴿قالُوا يا مُوسىٰ إِمّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقىٰ﴾ أي: بعدما أتوا؛ مراعاةً للأدب.

﴿قالَ بَلْ أَلْقُوا﴾ مقابلة أدب بأدب، وعدم مبالاة بسحرهم، ولأن يأتوا بأقصى وُسعهم، ثمّ يظهر اللّه سلطانه، فيقذف بالحقّ على الباطل فيدمغه. ﴿فَإِذا حِبالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّها تَسْعىٰ﴾ أي: فألقوا فإذا. قيل: لطخوها بالزّيبق، فلمّا ضربت عليها الشّمس اضطربت، فخيّل إليه أنّها تتحرّك[٤].

﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسىٰ﴾: فأضمر فيها خوفاً. قال: «لم يوجس موسى خيفةً على نفسه، أشفق من غلبة الجُهّال ودُوَل الضّلال»[٥].

﴿قُلْنا لا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الأَعْلىٰ﴾. قال: «قال: اللّهم إنّي أسألك بحقّ محمّد وآل

١ ـ الكشّاف ٢: ٥٤٣.

٢ ـ وقرأ أبو عمرو: «إنّ هذين» بتشديد «إنّ» ونصب «هذين». وقرأ نافع وحمزة والكسائي وأبو بكر عن عاصم بتشديد «إنّ»، والألف في «هذان». وقرأ ابن كثير: «إنْ» مخفّفه «هذانّ» مشدّدة النون. وقرأ ابن عامر بتخفيف نون «إن» وتخفيف نون «هذان». التّبيان ٧: ١٨٢.

٣ ـ أزْمَعْتُ على أمر: إذا ثبّت عليه عزمك. وقال الفرّاء: أزْمَعْتُهُ وأزْمَعْتُ عليه: مثل: اجمعته واجمعت عليه. الصّحاح ٣: ١٢٢٥ (زمع).

٤ ـ البيضاوي ٤: ٢٥.

٥ ـ نهج البلاغة: ٥١، الخطبة: ٤، وفيه: «بل أشفق».

محمّد لما آمنتني . فقال اللّه: "لا تخَف"»[١] .

﴿ وَأَلْقِ ما فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ ما صَنَعُوا ﴾: تبتلعه بقدرة اللّه تعالى ﴿ إِنَّما صَنَعُوا كَيْدُ ساحِرٍ وَلا يُفْلِحُ السّاحِرُ حَيْثُ أَتىٰ ﴾: حيث كان ، وأين أقبل .

﴿ فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّداً ﴾ أي: فألقى ، فتلقف ، فتحقّق عند السّحرة أنّه ليس بسحر ، وإنّما هو من آيات اللّه ومعجزاته ، فألقاهم ذلك على وجوههم سجّداً للّه ؛ توبة عمّا صنعوا ، وتعظيماً لما رأوا ﴿ قالُوا آمَنّا بِرَبِّ هٰرُونَ وَمُوسىٰ ﴾ .

﴿ قالَ آمَنْتُمْ لَهُ ﴾ أي: لموسى ، بتضمين معنى الاتّباع ﴿ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ ﴾: لعظيمكم في فنّكم ، وأعلمكم به وأُستاذكم ﴿ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ ﴾ وأنتم تواطأتم على ما فعلتم ﴿ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلافٍ ﴾: اليد اليمنى والرّجل اليسرى ﴿ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنا ﴾: أنا أو ربّ موسى ﴿ أَشَدُّ عَذاباً وَأَبْقىٰ ﴾: أدوم عقاباً .

﴿ قالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلىٰ ما جاءَنا مِنَ الْبَيِّناتِ وَالَّذِي فَطَرَنا ﴾ . عطفٌ على "ما جاءنا" أو قسم . ﴿ فَاقْضِ ما أَنْتَ قاضٍ ﴾: ما أنت صانعه أو حاكمه ﴿ إِنَّما تَقْضِي هٰذِهِ الْحَياةَ الدُّنْيا ﴾: إنّما تصنع ما تهواه ، أو تحكم بما تراه في هذه الدّنيا ، والآخرة خير وأبقى .

﴿ إِنّا آمَنّا بِرَبِّنا لِيَغْفِرَ لَنا خَطايانا ﴾ من الكفر والمعاصي ﴿ وَما أَكْرَهْتَنا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ ﴾ في معارضة المعجزة .

روي: «إنّهم قالوا لفرعون: أرِنا موسى نائماً ، فوجدوه يَحْرُسُه العصا! فقالوا: ما هذا بسحر ، فإنّ السّاحر إذا نام بطل سحره ، فأبى إلّا أن يعارضوه»[٢] .

﴿ وَاللّهُ خَيْرٌ وَأَبْقىٰ ﴾ .

﴿ إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِماً فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لا يَمُوتُ فِيها ﴾ فيستريح ﴿ وَلا يَحْيىٰ ﴾

١ ـ الاحتجاج ١: ٥٥ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام ، من النّبيّ صلى الله عليه وآله .

٢ ـ البيضاوي ٤: ٢٦ ؛ الكشّاف ٢: ٥٤٦ ؛ جوامع الجامع ٢: ٤٣٠ .

حياة مُهَنَّأة.

﴿وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِناً قَدْ عَمِلَ الصَّالِحاتِ فَأُولئِكَ لَهُمُ الدَّرَجاتُ العُلىٰ﴾.

﴿جَنّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِها الأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها وَذٰلِكَ جَزاءُ مَنْ تَزَكّىٰ﴾: مَنْ تطهّر من أدناس الكفر والمعاصي. والآيات الثّلاث إمّا من كلام السّحرة أو ابتداء كلام من الله.

﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنا إِلىٰ مُوسىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبادِي﴾ أي: من مصر ﴿فَاضْرِبْ﴾: فاجعل ﴿لَهُمْ طَرِيقاً فِي البَحْرِ يَبَساً﴾: يابساً ﴿لا تَخافُ دَرَكاً﴾ آمناً من أن يدرككم العدوّ ﴿وَلا تَخْشىٰ﴾.

﴿فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِنَ اليَمِّ ما غَشِيَهُمْ﴾: ما سمعت قصّته، ولا يعرف كنهه إلّا الله، فيه مبالغة ووجازة.

﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَما هَدىٰ﴾. روي: «إنّه لمّا انتهى إلى البحر فرآه قد يَبِسَ، فقال لقومه: ترون البحر قد يبس من فَرَقي فصدّقوه، فقال: "أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَىٰ"[1]. فذلك قوله تعالى "وأضلّ فرعون قومه وما هدى"»[2].

﴿يا بَنِي إِسْرائِيلَ قَدْ أَنْجَيْناكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ﴾: فرعون وقومه ﴿وَواعَدْناكُمْ جانِبَ الطُّورِ الأَيْمَنَ﴾ لمناجاة موسى، وإنزال التّوارة عليه ﴿وَنَزَّلْنا عَلَيْكُمُ المَنَّ وَالسَّلْوىٰ﴾ يعني في التّيه، كما مرّ[3].

﴿كُلُوا مِنْ طَيِّباتِ ما رَزَقْناكُمْ وَلا تَطْغَوْا فِيهِ﴾ بالإخلال بشكره، والتّعدّي لما حدّ الله لكم فيه كالسَّرَف والبَطَر والمنع عن المستحقّ ﴿فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي﴾: فيلزمكم

١ ـ النّازعات (٧٩): ٢٤.

٢ ـ سعد السعود: ٢١٨، عن تفسير الكلبي.

٣ ـ ذيل الآية: ٥٧، من سورة البقرة.

عذابي، ويجب لكم. قال: «هو العقاب، إنّ اللّه لا يستفزّه[1] شيء ولا يغيّره»[2]. ﴿وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوىٰ﴾: فقد تردّى وهلك.

﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تابَ﴾ عن الشّرك ﴿وَآمَنَ﴾ بما يجب الإيمان به ﴿وَعَمِلَ صالِحاً ثُمَّ اهْتَدىٰ﴾ قال: «ثمّ اهتدى إلى ولايتنا أهل البيت» في أخبار كثيرة[3].

قال: «فواللّه لو أنّ رجلاً عَبَدَ اللّهَ عُمْرَه ما بين الرّكن والمقام، ثمّ مات ولم يجئ بولايتنا، لأكبّه اللّه في النّار على وجهه»[4].

﴿وَما أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يا مُوسىٰ﴾.

﴿قالَ هُمْ أُولاءِ عَلىٰ أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضىٰ﴾. قال: «ما أكل ولا شرب ولا نام ولا اشتهى شيئاً من ذلك في ذهابه ومجيئه، أربعين يوماً؛ شوقاً إلى ربّه»[5].

﴿قالَ فَإِنّا قَدْ فَتَنّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ﴾: ابتليناهم بعبادة العِجْل بعد خروجك من بينهم ﴿وَأَضَلَّهُمُ السّامِرِيُّ﴾ باتّخاذ العجْل، والدّعاء إلى عبادته.

﴿فَرَجَعَ مُوسىٰ إِلىٰ قَوْمِهِ﴾ بعد استيفاء الأربعين، وأخذ التّوارة ﴿غَضْبانَ﴾ عليهم ﴿أَسِفاً﴾: حزيناً بما فعلوه ﴿قالَ يا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْداً حَسَناً﴾ بأن يُعطيكم التّوارة فيها هدى ونور ﴿أَفَطالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ بعبادة ما هو مثل في الغباوة ﴿فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي﴾: وعدكم إيّاي بالثّبات على الإيمان باللّه والهدى، والقيام على ما أمرتكم به.

١ ـ لا يستفزّه: لا يستخفّه. مجمع البحرين ٤: ٣٠ (فزز).

٢ ـ التّوحيد: ١٦٨، الباب: ٢٦، الحديث: ١، عن أبي جعفر عليه السلام.

٣ ـ الكافي ١: ٣٩٢، الحديث: ٣؛ الأمالي (للصدوق): ٤٠٠، الحديث: ١٣؛ القمّي ٢: ٦١؛ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ٢٣، عن أبي جعفر عليه السلام؛ المحاسن ١: ١٤٢، الحديث: ٣٥، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٤ ـ العيّاشي ١: ٢٥٩، الحديث: ٢٠٢؛ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ٢٣، عن أبي جعفر عليه السلام؛ عقاب الأعمال: ٢٥٠، الحديث: ١٥ و١٦، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٥ ـ مصباح الشّريعة: ١٩٦، الباب: ٩٤، عن أبي عبد اللّه عليه السلام، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله.

﴿قالُوا ما أَخْلَفْنا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنا﴾: بأن ملكنا أمرنا، أي: لو خُلّينا وأمرنا، ولم يُسوّلْ لنا السّامريّ، لَما أخلفنا. ﴿وَلٰكِنّا حُمِّلْنا أَوْزاراً مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ﴾: احمالاً من حُليّ القبط ﴿فَقَذَفْناها﴾ أي: في النّار ﴿فَكَذٰلِكَ أَلْقَى السّامِرِيُّ﴾ أي: ما كان معه منها.

﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلاً جَسَداً﴾ من تلك الحُليّ المذابة ﴿لَهُ خُوارٌ﴾: صوت العجل ﴿فَقالُوا﴾ يعني السّامريّ ومن افتتن به أوّل ما رآه ﴿هٰذا إِلٰهُكُمْ وَإِلٰهُ مُوسىٰ فَنَسِيَ﴾ قيل: يعني فنسيه موسى وذهب يطلبه عند الطّور، أو فنسي السّامريّ، أي: ترك ما كان عليه من إظهار الايمان[1].

﴿أَفَلا يَرَوْنَ أَلّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلاً وَلا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرّاً وَلا نَفْعاً﴾.

﴿وَلَقَدْ قالَ لَهُمْ هٰرُونُ مِنْ قَبْلُ﴾: من قبل رجوع موسى ﴿يا قَوْمِ إِنَّما فُتِنْتُمْ بِهِ﴾: بالعجل ﴿وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمٰنُ﴾ لا غير ﴿فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي﴾ في الثّبات على الدّين.

﴿قالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ﴾: على العجل ﴿عاكِفِينَ﴾: مقيمين ﴿حَتّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنا مُوسىٰ﴾. القمّي: فهمّوا بهارون فهرب منهم[2]، وبقوا في ذلك، حتّى تمّ ميقات موسى[3].

﴿قالَ يا هٰرُونُ﴾ أي: قال له موسى لمّا رجع ﴿ما مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا﴾.

﴿أَلّا تَتَّبِعَنِ﴾ أي: تأتي عقبي وتلحقني؛ و«لا» مزيدة، كما في قوله "ما مَنَعَكَ أَلّا تَسْجُدَ"[4]. ﴿أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي﴾ بالصّلابة في الدّين والمحاماة عليه.

﴿قالَ يَا بْنَ أُمَّ لا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرائِيلَ﴾ قال: «يعني لو فعلت ذلك لتفرّقوا»[5]. ﴿وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾ حين قلت: "أُخْلُفْني في

١ ـ البيضاوي ٤: ٢٨؛ الكشّاف ٢: ٥٥٠.

٢ ـ في المصدر: «حتّى هرب من بينهم».

٣ ـ القمّي ٢: ٦٢.

٤ ـ الأعراف (٧): ١٢.

٥ ـ علل الشّرائع ١: ٦٨، الباب: ٥٨، الحديث: ١، عن أبي عبد الله عليه السلام.

قَوْمِي وَأَصْلِحْ"[١]، فإنّ الإصلاح في حفظهم، والمداراة بينهم إلى أن ترجع إليهم فتدارك الأمر.

﴿قالَ فَما خَطْبُكَ يا سامِرِيُّ﴾ أي: ثمّ أقبل عليه وقال له منكراً: ما طلبك له، وما الّذي حملك عليه؟!

﴿قالَ بَصُرْتُ بِما لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ﴾: عَلِمْتُ ما لم يعلموا، وفطنتُ لما[٢] لم يفطنوا له، وهو أنّ الرّسول الّذي جاءك روحانيّ محض، لا يمسّ أثره شيئاً إلّا أحياه. ﴿فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ﴾ القمّي: يعني من تحت حافر رَمَكَةِ جبرئيل في البحر[٣]. [والرَّمَكُ والرَّمَكَةُ: الأُنثى من البراذين[٤]][٥]. ﴿فَنَبَذْتُها﴾ يعني أمسكتها فنبذتها في جوف العجل، وقد مضت هذه القصّة في سورة البقرة[٦]، ثمّ في سورة الأعراف[٧]. ﴿وَكَذٰلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي﴾: زيّنت.

﴿قالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الحَياةِ أَنْ تَقُولَ لا مِساسَ﴾ خوفاً أن يمسّك أحد فيأخذك الحمى، ومن مسّك فتحامي النّاس ويحاموك، وتكون طريداً وحيداً، كالوحشيّ النّافر. القمّي: يعني ما دمت حيّاً وعقبك هذه العلامة فيكم قائمة، حتّى تعرفوا[٨] أنّكم سامريّة، فلا يغترّ بكم النّاس، فهم إلى السّاعة بمصر والشّام معروفين بـ«لا مساس»[٩].

ورد: إنّ موسى همّ بقتل السّامريّ، فأوحى الله إليه: لا تقتله يا موسى، فإنّه سخيّ»[١٠].

١ ـ الأعراف (٧): ١٤٢.

٢ ـ في «ألف»: «بما».

٣ ـ القمّي ٢: ٦١.

٤ ـ جمعٌ، مفرده: بِرْذَوْنة.

٥ ـ ما بين المعقوفتين من «ب».

٦ ـ ذيل الآية: ٩٢ ـ ٩٣.

٧ ـ ذيل الآيات: ١٤٨ إلى ١٥٥.

٨ ـ في «ب» و«ج»: «حتّى يعرفوا».

٩ ـ القمّي ٢: ٦٣.

١٠ ـ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ٢٩، عن أبي عبد الله عليه السلام.

﴿وَإِنَّ لَكَ مَوْعِداً﴾ في الآخرة ﴿لَنْ تُخْلَفَهُ وَانْظُرْ إِلىٰ إِلٰهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عاكِفاً﴾: ظللت[1] على عبادته مقيماً. حذف اللّام تخفيفاً. ﴿لَنُحَرِّقَنَّهُ﴾ بالنّار أو بالمبرد، والتّشديد للمبالغة في حرق إذا برد بالمبرد. وفي قراءة عليّ عليه السلام فتح النون[2]. وقد سبق ذكر وقوع الأمرين[3]. ﴿ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ﴾: لنذرينّه رماداً[4] أو مبروداً ﴿فِي الْيَمِّ نَسْفاً﴾.

﴿إِنَّما إِلٰهُكُمُ اللّٰهُ الَّذِي لا إِلٰهَ إِلّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً﴾.

﴿كَذٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْباءِ ما قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْناكَ مِنْ لَدُنّا ذِكْراً﴾.

﴿مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيامَةِ وِزْراً﴾: عقوبة ثقيلة فادحة[5] على كفره وذنوبه.

﴿خالِدِينَ فِيهِ﴾: في الوزر ﴿وَساءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ حِمْلاً﴾.

﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقاً﴾. قيل: يعني زُرق العيون، لأنّ الزُّرْقة[6] أسوء ألوان العين وأبغضها عند العرب[7]. وقيل: أي: عمياً، فإنّ حدقة الأعمى تزراقّ[8]. وقيل: عطاشاً يظهر في أعينهم كالزّرقة[9]. القمّي: تكون أعينهم مزرقة لا يقدرون أن يطرفوها[10].

﴿يَتَخافَتُونَ بَيْنَهُمْ﴾: يخفضون أصواتهم لما يملأ صدورهم من الرّعب والهول ﴿إِنْ

١ـ في «ب»: «ظلت».
٢ـ التّبيان ٧: ٢٠٥؛ جوامع الجامع ٢: ٤٣٥.
٣ـ ذيل الآية: ٩٣، من سورة البقرة.
٤ـ الرَّماد: دُقاق الفحم من حُراقة النّار، وما هَبا من الجَمْر فطار دُقاقاً. لسان العرب ٣: ١٨٥ (رمد).
٥ـ أي: صعبة، ثقيلة. والفَدْح: إثقال الأمر. لسان العرب ٢: ٥٤٠ (فدح).
٦ـ الزُّرْقَة: خضرة في سواد العين، وقيل: هو أن يتغشّى سوادها بياضٌ. لسان العرب ١٠: ١٣٨ (زرق).
٧ـ الكشّاف ٢: ٥٥٣؛ البيضاوي ٤: ٣٠.
٨ـ البيضاوي ٤: ٣٠.
٩ـ مجمع البيان ٧ـ٨: ٢٩.
١٠ـ القمّي ٢: ٦٤.

لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْراً﴾. يستقصرون مدّة لبثهم في الدّنيا ـ أو في القبر ـ لزوالها.

﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِما يَقُولُونَ﴾ أي: بمدّة لبثهم. ﴿إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً﴾: أعدلهم. القمّي: أعلمهم وأصلحهم[1]. ﴿إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْماً﴾.

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبالِ﴾: عن مآل أمرها ﴿فَقُلْ يَنْسِفُها رَبِّي نَسْفاً﴾. قال: «يسوقها بأن يجعلها كالرّمال، ثمّ يرسل عليها الرّياح فتفرّقها»[2]

﴿فَيَذَرُها﴾: فيذر الأرض ﴿قاعاً﴾: خالياً ﴿صَفْصَفاً﴾: مستوياً كأنّ أجزاءها على صفّ واحد. القمّي: القاع: الّذي لا تراب فيه، والصّفصف: الّذي لا نبات له[3].

﴿لا تَرىٰ فِيها عِوَجاً﴾: اعوجاجاً ﴿وَلا أَمْتاً﴾ ولا نُتُوّاً[4].

﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدّاعِيَ﴾: داعي اللّه إلى المحشر ﴿لا عِوَجَ لَهُ﴾: لا يعوجّ له مدعوّ ولا يعدل عنه ﴿وَخَشَعَتِ الْأَصْواتُ لِلرَّحْمٰنِ فَلا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْساً﴾: صوتاً خفيّاً لمهابته.

قال: «جمع اللّه النّاس في صعيد واحد حُفاة عُراة، فيوقفون في المحشر حتّى يَعْرَقُوا عرقاً شديداً، وتشتدّ أنفاسهم، فيمكثون في ذلك مقدار خمسين عاماً، وهو قول اللّه عزّوجلّ "وخشعت الأصوات للرّحمٰن فلا تسمع إلّا همساً"»[5].

﴿يَوْمَئِذٍ لا تَنْفَعُ الشَّفاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمٰنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلاً﴾: إلّا شفاعة من أذن له، أو إلّا من أذن في أن يشفع له، ورضي لأجله قول الشّافع، أو قوله في شأنه.

﴿يَعْلَمُ ما بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾: ما تقدّمهم من الأحوال ﴿وَما خَلْفَهُمْ﴾: وما بعدهم ممّا يستقبلونه ﴿وَلا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً﴾.

١ ـ القمّي ٢: ٦٤.
٢ ـ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ٢٩، عن النّبيّ ﷺ.
٣ ـ القمّي ٢: ٦٧.
٤ ـ نَتَا عضوه يَنْتُو نَتْوًا: وَرِمَ. القاموس المحيط ٤: ٣٩٥ (نتو).
٥ ـ القمّي ٢: ٦٤، عن أبي جعفر عليه السلام.

قال: «لا يحيط الخلايق باللّه عزّوجلّ علماً، إذ هو تبارك وتعالى جَعَلَ على أبصار القلوب الغطاء، فلا فهم يناله بالكيف، ولا قلب يثبته بالحدّ[١]، فلا تصفه إلّا كما وصف نفسه "لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ"[٢] "الأَوَّلُ والآخِرُ والظَّاهِرُ والباطِنُ"[٣] "الخالِقُ البارِئُ الْمُصَوِّرُ"[٤] خلق الأشياء، فليس من الأشياء شيءٌ مثلَه، تبارك وتعالى»[٥].

﴿وَعَنَتِ الوُجُوهُ لِلْحَيِّ القَيُّومِ﴾: ذلّت وخضعت له خضوع العُناة، وهم الأُسارىٰ في يد المَلِكِ القهّار ﴿وَقَدْ خابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْماً﴾.

﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصّالِحاتِ﴾ بعضها ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلا يَخافُ ظُلْماً﴾: منع ثواب مستحقّ بالوعد ﴿وَلا هَضْماً﴾: ولا كسراً منه بنقصان. قال: «لا ينقص من عمله شيء، قال: وأمّا ظلماً: يقول: لن يذهب به»[٦].

﴿وَكَذٰلِكَ أَنْزَلْناهُ قُرآناً عَرَبِيّاً﴾: كلّه على هذه الوتيرة ﴿وَصَرَّفْنا فِيهِ مِنَ الوَعِيدِ﴾: مكرّرين فيه آيات الوعيد ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ المعاصي، فيصير التّقوى لهم ملكة ﴿أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْراً﴾: عظة واعتباراً حين يسمعونها؛ فيثبّطهم عنها، ولهذه النّكتة أسند التّقوى إليهم، والإحداث إلى القرآن.

﴿فَتَعالَى اللّهُ المَلِكُ الحَقُّ﴾ عن مماثلة المخلوقين. ﴿وَلا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ﴾. القمّي: كان رسول اللّه ﷺ إذا نزل عليه القرآن بادر بقراءته قبل نزول تمام الآية، والمعنى فأنزل اللّه[٧]. ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً﴾: سل اللّه زيادة العلم بدل

١ ـ في المصدر: «بالحدود».
٢ ـ الشّورى (٤٢): ١١.
٣ ـ الحديد (٥٧): ٣.
٤ ـ الحشر (٥٩): ٢٤.
٥ ـ التّوحيد: ٢٦٣، الباب: ٣٦، ذيل الحديث الطّويل: ٥، عن أمير المؤمنين ؑ.
٦ ـ القمّي ٢: ٦٧، عن أبي جعفر ؑ.
٧ ـ القمّي ٢: ٦٥.

الاستعجال ، فإنّ ما أُوحي إليك تناله لا محالة .

قال: «إذا أتى عليَّ يوم لا أزداد فيه علماً يقرّبني إلى اللّه ، فلا بارك اللّه لي في طلوع شمسه»[١] .

﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً﴾ .

قال: «إنّ اللّه عهد إلى آدم أن لا يقرب هذه الشّجرة ، فلمّا بلغ الوقت الّذي كان في علم اللّه أن يأكل منها نسي فأكل منها»[٢] .

وفي رواية: «فقالا: نعم يا ربّنا لا نقربها ولا نأكل منها ، ولم يستثنيا في قولهما: نعم ، فوكلهما اللّه في ذلك إلى أنفسهما وإلى ذكرهما»[٣] .

وفي أُخرى: «عَهِدَ إليه في محمّد والأئمّة من بعده ، فترك ولم يكن له عزم فيهم إنّهم هٰكذا»[٤] .

أقول: الاعتماد على الرّواية الأخيرة ، لعدم جواز المؤاخذة على النّسيان ، ولأنّ آدم لم ينس النّهي . وقد ورد إنّه سئل: كيف أخذ اللّه آدم على النّسيان؟ فقال: «إنّه لم ينس ، وكيف ينسى! وهو يذكره ، ويقول له إبليس: "مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هٰذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ"[٥]»[٦] . ويجوز أن يكون المنسيُّ عزيمةَ النّهي ، بحيث لا يقبل التّأويل ، وغير المنسيّ أصل النّهي .

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ﴾ .

١ ـ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ٣٢ ، عن النّبيّ ﷺ .

٢ ـ الكافي ٨: ١١٣ ، الحديث: ٩٢ ؛ كمال الدين ١: ٢١٣ ، الباب: ٢٢ ، الحديث: ٢ ، عن أبي جعفر عليه السلام .

٣ ـ الكافي ٧: ٤٤٨ ، الحديث: ٢ ، عن أبي جعفر عليه السلام .

٤ ـ الكافي ١: ٤١٦ ، الحديث: ٢٢ ؛ علل الشّرائع ١: ١٢٢ ، الباب: ١٠١ ، الحديث: ١ ؛ بصائر الدرجات: ٧٠ ، الباب: ٧ ، الحديث: ١ ، عن أبي جعفر عليه السلام .

٥ ـ الأعراف (٧): ٢٠ .

٦ ـ العيّاشي ٢: ٩ ، الحديث: ٩ ، عن أحدهما عليهما السلام .

﴿فَقُلْنا يا آدَمُ إِنَّ هٰذا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلا يُخْرِجَنَّكُما مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقىٰ﴾ .

﴿إِنَّ لَكَ أَلّا تَجُوعَ فِيها وَلا تَعْرىٰ﴾ .

﴿وَأَنَّكَ لا تَظْمَؤُا فِيها وَلا تَضْحىٰ﴾ .

﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطانُ قالَ يا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ﴾: الشّجرة الّتي من أكَلَ منها خُلِّدَ ولم يمت أصلاً ﴿وَمُلْكٍ لا يَبْلىٰ﴾: لا يزول ولا يَضْعُف .

﴿فَأَكَلا مِنْها فَبَدَتْ لَهُما سَوْآتُهُما وَطَفِقا يَخْصِفانِ عَلَيْهِما مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ﴾: أخذ يلزقان الورق على سوآتهما للتّستّر ﴿وَعَصىٰ آدَمُ رَبَّهُ﴾ بالأكل من الشّجرة ﴿فَغَوىٰ﴾: فضلّ عن المطلوب وخاب ، حيث طلب الخُلد بأكلها .

﴿ثُمَّ اجْتَباهُ رَبُّهُ﴾: اصطفاه وقرّبه ، بالحمل على التّوبة والتّوفيق له ﴿فَتابَ عَلَيْهِ وَهَدىٰ﴾ .

﴿قالَ اهْبِطا مِنْها جَمِيعاً بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدىً فَمَنِ اتَّبَعَ هُدايَ فَلا يَضِلُّ﴾ في الدّنيا ﴿وَلا يَشْقىٰ﴾ في الآخرة .

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً﴾: ضيّقاً . قال: «هي والله للنّصّاب في الرّجعة ، يأكلون العذرة»[1] . ﴿وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ أَعْمىٰ﴾ .

﴿قالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمىٰ وَقَدْ كُنْتُ بَصِيراً﴾ .

﴿قالَ كَذٰلِكَ﴾ أي: مثل ذلك فَعَلْتَ ، ثمّ فسّره ﴿أَتَتْكَ آياتُنا فَنَسِيتَها﴾: فعميت عنها وتركتها غير منظور إليها ﴿وَكَذٰلِكَ﴾: ومثل تركك إيّاها ﴿الْيَوْمَ تُنْسىٰ﴾: تترك في العمى والعذاب .

و ورد: «إنّ الذّكر: ولاية أمير المؤمنين عليه السلام ، والعمى: عمى البصر في الآخرة وعمى القلب في الدّنيا عن ولايته ، والآيات: الأئمّة ، فنسيتها يعني تركتها وكذلك اليوم تترك في

١ ـ القمّي ٢: ٦٥ ، عن أبي عبد الله عليه السلام .

النّار، كما تركت الأئمّة فلم تطع أمرهم»[١].

﴿وَكَذٰلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰ﴾ من ضنك العيش ومن العمى. ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ﴾ يبيّن لهم ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ القُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ﴾ ويشاهدون آثار هلاكهم ﴿إِنَّ فِي ذٰلِكَ لآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَىٰ﴾: لذوي العقول النّاهية عن التّغافل والتّعامي.

﴿وَلَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ﴾ وهي العِدَةُ بتأخير عذاب هذه الأُمّة إلى الآخرة ﴿لَكَانَ لِزَاماً﴾: لكان مثل ما نزل بعاد وثمود لازماً لهذه الكفرة ﴿وَأَجَلٌ مُسَمًّى﴾. عطفٌ على «كَلِمَة» أي: ولولا العِدَةُ بتأخير العذاب، وأجل مسمّى لأعمارهم أو لعذابهم، لكان العذاب لزاماً؛ والفصل للدّلالة على استقلال كلٍّ منهما بنفي لزوم العذاب.

﴿فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ﴾: ساعاته ﴿فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ﴾ طمعاً أن تنال عند الله ما به ترض.

سئل عن هذه الآية؟ فقال: «فريضة على كلّ مسلم أن يقول قبل طلوع الشّمس وقبل غروبها عشر مرّات: لا إلّا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يحيي ويميت، وهو حيّ لا يموت، بيده الخير وهو على كلّ شيء قدير»[٢]. وقال: «"وأطْرافَ النّهار" يعني تطوّع بالنّهار»[٣].

﴿وَلا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾ أي نظرهما ﴿إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِنْهُمْ﴾: أصنافاً من الكفرة ﴿زَهْرَةَ الحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾: زينتها وبهجتها ﴿لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾: لنبلوهم ونختبرهم فيه أو لنعذّبهم في الآخرة بسببه ﴿وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ أي: الهدى والنّبوّة، فإنّه لا ينقطع.

١ ـ الكافي ١: ٤٣٥، الحديث: ٩٢، عن أبي عبد الله عليه السلام.
٢ ـ الخصال ٢: ٤٥٢، الحديث: ٥٨، عن أبي عبد الله عليه السلام.
٣ ـ الكافي ٣: ٤٤٤، الحديث: ١١١، عن أبي جعفر عليه السلام.

قال: «لمّا نزلت هذه الآية استوى رسول الله صلّى الله عليه وآله جالساً، ثمّ قال: من لم يتعزّ بعزاء الله تقطّعت نفسه على الدّنيا حسرات، ومن أتبَعَ بصره ما في أيدي النّاس طال همّه ولم يشف غيظه، ومن لم يعرف أنّ للّه عليه نعمة إلّا في مطعم ومشرب قصر أجله ودنا عذابه»[1].

﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْها﴾: وداوِمْ عليها ﴿لا نَسْأَلُكَ رِزْقاً﴾: أن ترزق نفسك وأهلك ﴿نَحْنُ نَرْزُقُكَ﴾ وإيّاهم، ففرّغ بالك للآخرة ﴿وَالعاقِبَةُ﴾ المحمودة ﴿لِلتَّقْوىٰ﴾: لذوي التّقوى.

قال: «أمر اللّه نبيّه أن يخصّ أهل بيته و[هم][2] أهله دون النّاس، ليعلم النّاس أنّ لأهله عند اللّه منزلة ليست لغيرهم، فأمرهم مع النّاس عامّة، ثمّ أمرهم خاصّة»[3].

و ورد: «فكان يجيء إلى باب عليّ وفاطمة عند حضور كلّ صلاة، فيقول: الصّلاة رحمكم اللّه، حتّى فارق الدّنيا»[4].

﴿وَقالُوا لَوْلا يَأْتِينا بِآيَةٍ مِنْ رَبِّهِ أَوَلَمْ تَأْتِهِمْ بَيِّنَةُ ما فِي الصُّحُفِ الأُولىٰ﴾ فإنّ القرآن مشتمل على زبدة ما فيها من العقايد والأحكام الكلّيّة.

﴿وَلَوْ أَنّا أَهْلَكْناهُمْ بِعَذابٍ مِنْ قَبْلِهِ﴾: من قبل محمّد صلّى الله عليه وآله ﴿لَقالُوا رَبَّنا لَوْلا أَرْسَلْتَ إِلَيْنا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ آياتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ﴾ بالقتل والسّبي في الدّنيا ﴿وَنَخْزىٰ﴾ بدخول النّار في الآخرة.

﴿قُلْ كُلٌّ مُتَرَبِّصٌ﴾: كلّ واحد منّا ومنكم منتظر لما يؤول إليه أمره ﴿فَتَرَبَّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحابُ الصِّراطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدىٰ﴾.

١ـ القمّي ٢: ٦٦، عن أبي عبد الله عليه السلام.

٢ـ ما بين المعقوفتين لم ترد في «ألف» والمصدر.

٣ـ عوالي اللئالي ٢: ٢٢، الحديث: ٤٩، عن أبي جعفر عليه السلام.

٤ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ١: ٢٤٠، الباب: ٢٣؛ القمّي ٢: ٦٧.

قال: «سئل في حديث: فمَن الوليّ يا رسول اللّه؟ قال: وليّكم في هذا[١] الزّمان أنا ، ومن بعدي وصيّي ، ومن بعد وصيّي لكلّ زمان حجج اللّه ، لكيلا تقولون كما قال الضّلّال من قبلكم فارقهم نبيّهم: "ربّنا لو لا أرسلت" الآية وإنّما كان تمام ضلالتهم جهالتهم بالآيات ، وهم الأوصياء ، فأجابهم اللّه: "قل كلّ متربّص" الآية ، وإنّما كان تربّصهم أن قالوا: نحن في سعة من معرفة الأوصياء ، حتّى يُعْلِنَ إمامُ علمَه»[٢].



١ ـ في «ألف»: «هذه».

٢ ـ كشف المحجّة (لابن طاووس): ١٩٠ ، عن أمير المؤمنين عليه السلام .

سورة الأنبياء

[مكيّة وهي مائة واثنتا عشرة آية][1]

بسم الله الرحمٰن الرحيم

﴿إقْتَرَبَ لِلنّاسِ حِسابُهُمْ﴾ أي: القيامة ﴿وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ﴾.

﴿ما يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ﴾ لكي يتّعظوا بالتكرير ﴿إلّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾: يستهزئون.

﴿لاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾. أبدل من الضمير ليُنبّه على ظلمهم. ﴿هَلْ هٰذا إلّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾.

﴿قالَ رَبِّي يَعْلَمُ القَوْلَ فِي السَّماءِ وَالأَرْضِ﴾ جهراً كان أو سرّاً ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ﴾.

﴿بَلْ قالُوا أَضْغاثُ أَحْلامٍ بَلِ افْتَراهُ بَلْ هُوَ شاعِرٌ فَلْيَأْتِنا بِآيَةٍ كَما أُرْسِلَ الأَوَّلُونَ﴾ مثل اليد البيضاء وإحياء الموتى.

﴿ما آمَنَتْ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْناها﴾ باقتراح الآيات لمّا جاءتهم ﴿أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ﴾ وهم أعتى منهم.

[1] ـ مابين المعقوفتين من «ب».

﴿وَما أَرْسَلْنا قَبْلَكَ إِلاّ رِجالاً نُوحِي إِلَيْهِمْ﴾. قيل: جواب لقولهم: "هَل هذا إلّا بَشَرٌ مِثلُكُمْ"[١]. ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾. مرّ تفسيره في سورة النّحل[٢].

﴿وَما جَعَلْناهُمْ جَسَداً لا يَأْكُلُونَ الطَّعامَ وَما كانُوا خالِدِينَ﴾. نفي لما اعتقدوه أنّ الرّسالة من خواصّ الملك.

﴿ثُمَّ صَدَقْناهُمُ الوَعْدَ فَأَنْجَيْناهُمْ وَمَنْ نَشاءُ﴾ ممّن آمن بهم ومن في إبقائه حكمة؛ كمن يؤمن هو أو واحد من ذرّيّته ﴿وَأَهْلَكْنا المُسْرِفِينَ﴾.

﴿لَقَدْ أَنْزَلْنا إِلَيْكُمْ كِتاباً﴾ يعني القرآن ﴿فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾: صيتكم[٣] أو موعظتكم ﴿أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾.

﴿وَكَمْ قَصَمْنا مِنْ قَرْيَةٍ كانَتْ ظالِمَةً وَأَنْشَأْنا بَعْدَها قَوْماً آخَرِينَ﴾.

﴿فَلَمّا أَحَسُّوا بَأْسَنا إِذا هُمْ مِنْها يَرْكُضُونَ﴾ قال: «يهربون»[٤].

﴿لا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلىٰ ما أُتْرِفْتُمْ فِيهِ﴾ من التّنعّم والتّلذّذ. والإتراف: إبطار النّعمة. ﴿وَمَساكِنِكُمْ﴾. قيل لهم ذلك استهزاءً. ﴿لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ﴾. قيل: يعني تسألون من دنياكم شيئاً، فإنّكم أهل ثروة ونعمة[٥].

قيل: نزلت في أهل اليمن، كذّبوا نبيّهم حنظلة[٦] وقتلوه. فسلّط الله عليهم بخت

١ـ البيضاوي ٤: ٣٦.

٢ـ ذيل الآية: ٤٣.

٣ـ الصّيت: الذكر الجميل الّذي ينتشر في النّاس، دون القبيح. وأصله من الواو، وإنّما انقلبت ياءً انكسار ما قبلها، كأنّهم بنوه على فِعْلٍ بكسر الفاء، للفرق بين الصوت المسموع وبين الذكر المعلوم. الصّحاح ١: ٢٥٧ (صوت).

٤ـ الكافي ٨: ٧٤، قطعة من حديث: ٢٩، عن عليّ بن الحسين عليه السلام.

٥ـ تفسير البغوي ٣: ٢٤٠، عن قتادة.

٦ـ حنظلة بن صفوان الرسّي: من أنبياء العرب في الجاهليّة. كان في الفترة الّتي بين الميلاد وظهور الإسلام. وهو من أصحاب الرسّ الوارد ذكرهم في القرآن، بعث لهدايتهم فكذّبوه وقتلوه. وفي خبر أورده الهمداني أنّ جماعة قبل الإسلام عثروا بقبر حنظلة صاحب الرسّ ورأوا في يده خاتماً كتب عليه: أنا حنظلة بن صفوان رسول الله. ورأوا مكتوباً عند رأسه: بعثني الله إلى حِمْيَر والعرب من أصل الرسّ فكذّبوني وقتلوني. وقال ابن خلدون: والرسّ ما بين نجران إلى اليمن، ومن حضرموت إلى اليمامة. الأعلام (للزّركلي) ٢: ٢٨٦.

نصر[١]، حتّى أهلكهم بالسّيف[٢].

و ورد: «إنّ ذلك في زمان القائم، يفعل ذلك ببني أميّة حين يهربون إلى الرّوم، يسألهم الكنوز وهو أعلم بها»[٣] في حديث هذا معناه.

﴿قالُوا يا وَيْلَنا إِنّا كُنّا ظالِمِينَ﴾.

﴿فَما زالَتْ تِلْكَ دَعْواهُمْ﴾ أي: يدعون الويل ﴿حَتّى جَعَلْناهُمْ حَصِيداً﴾ كالنّبت المحصود ﴿خامِدِينَ﴾: ميّتين. قال: «بالسّيف»[٤].

﴿وَما خَلَقْنا السَّماءَ وَالْأَرْضَ وَما بَيْنَهُما لاعِبِينَ﴾ وإنّما خلقناهما تبصرة للنّظّار، وتذكرة لذوي الاعتبار، وتسبيباً لما ينتظم به أُمور العباد في المعاش والمعاد.

﴿لَوْ أَرَدْنا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْواً﴾: ما يتلهّى به ويلعب ﴿لَاتَّخَذْناهُ مِنْ لَدُنّا﴾. قيل: أي: من جهة قدرتنا أو من عندنا، ممّا يليق بحضرتنا من الرّوحانيّات لا من الأجسام[٥]. ﴿إِنْ كُنّا فاعِلِينَ﴾.

﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْباطِلِ فَيَدْمَغُهُ﴾: فيمحقة ﴿فَإِذا هُوَ زاهِقٌ﴾: هالك؛ إضرابٌ عن اتّخاذ اللّهو، وتنزيهٌ لذاته سبحانه من اللّعب، أي: من شأننا أن نُغلّب الحقّ الّذي من جملته الجِدّ، على الباطل الّذي من عداده اللّهو.

قال: «ليس من باطل يقوم بإزاء حقّ إلّا غلب الحقّ الباطل، وذلك قوله تعالى، وتلا الآية»[٦]. ﴿وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمّا تَصِفُونَ﴾ ممّا لا يجوز عليه.

١ ـ مرّت ترجمته في ذيل الآية: ٨ من سورة بني اسرائيل.

٢ ـ البيضاوي ٤: ٣٦.

٣ ـ الكافي ٨: ٥١ ـ ٥٢، الحديث: ١٥، عن أبي جعفر عليه السلام.

٤ ـ المصدر: ٥٢، ذيل الحديث: ١٥؛ وتأويل الآيات الظّاهرة: ٣٢٠، عن أبي جعفر عليه السلام.

٥ ـ البيضاوي ٤: ٣٧، وفيه: «من المجرّدات» بدل: «من الرّوحانيّات».

٦ ـ المحاسن ١: ٢٢٦، الباب: ١٤، الحديث: ١٥٢، عن أبي عبد الله عليه السلام.

﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمٰواتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ﴾ قال: «يعني الملائكة»[١]، ﴿لا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبادَتِهِ وَلا يَسْتَحْسِرُونَ﴾: ولا يعيون منها.

﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهارَ لا يَفْتُرُونَ﴾. قال: «أنفاسهم تسبيح»[٢]. وفي رواية: «ليس شيء من أطباق أجسادهم إلّا ويسبّح اللّه ويحمده من ناحيته بأصوات مختلفة»[٣].

﴿أَمِ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِنَ الأَرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ﴾ الموتى، وهم وإن لم يصرّحوا به لكن لزمهم ذلك، فإنّ من لوازم الإلٰهيّة الاقتدارَ على ذلك، والمراد به تجهيلهم والتّهكّم بهم.

﴿لَوْ كانَ فِيهِما آلِهَةٌ إِلَّا اللّٰهُ﴾: غير اللّه ﴿لَفَسَدَتا﴾: لبطلتا وتفطّرتا، وقد وجد الصّلاح وهو بقاء العالَم، فدلّ على أنّ صانعه واحد.

سئل: ما الدّليل على أنّ اللّه واحد؟ قال: «اتّصال التّدبير وتمام الصّنع كما قال، وتلا الآية»[٤]. ﴿فَسُبْحانَ اللّٰهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمّا يَصِفُونَ﴾.

﴿لا يُسْأَلُ عَمّا يَفْعَلُ﴾ قال: «لأنّه لا يفعل إلّا ما كان حكمةً وصواباً، وهو المتكبّر الجبّار والواحد القهّار، فمن وجَدَ في نفسه حَرَجاً في شيء ممّا قضى كفر، ومن أنكر شيئاً من أفعاله جحد»[٥]. ﴿وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ قال: «يعني بذلك خلقه إنّه يسألهم»[٦].

﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً﴾. كرّره استعظاماً لكُفرهم، واستفظاعاً لأمرهم، وتبكيتاً وإظهاراً لجهْلهم. ﴿قُلْ هاتُوا بُرْهانَكُمْ﴾ فإنّه لا يصلح القول بما لا دليل عليه ﴿هٰذا ذِكْرُ مَنْ مَعِيَ وَذِكْرُ مَنْ قَبْلِي﴾ قال: «يعني بـ "ذِكْرُ مَنْ مَعِي" ما هو كائن، وبـ "ذِكْرُ مَنْ

١ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ١: ٢٦٩، الباب: ٢٧، ذيل الحديث: ١، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٢ـ كمال الدّين ٢: ٦٦٦، الباب: ٥٨، الحديث: ٨، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٣ـ التّوحيد: ٢٨٠، الباب: ٣٨، الحديث: ٦، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله. وفي صدر الرّواية هكذا: «إنّ للّه ملائكة ليس شيء...».

٤ـ التّوحيد: ٢٥٠، الباب: ٣٦، الحديث: ٢، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٥ـ التّوحيد: ٣٩٧، الباب: ٦١، الحديث: ١٣، عن أبي جعفر عليه السلام، وفيه: «ممّا قضى اللّه فقد كفر».

٦ـ علل الشّرائع ١: ١٠٦، الباب: ٩٦، ذيل الحديث: ١، عن أمير المؤمنين عليه السلام، مع تفاوت يسير.

قَبْلي" ما قد كان»[١]. ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ الحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾.

﴿وَما أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلهَ إِلّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾.

﴿وَقالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمنُ وَلَداً سُبْحانَهُ بَلْ عِبادٌ مُكْرَمُونَ﴾ يعني هؤلاء الّذين زعموا أنّهم ولد اللّه.

﴿لا يَسْبِقُونَهُ بِالقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾.

﴿يَعْلَمُ ما بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَما خَلْفَهُمْ﴾: ما قدّموا وما أخّروا ﴿وَلا يَشْفَعُونَ إِلّا لِمَنِ ارْتَضى﴾ قال: «إلّا لمن ارتضى اللّه دينه»[٢]. وزاد في رواية: «والدّين الإقرار بالجزاء على الحسنات والسّيّئات، فمن ارتضى اللّهُ دينَه ندم على ما ارتكبه من الذّنوب؛ لمعرفته بعاقبته في القيامة»[٣]. ﴿وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾: من عظمته ومهابته مرتعدون.

﴿وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلهٌ مِنْ دُونِهِ فَذلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذلِكَ نَجْزِي الظّالِمِينَ﴾.

﴿أَوَ لَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّماواتِ وَالأَرْضَ كانَتا رَتْقاً فَفَتَقْناهُما﴾. قال: «كانت السّماء رتقاً لا تنزل المطر وكانت الأرض رتقاً لا تنبت الحبّ فلمّا خلق اللّه الخلق وبثّ فيها من كلّ دابّة فتق السّماء بالمطر، والأرض بنبات الحبّ»[٤].

﴿وَجَعَلْنا مِنَ الماءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾: وخلقنا من الماء كلّ حيوان ـ كقوله: "وَاللّهُ خَلَقَ

١ ـ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ٤٤، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٢ ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ١: ١٢٧، الباب: ١١، ذيل الحديث: ٣٥؛ التّوحيد: ٤٠٨، الباب: ٦٣، ذيل الحديث: ٦، عن موسى بن جعفر، عن أبيه، عن آبائه، عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه وعليهم.

٣ ـ التّوحيد: ٤٠٨، الباب: ٦٣، ذيل الحديث: ٦، عن موسى بن جعفر، عن أبيه، عن آبائه، عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه وعليهم.

٤ ـ الكافي ٨: ٩٥، ذيل الحديث: ٦٧، عن أبي جعفر عليه السلام؛ وفي الكافي ٨: ١٢١، الحديث: ٩٣؛ الاحتجاج ٢: ٦٢ ما يقرب منه.

كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ"[١] . لأنّه أعظم موادّه . ولفرط احتياجه إليه وانتفاعه به ـ أو صيّرنا كلّ شيء حيّ بسبب من الماء لا يحيا دونه ﴿أَفَلا يُؤْمِنُونَ﴾ .

﴿وَجَعَلْنا فِي الأَرْضِ رَواسِيَ﴾: ثابتات ﴿أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ﴾: كراهة أن تميل بهم ﴿وَجَعَلْنا فِيها فِجاجاً سُبُلاً﴾: مسالك واسعة ﴿لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ إلى مصالحهم .

﴿وَجَعَلْنَا السَّماءَ سَقْفاً مَحْفُوظاً﴾ عن الوقوع ، كقوله: "وَيُمْسِكُ السَّماءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الأَرْضِ"[٢] . ﴿وَهُمْ عَنْ آياتِها﴾: أحوالها الدالّة على كمال قدرته وعظمته ، وتناهي علمه وحكمته ﴿مُعْرِضُونَ﴾: غير متفكّرين .

﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾: يُسْرِعون إسراع السّابح في الماء .

﴿وَما جَعَلْنا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخالِدُونَ﴾ .

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ . القمّي: لمّا أخبر الله نبيّه بما يصيب أهل بيته بعده ، وادّعاء من ادّعى الخلافة دونهم ، اغتمّ ، فنزلت[٣] . ﴿وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ﴾: بالبلايا والنّعم . قال: «الخير: الصّحّة والغنى ، والشّرّ: المرض والفقر»[٤] . ﴿فِتْنَةً﴾: ابتلاء ﴿وَإِلَيْنا تُرْجَعُونَ﴾ فنجازيكم حسب ما يوجد منكم من الصّبر والشّكر .

﴿وَإِذا رَآكَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلاَّ هُزُواً أَهذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ﴾ أي: بسوء ﴿وَهُمْ بِذِكْرِ الرَّحْمنِ هُمْ كافِرُونَ﴾ .

﴿خُلِقَ الإِنْسانُ مِنْ عَجَلٍ﴾ . مبالغةٌ في لزومه له . ﴿سَأُورِيكُمْ آياتِي فَلا تَسْتَعْجِلُونِ﴾ .

١ ـ النّور (٢٤): ٤٥ .

٢ ـ الحجّ (٢٢): ٦٥ .

٣ ـ القمّي ٢: ٧٠ .

٤ ـ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ٤٦ ، عن أبي عبد الله ، عن أمير المؤمنين عليهما السلام .

﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَـٰذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ .

﴿ لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ ﴾ . محذوف الجواب ، يعني: لما استعجلوا .

﴿ بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ ﴾: فتغلبهم أو تحيّرهم ﴿ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ ﴾: يمهلون .

﴿ وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾ . تسلية للرّسول ووعد له ، بأنّ ما يفعلونه يحيق بهم .

﴿ قُلْ مَنْ يَكْلَؤُكُمْ ﴾: يحفظكم ﴿ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَـٰنِ ﴾: من بأسه ﴿ بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ ﴾: لا يخطرونه ببالهم ، فضلاً أن يخافوا بأسه .

﴿ أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنْفُسِهِمْ وَلَا هُمْ مِنَّا يُصْحَبُونَ ﴾: ولا يصحبهم نَصْرٌ منّا .

﴿ بَلْ مَتَّعْنَا هَـٰؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ ﴾ فحسبوا أن لا يزالوا كذلك ﴿ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ﴾ . قيل: بتسليط المسلمين عليها[1] . و ورد: «ننقصها يعني بموت العلماء ، قال: نقصانها ذهاب عالمها»[2] . ﴿ أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴾ .

﴿ قُلْ إِنَّمَا أُنْذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنْذَرُونَ ﴾ .

﴿ وَلَئِنْ مَسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ ﴾: أدنى شيء ﴿ مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴾ .

﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ ﴾: العدل ﴿ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ يُوزَنُ بها الأعمالُ . قال: «هم

١ ـ البيضاوي ٤: ٤١ ؛ الكشّاف ٢: ٥٧٤ .

٢ ـ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ٤٩ ، عن أبي عبد الله عليه السلام ؛ وفي الكافي ١: ٣٨ ، الحديث: ٦ ، عن أبي جعفر ، عن أبيه عليهما السلام ، ما يقرب منه .

الأنبياء والأوصياء»[١]. وقد مضى تحقيقه في الأعراف[٢]. ﴿فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِنْ كانَ مِثْقالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنا بِها وَكَفىٰ بِنا حاسِبِينَ﴾ إذ لا مزيد على علمنا وعدلنا.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنا مُوسىٰ وَهٰرُونَ الْفُرْقانَ وَضِياءً وَذِكْراً لِلْمُتَّقِينَ﴾ أي: الكتاب الجامع، لكونه فارقاً بين الحقّ والباطل، وضياءً يُستضاء به في ظلمات الحيرة والجهالة، وذكراً يتّعظ به المتّقون.

﴿الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِنَ السّاعَةِ مُشْفِقُونَ﴾: خائفون.

﴿وَهٰذا ذِكْرٌ مُبارَكٌ﴾: وهذا القرآن ذكر، كثير خيره ﴿أَنْزَلْناهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ﴾.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنا إِبْراهِيمَ رُشْدَهُ﴾. أضافه إليه، ليدلّ على أنّه رشد مثله، وأنّ له لشأناً ﴿مِنْ قَبْلُ وَكُنّا بِهِ عالِمِينَ﴾ أنّه أهل لما آتيناه.

﴿إِذْ قالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ ما هٰذِهِ التَّماثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَها عاكِفُونَ﴾.

﴿قالُوا وَجَدْنا آباءَنا لَها عابِدِينَ﴾.

﴿قالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآباؤُكُمْ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾.

﴿قالُوا أَجِئْتَنا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللّاعِبِينَ﴾.

﴿قالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلىٰ ذٰلِكُمْ مِنَ الشّاهِدِينَ﴾.

﴿وَتَاللّٰهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنامَكُمْ﴾: لأجتهدنّ في كسرها، بنوع من الكيد ﴿بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ﴾. ولعلّه قال ذلك سرّاً.

﴿فَجَعَلَهُمْ جُذاذاً﴾: قطاعاً ﴿إِلّا كَبِيراً لَهُمْ﴾: للأصنام ﴿لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾.

﴿قالُوا﴾ حين رجعوا ﴿مَنْ فَعَلَ هٰذا بِآلِهَتِنا إِنَّهُ لَمِنَ الظّالِمِينَ﴾.

﴿قالُوا سَمِعْنا فَتًى يَذْكُرُهُمْ﴾: يعيبهم ﴿يُقالُ لَهُ إِبْراهِيمُ﴾.

١ ـ الكافي ١: ٤١٩، الحديث: ٣٦؛ معاني الأخبار: ٣١، الحديث: ١، عن أبي عبد الله عليه السلام.
٢ ـ ذيل الآية: ٨ و ٩.

﴿قالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلىٰ أَعْيُنِ النّاسِ﴾: بمرأى منهم ﴿لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ﴾ بفعله أو قوله.

﴿قالُوا﴾ حين أحضروه ﴿أَأَنْتَ فَعَلْتَ هٰذا بِآلِهَتِنا يا إِبْراهِيمُ﴾.

﴿قالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هٰذا فَسْأَلُوهُمْ إِنْ كانُوا يَنْطِقُونَ﴾.

قال: «إنّما قال إبراهيم "إن كانوا ينطقون" فكبيرهم فعل، وإن لم ينطقوا فلم يفعل كبيرهم شيئاً؛ فما نطقوا وما كذب إبراهيم»[١].

وفي رواية: «إنّما قال: "فعله كبيرهم" إرادة الإصلاح، ودلالة على أنّهم لا يفعلون»[٢]. ثمّ قال: «واللّه ما فعلوه وما كذب»[٣].

﴿فَرَجَعُوا إِلىٰ أَنْفُسِهِمْ﴾: فراجعوا عقولهم ﴿فَقالُوا﴾: فقال بعضهم لبعض ﴿إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظّالِمُونَ﴾ عبادة ما لا ينطق ولا يضرّ ولا ينفع، لا من ظلمتموه.

﴿ثُمَّ نُكِسُوا عَلىٰ رُؤُوسِهِمْ﴾. قيل: يعني انقلبوا إلى المجادلة بعد ما استقاموا بالمراجعة؛ شبّه عودهم إلى الباطل بصيرورة أسفل الشيء مستعلياً على أعلاه[٤].

﴿لَقَدْ عَلِمْتَ ما هٰؤُلاءِ يَنْطِقُونَ﴾ فكيف تأمر بسؤالهم.

﴿قالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللّهِ ما لا يَنْفَعُكُمْ شَيْئاً وَلا يَضُرُّكُمْ﴾.

﴿أُفٍّ لَكُمْ وَلِما تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللّهِ﴾: قبحاً ونتناً[٥]، تضجّر منه على إصرارهم بالباطل البيّن ﴿أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾.

﴿قالُوا حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فاعِلِينَ﴾. أخذوا في المضارّة لمّا عجزوا عن المحاجّة.

١ ـ معاني الأخبار: ٢١٠، الحديث: ١، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٢ ـ الكافي ٢: ٣٤٢، الحديث: ١٧، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٣ ـ المصدر: ٣٤٣، الحديث: ٢٢، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٤ ـ البيضاوي ٤: ٤٣.

٥ ـ في «ألف» و«قبحاً ونتناً وشيناً».

﴿قُلْنا يا نارُ كُونِي بَرْداً وَسَلاماً عَلىٰ إِبْراهِيمَ﴾: ابردي برداً غير ضارّ. ورد: «إنّ دعاءه يومئذٍ كان: يا أحد يا صمد، يا من لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد ثمّ قال: توكّلت على اللّه»[١].

وفي رواية قال: «اللّهمّ إنّي أسألك بحقّ محمّد وآل محمّد لمّا أنجيتني منها، فجعلها اللّه عليه برداً وسلاماً»[٢].

﴿وَأَرادُوا بِهِ كَيْداً فَجَعَلْناهُمُ الأَخْسَرِينَ﴾: أخسر من كلّ خاسر، عاد سعيهم برهاناً قاطعاً على أنّهم على الباطل، وإبراهيم على الحقّ.

﴿وَنَجَّيْناهُ وَلُوطاً إِلَى الأَرْضِ الَّتِي بارَكْنا فِيها لِلْعالَمِينَ﴾ قال: «إلى الشّام وسواد الكوفة»[٣].

﴿وَوَهَبْنا لَهُ إِسْحٰقَ وَيَعْقُوبَ نافِلَةً﴾. قال: «وَلَدُ الولدِ نافلة»[٤]. ﴿وَكُلّاً جَعَلْنا صالِحِينَ﴾.

﴿وَجَعَلْناهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنا﴾ قال: «لا بأمر النّاس، يقدّمون ما أمر اللّه قبل أمرهم، وحكم اللّه قبل حكمهم»[٥]. ﴿وَأَوْحَيْنا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الخَيْراتِ وَإِقامَ الصَّلاةِ وَإِيتاءَ الزَّكاةِ وَكانُوا لَنا عابِدِينَ﴾: موحّدين مخلصين في العبادة.

﴿وَلُوطاً آتَيْناهُ حُكْماً وَعِلْماً وَنَجَّيْناهُ مِنَ القَرْيَةِ الَّتِي كانَتْ تَعْمَلُ الخَبائِثَ إِنَّهُمْ كانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فاسِقِينَ﴾.

﴿وَأَدْخَلْناهُ فِي رَحْمَتِنا إِنَّهُ مِنَ الصّالِحِينَ﴾.

١ ـ الكافي ٨: ٣٦٩، ذيل الحديث: ٥٥٩، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.
٢ ـ الاحتجاج ١: ٥٥، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.
٣ ـ القمّي ٢: ٧٣، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.
٤ ـ معاني الأخبار: ٢٢٥، الحديث: ١، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.
٥ ـ الكافي ١: ٢١٦، الحديث: ٢، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

﴿وَ نُوحاً إِذْ نادىٰ﴾ ربّه بإهلاك قومه ﴿مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنا لَهُ فَنَجَّيْناهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾ .

﴿وَنَصَرْناهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا إِنَّهُمْ كانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْناهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ .

﴿وَداوُدَ وَسُلَيْمانَ إِذْ يَحْكُمانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ﴾: رعته ليلاً ﴿وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ﴾: حكم الحاكمين والمتحاكمين ﴿شاهِدِينَ﴾ .

﴿فَفَهَّمْناها سُلَيْمانَ وَكُلّاً آتَيْنا حُكْماً وَعِلْماً﴾ . قال: «كان أوحى اللّه إلى النّبيّين قبل داود إلى أن بعث داود: أيّ غنم نفشت في الحرث ، فلصاحب الحرث رقاب الغنم . ولايكون النّفش إلّا باللّيل ، فإنّ على صاحب الزّرع أن يحفظ زرعه بالنّهار ، وعلى صاحب الغنم حفظ الغنم باللّيل . فحكم داود بما حكم به الأنبياء من قبله . فأوحى اللّه إلى سليمان: أيّ غنم نفشت في زرع فليس لصاحب الزّرع إلّا ما خرج من بطونها ، وكذلك جرت السّنّة بعد سليمان ، وهو قول اللّه تعالى: ﴿وَكُلّاً آتَيْنا حُكْماً وَعِلْماً﴾ فحكم كلّ واحد منهما بحكم اللّه عزّوجلّ»[1] .

﴿وَسَخَّرْنا مَعَ داوُودَ الْجِبالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ﴾ . قال: «كان إذا قرأ الزّبور لا يبقى جبل ولا حجر ولا طائر إلّا جاوبه»[2] . وفي رواية: «إنّه بكى على خطيئته حتّى سارت الجبال معه لخوفه»[3] . ﴿وَكُنَّا فاعِلِينَ﴾ لأمثاله ، فليس ببدع منّا وإن كان عجيباً عندكم .

﴿وَعَلَّمْناهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ﴾: عمل الدّرع ، وهو في الأصل اللّباس ﴿لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ

١ ـ الكافي ٥: ٣٠٢ ، الحديث: ٣ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام ، مع تفاوت يسير .

٢ ـ الأمالي (للصّدوق): ٨٨ ، المجلس: ٢١ ، الحديث: ٨ ؛ كمال الدّين ٢: ٥٢٤ ، الباب: ٤٦ ، الحديث: ٦ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .

٣ ـ الاحتجاج ١: ٣٢٦ ، عن موسى بن جعفر ، عن أبيه عن آبائه ، عن أمير المؤمنين عليه السلام ، وفيه: «قال له اليهوديّ: هذا داود بكى على خطيئته حتّى سارت الجبل معه لخوفه . قال له عليّ عليه السلام : لقد كان كذلك . . .» .

بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شاكِرُونَ﴾ .

ورد: «أوحى اللّه إلى الحديد أن لِنْ لعبدي داود فَلان[1] له الحديد ، فكان يعمل في كلّ يوم درعاً فيبيعها بألف درهم ، واستغنى عن بيت المال»[2] .

﴿وَلِسُلَيْمانَ﴾: وسخّرنا له ﴿الرِّيحَ عاصِفَةً﴾: شديدة الهبوب ، يقطع مسافة كثيرة في مدّة يسيرة ، كما قال: "غُدُوُّها شَهْرٌ وَرَواحُها شَهْرٌ"[3] ﴿تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلى الأَرْضِ الَّتِي بارَكْنا فِيها﴾ . القمّي: إلى بيت المقدّس والشّام[4] . ﴿وَكُنّا بِكُلِّ شَيْءٍ عالِمِينَ﴾ فنجريه على ما تقتضيه الحكمة .

﴿وَمِنَ الشَّياطِينِ مَنْ يَغُوصُونَ لَهُ﴾ في البحار ويخرجون نفايسه ﴿وَيَعْمَلُونَ عَمَلاً دُونَ ذلِكَ﴾: ويتجاوزون ذلك إلى أعمال أُخر ، كبناء المُدُن والقصور واختراع الصّنائع الغريبة ، كما قال اللّه تعالى: "وَيَعْمَلُونَ لَهُ ما يَشاءُ مِنْ مَحارِيبَ وَتَماثِيلَ"[5] ﴿وَكُنّا لَهُمْ حافِظِينَ﴾ عن أن يزيغوا عن أمره ، أو يفسدوا على ما هو مقتضى جبلّتهم .

﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نادىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ﴾: المرض ؛ ابتلاه اللّه بالمرض في بدنه ، وهلاك أولاده ، وذهاب أمواله . ﴿وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرّاحِمِينَ﴾ . وَصَفَ ربّه بغاية الرّحمة بعد ما ذكر نفسه بما يوجبها ، واكتفى بذلك عن عرض المطلوب لطفاً في السّؤال .

﴿فَاسْتَجَبْنا لَهُ فَكَشَفْنا ما بِهِ مِنْ ضُرٍّ﴾ بالشّفاء من مرضه ﴿وَآتَيْناهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ﴾ . سئل: كيف أُوتي مثلهم معهم؟ قال: «أحيا له من ولده ، الّذين كانوا ماتوا قبل ذلك بآجالهم ، مثل الّذين هلكوا يومئذ»[6] . ويأتي تمام قصّته في «ص»[7] إن شاء اللّه ﴿رَحْمَةً مِنْ

١ ـ في المصدر: «فألان» .

٢ ـ الكافي ٥: ٧٤ ، الحديث: ٥ ، عن أبي عبد اللّه ، عن أمير المؤمنين عليهما السلام .

٣ ـ سبأ (٣٤): ١٢ .

٤ ـ القمّي ٢: ٧٤ .

٥ ـ سبأ (٣٤): ١٣ .

٦ ـ الكافي ٨: ٢٥٢ ، الحديث: ٣٥٤ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .

٧ ـ ذيل الآية: ٤١ .

عِنْدِنا﴾ عليه ﴿وَذِكْرىٰ﴾: وتذكرة ﴿لِلْعابِدِينَ﴾ .

﴿وَإِسْمٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ﴾ قال: «هو يوشع بن نون»[1] . ﴿كُلٌّ مِنَ الصّابِرِينَ﴾ .

﴿وَأَدْخَلْناهُمْ فِي رَحْمَتِنا إِنَّهُمْ مِنَ الصّالِحِينَ﴾ .

﴿وَذَا النُّونِ﴾ و[هو][2] صاحب الحوت يونس بن متّى ﴿إِذ ذَهَبَ مُغاضِباً﴾ لقومه ، لما برم لطول دعوتهم ، وشدّة شكيمتهم ، وتمادي إصرارهم ، مهاجراً عنهم قبل أن يؤمر به ، كما سبق[3] .

﴿فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ . قيل: أي: لن نضيق عليه ، أو لن نقضي عليه بالعقوبة من القدر ، أو لن نعمل فيه قدرتنا[4] . وقيل: هو تمثيل لحاله بحال من ظنّ أن لن نقدر عليه ، في مراغمته قومه من غير انتظار لأمرنا ، أو خطرة شيطانيّة سبقت إلى وهمه ، فسمّى ظنّاً للمبالغة[5] .

و ورد: «أي: استيقن أن لن نضيق عليه رزقه، ومنه قول الله عزّوجلّ: "وَأَمّا إذا ما ابتَلٰيهُ فَقَدَرَ عليه رِزْقَهُ"[6] أي: ضيّق وقتّر»[7] .

قال: «ولو ظنّ أنّ اللّه لا يقدر عليه لكان قد كفر»[8] .

وفي رواية يقول: «ظنّ أن لن يعاقب بما صنع»[9] .

١ ـ عيون أخبار الرضا عليه السلام ١: ٢٤٥ ، الباب: ٢٤ ، ذيل الحديث الطويل: ١ ، عن أمير المؤمنين عليه السلام .

٢ ـ ما بين المعقوفتين من «ألف» .

٣ ـ ذيل الآية: ٩٨ من سورة يونس .

٤ و ٥ ـ البيضاوي ٤: ٤٥ .

٦ ـ الفجر (٨٩): ١٦ .

٧ ـ عيون أخبار الرضا عليه السلام ١: ٢٠١ ، الباب: ١٥ ، قطعة من حديث: ١ .

٨ ـ المصدر: ١٩٣ ، الباب: ١٤ ، ذيل الحديث: ١ .

٩ ـ القمّي ٢: ٧٥ ، عن أبي جعفر عليه السلام .

وفي أُخرى سئل: ما كان سببه، حتّى ظنّ أن لن يقدر عليه؟ قال: «وكله اللّه إلى نفسه طرفة عين»[١].

﴿فَنادىٰ فِي الظُّـلُماتِ﴾ قال: «ظلمة اللّيل، وظلمة البحر، وظلمة بطن الحوت»[٢].

﴿أَنْ لا إِلـهَ إِلّا أَنْتَ سُبْحانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظّالِمِـينَ﴾ لنفسي بالمبادرة إلى المهاجرة. و ورد: «أي: بتركي مثل هذه العبادة الّتي قد فرغتني لها في بطن الحوت»[٣].

﴿فَاسْتَجَبْنا لَهُ وَنَـجَّيْناهُ مِنَ الغَمِّ﴾ بأن قذفه الحوت إلى السّاحل، وأنبت اللّه عليه شجرة من يقطين ﴿وَكَذٰلِكَ نُـنْجِي المُـؤْمِنِـينَ﴾ من غموم دعوا اللّه فيها بالإخلاص.

﴿وَزَكَرِيّا إِذ نادىٰ رَبَّهُ رَبِّ لا تَذَرْنِي فَرْداً﴾: وحيداً بلا ولد يرثني ﴿وَأَنْتَ خَيْرُ الوارِثِـينَ﴾ فإن لم ترزقني من يرثني فلا أُبالي به.

﴿فَاسْتَجَبْنا لَهُ وَوَهَبْنا لَهُ يَحْيىٰ وَأَصْلَحْنا لَـهُ زَوْجَـهُ﴾. قال: «كانت لا تحيض فحاضت»[٤]. ﴿إِنَّـهُمْ كانُوا يُسارِعُونَ فِي الخَيْراتِ وَيَدْعُونَنا رَغَباً وَرَهَباً وَكانُوا لَـنا خاشِعِـينَ﴾.

﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَها﴾. القمّي: مريم لم ينظر إليها شيء[٥]. ﴿فَنَفَخْنا فِيها مِنْ رُوحِنا﴾ قال: «روح مخلوقة، يعني من أمرنا»[٦]. ﴿وَجَعَلْناها وَابْنَها آيَةً لِلْعالَمِـينَ﴾.

﴿إِنَّ هٰـذِهِ أُمَّـتُكُمْ﴾: ملّتكم، وهي ملّة الاسلام والتّوحيد ﴿أُمَّـةً واحِـدَةً﴾: غير مختلفة فيما بين الأنبياء ﴿وَأَنَا رَبُّكُمْ﴾ لا إله لكم غيري ﴿فَاعْبُدُونِ﴾ لا غير.

﴿وَتَـقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ﴾: تفرّقوا في الدّين، وجعلوا أمره قطعاً موزّعة ﴿كُـلٌّ﴾ من

١ـ القمّي ٢: ٧٤، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٢ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ١: ٢٠١، الباب: ١٥، قطعة من حديث: ١.

٣ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ١: ٢٠١، الباب: ١٥، ذيل الحديث الطّويل: ١.

٤ و ٥ و ٦ـ القمّي ٢: ٧٥.

الفرق المتحزّبة[1] ﴿إِلَيْنا راجِعُونَ﴾ فنجازيهم.

﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ بالله ورسله ﴿فَلا كُفْرانَ لِسَعْيِهِ﴾: فلا تضييع له ﴿وَإِنَّا لَهُ كاتِبُونَ﴾ في صحيفة عمله.

﴿وَحَرامٌ عَلىٰ قَرْيَةٍ﴾: ممتنع على أهلها ﴿أَهْلَكْناها أَنَّهُمْ لا يَرْجِعُونَ﴾. قيل: «لا» مزيدة. يعني حرام رجوعهم إلى الدّنيا، أو إلى التّوبة[2]. وقيل: أي: حرام عدم رجوعهم للجزاء[3]. وورد ما يؤيّد الأوّل[4]. وقال: «كلّ قرية أهلك اللّه عزّوجلّ أهلها بالعذاب لا يرجعون في الرّجعة»[5].

﴿حَتَّىٰ إِذا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ﴾ سدّهما. القمّي: إذا كان في آخر الزّمان، خرج يأجوج ومأجوج إلى الدّنيا، ويأكلون النّاس[6]. ﴿وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ﴾: نَشز[7] من الأرض ﴿يَنْسِلُونَ﴾: يسرعون.

﴿وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذا هِيَ﴾. جوابُ الشّرط، و«إذا» للمفاجأة. ﴿شاخِصَةٌ أَبْصارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يا وَيْلَنا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هٰذا﴾: لم نعلم أنّه حقّ ﴿بَلْ كُنَّا ظالِمِينَ﴾ لأنفسنا بالإخلال بالنّظر، وعدم الاعتداد بالنّذر.

﴿إِنَّكُمْ وَما تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ يرمى به إليها؛ مِن حَصَبَه: إذا رماه بالحصباء. وفي قراءة عليّ عليه السلام بالطّاء[8]. ﴿أَنْتُمْ لَها وارِدُونَ﴾. عوّض «اللّام» مِن «على» للاختصاص، والدّلالة على أنّ ورودهم لأجلها.

١ ـ في «ب»: «المتجزّئة».
٢ و ٣ ـ البيضاوي ٤: ٤٦.
٤ ـ من لا يحضره الفقيه ١: ٢٧٦، ذيل الحديث: ٤٦، عن أمير المؤمنين عليه السلام.
٥ ـ القمّي ٢: ٧٢، عن أبي جعفر وأبي عبد اللّه عليهما السلام.
٦ ـ المصدر.
٧ ـ النَّشْزُ: المكان المرتفع. القاموس المحيط ٢: ٢٠١ (نشز).
٨ ـ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ٦٣، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

﴿لَوْ كانَ هٰؤُلاءِ آلِهَةً ما وَرَدُوها وَكُلٌّ فِيها خالِدُونَ﴾ .

﴿لَهُمْ فِيها زَفِيرٌ﴾: أنين[1] وتنفّس شديد ﴿وَهُمْ فِيها لا يَسْمَعُونَ﴾ .

ورد: «إنّ اللّه يأتي يوم القيامة بكلّ شيء يعبد من دونه؛ من شمس أو قمر أو غير ذلك، ثمّ يسأل كلّ إنسان عمّا كان يعبد؛ فيقول كلّ من عَبَدَ غير اللّه: ربّنا إنّا كنّا نعبدها لتقرّبنا إليك زلفى. قال: فيقول اللّه تبارك وتعالى للملائكة: اذهبوا بهم وبما كانوا يعبدون إلى النّار، ما خلا من استثنيت، فأُولئك عنها مبعدون»[2].

﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنىٰ أُولٰئِكَ عَنْها مُبْعَدُونَ﴾. القمّي: يعني الملائكة وعيسى بن مريم[3].

﴿لا يَسْمَعُونَ حَسِيسَها﴾: صوتها الّذي يحسّ به ﴿وَهُمْ فِيما اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خالِدُونَ﴾ .

﴿لا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقّاهُمُ الْمَلائِكَةُ هٰذا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ .

ورد: «يا عليّ أنت وشيعتك على الحوض تسقون من أحببتم وتمنعون من كرهتم، وأنتم الآمنون يوم الفزع الأكبر في ظلّ العرش، يفزع النّاس ولا تفزعون، ويحزن النّاس ولا تحزنون، وفيكم نزلت هذه الآية "إنّ الّذين سبقت لهم منّا الحسنى" الآية وفيكم نزلت: "لا يحزنهم الفزع الأكبر"»[4].

﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّماءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾ قيل: كطيّ الطّومار للمعاني المكتوبة فيه[5]. والقمّي: السّجلّ: اسمُ المَلَك الّذي يطوي الكتب. ومعنى نطويها: نفنيها، فتتحوّل

١ـ الأنين: الصوت المنبعث من الإنسان أو الحيوان من ألم أو حسرة. الرّائد ١: ٢٧٧ (أنن).

٢ـ قرب الإسناد: ٤١، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٣ـ القمّي ٢: ٧٦.

٤ـ الأمالي (للصّدوق): ٤٥١، المجلس: ٨٢، ذيل الحديث: ٢؛ بشارة المصطفى: ١٨١، عن أبي عبد اللّه، عن آبائه، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله.

٥ـ البيضاوي ٤: ٤٧.

دخاناً، والأرض نيراناً[1]. ﴿كَما بَدَأْنا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْداً عَلَيْنا﴾ أي: علينا إنجازه ﴿إِنّا كُنّا فاعِلِينَ﴾.

روي: «تحشرون يوم القيامة عراة حفاة عزلاً، كما بدأنا أوّل خلق نعيده»[2].

﴿وَلَقَدْ كَتَبْنا فِي الزَّبُورِ﴾ قال: «الّذي أنزل على داود»[3]. ﴿مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ﴾.

ورد: «الزّبور فيه توحيد وتمجيد ودعاء، وأخبار رسول اللّه صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين والأئمّة من ذرّيّتهما عليهم السلام، وأخبار الرّجعة، وذكر القائم صلوات اللّه عليه»[4].

﴿أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُها عِبادِيَ الصّالِحُونَ﴾. قال: «هم أصحاب المهديّ في آخر الزّمان»[5].

﴿إِنَّ فِي هٰذا﴾: فيما ذكر من الأخبار والمواعظ ﴿لَبَلاغاً﴾: لكفاية إلى البلوغ إلى البغية ﴿لِقَوْمٍ عابِدِينَ﴾: همّهم العبادة، دون العادة.

﴿وَما أَرْسَلْناكَ إِلّا رَحْمَةً لِلْعالَمِينَ﴾ لأنّ ما بعثت به سببٌ لإسعادهم، وموجبٌ لصلاح معاشهم ومعادهم، وكونه رحمة للكفّار أمنهم به من الخَسْف والمَسْخ وعذاب الاستيصال.

قال: «إنّما عنى بذلك أنّه جعله سبيلاً لأنظار أهل هذه الدّار، لأنّ الأنبياء قبله بُعثوا بالتّصريح لا بالتّعريض»[6].

﴿قُلْ إِنَّما يُوحىٰ إِلَيَّ أَنَّما إِلٰهُكُمْ إِلٰهٌ واحِدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾: مخلصون العبادة

١ـ القمّي ٢: ٧٧.
٢ـ مجمع البيان ٧ـ٨: ٦٦، عن النبيّ صلى الله عليه وآله.
٣ـ الكافي ١: ٢٢٦، الحديث: ٦، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.
٤ـ القمّي ٢: ١٢٦، ذيل الآية: ١٥ من سورة النّحل.
٥ـ مجمع البيان ٧ـ٨: ٦٦، عن أبي جعفر عليه السلام.
٦ـ الاحتجاج ١: ٣٨٠، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

لله على مقتضى الوحي. و ورد: «فهل أنتم مسلّمون الوصيّة بعدي[1]. نزلت مشدّدة»[2].

أقول: مآلهما واحد، لأنّ مخالفة الوصيّة عبادة للهوى.

﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ آذَنْتُكُمْ﴾: أعلمتكم ما أمرت به ﴿عَلَىٰ سَوَاءٍ﴾: عدل ﴿وَإِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ أَمْ بَعِيدٌ مَا تُوعَدُونَ﴾.

﴿إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ﴾: ما تجاهرون به من الطّعن في الاسلام ﴿وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ﴾ من الإحن والأحقاد للمسلمين، فيجازيكم عليه.

﴿وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ﴾: وما أدري لعلّ تأخير جزائكم استدراج لكم وزيادة في افتتانكم، أو امتحان لينظر كيف تعملون ﴿وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾: وتمتيع إلى أجل مقدّر تقتضيه مشيئته.

﴿قَالَ رَبِّ احْكُمْ بِالْحَقِّ﴾: اقض بيننا وبينهم بالعدل ﴿وَرَبُّنَا الرَّحْمَٰنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ بأنّ الشّوكة تكون لهم، وأنّ راية الاسلام تخفق أيّاماً ثمّ تسكن، وأنّ الموعد به لو كان حقّاً لنزل بهم، فأجاب الله دعوة رسوله، فخيّب أمانيّهم ونصر رسوله عليهم. والحمد لله.

١ ـ في المصدر: «الوصيّة لعليّ بعدي».
٢ ـ المناقب ٤: ٤٨، عن أبي عبد الله عليه السلام.

سورة الحجّ

[مدنيّة إلّا الآيات ٥٢ و ٥٣ و ٥٤ و ٥٥ فبين مكّة ومدينة ،
وآياتها ٧٨ نزلت بعد سورة النّور][1]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يا أيُّها النّاسُ اتّقوا رَبَّكُمْ إنَّ زَلْزَلَةَ السّاعَةِ شَيءٌ عَظِيمٌ﴾ . قيل: هي زلزلة تكون قُبَيْلَ طلوع الشّمس من مغربها ، وهي من أشراط السّاعة[2] .

﴿يَوْمَ تَرَوْنَها﴾: ترون الزّلزلة ﴿تَذهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمّا أرْضَعَتْ﴾ . قيل: هو تصوير لهولها ، والمراد الدّلالة على أنّ هولها بحيث إذا دَهِشَت الّتي ألقمت الرّضيع ثديها ، نزعته عن فيه وذهلت عنه[3] . ﴿وَتَضَعُ كُلُّ ذاتِ حَمْلٍ حَمْلَها﴾: جنينها ﴿وَتَرَى النّاسَ سُكارىٰ﴾: كأنّهم سكارى . القمّي : يعني ذاهبة عقولهم من الحزن والفزع ، متحيّرين[4] . ﴿وَما هُمْ بِسُكارىٰ﴾ على الحقيقة ﴿وَلٰكِنَّ عَذابَ اللّٰهِ شَدِيدٌ﴾ .

﴿وَمِنَ النّاسِ مَنْ يُجادِلُ فِي اللّٰهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾: يخاصم ﴿وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطانٍ مَرِيدٍ﴾:

١ ـ مابين المعقوفتين من «ب» .

٢ و ٣ ـ البيضاوي ٤: ٤٩ .

٤ ـ القمّي ٢: ٧٨ .

متجرّد للفساد، وأصله العُري. والقمّي: المريد: الخبيث[1].

﴿كُتِبَ عَلَيْهِ﴾: على الشيطان ﴿أَنَّهُ مَنْ تَوَلّاهُ﴾: تبعه ﴿فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ﴾ أي: كتب [عليه][2] إضلال من يتولّاه، لأنّه جُبِلَ عليه. ﴿وَيَهْدِيهِ إِلىٰ عَذابِ السَّعِيرِ﴾ بحمله على ما يؤدّي إليه.

﴿يا أَيُّهَا النّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ﴾: من إمكانه وكونه مقدوراً ﴿فَإِنّا خَلَقْناكُمْ﴾ أي: فانظروا في بدو خلقكم؛ فإنّه يُزيحُ ريبَكم. ﴿مِنْ تُرابٍ﴾ بخلق آدم منه، وبخلق الأغذية المتكوّن منها المنيّ منه. ﴿ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ﴾.

قال: «النّطفة تكون بيضاء مثل النّخامة الغليظة، فتمكثُ في الرّحم إذا صارت فيه أربعين يوماً، ثمّ تصير إلى علقة. قال: وهي علقة كعلقة دم المحجمة الجامدة، تمكث في الرّحم بعد تحويلها عن النّطفة أربعين يوماً، ثمّ تصير مضغة. قال: وهي مضغة لحم حمراء فيها عروق خضر مشتبكة، ثمّ تصير إلى عظم، وشقّ له السّمع والبصر، ورتّبت جوارحه»[3].

﴿مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾: تامّة وغير تامّة. قال: «"المُخَلَّقَة" هم الذّرّ الّذين خلقهم اللّه في صُلْبِ آدم، أخذ عليهم الميثاق، ثمّ أجراهم في أصلاب الرّجال وأرحام النّساء، وهم الّذين يخرجون إلى الدّنيا؛ حتّى يسألوا عن الميثاق، وأمّا قوله: "غَيْرِ مُخَلَّقَةٍ" فهم كلّ نَسَمَةٍ لم يخلقهم اللّه عزّوجلّ في صلب آدم حين خلق الذّرّ، وأخذ عليهم الميثاق، وهم النُّطَف من العزل والسّقط قبل أن ينفخ فيه الرّوح والحياة والبقاء»[4].

﴿لِنُبَيِّنَ لَكُمْ﴾. قال: «لنبيّن لكم أنّكم كنتم كذلك في الأرحام»[5]. ﴿وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحامِ ما نَشاءُ﴾. قال: «فلا يخرج سقطاً»[6]. ﴿إِلىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ وهو وقت الولادة:

١ ـ القمّي ٢: ٧٨.

٢ ـ الزيادة من «ب».

٣ ـ الكافي ٧: ٣٤٥، الحديث: ١٠، عن أبي جعفر عليه السلام.

٤ ـ الكافي ٦: ١٢، الحديث: ١، عن أبي جعفر عليه السلام.

٥ و ٦ ـ القمّي ٢: ٧٨، عن أبي جعفر عليه السلام.

«أدناه ستّة أشهر وأقصاه تسعة». كذا ورد[1]. وفي رواية: «إذا جاءت به لأكثر من سنة لم تصدّق»[2]. ﴿ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ﴾: كمالكم في القوّة والعقل. قال: «الاحتلام وهو أشُدُّه»[3].

﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفّى﴾ قبل بلوغ الأشدّ أو بعده ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلى أَرْذَلِ الْعُمُرِ﴾: الهَرِم والخَرِف ﴿لِكَيْلا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً﴾ ليعود كهيئته في أوان الطّفوليّة؛ من سخافة العقل وقلّة الفهم. فينْسىٰ ما علمه وينكر ما عرفه. وقد مضى تمام تفسيره في سورة النّحل[4]. ﴿وَتَرَى الأَرْضَ هامِدَةً﴾: ميتة يابسة ﴿فَإِذا أَنْزَلْنا عَلَيْهَا الْماءَ اهْتَزَّتْ﴾: تحركّت بالنّبات ﴿وَرَبَتْ﴾: وانتفخت ﴿وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ﴾: صنف ﴿بَهِيجٍ﴾: حسن رائق.

﴿ذلِكَ﴾: ما ذكر من خلق الإنسان في أطوار مختلفة، وتحويله على أحوال متضادّة، وإحياء الأرض بعد موتها ﴿بِأَنَّ اللّهَ هُوَ الْحَقُّ﴾: بأنّه الثّابت في ذاته الّذي به تتحقّق الأشياء. ﴿وَأَنَّهُ يُحْيِ الْمَوْتى﴾: وأنّه يقدر على إحيائها، وإلّا لَما أحيى النّطفة والأرض الميتة. ﴿وَأَنَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿وَأَنَّ السّاعَةَ آتِيَةٌ لا رَيْبَ فِيها﴾ فإنّ التّغيّر دليل الإنصرام والتّجدّد. ﴿وَأَنَّ اللّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾ بمقتضى وعده.

قال: «إذا أراد اللّه أن يبعث الخلق أمطر السّماء على الأرض أربعين صباحاً، فاجتمعت الأوصال ونبتت اللّحوم»[5].

١ ـ الكافي ٥: ٥٦٣، الحديث: ٣٢ عن أبي عبد اللّه عليه السلام؛ المصدر ٦: ٥٢، الحديث: ٢، عن أمير المؤمنين عليه السلام؛ الحديث: ٣، عن أبي جعفر عليه السلام.

٢ ـ الكافي ٦: ١٠١، الحديث: ٣، عن الصادق أو الكاظم عليهما السلام.

٣ ـ الكافي ٧: ٦٨، الحديث: ٢، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٤ ـ ذيل الآية: ٧٠.

٥ ـ الأمالي (للصدوق): ١٤٩، الحديث: ٥؛ القمّي ٢: ٢٥٣، ذيل الآية: ٦٨ من سورة الزّمر. تحريرات في الأصول ←

وفي رواية قال: «قال رسول الله ﷺ لجبرئيل: يا جبرئيل أرني كيف يَبْعَثُ اللّه تبارك وتعالى العبادَ يوم القيامة؟ قال: نعم، فخرج إلى مقبرة بني ساعدة، فأتى قبراً فقال له: اُخرج بإذن الله، فخرج رجل[1] يَنْفُضُ رأسه من التراب وهو يقول: والَهْفاهُ ـ واللَّهْف: الثُّبور ـ ثمّ قال: اُدخل، فدخل. ثمّ قصد به إلى قبر آخر، فقال: اُخرج بإذن الله، فخرج شابٌ يَنْفُضُ رأسه من التّراب. وهو يقول: أشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمّداً عبده ورسوله، وأشهد "أنَّ السّاعَةَ آتِيَةٌ لا رَيْبَ فيها، وَأنَّ اللّهَ يَبْعَثُ مَنْ في القُبُور"، ثمّ قال: هكذا يُبْعَثون يوم القيامة»[2].

﴿وَمِنَ النّاسِ مَنْ يُجادِلُ فِي اللّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلا هُدىً وَلا كِتابٍ مُنِيرٍ﴾. قال: «من خاصم الخلقَ في غير ما يؤمر به، فقد نازع الخالقيّةَ والرّبوبيّةَ، ثمّ تلا هذه الآية وقال: وليس أحد أشدّ عقاباً ممّن ليس قميصَ النّسك بالدّعوى، بلا حقيقة ولا معنى»[3].

﴿ثانِيَ عِطْفِهِ﴾: متكبّراً، فإنّ ثَنْيَ العِطْفِ كنايةٌ عن التّكبّر، كليّ الجِيد[4]. القمّي: تولّى عن الحقّ[5]. ﴿لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللّهِ لَهُ فِي الدُّنْيا خِزْيٌ وَنُذِيقُهُ يَوْمَ القِيامَةِ عَذابَ الحَرِيقِ﴾.

﴿ذٰلِكَ بِما قَدَّمَتْ يَداكَ وَأَنَّ اللّهَ لَيْسَ بِظَلّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾. القمّي: نزلت في أبي جهل[6].

﴿وَمِنَ النّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللّهَ عَلىٰ حَرْفٍ﴾: على طرف من الدّين لاثبات له فيه، كالّذي يكون على طرف الجيش، فإن أحسّ على ظَفَرٍ قرّ، وإلّا فرّ.

← أبي عبد الله ؑ.

١ ـ في «ب»: «شابّ».

٢ ـ قرب الإسناد: ٥٨، الحديث: ١٨٧، عن أبي عبد الله ؑ.

٣ ـ مصباح الشّريعة، ٥٧، الباب: ٢٥، عن أبي عبد الله ؑ.

٤ ـ أي: التواء العُنُق تكبّراً.

٥ و ٦ ـ القمّي ٢: ٧٩.

قال: «هم قوم وحّدوا اللّه، وخلعوا عبادة من يعبد من دون اللّه، فخرجوا من الشّرك، ولم يعرفوا أنّ محمّداً رسول اللّه، فهم يعبدون اللّه على شكّ في محمّد وما جاء به. فأتوا رسول اللّه ﷺ وقالوا: ننظر، فإن كثرت أموالنا وعوفينا في أنفسنا وأولادنا؛ علمنا أنّه صادق وأنّه رسول اللّه، وإن كان غير ذلك نظرنا»[1].

﴿فَإِنْ أَصابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ﴾ قال: «يعني عافية في الدّنيا»[2]. ﴿وَإِنْ أَصابَتْهُ فِتْنَةٌ﴾ قال: «يعني بلاء في نفسه»[3]. ﴿انْقَلَبَ عَلىٰ وَجْهِهِ﴾ قال: «انقلب على شكّه[4] إلى الشّرك»[5]. ﴿خَسِرَ الدُّنْيا وَالآخِرَةَ﴾ بذهاب عصمته وحبوط عمله بالارتداد. ﴿ذٰلِكَ هُوَ الْخُسْرانُ الْمُبِينُ﴾.

﴿يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللّهِ ما لا يَضُرُّهُ وَما لا يَنْفَعُهُ﴾. قال: «ينقلب مشركاً يدعو غير اللّه ويعبد غيره، فمنهم من يعرف فيدخل الايمان قلبه فيؤمن، ويصدّق ويزول عن منزلته من الشكّ إلى الإيمان، ومنهم من يثبت على شكّه[6]، ومنهم من ينقلب إلى الشّرك»[7]. ﴿ذٰلِكَ هُوَ الضَّلالُ الْبَعِيدُ﴾ عن المقصد.

﴿يَدْعُوا لَمَنْ ضَرُّهُ﴾ بكونه معبوداً ﴿أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ﴾ الّذي يتوقّع بعبادته. لأنّه يوجب القتل في الدّنيا، والعذاب في الآخرة. ﴿لَبِئْسَ الْمَوْلىٰ﴾: النّاصر ﴿وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ﴾: الصّاحب.

﴿إِنَّ اللّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّالِحاتِ جَنّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهارُ إِنَّ اللّهَ يَفْعَلُ ما يُرِيدُ﴾.

﴿مَنْ كانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللّهُ فِي الدُّنْيا وَالآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّماءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ ما يَغِيظُ﴾. قيل: معناه أنّ اللّه ناصر رسوله في الدّنيا والآخرة، فمن كان يظنّ خلاف ذلك ويتوقّعه من غيظه، فليستقص في إزالة غيظه، بأن

١ و ٢ و ٣ و ٥ و ٧ ـ الكافي ٢: ٤١٣ ـ ٤١٤، الحديث: ٢، عن أبي جعفر عليه السلام.

٤ و ٦ ـ في «ب»: «على شكله».

يفعلَ كلّ ما يفعله الممتلئ غضباً ، حتّى يمدّ حبلاً إلى سماء بيته فيختنق ؛ مِن قَطَعَ: إذا اختنق ؛ أو إلى سماء الدّنيا ، ثمّ ليقطع به المسافة ، فيجتهد في دفع نصره[١] . وقيل: المراد بالنّصر الرّزق ، والضّمير لـ«من»[٢] .

والقمّي ما معناه: يعني من شكّ أنّ اللّه عزّوجلّ لن يثيبه[٣] في الدّنيا والآخرة ، "فليمدد بسبب إلى السّماء" ، أي: يجعل بينه وبين اللّه دليلاً ، "ثمّ ليقطع" ، أي: يميّز ، "فلينظر هل يذهبنّ كيده" ، أي حيلته "ما يغيظ" . قال: فإذا وضع لنفسه سبباً وميّز ، دلّه على الحقّ . قال: فأمّا العامّة فإنّهم رووا[٤] في ذلك: إنّه من لم يصدّق بما قال اللّه عزّوجلّ ، فليلق حبلاً إلى سقف البيت ، ثمّ ليختنق[٥] .

﴿وَكَذٰلِكَ أَنْزَلْناهُ آياتٍ بَيِّناتٍ وَأَنَّ اللّٰهَ يَهْدِي مَنْ يُرِيدُ﴾ .

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هادُوا وَالصّابِئِينَ وَالنَّصارىٰ وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللّٰهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ﴾ بالحكومة بينهم ، وإظهار المحقّ منهم من المبطل ، وجزاء كلٍّ بما يليق به ﴿إِنَّ اللّٰهَ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ .

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللّٰهَ يَسْجُدُ لَهُ﴾: ينقاد لأمره ﴿مَنْ فِي السَّماواتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النّاسِ﴾ .

قال بعض أهل المعرفة: وهذا سجود ذاتيّ ، نشأ عن تجلٍّ تجلّىٰ لهم فانبعثوا إليه ؛ وهي العبادة الذّاتيّة ، الّتي أقامهم اللّه فيها بحكم الاستحقاق الّذي يستحقّه[٦] ، وقد مضى تمام

١ ـ البيضاوي ٤: ٥٦ ؛ الكشّاف ٣: ٨ .

٢ ـ التّبيان ٧: ٢٩٨ ؛ الدّرّ المنثور ٦: ١٥ ؛ البيضاوي ٤: ٥١ .

٣ ـ في جميع النّسخ: «يثيبه» بدون «لن» والصحيح ما أثبتناه كما في المصدر .

٤ ـ الدّرّ المنثور ٦: ١٦ ، عن الضحّاك وقتادة .

٥ ـ القمّي ٢: ٧٩ ـ ٨٠ .

٦ ـ أسرار الآيات (الصدر المتألّهين): ٨٠ .

تفسيره في سورة النّحل[١].

﴿وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذابُ﴾ بكفره وإبائه عن الطّاعة والانقياد. ﴿وَمَنْ يُهِنِ اللّهُ فَما لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللّهَ يَفْعَلُ ما يَشاءُ﴾.

﴿هذانِ خَصْمانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾ المؤمنون والكافرون. قال: «نحن وبنوأُميّة؛ نحن قلنا: صدق اللّه ورسوله، وقالت بنو أُميّة: كذب اللّه ورسوله»[٢]. ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾. فصلٌ لخصومتهم. قيل: وهو المعنيّ بقوله تعالى: "إِنَّ اللّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ"[٣]. ﴿قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيابٌ مِنْ نارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُؤُسِهِمُ الْحَمِيمُ﴾: الماء الحارّ.

﴿يُصْهَرُ بِهِ ما فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ﴾ أي: يؤثّر من فرط حرارته في باطنهم تأثيره في ظاهرهم، فتُذاب به أحشاؤهم، كما تُذاب به جلودُهم.

﴿وَلَهُمْ مَقامِعُ مِنْ حَدِيدٍ﴾: سياط يُجْلَدون بها. القمّي: الأعمدة الّتي يضربون بها[٤]. ورد: «لو وضع مقمع من حديد في الأرض، ثمّ اجتمع عليه الثّقلان ما أقلّوه من الأرض»[٥].

﴿كُلَّما أَرادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْها مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيها﴾ ضرباً بتلك الأعمدة.

ورد: «إنّ جهنّم إذا دخلوها هَوَوْا فيها مسيرة سبعين عاماً، فإذا بلغوا أعلاها قمعوا بمقامع الحديد وأُعيدوا في دَرَكِها، هذه حالهم. وهو قول اللّه تعالى "كُلَّما أَرادُوا، الآية".»[٦].

﴿وَذُوقُوا عَذابَ الْحَرِيقِ﴾: النّار البالغة في الإحراق.

﴿إِنَّ اللّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّالِحاتِ جَنّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ

١ ـ ذيل الآية: ٥٠.

٢ ـ الخصال ١: ٤٢، الحديث: ٣٥، عن حسين بن عليّ عليهما السلام؛ القمّي ٢: ٨٠.

٣ ـ الكشّاف ٣: ٩؛ البيضاوي ٤: ٥٢.

٤ ـ القمّي ٢: ٨٠.

٥ ـ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ٧٨؛ الدرّ المنثور ٦: ٢٢، عن النّبيّ صلّى اللّه عليه وآله.

٦ ـ القمّي ٢: ٨١، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

يُحَلَّوْنَ فِيها مِنْ أَساوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤاً وَلِباسُهُمْ فِيها حَرِيرٌ ﴾ .

﴿ وَهُدُوا إِلى الطَّيِّبِ مِنَ القَوْلِ ﴾ . القمّي: التّوحيد والإخلاص[١] . ﴿ وَهُدُوا إِلىٰ صِراطِ الحَمِيدِ ﴾ . قال: «هو واللّه هذا الأمر الّذي أنتم عليه»[٢] .

و ورد: «ذاك حمزة وجعفر وعبيدة وسلمان وأبو ذرّ والمقداد بن الأسود وعمّار ، هدوا إلى أمير المؤمنين عليه السلام »[٣] .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللّهِ وَالمَسْجِدِ الحَرامِ الَّذِي جَعَلْناهُ لِلنّاسِ ﴾ . حذف خبره لدلالة آخر الآية عليه ، أي: معذّبون . القمّي: نزلت في قريش ، حين صدّوا رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله عن مكّة[٤] . ﴿ سَواءً العاكِفُ فِيهِ ﴾ قال: «المقيم»[٥] . ﴿ وَالبادِ ﴾ قال: «الّذي يحجّ إليه من غير أهله ـ كتب أمير المؤمنين عليه السلام إلى عامله بمكّة: ـ وأمر أهل مكّة أن لا يأخذوا من ساكنٍ أجراً ، فإنّ اللّه يقول: "سَواءً" الآية»[٦] .

و ورد: «لم يكن ينبغي أن يُوضَعَ[٧] على دور مكّة أبوابٌ لأنّ للحاجّ[٨] أن ينزلوا معهم في دورهم ، في ساحة الدّار ، حتّى يقضوا مناسكهم ، وإنّ أوّل من جعل لدور مكّة أبواباً معاوية»[٩] .

وفي رواية: «إنّ معاوية أوّل من علّق على بابه مصراعين بمكّة ، فمنع حاجَّ بيت اللّه ما قال اللّه عزّوجلّ "سواءً العاكف فيه والباد" وكان النّاس إذا قدموا مكّة نزل البادي على

١ ـ القمّي ٢: ٨٣ .
٢ ـ المحاسن: ١٦٩ ، الباب: ٣٥ ، الحديث: ١٣٣ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .
٣ ـ الكافي ١: ٤٢٦ ، الحديث: ٧١ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .
٤ ـ القمّي ٢: ٨٣ .
٥ ـ نهج البلاغة: ٤٥٨ ، الكتاب: ٦٧ ، وفيه: «المقيم به» .
٦ ـ المصدر ، وفيه: «ومُرْ أهل مكّة . . .» .
٧ ـ في المصدر: «أن يصنع» .
٨ ـ في «ب»: «للحجّاج» .
٩ ـ علل الشّرائع ٢: ٣٩٦ ، الباب: ١٣٥ ، الحديث: ١ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .

الحاضر ، حتّى يقضي حجّه»[1] .

﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحادٍ﴾: عدول عن القصد ﴿بِظُلْمٍ﴾: بغير حقّ ، وهو ممّا ترك مفعوله ليتناول كلّ متناول . ﴿نُذِقْهُ مِنْ عَذابٍ أَلِيمٍ﴾ .

قال: «من عبد فيه غير اللّه أو تولّى فيه غير أولياء اللّه ؛ فهو ملحد بظلم ، وعلى اللّه أن يذيقه من عذاب أليم»[2] .

وقال: «كلّ ظلم يَظْلِمُ به الرّجلُ نفسَه بمكّة ؛ من سرقة أو ظلم أحد أو شيء من الظّلم، فإنّي أراه إلحاداً ، ولذلك كان ينهى أن يسكن الحرم»[3] .

و ورد: «نزلت فيهم ، حيث دخلوا الكعبة فتعاهدوا وتعاقدوا على كفرهم ، وجحودهم بما نزل في أمير المؤمنين عليه السلام ، فألحدوا في البيت بظلمهم الرّسولَ ووليّه ، فبُعْداً للقوم الظّالمين»[4] .

﴿وَإِذْ بَوَّأْنا لِإِبْراهِيمَ مَكانَ الْبَيْتِ أَنْ لا تُشْرِكْ بِي شَيْئاً وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ . مضى تفسيره في سورة البقرة[5] .

﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ﴾: نادِ فيهم ﴿بِالْحَجِّ﴾ بأن تدعوهم إليه ﴿يَأْتُوكَ رِجالاً﴾: مُشاةً وركباناً ﴿وَعَلى كُلِّ ضامِرٍ﴾: على كلّ بعير مهزول، أتعبه بُعْدُ السّفر فهزله. ﴿يَأْتِينَ﴾. صفةٌ لـ«ضامر». وفي قراءتهم عليهم السلام «يأتون»[6]. ﴿مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾: طريق بعيد الأطراف.

ورد: «إنّ اللّه جلّ جلاله لمّا أمر إبراهيم عليه السلام ينادي في النّاس بالحجّ ، قام على المقام فارتفع به ، حتّى صار بإزاء أبي قبيس ، فنادى في النّاس بالحجّ ، فأسمع مَنْ في أصلاب

١ ـ الكافي ٤: ٢٤٣ ، الحديث: ١ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .
٢ ـ الكافي ٨: ٣٣٧ ، الحديث: ٥٣٣ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .
٣ ـ علل الشّرائع ٢: ٤٤٥ ، الباب: ١٩٦ ، الحديث: ١ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .
٤ ـ الكافي ١: ٤٢١ ، الحديث: ٤٤ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .
٥ ـ ذيل الآية: ١٢٥ .
٦ ـ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ٨٠ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .

الرّجال وأرحام النّساء، إلى أن تقوم السّاعة»[١].

وفي رواية: «إنّ الخطاب لرسول الله ﷺ في حجّة الوداع، فأمر المؤذّنين أن يؤذّنوا بأعلى أصواتهم» الحديث، في لفظٍ هذا معناه[٢].

﴿لِيَشْهَدُوا﴾: ليحضروا ﴿مَنَافِعَ لَهُمْ﴾ دينيّة ودنيويّة. سئل: منافع الدّنيا أو منافع الآخرة؟ فقال: «الكلّ»[٣].

وقال: «لا يشهد أحد إلّا نفعه الله، أمّا أنتم فترجعون مغفوراً لكم، وأمّا غيركم فيحفظون في أهاليهم وأموالهم»[٤].

وفي رواية علل الحجّ: «ومنفعة من [هو][٥] في شرق الأرض وغربها، ومن في البرّ والبحر ممّن يَحُجُّ ومن لا يَحُجُّ، من تاجر وجالب وبايع ومشتر وكاسب ومسكين، وقضاء حوائج أهل الأطراف»[٦].

وفي أُخرى: «مع ما فيه من التّفقّه، ونقل أخبار الأئمّة إلى كلّ صُقْعٍ وناحية كما قال الله تعالى: "فَلَوْلاَ نَفَرَ" الآية»[٧].

﴿وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ﴾. قال: «هو التّكبير عقيب خمس عشرة صلاة، أوّلها ظهر العيد»[٨]. ﴿فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ﴾ قال: «أيّام التّشريق»[٩]. وفي رواية: «[هي][١٠]

١ ـ علل الشّرائع ٢: ٤٢٠، ذيل الحديث: ٢، عن أبي جعفر ﷺ.
٢ ـ الكافي ٤: ٢٤٥، الحديث: ٤، عن أبي عبد الله ﷺ.
٣ ـ المصدر: ٤٢٢، الحديث: ١، عن أبي عبد الله ﷺ.
٤ ـ المصدر: ٢٦٤، ذيل الحديث: ٤٦، عن أبي عبد الله ﷺ.
٥ ـ الزّيادة من «ألف».
٦ ـ عيون أخبار الرّضا ﷺ ٢: ٩٠، الباب: ٣٣، ذيل الحديث: ١.
٧ ـ المصدر: ١١٩، الباب: ٣٤، ذيل الحديث الطويل: ١، والآية في سورة التوبة (٩): ١٢٢.
٨ ـ عوالي اللئالي ٢: ٨٨، الحديث: ٢٣٧، عن أبي عبد الله ﷺ.
٩ ـ معاني الأخبار: ٢٩٧، الحديث: ٢، عن أبي عبد الله ﷺ.
١٠ ـ ما بين المعقوفتين لم ترد في «ألف» والمصدر.

أيّام العشر»[١]. ﴿عَلىٰ ما رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الأنْعامِ فَكُلُوا مِنها وَأَطْعِمُوا البائِسَ الفَقِيرَ﴾. قال: «البائس: الفقير»[٢]. وفي رواية: «هو الزّمن الّذي لا يستطيع أن يخرج لزمانته[٣]»[٤].

﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ﴾: ثمّ ليزيلوا وَسَخَهم. قال: «التَّفَثُ: هو الحلق، وما في جلد الإنسان»[٥]. وفي رواية: «تقليم الأظفار وطرح الوَسَخ وطرح الإحرام[٦] عنه»[٧]. وورد في تأويله: «لقاء الإمام»[٨].

أقول: جهة الاشتراك هو التّطهير، فإنّ أحدهما تطهير عن الأوساخ الظّاهرة، والآخر عن الجهل والعمى.

﴿وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ﴾ قال: «تلك المناسك»[٩]. ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ العَتِيقِ﴾ قال: «هو طواف النّساء»[١٠]. قال: «سمّي البيت العتيق لأنّه أُعتق[١١] من الغرق»[١٢]. وفي رواية: «حرّ عتيق من النّاس، لم يملكه أحد»[١٣].

﴿ذٰلِكَ﴾ الأمر. «ذلك» ومثله يطلق للفصل بين الكلامين. ﴿وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُماتِ

١ ـ معاني الأخبار: ٢٩٧، الحديث: ١، عن أبي عبد الله عليه السلام.

٢ ـ الكافي ٤: ٥٠٠، الحديث: ٦؛ التّهذيب ٥: ٢٢٣، الحديث: ٩٠، عن أبي عبد الله عليه السلام.

٣ ـ لزمانته: أي لمرضه الّذي يدوم عليه زماناً طويلاً. مجمع البحرين ٦: ٢٦٠ (زمن).

٤ ـ الكافي ٤: ٤٦، الحديث: ٤، عن أبي عبد الله عليه السلام.

٥ ـ الكافي ٤: ٥٠٣، الحديث: ٨، عن أبي عبد الله عليه السلام.

٦ ـ في «ب» و«ج»: «الأجرام».

٧ ـ من لا يحضره الفقيه ٢: ٢٩٠، الحديث: ١٤٣٦، عن الرّضا عليه السلام.

٨ ـ الكافي ٤: ٥٤٩، ذيل الحديث: ٤؛ من لا يحضره الفقيه ٢: ٢٩٠، الحديث: ١٤٣٢ عن أبي عبد الله عليه السلام.

٩ ـ المصدر؛ من لا يحضره الفقيه ٢: ٢٩١، الحديث: ١٤٣٧، عن أبي عبد الله عليه السلام.

١٠ ـ التّهذيب ٥: ٢٥٣، الحديث: ٨٥٥، عن أبي عبد الله عليه السلام.

١١ ـ في «ألف»: «عتق».

١٢ ـ علل الشّرائع ٢: ٣٩٩، الباب: ١٤٠، الحديث: ٤، عن أبي عبد الله عليه السلام.

١٣ ـ المصدر، الحديث: ٣، عن أبي جعفر عليه السلام.

اللّهِ﴾: أحكامه وما لا يحلّ هتكه ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الأَنْعامُ إِلّا ما يُتْلى عَلَيْكُمْ﴾ كالميتة وما أُهلّ به لغير اللّه ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الأَوْثانِ﴾: الرّجس الّذي هو الأوثان، كما يجتنب الأنجاس. ﴿وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾: كلّ افتراء.

روى: «عدلت شهادة الزّور بالشّرك باللّه، ثمّ قرأ هذه الآية»[١].

وفي رواية: «الرّجس من الأوثان: الشّطرنج، وقول الزّور: الغناء»[٢].

وزيد في أُخرى: «وسائر أنواع القمار، وسائر الأقوال الملهية»[٣].

﴿حُنَفاءَ لِلّهِ﴾ قال: «أي: طاهرين»[٤] ﴿غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللّهِ فَكَأَنَّما خَرَّ مِنَ السَّماءِ﴾ لأنّه سَقَطَ من أوج الإيمان إلى حضيض الكفر. ﴿فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ﴾ فإنّ الأهواء المردية توزّع أفكاره. ﴿أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكانٍ سَحِيقٍ﴾: بعيد، فإنّ الشّيطان قد طَرَحَ به في الضّلالة.

﴿ذٰلِكَ﴾: الأمر ذلك ﴿وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعائِرَ اللّهِ﴾: أعلام دينه ﴿فَإِنَّها مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾. القمّي: تعظيم البدن وجودتها[٥].

﴿لَكُمْ فِيها مَنافِعُ إِلىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى﴾. قال: «إن احتاج إلى ظهرها رَكِبَها من غير أن يعنف عليها، وإن كان لها لبن حلبها حلاباً لا ينهكها[٦]»[٧]. ﴿ثُمَّ مَحِلُّها إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾.

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ﴾: أهل دين ﴿جَعَلْنا مَنْسَكاً﴾: متعبّداً، وقرباناً يتقرّبون به إلى اللّه

١ ـ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ٨٢، عن النّبيّ ﷺ.

٢ ـ الكافي ٦: ٤٣٥، الحديث: ٢؛ و٤٣٦، الحديث ٦؛ معاني الأخبار: ٣٤٩، الحديث: ١، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٣ ـ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ٨٢.

٤ ـ القمّي ٢: ٨٤، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٥ ـ القمّي ٢: ٨٤.

٦ ـ نهك الضّرع نهكاً: استوفى جميع ما فيه. القاموس المحيط ٣: ٣٣٢ (نهك).

٧ ـ الكافي ٤: ٤٩٣، الحديث: ١؛ من لا يحضره الفقيه ٢: ٣٠٠، الحديث: ١٤٩٣، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

﴿لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ﴾ دون غيره، ويجعلوا نسيكتهم لوجهه. فيه تنبيه على أنّ المقصود من المناسك تذكّر المعبود. ﴿عَلىٰ ما رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعامِ﴾ عند ذبحها ﴿فَإِلٰهُكُمْ إِلٰهٌ واحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا﴾: أخلِصوا التّقرّبَ والذّكرَ، ولا تَشوبُوه بالإشراك ﴿وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ﴾: الخاشعين.

﴿الَّذِينَ إِذا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ هيبة منه، لإشراق[1] أشعّة جلاله عليها ﴿وَالصّابِرِينَ عَلىٰ ما أَصابَهُمْ﴾ من المصائب ﴿وَالْمُقِيمِي الصَّلاةِ﴾ في أوقاتها ﴿وَمِمّا رَزَقْناهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ في وجوه الخير.

﴿وَالْبُدْنَ جَعَلْناها لَكُمْ مِنْ شَعائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيها خَيْرٌ﴾: منافع دينيّة ودنيويّة ﴿فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْها صَوافَّ﴾ قائمات، قد صففن أيديهنّ وأرجلهنّ. قال: «ذلك حين تصفّ للنّحر، تَرْبِطُ يديها ما بين الخفّ إلى الرّكبة»[2].

﴿فَإِذا وَجَبَتْ جُنُوبُها﴾ قال: «إذا وقعت على الأرض»[3]. ﴿فَكُلُوا مِنْها وَأَطْعِمُوا الْقانِعَ وَالْمُعْتَرَّ﴾.

قال: «القانع: الّذي يرضى بما أعطيته، ولا يسخط ولا يَكْلَحُ[4] ولا يلوي شِدْقه[5] غضباً، والمعترّ: المارّ بك لتطعمه»[6].

ورد: «أطعِمْ أهلَك ثُلثاً وأطعِمِ القانعَ ثلثاً وأطعم المسكين ثُلثاً. قيل: المسكين هو السّائل؟ قال: نعم. والقانع: يقنع بما أرسلت اليه من البضعة فما فوقها، والمعترّ يعتريك لا يسألك»[7].

١ـ في «ألف» و«ج»: «لإشراف».
٢ و ٣ـ الكافي ٤: ٤٩٧، الحديث: ١، عن أبي عبد الله ﷺ.
٤ـ الكُلُوح: تكشّر في عبوس. الصّحاح ١: ٣٩٩ (كلح).
٥ـ ألوى شدقه: أعرض به. والشِدق: جانب الفم. مجمع البحرين ١: ٣٨١؛ و ٥: ١٨٩ (لوا ـ شدق).
٦ـ الكافي ٤: ٤٩٩، الحديث: ٢؛ معاني الأخبار: ٢٠٨، الحديث: ١، عن أبي عبد الله ﷺ.
٧ـ معاني الأخبار: ٢٠٨، الحديث: ٢، عن أبي عبد الله ﷺ.

وفي رواية: «ينبغي أن يطعم ثلثه، ويعطي القانع والمعترّ ثلثه، ويهدي لأصدقائه الثّلث الباقي»[١]. ﴿كَذٰلِكَ سَخَّرْناها لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

﴿لَنْ يَنالَ اللّهَ لُحُومُها وَلا دِماؤُها﴾ من حيث أنّها لحوم ودماء ﴿وَلٰكِنْ يَنالُهُ التَّقْوىٰ مِنْكُمْ﴾: ما يَصْحَبُه من تقوى قلوبكم، الّتي تدعوكم إلى أمر اللّه وتعظيمه، والتّقرّب إليه والإخلاص له.

سئل: ما علّة الأُضحيّة؟ قال: «إنّه يغفر لصاحبها عند أوّل قطرة تَقْطُرُ من دمها إلى الأرض، وليعلم اللّه عزّوجلّ من يتّقيه بالغيب. قال اللّه عزّوجلّ: "لَنْ يَنالَ اللّهَ لُحُومُها" الآية. ثمّ قال: أنظر كيف قبل اللّه قربان هابيل، ورَدّ قربان قابيل»[٢].

﴿كَذٰلِكَ سَخَّرَها لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللّهَ﴾: لتعرفوا عظمته باقتداره على ما لا يقدر عليه غيره، فتوحّدوه بالكبرياء. والقمّي: التّكبير أيّام التّشريق عقيب الصّلوات[٣]. ﴿عَلىٰ ما هَداكُمْ﴾: أرشدكم إلى طريق تسخيرها، وكيفيّة التّقرّب بها. ﴿وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ﴾: المخلصين فيما يأتونه ويذرونه.

﴿إِنَّ اللّهَ يُدافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ غائلة المشركين ﴿إِنَّ اللّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ خَوّانٍ﴾ في أمانة اللّه ﴿كَفُورٍ﴾ لنعمته، كمن يتقرّب إلى الأصنام بذبيحته.

﴿أُذِنَ﴾: رُخِّصَ ﴿لِلَّذِينَ يُقاتَلُونَ﴾ المشركين، أي: في القتال ﴿بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا﴾: بسبب أنّهم ظلموا.

قال: «لم يؤمر رسولُ اللّه صلّى الله عليه وآله بقتال، ولا أُذن له فيه حتّى نزل جبرئيل بهذه الآية، وقلّده سيفاً»[٤].

١ ـ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ٨٦، عنهم عليهم السلام.

٢ ـ علل الشّرائع ٢: ٤٣٧، الباب: ١٧٨، الحديث: ٢، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٣ ـ القمّي ٢: ٨٤.

٤ ـ مجمع البيان ١ ـ ٢: ٨٧، عن أبي جعفر عليه السلام، مع تفاوت في اللفظ.

وروي: «كان المشركون يؤذون المسلمين، لا يزال يجيء مشجوج[1] ومضروب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، ويشكون ذلك إليه. فيقول لهم: اصبروا فإنّي لم أُؤمَرْ بالقتال حتّى هاجر فأنزل الله عليه هذه الآية بالمدينة. وهي أوّل آية نزلت في القتال»[2]. ﴿وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾.

﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ﴾. قال: «نزلت في المهاجرين، وجرت في آل محمّد عليهم السلام الّذين أُخرجوا من ديارهم وأُخيفوا»[3].

وفي رواية: «نزلت في رسول الله وعليّ وحمزة وجعفر عليهم السلام وجرت في الحسين عليه السلام»[4].

القمّي: الحسين عليه السلام حين طلبه يزيد ليحمله إلى الشّام، فهرب إلى الكوفة، وقُتِلَ بالطّفّ[5].

﴿إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾ يعني أنّهم لم يخرجوهم إلّا لقولهم: "رَبُّنَا اللَّهُ". ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾ بتسليط المؤمنين منهم على الكافرين ﴿لَّهُدِّمَتْ﴾: لخربت، باستيلاء المشركين على أهل الملل ﴿صَوَامِعُ﴾: صوامع الرّهبانيّة ﴿وَبِيَعٌ﴾: وبيع النّصارى ﴿وَصَلَوَاتٌ﴾: كنائس اليهود. قيل: أصلها «صلوثا» بالثّاء المثلّثة بالعبريّة، بمعنى المصلّى فعُرّبت[6]. وفي قراءتهم عليهم السلام بضمّ الصّاد واللّام[7]. ﴿وَمَسَاجِدُ﴾: مساجد

---

١ ـ الشّجّة والشّجاج والشّجّ: أن يضربه بشيء فيجرحه ويشقّه. وهو في الرأس خاصّة، ثمّ استعمل في غيره من الأعضاء. مجمع البحرين ١: ٣١٢ (شجج).

٢ ـ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ٨٧؛ البيضاوي ٤: ٥٥.

٣ ـ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ٨٧، عن أبي جعفر عليه السلام.

٤ ـ الكافي ٨: ٣٣٨، ذيل الحديث: ٥٣٤، عن أبي جعفر عليه السلام.

٥ ـ القمّي ٢: ٨٤.

٦ ـ الكشّاف ٣: ١٦؛ البيضاوي ٤: ٥٦.

٧ ـ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ٨٥، عن أبي جعفر عليه السلام.

المسلمين ﴿يُذكَرُ فِيها اسْمُ اللّهِ كَثِيراً وَلَيَنصُرَنَّ اللّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾.

﴿الَّذِينَ إِن مَكَّنّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلّهِ عاقِبَةُ الأُمُورِ﴾.

قال: «فهذه لآل محمّد إلى آخر الآية. والمهديّ وأصحابه، يملّكهم اللّه مشارقَ الأرض ومغاربها، ويظهر الدّين، ويميت اللّه به وبأصحابه البدعَ والباطلَ، كما أمات الشّقاة الحقّ، حتّى لا يرى أين الظّلم»[1]. ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر.

﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعادٌ وَثَمُودُ﴾.

﴿وَقَوْمُ إِبْراهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ﴾.

﴿وَأَصْحابُ مَدْيَنَ وَكُذِّبَ مُوسى﴾. قيل: غيّر فيه النّظم، لأنّ قومه لم يكذّبوه، وإنّما كذّبه القبط، ولأنّ تكذيبه كان أشنع، وآياته كانت أعظم وأشيع[2]. ﴿فَأَمْلَيْتُ لِلْكافِرِينَ﴾: فأمهلتهم، حتّى انصرمت آجالهم المقدّرة ﴿ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كانَ نَكِيرِ﴾: إنكاري عليهم بتغيير النّعمة محنةً، والحياة هلاكاً، والعمارة خراباً.

﴿فَكَأَيِّن مِن قَرْيَةٍ أَهْلَكْناها وَهِيَ ظالِمَةٌ﴾ أي: أهلها ﴿فَهِيَ خاوِيَةٌ عَلى عُرُوشِها﴾: ساقطة حيطانُها على سقوفها ﴿وَبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ﴾: لا يُستقى منها، لهلاك أهلها ﴿وَقَصْرٍ مَشِيدٍ﴾: مرتفع، أخليناه عن ساكنيه.

قال: «البئر المعطّلة: الإمام الصّامت، والقصر المشيد: الإمام النّاطق»[3].

أقول: إنّما كنّى عن الإمام الصّامت بالبئر، لأنّه منبع العلم الّذي هو سبب حياة

١ ـ القمّي ٢: ٨٧، عن أبي جعفر عليه السلام، مع تفاوت يسير.

٢ ـ البيضاوي ٤: ٥٦.

٣ ـ الكافي ١: ٤٢٧، الحديث: ٧٥، عن الكاظم عليه السلام؛ كمال الدّين ٢: ٤١٧، الباب: ٤٠، الحديث: ١٠؛ معاني الأخبار: ١١١، الحديث: ١ و٢، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

الأرواح ، مع خفائه إلّا على من أتاه ؛ كما أنّ البئر منبع الماء الّذي هو سبب حياة الأبدان ، مع خفائها إلّا على من أتاها . وكنّى عن صَمْتِه بالتّعطيل ، لعدم الانتفاع بعلمه ، وكنّى عن الإمام النّاطق بالقصر المشيد ، لظهوره وعلوّ منصبه وإشادة ذكره .

وورد في قوله: ﴿وَبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ﴾: «أي: وكم من عالم لا يُرْجَعُ إليه ، ولا يُنْتَفَعُ بعلمه»[1] .

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ قال: «أو لم ينظروا في القرآن»[2] . ﴿فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِها أَوْ آذانٌ يَسْمَعُونَ بِها فَإِنَّها لا تَعْمَى الْأَبْصارُ وَلٰكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ عن الاعتبار . أي: ليس الخلل في مشاعرهم ، وإنّما إيفت[3] عقولهم باتّباع الهوى ، والإنهماك في التّقليد . ورد: «إنّما العمى عمى القلب»[4] . ثمّ تلا الآية .

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذابِ﴾ المتوعَّد به ﴿وَلَنْ يُخْلِفَ اللّٰهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْماً عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمّا تَعُدُّونَ﴾ يعني: «يوم القيامة» . كذا ورد[5] .

﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَها﴾ كما أمهلتكم ﴿وَهِيَ ظالِمَةٌ﴾ مثلكم ﴿ثُمَّ أَخَذْتُها وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ .

﴿قُلْ يا أَيُّهَا النّاسُ إِنَّما أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ .

﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّالِحاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ .

﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آياتِنا﴾ بالرّدّ والإبطال ﴿مُعاجِزِينَ﴾: مسابقين مشاقّين للسّاعين فيها بالقبول والتّحقيق ؛ مِنْ عاجزه فأعجزه ، إذا سابقه فَسَبَقَه . ﴿أُولٰئِكَ أَصْحابُ الْجَحِيمِ﴾ .

١ ـ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ٨٩ ، في تفسير أهل البيت عليهم السلام .
٢ ـ الخصال ٢: ٣٩٦ ، ذيل الحديث: ١٠٢ ، عن أبي عبد الله عليه السلام .
٣ ـ قد إيف الزرع ، أي: أصابته آفة . الصّحاح ٤: ١٣٣٣ (أوف) .
٤ ـ من لا يحضره الفقيه ١: ٢٤٨ ، الحديث: ٢٠ ، عن أبي جعفر عليه السلام ؛ وفيه: «إنّما الأعمى أعمى القلب» .
٥ ـ الإرشاد (للمفيد): ٣٦٥ ، في ذكر قيام القائم عليه السلام ، عن أبي جعفر عليه السلام .

﴿وَما أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلا نَبِيٍّ﴾ زاد: «ولا محدَّث»[١] بفتح الدّال.

قال: «الرّسول: الّذي يظهر له المَلَكُ فيكلّمه. والنّبيّ: هو الّذي يرى في منامه، وربّما اجتمعت النّبوّة والرّسالة لواحد. والمحدَّث: الّذي يَسْمَعُ الصّوتَ ولا يَرى الصّورة»[٢].

و ورد: «إنّ الأئمّة كانوا محدَّثين، كانوا يَسْمَعون الصّوت ولا يرون المَلَكَ»[٣].

﴿إِلَّا إِذا تَمَنَّى﴾. قال: «تمنّى مفارقةَ ما يعاينه من نفاق قومه وعقوقهم، والانتقال عنهم إلى دار الإقامة»[٤]. ﴿أَلْقَى الشَّيْطانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾ قال: «ألقى الشّيطان المعرّض بعداوته، عند فقده في الكتاب الّذي أُنزل عليه، ذمَّه والقَدْحَ فيه والطّعنَ عليه»[٥].

﴿فَيَنْسَخُ اللَّهُ ما يُلْقِي الشَّيْطانُ﴾. قال: «ينسخ اللّه ذلك من قلوب المؤمنين فلا تقبله[٦]، ولا يصغى إليه غير قلوب المنافقين والجاهلين»[٧].

﴿ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آياتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ قال: «بأن يَحْميَ أولياءه من الضّلال والعدوان[٨]، ومشايعة أهل الكفر والطّغيان، الّذين لم يرض اللّه أن يجعلهم كالأنعام، حتّى قال "بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً"[٩]»[١٠].

وفي رواية: «إنّ رسول اللّه صلّى الله عليه وآله أصابه خصاصةٌ، فجاء إلى رجل من الأنصار فقال له: هل عندك من طعام؟ قال: نعم يا رسول اللّه، وذَبَحَ له عَناقا[١١] وشواه، فلمّا أدناه منه تمنّى

١ ـ الكافي ١: ١٧٦ ـ ١٧٧، الحديث: ١ و ٤، عن أبي جعفر وأبي عبد اللّه عليهما السلام.

٢ ـ الكافي ١: ١٧٧، الحديث: ٤، عن الصادقين عليهما السلام.

٣ ـ المصدر: ١٧٠ ـ ١٧١، الأحاديث: ١، ٣ و ٤، عن أبي جعفر، وأبي الحسن، وأبي عبد اللّه عليهم السلام.

٤ و ٥ ـ الاحتجاج ١: ٣٨٣، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

٦ ـ في «ب»: «فلا يقبله».

٧ ـ الاحتجاج ١: ٣٨٣، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

٨ ـ في «ب»: «من الضّلال والعدوان والكفران».

٩ ـ الفرقان (٢٥): ٤٤.

١٠ ـ الاحتجاج ١: ٣٨٣، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

١١ ـ العَنَاقُ: الأُنثى من ولد المعز، والجمع: أَعْنُقٌ وعُنُوق. الصّحاح ٤: ١٥٣٤ (عنق).

رسول اللّه أن يكون معه عليّ وفاطمة والحسن والحسين صلوات اللّه عليهم، فجاء أبو بكر وعمر، ثمّ جاء عليّ بعدهما، فأنزل اللّه في ذلك "وما أرسلنا" الآية. يعني أبا بكر وعمر. "فينسخ اللّه ما يلقي الشّيطان" يعني لمّا جاء عليّ عليه السلام بعدهما. "ثمّ يحكم اللّه آياته" للنّاس، يعني ينصر اللّه أمير المؤمنين عليه السلام»[1].

﴿لِيَجْعَلَ ما يُلْقِي الشَّيْطانُ فِتْنَةً﴾. قال: «يعني فلاناً وفلاناً»[2]. ﴿لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ قال: «شك»[3]. ﴿وَالقاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظّالِمِينَ لَفِي شِقاقٍ بَعِيدٍ﴾.

﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ أَنَّهُ الحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ﴾ بالانقياد والخشية ﴿وَإِنَّ اللّهَ لَهادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلىٰ صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾.

﴿وَلا يَزالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ حَتّىٰ تَأْتِيَهُمُ السّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾. القمّي: العقيم: الّذي لا مثل له في الأيّام[4].

﴿المُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِلّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّالِحاتِ فِي جَنّاتِ النَّعِيمِ﴾.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآياتِنا فَأُولٰئِكَ لَهُمْ عَذابٌ مُهِينٌ﴾.

﴿وَالَّذِينَ هاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ ماتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللّهُ رِزْقاً حَسَناً وَإِنَّ اللّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرّازِقِينَ﴾.

﴿لَيُدْخِلَنَّهُمْ مُدْخَلاً يَرْضَوْنَهُ وَإِنَّ اللّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾. روي: «إنّهم قالوا: يا رسول اللّه هؤلاء الّذين قُتِلوا قد عَلِمْنا ما أعطاهم اللّه من الخير، ونحن نجاهد معك كما جاهدوا،

١ ـ القمّي ٢: ٨٥، عن أبي عبد اللّه عليه السلام، مع تفاوت يسير.
٢ ـ القمّي ٢: ٨٦، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.
٣ ـ لم نعثر عليه.
٤ ـ القمّي ٢: ٨٦.

فما لنا أن مُتْنا معك؟ فأنزل اللّه هاتين الآيتين»[1] .

﴿ذٰلِكَ وَمَنْ عاقَبَ بِمِثْلِ ما عُوقِبَ بِهِ﴾ ولم يَزِدْ في الاقتصاص ﴿ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ﴾ بالمعاودة إلى العقوبة ﴿لَيَنْصُرَنَّهُ اللّٰهُ﴾ لا محالة للمنتصر .﴿إِنَّ اللّٰهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾

القمّي: هو رسول اللّهﷺ لمّا أخرجته قريش من مكّة ، وهرب منهم إلى الغار وطلبوه ليقتلوه ، فعاقبهم اللّه يوم بدر ، فلمّا قبض رسول اللّهﷺ ، طلب بدمائهم فقتل الحسين وآل محمّد صلوات اللّه عليهم بغياً وعدواناً ، لينصرنّه اللّه بالقائمعليه السلام من ولده[2] . هذا ملخّص ما قاله .

﴿ذٰلِكَ﴾ أي: ذلك النّصر ﴿بِأَنَّ اللّٰهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهارِ وَيُولِجُ النَّهارَ فِي اللَّيْلِ﴾ بسبب أنّ اللّه قادر على تغليب بعض الأُمور على بعض ، والمُداوَلَةِ بين الأشياء المتعاندة .

﴿وَأَنَّ اللّٰهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾: يسمع قول المعاقِب والمعاقَب ، يبصر أفعالهما فلا يمهلهما .

﴿ذٰلِكَ بِأَنَّ اللّٰهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ ما يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْباطِلُ وَأَنَّ اللّٰهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ .

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللّٰهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً﴾ . إنّما عدل عن صيغة الماضي ، للدّلالة على بقاء أثر المطر زماناً بعد زمان . ﴿إِنَّ اللّٰهَ لَطِيفٌ﴾: يَصِلُ علمُه إلى كلّ ما جَلَّ ودَقَّ . ﴿خَبِيرٌ﴾ بالتّدابير الظّاهرة والباطنة .

﴿لَهُ ما فِي السَّماواتِ وَما فِي الْأَرْضِ وَإِنَّ اللّٰهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ .

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللّٰهَ سَخَّرَ لَكُمْ ما فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّماءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللّٰهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ .

١ ـ جوامع الجامع: ٣٠٣.

٢ ـ القمّي ٢: ٨٦.

﴿وَهُوَ الَّذِي أَحْياكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ الإِنْسانَ لَكَفُورٌ﴾ .

﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنا مَنْسَكاً﴾: شريعةً ومذهباً ﴿هُمْ ناسِكُوهُ﴾: يتديّنون به ، ويذهبون إليه ﴿فَلا يُنازِعُنَّكَ﴾ سائرُ أرباب الملل ﴿فِي الأَمْرِ﴾: في أمر الدّين . قيل: إنّهم قالوا للمسلمين: مالكم تأكلون ما قَتَلْتُم ولا تأكلون ما قَتَلَه اللّه! يعنون الميتة ، فنزلت[١] ﴿وَادْعُ إِلىٰ رَبِّكَ﴾: إلى توحيده وعبادته ﴿إِنَّكَ لَعَلىٰ هُدىً مُسْتَقِيمٍ﴾ .

﴿وَإِنْ جادَلُوكَ فَقُلِ اللّهُ أَعْلَمُ بِما تَعْمَلُونَ﴾ من المجادلة الباطلة ، فيجازيكم عليها ؛ وهو وعيد فيه رِفْق .

﴿اللّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ القِيامَةِ فِيما كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ من أمر الدّين .

﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللّهَ يَعْلَمُ ما فِي السَّماءِ وَالأَرْضِ إِنَّ ذٰلِكَ فِي كِتابٍ إِنَّ ذٰلِكَ عَلَى اللّهِ يَسِيرٌ﴾ .

﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللّهِ ما لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطاناً﴾: حجّةً تدلّ على جواز عبادته .

﴿وَما لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ وَما لِلظّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ﴾ .

﴿وَإِذا تُتْلىٰ عَلَيْهِمْ آياتُنا بَيِّناتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا المُنْكَرَ﴾: الإنكار لفَرْط نكيرهم للحقّ ، وغيظهم لأباطيل أخذوها تقليداً . ﴿يَكادُونَ يَسْطُونَ﴾: يَثِبُون ويَبْطُشُون ﴿بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آياتِنا قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذٰلِكُمُ﴾ من غيظكم على التّالين ، وضجرِكم ممّا تلوا عليكم ﴿النّارُ وَعَدَهَا اللّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَبِئْسَ المَصِيرُ﴾ النّار .

﴿يا أَيُّها النّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ﴾ استماع تدبّر وتفكّر ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللّهِ﴾ يعني الأصنام ﴿لَنْ يَخْلُقُوا ذُباباً﴾: لا يقدرون على خلقه مع صِغَرِه ﴿وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ﴾: ولو تعاونوا على خلقه . ﴿وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبابُ شَيْئاً لا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ

١ـ الكشّاف ٣: ٢١ ؛ البيضاوي ٤: ٦٠ .

﴿ضَعُفَ الطّالِبُ وَالمَطْلُوبُ﴾ فكيف يكونون آلهةً قادرين على المقدورات كلّها؟!

قال: «كانت قريش تَلْطَخ الأصنام الّتي كانت حول الكعبة بالمِسْكِ والعنبر، وكانوا إذا دخلوا خرّوا سجّداً لها، إلى أن قال: فبعث اللّه ذباباً أخضر، له أربعة أجنحة، فلم يبق من ذلك المِسْكِ والعنبر شيئاً إلّا أكله، فأنزل اللّه الآية»[١].

﴿ما قَدَرُوا اللّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾: ما عرفوه حقّ معرفته، حيث أشركوا به، وسمّوا باسمه ما هو أبعد الأشياء عنه مناسبة. وقد مرّ فيه حديث في الأنعام[٢]، ويأتي حديث آخر في الزّمر[٣] إن شاء اللّه. ﴿إِنَّ اللّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ لا يغلبه شيء.

﴿اللّهُ يَصْطَفِي مِنَ المَلائِكَةِ رُسُلاً﴾: سَفَرَة يتوسّطون بينه وبين الأنبياء بالوحي.

﴿وَمِنَ النّاسِ﴾ رسلاً يدعون سائرهم إلى الحقّ، ويبلّغون إليهم ما نزل عليهم. ﴿إِنَّ اللّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾.

﴿يَعْلَمُ ما بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَما خَلْفَهُمْ وَإِلَى اللّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ﴾.

﴿يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الخَيْرَ﴾. ورد: «جُعِل الخيرُ كلُّه في بيت، وجُعِل مفتاحُه الزّهدَ في الدّنيا»[٤]. ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

﴿وَجاهِدُوا فِي اللّهِ حَقَّ جِهادِهِ﴾ الأعداء الظّاهرة والباطنة. ورد: «أعدى عدوّك نفسُك الّتي بين جنبيك»[٥] ﴿هُوَ اجْتَباكُمْ﴾: اختاركم لدينه ولنصرته. قال: «إيّانا عنى[٦]، ونحن المجتبون»[٧].

١ـ الكافي ٤: ٥٤٢، الحديث: ١١، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.
٢ـ ذيل الآية: ٩١.
٣ـ ذيل الآية: ٦٧.
٤ـ الكافي ٢: ١٢٨، الحديث: ٢، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.
٥ـ عوالي اللآلي ٤: ١١٨، الحديث: ١٨٧، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله.
٦ـ في «ج»: «إيّانا عنى خاصّة».
٧ـ الكافي ١: ١٩١، الحديث: ٤، عن أبي جعفر عليه السلام.

﴿وَما جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ قال: «يقول: من ضيق»[1] ﴿مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْراهِيمَ﴾ قال: «إيّانا عنى خاصّة»[2]. ﴿هُوَ سَمّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ﴾ قال: «اللّه سمّانا المسلمين»[3]. ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ قال: «في الكتب الّتي مضت»[4]. ﴿وَفِي هٰذا﴾: القرآن ﴿لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَداءَ عَلَى النّاسِ﴾.

قال: «فرسول اللّه الشّهيد علينا بما بلّغنا عن اللّه، ونحن الشّهداء على النّاس يوم القيامة. فمن صدّق يوم القيامة صدّقناه، ومن كذّب كذّبناه»[5].

وفي الحديث النّبويّ: «عنى بذلك ثلاثة عشر رجلاً خاصّة دون هذه الأُمّة، ثمّ قال ﷺ: أنا وأخي وأحد عشر من ولدي»[6].

﴿فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكاةَ﴾: فتقرّبوا إلى اللّه بأنواع الطّاعات، لما خصّكم بهذا الفضل والشّرف. ﴿وَاعْتَصِمُوا بِاللّهِ﴾: وثقوا به في جميع أُموركم ﴿هُوَ مَوْلاكُمْ﴾: ناصِرُكم ومتولّي أُموركم. ﴿فَنِعْمَ الْمَوْلىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ هو.

١ ـ قرب الإسناد: ٨٤، الحديث: ٢٧٧، عن أبي عبد اللّه، عن أبيه، عن النّبيّ ﷺ.

٢ و ٣ و ٤ و ٥ ـ الكافي ١: ١٩١، الحديث: ٤، عن أبي جعفر ﷺ.

٦ ـ كمال الدّين ١: ٢٧٩، الباب: ٢٤، ذيل الحديث: ٢٥، وفيه ما هذا نصّه: «عنى بذلك ثلاثة عشر رجلاً خاصّة دون هذه الأُمّة. قال سلمان: بيّنهم لي يا رسول اللّه. قال: أنا وأخي عليّ وأحد عشر من ولدي».

سورة المؤمنون

[وهي مائة وثماني عشر آية][1]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ قال: «المسلمون، إنّ المسلمين هم النّجباء»[2].

﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خاشِعُونَ﴾ «بغضّ البصر والإقبال على الصّلاة». كذا ورد[3].

﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ قال: «عن الغناء والملاهي»[4]. و ورد: «كلّ قول ليس فيه ذكر فهو لغو»[5]

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكاةِ فاعِلُونَ﴾.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حافِظُونَ﴾.

١ ـ مابين المعقوفتين من «ب».

٢ ـ الكافي ١: ٣٩١، الحديث: ٥؛ بصائر الدّرجات: ٥٢٠، الباب: ٢٠، الحديث: ١، عن أبي جعفر عليه السلام. وفي الكافي و«ج»: «المسلّمون، إنّ المسلّمين هم النجباء» بالتشديد.

٣ ـ القمّي ٢: ٨٨، عن أبي عبد الله عليه السلام.

٤ ـ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ٩٩؛ القمّي ٢: ٨٨.

٥ ـ الإرشاد (للمفيد): ١٥٧، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

﴿إِلّا عَلىٰ أَزْواجِهِمْ أَوْ ما مَلَكَتْ أَيْمانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾ .

﴿فَمَنِ ابْتَغىٰ وَراءَ ذٰلِكَ فَأُولٰئِكَ هُمُ العادُونَ﴾ .

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَماناتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ راعُونَ﴾ .

﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلىٰ صَلَواتِهِمْ يُحافِظُونَ﴾ القمّي: على أوقاتها وحدودها[١] . ورد: «هي الفريضة ، وعلى صلواتهم دائمون ، هي النّافلة»[٢] .

﴿أُولٰئِكَ هُمُ الوارِثُونَ﴾ .

﴿الَّذِينَ يَرِثُونَ الفِرْدَوْسَ هُمْ فِيها خالِدُونَ﴾ قال: «ما منكم من أحد إلّا وله منزلان ؛ منزلٌ في الجنّة ومنزلٌ في النّار ، فإن مات ودخل النّار ورث أهلُ الجنّة منزلَه»[٣] .

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنا الإِنْسانَ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طِينٍ﴾ . القمّي: السّلالة: الصّفوة من الطّعام والشّراب الّذي يصير نطفة[٤] .

﴿ثُمَّ جَعَلْناهُ نُطْفَةً فِي قَرارٍ مَكِينٍ﴾ .

﴿ثُمَّ خَلَقْنا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنا العَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنا المُضْغَةَ عِظاماً فَكَسَوْنا العِظامَ لَحْماً﴾ . سبق تفسيرها[٥] . ﴿ثُمَّ أَنْشَأْناهُ خَلْقاً آخَرَ﴾ قال: «هو نفخ الرّوح فيه»[٦] .

﴿فَتَبارَكَ اللّٰهُ أَحْسَنُ الخالِقِينَ﴾ . قال: «أخبر أنّ في عباده خالقين [وغير خالقين][٧] ؛ منهم عيسى بن مريم ، خلق من الطّين كهيئة الطّير بإذن اللّه ، والسّامريّ خلق لهم عجلاً جسداً له خوار»[٨] .

﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذٰلِكَ لَمَيِّتُونَ﴾ .

١ ـ القمّي ٢: ٨٩ .

٢ ـ الكافي ٣: ٢٧٠ ، الحديث: ١٢ ، عن أبي جعفر عليه السلام .

٣ ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ٢: ٦٥ ، الباب: ٣١ ، الحديث: ٢٨٨ ، عن أمير المؤمنين عليه السلام ؛ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ٩٩ ، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله .

٤ ـ القمّي ٢: ٨٩ .

٥ ـ ذيل الآية: ٥ من سورة الحجّ .

٦ ـ القمّي ٢: ٩١ ، عن أبي جعفر عليه السلام .

٧ ـ مابين المعقوفتين لم ترد في المصدر .

٨ ـ التّوحيد: ٦٣ ، الباب: ٢ ، ذيل الحديث الطّويل: ١٨ ، عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام .

﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ تُبْعَثُونَ﴾.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرائِقَ﴾: سبع سماوات. قيل: سمّاها طرائق، لأنّها طورق بعضها فوق بعض مطارقة النّعل، وكلّ ما فوقه مثله فهو طريقة[1]. ﴿وَما كُنّا عَنِ الْخَلْقِ غافِلِينَ﴾.

﴿وَأَنْزَلْنا مِنَ السَّماءِ ماءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنّاهُ فِي الْأَرْضِ﴾ قال: «فهي الأنهار والعيون والآبار»[2]. ﴿وَإِنّا عَلىٰ ذَهابٍ بِهِ لَقادِرُونَ﴾.

﴿فَأَنْشَأْنا لَكُمْ بِهِ جَنّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنابٍ لَكُمْ فِيها فَواكِهُ كَثِيرَةٌ﴾ تتفكّهون بها ﴿وَمِنْها تَأْكُلُونَ﴾ تغذّياً.

﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْناءَ﴾ القمّي: شجرة الزّيتون[3]. ﴿تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِلْآكِلِينَ﴾ أي: تنبت بالشّيء الجامع بين كونه دُهْناً يُدْهَنُ به ويُسْرَجُ منه، وكونه إداماً يُصْبَغُ فيه الخبز، أي: يُغْمَسُ فيه للائتدام.

﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمّا فِي بُطُونِها﴾ من الألبان ﴿وَلَكُمْ فِيها مَنافِعُ كَثِيرَةٌ﴾ في ظهورها وأصوافها وشعورها ﴿وَمِنْها تَأْكُلُونَ﴾.

﴿وَعَلَيْها وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ﴾ في البرّ والبحر.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنا نُوحاً إِلىٰ قَوْمِهِ فَقالَ يا قَوْمِ اعْبُدُوا اللّٰهَ ما لَكُمْ مِنْ إِلٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلا تَتَّقُونَ﴾.

﴿فَقالَ الْمَلَأُ﴾: الأشراف ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ﴾ لعوامّهم: ﴿ما هٰذا إِلّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شاءَ اللّٰهُ﴾ أن يرسل رسولاً ﴿لَأَنْزَلَ مَلائِكَةً ما سَمِعْنا بِهٰذا فِي آبائِنَا الْأَوَّلِينَ﴾ أي: التّوحيد الّذي يدعونا إليه.

١ ـ البيضاوي ٤: ٦٣؛ الكشّاف ٣: ٢٨.

٢ ـ القمّي ٢: ٩١، عن أبي جعفر عليه السلام.

٣ ـ القمّي ٢: ٩١.

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ﴾: جنون ﴿فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ لعلّه يُفيقُ من جنونه .

﴿قَالَ رَبِّ انْصُرْنِي﴾ عليهم بإهلاكهم ﴿بِمَا كَذَّبُونِ﴾: بسبب تكذيبهم إيّاي .

﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا﴾: بحفظنا ، أن تخطئ فيه ، أو يفسد عليك مفسد ﴿وَوَحْيِنَا﴾: وأمرنا وتعليمنا كيف تصنع ﴿فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا﴾ بنزول العذاب ﴿وَفَارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا﴾: فادخل فيها ﴿مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾: الذكر والأُنثى ﴿وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ﴾ بإهلاكه لكفره ﴿وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ بالدّعاء بالإنجاء ﴿إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ﴾ .

﴿فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلْكِ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ .

﴿وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾ . قد سبق تمام القصّة في سورة هود[1] .

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ﴾: وإنّه كنّا لممتحنين عبادنا بهذه الآيات .

ورد: «إنّ اللّه قد أعاذكم من أن يجور عليكم ، ولم يُعِذْكُمْ من أن يبتليكم ، ثمّ تلا هذه الآية»[2] .

﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ﴾ هم عاد أو ثمود .

﴿فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ﴾ هو هود أو صالح ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ .

﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ﴾: ونعّمناهم ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ﴾ .

١ ـ ذيل الآيات: ٣٠ إلى ٤٥ .

٢ ـ نهج البلاغة: ١٥٠ ، الخطبة: ١٠٣ .

﴿وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَراً مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذاً لَخاسِرُونَ﴾ حيث أذللتم أنفسكم.

﴿أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُراباً وَعِظاماً أَنَّكُمْ مُخْرَجُونَ﴾ من الأجداث.

﴿هَيْهاتَ هَيْهاتَ﴾: بَعُدَ ﴿لِما تُوعَدُونَ﴾. اللّام للبيان، كما في هَيْتَ لك.

﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَياتُنَا الدُّنْيا نَمُوتُ وَنَحْيا﴾: يموت بعضنا ويُولَدُ بعض ﴿وَما نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾.

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرىٰ عَلَى اللهِ كَذِباً وَما نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿قالَ رَبِّ انْصُرْنِي بِما كَذَّبُونِ﴾.

﴿قالَ عَمّا قَلِيلٍ لَيُصْبِحُنَّ نادِمِينَ﴾.

﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ﴾: صيحة جبرئيل، صاح عليهم صيحة هائلة، تصدّعت منها قلوبهم فماتوا ﴿فَجَعَلْناهُمْ غُثاءً﴾. قال: «الغثاء: اليابس الهامد[1] من نبات الأرض»[2].

﴿فَبُعْداً لِلْقَوْمِ الظّالِمِينَ﴾. يحتمل الإخبار والدّعاء.

﴿ثُمَّ أَنْشَأْنا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُوناً آخَرِينَ﴾.

﴿ما تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَها﴾: الوقت الّذي قُدِّرَ لهلاكها ﴿وَما يَسْتَأْخِرُونَ﴾ الأجل.

﴿ثُمَّ أَرْسَلْنا رُسُلَنا تَتْرا﴾: متواترين واحداً بعد واحد ﴿كُلَّما جاءَ أُمَّةً رَسُولُها كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنا بَعْضَهُمْ بَعْضاً﴾ في الهلاك ﴿وَجَعَلْناهُمْ أَحادِيثَ﴾: لم يبق منهم إلّا حكايات يُسْمَرُ بها ﴿فَبُعْداً لِقَوْمٍ لا يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿ثُمَّ أَرْسَلْنا مُوسىٰ وَأَخاهُ هٰرُونَ بِآياتِنا وَسُلْطانٍ مُبِينٍ﴾.

﴿إِلىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَائِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكانُوا قَوْماً عالِينَ﴾: متكبّرين.

﴿فَقالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنا وَقَوْمُهُما لَنا عابِدُونَ﴾.

١ ـ الهامد: الميّت، والهُمود: الموت، وفي الأرض أن لا يكون بها حياة ولا عُودٌ ولا نَبْتٌ ولا مطر. القاموس المحيط ١: ٣٦١ (همد).

٢ ـ القمّي ٢: ٩١، عن أبي جعفر عليه السلام.

﴿فَكَذَّبُوهُما فَكانُوا مِنَ المُهْلَكِينَ﴾ .

﴿وَلَقَدْ آتَيْنا مُوسَى الكِتابَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ .

﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً﴾ بولادتها إيّاه من غير مسيس ﴿وَآوَيْناهُما إِلى رَبْوَةٍ﴾: إلى مكان مرتفع ﴿ذاتِ قَرارٍ﴾: صالحة للاستقرار ﴿وَمَعِينٍ﴾: ماء ظاهر جارٍ على وجه الأرض .

قال: «الرّبوة: نجف الكوفة ، والمعين: الفرات»[1] .

وفي رواية: «الرّبوة: حيرة الكوفة وسوادها ، والقرار: مسجد الكوفة ، والمعين: الفرات»[2] .

﴿يا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّباتِ وَاعْمَلُوا صالِحاً إِنِّي بِما تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ .

﴿وَإِنَّ هٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً واحِدَةً﴾ القمّي: على مذهب واحد[3]. ﴿وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ في شقّ العصا ومخالفة الكلمة .

﴿فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ﴾: فتحزّبوا وافترقوا ، وجعلوا دينهم أدياناً متفرّقة . ﴿زُبُراً﴾ ؛ قطعاً ﴿كُلُّ حِزْبٍ﴾ من المتحزّبين ﴿بِما لَدَيْهِمْ﴾ من الدّين ﴿فَرِحُونَ﴾: معجبون ، معتقدون أنّهم على الحقّ . القمّي: كلّ من اختار لنفسه ديناً فهو فَرِحٌ به[4] .

﴿فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ﴾: في جهالتهم . شبّهها بالماء الّذي يغمر القامة . ﴿حَتّى حِينٍ﴾: إلى أن يقتلوا أو يموتوا .

﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّما نُمِدُّهُمْ بِهِ﴾ ما نعطيهم ونجعله مدداً لهم ﴿مِنْ مالٍ وَبَنِينَ﴾ .

﴿نُسارِعُ لَهُمْ فِي الخَيْراتِ﴾: ما فيه خيرهم وإكرامهم ﴿بَلْ لا يَشْعُرُونَ﴾ أنّ ذلك

١ ـ التهذيب ٦: ٣٨ ، الحديث: ٧٩ ، عن أبي عبد الله عليه السلام .
٢ ـ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ١٠٨ ؛ جوامع الجامع: ٣٠٧ ، عن الباقر والصّادق عليهما السلام .
٣ ـ القمّي ٢: ٩١ .
٤ ـ القمّي ٢: ٩١ .

استدراج .

ورد: «إنّ اللّه تعالى يقول: يحزن عبدي المؤمن إذا اقْتَرْتُ عليه شيئاً من الدّنيا ، وذلك أقرب له منّي ، ويفرح إذا بَسطت له الدّنيا ، وذلك أبعد له منّي ثمّ تلا هذه الآية ، ثمّ قال: إنّ ذلك فتنة لهم»[١] .

﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ﴾: من خوف عذابه حَذِرُون .

﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾ .

﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لا يُشْرِكُونَ﴾ شركاً جليّاً ولا خفيّاً .

﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا﴾: يعطون ما أَعْطَوه من العبادة والطّاعة والصّدقات .

﴿وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾لأنّ مرجعهم إليه ، أو من أنّ مرجعهم إليه ، وهو يعلم ما يخفى عليهم .

قال: «قلوبهم وجلة ، معناه: خائفة أن لا يقبل منهم»[٢] . وقال: «هي إشفاقهم[٣] ورجاؤهم ، يخافون أن تردّ عليهم أعمالهم إن لم يطيعوا اللّه عزّ ذكره ، ويرجون أن تقبل منهم»[٤] . وقال: «يؤتي ما آتى وهو خائف راج»[٥] . وفي رواية: «آتوا واللّه الطّاعة[٦] مع المحبّة والولاية ، وهم في ذلك خائفون ، ليس خوفهم خوف شكّ ، ولكنّهم خافوا أن يكونوا مقصّرين في محبّتنا وطاعتنا»[٧] .

١ ـ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ١١٠ ، عن أبي عبد اللّه ، عن أبيه ، عن آبائه ، عن رسول اللّه ﷺ .

٢ ـ المصدر ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .

٣ ـ في المصدر: «شفاعتهم» . لعلّ المراد دعاؤهم وتضرّعهم كأنّهم شفعوا لأنفسهم أو طلب الشفاعة من غيرهم أو تضاعف حسناتهم ، ولعلّه تصحيف شفقتهم .

٤ ـ الكافي ٨: ٢٢٩ ، الحديث: ٢٩٤ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .

٥ ـ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ١١٠ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .

٦ ـ في المصدر: «آتوا واللّه مع الطّاعة المحبّة والولاية» .

٧ ـ الكافي ٢: ٤٥٧ ، الحديث: ١٥ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .

﴿أُولَـٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾: يَرْغَبُونَ في الطّاعات أشدّ الرّغبة فيبادرون بها ﴿وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾ . قال: «هو عليّ بن أبي طالبعليه السلام لم يسبقه أحد»[١] .

﴿وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾: دون طاقتها ، يريد به التّحريضَ[٢] على ما وصف به الصّالحون ، وتسهيلَه على النّفوس . ﴿وَلَدَيْنَا كِتَابٌ﴾ هو صحيفة الأعمال ﴿يَنْطِقُ بِالْحَقِّ﴾: بالصّدق ، لا يُوجَدُ فيه ما يخالِف الواقع ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ بزيادة عقاب أو نقصان ثواب .

﴿بَلْ قُلُوبُهُمْ﴾: قلوب الكفرة ﴿فِي غَمْرَةٍ مِنْ هَـٰذَا﴾ : في غفلة غامرة . القمّي: يعني من القرآن[٣] . ﴿وَلَهُمْ أَعْمَالٌ﴾ خبيثة ﴿مِنْ دُونِ ذَٰلِكَ﴾: سوى ما هم عليه من الشّرك ﴿هُمْ لَهَا عَامِلُونَ﴾: معتادون فعلها .

﴿حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِمْ﴾: متنعّميهم . القمّي: يعني كبراءهم[٤] . ﴿بِالْعَذَابِ﴾ . قيل: هو قتلهم يوم بدر ، أو الجوع حين دعا عليهم رسول اللهصلى الله عليه وآله ، فقال: اللّهم اشدد وطأتك على مُضَر[٥] ، واجعلها عليهم سنين كسنيّ يوسف ، فابتلاهم بالقحط ، حتّى أكلوا الجيفَ والكلابَ ، والعظامَ المحترقة والقِدَّ[٦] والأولاد[٧] . ﴿إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ﴾: فاجؤوا الصّراخ بالاستغاثة .

١ ـ القمّي ٢: ٩٢ ، عن أبي جعفرعليه السلام .

٢ ـ في «ج»: «التحريص» ، وهي بمعناها .

٣ و ٤ ـ القمّي ٢: ٩٢ .

٥ ـ قبيلة منسوبة إلى مُضَر بن نزار بن معد بن عدنان ويقال له «مُضر الحمراء» ، ولأخيه «ربيعة الفرس» ؛ لأنّهما لمّا اقتسما الميراث أُعطي «مضر» الذهب ، وهي تؤنّث ، وأُعطي «ربيعة» الخيل . مجمع البحرين ٣: ٤٨٢ ؛ قاموس المحيط ٢: ١٣٩ (مضر) .

٦ ـ في جميع النُّسَخ «القدد» والصحيح ما أثبتناه كما في المصادر .

والقِدُّ ـ بالكسر ـ: سَيْر يُقَدُّ من جلدٍ غير مدبوغ .

والجمع: أَقُدّ . الصّحاح ٢: ٥٢٢ (قدد) .

٧ ـ جوامع الجامع: ٣٠٨ ؛ الكشّاف ٣: ٣٦ ؛ البيضاوي ٤: ٦٨ .

﴿لا تَجْأَرُوا الْيَوْمَ إِنَّكُمْ مِنّا لا تُنْصَرُونَ﴾.

﴿قَدْ كانَتْ آياتِي تُتْلى عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلى أَعْقابِكُمْ تَنْكِصُونَ﴾: تعرضون مدبرين. والنّكوص: الرّجوع القهقري[1].

﴿مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ﴾ قيل: أي: بالقرآن، ضمّن الاستكبار معنى التّكذيب[2]. ﴿سامِراً﴾ أي: يسمرون[3] بذكر القرآن والطّعن فيه ﴿تَهْجُرُونَ﴾. إمّا مِن الهَجْرِ بمعنى القطيعة أو الهذيان، أي: تُعْرِضون عن القرآن أو تهذون في شأنه؛ وإمّا من الهُجْرِ بالضّمّ بمعنى الفحش.

﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جاءَهُمْ ما لَمْ يَأْتِ آباءَهُمُ الْأَوَّلِينَ﴾ من الرّسول والكتاب.

﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ﴾ بالأمانة والصّدق وحسن الخلق وكمال العلم مع عدم التّعلّم، إلى غير ذلك ممّا هو صفة الأنبياء عليهم السلام ﴿فَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ﴾.

﴿أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ﴾ مع أنّهم يعلمون أنّه أرجحُهم عقلاً وأثبَتُهم نظراً ﴿بَلْ جاءَهُمْ بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كارِهُونَ﴾ لأنّه يخالف شهواتِهم وأهواءَهم، فلذلك أنكروه قيل: إنّما قيّد الحكم بالأكثر لأنّه كان منهم من ترك الإيمان استنكافاً من توبيخ قومه، أو لقلّة فطنته وعدم فكرته، لا لكراهة الحقّ[4].

﴿وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْواءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّماواتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ﴾: لذهب ما قام به العالَم، فلا يبقى. القمّي: فساد السّماء إذا لم تمطر، وفساد الأرض إذا لم تنبت،

١ ـ في «ألف» و«ج»: «قهقري».

٢ ـ الكشّاف ٣: ٣٦.

٣ ـ سَمَرَ يَسْمُرُ: لم يَنَمْ، والسَّمَرُ: المُسامَرَة، وهو الحديث باللّيل. لسان العرب ٤: ٣٧٦ (سمر).

٤ ـ البيضاوي ٤: ٦٩.

وفساد النّاس في ذلك[1]. ﴿بَلْ أَتَيْناهُمْ بِذِكْرِهِمْ﴾: بوعظهم، أو بصيتهم وفخرهم، أو الذّكر الّذي تمنّوه بقولهم: "لَوْ أَنَّ عِنْدَنا ذِكْراً مِنَ الْأَوَّلِينَ"[2]. ﴿فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ﴾.

﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجاً فَخَراجُ رَبِّكَ خَيْرٌ﴾ قال: «يقول: أم تسألهم أجراً فأجر ربّك خير»[3]. ﴿وَهُوَ خَيْرُ الرّازِقِينَ﴾.

﴿وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلىٰ صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ القمّي: إلى ولاية أمير المؤمنين عليه السلام[4].

﴿وَإِنَّ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّراطِ لَناكِبُونَ﴾: لعادلون عنه؛ فإنّ خوف الآخرة أقوى البواعث على طلب الحقّ وسلوك طريقه. القمّي: عن الإمام لحادّون[5].

وورد «إنّ اللّه تبارك وتعالى لو شاء لعرّف العبادَ نفسَه، ولكن جعَلَنا أبوابَه وصراطَه وسبيلَه والوجهَ الّذي يؤتى منه، فمن عدل عن ولايتنا، أو فضّل علينا غيرَنا فإنّهم عن الصّراط لناكبون»[6].

﴿وَلَوْ رَحِمْناهُمْ وَكَشَفْنا ما بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ﴾ أي: القحط ﴿لَلَجُّوا فِي طُغْيانِهِمْ﴾: لتمادوا في إفراطهم في الكفر، والاستكبار عن الحقّ، وعداوة الرّسول والمؤمنين. ﴿يَعْمَهُونَ﴾ عن الهدى.

روي: «إنّهم قحطوا حتّى أكلوا العِلْهِزَ[7]، فجاء أبو سفيان إلى رسول اللّه صلى الله عليه وآله فقال: أنشدك اللّه والرّحم، ألستَ تزعم أنّك بُعِثْتَ رحمةً للعالمين، قتلت الآباء بالسّيف والأبناء

١ ـ القمّي ٢: ٩٢.

٢ ـ الصّافّات (٣٧): ١٦٨.

٣ ـ القمّي ٢: ٩٤، عن أبي جعفر عليه السلام.

٤ ـ المصدر: ٩٢.

٥ ـ القمّي ٢: ٩٣؛ وصوابه: «لحائدون».

٦ ـ الكافي ١: ١٨٤، الحديث: ٩، عن أبي عبد اللّه، عن أمير المؤمنين عليهما السلام.

٧ ـ العِلْهِزُ ـ بالكسر ـ طَعامٌ كانوا يتّخذونه من الدّم ووبر البعير في سِنِي المجاعة. الصّحاح ٣: ٨٨٧ (علهز).

بالجوع، فنزلت»[١].

﴿وَلَقَدْ أَخَذْناهُمْ بِالْعَذابِ﴾. القمّي: هو الجوع والخوف والقتل[٢]. ﴿فَمَا اسْتَكانُوا لِرَبِّهِمْ وَما يَتَضَرَّعُونَ﴾ بل أقاموا على عتوّهم. قال: «الاستكانة هي الخضوع، والتّضرّع: رفع اليدين والتّضرّع بهما»[٣]. وفي رواية: «الاستكانة: الدّعاء، والتّضرّع: رفع اليدين في الصّلاة»[٤].

﴿حَتّىٰ إِذا فَتَحْنا عَلَيْهِمْ باباً ذا عَذابٍ شَدِيدٍ﴾. قال: «وذلك حين دعا النّبيّ صلى الله عليه وآله عليهم، فقال: اللّهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف، فجاعوا حتّى أكلوا العِلْهِز، وهو الوبر بالدّم»[٥]. وفي رواية: «هو في الرّجعة»[٦]. ﴿إِذا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾: متحيّرون، آيسون من كلّ خير.

﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصارَ﴾ لتحسّوا بها ما نصب من الآيات ﴿وَالْأَفْئِدَةَ﴾ لتفكّروا فيها، وتستدلّوا بها إلى غير ذلك من المنافع ﴿قَلِيلاً ما تَشْكُرُونَ﴾: تشكرونها شكراً قليلاً، لأنّ العمدة في شكرها استعمالها فيما خُلِقَتْ لأجلها، والإذعان لمُنْعِمِها من غير إشراك.

﴿وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾: خلقكم وبثّكم فيها بالتّناسل ﴿وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾: تجمعون بعد تفرقتكم.

﴿وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلافُ اللَّيْلِ وَالنَّهارِ أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾ بالنّظر

١ ـ جوامع الجامع: ٣٠٩.

٢ ـ القمّي ٢: ٩٤.

٣ ـ الكافي ٢: ٤٨٠، الحديث: ٢، عن أبي جعفر عليه السلام، وفيه: «الاستكانة هو الخضوع، والتضرّع هو رفع اليدين والتّضرّع بهما».

٤ ـ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ١١٣، عن أبي عبد الله عليه السلام.

٥ ـ المصدر: ١١٤، عن أبي عبد الله عليه السلام.

٦ ـ المصدر، عن أبي جعفر عليه السلام.

والتأمّل أنّ الكلّ منّا، وأنّ قدرتنا تعمّ كلّ شيء.

﴿بَلْ قالُوا مِثْلَ ما قالَ الأَوَّلُونَ﴾.

﴿قالُوا أَئِذا مِتْنا وَكُنّا تُراباً وَعِظاماً أَإِنّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ استبعاداً، ولم يتأمّلوا أنّهم كانوا قبل ذلك أيضاً تراباً فَخُلِقوا.

﴿لَقَدْ وُعِدْنا نَحْنُ وَآباؤُنا هذا مِنْ قَبْلُ إِنْ هذا إِلّا أَساطِيرُ الأَوَّلِينَ﴾: إلّا أكاذيبهم الّتي كتبوها.

﴿قُلْ لِمَنِ الأَرْضُ وَمَنْ فِيها إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

﴿سَيَقُولُونَ لِلّهِ﴾ لأنّ العقل الصّريح اضطرّهم بأدنى نظر بأنّه خالقها ﴿قُلْ أَفَلا تَذَكَّرُونَ﴾ فتعلموا أنّ مَنْ فطر الأرض ومن فيها[1] ابتداءً، قدر على إيجادها ثانياً، وأنّ بَدْءَ الخلق ليس بأهون من إعادته.

﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّماواتِ السَّبْعِ وَرَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ﴾ فإنّها أعظم من ذلك.

﴿سَيَقُولُونَ لِلّهِ قُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ﴾ عقابه فلا تشركوا به بعض مخلوقاته، ولا تُنْكِروا قدرتَه على بعض مقدوراته.

﴿قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾: الملك الّذي وكّل به ﴿وَهُوَ يُجِيرُ﴾: يُغيثُ من يشاء ويَحْرُسُه ﴿وَلا يُجارُ عَلَيْهِ﴾: ولا يغاث ولا يُحْرَسُ. وتعديته بـ«على» لتضمين معنى النّصرة. ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

﴿سَيَقُولُونَ لِلّهِ قُلْ فَأَنّى تُسْحَرُونَ﴾: فمن أين تُخْدَعون، فَتُصْرَفون عن الرّشد مع ظهور الأمر وتَظاهُرِ الأدلّة.

﴿بَلْ أَتَيْناهُمْ بِالحَقِّ﴾ من التّوحيد والوعد بالنّشور ﴿وَإِنَّهُمْ لَكاذِبُونَ﴾ حيث أنكروا ذلك.

١ ـ في «ألف»: «من عليها».

﴿ما اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ﴾ لتقدّسه عن مماثلة أحد ﴿وَما كانَ مَعَهُ مِنْ إِلٰهٍ﴾ يُساهِمُه في الأُلوهيّة ﴿إِذاً لَذَهَبَ كُلُّ إِلٰهٍ بِما خَلَقَ﴾ واستبدّ به وامتاز ملكه عن ملك الآخر ﴿وَلَعَلا بَعْضُهُمْ عَلىٰ بَعْضٍ﴾ كما هو حال ملوك الدّنيا. فهذا التّدبير المحكم، واتّصاله وقوام بعضه ببعض، يدلّ على صانع واحد. ﴿سُبْحانَ اللّٰهِ عَمّا يَصِفُونَ﴾ من الولد والشّريك.

﴿عالِمِ الغَيْبِ وَالشَّهادَةِ﴾. قال: «الغيب: ما لم يكن، والشّهادة: ما قد كان»[1]. ﴿فَتَعالىٰ عَمّا يُشْرِكُونَ﴾.

﴿قُلْ رَبِّ إِمّا تُرِيَنِّي﴾: إن كان لابدّ من أن تريني؛ فإنّ «ما» والنّون للتّأكيد. ﴿ما يُوعَدُونَ﴾.

﴿رَبِّ فَلا تَجْعَلْنِي فِي القَوْمِ الظّالِمِينَ﴾: قريناً لهم.

ورد: «قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله، وقد خطبنا يوم الفتح: أيّها النّاس لأعرفنّكم ترجعون بعدي كفّاراً يضرب بعضكم رقاب بعض، ولئن فعلتم أضربكم بالسّيف، ثمّ التفت عن يمينه، فقال النّاس: غمزه جبرئيل، فقال له: أو عليّ، فقال: أو عليّ»[2]. وفي رواية: «فنزلت هذه الآية»[3].

أقول: وذلك إنّما يكون في الرّجعة، كما يستفاد من أخبار أُخر[4].

﴿وَإِنّا عَلىٰ أَنْ نُرِيَكَ ما نَعِدُهُمْ لَقادِرُونَ﴾ يعني الرّجعة.

﴿إِدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ﴾. قيل: هي الصّفح عنها، والإحسان في مقابلتها،

١ ـ معاني الأخبار: ١٤٦، الحديث: ١، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٢ ـ مختصر بصائر الدّرجات: ٢١، مع تفاوت يسير.

٣ ـ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ١١٧؛ شواهد التنزيل ١: ٤٠٤، عن النّبيّ صلّى اللّه عليه وآله.

٤ ـ مختصر بصائر الدّرجات: ١٩؛ بحار الأنوار ٥٣: ٦٦، الحديث: ٦٠، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

وهو أبلغ من ادفع بالحسنة السّيّئة، لما فيه من التّنصيص على التّفضيل[١]. و ورد: «الّتي هي أحسن التّقيّة»[٢]. ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِما يَصِفُونَ﴾: بما يصفونك به.

﴿وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزاتِ الشَّياطِينِ﴾: وساوسهم، وأصل الهمز النّخس.

﴿وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ﴾ ويحوموا حولي.

﴿حَتّىٰ إِذا جاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ﴾. متعلّق بـ«يَصِفُونَ»، وما بينهما اعتراض. ﴿قالَ﴾ تحسّراً على ما فرّط فيه من الإيمان والطّاعة لمّا اطّلع على الأمر: ﴿رَبِّ ارْجِعُونِ﴾: رُدّوني إلى الدّنيا. والواو لتعظيم المخاطب.

﴿لَعَلِّي أَعْمَلُ صالِحاً فِيما تَرَكْتُ﴾. «نزلت في مانع الزّكاة». كذا ورد[٣]. ﴿كَلّا﴾ ردع عن طلب الرّجعة واستبعاد لها. ﴿إِنَّها كَلِمَةٌ هُوَ قائِلُها﴾ لتسلّط الحسرة عليه ﴿وَمِنْ وَرائِهِمْ﴾: أمامهم ﴿بَرْزَخٌ إِلىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾. القمّي: البرزخ أمر بين أمرين، وهو الثّواب والعقاب بين الدّنيا والآخرة. وهو قول الصّادق عليه السلام: «والله ما أخاف عليكم إلّا البرزخ، وأمّا إذا صار الأمر إلينا فنحن أولى بكم»[٤].

و ورد: «أمّا في القيامة فكلّكم في الجنّة بشفاعة النّبيّ المطاع، أو وصيّ النّبيّ، ولكن[٥] والله أتخوّف عليكم في البرزخ. قيل: وما البرزخ؟ فقال: القبر منذ حين موته إلى يوم القيامة»[٦].

﴿فَإِذا نُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ لقيام السّاعة ﴿فَلا أَنْسابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ﴾ تنفعهم، من

١ ـ الكشّاف ٣: ٤١؛ البيضاوي ٤: ٧١.

٢ ـ الكافي ٢: ٢١٨، الحديث: ٦، عن أبي عبد الله عليه السلام.

٣ ـ الكافي ٣: ٥٠٣، الحديث: ٣، و٥٠٤، الحديث: ١١؛ ثواب الأعمال وعقاب الأعمال: ٢٨٠، الحديث: ٥؛ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ١١٧، جميعاً عن أبي عبد الله عليه السلام.

٤ ـ القمّي ٢: ٩٤.

٥ ـ في المصدر: «ولكنّي».

٦ ـ الكافي ٣: ٢٤٢، الحديث: ٣، عن أبي عبد الله عليه السلام.

فرط الحيرة واستيلاء الدّهشة، بحيث "يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ"[١] ﴿وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾: ولا يسأل بعضهم بعضاً لاشتغاله بنفسه. قال: «لا يتقدّم يوم القيامة أحد إلّا بالأعمال»[٢].

﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ بالأعمال الحسنة ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾ من تلك الأعمال الحسنة ﴿فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾: غبنوها، حيث ضيّعوا زمان استكمالها، وأبطلوا استعدادها لنيل كمالها ﴿فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾.

﴿تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ﴾: تلهب عليهم، فتحرقهم ﴿وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ﴾ من شدّة الاحتراق. والكلوح: تقلّص الشّفتين عن الأسنان. القمّي: أي: مفتوحي الفم متربّدي الوجوه[٣].

﴿أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾.

﴿قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا﴾: ملكتنا. قال: «بأعمالهم شقوا»[٤]. ﴿وَكُنَّا قَوْماً ضَالِّينَ﴾.

﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ﴾.

﴿قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا﴾: أُسكتوا سكوت هوان، فإنّها ليست مقام سؤال ﴿وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾.

﴿إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾.

١ ـ عبس (٨٠): ٣٤ ـ ٣٦.

٢ ـ القمّي ٢: ٩٤، عن أبي عبد الله عليه السلام.

٣ ـ المصدر.

٤ ـ التّوحيد: ٣٥٦، الباب: ٥٨، الحديث: ٢، عن أبي عبد الله عليه السلام.

﴿فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيّاً﴾: هزواً ﴿حَتَّىٰ أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي﴾ من فرط تشاغلكم بالاستهزاء بهم، فلم تخافوني في أوليائي ﴿وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ﴾ استهزاءً بهم.

﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِما صَبَرُوا﴾ على أذاكم ﴿أَنَّهُمْ هُمُ الفائِزُونَ﴾.

﴿قالَ﴾ أي: قال اللّه أو المَلَكُ المأمور بسؤالهم: ﴿كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الأَرْضِ﴾ أحياءاً وأمواتاً[1] في القبور ﴿عَدَدَ سِنِينَ﴾.

﴿قالُوا لَبِثْنا يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ استقصاراً لمدّة لبثهم فيها ﴿فَاسْأَلِ العادِّينَ﴾. القمّي: سل الملائكة الّذين يعدّون علينا الأيّام، ويكتبون ساعاتنا وأعمالنا الّتي اكتسبناها فيها[2].

﴿قالَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلّا قَلِيلاً لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّما خَلَقْناكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنا لا تُرْجَعُونَ﴾. توبيخ لهم على تغافلهم.

ورد: «إنّ اللّه لم يخلق خلقه عبثاً، ولم يتركهم سدىً، بل خلقهم لإظهار قدرته وليكلّفهم طاعته، فيستوجبوا بذلك رضوانه، وما خلقهم ليجلب منهم منفعة ولا ليدفع بهم مضرّة، بل خلقهم لينفعهم ويوصلهم إلى نعيم الأبد»[3].

وقيل له: خلقنا للفناء. فقال: «مه[4] خلقنا للبقاء، وكيف! وجنّة لا تبيد ونار لا تخمد[5]، ولكن إنّما نتحوّل من دار إلى دار»[6].

﴿فَتَعالَى اللّهُ المَلِكُ الحَقُّ لا إِلٰهَ إِلّا هُوَ رَبُّ العَرْشِ الكَرِيمِ﴾.

﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللّهِ إِلٰهاً آخَرَ لا بُرْهانَ لَهُ بِهِ﴾ فإنّ الباطل لا برهان به. نبّه بذلك

١ ـ في «ج»: «احياءً أو أمواتاً».
٢ ـ القمّي ٢: ٩٥.
٣ ـ علل الشّرائع ١: ٩، الباب: ٩، الحديث: ٢، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.
٤ ـ في «ألف»: «فقال له».
٥ ـ في «ب»: «كيف وجنّته لا تبيد وناره لا تخمد».
٦ ـ علل الشّرائع ١: ١١، الباب: ٩، الحديث: ٥، عن أبي عبد اللّه عليه السلام، مع تفاوت يسير.

على أنّ التّديّن بما لا دليل عليه ممنوع، فضلاً عمّا دلّ الدّليل على خلافه. ﴿فَإِنَّما حِسابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾ فهو مجاز له مقدار ما يستحقّه ﴿إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الكافِرُونَ﴾.

﴿وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرّاحِمِينَ﴾.



سورة النّور

[مدنيّة، وهي أربع وستّون آية][1]

بسم الله الرحمٰن الرحيم

﴿سُورَةٌ أَنْزَلْناها وَفَرَضْناها﴾: وفرضنا ما فيها من الأحكام ﴿وَأَنْزَلْنا فِيها آياتٍ بَيِّناتٍ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ فتتّقون المحارم.

﴿الزّانِيَةُ وَالزّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ واحِدٍ مِنْهُما مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾. القمّي: هي ناسخة لقوله: "وَاللّاتي يَأْتينَ الْفاحِشَةَ مِنْ نِسائِكُمْ"[2].

و ورد: «سورة النّور أُنزلت بعد سورة النّساء، وتصديق ذلك أنّ الله عزّوجلّ أنزل في سورة النّساء "وَاللّاتي يَأْتينَ الفاحِشَةَ مِنْ نِسائِكُمْ" إلى قوله "لَهُنَّ سَبيلاً" والسّبيل الّذي قال الله: "سورة أنزلناها" إلى قوله "من المؤمنين"»[3].

وقال: «الحرّ والحرّة إذا زنيا جلد كلّ واحد منهما مائة جلدة. فأمّا المحصن والمحصنة فعليهما الرّجم»[4].

١ ـ مابين المعقوفتين من «ب».

٢ ـ القمّي ٢: ٩٥. والآية في سورة النّساء (٤): ١٥.

٣ ـ الكافي ٢: ٣٢ و ٣٣، ذيل الحديث الطّويل: ١، عن أبي جعفر عليه السلام.

٤ ـ الكافي ٧: ١٧٧، الحديث: ٢؛ التهذيب ١٠: ٣، الحديث: ٦، عن أبي عبد الله عليه السلام.

وقال: «من كان له فرج يغدو عليه ويروح فهو محصن»[١].

و ورد: «الرّجم في القرآن قوله تعالى: الشّيخ والشّيخة إذا زنيا فارجموهما ألبتّة، فإنّهما قضيا الشّهوة»[٢].

و ورد: «لا يرجم الرّجل والمرأة حتّى يشهد عليهما أربعة شهداء على الجماع والإيلاج والإدخال كالميل في المكحلة»[٣].

﴿وَلا تَأْخُذْكُمْ بِهِما رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللّهِ﴾ قال: «في إقامة الحدود»[٤]. ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذابَهُما﴾ قال: «يقول ضربهما»[٥]. ﴿طائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ قال: «يجمع لهما النّاس إذا جلدا»[٦]. وفي رواية: «إنّ أقلّها رجل واحد»[٧].

﴿الزّانِي لا يَنْكِحُ إِلّا زانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزّانِيَةُ لا يَنْكِحُها إِلّا زانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾. قال: «هم رجال ونساء كانوا على عهد رسول اللّه ﷺ مشهورين بالزّنا، فنهى اللّه عن أولئك الرّجال والنّساء، والنّاس اليوم على تلك المنزلة، من شهر شيئاً من ذلك أو أُقيم عليه الحدّ، فلا تزوّجوه حتّى تعرف توبته»[٨].

﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَناتِ﴾: يقذفونهنّ بالزّنا ﴿ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَداءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمانِينَ جَلْدَةً﴾ وفي حكمهنّ المحصنين، فقد ورد في الرّجل يقذف الرّجل بالزّنا، قال: «يجلد، هو في كتاب اللّه وسنّة نبيّه»[٩]. وفي امرأة قذفت رجلاً، قال: «تجلد

١ـ الكافي ٧: ١٧٩، الحديث: ١٠؛ التّهذيب ١٠: ١٢، الحديث: ٢٨، عن أبي جعفر عليه السلام.

٢ـ الكافي ٧: ١٧٧، الحديث: ٣، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٣ـ المصدر: ١٨٤، الحديث: ٤، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٤ـ التّهذيب ١٠: ١٥٠، الحديث: ٦٠٢، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

٥ـ القمّي ٢: ٩٥، عن أبي جعفر عليه السلام.

٦ـ المصدر، عن أبي جعفر عليه السلام، وفيه: «إذا جلدوا».

٧ـ جوامع الجامع: ٣١٢، عن أبي جعفر عليه السلام.

٨ـ الكافي ٥: ٣٥٥، الحديث: ٣، عن أبي جعفر عليه السلام.

٩ـ الكافي ٧: ٢٠٥، الحديث: ٣؛ التّهذيب ١٠: ٦٥، الحديث: ٢٣٨، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

ثمانين جلدة»[١] . ﴿وَلا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهادَةً أَبَداً وَأُولئِكَ هُمُ الفاسِقُونَ﴾ .

﴿إِلّا الَّذِينَ تابُوا مِنْ بَعْدِ ذٰلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ . سئل كيف تعرف توبته؟ فقال: «يكذّب نفسه على رؤوس الخلائق حين يضرب ، ويستغفر ربّه ، فإذا فعل ذلك فقد ظهرت توبته»[٢] .

﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْواجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَداءُ إِلّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهاداتٍ بِاللّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصّادِقِينَ﴾ أي: فيما رماها به من الزّنا .

﴿وَالخامِسَةُ أَنَّ لَعْنَةَ اللّهِ عَلَيْهِ إِنْ كانَ مِنَ الكاذِبِينَ﴾ في الرّمي .

﴿وَيَدْرَؤُا عَنْها العَذابَ﴾: ويدفع عنها الرّجم ﴿أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهاداتٍ بِاللّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الكاذِبِينَ﴾ فيما رماني به .

﴿وَالخامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللّهِ عَلَيْها إِنْ كانَ مِنَ الصّادِقِينَ﴾ .

سئل عن هذه الآيات ، فقال: «هو القاذف الّذي يقذف امرأته ، فإذا قذفها ثمّ أقرّ أنّه كذب عليها ، جلد الحدّ وردّت إليه امرأته ، وإن أبى إلّا أن يمضي ، فليشهد عليها أربع شهادات باللّه إنّه لمن الصّادقين ، والخامسة يلعن فيها نفسه إن كان من الكاذبين ، وإن أرادت أن تدرأ عن نفسها العذاب ـ والعذاب هو الرّجم ـ شهدت "أربع شهادات باللّه إنّه لمن الكاذبين ، والخامسة أنّ غضب اللّه عليها إن كان من الصّادقين" . فإن لم تفعل رجمت ، وإن فعلت درأت عن نفسها الحدّ ، ثمّ لا تحلّ له إلى يوم القيامة»[٣] .

﴿وَلَوْلا فَضْلُ اللّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللّهَ تَوّابٌ حَكِيمٌ﴾ لفضحكم ، وعاجلكم

١ ـ الكافي ٧: ٢٠٥ ، الحديث: ٤ ؛ التّهذيب ١٠: ٦٦ ، الحديث: ٢٣٩ ، عن أبي جعفر عليه السلام ؛ من لا يحضره الفقيه ٤: ٣٨ ، الحديث: ١٢١ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .

٢ ـ الكافي ٧: ٢٤١ ، الحديث: ٧ ؛ التّهذيب ٦: ٢٦٣ ، الحديث: ٦٩٩ ، مضمراً ؛ من لا يحضره الفقيه ٣: ٣٦ ، الحديث: ١٢١ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام ، مع تفاوت يسير .

٣ ـ الكافي ٦: ١٦٢ ، الحديث: ٣ ؛ التّهذيب ٨: ١٨٤ ؛ الحديث: ٦٤٢ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .

بالعقوبة . حذف الجواب لتعظيمه .

﴿إِنَّ الَّذِينَ جاءُوا بِالإِفْكِ﴾ بأبلغ ما يكون من الكذب ﴿عُصْبَةٌ مِنْكُمْ﴾: جماعة منكم ﴿لا تَحْسَبُوهُ شَرّاً لَكُمْ﴾ . استئناف والهاء للإفك . ﴿بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ لاكتسابكم به الثّواب العظيم ﴿لِكُلِّ امْرِىءٍ مِنْهُمْ ما اكْتَسَبَ مِنَ الإِثْمِ﴾ بقدر ما خاض فيه ﴿وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ﴾: معظمه ﴿مِنْهُمْ لَهُ عَذابٌ عَظِيمٌ﴾ .

روي في سبب الإفك: «إنّ عائشة ضاع عقدها في غزوة بني المصطلق ، وكانت قد خرجت لقضاء حاجة فرجعت طالبة له ، وحمل هودجها على بعيرها ظنّاً منهم أنّها فيها ، فلمّا عادت إلى الموضع وجدتهم قد رحلوا ، وكان صفوان من وراء الجيش ، فلمّا وصل إلى ذلك الموضع وعرفها ، أناخ بعيره حتّى ركبته وهو يسوقه ، حتّى أتى الجيش وقد نزلوا في قائم الظّهيرة»[1] .

والقمّي: روت العامّة: أنّها نزلت في عائشة ، وما رميت به في غزوة بني المصطلق من خزاعة ، وأمّا الخاصّة فإنّهم رووا: أنّها نزلت في مارية القبطيّة وما رمتها به عائشة . ثمّ ذكر القصّة ، وفيها ما فيها[2] .

﴿لَوْلا﴾: هلّا ﴿إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِناتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْراً وَقالُوا هٰذا إِفْكٌ مُبِينٌ﴾ كما يقول المستيقن المطّلع على الحال . وإنّما عدل فيه من الخطاب إلى الغيبة مبالغة في التّوبيخ ، وإشعاراً بأنّ الإيمان يقتضي ظنّ الخير بالمؤمنين ، والكفّ عن الطّعن فيهم ، وذبّ الطّاعنين عنهم كما يذبّون عن أنفسهم .

﴿لَوْلا جاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَداءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَداءِ فَأُولٰئِكَ عِنْدَ اللّٰهِ هُمُ الْكاذِبُونَ﴾ . استئناف ، أو هو من جملة المقول ، تقريراً لكونه كذباً ، فإنّ ما لا حجّة عليه مكذّب عند الله ، أي في حكمه . ولذلك رتّب عليه الحدّ .

١ـ جوامع الجامع: ٣١٣ .
٢ـ القمّي ٢: ٩٩ .

﴿وَلَوْلا فَضْلُ اللّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيا وَالآخِرَةِ﴾: لولا هذه لامتناع الشّيء لوجود غيره، يعني لولا فضل اللّه عليكم في الدّنيا بأنواع النّعم الّتي من جملتها الإمهال للتّوبة، ورحمته في الآخرة بالعفو والمغفرة المقدّرَيْن لكم ﴿لَمَسَّكُمْ﴾ عاجلاً ﴿فِيما أَفَضْتُمْ فِيهِ﴾: خضتم فيه ﴿عَذابٌ عَظِيمٌ﴾ يستحقر دونه اللّوم والجلد.

﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ﴾ يأخذه بعضكم عن بعض بالسّؤال عنه ﴿وَتَقُولُونَ بِأَفْواهِكُمْ﴾ بلا مساعدة من القلوب ﴿ما لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّناً﴾: سهلاً ﴿وَهُوَ عِنْدَ اللّهِ عَظِيمٌ﴾في الوزر واستجرار العذاب.

﴿وَلَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ ما يَكُونُ لَنا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهذا سُبْحانَكَ﴾. تعجّب ممّن يقول ذلك، فإنّ اللّه ينزّه عند كلّ متعجّب من أن يصعب عليه، أو تنزيه للّه من أن يكون حرمة نبيّه فاجرة، فإنّ فجورها تنفير عنه، بخلاف كفرها. ﴿هذا بُهْتانٌ عَظِيمٌ﴾ لعظمة المبهوت عليه.

﴿يَعِظُكُمُ اللّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَداً إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

﴿وَيُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمُ الآياتِ﴾ الدّالّة على الشّرائع ومحاسن الآداب، كي تتّعظوا وتتأدّبوا ﴿وَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الفاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيا وَالآخِرَةِ وَاللّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾. قال: «من قال في مؤمن ما رأته عيناه وسمعته أُذناه، فهو من الذين قال اللّه عزّوجلّ: "انّ الّذين يحبّون" الآية»[1].

و ورد: إنّه قيل له: الرّجل من إخواني بلغني عنه الشّيء الّذي أكرهه، فأسأله عنه فينكر ذلك، وقد أخبرني عنه قوم ثقات. فقال: «كذّب سمعك وبصرك عن أخيك، وإن شهد عندك خمسون قسامة. وقال لك قولاً فصدّقه وكذّبهم، ولا تذيعنّ عليه شيئاً تشينه به وتهدم به

١ ـ الكافي ٢: ٢٥٧، الحديث: ٢؛ الأمالي (للصّدوق): ٢٧٦، المجلس: ٥٤، الحديث: ١٦؛ القمّي ٢: ١٠٠، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

مروّته، فتكون من الّذين قال الله عزّوجلّ: "إنّ الّذين يحبّون" الآية»[١].

و ورد: «من أذاع فاحشة كان كمبتديها»[٢].

﴿وَلَوْلا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾. كرّر المنّة بترك المعاجلة بالعقاب، للدّلالة على عظم الجريمة، وحذف الجواب للاستغناء عنه بذكره مرّة. ﴿وَأَنَّ اللهَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ حيث لم يعاجلكم بالعقوبة.

﴿يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطانِ﴾ بإشاعة الفاحشة ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُواتِ الشَّيْطانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾. الفحشاء ما أُفرط في قبحه، والمنكر ما أنكره الشّرع أو[٣] العقل. ﴿وَلَوْلا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾ بتوفيق التّوبة الماحية للذّنوب، وشرع الحدود المكفّرة لها ﴿ما زَكى﴾: ما طهر من دنسها ﴿مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَداً وَلٰكِنَّ اللهَ يُزَكِّي مَنْ يَشاءُ﴾ بحمله على التّوبة وقبولها ﴿وَاللهُ سَمِيعٌ﴾ لمقالتهم ﴿عَلِيمٌ﴾ بنيّاتهم.

﴿وَلا يَأْتَلِ﴾: ولا يحلف، من الأليّة، أو ولا يقصّر، من الألو. ﴿أُولُوا الْفَضْلِ﴾ الغنيّ ﴿مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ﴾ في المال ﴿أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبىٰ وَالْمَساكِينَ وَالْمُهاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللهِ﴾. قيل: نزلت في جماعة من الصّحابة، حلفوا أن لا يتصدّقوا على من تكلّم بشيء من الإفك، ولا يواسوهم[٤]. ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

قال: «"أُولي القربى" هم قرابة رسول الله صلّى الله عليه وآله. يقول يعفو بعضكم عن بعض، ويصفح

١ ـ الكافي ٨: ١٤٧، الحديث: ١٢٥؛ ثواب الأعمال وعقاب الأعمال: ٢٩٥، الحديث: ١، عن الكاظم عليه السلام.

٢ ـ الكافي ٢: ٣٥٦، الحديث: ٢؛ ثواب الأعمال وعقاب الأعمال: ٢٩٥، الحديث: ٢، عن أبي عبد الله عليه السلام، عن النّبيّ صلّى الله عليه وآله.

٣ ـ في «ألف»: «والعقل».

٤ ـ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ١٣٣؛ تفسير البغوي ٣: ٣٣٤، عن ابن عبّاس.

بعضكم بعضاً[١] . فإذا فعلتم كانت رحمة من اللّه لكم ، يقول اللّه: "ألا تحبّون" الآية»[٢] .

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الغافِلاتِ﴾ ممّا قذفن به ﴿الْمُؤْمِنَاتِ﴾ باللّه ورسوله ﴿لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ﴾ كما طعنوا فيهنّ ﴿وَلَهُمْ عَذابٌ عَظِيمٌ﴾ لعظم ذنوبهم .

﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِما كانُوا يَعْمَلُونَ﴾ بإنطاق اللّه إيّاها بغير اختيارهم .

قال: «وليست تشهد الجوارح على مؤمن ، إنّما تشهد على من حقّت عليه كلمة العذاب . قال: فبرّأه اللّه ماكان مقيماً على الفرية ، من أن يسمّى بالإيمان»[٣] .

﴿يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللّهُ دِينَهُمُ الحَقَّ﴾: جزاءهم المستحقّ ﴿وَيَعْلَمُونَ﴾ لمعاينتهم الأمر ﴿أَنَّ اللّهَ هُوَ الحَقُّ المُبِينُ﴾: العادل الظّاهر العدل ، الّذي لا جور في حكمه .

﴿الخَبِيثاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثاتِ وَالطَّيِّباتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّباتِ﴾ .

قال: «الخبيثات من النّساء للخبيثين من الرّجال ، والخبيثون من الرّجال للخبيثات من النّساء ، والطّيّبات من النّساء للطّيّبين من الرّجال ، والطّيّبون من الرّجال للطّيّبات من النّساء . قال: هي مثل قوله: "الزّاني لا يَنْكِحُ إلاّ زانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً"[٤] إلاّ أنّ ناساً همّوا أن يتزوّجوا منهنّ فنهاهم اللّه عن ذلك ، وكره ذلك لهم»[٥] .

والقمّي يقول: الخبيثات من الكلام والعمل للخبيثين من الرّجال والنّساء ، يسلّمونهم ويصدّق عليهم من قال: والطّيّبون من الرّجال والنّساء للطّيّبات من الكلام والعمل[٦] .

١ ـ في «ب»: «يقول يعفو بعضكم بعضاً ، فاذا فعلتم» .

٢ ـ القمّي ٢: ١٠٠ ، عن أبي جعفر عليه السلام .

٣ ـ الكافي ٢: ٣٢ ، ذيل الحديث الطويل: ١ ، عن أبي جعفر عليه السلام ، مع تفاوت يسير .

٤ ـ نفس السّورة ، الآية: ٣ .

٥ ـ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ١٣٥ ، عن الباقر والصادق عليهما السلام .

٦ ـ القمّي ٢: ١٠١ .

﴿أُولـٰئِكَ﴾ يعني الطّيّبين والطّيّبات أو الطّيّبين ﴿مُبَـرَّءُونَ مِمّا يَقُولُونَ﴾ فيهم ، أو من أن يقولوا مثل قولهم ﴿لَهُمْ مَـغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ .

﴿يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُـيُوتاً غَـيْرَ بُـيُوتِكُمْ﴾ الّتي تسكـنونها ﴿حَتّىٰ تَسْتَأْنِسُوا﴾: تستأذنوا ؛ من الاستئناس ، بمعنى الاستعلام ، فإنّ المستأذن مستعلم هل يراد دخوله ؛ أو ما يقابل الاستيحاش ، فإنّه خائف أن لا يؤذن له . ﴿وَتُسَـلِّمُوا عَلىٰ أَهْلِـها﴾ بأن تقولوا: السّلام عليكم ، ءأدخل؟

قال: «الاستئناس وقع النّعل والتّسليم»[١] .

وفي رواية: «يتكلّم بالتّسبيحة والتّحميدة والتّكبيرة ، يتنحنح على أهـل البـيت»[٢] .

و ورد: «إنّما الإذن على البيوت ، ليس على الدّار إذن»[٣] .

﴿ذٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ من أن تدخلوا بغتة ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾: قيل لكم هـذا إرادة أن تذكّروا وتعملوا[٤] بما هو أصلح لكم .

﴿فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِـيها أَحَداً﴾ يأذن لكم ﴿فَلا تَـدْخُلُوها حَتّىٰ يُـؤْذَنَ لَـكُمْ وَإِنْ قِـيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا﴾ ولا تلحّوا . ﴿هُوَ أَزْكىٰ لَكُمْ وَاللّٰهُ بِما تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ .

﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُناحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتاً غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِـيها مَتاعٌ لَكُـمْ﴾ استمتاع كالاستكنان من الحرّ والبرد ، وإيواء الرّجال ، والجلوس للمعاملة . قال: «هي الحـمّامات والخانات والأَرْحِيَة[٥] ، تدخلها بغير إذن»[٦] . ﴿وَاللّٰهُ يَعْلَمُ ما تُـبْدُونَ وَمـا تَـكْـتُمُونَ﴾ . وعيد لمن دخل مدخلاً لفساد ، أو تطّلع على عورة .

١ ـ المصدر ، عن أبي عبد الله عليه السلام .

٢ ـ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ١٣٥ ، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله .

٣ ـ من لا يحضره الفقيه ٣: ١٥٤ ، الحديث: ٦٧٧ ؛ التّهذيب ٧: ١٥٤ ، الحديث: ٦٨٢ ، عن أبي عبد الله عليه السلام .

٤ ـ في «ب» و«ج»: «تعلموا» .

٥ ـ الأَرْحِيَة ، جمع الرَّحى: معروفة الّتي يُطْحَن فيها . لسان العرب ٥: ١٧٦ (رحا) .

٦ ـ القمّي ٢: ١٠١ ، عن أبي عبد الله عليه السلام .

﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصارِهِمْ﴾ أي: ما يكون نحو محرّمٍ ﴿وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾ أي: من النّظر المحرّم ﴿ذٰلِكَ أَزْكىٰ لَهُمْ﴾: أطهر لما فيه من البعد عن الرّيبة ﴿إِنَّ اللّٰهَ خَبِيرٌ بِما يَصْنَعُونَ﴾.

﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِناتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾. قال: «كلّ آية في القرآن في ذكر الفروج فهي من الزّنا إلّا هذه الآية، فإنّها من النظر؛ فلا يحلّ لرجل مؤمن أن ينظر إلى فرج أخيه، ولا يحلّ للمرأة أن تنظر إلى فرج أختها»[1]. وزاد في رواية: «ويحفظ فرجه أن ينظر إليه، وتحفظ فرجها من أن ينظر إليه[2]»[3].

﴿وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلّا ما ظَهَرَ مِنْها﴾. قال: «الزّينة الظّاهرة: الكحل والخاتم»[4]. وفي رواية: «هي الثّياب والكحل والخاتم وخضاب الكفّ والسّوار»[5]. وسئل: ما يحلّ للرّجل أن يرى من المرأة، إذا لم تكن محرماً؟ قال: «الوجه والكفّان والقدمان»[6].

﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ ستراً لأعناقهنّ ﴿وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾. كرّره لبيان من يحلّ له الإبداء ومن لا يحلّ. ﴿إِلّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبائِهِنَّ أَوْ آباءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنائِهِنَّ أَوْ أَبْناءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَواتِهِنَّ﴾.

قال: «الزّينة ثلاث: زينة للنّاس، وزينة للمحرم، وزينة للزّوج. فأمّا زينة النّاس فقد ذكرناها ـ أقول: يعني ما مرّ في الرّواية الثّانية ـ قال: وأمّا زينة المحرم: فموضع القلادة فما فوقها، والدُّملج[7] وما دونه، والخلخال وما أسفل منه. وأمّا زينة الزّوج: فالجسد

١ ـ القمّي ٢: ١١٠، عن أبي عبد الله عليه السلام.
٢ ـ في المصدر: «أن ينظر إليها».
٣ ـ الكافي ٢: ٣٥، ذيل الحديث الطويل: ١، عن أبي عبد الله عليه السلام.
٤ ـ الكافي ٥: ٥٢١، الحديث: ٣، عن أبي عبد الله عليه السلام.
٥ ـ القمّي ٢: ١٠١، عن أبي جعفر عليه السلام.
٦ ـ الكافي ٥: ٥٢١، الحديث: ٢، عن أبي عبد الله عليه السلام، وفيه: «إذا لم يكن محرماً».
٧ ـ الدُّمْلُجُ: المِعْضَدُ. الصّحاح ١: ٣١٦ (دملج).

كلّه»[١].

و ورد: «إنّ للزّوج ما تحت الدّرع، وللإبن والأخ ما فوق الدّرع، ولغير ذي محرم أربعة أثواب: درع وخمار وجلباب وإزار»[٢].

﴿أَوْ نِسائِهِنَّ﴾ أي: النّساء المؤمنات. ورد: «لا ينبغي للمرأة أن تنكشف بين[٣] اليهوديّة[٤] والنّصرانيّة، فإنّهنّ يصفن ذلك لأزواجهنّ»[٥].

﴿أَوْ ما مَلَكَتْ أَيْمانُهُنَّ﴾ قال: «يعني العبيد والإماء»[٦]. و ورد: «لا بأس أن يرى المملوك شعر مولاته وساقها»[٧]. وفي رواية: «لا بأس أن ينظر إلى شعرها إذا كان مأموناً»[٨]. وفي أُخرى: «لا يحلّ للمرأة أن ينظر عبدها إلى شيء من جسدها، إلّا إلى شعرها، غير متعمّد لذلك»[٩].

﴿أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ﴾ أي: أولي الحاجة إلى النّساء. قال: «التّابع: الّذي يتبعك وينال من طعامك ولا حاجة له في النّساء، وهو الأبله المولّى عليه»[١٠]. ﴿مِنَ الرِّجالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلى عَوْراتِ النِّساءِ﴾ لعدم تمييزهم[١١]. من الظّهور، بمعنى الاطّلاع، أو لعدم بلوغهم حدّ الشّهوة. من الظّهور، بمعنى الغلبة.

١ ـ القمّي ٢: ١٠١، عن أبي جعفر عليه السلام.
٢ ـ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ١٥٥، عن النّبيّ صلّى الله عليه وآله.
٣ ـ في «ألف»: «ما بين».
٤ ـ في المصدر: «ما بين يدي اليهوديّة».
٥ ـ الكافي ٥: ٥١٩، الحديث: ٥؛ من لا يحضره الفقيه ٣: ٣٦٦، الحديث: ١٧٤٢، عن أبي عبد الله عليه السلام.
٦ ـ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ١٣٨، عن أبي عبد الله عليه السلام.
٧ ـ الكافي ٥: ٥٣١، الحديث: ٣، عن أبي عبد الله عليه السلام.
٨ ـ المصدر، ذيل الحديث: ٤.
٩ ـ المصدر، الحديث: ٤، عن أبي عبد الله عليه السلام.
١٠ ـ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ١٣٨، عن أبي عبد الله عليه السلام.
١١ ـ في «ألف»: «تميّزهم».

﴿وَلا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ ما يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ﴾: ليتقعقع خلخالها ، فيعلم أنّها ذات خلخال ، فإنّ ذلك يورث ميلاً في الرّجال . ﴿وَتُوبُوا إِلى اللّٰهِ جَمِيعاً أَيُّها المُؤْمِنُونَ﴾ إذ لا يكاد يخلو أحد منكم من تفريط ، سيّما في الكفّ عن الشّهوات ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ بسعادة الدّارين .

﴿وَأَنْكِحُوا الأَيامىٰ مِنْكُمْ﴾ . هي مقلوب أيايم جمع أيّم ، وهو العزب ، ذكراً كان أو أُنثى ، بكراً كان أو ثيّباً . ﴿وَالصّالِحِينَ مِنْ عِبادِكُمْ وَإِمائِكُمْ﴾ للنّكاح ، أو خصّ الصّالحين ، لأنّ إحصان دينهم أهمّ ﴿إِنْ يَكُونُوا فُقَراءَ يُغْنِهِمُ اللّٰهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللّٰهُ واسِعٌ عَلِيمٌ﴾ . ورد: «من ترك التّزويج مخافة العيلة فقد أساء ظنّه باللّه ، إنّ اللّه يقول "إِنْ يَكُونُوا فُقَراءَ" الآية»[١] .

﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لا يَجِدُونَ نِكاحاً﴾ أسبابه ﴿حَتّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللّٰهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ قيل: أي: ليجتهدوا في قمع الشّهوة بالرّياضة[٢] ؛ كما ورد: «يا معشر الشّبّان من استطاع منكم الباءة فليتزوّج ، ومن لم يستطع فعليه بالصّوم ؛ فإنّه له وجاء»[٣] .

أقول: الباءة: الجماع . والوجاء: أن ترضّ أنثيا الفحل رضّاً شديداً يذهب بشهوة الجماع . أراد: أنّ الصّوم يقطع النّكاح كما يقطعه الوجاء .

و ورد: «يتزوّجون حتّى يغنيهم اللّه من فضله»[٤] . ولعلّ معناه: يطلبون العفّة بالتّزويج والإحصان ، ليصيروا أغنياء ، فيكون بمعنى الآية الأُولى . إلّا أنّ هذا التّفسير لا يلائم عدم الوجدان إلّا بتكلّف ، ولعلّ لفظة «لا» سقطت من صدر الحديث .

١ ـ الكافي ٥: ٣٣١ ، الحديث: ٥ ، عن أبي عبد اللّه ، عن آبائه ، عن النّبيّ صلوات اللّه عليهم .

٢ ـ البيضاوي ٤: ٧١ .

٣ ـ الكافي ٤: ١٨٠ ، الحديث: ٣ ، عن أبي عبد اللّه ، عن أبيه ، عن جدّه ، عن أمير المؤمنين عليه السلام ؛ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ١٤٠ ، عن النّبيّ صلّى اللّه عليه وآله .

٤ ـ الكافي ٥: ٣٣١ ، الحديث: ٦ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .

﴿وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتابَ﴾: المكاتبة، وهي أن يقول الرّجل لمملوكه: كاتبتُك على كذا، أي: كتبتُ على نفسي عِتْقَك، إذا أدّيتَ كذا من المال. ﴿مِمّا مَلَكَتْ أَيْمانُكُمْ﴾ عبداً كان أو أمة ﴿فَكاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْراً﴾ قال: «إن علمتم لهم مالاً»[١]. وفي رواية: «ديناً ومالاً»[٢]. وفي أُخرى: «الخير أن يشهد أن لا إله إلّا اللّه وأنّ محمّداً رسول اللّه، ويكون بيده عمل يكتسب به، أو يكون له حرفة»[٣]. ﴿وَآتُوهُمْ مِنَ مالِ اللّهِ الَّذِي آتاكُمْ﴾ قال: «أعطوهم ممّا كاتبتموهم به شيئاً»[٤].

﴿وَلا تُكْرِهُوا فَتَياتِكُمْ عَلَى الْبِغاءِ﴾: على الزّنا ﴿إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّناً﴾: تعفّفاً؛ شرط للإكراه، فإنّه لا يوجد بدونه، وإن جعل شرطاً للنّهي لم يلزم من عدمه جواز الإكراه لجواز أن يكون ارتفاع النّهي بارتفاع المنهيّ عنه. ﴿لِتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَياةِ الدُّنْيا﴾ القمّي: كانت العرب وقريش يشترون الإماء، ويضعون عليهم الضّريبة الثّقيلة، ويقولون: اذهبوا وازْنوا واكتسبوا، فنهاهم اللّه عن ذلك[٥]. ﴿وَمَنْ يُكْرِهْهُنَّ فَإِنَّ اللّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْراهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ أي: لهنّ. وفي قراءة الصّادق عليه السلام: «لهنّ غفور رحيم»[٦]. والقمّي: أي: لا يؤاخذهنّ اللّه بذلك إذا أكرهن عليه[٧]. و ورد: «هذه الآية منسوخة، نسختها "فَإِنْ أَتَيْنَ بِفاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ ما عَلَى الْمُحْصَناتِ مِنَ الْعَذابِ"[٨]»[٩].

١ ـ الكافي ٦: ١٨٧، الحديث: ٩؛ التّهذيب ٨: ٢٦٨، الحديث: ٩٧٥؛ من لا يحضره الفقيه ٣: ٧٣، الحديث: ٢٥٦، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٢ ـ الكافي ٦: ١٨٧، الحديث: ١٠؛ التّهذيب ٨: ٢٧٠، الحديث: ٩٨٤، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٣ ـ من لا يحضره الفقيه ٣: ٧٨، الحديث: ٢٧٨، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٤ ـ لم نعثر على نصّه في الرّوايات، وفي القمّي ٢: ١٠٢ بالمضمون.

٥ ـ القمّي ٢: ١٠٢.

٦ ـ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ١٣٩.

٧ ـ القمّي ٢: ١٠٢.

٨ ـ النّساء (٤): ٢٥.

٩ ـ القمّي ٢: ١٠٢، عن أبي جعفر عليه السلام.

﴿ وَلَقَدْ أَنْزَلْنا إِلَيْكُمْ آياتٍ مُبَيِّناتٍ وَمَثَلاً مِنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ ﴾ وقصّة عجيبة من قصصهم ﴿ وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ ﴾ .

﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمٰواتِ وَالأَرْضِ ﴾: الظّاهرُ بذاته المُظْهِرُ لهما بما فيهما . قال: «هَدٰى مَنْ في السّمٰوات ، وهَدٰى مَنْ في الأرض»[١] . وفي رواية: «هادٍ لأهل السّمٰوات ، وهادٍ لأهل الأرض»[٢] .

﴿ مَثَلُ نُورِهِ ﴾ قال: «مثل هداه في قلب المؤمن»[٣] . ﴿ كَمِشْكٰوةٍ ﴾: كمثل مشكاة ، وهي الكوّة غير النّافذة ﴿ فِيها مِصْباحٌ ﴾: سراج ضخم ثاقب ﴿ الْمِصْباحُ فِي زُجاجَةٍ ﴾: في قنديل من الزّجاج ﴿ الزُّجاجَةُ كَأَنَّها كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ ﴾: مضيء متلألئ . قال: «المشكاة: جوف المؤمن ، والقنديل: قلبه ، والمصباح: النّور الّذي جعله اللّه فيه[٤]»[٥] . ﴿ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ ﴾ بأن رويت ذبالتها[٦] بزيتها . قال: «الشّجرة: المؤمن»[٧] . ﴿ لا شَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ ﴾ قال: «على سواء الجبل ، إذا طلعت الشّمس طلعت عليها ، وإذا غربت غربت عليها»[٨] .

أقول: وذلك لأنّها إذا وقع عليها الشّمس طول النّهار ، تكون ثمرتها أنضج وزيتها أصفى .

﴿ يَكادُ زَيْتُها يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نارٌ ﴾ أي: يكاد يضيء بنفسه من غير نار ؛

١ ـ التّوحيد: ١٥٥ ، الباب: ١٥ ، الحديث: ١ ، في رواية البرقي .
٢ ـ المصدر ، عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام .
٣ ـ القمّي ٢: ١٠٣ ، عن أبي عبد اللّه ، عن أبيه عليهما السلام .
٤ ـ في المصدر: «في قلبه» .
٥ ـ القمّي ٢: ١٠٣ ، عن أبي عبد اللّه ، عن أبيه عليهما السلام .
٦ ـ الذُّبالة: الفتيلة الّتي تُسرَج ، والجمع: ذُبال . لسان العرب ٥: ٢٦ (ذبل) .
٧ و ٨ ـ القمّي ٢: ١٠٣ ، عن أبي عبد اللّه ، عن أبيه عليهما السلام .

لتلألؤه . قال: «يعني يكاد النّور الّذي جعله اللّه في قلبه يضيء وإن لم يتكلّم»[١] . ﴿نُورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾: نور متضاعف[٢] . فإنّ نور المصباح زاد في إنارته صفاء الزّيت ، وزهرة القنديل ، وضبط المشكاة لأشعّته . قال: «فريضة على فريضة ، وسنّة على سنّة»[٣] .

أقول: يعني يستمدّ نور قلبه من نور الفرائض والسّنن متدرّجاً .

﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ قال: «يهدي اللّه لفرائضه وسننه من يشاء»[٤] . ﴿وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ﴾ تقريباً للمعقول إلى المحسوس ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ معقولاً كان أو محسوساً .

قال: «فهذا مثل ضربه اللّه للمؤمن . قال: فالمؤمن يتقلّب في خمسة من النّور: مدخله نور ، ومخرجه نور ، وعلمه نور ، وكلامه نور ، ومصيره يوم القيامة إلى الجنّة نور»[٥] . وفي رواية: «هو مثل ضربه اللّه لنا»[٦] .

وفي أُخرى: «"مثل نوره" ، قال: محمّد صلّى اللّه عليه وآله "كمشكوة" ، قال: صَدْرُ محمّد صلّى اللّه عليه وآله "فيها مصباح" ، قال: فيه نور العلم ، يعني النّبوّة . "المصباح في زجاجة" ، قال: علم رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله صَدَرَ إلى قلب عليّ عليه السلام . "الزّجاجة كأنّها" ، قال: كأنّه كوكب . إلى قوله: "ولا غربيّة" ، قال: ذاك أمير المؤمنين عليه السلام ، لا يهوديّ ولا نصرانيّ . "يكاد زيتها يضيء" ، قال: يكاد العلم يخرج من فم العالم من آل محمّد من قبل أن ينطق به . "نور على نور" ، قال: الإمام في أثر الإمام»[٧] .

١ ـ القمّي ٢: ١٠٣ ، عن أبي عبد اللّه ، عن أبيه عليهما السلام .
٢ ـ في «ألف»: «مضاعف» .
٣ ـ القمّي ٢: ١٠٣ ، عن أبي عبد اللّه ، عن أبيه عليهما السلام .
٤ ـ القمّي ٢: ١٠٣ ، عن أبي عبد اللّه ، عن أبيه عليهما السلام .
٥ ـ القمّي ٢: ١٠٣ ، عن أبي عبد اللّه ، عن أبيه عليهما السلام .
٦ ـ التّوحيد: ١٥٧ ، الباب: ١٥ ، الحديث: ٢ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .
٧ ـ المصدر ، الحديث: ٣ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .

وفي رواية: «"يكاد زيتها يضيء"، يقول: مثل أولادكم الّذين يولدون منكم، مثل الزّيت الّذي يعصر من الزّيتون، يكادون أن يتكلّموا بالنّبوّة؛ ولو لم ينزل عليهم ملك»[١].

﴿فِي بُيُوتٍ﴾ أي: كمشكاة في بعض بيوت، أو توقد في بيوت. قال: «هي بيوت النّبيّ»[٢]. وفي رواية: «هي بيوتات الأنبياء والرّسل والحكماء وأئمّة الهدى»[٣]. ﴿أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ﴾ بالتّعظيم ﴿وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيها بِالْغُدُوِّ وَالْآصالِ﴾.

﴿رِجالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقامِ الصَّلاةِ وَإِيتاءِ الزَّكاةِ﴾ قال: «كانوا أصحاب تجارة، فإذا حضرت الصّلاة تركوا التّجارة وانطلقوا إلى الصّلاة؛ وهم أعظم أجراً ممّن لا يتّجر»[٤]. ﴿يَخافُونَ يَوْماً﴾ مع ما هم عليه من الذّكر والطّاعة ﴿تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصارُ﴾: تضطرب وتتغيّر من الهول.

﴿لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ ما عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾ مالا يخطر ببالهم ﴿وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشاءُ بِغَيْرِ حِسابٍ﴾. تقرير للزّيادة.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمالُهُمْ كَسَرابٍ بِقِيعَةٍ﴾: بأرض مستوية ﴿يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ ماءً حَتَّىٰ إِذا جاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً﴾ ممّا ظنّه ﴿وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ﴾ محاسباً إيّاه ﴿فَوَفَّاهُ حِسابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسابِ﴾.

روي: «إنّها نزلت في عتبة بن ربيعة بن أُميّة[٥]، تعبد في الجاهليّة والتمس الدّين، فلمّا

١ ـ الكافي ٨: ٣٨١، ذيل الحديث: ٥٧٤، عن أبي جعفر عليه السلام.

٢ ـ الكافي ٨: ٣٣١، الحديث: ٥١٠، عن أبي عبد الله عليه السلام.

٣ ـ المصدر عن أبي عبد الله عليه السلام؛ كمال الدّين ١: ٢١٨، الباب: ٢٢، ذيل الحديث الطّويل: ٢، عن أبي جعفر عليه السلام.

٤ ـ من لا يحضره الفقيه ٣: ١١٩، الحديث: ٥٠٨، عن أبي عبد الله عليه السلام.

٥ ـ عتبة بن ربيعة بن عبد شمس، أبوالوليد: كبير قريش وأحد ساداتها في الجاهليّة، نشأ يتيماً في حجر حرب بن أُميّة. أدرك الإسلام، وطغى فشهد بدراً مع المشركين. وكان ضخم الجثّة، عظيم الهامة، وقاتل قتالاً شديداً، فأحاط به علي بن أبي طالب والحمزة وعبيدة بن الحارث، فقتلوه. الأعلام (للزركلي) ٤: ٢٠٠.

جاء الاسلام كفر»[١].

﴿أَوْ كَظُلُماتٍ﴾ «أو» للتّخيير، فإنّ أعمالهم لكونها لاغيةً لا منفعة لها كالسّراب، ولكونها خاليةً عن نور الحقّ كالظّلمات المتراكمة من لجّ البحر والأمواج والسّحاب؛ أو للتّنويع، فإنّ أعمالهم إن كانت حسنة فكالسّراب، وإن كانت قبيحة فكالظّلمات. ﴿فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ﴾: عميق منسوب إلى اللّجّ، وهو معظم الماء ﴿يَغْشاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ﴾ أي: أمواج مترادفة متراكمة ﴿مِنْ فَوْقِهِ سَحابٌ﴾ غطّى النّجوم وحجب الأنوار ﴿ظُلُماتٌ بَعْضُها فَوْقَ بَعْضٍ إِذا أَخْرَجَ يَدَهُ﴾ يعني من كان هناك ﴿لَمْ يَكَدْ يَراها﴾ فضلاً أن يراها ﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللّٰهُ لَهُ نُوراً﴾: لم يقدّر له الهداية، ولم يوفّقه لأسبابها ﴿فَما لَهُ مِنْ نُورٍ﴾ خلاف الموفّق الّذي له نور على نور.

ورد في تأويله: «"أو كظلمات": الأوّل والثّاني، "يغشيه موج": الثّالث، "من فوقه موج": طلحة والزّبير، "ظلمات بعضها فوق بعض": معاوية ويزيد وفتن بني أميّة، "إذا أخرج يده": في ظلمة فتنتهم "لم يكد يراها"، "ومن لم يجعل اللّه له نوراً": يعني إماماً من ولد فاطمة عليها السلام، "فما له من نور": من إمام يوم القيامة يمشي بنوره، كما في قوله تعالى: "يَسْعىٰ نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمانِهِمْ"[٢] قال: إنّما المؤمنون يوم القيامة "نُورُهُمْ يَسْعىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمانِهِمْ"[٣]، حتّى ينزلوا منازلهم من الجنان»[٤].

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللّٰهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمٰواتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صافّاتٍ﴾: واقفات[٥] في الجوّ، مصطفّات الأجنحة في الهواء ﴿كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللّٰهُ عَلِيمٌ بِما

١ ـ البيضاوي ٤: ٨٢.

٢ ـ الحديد (٥٧): ١٢.

٣ ـ التّحريم (٦٦): ٨.

٤ ـ القمّي ٢: ١٠٦، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٥ ـ في «ألف»: «واقعات».

يَفْعَلُونَ﴾ . ورد: «ما من طير يصاد في برّ ولا بحر[1] ، ولا يصاد شيء من الوحش ، إلّا بتضييعه التّسبيح»[2] . وقد سبق[3] معنى تسبيح الحيوان والجماد .

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمٰواتِ وَالأَرْضِ وَإِلى اللّٰهِ المَصِيرُ﴾: مرجع الجميع .

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللّٰهَ يُزْجِي﴾: يسوق ﴿سَحاباً ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ﴾ بأن يكون قطعاً ، فيضمّ بعضه إلى بعض ﴿ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكاماً﴾: متراكماً بعضه فوق بعض ﴿فَتَرَى الوَدْقَ﴾: المطر ﴿يَخْرُجُ مِنْ خِلالِهِ﴾: من فتوقه ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّماءِ﴾: من الغمام ، فإنّ كلّ ما علاك فهو سماء ﴿مِنْ جِبالٍ﴾: من قطع عظام تشبه الجبال في عظمها وجمودها ﴿فِيها مِنْ بَرَدٍ﴾ . بيان للجبال . ﴿فَيُصِيبُ بِهِ﴾: بالبرد ﴿مَنْ يَشاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشاءُ﴾ .

ورد: «إنّ اللّه جعل السّحاب غرابيل للمطر ، هي تذيب البرد ماء لكيلا يضرّ شيئاً يصيبه ، والّذي ترون فيه من البرد والصّواعق نقمة من اللّه عزّوجلّ ، يصيب بها من يشاء من عباده»[4] . ﴿يَكادُ سَنابَرْقِهِ﴾: ضوء برقه ﴿يَذْهَبُ بِالأَبْصارِ﴾: بأبصار النّاظرين إليه لفرط الإضاءة .

﴿يُقَلِّبُ اللّٰهُ اللَّيْلَ وَالنَّهارَ﴾ بالمعاقبة بينهما ، ونقص أحدهما وزيادة الآخر ، وتغيير أحوالهما بالحرّ والبرد ، والظّلمة والنّور ﴿إِنَّ فِي ذٰلِكَ﴾: فيما تقدّم ذكره ﴿لَعِبْرَةً لِأُولِي الأَبْصارِ﴾ .

﴿وَاللّٰهُ خَلَقَ كُلَّ دابَّةٍ﴾: كلّ ما يدبّ على الأرض ﴿مِنْ ماءٍ﴾ القمّي: من منيّ[5] ، وقيل: من الماء الّذي جزء مادّته ، إذ من الحيوان ما يتولّد لا من نطفة[6] . ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي

١ ـ في المصدر: «في البرّ ولا في البحر» .

٢ ـ القمّي ٢: ١٠٧ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .

٣ ـ ذيل الآية: ٤٤ من سورة الإسراء ، وذيل الآيات: ٤٨ إلى ٥٠ من سورة النّحل .

٤ ـ الكافي ٨: ٢٤٠ ، ذيل الحديث: ٣٢٦ ، عن أبي عبد اللّه ، عن أبيه ، عن أمير المؤمنين ، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله .

٥ ـ القمّي ٢: ١٠٧ .

٦ ـ البيضاوي ٤: ٨٤ .

عَلىٰ بَطْنِهِ﴾ كالحيّة ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلىٰ رِجْلَيْنِ﴾ كالإنس والطّير ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلىٰ أَرْبَعٍ﴾ كالنَّعَم والوحش. قال: «ومنهم من يمشي على أكثر من ذلك»[1]. ﴿يَخْلُقُ اللَّهُ ما يَشاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿لَقَدْ أَنْزَلْنا آياتٍ مُبَيِّناتٍ﴾ للحقائق بأنواع الدّلائل ﴿وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشاءُ﴾ بالتّوفيق للنّظر فيها، والتّدبّر لمعانيها ﴿إِلىٰ صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾.

﴿وَيَقُولُونَ آمَنّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنا ثُمَّ يَتَوَلّىٰ فَرِيقٌ مِنْهُمْ﴾ بالامتناع عن قبول حكمه ﴿مِنْ بَعْدِ ذٰلِكَ﴾: بعد قولهم هذا ﴿وَما أُولٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ الّذين عرفتهم، وهم المخلصون في الإيمان الثّابتون عليه.

﴿وَإِذا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ﴾ أي: ليحكم النّبيّ ﴿إِذا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ فاجأ فريق منهم الإعراض إذا كان الحقّ عليهم، لعلمهم بأنّه لا يحكم لهم؛ وهو شرح للتّولّي ومبالغة فيه.

﴿وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ﴾ لا عليهم ﴿يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ﴾: منقادين لعلمهم بأنّه يحكم لهم.

﴿أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾: كفر وميل إلى الظّلم ﴿أَمِ ارْتابُوا﴾ بأن رأوا منك تهمة، فزالت ثقتهم بك ﴿أَمْ يَخافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ﴾ في الحكومة.

﴿بَلْ أُولٰئِكَ هُمُ الظّالِمُونَ﴾.

﴿إِنَّما كانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنا وَأَطَعْنا وَأُولٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾

﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ[2] فَأُولٰئِكَ هُمُ الْفائِزُونَ﴾.

١ ـ القمّي ٢: ١٠٧، عن أبي عبد الله عليه السلام؛ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ١٤٨، عن أبي جعفر عليه السلام.

٢ ـ و«يتّقه» عطف على الشّرط المجزوم، أي: ومن يطع الله؛ لأنّ كلمة «من» تتضمّن معنى الشّرط فحذف الياء ←

قال: «نزلت هذه الآيات في أمير المؤمنين عليه السلام وعثمان، وذلك أنّه كان بينهما منازعة في حديقة، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: نرضى برسول الله صلى الله عليه وآله. فقال عبد الرّحمٰن بن عوف[1] لعثمان: لا تحاكم إلى رسول الله، فإنّه يحكم له عليك، ولكن حاكِمْه إلى ابن شيبة اليهوديّ!! فقال ابن شيبة لعثمان: تأتمنون رسول الله على وحي السّماء وتتّهمونه في الأحكام!! فأنزل الله على رسوله "وإذا دُعُوا إلى اللهِ وَرَسُولِه" الآيات»[2].

﴿وَأَقْسَمُوا بِاللّهِ جَهْدَ أَيْمانِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ﴾ بالخروج عن ديارهم وأموالهم ﴿لَيَخْرُجُنَّ قُلْ لا تُقْسِمُوا﴾ على الكذب ﴿طاعَةٌ مَعْرُوفَةٌ﴾: المطلوب منكم طاعة معروفة، لا اليمين على الطّاعة النّفاقيّة المنكرة ﴿إِنَّ اللّهَ خَبِيرٌ بِما تَعْمَلُونَ﴾.

﴿قُلْ أَطِيعُوا اللّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّما عَلَيْهِ﴾: على محمّد ﴿ما حُمِّلَ﴾ من التّبليغ ﴿وَعَلَيْكُمْ ما حُمِّلْتُمْ﴾ من الامتثال ﴿وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾ إلى الحقّ ﴿وَما عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلاغُ الْمُبِينُ﴾.

﴿وَعَدَ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصّالِحاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾: ليجعلنّهم خلفاء بعد نبيّكم ﴿كَما اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ يعني وصاة الأنبياء بعدهم ﴿وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضى لَهُمْ﴾ وهو الإسلام ﴿وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ﴾ من الأعداء ﴿أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَنْ كَفَرَ﴾: ارتدّ أو كفر هذه النّعمة

← منها، لأنّ المعطوف بالشّرط المجزوم مجزوم أيضاً، فصار «يتّق»، فاتّصل به هاء السّاكن فصار «يتّقه»، فحسب اللّام المحذوف كأن لم يكن، فصار اللّام حينئذ حرف القاف، فصار القاف مجزوماً، فصار «يتّقه»، فالتقى السّاكنان، أعني القاف والهاء، فكسرت الهاء لدفع التقاء السّاكنين، فصار «يتّقه». كذا إعلاله في الصّرف. منه في نسخة «ب».

١ ـ عبد الرحمٰن بن عوف بن عبد عوف بن عبد الحارث، أبو محمّد، الزهري القرشي، وهو أحد السّتّة من أصحاب الشّورى الذين جعل عمر الخلافة فيهم، ولد بعد الفيل بعشر سنين، وتوفّى سنة: ٣٢هـ في المدينة. الأعلام (للزركلي) ٣: ٣٢١.

٢ ـ القمّي ٢: ١٠٧، عن أبي عبد الله عليه السلام.

﴿بَعْدَ ذٰلِكَ﴾: بعد حصوله ﴿فَأُولٰئِكَ هُمُ الفاسِقُونَ﴾: الكاملون في الفسق.

ورد: «إنّها نزلت في المهديّ من آل محمّد عليهم السلام»[١].

وقال: «هم والله شيعتنا أهل البيت، يفعل ذلك بهم على يدي رجل منّا، وهو مهديّ هذه الأمّة، وهو الّذي قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لو لم يبق من الدّنيا إلّا يوم لطوّل الله ذلك اليوم، حتّى يلي رجلٌ من عترتي اسمه اسمي، يملأُ الأرضَ عدلاً وقسطاً، كما مُلِئَتْ ظلماً وجوراً»[٢]. وفي معناه أخبار أُخر[٣].

وفي رواية: «هم الأئمّة»[٤]. قال: «ولقد قال الله في كتابه لولاة الأمر من بعد محمّد صلى الله عليه وآله خاصّة: "وَعَدَ اللّهُ الّذينَ آمَنوا مِنكُمْ" إلى قوله: "فَأُولٰئِكَ هُمُ الفاسِقُونَ" يقول: أستخلفكم لعلمي وديني وعبادتي بعد نبيّكم، كما استخلف وصاة آدم من بعده، حتّى يبعث النّبيّ الّذي يليه. قال: فقد مكّن ولاة الأمر بعد محمّد بالعلم، ونحن هم؛ فاسألونا، فإن صدقناكم فأقرّوا، وما أنتم بفاعلين»[٥].

أقول: لا تنافي بين الرّوايتين، لأنّ استخلافهم وتمكينهم بالعلم قد حصل، وأمّا تبديل خوفهم بالأمن، فإنّما يكون بالمهديّ عليه السلام.

﴿وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾.

﴿لا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الأَرْضِ﴾: معجزين الله عن إدراكهم وإهلاكهم ﴿وَمَأْواهُمُ النّارُ وَلَبِئْسَ المَصِيرُ﴾.

﴿يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنْكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمانُكُمْ﴾. قال: «هي خاصّة في

١ ـ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ١٥٢، عن أهل البيت عليهم السلام.

٢ ـ المصدر، عن علي بن الحسين عليهما السلام؛ جوامع الجامع: ٣١٨، عن السّجاد والباقر والصادق عليهم السلام.

٣ ـ كمال الدّين ٢: ٣٥٦، الباب: ٣٣، ذيل الحديث: ٥٠، عن أبي عبد الله عليه السلام؛ الاحتجاج ١: ٣٨٢، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

٤ ـ الكافي ١: ١٩٤، ذيل الحديث: ٣، عن أبي عبد الله عليه السلام.

٥ ـ المصدر: ٢٥٠، الحديث: ٧، عن أبي جعفر عليه السلام.

الرّجال دون النّساء»[1] . وفي رواية: «هم المملوكون من الرّجال والنّساء والصّبيان»[2] .
﴿وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الحُلُمَ مِنْكُمْ﴾: الصّبيان من الأحرار . قال: «من أنفسكم»[3] . ﴿ثَلاثَ مَرّاتٍ﴾ يعني في اليوم واللّيلة ﴿مِنْ قَبْلِ صَلاةِ الفَجْرِ﴾ لأنّه وقت القيام من المضاجع ، وطرح ثياب النّوم ولبس ثياب اليقظة ﴿وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيابَكُمْ﴾ يعني للقيلولة ﴿مِنَ الظَّهِيرَةِ﴾ . بيان للحين ، أي وقت الظّهر ﴿وَمِنْ بَعْدِ صَلاةِ العِشاءِ﴾ لأنّه وقت التّجرّد عن اللّباس والالتحاف باللّحاف ﴿ثَلاثُ عَوْراتٍ لَكُمْ﴾ أي: ثلاث أوقات يختلّ فيها تستّركم ؛ وأصل العورة الخلل .

﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلا عَلَيْهِمْ جُناحٌ بَعْدَهُنَّ﴾: بعد هذه الأوقات في ترك الاستئذان . قال: «ويدخل مملوككم وغلمانكم من بعد هذه الثّلاث عورات بغير إذن إن شاؤوا»[4] . ﴿طَوّافُونَ عَلَيْكُمْ﴾ أي: هم طوّافون ؛ استئناف لبيان العذر المرخّص في ترك الاستئذان ، وهو المخالطة وكثرة المداخلة ﴿بَعْضُكُمْ﴾: طائف ﴿عَلىٰ بَعْضٍ﴾ هؤلاء للخدمة وهؤلاء للاستخدام ، فإنّ الخادم إذا غاب احتيج إلى الطّلب ، وكذا الأطفال للتّربية . ﴿كَذٰلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمُ الآياتِ﴾ أي: الأحكام ﴿وَاللّهُ عَلِيمٌ﴾ بأحوالكم ﴿حَكِيمٌ﴾ فيما شرع لكم .

﴿وَإِذا بَلَغَ الأَطْفالُ مِنْكُمُ﴾ أيها الأحرار ﴿الحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا﴾ يعني في جميع الأوقات ﴿كَما اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾: الّذين بلغوا من قبلهم من الأحرار المستأذنين في الأوقات كلّها ﴿كَذٰلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ آياتِهِ وَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ . كرّره تأكيداً ومبالغة في الأمر بالاستئذان .

قال: «ومن بلغ الحلم منكم فلا يلج على أُمّه ، ولا على أُخته ، ولا على خالته ، ولا

١ ـ الكافي ٥: ٥٢٩ ، الحديث: ٢ ، عن أبي عبد الله عليه السلام .
٢ ـ المصدر: ٥٣٠ ، الحديث: ٤ ، عن أبي عبد الله عليه السلام .
٣ ـ المصدر: ٥٣٠ ، ذيل الحديث: ٢ ، عن أبي عبد الله عليه السلام .
٤ ـ المصدر: ٥٣٠ ، الحديث: ٤ ، عن أبي عبد الله عليه السلام .

على من سوى ذلك إلّا بإذن، ولا تأذنوا حتّى يسلّم، فإنّ السّلام طاعة لِلّه عزّوجلّ»[١].

﴿وَالقَواعِدُ مِنَ النِّساءِ﴾: العجائز اللّاتي قعدن من الحيض والتّزويج ﴿اللّاتِي لا يَرْجُونَ نِكاحاً فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُناحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيابَهُنَّ﴾ أي: الثّياب الظّاهرة. وفي قراءتهم عليهم السلام «من ثيابهنّ»[٢]. قال: «الخمار والجلباب. قيل: بين يدي من كان؟ قال: بين يدي من كان»[٣]. وفي رواية: «الجلباب وحده[٤]، إلّا أن تكون أمة ليس عليها جناح أن تضع خمارها»[٥]. ﴿غَيْرَ مُتَبَرِّجاتٍ بِزِينَةٍ﴾: غير مظهرات زينة ممّا أُمرن بإخفائه، وهو ما عدا الوجه والكفّين والقدمين، وأصل التّبرّج التّكلّف في إظهار ما يخفي. ﴿وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ﴾ من الوضع. قال: «فإن لم تفعل فهو خير لها»[٦]. ﴿وَاللّهُ سَمِيعٌ﴾ لمقالهنّ للرّجال ﴿عَلِيمٌ﴾ بمقصودهنّ.

﴿لَيْسَ عَلَى الأَعْمى حَرَجٌ وَلا عَلَى الأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلا عَلَى المَرِيضِ حَرَجٌ وَلا عَلى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَواتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خالاتِكُمْ أَوْ ما مَلَكْتُمْ مَفاتِحَهُ أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُناحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعاً أَوْ أَشْتاتاً﴾: مجتمعين أو متفرّقين؛ نفي لما كانوا يتحرّجون منه.

قال: «وذلك أنّ أهل المدينة قبل أن يُسْلِموا، كانوا يعتزلون الأعمى والأعرج

---

١ ـ الكافي ٥: ٥٢٩، الحديث: ١، عن أبي عبد الله عليه السلام.

٢ ـ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ١٥٣، عن الباقر والصادق عليهما السلام.

٣ ـ الكافي ٥: ٥٢٢، الحديث: ١، عن أبي عبد الله عليه السلام.

٤ ـ في المصدر: «تضع الجلباب وحده».

٥ ـ الكافي ٥: ٥٢٢، الحديث: ٢، عن أبي عبد الله عليه السلام، وأُنظر ذيل الحديث في التهذيب ٧: ٤٨٠، الحديث: ١٩٢٨، عن أبي عبد الله عليه السلام.

٦ ـ الكافي ٥: ٥٢٢، الحديث: ١، عن أبي عبد الله عليه السلام.

والمريض، وكانوا لا يأكلون معهم، وكان الأنصار فيهم تيه[1] وتكرم، فقالوا: إنّ الأعمى لا يبصر الطعام، والأعرج لا يستطيع الزّحام على الطّعام، والمريض لا يأكل كما يأكل الصّحيح، فعزلوا لهم طعامهم على ناحية، وكانوا يرون عليهم في مواكلتهم جناح، وكان الأعمى والأعرج والمريض يقولون: لعلّنا نؤذيهم إذا أكلنا معهم، فاعتزلوا من مواكلتهم، فلمّا قدم النّبيّ صلى الله عليه وآله سألوه عن ذلك، فأنزل الله عزّوجلّ "ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعاً أو أشتاتاً"»[2].

والقمّي: لمّا هاجر رسول الله صلى الله عليه وآله إلى المدينة وآخى بين المسلمين من المهاجرين والأنصار، قال: فكان بعد ذلك إذا بعث أحداً من أصحابه في غزاة أو سريّة، يدفع الرّجلُ مفتاحَ بيتِهِ إلى أخيه في الدّين ويقول له: خُذْ ما شئْتَ، وكُلْ ما شئْتَ، فكانوا يمتنعون من ذلك، حتّى ربّما فسد الطّعام في البيت، فأنزل الله "ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعاً أو أشتاتاً" يعني إن حضر صاحبه أو لم يحضر إذا ملكتم مفاتحه[3].

قيل: "بيوتكم" تشمل بيت الولد[4]. وقد ورد: «إنّ أطيب ما يأكل المرء من كسبه، وإنّ ولده من كسبه»[5]. و ورد: «أنت ومالك لأبيك»[6].

قال: «هؤلاء الّذين سمّى الله عزّوجلّ في هذه الآية، يأكل بغير إذنهم من التّمر والمأدوم، وكذلك تطعم المرأة من منزل زوجها بغير إذنه، فأمّا ما خلا ذلك من الطّعام فلا»[7].

١ ـ التِّيهُ: الصَّلَف والكِبْر، لسان العرب ٢: ٧٢ (تيه).

٢ ـ القمّي ٢: ١٠٨، عن أبي جعفر عليه السلام.

٣ ـ المصدر: ١٠٩.

٤ ـ البيضاوي ٤: ٨٧؛ تفسير أبي السّعود ٦: ١٩٦ بالمضمون.

٥ ـ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ١٥٦؛ الكشّاف ٣: ٧٧، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله.

٦ ـ الكافي ٥: ١٣٥، الحديث: ٣، عن أبي جعفر عليه السلام، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله؛ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ١٥٦، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله.

٧ ـ الكافي ٦: ٢٧٧، الحديث: ٢، عن أبي عبد الله عليه السلام، وفيه: «تأكل بغير إذنهم».

وقال: «للمرأة أن تأكل وأن تتصدّق، وللصّديق أن يأكل من منزل أخيه ويتصدّق»[١].

وقال: «الرّجل له وكيل يقوم في ماله، فيأكل بغير إذنه»[٢]. وقال: «ليس عليك جناح فيما أطعمتَ أو أكلتَ ممّا ملكتَ مفاتحه ما لم تفسده»[٣].

﴿فَإِذا دَخَلْتُمْ بُيُوتاً فَسَلِّمُوا عَلىٰ أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللّٰهِ مُبارَكَةً طَيِّبَةً﴾ قال: «هو تسليم الرّجل على أهل البيت حين يدخل، ثمّ يردّون عليه، فهو سلامكم على أنفسكم»[٤]. وقال: «إذا دخل الرّجل منكم بيته فإن كان فيه أحد يسلّم عليهم، وإن لم يكن فيه أحد فليقل: السّلام علينا من عند ربّنا، يقول اللّٰه: "تحيّةً من عند اللّٰه مباركة طيّبة"»[٥].

و ورد: «سَلِّمْ على أهل بيتك يكثر خير بيتك»[٦]. ﴿كَذٰلِكَ يُبَيِّنُ اللّٰهُ لَكُمُ الآياتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ الخير في الأُمور.

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللّٰهِ وَرَسُولِهِ﴾ من صميم قلوبهم ﴿وَإِذا كانُوا مَعَهُ عَلىٰ أَمْرٍ جامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ﴾. القمّي: نزلت في قوم كانوا إذا جمعهم رسول اللّٰه صلّى اللّٰه عليه وآله لأمر من الأُمور، في بعث يبعثه أو في حرب قد حضرت، يتفرّقون بغير إذنه، فنهاهم اللّٰه عن ذلك[٧].

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللّٰهِ وَرَسُولِهِ﴾. إنّما أعاده مؤكّداً على أُسلوب أبلغ، ليفيد أنّ المستأذن مؤمن لا محالة، وأنّ الذّاهب بغير إذن ليس كذلك. تنبيهاً على كونه مصداقاً لصحّة الإيمان، ومميّزاً للمخلص عن المنافق، وتعظيماً للجرم.

١ ـ الكافي ٦: ٢٧٧، الحديث: ٣، عن أبي عبد اللّٰه عليه السلام.

٢ ـ المصدر، الحديث: ٥، عن أبي عبد اللّٰه عليه السلام، وفيه: «الرجل يكون له وكيل...».

٣ ـ المصدر، الحديث: ٤، عن أحدهما عليهما السلام، وفيه: «فيما طعمت...».

٤ ـ معاني الأخبار: ١٦٣، ذيل الحديث: ١، عن أبي جعفر عليه السلام؛ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ١٥٨، عن أبي عبد اللّٰه عليه السلام.

٥ ـ القمّي ٢: ١٠٩، عن أبي جعفر عليه السلام.

٦ ـ جوامع الجامع: ٣١٩.

٧ ـ القمّي ٢: ١١٠.

﴿فَإِذَا ٱسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ﴾: ما يعرض لهم من المهامّ ﴿فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ﴾ بعد الإذن، فإنّ الاستيذان ولو لعذرٍ قصورٌ، لأنّه تقديم لأمر الدّنيا على أمر الدّين ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

القمّي: نزلت في حنظلة بن أبي عيّاش[1]، وذلك أنّه تزوّج في اللّيلة الّتي كانت في صبيحتها حربُ أُحُد، فاستأذن رسولَ اللهﷺ أن يقيمَ على أهله، فأنزل الله عزّوجلّ هذه الآية: "فأذن لمن شئت منهم" فأقام عند أهله، ثمّ أصبح وهو جنب، فحضر القتال واستشهد، فقال رسول اللهﷺ: رأيتُ الملائكةَ تغسل حنظلة بماء المُزْنِ[2] في صحائف فضّة بين السّماء والأرض، فكان سمّى غسيل الملائكة[3].

﴿لَّا تَجْعَلُوا دُعَاءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا﴾ قال: «يقول: لا تقولوا: يا محمّد، ولا يا أبا القاسم، لكن قولوا: يا نبيّ الله، ويا رسول الله»[4].

و ورد: «قالت فاطمة عليها السلام: لمّا نزلت هذه الآية هبت رسول اللهﷺ أن أقول له: يا أبه، فكنتُ أقول: يا رسول الله، فأعرض عنّي مرّة أو ثنتين[5] أو ثلاثاً، ثمّ أقبل عليّ فقال: يا فاطمة إنّها لم تنزل فيك، ولا في أهلك، ولا في نسلك، أنت منّي وأنا منك؛ إنّما نزلت في أهل الجفاء والغلظة من قريش، أصحابِ البَذَخ[6] والكبر، قولي: يا أبه، فإنّها أحيل للقلب،

١ ـ هو حنظلة بن أبي عامر بن صيفي بن مالك بن أُميّة المعروف بغسيل الملائكة، وكان أبوه في الجاهليّة يعرف بالراهب، وكان يذكر البعث ودين الحنيفة فلمّا بُعث النّبيّﷺ عانده وحسده وخرج عن المدينة وشهد مع قريش وقعة أُحد ثم رجع مع قريش إلى مكّة ثم خرج إلى الروم فمات بها سنة تسع. وأسلم ابنه حنظلة فحسن إسلامه واستشهد بأُحد؛ لا يختلف أصحاب المغازي في ذلك. الإصابة ٢: ٤٤.

٢ ـ المُزْن: السّحاب عامّة، وقيل: السّحاب ذو الماء. لسان العرب ١٣: ٩٦ (مزن).

٣ ـ القمّي ٢: ١١٠.

٤ ـ المصدر، عن أبي جعفر عليه السلام.

٥ ـ في «ألف»: «اثنين».

٦ ـ البَذَخ: الكبر وتطاول الرجل بكلامه وافتخاره. لسان العرب ١: ٣٥٠ (بذخ).

وأرضى للرّبّ»[١].

﴿قَدْ يَعْلَمُ اللّٰهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ﴾: يخرجون قليلاً قليلاً من الجماعة ﴿لِواذاً﴾ ملاوذة، بأن يستتر بعضهم ببعض حتّى يخرج، أو يلوذ بمن يؤذن، فينطلق معه كأنّه تابعه ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ﴾: يعصون أمره ﴿أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾: محنة في الدّنيا ﴿أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ﴾. قال: «يسلّط عليهم سلطان جائر أو عذاب أليم في الآخرة»[٢]. وفي رواية: «فتنة في دينه أو جراحة لا يأجره اللّه عليها»[٣].

﴿أَلا إِنَّ لِلّٰهِ ما فِي السَّمٰواتِ وَالْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ ما أَنْتُمْ عَلَيْهِ﴾ من المخالفة والموافقة والنّفاق والإخلاص ﴿وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ﴾ يرجع المنافقون إليه أو الكلّ؛ فيكون التفاتاً في الكلام ﴿فَيُنَبِّئُهُمْ بِما عَمِلُوا وَاللّٰهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

١ ـ المناقب (لابن شهرآشوب) ٣: ٢٢٠، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.
٢ ـ جوامع الجامع: ٣٢٠، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.
٣ ـ الكافي ٨: ٢٢٣، الحديث: ٢٨١، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

سورة الفرقان

[مكيّة، وهي سبع وسبعون آية][1]

بسم الله الرحمٰن الرحيم

﴿تَبَارَكَ الَّذِي﴾: تكاثر خيره، من البركة وهي كثرة الخير. ﴿نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ﴾. سبق تفسير الفرقان في آل عمران[2]. ﴿لِيَكُونَ﴾ العبد أو الفرقان ﴿لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً﴾: للجنّ والإنس منذراً، أو إنذاراً، كالنّكير بمعنى الإنكار.

﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً﴾ كما زعمه النّصارى ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ﴾ كما يقوله الثّنويّة ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً﴾. قال: «هو وضع الحدود من الآجال والأرزاق، والبقاء والفناء»[3].

﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ لأنّ عبدتهم ينحتونهم ويصوّرونهم ﴿وَلا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرّاً وَلا نَفْعاً﴾: دفع ضرّ ولا جلب نفع ﴿وَلا يَمْلِكُونَ مَوْتاً وَلا حَيَاةً وَلا نُشُوراً﴾: ولا يملكون إماتة أحدٍ ولا إحياءه أوّلاً وبعثه ثانياً.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هٰذَا﴾ يعنون القرآن ﴿إِلَّا إِفْكٌ﴾: كذب مصروف عن وجهه.

١ ـ مابين المعقوفتين من «ب».

٢ ـ ذيل الآية: ٤.

٣ ـ القمّي ١: ٢٤، عن عليّ بن موسى الرّضا عليه السلام.

قال: «الإفك: الكذب»[1]. ﴿افْتَراهُ وَأَعانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ﴾. قال: «يعنون أبافهيكة وجبراً وعداساً وعابساً؛ مولى حويطب»[2]. ﴿فَقَدْ جاءُوا ظُلْماً وَزُوراً﴾.

﴿وَقالُوا أَساطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾: ما سطره المتقدّمون ﴿اكْتَتَبَها فَهِيَ تُمْلى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾. القمّي: هو قول النّضر بن الحارث بن علقمة بن كلدة[3].

﴿قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّماواتِ وَالْأَرْضِ﴾ لتضمّنه إخباراً عن مغيبات مستقبلة، وأشياء مكنونة لا يعلمها إلّا عالِم الأسرار ﴿إِنَّهُ كانَ غَفُوراً رَحِيماً﴾ فلذلك لا يعاجلكم بعقوبته مع كمال قدرته، واستحقاقكم أن يصبّ عليكم العذاب صبّاً.

﴿وَقالُوا مالِ هذَا الرَّسُولِ﴾: ما لهذا الّذي يزعم الرّسالة!. وفيه استهانة وتهكّم. ﴿يَأْكُلُ الطَّعامَ﴾ كما نأكل ﴿وَيَمْشِي فِي الْأَسْواقِ﴾ لطلب المعاش كما نمشي. والمعنى إن صحّ دعواه، فما باله لم يخالف حاله حالنا! وذلك لعمههم[4] وقصور نظرهم على المحسوسات، فإنّ تميز الرّسل عمّن عداهم ليس بأمور جسمانيّة، وإنّما هو بأحوال روحانيّة، كما أُشير إليه بقوله سبحانه: "قُلْ إِنَّما أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحى إِلَيَّ أَنَّما إِلهُكُمْ إِلهٌ واحِدٌ"[5]. ﴿لَوْ لا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيراً﴾ ليعلم صدقه بتصديق الملك.

١ و ٢ ـ القمّي ٢: ١١١، عن أبي جعفر عليه السلام.

٣ ـ النّضر بن الحارث بن علقمة بن كلدة بن عبد مناف، من بني عبد الدّار، من قريش: صاحب لواء المشركين ببدر، كان من شجعان قريش ووجوهها ومن شياطينها. له اطّلاع على كتب الفرس وغيرهم. وهو ابن خالة النّبيّ صلى الله عليه وآله، ولمّا ظهر الإسلام استمرّ على عقيدة الجاهليّة وآذى رسول الله صلى الله عليه وآله كثيراً. وكان إذا جلس النّبيّ مجلساً للتذكير بالله والتحذير من نقمة الله، جلس النّضر بعده، فحدث قريشاً بأخبار ملوك فارس ورستم واسفنديار، ويقول: أنا أحسن منه حديثاً! إنّما يأتيكم محمّد بأساطير الأوّلين!. وشهد وقعة بدر مع مشركي قريش، فأسره المسلمون، وقتلوه بالأثيل ـ قرب المدينة ـ بعد انصرافهم من الوقعة. وفي الرواية من يرى أنّ النّضر لم يقتل صبراً وإنّما أصابته جراحة، فامتنع عن الطعام والشراب مادام في أيدي المسلمين. فمات. الأعلام (للزركلي) ٨: ٣٣.

٤ ـ العَمَهُ: التّحيّرُ والتّردّد. الصّحاح ٦: ٢٢٤٢ (عمه).

٥ ـ الكهف (١٨): ١١٠.

﴿أَوْ يُلْقَىٰ إِلَيْهِ كَنْزٌ﴾ فيستظهر به ويستغني عن تحصيل المعاش ﴿أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْها﴾ أي: إن لم يُلْقَ إليه كنزٌ فلا أقلّ أن يكون له بستان، كما للدّهاقين والمياسير، فيتعيّش بِرِيْعِه[1] ﴿وَقالَ الظّالِمُونَ﴾. وضع الظّالمون موضع ضميرهم، تسجيلاً عليهم بالظّلم فيما قالوه. ﴿إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلّا رَجُلاً مَسْحُوراً﴾: سحر فغلب على عقله.

﴿أُنْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الأَمْثالَ فَضَلُّوا فَلا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلاً﴾ قال: «إلى أن يثبتوا عليك عمى بحجّة»[2].

﴿تَبارَكَ الَّذِي إِنْ شاءَ جَعَلَ لَكَ﴾ في الدّنيا ﴿خَيْراً مِنْ ذٰلِكَ﴾ ولكن أخّره إلى الآخرة، لأنّه خير وأبقى ﴿جَنّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِها الأَنْهارُ وَيَجْعَلْ لَكَ قُصُوراً﴾.

﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالسّاعَةِ﴾ فقصرت أنظارهم على الحطام الدّنيويّة، فظنّوا أنّ الكرامة إنّما هي بالمال، وطعنوا فيك بفقرك ﴿وَأَعْتَدْنا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسّاعَةِ سَعِيراً﴾.

﴿إِذا رَأَتْهُمْ﴾: إذا كانت بمرأى منهم ﴿مِنْ مَكانٍ بَعِيدٍ﴾ قال: «من مسيرة سنة»[3].

﴿سَمِعُوا لَها تَغَيُّظاً﴾: صوت تغيّظ ﴿وَزَفِيراً﴾.

﴿وَإِذا أُلْقُوا مِنْها مَكاناً ضَيِّقاً مُقَرَّنِينَ﴾ القمّي: مقيّدين بعضهم مع بعض[4]. ﴿دَعَوْا هُنالِكَ ثُبُوراً﴾: هلاكاً، أي: يتمنّون هلاكاً وينادونه.

﴿لا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُوراً واحِداً وَادْعُوا ثُبُوراً كَثِيراً﴾ لأنّ عذابكم أنواع كثيرة.

﴿قُلْ أَذٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ كانَتْ لَهُمْ جَزاءً وَمَصِيراً﴾.

﴿لَهُمْ فِيها ما يَشاؤُونَ خالِدِينَ كانَ عَلىٰ رَبِّكَ وَعْداً مَسْؤُولاً﴾: حقيقاً بأن

١ ـ الرِّيْعُ: النَماءُ والزِّيادة. الصّحاح ٣: ١٢٢٣ (ريع).

٢ ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٥٠٦، عن النّبي صلى الله عليه وآله.

٣ ـ القمّي ٢: ١١٢؛ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ١٦٣، عن أبي عبد الله عليه السلام.

٤ ـ القمّي ٢: ١١٢.

يسأل ، أو سأله النّاس بقولهم: "رَبَّنا وَآتِنا ما وَعَدْتَنا عَلى رُسُلِكَ"[١] . كذا قيل[٢] .

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَما يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللّهِ فَيَقُولُ﴾ للمعبودين ﴿أَأَنْتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبادِي هٰؤُلاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ﴾ .

﴿قالُوا سُبْحانَكَ ما كانَ يَنْبَغِي لَنا أَنْ نَتَّخِذَ﴾ . في قراءتهم عليهم السلام بضمّ النّون وفتح الخاء[٣] . ﴿مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِياءَ وَلٰكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَآباءَهُمْ﴾ بأنواع النّعم ، واستغرقوا في الشّهوات ﴿حَتّىٰ نَسُوا الذِّكْرَ﴾: حتّى غفلوا عن ذكرك ، والتّذكّر لآلائك ، والتّدبّر في آياتك ﴿وَكانُوا قَوْماً بُوراً﴾: هالكين .

﴿فَقَدْ كَذَّبُوكُمْ﴾ . التفات إلى العبدة بالاحتجاج والإلزام على حذف القول ، والمعنى: فقد كذّبكم المعبودون ﴿بِما تَقُولُونَ﴾: في قولكم . إنّهم آلهة ، وهؤلاء أضلّونا ﴿فَما تَسْتَطِيعُونَ﴾ أي: المعبودون ﴿صَرْفاً﴾: دفعاً للعذاب عنكم ﴿وَلا نَصْراً﴾ فيعينكم عليه ﴿وَمَنْ يَظْلِمْ مِنْكُمْ نُذِقْهُ عَذاباً كَبِيراً﴾ .

﴿وَما أَرْسَلْنا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْواقِ﴾ . جواب لقولهم: "ما لِهٰذَا الرَّسُولِ" . ﴿وَجَعَلْنا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً﴾: ابتلاء ، ومن ذلك ابتلاء الفقراء بالأغنياء ، والمرسَلين بالمرسَل إليهم ، ومناصبتهم لهم العداوة وإيذاؤهم لهم ؛ وهو تسلية للنّبيّ على ما قالوه بعد نقضه . ﴿أَتَصْبِرُونَ﴾ أي: لنعلم أيّكم يصبر ﴿وَكانَ رَبُّكَ بَصِيراً﴾ بمن يصبر ومن لا يصبر .

﴿وَقالَ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقاءَنا﴾ لكفرهم بالبعث ﴿لَوْلا﴾: هلّا ﴿أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلائِكَةُ﴾ فيخبرونا بصدق محمّد ، أو يكونون رسلاً إلينا ﴿أَوْ نَرىٰ رَبَّنا﴾ فيأمرنا بتصديقه واتّباعه ﴿لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ﴾ في شأنها ﴿وَعَتَوْا﴾: وتجاوزوا الحدّ

١ ـ آل عمران (٣): ١٩٤ .

٢ ـ الكشّاف ٣: ٨٤ ؛ البيضاوي ٤: ٩٠ .

٣ ـ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ١٦٢ ، عن أبي عبد الله عليه السلام .

في الظّلم ﴿عُتُوّاً كَبِيراً﴾: بالغاً أقصى مراتبه، حيث عاينوا المعجزات القاهرة فأعرضوا عنها، واقترحوا لأنفسهم الخبيثة ما سدّت دونه مطامح النّفوس القدسيّة.

﴿يَوْمَ يَرَوْنَ المَلائِكَةَ لا بُشْرىٰ يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْراً مَحْجُوراً﴾: يستعيذون منهم، ويطلبون من اللّه أن يمنع لقاءهم، وهي ممّا كانوا يقولون عند لقاء عدوّ أو هجوم مكروه.

﴿وَقَدِمْنا إِلىٰ ما عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْناهُ هَباءً مَنْثُوراً﴾. قال: «إن كانت أعمالهم لأشدّ بياضاً من القُبَاطِيّ[1]، فيقول اللّه عزّ وجلّ لها: كوني هباء، وذلك أنّهم كانوا إذا شرع لهم الحرام أخذوه»[2].

﴿أَصْحابُ الجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرّاً﴾: مكاناً يستقرّ فيه ﴿وَأَحْسَنُ مَقِيلاً﴾: مكاناً يُؤوى إليه للاسترواح من القيلولة. قال: «لا ينتصف ذلك اليوم حتّى يقيل أهل الجنّة في الجنّة، وأهل النّار في النّار»[3].

﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّماءُ﴾: تتشقّق ﴿بِالْغَمامِ﴾: بسبب طلوع الغمام منها ﴿وَنُزِّلَ المَلائِكَةُ تَنْزِيلاً﴾. وقد مرّ في سورة البقرة "هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمامِ وَالْمَلٰئِكَةِ"[4].

﴿المُلْكُ يَوْمَئِذٍ الحَقُّ لِلرَّحْمٰنِ وَكانَ يَوْماً عَلَى الكافِرِينَ عَسِيراً﴾.

﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظّالِمُ عَلىٰ يَدَيْهِ﴾ من فرط الحسرة. القمّي: الأوّل.[5] ﴿يَقُولُ يا

١ ـ القُبَاطِيّ ـ بفتح القاف وقد يضمّ ـ: ثياب بيض رقيقة من كتّان تجلب من مصر. واحدها: قُبْطِي، نسبة إلى القِبط، وهم أهل مصر، الصّحاح ٣: ١١٥١؛ مجمع البحرين ٤: ٢٦٦ (قبط).

٢ ـ الكافي ٥: ١٢٦، الحديث: ١٠، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٣ ـ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ١٦٧، عن ابن عباس وابن مسعود.

٤ ـ البقرة (٢): ٢١٠.

٥ ـ القمّي ٢: ١١٣.

لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً﴾ قال: «عليّاً وليّاً»[١].

﴿يا وَيْلَتىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلاناً خَلِيلاً﴾. القمّي: يعني الثّاني[٢].

﴿لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ﴾. القمّي: يعني الولاية[٣]. ﴿بَعْدَ إِذْ جاءَنِي وَكانَ الشَّيْطانُ﴾ القمّي: وهو الثّاني[٤]. ﴿لِلْإِنْسانِ خَذُولاً﴾.

في حديث أمير المؤمنين عليه السلام: «ولئن تقمّصها دوني الأشقيان، ونازعاني فيما ليس لهما بحقّ، وركباها ضلالة، واعتقداها جهالة، فلبئس ما عليه وردا، ولبئس ما لأنفسهما مهدا[٥]. يتلاعنان في دورهما، ويتبرّأ كلّ منهما من صاحبه[٦]؛ يقول لقرينه إذا التقيا: "يا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ"[٧] فيجيبه الأشقى على وثوبه[٨]: يا ليتني لم أتّخذك خليلاً، لقد أضللتني عن الذّكر بعد إذ جاءني، وكان الشّيطان للإنسان خذولاً. فأنا الذّكر الّذي عنه ضلّ، والسّبيل الّذي عنه مالَ، والإيمان الّذي به كفر، والقرآن الّذي إيّاه هجر، والدّين الّذي به كُذِّب، والصّراط الّذي عنه نكب»[٩].

وقال: «إنّ اللّه ورّى أسماء من اغترّ وفتن خلقه وضلّ وأضلّ، وكنّى عن أسمائهم في هاتين الآيتين»[١٠].

﴿وَقالَ الرَّسُولُ يا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هٰذَا الْقُرْآنَ مَهْجُوراً﴾ بأن تركوه وصدّوا عنه.

١ ـ القمّي ٢: ١١٣، عن أبي جعفر عليه السلام.
٢ و ٣ و ٤ ـ القمّي ٢: ١١٣.
٥ ـ في المصدر: «مهّدا».
٦ ـ في «ألف»: «تبرّأ كلّ منهما صاحبه». وفي المصدر: «يتبرّأ كلّ واحد منهما من صاحبه».
٧ ـ الزّخرف (٤٣): ٣٨.
٨ ـ في المصدر: «على رثوثة».
٩ ـ الكافي ٨: ٢٧، الحديث: ٤، عن أبي جعفر، عن أمير المؤمنين عليهما السلام.
١٠ ـ الاحتجاج ١: ٣٦٥، عن أمير المؤمنين عليه السلام، مع تفاوت يسير.

﴿وَكَذٰلِكَ جَعَلْنا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً مِنَ الْمُجْرِمِينَ﴾ كما جعلناه لك، فاصبر كما صبروا ﴿وَكَفىٰ بِرَبِّكَ هادِياً وَنَصِيراً﴾ لك عليهم.

﴿وَقالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ﴾ أي: أُنزل عليه ﴿جُمْلَةً واحِدَةً﴾: دفعة واحدة، كالكتب الثلاثة ﴿كَذٰلِكَ﴾ أنزلناه مفرّقاً ﴿لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤادَكَ﴾: لِنُقَوِّي بتفريقه فؤادك على حفظه وفهمه، وبنزول جبرئيل به حالاً بعد حال ﴿وَرَتَّلْناهُ تَرْتِيلاً﴾: وقرأناه عليك شيئاً بعد شيء على تؤدة وتمهّل.

﴿وَلا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ﴾ سؤال عجيب، كأنّه مثل في البطلان، يريدون به القدح في نبوّتك ﴿إِلّا جِئْناكَ بِالْحَقِّ﴾ الدّامغ له في جوابه ﴿وَأَحْسَنَ تَفْسِيراً﴾: وبما هو أحسن بياناً أو معنى من سؤالهم.

﴿الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلىٰ وُجُوهِهِمْ إِلىٰ جَهَنَّمَ أُولٰئِكَ شَرٌّ مَكاناً وَأَضَلُّ سَبِيلاً﴾.

سئل: كيف يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة؟ قال: «إنّ الّذي أمشاه على رجليه قادر على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة»[١].

﴿وَلَقَدْ آتَيْنا مُوسَى الْكِتابَ وَجَعَلْنا مَعَهُ أَخاهُ هٰرُونَ وَزِيراً﴾ يوازره في الدّعوة وإعلاء الكلمة.

﴿فَقُلْنا اذْهَبا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا﴾ يعني فرعون وقومه ﴿فَدَمَّرْناهُمْ تَدْمِيراً﴾ أي: فذهبا إليهم فكذّبوهما؛ فدمّرناهم.

﴿وَقَوْمَ نُوحٍ لَمّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْناهُمْ وَجَعَلْناهُمْ لِلنّاسِ آيَةً﴾: عبرة ﴿وَأَعْتَدْنا لِلظّالِمِينَ عَذاباً أَلِيماً﴾.

﴿وَعاداً وَثَمُودَ﴾: وجعلناهم آية أيضاً ﴿وَأَصْحابَ الرَّسِّ﴾. قال: «إنّهم كانوا قوماً

١ـ مجمع البيان ٧ـ٨: ١٧٠، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله.

يعبدون شجرة صنوبر ، يقال لها: "شاه درخت" ، كان يافث بن نوح غرسها على شفير عين يقال لها: "روشاب" ، كانت أنبتت لنوح عليه السلام بعد الطّوفان ، وإنّما سمّوا أصحاب الرّسّ لأنّهم رسّوا نبيّهم في الأرض ، وذلك بعد سليمان بن داود عليهما السلام ـ قال: ـ فأهلكوا بريح عاصفة[١] شديدة الحمرة ، تحيّروا فيها وذعروا منها ، وتضامّ بعضهم إلى بعض ، ثمّ صارت الأرض من تحتهم حجر كبريت يتوقّد ، وأظلّتهم سحابة سوداء ، فألقت عليهم كالقبّة جمراً يلتهب ، فذابت أبدانهم كما يذوب الرّصاص في النّار»[٢]. ﴿وَقُرُوناً بَيْنَ ذٰلِكَ كَثِيراً﴾ .

﴿وَكُـلّاً ضَرَبْنا لَهُ الأَمْثالَ﴾: بيّنّا له القصص العجيبة ، إعذاراً وإنذاراً ، فلمّا أصرّوا أُهلكوا ﴿وَكُـلّاً تَـبَّرْنا تَـتْبِيراً﴾ فتّتناه[٣] تفتيتاً ، ومنه التّبر ، لفتات الذّهب والفضّة . قال: «يعني كسّرنا تكسيراً . قال: هي لفظة بالنّبطيّة»[٤] .

﴿وَلَقَدْ أَتَوْا﴾ يعني قريشاً ، مرّوا مراراً في متاجرهم إلى الشّام ﴿عَلَى القَـرْيَةِ الَّـتِي أُمْطِـرَتْ مَطَـرَ السَّـوْءِ﴾ . قال: «هي سَدُوم[٥] قرية قوم لوط ، أمطر اللّه عليهم حجارة من سجّيل ، يقول: من طين»[٦] . ﴿أَفَلَمْ يَـكُونُوا يَرَوْنَها﴾ في مرار مرورهم ، فيتّعظون بما يرون فيها من آثار عذاب اللّه ﴿بَلْ كانُوا لا يَرْجُونَ نُشُوراً﴾ فلذلك لم ينظروا ولم يتّعظوا ، فمرّوا بها كما مرّت ركابهم .

﴿وَإِذا رَأَوْكَ إِنْ يَـتَّخِذُونَكَ إِلّا هُـزُواً أَهَـذا الَّذِي بَـعَثَ اللّهُ رَسُـولاً﴾ .

١ ـ في «ألف» والمصدر: «بريح عاصف» .

٢ ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ١: ٢٠٥ ـ ٢٠٨ ، الباب: ١٦ ، الحديث: ١؛ علل الشرائع ١: ٤٠ ـ ٤٣ ، الباب: ٣٨ ، الحديث: ١ ، عن أبي الحسن الرّضا ، عن آبائه ، عن أمير المؤمنين عليهم السلام .

٣ ـ الفَتُّ: الدَّقُّ والكسر بالأصابع والشَّقُّ في الصَّخْرة. القاموس المحيط ١: ١٥٩ (فتت).

٤ ـ القمّي ٢: ١١٤ ؛ ومعاني الأخبار: ٢٢٠ ، الحديث: ١ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .

٥ ـ سَدُوم ـ فعول، من السَّدَم، وهو النّدم مع غمّ ـ بلدة من أعمال حلب، معروفة عامرة عندهم، وهي من مدائن قوم لوط. معجم البلدان ٣: ٣٠٠.

٦ ـ القمّي ٢: ١١٤ ، عن أبي جعفر عليه السلام .

﴿إِنْ كادَ﴾: إنّه كاد ﴿لَيُضِلُّنا عَنْ آلِـهَـتِنا﴾: ليصرفُنا عن عبادتها ﴿لَوْلا أَنْ صَبَرْنا عَلَيْها﴾: ثبتنا عليها، واستمسكنا بعبادتها ﴿وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ العَذابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلاً﴾.

﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلـهَهُ هَواهُ﴾ بأن أطاعه وبنى عليه دينه، لا يسمع حجّة ولا يتبصّر دليلاً ﴿أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً﴾: حفيظاً تمنعه عن الشّرك والمعاصي وحاله هذا؛ فالاستفهام الأوّل للتّقرير والتّعجيب، والثّاني للإنكار.

﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ﴾ فتهتمّ بشأنهم، وتطمع في إيمانهم ﴿إِنْ هُمْ إِلّا كَالأَنْعامِ﴾ في عدم انتفاعهم بقرع الآيات آذانهم، وعدم تدبّرهم فيما شاهدوا من الدّلائل والمعجزات ﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً﴾ من الأنعام؛ لأنّها تنقاد من يتعهّدها، وتميّز من يحسن إليها ممّن يسيء، وتطلب ما ينفعها وتتجنّب ما يضرّها، وهؤلاء لا ينقادون لربّهم، ولا يعرفون إحسان الرّحمن من إساءة الشّيطان، ولا يطلبون الثّواب الّذي هو أعظم المنافع، ولا يتّقون العقاب الّذي هو أشدّ المضارّ؛ ولأنّها لو لم تعتقد حقّاً ولم تكتسب خيراً لم تعتقد باطلاً ولم تكتسب شرّاً، بخلاف هؤلاء، ولأنّ جهالتها لا تضرّ بأحد، وجهالة هؤلاء تؤدّي إلى هيج الفتن وصدّ النّاس عن الحقّ؛ ولأنّها غير متمكّنة من تحصيل الكمال، فلا تقصير منها ولا ذمّ، وهؤلاء مقصّرون مستحقّون أعظم العقاب على تقصيرهم.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلىٰ رَبِّكَ﴾: ألم تنظر إلى صنعه؟! ﴿كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ﴾: كيف بسطه. قال: «الظّلّ ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشّمس»[1]. قيل: وهو أطيب الأحوال. فإنّ الظّلمة الخالصة تنفر الطّبع وتسدّ النّظر، وشعاع الشّمس يسخن الهواء ويبهر البصر، ولذلك وصف به الجنّة فقال "وَظِلٍّ مَمْدُودٍ"[2] ﴿وَلَوْ شاءَ لَجَعَلَهُ ساكِناً﴾ بأن يجعل الشّمس مقيمة على

١ ـ القمّي ٢: ١١٥، عن أبي جعفر عليه السلام.
٢ ـ البيضاوي ٤: ٩٥. والآية في سورة الواقعة (٥٦): ٣٠.

وضع واحد ﴿ثُمَّ جَعَلْنا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلاً﴾ فإنّه لا يظهر للحسّ[١] حتّى تطلع، فيقع ضوؤها على بعض الأجرام، فلولاها لَما عرف الظّلّ، ولا يتفاوت إلّا بسبب حركتها.

﴿ثُمَّ قَبَضْناهُ إِلَيْنا﴾ أي: أزلناه بإيقاع الشّمس موقعه، لمّا عبّر عن إحداثه بالمدّ، بمعنى التّسيير، عبّر عن إزالته بالقبض إلى نفسه الّذي هو في معنى الكفّ. ﴿قَبْضاً يَسِيراً﴾: قليلاً قليلاً حسبما ترتفع الشّمس، لتنتظم بذلك مصالح الكون، ويتحصّل به ما لا يحصى من منافع الخلق.

﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِباساً﴾. شبّه ظلامه باللّباس في ستره. ﴿وَالنَّوْمَ سُباتاً﴾: راحةً للأبدان بقطع المشاغل ﴿وَجَعَلَ النَّهارَ نُشُوراً﴾ ينتشر فيه النّاس للمعاش؛ وفيه إشارة إلى أنّ النّوم واليقظة أُنموذج للموت والنّشور.

قال: «كما تنامون تموتون، وكما تستيقظون تبعثون»[٢].

﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّياحَ بُشْراً﴾: مبشّرات، وبالنّون أي: ناشرات للسّحاب ﴿بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾: قدّام المطر ﴿وَأَنْزَلْنا مِنَ السَّماءِ ماءً طَهُوراً﴾: مطهّراً أو بليغاً في الطّهارة.

﴿لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً﴾: بلداً ﴿مَيْتاً وَنُسْقِيَهُ مِمّا خَلَقْنا أَنْعاماً وَأَناسِيَّ كَثِيراً﴾.

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْناهُ بَيْنَهُمْ﴾ قيل: صرّفنا هذا القول بين النّاس في القرآن وسائر الكتب، أو المطر بينهم في البلدان المختلفة، والأوقات المتغايرة، والصّفات المتفاوتة من وابل وطلّ[٣] وغيرهما[٤]. قال: «ما أتى على أهل الدّنيا يوم واحد منذ خلقها اللّه إلّا والسّماء فيها

١ ـ في «ألف»: «فانّه لا يحسّ».

٢ ـ روضة الواعظين: ٥٣؛ الجامع لأحكام القرآن (للقرطبي) ١٥: ٢٦١، ذيل الآية: ٤٢ من سورة الزمر، مع تفاوت يسير، عن النّبيّ ﷺ.

٣ ـ الوابل: المطر الشّديد. والطّلّ: أضعف المطر. الصّحاح ٥: ١٨٤٠، ١٧٥٢ (وبل ـ طلل).

٤ ـ الكشّاف ٣: ٩٦؛ البيضاوي ٤: ٩٦.

تمطر، فيجعل اللّه ذلك حيث يشاء»[1]. ﴿لِيَذَّكَّرُوا﴾: ليتفكّروا ويعرفوا كمال القدرة وحقّ النّعمة في ذلك، ويقوموا بشكره، ويعتبروا بالصّرف عنهم وإليهم.

﴿فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُوراً﴾: إلّا كفران النّعمة وقلّة الاكتراث لها، أو جحودها بأن يقولوا: أمطرنا بنوء[2] كذا، من غير أن يروه من اللّه، ويجعلوا الأنواء وسائط مسخّراتٍ.

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيراً﴾: نبيّاً ينذر أهلها، فتخفّ عليك أعباء النّبوّة، لكن قصرنا الأمرَ عليك إجلالاً لك وتعظيماً لشأنك وتفضيلاً لك على سائر الرّسل، فَقابِلْ ذلك بالثّبات والاجتهاد في الدّعوة، وإظهار الحقّ.

﴿فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ﴾ فيما يريدونك عليه ﴿وَجَاهِدْهُمْ بِهِ﴾ بترك طاعتهم ﴿جِهَاداً كَبِيراً﴾ يعني أنّهم يجتهدون في إبطال حقّك، فقابِلْهُمْ بالاجتهاد في مخالفتهم وإزاحةِ باطلهم.

﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ﴾: خلّاهما متلاصقين، بحيث لا يتمازجان ﴿هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ﴾: بليغ العذوبة[3] ﴿وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾: بليغ الملوحة ﴿وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخاً﴾: حاجزاً من قدرته ﴿وَحِجْراً مَحْجُوراً﴾ القمّي: حراماً محرّماً أن يغيّر واحد منهما طعم الآخر[4].

١ ـ من لا يحضره الفقيه ١: ٣٣٣، الحديث: ١٤٩٦، عن النّبيّ ﷺ.

٢ ـ النَّوْء: النجم ـ والجمع: أنواء ونوآن ـ وهي ثمانية وعشرون نجماً معروفة المطالع في أزمنة السّنة، يسقط منها كلّ ثلاث عشرة ليلة نجمٌ في المغرب مع طلوع الفجر ويطلع آخر يقابله في المشرق من ساعته، وانقضاء هذه الثمانية والعشرين مع انقضاء السّنة. وكانت العرب في الجاهلية إذا سقط منها نجم وطلع الآخر قالوا: لابدّ أن يكون عند ذلك رياح ومطر، فينسبون كلّ غيث يكون عند ذلك إلى النجم الّذي يسقط حينئذ، فيقولون: «مطرنا بنوء كذا». ويسمّى نَوْءاً لأنّه إذا سقط الساقط منها بالمغرب، ناء الطالع بالمشرق بالطلوع، وذلك النهوض هو النوء، فسمّي النّجم به. وعن أبي جعفر ﷺ قال: «ثلاثة من عمل الجاهليّة: الفخر بالأنساب، والطعن في الأحساب، والاستسقاء بالأنواء. راجع: معاني الأخبار: ٣٢٦؛ مجمع البحرين ١: ٤٢٢؛ الصّحاح ١: ٧٩ (نوأ).

٣ ـ في «ألف»: «الفروتة» وهي بمعناه.

٤ ـ القمّي ٢: ١١٥.

أقول: وذلك كدجلة تدخل البحر فتشقّه، فتجري في خلاله فراسخ لا يتغيّر طعمها.

﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الماءِ بَشَراً فَجَعَلَهُ نَسَباً﴾: ذكوراً ينسب إليهم ﴿وَصِهْراً﴾: إناثاً يصاهر بهنّ ﴿وَكانَ رَبُّكَ قَدِيراً﴾.

قال: «إنّ اللّه خلق آدم من الماء العذب، وخلق زوجته من سنخه، فَبَرَأها[1] من أسفل أضلاعه، فجرى بذلك الضّلع بينهما سبب ونسب، ثمّ زوّجها إيّاه، فجرى بينهما بسبب ذلك صهر، فذلك قوله: "نَسَباً وَصِهْراً" فالنّسب ما كان بسبب الرّجال، والصّهر ما كان بسبب النّساء»[2].

وفي رواية نبويّة: «خلق اللّه عزّوجلّ نطفة بيضاء مكنونة، فنقلها من صلب إلى صلب، حتّى نقلت النّطفة إلى صلب عبد المطّلب، فجعل نصفين، فصار نصفها في عبد اللّه ونصفها في أبي طالب، فأنا من عبد اللّه وعليّ من أبي طالب، وذلك قول اللّه عزّوجلّ: "وَهُوَ الّذي خَلَقَ" الآية»[3].

وفي حديث عليّ عليه السلام: «ألا وإنّي مخصوص في القرآن بأسماء، احذروا أن تغلبوا عليها فتضلّوا في دينكم، أنا الصّهر يقول اللّه عزّوجلّ: "وَهُوَ الّذي خَلَقَ" الآية»[4].

﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللّهِ ما لا يَنْفَعُهُمْ وَلا يَضُرُّهُمْ وَكانَ الكافِرُ عَلى رَبِّهِ ظَهِيراً﴾: يظاهر الشّيطان في العداوة والشّرك.

القمّي: قد يسمّى الإنسان ربّاً، كقوله تعالى: "أُذْكُرْني عِنْدَ رَبِّكَ"[5] وكلّ مالك لشيء يسمّى ربّه، فقوله تعالى: "وكانَ الكافِرُ عَلىٰ رَبِّهِ ظَهيراً" فالكافر: الثّاني، وكان على

١ـ بَرَأها: خَلَقَها. المصباح المنير ١: ٦٠ (برى).

٢ـ الكافي ٥: ٤٤٢، الحديث: ٩، عن أبي جعفر عليه السلام؛ القمّي ٢: ١١٤، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٣ـ روضة الواعظين ١: ٧١؛ تفسير فرات: ٢٩٢، الحديث: ٣٩٤، مع تفاوت في اللّفظ.

٤ـ معاني الأخبار: ٥٩، ذيل الحديث: ٩، عن أبي جعفر، عن أمير المؤمنين عليهما السلام.

٥ـ يوسف (١٢): ٤٢.

أمير المؤمنين صلوات اللّه عليه ظهيراً[١].

﴿وَما أَرْسَلْناكَ إِلَّا مُبَشِّراً وَنَذِيراً﴾.

﴿قُلْ ما أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾: على تبليغ الرّسالة ﴿مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلىٰ رَبِّهِ سَبِيلاً﴾ الإطاعة، مَنْ شاء التقرّبَ إلى اللّه، جعل ذلك أجراً من حيث إنّه مقصود.

﴿وَتَوَكَّلْ﴾ في استكفاء شرورهم والإغناء عن أُجورهم ﴿عَلَى الحَيِّ الَّذِي لا يَمُوتُ﴾ فإنّه الحقيق بأن يتوكّل عليه دون الأحياء الّذين يموتون، فإنّهم إذا ماتوا ضاع من توكّل عليهم ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ﴾: ونزّهه عن صفات النّقصان، مثنياً عليه بأوصاف الكمال، طالباً لمزيد الإنعام بالشّكر على سوابقه ﴿وَكَفىٰ بِهِ بِذُنُوبِ عِبادِهِ خَبِيراً﴾ ما ظهر منها وما بطن، فلا عليك إن آمنوا أو كفروا.

﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمٰواتِ وَالأَرْضَ وَما بَيْنَهُما فِي سِتَّةِ أَيّامٍ ثُمَّ اسْتَوىٰ عَلَى العَرْشِ﴾. قد سبق الكلام فيه في سورة الأعراف[٢]، ولعلّ ذكره لزيادة تقرير، لكونه حقيقاً بأن يتوكّل عليه، من حيث إنّه الخالق للكلّ والمتصرّف فيه، وتحريض[٣] على الثّبات والتّأنّي في الأمر، فإنّه تعالى مع كمال قدرته وسرعة نفاذ أمره، خلق الأشياء على تؤدة وتدرّج.

﴿الرَّحْمٰنُ﴾ خبر لـ "الّذي"، أو لمحذوف، أو بدل من المستكن في "اسْتَوىٰ".

﴿فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيراً﴾: فاسأل عمّا ذكر من الخلق والاستواء، أو عن أنّه هو الرّحمن.

روي: «إنّ اليهود حكوا عن ابتداء خلق الأشياء بخلاف ما أخبر اللّه عنه، فقال سبحانه: "فاسئل به خبيراً"»[٤].

١ ـ القمّي ٢: ١١٥، مع تفاوت يسير.

٢ ـ ذيل الآية: ٥٤.

٣ ـ في «ألف»: «تحريص».

٤ ـ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ١٧٦.

والسّؤال كما يعدّى بـ "عن" لتضمّنه معنى التّفتيش، يعدّى بالباء لتضمّنه معنى الاعتناء، ويجوز أن يكون صلة "خبيراً"؛ والخبير هو اللّه تعالى، أو جبرئيل، أو الرّسل الماضون في عالَم الأرواح كقوله: "واسئل من أرسلنا من قبلك من رسلنا"[١]، أو مَنْ وجده في الكتب المتقدّمة، ليصدّقك فيه. وقيل: الضّمير للرّحمن، والمعنى: إن أنكروا إطلاقه على اللّه، فَاسْأَلْ عنه من يُخبرك من أهل الكتاب، ليعرفوا مجيءَ ما يرادفه في كتبهم[٢].

﴿وَإِذا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمنِ قالُوا وَمَا الرَّحْمنُ﴾ لأنّهم ما كانوا يُطْلقونه على اللّه، أو لأنّهم ظنّوا أنّه أراد به غيرَه تعالى. القمّي قال: جوابه: "الرَّحْمنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الإِنْسانَ عَلَّمَهُ الْبَيانَ"[٣]. ﴿أَنَسْجُدُ لِما تَأْمُرُنا وَزادَهُمْ نُفُوراً﴾.

﴿تَبارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّماءِ بُرُوجاً﴾. قد سبق تفسير البروج في الحجر[٤]. ﴿وَجَعَلَ فِيها سِراجاً﴾ يعني الشّمس لقوله: "وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِراجاً"[٥] ﴿وَقَمَراً مُنِيراً﴾ باللّيل.

قال: «يسبحان في فلك يدور بهما دائبين، يطلعهما تارة ويؤفلهما أُخرى، حتّى تعرف عدّة الأيّام والشّهور والسّنين، وما يستأنف من الصّيف والرّبيع والشّتاء والخريف، أزمنة مختلفة باختلاف اللّيل والنّهار»[٦].

﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرادَ شُكُوراً﴾ يخلف كلّ منهما الآخر، بأن يقوم مقامه فيما ينبغي أن يفعل فيه. قال: «يعني أن يقضي

١ ـ الزّخرف (٤٣): ٤٥.
٢ ـ الكشّاف ٣: ٩٨؛ البيضاوي ٤: ٩٨.
٣ ـ القمّي ٢: ١١٥، والآية في سورة الرّحمن (٥٥): ١ ـ ٤.
٤ ـ ذيل الآية: ١٦.
٥ ـ نوح (٧١): ١٦.
٦ ـ نور الثّقلين ٤: ٢٥؛ بحار الأنوار ٣: ١٩٦، ذيل الحديث الطّويل المشتهر بالاهليلجة، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

الرّجل ما فاته باللّيل بالنّهار، وما فاته بالنّهار باللّيل»[١].

﴿وَعِبادُ الرَّحْمنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْناً﴾. قال: «هو الرّجل يمشي بسجيّته الّتي جبل عليها، لا يتكلّف ولا يتبختر»[٢]. وفي رواية: «هم الأوصياء، مخافة من عدوّهم»[٣]. ﴿وَإِذا خاطَبَهُمُ الجاهِلُونَ قالُوا سَلاماً﴾: تسليماً منكم ومتاركة لكم، لا خير بيننا ولا شرّ.

﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّداً وَقِياماً﴾ في الصّلاة.

﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنّا عَذابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذابَها كانَ غَراماً﴾ قال: «ملازماً لا يفارق»[٤].

دلّت الآية على أنّهم مع حسن مخالقتهم مع الخلق، واجتهادهم في عبادة الحق، وَجِلونَ من العذاب، مبتهلون إلى الله في صرفه عنهم، لعدم اعتدادهم بأعمالهم، ولا وثوقهم على استمرار أحوالهم.

﴿إِنَّها ساءَتْ مُسْتَقَرّاً وَمُقاماً﴾.

﴿وَالَّذِينَ إِذا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا﴾. القمّي: الإسراف: الإنفاق في المعصية في غير حقّ[٥]. ﴿وَلَمْ يَقْتُرُوا﴾ القمّي: لم يبخلوا عن حقّ الله عزّوجلّ[٦]. ﴿وَكانَ بَيْنَ ذٰلِكَ قَواماً﴾. القمّي: والقوام العدل، والإنفاق فيما أمر الله به[٧]. و ورد: «من أعطى في غير حقّ فقد أسرف، ومن منع من حقّ فقد قتر»[٨].

﴿وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللهِ إِلٰهاً آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ﴾ قَتْلَها

١ ـ من لا يحضره الفقيه ١: ٣١٥، الحديث: ١٤٢٨، عن أبي عبد الله عليه السلام.
٢ ـ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ١٧٩، عن أبي عبد الله عليه السلام.
٣ ـ الكافي ١: ٤٢٧، الحديث: ٧٨، عن أبي جعفر عليه السلام، وفيه: «من مخافة عدوّهم».
٤ ـ القمّي ٢: ١١٦، عن أبي جعفر عليه السلام.
٥ و ٦ و ٧ ـ المصدر: ١١٧.
٨ ـ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ١٧٩، عن النّبيّ صلّى الله عليه وآله.

﴿إِلَّا بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذٰلِكَ يَلْقَ أَثاماً﴾ جزاء إثم.

﴿يُضاعَفْ لَهُ الْعَذابُ يَوْمَ الْقِيامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهاناً﴾.

﴿إِلَّا مَنْ تابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صالِحاً فَأُولٰئِكَ يُبَدِّلُ اللّٰهُ سَيِّئاتِهِمْ حَسَناتٍ وَكانَ اللّٰهُ غَفُوراً رَحِيماً﴾.

قال: «إذا كان يوم القيامة تجلّى اللّه عزّوجلّ لعبده المؤمن، فيققه[1] على ذنوبه ذنباً ذنباً، ثمّ يغفر له؛ لا يُطلع اللّه على ذلك ملكاً مقرّباً ولا نبيّاً مرسلاً، ويستر عليه ما يكره أن يقف عليه أحد، ثمّ يقول لسيّئاته: كوني حسنات»[2].

﴿وَمَنْ تابَ وَعَمِلَ صالِحاً فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللّٰهِ مَتاباً﴾ القمّي: يقول: لا يعود إلى شيء من ذلك بإخلاص ونيّة صادقة[3].

﴿وَالَّذِينَ لا يَشْهَدُونَ الزُّورَ﴾. قال: «هو الغنا»[4]. وزاد القمّي: ومجالس اللّهو[5].

﴿وَإِذا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِراماً﴾ معرضين عنه، مكرمين أنفسهم عن الوقوف عليه والخوض فيه. قال: «هم الّذين إذا أرادوا ذكر الفرج كنّوا عنه»[6].

﴿وَالَّذِينَ إِذا ذُكِّرُوا بِآياتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْها صُمًّا وَعُمْياناً﴾ قال: «مستبصرين، ليسوا بشكّاك»[7].

﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنا هَبْ لَنا مِنْ أَزْواجِنا وَذُرِّيّاتِنا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ بتوفيقهم للطّاعة، فإنّ المؤمن إذا شاركه أهله في طاعة اللّه، سرّ به قلبه وقرّ بهم عينه.

ورد: «هذه الآية واللّه خاصّة في أمير المؤمنين عليّ عليه السلام، كان أكثر دعائه يقول: "ربّنا

١ ـ في المصدر: «فيوقفه».
٢ ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ٢: ٣٣، الباب: ٣١، الحديث: ٥٧.
٣ و ٥ ـ القمّي ٢: ١١٧.
٤ ـ الكافي ٦: ٤٣٣، الحديث: ١٣، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.
٦ ـ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ١٨١، عن أبي جعفر عليه السلام.
٧ ـ الكافي ٨: ١٧٨، الحديث: ١٩٩، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

هب لنا من أزواجنا" يعني فاطمة، "وذرّيّاتنا" يعني الحسن والحسين "قرّة أعين"، قال أمير المؤمنين عليه السلام: واللّه ما سألت ربّي ولداً نضير الوجه، ولا سألته ولداً حسن القامة، ولكن سألت ربّي ولداً مطيعين للّه، خائفين وجلين منه، حتّى إذا نظرتُ إليه وهو مطيع للّه قَرّتْ به عيني»[1].

﴿وَاجْعَلْنا لِلْمُتَّقِينَ إماماً﴾ قال: «نقتدي بِمَنْ قَبْلَنا من المتّقين، فيقتدي المتّقون بنا من بعدنا»[2]. وفي رواية: «إنّما أنزل اللّه: واجعل لنا من المتّقين إماماً»[3].

﴿أُولئِكَ يُجْزَوْنَ الغُرْفَةَ﴾: أعلى موضع الجنّة ﴿بِما صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيها تَحِيَّةً وَسَلاماً﴾.

﴿خالِدِينَ فِيها حَسُنَتْ مُسْتَقَرّاً وَمُقاماً﴾.

﴿قُلْ ما يَعْبَؤُاْ بِكُمْ رَبِّي﴾ قال: «يقول: ما يفعل ربّي بكم»[4]. ﴿لَوْلا دُعاؤُكُمْ﴾.

سئل: كثرة القراءة أفضل أو كثرة الدّعاء؟ قال: «كثرة الدّعاء أفضل، وقرأ هذه الآية»[5].

﴿فَقَدْ كَذَّبْتُمْ﴾ بما أخبرتكم به ﴿فَسَوْفَ يَكُونُ لِزاماً﴾: جزاء التّكذيب لازماً، يحيق بكم لا محالة.

١ و ٢ ـ المناقب (لابن شهرآشوب) ٣: ٣٨٠، عن سعيد بن جبير.

٣ ـ القمّي ٢: ١١٧، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٤ ـ المصدر: ١١٨، عن أبي جعفر عليه السلام.

٥ ـ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ١٨٢، عن أبي جعفر عليه السلام.

سورة الشّعراء

[مكيّة، وهي مائتان وسبع وعشرون آية][1]

بسم الله الرحمٰن الرحيم

﴿طسٓمٓ﴾.

﴿تِلْكَ آياتُ الكِتابِ المُبِينِ﴾.

﴿لَعَلَّكَ باخِعٌ﴾: قاتل ﴿نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾.

﴿إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّماءِ آيَةً﴾: دلالة ملجئة إلى الإيمان، وبليّة قاسرة عليه ﴿فَظَلَّتْ أَعْناقُهُمْ لَها خاضِعِينَ﴾: منقادين.

قال: «سيفعل اللّه ذلك بهم. قيل: من هُمْ؟ قال: بنو أُميّة وشيعتهم. قيل: وما الآية؟ قال: ركود الشّمس ما بين زوال الشّمس إلى وقت العصر، وخروج صدر[2] ووجه في عين الشّمس يعرف بحسبه ونسبه، وذلك في زمان السّفياني، وعندها يكون بواره وبوار قومه»[3].

وفي رواية يصف فيها القائم عليه السلام: «ينادي مناد من السّماء يسمعه جميع أهل الأرض

١ ـ مابين المعقوفتين من «ب».

٢ ـ في المصدر: «وخروج صدر الرّجل».

٣ ـ الإرشاد (للمفيد): ٣٥٩، باب علامات قيام القائم عليه السلام، عن أبي جعفر عليه السلام.

بالدّعاء إليه . يقول: ألا إنّ حجّة اللّه قد ظهر عند بيت اللّه فاتّبعوه ، فإنّ الحقّ معه وفيه ، وهو قول اللّه عزّ وجلّ: "إن نشأ ننزّل عليهم" الآية»[1] .

﴿وَما يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنَ الرَّحْمٰنِ مُحْدَثٍ إِلّا كانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ﴾ .

﴿فَقَدْ كَذَّبُوا﴾ أي: بالذّكر بعد إعراضهم وأمعنوا في تكذيبهم ، بحيث أدّى بهم إلى الاستهزاء به ﴿فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْباءُ ما كانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ من أنّه كان حقّاً أم باطلاً . وكان حقيقاً بأن يصدّق ويعظم قدره ، أو يكذّب فيستخفّ أمره .

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الأَرْضِ﴾: أو لم ينظروا إلى عجائبها ﴿كَمْ أَنْبَتْنا فِيها مِنْ كُلِّ زَوْجٍ﴾: صنف ﴿كَرِيمٍ﴾: كثير المنفعة .

﴿إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَةً﴾ على أنّ منبتها تامّ القدرة والحكمة ، سابغ النّعمة والرّحمة ﴿وَما كانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ .

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ العَزِيزُ﴾: الغالب القادر على الانتقام من الكفرة ﴿الرَّحِيمُ﴾ حيث أمهلهم .

﴿وَإِذْ نادىٰ رَبُّكَ مُوسىٰ أَنِ ائْتِ القَوْمَ الظّالِمِينَ﴾ بالكفر ، واستعباد بني إسرائيل ، وذبح أولادهم .

﴿قَوْمَ فِرْعَوْنَ﴾ يعني فرعون وقومه ﴿أَلا يَتَّقُونَ﴾ . تعجيب من إفراطهم في الظّلم واجترائهم .

﴿قالَ رَبِّ إِنِّي أَخافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ﴾ .

﴿وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلا يَنْطَلِقُ لِسانِي فَأَرْسِلْ إِلىٰ هٰرُونَ﴾ ليقوى به قلبي .

﴿وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ﴾: تبعة ذنب ، وهو قتل القبطيّ ؛ سمّاه ذنباً على زعمهم .

﴿فَأَخافُ أَنْ يَقْتُلُونِ﴾ به ، قبل أداء الرّسالة .

﴿قالَ كَلّا فَاذْهَبا﴾ إجابة له إلى الطّلبتين ، يعني ارتدع يا موسى عمّا تظنّ ، فاذهب

١ ـ كمال الدّين ٢: ٣٧٢ ، الباب: ٣٥ ، ذيل الحديث: ٥ ، عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام .

أنت والّذي طلبته ﴿بِآيَاتِنا إنّا مَعَكُمْ﴾ يعني موسى وهٰرون وفرعون ﴿مُسْتَمِعُونَ﴾ لما يجري بينكما وبينه، فاظهركما عليه.

﴿فَأْتِيا فِرْعَوْنَ فَقُولا إنّا رَسُولُ رَبِّ العالَمِينَ﴾. أفرد الرّسول، لأنّه مصدر وصف به.

﴿أنْ أرْسِلْ مَعَنا بَنِي إسْرائِيلَ﴾: خلّهم يذهبوا معنا إلى الشّام.

﴿قالَ﴾ أي: فرعون لموسى بعد أن أتياه، فقالا له ذلك ﴿ألَمْ نُرَبِّكَ فِينا﴾: في منازلنا ﴿وَلِيداً﴾: طفلاً ﴿وَلَبِثْتَ فِينا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾.

﴿وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ﴾ يعني قتل القبطيّ ﴿وَأنْتَ مِنَ الكافِرِينَ﴾ قال: «يعني كفرت نعمتي»[1].

﴿قالَ فَعَلْتُها إذاً وَأنَا مِنَ الضّالِّينَ﴾ قيل: من الجاهلين أو[2] الضّالّين عن طريق النّبوّة[3]. وسئل عن ذلك، مع أنّ الأنبياء معصومون، فقال: «من الضّالّين عن الطّريق، بوقوعي إلى مدينة من مدائنك»[4].

أقول: لعلّ المراد أنّه ورّى لفرعون، فقصد الضّلال عن الطّريق، وفهم فرعون منه الضّلال عن الحقّ، فإنّ الضّلال عن الطّريق لا يصلح عذراً للقتل.

﴿فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْماً﴾: حكمة ﴿وَجَعَلَنِي مِنَ المُرْسَلِينَ﴾.

﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّها عَلَيَّ أنْ عَبَّدْتَ بَنِي إسْرائِيلَ﴾ أي: وتلك التّربية نعمةٌ تمنّها عليّ بها ظاهراً، وهي في الحقيقة تعبيدك بني إسرائيل، وقصدهم بذبح أبنائهم، فإنّه السّبب

١ ـ القمّي ٢: ١١٨، عن أبي عبد الله عليه السلام.

٢ ـ في «ألف»: «والضّالّين».

٣ ـ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ١٨٧.

٤ ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ١: ١٩٩، الباب: ١٥، ذيل الحديث الطّويل: ١.

في وقوعي إليك وحصولي في تربيتك ، ويحتمل تقدير همزة الإنكار ، أي: أو تلك نعمة تمنّها عليّ ، وهي أن عبّدت .

﴿قالَ فِرْعَوْنُ وَما رَبُّ العالَمِينَ﴾ لمّا سمع جواب ما طعن به فيه ، ورأى أنّه لم يرعو بذلك ، شرع في الاعتراض على دعواه ، فبدأ بالاستفسار عن حقيقة المرسل .

﴿قالَ رَبُّ السَّمٰواتِ وَالأَرْضِ وَما بَيْنَهُما﴾ . عرّفه بأظهر خواصّه وآثاره ، كما قال أمير المؤمنين عليه السلام في خطبته[1]: «الّذي سُئلَتِ الأنبياءُ عنه ، فلم تصفه بحدّ ولا ببعض[2] ، بل وصفته بفعاله ، ودلّت عليه بآياته»[3] . ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ﴾ علمتم ذلك . ﴿قالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلا تَسْتَمِعُونَ﴾ قال: «فقال متعجّباً لأصحابه: "ألا تستمعون" أسأله عن الكيفيّة ، فيجيبني عن الحقّ»[4] .

أقول: يعني بالحقّ ، التّحقّق[5] والثّبوت .

﴿قالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبائِكُمُ الأَوَّلِينَ﴾ . عدل إلى ما لا يشكّ في افتقاره إلى مصوّر حكيم وخالق عليم ، ويكون أقرب إلى النّاظر وأوضح عند التّأمّل .

﴿قالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾ أسأله عن شيء ويجيبني عن آخر .

﴿قالَ رَبُّ المَشْرِقِ وَالمَغْرِبِ وَما بَيْنَهُما﴾: تشاهدون كلّ يوم أنّه يأتي بالشّمس من المشرق ويذهب بها إلى المغرب على وجه نافع ، ينتظم به أُمور الخلق ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ علمتم أن لا جواب لكم فوق ذلك .

﴿قالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلٰهاً غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ المَسْجُونِينَ﴾ . عدل إلى التّهديد بعد

١ ـ في «ب»: «في خطبة» .

٢ ـ أي: بكونه محدوداً بحدود جسمانيّة أو عقلانيّة أو بأجزاء وأبعاض خارجيّة أو عقليّة . وقيل: أي لم يحسبوا بحدّ ولا يبعض حدّ ، وهو الحدّ النّاقص كالجواب بالفصل القريب دون الجنس القريب . مرآة العقول ٢: ١٠٦ .

٣ ـ الكافي ١: ١٤١ ، الحديث: ٧ .

٤ ـ القمّي ٢: ١١٩ ، عن أبي عبد الله عليه السلام .

٥ ـ في «ب»: «التحقيق» .

الانقطاع ، وهكذا دَيْدَنُ المعاند المحجوج .

﴿ قالَ أَوَ لَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ ﴾ أي: أتفعل ذلك ولو جئتك بشيء مبين على[1] صدق دعواي؟! يعني المعجزة ، فإنّها الجامعة بين الدّلالة على وجود الصّانع وحكمته ، والدّلالة على صدق مدّعي نبوّته .

﴿ قالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّادِقِينَ ﴾ .

﴿ فَأَلْقَىٰ عَصاهُ فَإِذا هِيَ ثُعْبانٌ مُبِينٌ ﴾: ظاهر الثّعبانيّة .

قال: «فالتقمت الإيوان بلَحْيَيْها ، فدعاه أن يا موسى أقلني إلى غد ، ثمّ كان من أمره ما كان»[2] .

وفي رواية: «فلم يبق أحد من جلساء فرعون إلّا هرب ، ودخل فرعون من الرّعب مالم يملك نفسه ، فقال: يا موسى! أنشدك بالله وبالرّضاع إلّا ما كففتها عنّي ، فكفّها . قال: فلمّا أخذ موسى العصا رجعت إلى فرعون نفسه وهمّ بتصديقه ، فقام إليه هامان فقال له: بينا أنت إله تعبد إذ صرت تابعاً لعبد!»[3]

﴿ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذا هِيَ بَيْضاءُ لِلنّاظِرِينَ ﴾ قال: «قد حال شعاعها بينه وبين وجهه»[4] .

﴿ قالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هٰذا لَساحِرٌ عَلِيمٌ ﴾: فائق في علم السّحر .

﴿ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَماذا تَأْمُرُونَ ﴾ بَهَرَه[5] سلطان المعجز ، حتّى حطّه عن دعوى الرّبوبيّة إلى مؤامرة القوم وائتمارهم .

١ ـ لم ترد كلمة «على» في «ألف» و«ج» .

٢ ـ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ٢٥٣ ، عن أبي جعفر عليه السلام .

٣ ـ القمّي ٢: ١١٩ ، عن أبي عبد الله عليه السلام ، مع تفاوت يسير .

٤ ـ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ٢٥٣ ، عن أبي جعفر عليه السلام .

٥ ـ بَهَرَه: غلبه وفضّله . المصباح المنير ١: ٨١ (بهر) .

﴿قالُوا أَرْجِهْ وَأَخاهُ﴾: أخِّرْ أمرهما.

﴿وَابْعَثْ فِي المَدائِنِ حاشِرِينَ﴾ شرطاً يحشرون السّحرة.

﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحّارٍ عَلِيمٍ﴾ يفضلون عليه في هذا الفنّ.

﴿فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ﴾ لما وقّت به من ساعات يوم معيّن، وهو وقت الضّحى من يوم الزّينة، كما سبق في سورة طٰه[1].

﴿وَقِيلَ لِلنّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ﴾.

﴿لَعَلَّنا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ﴾ أي: في دينهم، ومقصودهم أن لا يتّبعوا موسى ﴿إِنْ كانُوا هُمُ الغالِبِينَ﴾.

﴿فَلَمّا جاءَ السَّحَرَةُ قالُوا لِفِرْعَوْنَ أَإِنَّ لَنا لَأَجْراً إِنْ كُنّا نَحْنُ الغالِبِينَ﴾. ﴿قالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذاً لَمِنَ المُقَرَّبِينَ﴾. ﴿قالَ لَهُمْ مُوسىٰ أَلْقُوا ما أَنْتُمْ مُلْقُونَ﴾. ﴿فَأَلْقَوْا حِبالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنّا لَنَحْنُ الغالِبُونَ﴾.

﴿فَأَلْقىٰ مُوسىٰ عَصاهُ فَإِذا هِيَ تَلْقَفُ﴾: تبتلع[2] ﴿ما يَأْفِكُونَ﴾: ما يقلبونه عن وجهه بتمويههم وتزويرهم، فيخيّلون حبالهم وعصيّهم أنّها حيّات تسعى.

﴿فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ ساجِدِينَ﴾ لعلمهم بأنّ مثله لا يتأتّى بالسّحر.

﴿قالُوا آمَنّا بِرَبِّ العالَمِينَ﴾.

﴿رَبِّ مُوسىٰ وَهٰرُونَ﴾. إبدال للتّوضيح ودفع التوهّم، والإشعار على أنّ الموجب لإيمانهم ما أجراه على أيديهما.

﴿قالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ﴾ فعلّمكم شيئاً دون شيء ولذلك غلبكم. أراد به التّلبيس على قومه، كي لا يعتقدوا أنّهم آمنوا على بصيرة وظهور حقّ ﴿فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ وبالَ فعلكم ﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ

١ ـ ذيل الآية: ٥٩.

٢ ـ في «ألف»: «تبلع».

مِنْ خِلافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ .

﴿ قالُوا لا ضَيْرَ ﴾: لا ضرر علينا في ذلك ﴿ إِنَّا إِلىٰ رَبِّنا مُنْقَلِبُونَ ﴾ بما توعدنا إليه .

﴿ إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنا رَبُّنا خَطايانا أَنْ كُنَّا ﴾: لأن كنّا ﴿ أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ من أهل المشهد .

﴿ وَأَوْحَيْنا إِلىٰ مُوسىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبادِي ﴾ وذلك بعد سنين يدعوهم إلى الحقّ ويظهر لهم الآيات ؛ فلم يزيدوا إلّا عتوّاً ﴿ إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ ﴾: يتّبعكم فرعون وجنوده .

﴿ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدائِنِ حاشِرِينَ ﴾ . قال: «فخرج موسى ببني إسرائيل ليقطع بهم البحر ، فجمع فرعون أصحابه وبعث في المدائن حاشرين العساكر ليتّبعوهم ، وحشر النّاس ، وقدّم مقدّمته في ستّمائة ألف ، وركب هو في ألف ألف وخرج»[١] .

﴿ إِنَّ هٰؤُلاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴾ على إرادة القول . قال: «يقول عصبة قليلة»[٢] .

﴿ وَإِنَّهُمْ لَنا لَغائِظُونَ ﴾: لفاعلون ما يغيظنا .

﴿ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حاذِرُونَ ﴾: لجمع عادتنا الحذر واستعمال الحزم في الأُمور .

﴿ فَأَخْرَجْناهُمْ مِنْ جَنّاتٍ وَعُيُونٍ ﴾ .

﴿ وَكُنُوزٍ وَمَقامٍ كَرِيمٍ ﴾: المنازل الحسنة والمجالس البهيّة .

﴿ كَذٰلِكَ وَأَوْرَثْناها بَنِي إِسْرائِيلَ ﴾ .

﴿ فَأَتْبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ ﴾: داخلين في وقت شروق الشّمس .

﴿ فَلَمّا تَراءَى الْجَمْعانِ ﴾: تقاربا بحيث رأى كلّ منهما الآخر ﴿ قالَ أَصْحابُ مُوسىٰ إِنّا لَمُدْرَكُونَ ﴾: لملحقون .

﴿ قالَ كَلّا ﴾: لن يدركوكم ، فإنّ الله وعدكم الخلاص منهم ﴿ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي ﴾ بالحفظ والنّصرة ﴿ سَيَهْدِينِ ﴾ طريق النّجاة منهم .

١ ـ القمّي ٢: ١٢١ ، عن أبي عبد الله عليه السلام .

٢ ـ المصدر: ١٢٢ ، عن أبي جعفر عليه السلام .

﴿فَأَوْحَيْنا إِلىٰ مُوسىٰ أَنِ اضْرِبْ بِعَصاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ﴾ أي: ضرب فانفلق ﴿فَكانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾ قال: «أي: كالجبل المنيف»[1] الثّابت في مقرّه، فدخلوا في شعابها.

﴿وَأَزْلَفْنا﴾: وقرّبنا ﴿ثَمَّ الْآخَرِينَ﴾: فرعون وقومه، حتّى دخلوا على أثرهم مداخلهم.

﴿وَأَنْجَيْنا مُوسىٰ وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ﴾ بحفظ البحر على تلك الهيئة حتّى عبروا.

﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ﴾ بإطباقه[2] عليهم.

﴿إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَةً﴾ وأيّة آية ﴿وَما كانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾: وما تنبّه عليها أكثرهم، إذ لم يؤمن بها أحد ممّن بقي في مصر من القبط، وبنو إسرائيل بعد ما نجوا سألوا بقرة يعبدونها، واتّخذوا العجل وقالوا: "لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتّىٰ نَرَى اللّٰهَ جَهْرَةً"[3].

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ﴾: المنتقم من أعدائه ﴿الرَّحِيمُ﴾ بأوليائه.

﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْراهِيمَ﴾. ﴿إِذْ قالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ ما تَعْبُدُونَ﴾. ﴿قالُوا نَعْبُدُ أَصْناماً فَنَظَلُّ لَها عاكِفِينَ﴾. ﴿قالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ﴾.

﴿أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ﴾ على عبادتكم لها ﴿أَوْ يَضُرُّونَ﴾ من أعرض عنها.

﴿قالُوا بَلْ وَجَدْنا آباءَنا كَذٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾. ﴿قالَ أَفَرَأَيْتُمْ ما كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ﴾. ﴿أَنْتُمْ وَآباؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ﴾.

﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي﴾ يريد عدوّ لكم، ولكنّه صوّر الأمر في نفسه تعريضاً لهم، فإنّه أنفع في النّصح من التّصريح، والبداءة بنفسه في النّصيحة أدعى للقبول. ﴿إِلّا رَبَّ الْعالَمِينَ﴾ استثناء منقطع أو متّصل، على أنّ الضّمير لكلّ معبود عبدوه، وكان من آبائهم

١ ـ القمّي ٢: ١٢٢، عن أبي عبد الله عليه السلام، وفيه: «كالجبل العظيم».

٢ ـ أطبق الشيء: غطّاه. الصّحاح ٤: ١٥١٢ (طبق).

٣ ـ البقرة (٢): ٥٥.

من عبد اللّه .

﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ﴾ لأنّه يهدي كلّ مخلوق لما خلق له من أُمور المعاش والمعاد، هداية متدرّجة من مبدأ الإيجاد إلى منتهى أجله. كما قال: "الَّذي أَحْسَنَ كُلَّ شَيءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدىٰ"[١].

﴿وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ﴾.

﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾. إنّما لم ينسب المرض إليه لأنّ مقصوده تعديد النّعم، ولأنّه في غالب الأمر إنّما يحدث بتفريط من الإنسان في مطاعمه ومشاربه، وفي أوامر اللّه تعالى ونواهيه، كما قال اللّه سبحانه: "مَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ"[٢].

﴿وَالَّذِي يُمِيتُنِي﴾ عدّ الموت من جملة النّعم، وأضافه إلى اللّه، لأنّه لأهل الكمال وصلة إلى نيل المحابّ الّتي تُستحقر دونها الحياة الدّنيويّة، وخلاص من أنواع المحن والبليّة ﴿ثُمَّ يُحْيِينِ﴾.

﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾ ذكر ذلك هضماً لنفسه وتعليماً للأُمّة، أن يجتنبوا المعاصي ويكونوا على حذر، وطلب لأن يغفر لهم ما يفرّط منهم، واستغفار لما عسى يندر منه من خلاف الأولى، وحمل الخطيئة على كلماته الثّلاث: "إِنّي سَقيمٌ"[٣]، "بَلْ فَعَلَهُ كَبيرُهُمْ"[٤]، و«هي أُختي»[٥] لا وجه له؛ لأنّها معاريض وليست بخطايا.

١ ـ ليست بعين هذه الألفاظ آية في القرآن. وهذه متّخذة من آيتين في سورة طه والسجدة. وهذا نصّهما: ﴿الّذي أعطىٰ كُلّ شيءٍ خَلْقَه ثمّ هدىٰ﴾ طه (٢٠): ٥٠؛ ﴿الّذي أحْسنَ كلّ شيء خَلَقَهُ﴾ السّجدة (٣٢): ٧.

٢ ـ الشّورى (٤٢): ٣٠.

٣ ـ الصّافّات (٣٧): ٨٩.

٤ ـ الانبياء (٢١): ٦٣.

٥ ـ قال: بينا هو ذات يوم وسارة، إذ أتى على جبّار من الجبابرة، فقيل له: إنّ هاهنا رجلاً معه امرأة من أحسن ←

﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْماً﴾: كمالاً في العلم والعمل ، استعدّ به لخلافة الحقّ ورياسة الخلق ﴿وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾: ووفّقني للكمال في العمل ، لأنتظم به في عداد الكاملين في الصّلاح .

﴿وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الآخِرِينَ﴾ قيل: أي: جاهاً وحسن صيت في الدّنيا يبقى أثره إلى يوم الدّين ، ولذلك ما من أمّة إلّا وهم له محبّون وعليه يثنون[1] .

ورد: «لسان الصّدق للمرء يجعله اللّه في النّاس ، خيراً له من المال يأكله ويورّثه»[2] .

وقيل: بل يعني واجعل صادقاً من ذرّيّتي يجدّد ديني ، ويدعو النّاس إلى ما كنت أدعوهم إليه ؛ وهو محمّد[3] وعليّ والأئمّة من ذرّيّتهما عليهم السلام .

القمّي: هو أمير المؤمنين عليه السلام[4] .

﴿وَاجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ﴾ في الآخرة وقد سبق[5] معنى الوراثة فيها .

﴿وَاغْفِرْ لِأَبِي﴾ بالهداية والتّوفيق للإيمان ﴿إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ﴾ طريق الحقّ ؛ وإنّما دعا له بالمغفرة لما وعده بأنّه سيؤمن ، كما قال اللّه عزّوجلّ: "وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيم لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ"[6] .

﴿وَلَا تُخْزِنِي﴾ بمعاتبتي على مافرّطت ؛ من الخزي بمعنى الهوان ، أو من الخزاية بمعنى الحياء ﴿يَوْمَ يُبْعَثُونَ﴾ . الضّمير للعباد ، لأنّهم معلومون .

← النّاس ، فأرسل إليه وسأله عنها ، فقال: من هذا؟ قال: أُختي ، فأتى سارة فقال: يا سارة ليس على وجه الأرض مؤمن غيري وغيرك ، وانّ هذا سألني فأخبرته أنّك أُختي فلا تكذبيني . قصص الأنبياء (لابن كثير): ١٤٩ ، نقلاً عن البخاري .

١ ـ البيضاوي ٤: ١٠٦ .

٢ ـ الكافي ٢: ١٥٤ ، الحديث: ١٩ ، عن أبي عبد اللّه ، عن أمير المؤمنين عليهما السلام .

٣ ـ البيضاوي ٤: ١٠٦ .

٤ ـ القمّي ٢: ١٢٣ .

٥ ـ ذيل الآية: ١٠ ـ ١١ ، من سورة المؤمن .

٦ ـ التّوبة (٩): ١١٤ .

﴿يَوْمَ لا يَنْفَعُ مالٌ وَلا بَنُونَ﴾.

﴿إِلّا مَنْ أَتَى اللّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾: لا ينفعان أحداً إلّا مخلصاً سليم القلب.

قال: «هو القلب الّذي سلم من حبّ الدّنيا»[1].

وفي رواية: «هو الّذي يلقى ربّه وليس فيه أحد سواه. قال: وكلّ قلب فيه شرك أو شكّ فهو ساقط، وإنّما أرادوا بالزّهد في الدّنيا لتفرغ قلوبهم إلى الآخرة»[2].

﴿وَأُزْلِفَتِ الجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ بحيث يرونها في الموقف، فيتبجّحون بأنّهم المحشورون إليها.

﴿وَبُرِّزَتِ الجَحِيمُ لِلْغاوِينَ﴾: مكشوفة يتحسّرون على أنّهم المسوقون إليها.

﴿وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ ما كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ﴾.

﴿مِنْ دُونِ اللّهِ هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ أَوْ يَنْتَصِرُونَ﴾.

﴿فَكُبْكِبُوا فِيها هُمْ وَالغاوُونَ﴾ أي: الآلهة وعبدتهم. والكبكبة: تكرير الكبّ[3] لتكرير معناه، كأنّ من أُلقي في النّار ينكبّ مرّة بعد أُخرى، حتّى يستقرّ في قعرها. قال: «هم قوم وصفوا عدلاً بألسنتهم ثمّ خالفوه إلى غيره»[4].

﴿وَجُنُودُ إِبْلِيسَ﴾ قال: «ذرّيّته من الشّياطين»[5] ﴿أَجْمَعُونَ﴾.

﴿قالُوا وَهُمْ فِيها يَخْتَصِمُونَ﴾.

﴿تَاللّهِ إِنْ كُنّا﴾: إنّه كنّا ﴿لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾.

﴿إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ العالَمِينَ﴾: أطعناكم كما أطعنا اللّه.

---

١ ـ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ١٩٤، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٢ ـ الكافي ٢: ١٦، الحديث: ٥، عن أبي عبد اللّه عليه السلام، مع تفاوت يسير.

٣ ـ كَبَبْتُ فلاناً كَبّاً: ألقيته على وجهه. مجمع البحرين ٢: ١٥١ (كبب).

٤ ـ الكافي ٢: ٣٠٠، الحديث: ٤؛ القمّي ٢: ١٢٣، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٥ ـ المصدر: ٣١، ذيل الحديث الطّويل: ١، عن أبي جعفر عليه السلام.

﴿وَما أَضَلَّنا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ﴾ قال: «يعني المشركين الّذين اقتدوا بهم هؤلاء، فاتّبعوهم على شركهم، وهم قوم محمّد صلى الله عليه وآله ليس فيهم من اليهود والنّصارى أحد»[١].

﴿فَما لَنا مِنْ شافِعِينَ﴾ قال: «الأئمّة»[٢].

﴿وَلا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾ قال: «من المؤمنين»[٣]. قال: «واللّه لنشفعنّ في المذنبين من شيعتنا، حتّى يقول[٤] أعداؤنا إذا رأوا ذلك: "فما لنا من شافعين ولا صديق حميم"»[٥].

و ورد: «إنّ الرّجل يقول في الجنّة: ما فعل صديقي فلان؟ وصديقه في الجحيم! فيقول اللّه تعالى: أخرجوا له صديقه إلى الجنّة[٦]، فيقول من بقي في النّار: "فما لنا من شافعين ولا صديق حميم"»[٧].

﴿فَلَوْ أَنَّ لَنا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ القمّي: من المهتدين؛ لأنّ الإيمان قد لزمهم بالإقرار[٨].

﴿إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَةً﴾: لحجّة وعظة لمن أراد أن يستبصر بها ويعتبر ﴿وَما كانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ به.

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ﴾: القادر على تعجيل الانتقام ﴿الرَّحِيمُ﴾ بالإمهال، لكي يؤمنوا هم أو واحد من ذرّيّتهم.

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾. قال: «إنّه[٩] قدّم على قوم مكذّبين للأنبياء الّذين

١ـ الكافي ٢: ٣١، ذيل الحديث الطّويل: ١، عن أبي جعفر عليه السلام.
٢ و ٣ـ المحاسن: ١٨٤، الباب: ٤٥، الحديث: ١٨٧، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.
٤ـ في المصدر: «حتّى يقولوا».
٥ـ القمّي ٢: ١٢٣، عن الباقر والصادق عليهما السلام.
٦ـ في «ب» و«ج»: «في الجنّة»، ولم ترد في «ألف»، وما أثبتناه من المصدر.
٧ـ مجمع البيان ٧ـ٨: ١٩٥، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله.
٨ـ القمّي ٢: ١٢٣.
٩ـ في المصدر: «لكنّه».

كانوا بينه وبين آدم»[١].

﴿إِذْ قالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلا تَتَّقُونَ﴾ اللّه، فتتركوا عبادة غيره.

﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾.

﴿فَاتَّقُوا اللّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ فيما آمركم به من التّوحيد والطّاعة للّه.

﴿وَما أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾: على ما أنا عليه من الدّعاء والنّصح ﴿مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلّا عَلىٰ رَبِّ العالَمِينَ﴾.

﴿فَاتَّقُوا اللّهَ وَأَطِيعُونِ﴾. كرّره للتّأكيد والتّنبيه على دلالة كلّ واحد من أمانته وحسم طمعه، لوجوب طاعته فيما يدعوهم إليه، فكيف إذا اجتمعا؟!

﴿قالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الأَرْذَلُونَ﴾: الأقلّون مالاً وجاهاً، يعني أهل الطّمع في مال أو رفعة.

﴿قالَ وَما عِلْمِي بِما كانُوا يَعْمَلُونَ﴾ إنّهم عملوه إخلاصاً أو طمعاً في طعمة، وما عليّ إلّا اعتبار الظّاهر.

﴿إِنْ حِسابُهُمْ إِلّا عَلىٰ رَبِّي﴾ فإنّه المطّلع على البواطن ﴿لَوْ تَشْعُرُونَ﴾ لعلمتم ذلك، ولكنّكم تجهلون، فتقولون ما لا تعلمون.

﴿وَما أَنَا بِطارِدِ المُؤْمِنِينَ﴾. جواب لما أوهم قولهم من استدعاء طردهم، وتوقيف إيمانهم على ذلك، حيث جعلوا اتّباعهم المانع عنه.

﴿إِنْ أَنَا إِلّا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ لا يليق بي طرد الفقراء لاستتباع الأغنياء.

﴿قالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ المَرْجُومِينَ﴾: من المشتومين، أو المضروبين بالحجارة.

﴿قالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ﴾.

١ ـ كمال الدّين ١: ٢١٥، الباب: ٢٢، ذيل الحديث الطّويل: ٢، عن أبي جعفر عليه السلام.

﴿فَافْتَحْ﴾: فاحكم ﴿بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحاً وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿فَأَنْجَيْناهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾. قال: «المشحون: المجهّز الّذي قد فرغ منه، ولم يبق إلّا دفعه»[١].

﴿ثُمَّ أَغْرَقْنا بَعْدُ الباقِينَ﴾. ﴿إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَةً وَما كانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾. ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾. ﴿كَذَّبَتْ عادُ الْمُرْسَلِينَ﴾. ﴿إِذْ قالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلا تَتَّقُونَ﴾. ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾. ﴿فَاتَّقُوا اللّٰهَ وَأَطِيعُونِ﴾. ﴿وَما أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلّا عَلىٰ رَبِّ العالَمِينَ﴾.

﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ﴾ قيل: أي بكلّ مكان مرتفع[٢]. ﴿آيَةً﴾: عَلَماً للمارّة، أو بناء لا تحتاجون إليه ﴿تَعْبَثُونَ﴾ ببنائه، لاستغنائكم بالنّجوم للاهتداء في أسفاركم، وبمنازلكم للسّكنى.

﴿وَتَتَّخِذُونَ مَصانِعَ﴾ قيل: مآخذ الماء[٣] وقيل: قصوراً مشيّدة وحصوناً[٤]. ﴿لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾ فتحكمون بنيانها.

ورد: «كلّ[٥] بناء يبنى وَبالٌ على صاحبه يوم القيامة إلّا ما لابدّ منه»[٦].

﴿وَإِذا بَطَشْتُمْ﴾ بسوط أو سيف ﴿بَطَشْتُمْ جَبّارِينَ﴾: متسلّطين غاشمين[٧]، بلا رأفة ولا قصد تأديب ونظر في العاقبة. القمّي: يقتلون بالغضب من غير استحقاق[٨].

١ ـ القمّي ٢: ١٢٥، عن أبي جعفر عليه السلام.
٢ ـ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ١٩٨؛ البيضاوي ٤: ١٠٧.
٣ و ٤ ـ المصدرين السابقين؛ والكشّاف ٣: ١٢٢.
٥ ـ في المصدر: «إنّ لكلّ».
٦ ـ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ١٩٨، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله.
٧ ـ الغَشْم: الظلم. القاموس المحيط ٤: ١٥٨ (غشم).
٨ ـ القمّي ٢: ١٢٣.

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ بترك هذه الأشياء ﴿وَأَطِيعُونِ﴾ فيما أدعوكم إليه.

﴿وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ﴾: بما تعرفونه من أنواع النّعم.

﴿أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ﴾. ﴿وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾. ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾.

﴿قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ﴾ فإنّا لا نرعوي عمّا نحن عليه.

﴿إِنْ هَذَا﴾ الّذي جئت به ﴿إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ﴾ أي: عادتهم إن ضَمَمْتَ الخاء، أو كذبهم إن فَتَحْتَها؛ أو المعنى إنْ هذا الّذي نحن عليه إلّا عادة الأوّلين، ونحن بهم مقتدون؛ أو ما خَلْقنا هذا إلّا خَلْقهم، نحيا ونموت مثلهم، ولا بعث ولا حساب. كذا قيل[1].

﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾.

﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ﴾ بريح صرصر ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾. ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ﴾. ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾. ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾. ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾. ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

﴿أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ﴾. إنكار لأن يتركوا كذلك، أو تذكير بالنّعمة في تخلية الله إيّاهم، وأسباب تنعّمهم.

﴿فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾.

﴿وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ﴾: لطيف ليّن، أو متدلٍّ منكسر من كثرة الحمل.

﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ﴾: حاذقين، وبحذف الألف: بطرين.

١ ـ البيضاوي ٤: ١٠٨؛ الكشّاف ٣: ١٢٢.

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾. ﴿وَلا تُطِيعُوا أَمْرَ المُسْرِفِينَ﴾. ﴿الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ وَلا يُصْلِحُونَ﴾.

﴿قالُوا إِنَّما أَنْتَ مِنَ المُسَحَّرِينَ﴾ القمّي يقول: أجوف مثل خلق النّاس، ولو كنت رسولاً ما كنت مثلنا[1].

أقول: يعني من ذوى السَّحْر، وهي الرِّئة، فما بعده تأكيد له.

﴿ما أَنْتَ إِلّا بَشَرٌ مِثْلُنا فَأْتِ بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّادِقِينَ﴾.

﴿قالَ هٰذِهِ ناقَةٌ﴾ أي: بعدما أخرجه اللّه من الصّخرة بدعائه، كما اقترحوها؛ على ما سبق ذكره[2]. ﴿لَها شِرْبٌ﴾: نصيب من الماء ﴿وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ﴾ فاقتصروا على شربكم ولا تزاحموها في شربها.

﴿وَلا تَمَسُّوها بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾.

﴿فَعَقَرُوها﴾: «أسند العقر إلى كلّهم؛ لأنّ عاقرها إنّما عقر برضاهم، ولذلك أخذوا جميعاً». كذا ورد[3]. ﴿فَأَصْبَحُوا نادِمِينَ﴾ على عقرها عند معاينة العذاب.

﴿فَأَخَذَهُمُ العَذابُ﴾ قال: «فما كان إلّا أن خارت[4] أرضهم بالخسفة خوار السّكّة المُحْماة[5] في الأرض الخوّارة[6]»[7]. ﴿إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَةً وَما كانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ العَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾. ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ المُرْسَلِينَ﴾. ﴿إِذْ قالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلا تَتَّقُونَ﴾. ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾. ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ

١ ـ القمّي ٢: ١٢٥.
٢ ـ في تفسير الآية: ٧٩، من سورة الأعراف.
٣ ـ نهج البلاغة: ٣١٩، الخطبة: ٢٠١.
٤ ـ خارت: صوّتت كخُوار الثور.
٥ ـ السّكّة المُحْماة: حديدة المِحْراث إذا أُحمِيَتْ في النار فهي أسرع غوراً في الأرض.
٦ ـ الخَوّارَة: السهلة اللّيّنة.
٧ ـ نهج البلاغة: ٣١٩، الخطبة: ٢٠١.

وَأَطِيعُونِ﴾. ﴿وَما أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلّا عَلىٰ رَبِّ العالَمِينَ﴾.
﴿أَتَأْتُونَ الذُّكْرانَ مِنَ العالَمِينَ﴾. ﴿وَتَذَرُونَ ما خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْواجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عادُونَ﴾.

﴿قالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يا لُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ المُخْرَجِينَ﴾: من المنفيّين من بين أظهرنا.

﴿قالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ القالِينَ﴾: من المبغضين غاية البُغض.

﴿رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمّا يَعْمَلُونَ﴾ أي: من شؤمه وعذابه.

﴿فَنَجَّيْناهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ﴾.

﴿إِلّا عَجُوزاً﴾ هي امرأته ﴿فِي الغابِرِينَ﴾: مقدّرة في الباقين في العذاب.

﴿ثُمَّ دَمَّرْنا الآخَرِينَ﴾: أهلكناهم.

﴿وَأَمْطَرْنا عَلَيْهِمْ مَطَراً﴾: حجارة ﴿فَساءَ مَطَرُ المُنْذَرِينَ﴾. قد مرّت قصّتهم في الأعراف[1].

﴿إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَةً وَما كانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾. ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ العَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾.

﴿كَذَّبَ أَصْحابُ لْئَيْكَةِ المُرْسَلِينَ﴾ الأيكة: غيضة[2] تنبت ناعم الشّجر.

﴿إِذْ قالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلا تَتَّقُونَ﴾ «فإنّه أُرسل إليهم كما أُرسل إلى مدين». كذا ورد[3].

﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾. ﴿فَاتَّقُوا اللّٰهَ وَأَطِيعُونِ﴾. ﴿وَما أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ

١ ـ ذيل الآية: ٨٤.

٢ ـ الغَيْضَة: الأَجَمَة. وهي مغيض ماءٍ يجتمع، فينبت فيه الشّجر، والجمع: غِياض وأغياض. الصّحاح ٣: ١٠٩٧ (غيض).

٣ ـ جوامع الجامع: ٣٣٢؛ الكشّاف ٣: ١٢٦ و١٢٧ ذيل الآية: ١٨٩.

مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ العالَمِينَ﴾. ﴿أَوْفُوا الكَيْلَ وَلا تَكُونُوا مِنَ المُخْسِرِينَ﴾. ﴿وَزِنُوا بِالْقِسْطاسِ المُسْتَقِيمِ﴾.

﴿وَلا تَبْخَسُوا النّاسَ أَشْياءَهُمْ وَلا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ بالقتل والغارة وقطع الطّريق.

﴿وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالجِبِلَّةَ﴾: ذوي الجبلّة ﴿الأَوَّلِينَ﴾ القمّي: والخلق الأوّلين[1].

﴿قالُوا إِنَّما أَنْتَ مِنَ المُسَحَّرِينَ﴾.

﴿وَما أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنا وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الكاذِبِينَ﴾.

﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنا كِسَفاً مِنَ السَّماءِ﴾: قطعة منها ﴿إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّادِقِينَ﴾.

﴿قالَ رَبِّي أَعْلَمُ بِما تَعْمَلُونَ﴾.

﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ﴾ القمّي: يوم حرّ وسمائم[2]، فبلغنا ـ والله أعلم ـ: أنّه أصابهم حرّ وهم في بيوتهم، فخرجوا يلتمسون الرّوح من قِبَل السّحابة الّتي بعث الله فيها العذاب، فلمّا غشيتهم أخذتهم الصّيحة، فأصبحوا في ديارهم جاثمين[3].

وقيل: فأمطرت عليهم ناراً فاحترقوا[4]. ﴿إِنَّهُ كانَ عَذابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾.

﴿إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَةً وَما كانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾. ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ العَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾. ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ العالَمِينَ﴾.

﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ﴾: جبرئيل، فإنّه أمين الله على وحيه.

﴿عَلىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ المُنْذِرِينَ﴾.

١ ـ القمّي ٢: ١٢٣.

٢ ـ المصدر: ١٢٤، سطر ١. والسّمائم، جمع السّموم: الرّيح الحارّة. لسان العرب ٦: ٣٧٣ (سمم).

٣ ـ القمّي ٢: ١٢٥، سطر ١٨.

٤ ـ الكشّاف ٣: ١٢٧؛ البيضاوي ٤: ١٠٩.

﴿بِلِسانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ قال: «يبيّن الألسن ولا تبيّنه الألسنُ»[١].

﴿وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الأَوَّلِينَ﴾ قيل: أي: معناه، أو ذكره[٢].

﴿أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةً﴾ على صحّته ﴿أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَماءُ بَنِي إِسْرائِيلَ﴾: أن يعرفوه بنعته المذكور في كتبهم.

﴿وَلَوْ نَزَّلْناهُ عَلى بَعْضِ الأَعْجَمِينَ﴾.

﴿فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ ما كانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ﴾ لفرط عنادهم، واستنكافهم من اتّباع العجم.

قال: «لو نزّلنا القرآن على العجم ما آمنت به العرب، وقد نزّل على العرب فآمنت به العجم»[٣].

﴿كَذٰلِكَ سَلَكْناهُ﴾: أدخلنا معانيه ﴿فِي قُلُوبِ المُجْرِمِينَ﴾ ثمّ لم يؤمنوا به عناداً.

﴿لا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتّىٰ يَرَوُا العَذابَ الأَلِيمَ﴾.

﴿فَيَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ﴾.

﴿فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ﴾ تحسّراً وتأسّفاً.

﴿أَفَبِعَذابِنا يَسْتَعْجِلُونَ﴾ بقولهم: "فَأْتِنا بِما تَعِدُنا"[٤] وأمثاله، وحالهم عند نزول العذاب طلب النَّظِرة.

﴿أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْناهُمْ سِنِينَ﴾. ﴿ثُمَّ جاءَهُمْ ما كانُوا يُوعَدُونَ﴾.

﴿ما أَغْنىٰ عَنْهُمْ ما كانُوا يُمَتَّعُونَ﴾: لم يغن عنهم تمتّعهم المتطاول في دفع

١ـ الكافي ٢: ٦٣٢، الحديث: ٢٠، عن أحدهما عليهما السلام.

٢ـ الكشّاف ٣: ١٢٨؛ البيضاوي ٤: ١١٠.

٣ـ القمّي ٢: ١٢٤، عن أبي عبد الله عليه السلام، وفيه زيادة: «فهذه فضيلة العجم».

٤ـ الأعراف (٧): ٧٠؛ هود (١١): ٣٢؛ الأحقاف (٤٦): ٢٢.

العذاب وتخفيفه.

«نزلت حين أُري رسول الله صلّى الله عليه وآله في منامه بني أُميّة يصعدون على منبره من بعده، يضلّون النّاس عن الصّراط القهقري». كذا ورد[١].

﴿وَما أَهْلَكْنا مِنْ قَرْيَةٍ إِلّا لَها مُنْذِرُونَ﴾.

﴿ذِكْرىٰ﴾: تذكرة ﴿وَما كُنّا ظالِمِينَ﴾ فنهلك قبل الإنذار وإلزام الحجّة.

﴿وَما تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّياطِينُ﴾ كما زعم المشركون أنّه من قبيل ما تُلقي الشّياطين على الكهنة.

﴿وَما يَنْبَغِي لَهُمْ﴾: وما يصحّ لهم أن ينزلوا به ﴿وَما يَسْتَطِيعُونَ﴾.

﴿إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ﴾ لكلام الملائكة ﴿لَمَعْزُولُونَ﴾: لمصروفون، حيل بينهم وبين السّماء بالملائكة والشّهب، كما يأتي بيانه في الصّافّات[٢]، وسورة الجنّ[٣].

﴿فَلا تَدْعُ مَعَ اللهِ إِلٰهاً آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ﴾. من قبيل: إيّاك أعني واسمعي يا جارة[٤].

﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ فإنّ الاهتمام بشأنهم أهمّ. قال: «وهذه منزلة رفيعة وفضل عظيم وشرف عال»[٥]. وزيد في قراءة أُبيّ وابن مسعود والصّادق عليه السّلام: «ورهطك المخلصين». كذا ورد[٦]. قال: «وهي ثابتة في مصحف ابن مسعود»[٧].

١ ـ الكافي ٤: ١٥٩، الحديث: ١٠، عن أبي عبد الله عليه السلام.

٢ ـ ذيل الآيات: ٨ إلى ١١.

٣ ـ ذيل الآية: ٩.

٤ ـ مرّت ترجمته في ذيل الآية ٧٥ من سورة بني إسرائيل.

٥ ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ١: ٢٣١، الباب: ٢٣، ذيل الحديث الطّويل: ١.

٦ ـ المصدر؛ وفي مجمع البيان ٧ ـ ٨: ٢٠٦، عن أبي عبد الله عليه السلام، وفيه: «ورهطك منهم المخلصين».

٧ ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ١: ٢٣١، الباب: ٢٣، ذيل الحديث الطويل: ١؛ الأمالي (للصّدوق): ٤٢٣، المجلس: ٧٩، ذيل الحديث: ١، عن عليّ بن موسى الرّضا عليه السلام.

﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾: ليّنْ جانبك لهم؛ مستعار من خفض الطّائر جناحه إذا أراد أن ينحطّ.

﴿فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾.

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾ الّذي يقدر على قهر أعدائه ونصر أوليائه، يكفك شرّ من يعصيك.

﴿الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ﴾ قال: «حين تقوم في النّبوّة»[١].

﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾ قال: «في أصلاب النّبيّين»[٢].

﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾.

﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ﴾.

﴿تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾: كذّاب شديد الإثم.

﴿يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ﴾ أي: الأفّاكون يلقون السّمع إلى الشّياطين، فيتلقّون منهم ظنوناً وأمارات، فيضمّون إليها على حسب تخيّلاتهم أشياء لا يطابق أكثرها. كذا قيل[٣].

و ورد: «إنّ الشّياطين تزور أئمّة الضّلال، فتأتيهم بالإفك والكذب، وبعددهم من الملائكة تزور أئمّة الهدى كلّ يوم وليلة»[٤] في لفظٍ هذا معناه.

﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾ قال: «هم قوم تعلّموا وتفقّهوا بغير علم، فضلّوا وأضلّوا»[٥]. وفي أُخرى: «هم القصّاص»[٦].

١ ـ القمّي ٢: ١٢٥، عن أبي جعفر عليه السلام.

٢ ـ المصدر، عن أبي جعفر عليه السلام؛ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ٢٠٧، عن الباقر والصّادق عليهما السلام.

٣ ـ البيضاوي ٤: ١١١.

٤ ـ الكافي ١: ٢٥٣، ذيل الحديث: ٩، عن أبي جعفر عليه السلام.

٥ ـ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ٢٠٨، عن أبي عبد الله عليه السلام.

٦ ـ الاعتقادات (في شرح باب الحادي عشر): ١٠٥، عن أبي عبد الله عليه السلام.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وادٍ يَهِيمُونَ﴾ القمّي: يعني يناظرون بالأباطيل، ويجادلون بالحجج المضلّة، وفي كلّ مذهب يذهبون، يعني بهم المغيّرين دين اللّه[1].

﴿وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ ما لا يَفْعَلُونَ﴾ القمّي: يعظون النّاس ولا يتّعظون، وينهون عن المنكر ولا ينتهون، ويأمرون بالمعروف ولا يعملون، وهم الّذين غصبوا آل محمّد حقّهم[2].

أقول: إنّما سمّوا بالشّعراء، لأنّ حجج المبطلين من أهل الجدل أكثرها خيالات شعريّة لا حقيقة لها، وتمويهات لا طائل تحتها؛ كأقاويل الشّعراء المادحين من لا يستحقّ، واللّئام الممزّقين أعراض الأنام، والمموّهين الكلام، فكلا الفريقين سيّان في "أنّهم في كلّ وادٍ يهيمون وأنّهم يقولون ما لا يفعلون" إلّا أنّ ذكر اتباعهم الغاوين، إنّما هو بالنّظر إلى مَنْ له رياسة في الإضلال مِنْ أهل المذاهب الباطلة، فإنكار أحد المعنيين في الحديث يرجع إلى إنكار الحصر فيه.

﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ وَذَكَرُوا اللّهَ كَثِيراً وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ ما ظُلِمُوا﴾.

سئل: ما هذا الذّكر الكثير؟ قال: «من سبّح تسبيح فاطمة الزّهراء، فقد ذكر اللّه كثيراً»[3].

وفي رواية: «من ذكر اللّه في السّرّ، فقد ذكر اللّه كثيراً»[4].

قيل: هو استثناء للشّعراء المؤمنين الصّالحين، الّذين يكثرون ذكر اللّه، ويكون أكثر أشعارهم في التّوحيد والثّناء على اللّه تعالى، والحثّ على طاعته، ولو قالوا هجواً، أرادوا به الانتصار ممّن هجاهم من الكفّار، ومكافاة هجاة المسلمين، كحسّان بن ثابت[5]

١ و ٢ ـ القمّي ٢: ١٢٥.

٣ ـ معاني الأخبار: ١٩٣، الحديث: ٥، عن أبي عبد اللّه عليه السلام، مع تفاوت يسير.

٤ ـ الكافي ٢: ١٠٥، الحديث: ٢، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

٥ ـ حسّان بن ثابت بن المنذر الخزرجيّ الأنصاري، أبوالوليد: الصّحابيّ، شاعر النّبيّ صلى الله عليه وآله. أدرك الجاهلية ←

وكعب بن مالك[1] وكعب بن زهير[2].[3] وهذا معنى: "وانتصروا من بعد ما ظلموا".

﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ في قراءتهم: «الّذين ظلموا آل محمّد حقّهم»[4].



→ والإسلام، عاش ستّين سنة في الجاهليّة، ومثلها في الاسلام. وكان من سكّان المدينة. لم يشهد مع النّبيّ مشهداً» لعلّة أصابته، وعمي قبيل وفاته، توفّى سنة ٥٤هـ. الأعلام (للزركلي) ٢: ١٧٥.

١ ـ كعب بن مالك بن عمرو بن القين، الأنصاري السّلمي الخزرجي: صحابيّ، من أكابر الشّعراء، من أهل المدينة، اشتهر في الجاهليّة، وكان في الاسلام من شعراء النّبيّ ﷺ، وشهد أكثر الوقائع. ثمّ كان من أصحاب عثمان، وأنجده يوم الثّورة وحرّض الأنصار على نصرته. ولمّا قتل عثمان قعد عن نصرة عليّ فلم يشهد حروبه. وعمي في آخر عمره وعاش سبعاً وسبعين سنة. توفّى في سنة: ٥٠هـ. الأعلام (للزركلي) ٥: ٢٢٨.

٢ ـ كعب بن زهير بن أبي سلمى المازني، أبوالمضرّب: شاعر عالي الطبقة، من أهل نجد. له ديوان شعر. كان ممّن اشتهر في الجاهليّة، ولمّا ظهر الإسلام هجا النّبيّ ﷺ وأقام يشبّب بنساء المسلمين، فهدر النّبيّ دمه، فجاءه «كعب» مستأنساً وقد أسلم، وأنشد لاميّته المشهورة، فعفا عنه النّبيّ ﷺ، وخلع عليه بردته. توفّى في سنة: ٢٦هـ. الأعلام (للزركلي) ٥: ٢٢٦.

٣ ـ البيضاوي ٤: ١١١.

٤ ـ جوامع الجامع: ٣٣٤، عن أبي عبد الله ﷺ؛ والقمّي ٢: ١٢٥.

سورة النّمل

[مكيّة، وهي ثلاث وتسعون آية][1]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿طس تِلْكَ آياتُ القُرْآنِ وَكِتابٍ مُبِينٍ﴾.

﴿هُدىً وَبُشْرىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكاةَ وَهُمْ بِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ زَيَّنّا لَهُمْ أَعْمالَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ﴾ عنها لا يدرون ما يتبعها.

﴿أُولٰئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ العَذابِ وَهُمْ فِي الآخِرَةِ هُمُ الأَخْسَرُونَ﴾.

﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى القُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾.

﴿إِذْ قالَ مُوسىٰ لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ ناراً سَآتِيكُمْ مِنْها بِخَبَرٍ﴾ أي: عن حال الطّريق، لأنّه قد ضلّه ﴿أَوْ آتِيكُمْ﴾ منها ﴿بِشِهابٍ قَبَسٍ﴾: شعلة نار مقبوسة، إن لم أظفر بهما لم أعدم أحدهما؛ بناءً على ظاهر الأمر، وثقةً بالله ﴿لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾: رجاء

[1] ـ مابين المعقوفتين من «ب».

أن تستدفئوا بها . قال: «إنّه أصابهم برد شديد وريح وظلمة ، وجنّهم اللّيل»[1] .

﴿ فَلَمّا جاءَها نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النّارِ ﴾: من في مكان النّار ، وهو الوادي المقدّس المذكور في طه[2] ، والبقعة المباركة المذكورة في القصص[3] . ﴿ وَمَنْ حَوْلَها ﴾: ومن حول مكانها ﴿ وَسُبْحانَ اللهِ رَبِّ العالَمِينَ ﴾ من تمام ما نودي به ، لئلّا يتوهّم من سماع كلامه تشبيهاً ، وللتّعجيب من عظمة ذلك الأمر .

﴿ يا مُوسىٰ إِنَّهُ أَنَا اللهُ العَزِيزُ الحَكِيمُ ﴾ .

﴿ وَأَلْقِ عَصاكَ فَلَمّا رَآها تَهْتَزُّ ﴾: تتحرّك باضطراب ﴿ كَأَنَّها جانٌّ ﴾: حيّة خفيفة سريعة ﴿ وَلّىٰ مُدْبِراً وَلَمْ يُعَقِّبْ ﴾: ولم يرجع ؛ من عقّب المقاتل: إذا كرّ بعد ما فرّ .

﴿ يا مُوسىٰ لا تَخَفْ ﴾ من غيري ؛ ثقة بي ﴿ إِنِّي لا يَخافُ لَدَيَّ المُرْسَلُونَ ﴾ .

﴿ إِلّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْناً بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ . قيل: فيه تعريض لموسى بوكزه القبطيّ[4] .

﴿ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آياتٍ ﴾ في جملتها أو معها ، وقد مضى ذكر تفصيلها[5] . ﴿ إِلىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كانُوا قَوْماً فاسِقِينَ ﴾ .

﴿ فَلَمّا جاءَتْهُمْ آياتُنا مُبْصِرَةً ﴾: بيّنة ، كأنّها لاجتلائها للأبصار بحيث تكاد تبصر نفسها لو كانت ممّا تبصر . وفي قراءة السّجّاد عليه السلام : «مَبصَرة»[6] بفتح الميم ، أي: مكاناً يكثر فيه التّبصّر . ﴿ قالُوا هٰذا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴾ .

﴿ وَجَحَدُوا بِها وَاسْتَيْقَنَتْها أَنْفُسُهُمْ ظُلْماً ﴾ لأنفسهم ﴿ وَعُلُوّاً ﴾: ترفّعاً من الإيمان والانقياد ﴿ فَانْظُرْ كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ المُفْسِدِينَ ﴾ هو الغرق في الدّنيا والحرق في

١ ـ القمّي ٢: ١٣٩ ، عن أبي عبد الله عليه السلام .

٢ ـ طه (٢٠): ١٢ .

٣ ـ قصص (٢٨): ٣٠ .

٤ ـ البيضاوي ٤: ١١٢ ؛ الكشّاف ٣: ١٣٨ .

٥ ـ ذيل الآية: ١٠١ من سورة الإسراء .

٦ ـ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ٢١٢ ، عن السّجّاد عليه السلام .

الآخرة.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنا داوُودَ وَسُلَيْمانَ عِلْماً وَقالاَ الْحَمْدُ لِلّهِ﴾: ففعلا شكراً له ما فعلا، وقالا: الحمد لله ﴿الَّذِي فَضَّلَنا عَلى كَثِيرٍ مِنْ عِبادِهِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ يعمّ من لم يؤت علماً، أو مثل علمهما.

﴿وَوَرِثَ سُلَيْمانُ داوُودَ﴾ المُلك والنبوّة. قال: «وهو صبيّ يرعى الغنم»[١]. ﴿وَقالَ يا أَيُّهَا النّاسُ عُلِّمْنا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ تشهيراً[٢] لنعمة الله وتنويهاً[٣] بها، ودعاءً للنّاس إلى التّصديق بذكر المعجزة. قال: «ليس في الآية "مِنْ" وإنّما هي: وأُوتينا كلّ شيء»[٤]. ﴿إِنَّ هذا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾. قال: «يعني الملك والنّبوّة»[٥].

ورد: «أُعطي سليمان بن داود مع علمه، معرفةَ المنطق بكلّ لسان، ومعرفة اللّغات ومنطق الطّير والبهائم والسّباع، وكان إذا شاهد الحروب تكلّم بالفارسيّة. وإذا قعد لعمّاله وجنوده وأهل مملكته تكلّم بالرّوميّة، وإذا خلا بنسائه تكلّم بالسّريانيّة والنّبطيّة، وإذا قام في محرابه لمناجاة ربّه تكلّم بالعربيّة، وإذا جلس للوفود والخصماء تكلّم بالعبرانيّة»[٦].

قال: «وأُعطي مُلك مشارق الأرض ومغاربها، فمَلَكَ سبعمائة سنة وستّة أشهر، ملك أهل الدّنيا كلّهم؛ من الجنّ والإنس والشّياطين، والدّوابّ والطّير والسّباع، وأُعطي علم كلّ شيء ومنطق كلّ شيء، وفي زمانه صنعت الصّنائع العجيبة الّتي سمع بها النّاس؛ وذلك قوله: "علّمنا منطق الطّير"، الآية»[٧].

١ ـ الكافي ١: ٣٨٣، الحديث: ٣، عن الجواد عليه السلام.
٢ ـ في «ألف»: «تشديراً».
٣ ـ نوّه به تنويهاً: رفع ذكره وعظّمه. المصباح المنير ٢: ٣٤٤ (نوه).
٤ ـ بصائر الدّرجات: ٣٤٢، الحديث: ٣، باب أنّ الأئمّة يعرفون منطق الطير، عن أبي عبد الله عليه السلام.
٥ ـ جوامع الجامع: ٣٣٥، عن أبي عبد الله عليه السلام.
٦ ـ القمّي ٢: ١٢٩، عن أبي عبد الله عليه السلام.
٧ ـ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ٢١٤، عن أبي عبد الله عليه السلام.

وفي رواية: «أُعطي داود وسليمان ما لم يُعطَ أحدٌ من أنبياء اللّه من الآيات عُلِّمنا منطق الطَّير ولانَ لهما الحديد والصُّفْر من غير نار»[١] الحديث. ويأتي تمامه في ص[٢] إن شاء اللّه.

﴿وَحُشِرَ﴾: وجمع ﴿لِسُلَيْمانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾: يحبسون ليتلاحقوا. قال: «يحبس أوّلهم على آخرهم»[٣].

﴿حَتّىٰ إِذا أَتَوْا عَلىٰ وادِي النَّمْلِ﴾ القمّي: قعد على كرسيّه، وحملته الرّيح فمرّت به على وادي النّمل، وهو واد ينبت فيه الذّهب والفضّة، وقد وكّل به النّمل، وهو قول الصّادق عليه السلام: «إنّ للّه وادياً ينبت فيه الذّهب والفضّة، وقد حماه اللّه بأضعف خلقه وهو النّمل، لو رامته البَخاتيّ[٤] ما قدرت عليه»[٥].

﴿قالَتْ نَمْلَةٌ يا أَيُّها النَّمْلُ ادْخُلُوا مَساكِنَكُمْ لايَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ﴾ أنّهم يحطمونكم.

﴿فَتَبَسَّمَ ضاحِكاً مِنْ قَوْلِها﴾. ورد: «إنّ الرّيح حملت صوت النّملة إلى سليمان عليه السّلام وهو مارّ في الهواء، والرّيح قد حملته، فوقف وقال: عليّ بالنّملة، فلمّا أُتي بها قال سليمان: يا أيّتها النّملة أما علمت[٦] أنّي نبيّ اللّه، وأنّي لا أظلم أحداً؟ قالت النّملة: بلى. قال سليمان: فلِمَ تحذّرينهم[٧] ظلمي، وقُلْتِ: "يا أيّها النّمل ادخلوا مساكنكم"؟! قالت النّملة: خشيتُ أن ينظروا إلى زينتك فيفتتنوا بها، فيبعدوا عن اللّه عزّوجلّ، ثمّ قالت النّملة:

١ـ القمّي ٢: ١٢٦.

٢ـ لم نعثر عليه في سورة ص، ولكن يوجد في سورة سبأ، ذيل الآية: ١٠.

٣ـ القمّي ٢: ١٢٩، عن أبي جعفر عليه السلام.

٤ـ البَخاتيّ جمع البُخْت ـ بالضمّ ـ الإبل الخراسانيّة. القاموس المحيط ١: ١٤٨ (بخت).

٥ـ القمّي ٢: ١٢٦.

٦ـ في «ألف»: «ما علمت».

٧ـ في المصدر: «حذّرتهم».

هل تدري لِمَ سُخِّرَتْ لك الرّيح من بين سائر المملكة؟ قال سليمان: مالي بهذا علم، قالت النّملة: يعني عزّوجلّ بذلك: لو سخّرت لك جميع المملكة كما سخّرت لك هذه الرّيح؛ لكان زوالها من بين يديك كزوال الرّيح. فحينئذ تبسّم ضاحكاً من قولها»[١].

﴿وَقالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلى والِدَيَّ﴾: اجعلني أزع شكر نعمتك عندي، أي: أكفّه وارتبطه، بحيث لا ينفلت عنّي ولا أنفكّ عنه، وأدرج ذكر والديه تكثيراً للنّعمة. ﴿وَأَنْ أَعْمَلَ صالِحاً تَرْضاهُ﴾ تماماً للشّكر واستدامة[٢] للنّعمة ﴿وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبادِكَ الصّالِحِينَ﴾ في عدادهم في الجنّة.

﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ﴾: وتعرّف الطّير فلم يجد فيها الهدهد ﴿فَقالَ ما لِيَ لا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كانَ مِنَ الْغائِبِينَ﴾.

﴿لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذاباً شَدِيداً﴾: كنتف ريشه، أو جعله مع ضدّه في قفص ﴿أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ﴾ ليعتبر به أبناء جنسه ﴿أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطانٍ مُبِينٍ﴾: بحجّة تبيّن عذره.

القمّي: وكان سليمان إذا قعد على كرسيّه جاءت جميع الطّير الّتي سخّرها اللّه عزّوجلّ له، فتظلّ الكرسيّ والبساط بجميع من عليه عن الشّمس، فغاب عنه الهدهد من بين الطّير، فوقع الشّمس من موضعه في حجر سليمان، فرفع رأسه وقال كما حكى اللّه عزّوجلّ[٣].

ورد: «وإنّما غضب عليه لأنّه كان يدلّه على الماء»[٤].

﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾: زماناً غير مديد؛ يريد به الدّلالة على سرعة رجوعه ﴿فَقالَ أَحَطْتُ بِما لَمْ تُحِطْ بِهِ﴾ يعني حال سبأ. وفي مخاطبته إيّاه بذلك تنبيه على أنّه في أدنى خلق اللّه من أحاط علماً بما لم يحط به، لتتحاقر إليه نفسه، ويتصاغر لديه علمه ﴿وَجِئْتُكَ

١ ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ٢: ٧٨، الباب: ٣٢، الحديث: ٨.

٢ ـ في «ألف»: «استدانه».

٣ ـ القمّي ٢: ١٢٧.

٤ ـ الكافي ١: ٢٢٦، الحديث: ٧، عن الكاظم عليه السلام.

مِنْ سَبَأٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ ﴾.

﴿ إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ ﴾ القمّي: هي بلقيس بنت شرح الحميريّة[١]، وقيل: بنت شراحيل بن مالك بن ريّان[٢]. ﴿ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ يحتاج إليه الملوك ﴿ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴾.

﴿ وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ ﴾: سبيل الحقّ والصّواب ﴿ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴾.

﴿ أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ ﴾: فصدّهم ألّا يسجدوا، أو زيّن لهم ألّا يسجدوا، أو لا يهتدون أن يسجدوا؛ بزيادة لا، كقوله تعالى: "مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ"[٣]. وعلى قراءة التّخفيف[٤]، للتّنبية، ويا للنّداء مناداه محذوف، أي: ألا يا قوم اسجدوا ﴿ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴾. الخبء: ما خفي في غيره، وإخراجه إظهاره، وهو يعمّ إشراق الكواكب، وإنزال الأمطار، وإنبات النّبات، بل الإنشاء والإبداع.

﴿ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾ المشتمل على المخلوقات كلّها.

﴿ قَالَ سَنَنْظُرُ ﴾: سنتعرّف؛ من النّظر بمعنى التّأمّل ﴿ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾.

﴿ اذْهَبْ بِكِتَابِي هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ ﴾: تنحّ إلى مكان قريب تتوارى فيه ﴿ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴾: ماذا يرجع بعضهم إلى بعض من القول.

القمّي: قال الهدهد: إنّها لفي حصن منيع. قال سليمان: ألق كتابي على قبّتها فجاء الهدهد فألقى الكتاب في حجرها، فارتاعت من ذلك، وجمعت جنودها، وقالت لهم كما

---

١ ـ القمّي ٢: ١٢٧.

٢ ـ البيضاوي ٤: ١١٥؛ الكشّاف ٣: ١٤٤.

٣ ـ الأعراف (٧): ١٢.

٤ ـ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ٢١٦.

حكى الله[1].

﴿قالَتْ﴾ أي: بعد ما ألقى إليها ﴿يا أَيُّها المَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتابٌ كَرِيمٌ﴾ القمّي: أي: مختوم[2]. ورد: «كرم الكتاب ختمه»[3].

﴿إِنَّهُ﴾: إنّ الكتاب ﴿مِنْ سُلَيْمانَ وَإِنَّهُ﴾: وإنّ المكتوب ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ﴾.

﴿أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾: مؤمنين منقادين.

قيل: هذا كلام في غاية الوجازة مع كمال الدّلالة على المقصود، لاشتماله على البسملة الدّالة على ذات الصّانع وصفاته، والنّهي عن الترفّع الّذي هو أُمّ الرّذائل، والأمر بالإسلام الجامع لأُمّهات الفضائل، وليس الأمر فيه بالانقياد قبل إقامة الحجّة على رسالته، حتّى يكون استدعاء للتّقليد، فإنّ إلقاء الكتاب على تلك الحالة من أعظم الأدلّة[4].

﴿قالَتْ يا أَيُّهَا المَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي﴾: اذكروا ما تستصوبونه فيه ﴿ما كُنْتُ قاطِعَةً أَمْراً حَتَّى تَشْهَدُونِ﴾: إلّا بمحضركم، كأنّها استعطفتهم بذلك، ليمالئوها على الإجابة ﴿قالُوا نَحْنُ أُولُوا قُوَّةٍ﴾ بالأجساد والعدد. ورد: «ما يكون أُولو قوّة إلّا عشرة آلاف»[5].

﴿وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾: نَجدة وشجاعة ﴿وَالأَمْرُ إِلَيْكِ﴾ موكول ﴿فَانْظُرِي ماذا تَأْمُرِينَ﴾ من المقاتلة والصّلح نطعك ونتّبع رأيك.

﴿قالَتْ إِنَّ المُلُوكَ إِذا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوها﴾ بنهب الأموال وتخريب الدّيار ﴿وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِها أَذِلَّةً﴾ بالإهانة والأسر ﴿وَكَذلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ القمّي: فقال الله تعالى:

١ و ٢ ـ القمّي ٢: ١٢٧.

٣ ـ جوامع الجامع: ٣٣٧؛ الكشّاف ٣: ١٤٦، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله.

٤ ـ البيضاوي ٤: ١١٦.

٥ ـ كمال الدّين ٢: ٦٥٤، الباب: ٥٧، الحديث: ٢٠، عن أبي عبد الله عليه السلام، وفيه: «ما تكن أُولوا القوّة أقلّ من عشرة آلاف».

"وكذلك يفعلون"[١].

﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ﴾ قال: «منتظرة»[٢]. ﴿بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾ من حاله، حتّى أعمل بحسب ذلك.

القمّي: قالت: إن كان هذا نبيّاً من عند اللّه كما يدّعي، فلا طاقة لنا به، فإنّ اللّه عزّ وجلّ لا يُغْلَبُ، ولكن سأبعث إليه بهديّة، فإن كان مَلِكاً يميل إلى الدّنيا قَبِلَها، وعلمت[٣] أنّه لا يقدر علينا، فبعثت حُقَّة[٤] فيها جوهرة عظيمة، وقالت للرّسول: قل له يثقب هذه الجوهرة بلا حديد ولا نار، فأتاه الرّسول بذلك، فأمر سليمان بعض جنوده من الدّيدان، فأخذ خيطاً في فمه ثمّ ثقبها وأخذ الخيط من الجانب الآخر[٥].

﴿فَلَمَّا جاءَ سُلَيْمانَ﴾ أي: الرّسول وما أهدت إليه ﴿قالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمالٍ فَما آتانِيَ اللّهُ﴾ من المُلْكِ والنبوّة، الّذي لا مزيد عليه ﴿خَيْرٌ مِمّا آتاكُمْ﴾ فلا حاجة لي إلى هديّتكم، ولا وقع لها عندي ﴿بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾ لأنّكم لا تعلمون إلّا ظاهراً من الحياة الدّنيا.

﴿إِرْجِعْ﴾ أيّها الرّسول ﴿إِلَيْهِمْ﴾: إلى بلقيس وقومها ﴿فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لا قِبَلَ لَهُمْ بِها﴾: لا طاقة لهم بمقاومتها، ولا قدرة لهم على مقاتلتها ﴿وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْها﴾: من سبأ ﴿أَذِلَّةً وَهُمْ صاغِرُونَ﴾. القمّي: فرجع اليها الرّسول، فأخبرها بذلك وبقوّة سليمان، فعَلِمَتْ أنّه لا محيص لها، فخرجت وارتحلَتْ نحوَ سليمان[٦].

١ـ القمّي ٢: ١٢٨.

٢ـ الاحتجاج ١: ٣٦٢.

٣ـ في المصدر: «وعلمنا».

٤ـ الحُقَّة: وعاءٌ صغير من خشب أو عاج أو غير ذلك ممّا يصلح أن يُنْحت منه. القاموس المحيط ٣: ٢٢٩؛ لسان العرب ١٠: ٥٦ (حقق).

٥ـ القمّي ٢: ١٢٨.

٦ـ القمّي ٢: ١٢٨.

﴿قالَ يا أَيُّهَا المَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِها قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾. القمّي: لمّا علم سليمان بإقبالها نحوه قال ذلك[1]. قيل: أراد بذلك أن يريها بعض ما خصّه اللّه به من العجائب الدّالّة على عظيم القدرة، وصدقه في دعوى النّبوّة، ويختبر عقلها بعرفان عرشها بعد التّنكير[2].

﴿قالَ عِفْرِيتٌ﴾: خبيث مارد ﴿مِنَ الجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقامِكَ﴾: مجلسك للحكومة. قيل: وكان يجلس إلى نصف النّهار[3]. ﴿وَإِنِّي عَلَيْهِ﴾: على حمله ﴿لَقَوِيٌّ أَمِينٌ﴾: لا أختزل منه شيئاً ولا أبدّله. القمّي: قال سليمان: أُريد أسرع من ذلك[4].

﴿قالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الكِتابِ﴾: آصف بن برخيا[5]. ﴿أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾.

قال: «إنّ اسم اللّه الأعظم على ثلاثة وسبعين حرفاً، وإنّما كان عند آصف منها حرف واحد، فتكلّم به، فخسف بالأرض ما بينه وبين سرير بلقيس حتّى تناول السّرير بيده، ثمّ عادت الأرض كما كانت أسرع من طرفة عين؛ وعندنا نحن من الإسم الأعظم اثنان وسبعون حرفاً، وحرف عند اللّه استأثر به في علم الغيب عنده، ولا حول ولا قوّة إلّا باللّه العليّ العظيم»[6]. وفي رواية: «إنّ الأرض طويت له»[7].

ورد: «ولم يعجز سليمان عن معرفة ما عرف آصف، لكنّه أحبّ أن يعرّف الجنّ

١ ـ القمّي ٢: ١٢٨.

٢ ـ ٣ ـ البيضاوي ٤: ١١٧.

٤ ـ القمّي ٢: ١٢٨.

٥ ـ آصف بن برخيا: كان وزير سليمان وابن أُخته، وكان صدّيقاً يعرف اسم اللّه الأعظم الّذي إذا دعي به أجاب. عن ابن عبّاس. مجمع البيان ٧ ـ ٨: ٢٢٣.

٦ ـ بصائر الدّرجات: ٢٠٨، الباب: ١٣، الحديث: ١، عن أبي جعفر عليه السلام؛ وفي الكافي ٢: ٢٣٠، الحديث: ١، عنه عليه السلام، مع تفاوت.

٧ ـ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ٢٢٣، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

والإنس أنّه الحجّة من بعده»[١].

﴿فَلَمّا رَآهُ مُسْتَقِرّاً عِنْدَهُ قالَ هٰذا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّما يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ﴾ لأنّه يستجلب به دوام النّعمة ومزيدها ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ﴾ عن شكره ﴿كَرِيمٌ﴾ بالإنعام عليه ثانياً.

﴿قالَ نَكِّرُوا لَها عَرْشَها﴾ بتغيير هيئته وشكله ﴿نَنْظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لا يَهْتَدُونَ﴾ إلى معرفته.

﴿فَلَمّا جاءَتْ قِيلَ أَهٰكَذا عَرْشُكِ قالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ﴾ ولم تقل: هو هو، لاحتمال أن يكون مثله، وذلك من كمال عقلها ﴿وَأُوتِينا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِها وَكُنّا مُسْلِمِينَ﴾. قيل: هو من تمام كلامها، كأنّها ظنّت أنّه أراد بذلك اختبار عقلها، وإظهار معجزة لها، فقالت: أُوتينا العلم بكمال قدرة اللّه وصحّة نبوّتك، قبل هذه الحالة[٢].

﴿وَصَدَّها ما كانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللّٰهِ﴾ أي: وصدّها عبادتها الشّمس عن التّقدّم إلى الإسلام ﴿إِنَّها كانَتْ مِنْ قَوْمٍ كافِرِينَ﴾: نشأت بين أظهر الكفّار.

﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ﴾: القصر أو عرصة الدّار ﴿فَلَمّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ ساقَيْها قالَ إِنَّهُ﴾: إنّ ما تظنّينه ماء ﴿صَرْحٌ مُمَرَّدٌ﴾: مملّس ﴿مِنْ قَوارِيرَ﴾: من الزّجاج ﴿قالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾ بعبادتي الشّمس ﴿وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمانَ لِلّٰهِ رَبِّ الْعالَمِينَ﴾.

روي: «إنّه أمر قبل قدومها فبني قصر صحنه من زجاج أبيض، وأجرى من تحته الماء، وألقى فيه من حيوانات البحر، ووضع سريره في صدره فجلس عليه، فلمّا أبصرته ظنّت ماءً راكداً، فكشفت عن ساقيها»[٣].

١ـ تحف العقول: ٤٧٨؛ مجمع البيان ٧ـ٨: ٢٢٥، عن الهادي عليه السلام، في أجوبته عن مسائل يحيى بن أكثم.
٢ـ البيضاوي ٤: ١١٧.
٣ـ الكشّاف ٣: ١٥٠؛ البيضاوي ٤: ١١٨.

والقمّي: قد أمر أن يتّخذ لها بيتاً من قوارير، ووضعه على الماء، ثمّ "قيل لها: ادخلي الصّرح"، فظنّت أنّه ماء، فرفعت ثوبها وأبدت ساقيها، فإذا عليها شعر كثير، فتزوّجها سليمان، وقال للشّياطين: اتّخذوا لها شيئاً يذهب هذا الشّعر عنها، فعملوا الحمّامات وطبخوا النّورة[1].

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنا إِلىٰ ثَمُودَ أَخاهُمْ صالِحاً أَنِ اعْبُدُوا اللّٰهَ فَإِذا هُمْ فَرِيقانِ يَخْتَصِمُونَ﴾. قال: «يقول: مصدّق ومكذّب، قال الكافرون منهم: أتشهدون أنّ صالحاً مرسل من ربّه؟ قال المؤمنون: إنّا بالّذي أُرسل به مؤمنون[2]، قال الكافرون منهم: "إنّا بالّذي آمَنْتُمْ بِهِ كافِرون"[3]»[4].

﴿قالَ يا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ﴾ القمّي: إنّهم سألوه قبل أن يأتيهم النّاقة أن يأتيهم بعذاب أليم، فأرادوا بذلك امتحانه! فقال: "يا قوم لم تستعجلون بالسّيّئة قبل الحسنة" يقول: بالعذاب قبل الرّحمة[5] وقيل: كانوا يقولون: إن صدق إيعاده تُبنا، فالحسنة التّوبة[6]. ﴿لَوْلا تَسْتَغْفِرُونَ اللّٰهَ﴾ قبل نزوله ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ بقبولها، فإنّها لا تقبل حينئذ.

﴿قالُوا اطَّيَّرْنا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ﴾: تشأمنا إذ تتابعت علينا الشّدائد، وأوقع بيننا الافتراق منذ اخترعتم دينكم. القمّي: أصابهم جوع شديد[7]. ﴿قالَ طائِرُكُمْ عِنْدَ اللّٰهِ﴾

١ـالقمّي ٢: ١٢٨.

٢ـاقتباس من القرآن، ونصّ الآية هكذا: ﴿قالوا إنّا بما أُرسِلَ بهِ مُؤمنون﴾ الأعراف (٧): ٧٥.

٣ـالأعراف (٧): ٧٦.

٤ـالقمّي ٢: ١٣٢، عن أبي جعفر عليه السلام.

٥ـالمصدر.

٦ـالبيضاوي ٤: ١١٨.

٧ـالقمّي ٢: ١٣٢.

القمّي: يقول: خيركم وشرّكم من عند اللّه[1] ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ﴾: تختبرون بتعاقب السّرّاء والضّرّاء.

﴿وَكانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ﴾: نفر ﴿يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلا يُصْلِحُونَ﴾: شأنهم الإفساد الخالص عن شوب الصّلاح. القمّي: كانوا يعملون في الأرض بالمعاصي[2].

﴿قالُوا﴾: قال بعضهم لبعض ﴿تَقاسَمُوا بِاللّٰهِ﴾: تحالفوا ﴿لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ﴾: لنباغتن[3] صالحاً وأهله ليلاً ﴿ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ﴾: لوليّ دمه ﴿ما شَهِدْنا مَهْلِكَ أَهْلِهِ﴾ فضلاً أن تولّينا إهلاكهم ﴿وَإِنّا لَصادِقُونَ﴾: ونحلف إنّا لصادقون، أو يعنون نُوَرّي. كذا قيل[4].

﴿وَمَكَرُوا مَكْراً﴾ بهذه المواضعة ﴿وَمَكَرْنا مَكْراً﴾ بأن جعلناها سبباً لإهلاكهم ﴿وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ﴾.

القمّي: فأتوا صالحاً ليلاً ليقتلوه، وعند صالح ملائكة يحرسونه، فلمّا أتوه قاتلتهم الملائكة في دار صالح رجماً بالحجارة، فأصبحوا في داره مقتّلين[5]، وأخذت قومه الرّجفة "فأصبحوا في دارهم جاثمين"[6].

﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنّا دَمَّرْناهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾.

﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خاوِيَةً﴾: خالية أو ساقطة منهدمة ﴿بِما ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾.

﴿وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكانُوا يَتَّقُونَ﴾.

﴿وَلُوطاً إِذْ قالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ خبثها، أو يبصرها بعضكم

١ و ٢ ـ القمّي ٢: ١٣٢.

٣ ـ من البغتة وهو الفجأة. جاء بغتة، أي: فجأة على غرّة. المصباح المنير ١: ٧١ (بغت).

٤ ـ البيضاوي ٤: ١١٨.

٥ ـ في «ألف»: «مقتولين».

٦ ـ القمّي ٢: ١٣٢. والآية في سورة الأعراف (٧): ٧٨.

من بعض، وكانوا يعلنون.

﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّساءِ﴾ اللاّتي خُلِقنَ لذلك ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾: سفهاء.

﴿فَما كانَ جَوابَ قَوْمِهِ إِلّا أَنْ قالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُناسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾: يتنزّهون عن أفعالنا.

﴿فَأَنْجَيْناهُ وَأَهْلَهُ إِلّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْناها مِنَ الغابِرِينَ﴾: الباقين في العذاب. ﴿وَأَمْطَرْنا عَلَيْهِمْ مَطَراً فَساءَ مَطَرُ المُنْذَرِينَ﴾.

﴿قُلِ الحَمْدُ لِلّٰهِ وَسَلامٌ عَلىٰ عِبادِهِ الَّذِينَ اصْطَفىٰ﴾ قال: «هم آل محمّد عليهم السّلام»[1]. ﴿آللّٰهُ خَيْرٌ أَمّا يُشْرِكُونَ﴾. إلزام لهم وتهكّم بهم وتسفيه لرأيهم.

﴿أَمَّنْ﴾: بل أمّن ﴿خَلَقَ السَّمٰواتِ وَالأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَنْبَتْنا بِهِ حَدائِقَ ذاتَ بَهْجَةٍ﴾. عدل به عن الغيبة إلى التكلّم، لتأكيد اختصاص الفعل بذاته.

﴿ماكانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَها﴾: شجر الحدائق ﴿أَإِلٰهٌ مَعَ اللّٰهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾ عن الحقّ، وهو التّوحيد.

﴿أَمَّنْ جَعَلَ الأَرْضَ قَراراً وَجَعَلَ خِلالَها أَنْهاراً وَجَعَلَ لَها رَواسِيَ﴾: جبالاً ﴿وَجَعَلَ بَيْنَ البَحْرَيْنِ﴾: العذب والمالح ﴿حاجِزاً﴾: برزخاً، وقد مرّ بيانه في سورة الفرقان[2]. ﴿أَإِلٰهٌ مَعَ اللّٰهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾.

﴿أَمَّنْ يُجِيبُ المُضْطَرَّ إِذا دَعاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفاءَ الأَرْضِ﴾: خلفاء فيها، بأن ورثكم سكناها والتّصرّف فيها ممّن كان قبلكم. كذا قيل[3]. ﴿أَإِلٰهٌ مَعَ اللّٰهِ﴾ الّذي حفّكم بهذه النّعم ﴿قَلِيلاً ما تَذَكَّرُونَ﴾.

١ ـ جوامع الجامع: ٣٣٩، عنهم عليهم السلام؛ القمّي ٢: ١٢٩.

٢ ـ ذيل الآيات: ٥٣ ـ ٥٤.

٣ ـ البيضاوي ٤: ١١٩؛ الكشّاف ٣: ١٥٥.

﴿أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُماتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ بالنّجوم وغيرها ﴿وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّياحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾ يعني المطر ﴿أَإِلٰهٌ مَعَ اللّٰهِ﴾ يقدر على شيء من ذلك ﴿تَعالَى اللّٰهُ عَمّا يُشْرِكُونَ﴾ .

﴿أَمَّنْ يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّماءِ وَالْأَرْضِ﴾ بأسباب سماويّة وأرضيّة ﴿أَإِلٰهٌ مَعَ اللّٰهِ﴾ يفعل ذلك ﴿قُلْ هاتُوا بُرْهانَكُمْ﴾ على شيء من ذلك ﴿إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ﴾ في إشراككم .

﴿قُلْ لا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمٰواتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللّٰهُ وَما يَشْعُرُونَ أَيّانَ يُبْعَثُونَ﴾ .

﴿بَلِ ادّارَكَ﴾: تتابع حتّى استحكم ﴿عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ﴾ القمّي: يقول: علموا بعد ما كانوا جهلوا في الدّنيا[1] . ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْها﴾: في حيرة ﴿بَلْ هُمْ مِنْها عَمُونَ﴾ لاختلال بصيرتهم . قيل: الاضرابات الثّلاث تنزيل لأحوالهم[2] .

﴿وَقالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَإِذا كُنّا تُراباً وَآباؤُنا أَإِنّا لَمُخْرَجُونَ﴾ من الأجداث ، أو من الفناء إلى الحياة .

﴿لَقَدْ وُعِدْنا هٰذا نَحْنُ وَآباؤُنا مِنْ قَبْلُ﴾: قبل هذا ﴿إِنْ هٰذا إِلّا أَساطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾: أكاذيبهم الّتي هي كالأسمار[3] .

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾ تهديد وتخويف .

﴿وَلا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِمّا يَمْكُرُونَ﴾ فإنّ اللّه يعصمك منهم .

﴿وَيَقُولُونَ مَتىٰ هٰذَا الْوَعْدُ﴾: العذاب الموعود ﴿إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ﴾ .

١ ـ القمّي ٢: ١٣٢ .

٢ ـ الكشّاف ٣: ١٥٧ ؛ البيضاوي ٤: ١٢٠ .

٣ ـ الأسمار جمع السَّمَر: الحديث في اللّيل . القاموس المحيط ٢: ٥٣ (سمر) .

﴿قُلْ عَسىٰ أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ﴾: تبعكم ولحقكم ﴿بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ﴾ قيل: هو عذاب يوم بدر[١].

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النّاسِ﴾ بتأخيره عقبوتهم لعلّهم يرجعون ﴿وَلٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَشْكُرُونَ﴾.

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ ما تُكِنُّ صُدُورُهُمْ﴾: ما تخفيه ﴿وَما يُعْلِنُونَ﴾.

﴿وَما مِنْ غائِبَةٍ﴾: خافية ﴿فِي السَّماءِ وَالأَرْضِ إِلّا فِي كِتابٍ مُبِينٍ﴾: «في أُمّ الكتاب». كذا ورد[٢].

﴿إِنَّ هٰذَا القُرْآنَ يَقُصُّ عَلىٰ بَنِي إِسْرائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ كالتّشبيه والتّنزيه، وأحوال الجنّة والنّار، وعزير والمسيح.

﴿وَإِنَّهُ لَهُدىً وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ بِحُكْمِهِ وَهُوَ العَزِيزُ العَلِيمُ﴾.

﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللّٰهِ﴾ ولا تبال بمعاداتهم ﴿إِنَّكَ عَلَى الحَقِّ المُبِينِ﴾ وصاحب الحقّ حقيق بالوثوق بحفظ اللّه ونصرته.

﴿إِنَّكَ لا تُسْمِعُ المَوْتىٰ وَلا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعاءَ إِذا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾.

﴿وَما أَنْتَ بِهادِي العُمْيِ عَنْ ضَلالَتِهِمْ﴾ شبّهوا بالموتى والصّمّ والعمي، لعدم انتفاعهم بما يتلى عليهم ﴿إِنْ تُسْمِعُ إِلّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآياتِنا﴾: من هو في علم اللّه كذلك ﴿فَهُمْ مُسْلِمُونَ﴾: مخلصون.

﴿وَإِذا وَقَعَ القَوْلُ عَلَيْهِمْ﴾ «وهو ما وعدوا به من الرجعة عند قيام المهديّ» كذا ورد[٣]. ﴿أَخْرَجْنا لَهُمْ دابَّةً مِنَ الأَرْضِ﴾ «وهو أمير المؤمنين صلوات اللّه عليه حين يكرّ».

١ ـ الكشّاف ٣: ١٥٨؛ البيضاوي ٤: ١٢١.

٢ ـ الكافي ١: ٢٢٦، ذيل الحديث: ٧، عن الكاظم عليه السلام.

٣ ـ تأويل الآيات الظّاهرة: ٤٠٠، عن أميرالمؤمنين عليه السلام؛ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ٢٣٤؛ جوامع الجامع: ٣٤١، ورد←

كذا ورد في أخبار[١] كثيرة[٢] ﴿تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كانُوا بِآياتِنا لا يُوقِنُونَ﴾. قال: «كلم الله من قرأ تكلمهم يعني بالتخفيف. قال: ولكن تكلّمهم بالتّشديد»[٣].

قال: «والله ما لها ذَنَب وإنّ لها لَلِحْيَةً»[٤].

وقال: «معها خاتم سليمان وعصا موسى، يضع الخاتم على وجه كلّ مؤمن فينطبع فيه: هذا مؤمن حقّاً، ويضعه على وجه كلّ كافر فيكتب: هذا كافر حقّاً. قال: وذلك بعد طلوع الشّمس من مغربها، فعند ذلك ترفع التّوبة، فلا تقبل توبة ولا عمل يرفع "ولا يَنْفَعُ نَفْساً إيمانُها لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ في إيمانِها خَيْراً"[٥]»[٦].

﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجاً﴾ قال: «يعني يوم الرّجعة»[٧]. ﴿مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآياتِنا﴾. قال: «الآيات أمير المؤمنين والأئمة عليهم السلام»[٨]. ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾: يحبس أوّلهم على آخرهم ليتلاحقوا.

﴿حَتّىٰ إِذا جاؤُوا﴾ إلى المحشر ﴿قالَ أَكَذَّبْتُمْ بِآياتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِها عِلْماً أَمّاذا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾. تبكيت لهم، إذ لم يفعلوا غير التّكذيب.

﴿وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ﴾: حلّ بهم العذاب الموعود ﴿بِما ظَلَمُوا﴾: بسبب ظلمهم، وهو التّكذيب بآيات الله ﴿فَهُمْ لا يَنْطِقُونَ﴾ باعتذار؛ لشغلهم بالعذاب.

← من آل محمّد عليهم السلام.

١ ـ الكافي ١: ١٩٨، الحديث: ٣؛ القمّي ٢: ١٣٠؛ مختصر بصائر الدّرجات: ٤٢ ـ ٤٣ و ٢٠٩؛ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ٢٣٤.

٢ ـ في «ب» زيادة: «غير معتبرة».

٣ ـ جوامع الجامع: ٣٤١، عن أبي جعفر عليه السلام.

٤ ـ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ٢٣٤، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

٥ ـ الأنعام (٦): ١٥٨.

٦ ـ كمال الدّين ٢: ٥٢٧، الباب: ٤٧، ذيل الحديث الطّويل: ١، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

٧ ـ القمّي ٢: ٣٦ و ١٣٠؛ مختصر بصائر الدّرجات: ٤٣، عن أبي عبد الله عليه السلام بالمضمون.

٨ ـ القمّي ٢: ١٣٠؛ مختصر بصائر الدّرجات: ٤٣، عن أبي عبد الله عليه السلام.

قال: «والدّليل على أنّ هذا في الرّجعة، قوله: "وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوجاً" فقيل: إنّ العامّة تزعم: أنّه يوم القيامة، فقال: فيحشر اللّه عزّوجلّ يوم القيامة من كلّ أُمّة فوجاً، ويدع الباقين؟! لا، ولكنّه في الرّجعة. وأمّا آية القيامة فهي "وَحَشَرْناهُمْ فَلَمْ نُغادِرْ مِنْهُمْ أَحَداً"[١]»[٢].

و ورد: «ليس أحد من المؤمنين قتل إلّا ويرجع حتّى يموت، ولا يرجع إلّا مَنْ محض الإيمان محضاً، ومَنْ محض الكفر محضاً»[٣]. وفي رواية: «فلا يدعون وتراً لآل محمّد إلّا قتلوه»[٤].

﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ﴾ بالنّوم والقرار ﴿وَالنَّهارَ مُبْصِراً﴾ أصله ليبصروا فيه، فبولغ فيه بجعل الإبصار حالاً من أحواله المجبول عليها ﴿إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾ روي: «أنّه قرن من نور التقمه إسرافيل»[٥]. ﴿فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّماواتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ من الهول. وعبّر عنه بالماضي لتحقّق وقوعه ﴿إِلَّا مَنْ شاءَ اللّهُ﴾ أن لا يفزع، بأن يثبت قلبه ﴿وَكُلٌّ أَتَوْهُ داخِرِينَ﴾: صاغرين.

﴿وَتَرَى الْجِبالَ تَحْسَبُها جامِدَةً﴾: ثابتة في مكانها ﴿وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحابِ﴾ في السّرعة. قيل: وذلك لأنّ الأجرام الكبار إذا تحرّكت في سمت واحد لا تكاد تبين[٦] حركتها[٧]. ﴿صُنْعَ اللّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾: أحكم خلقه وسوّاه على ما ينبغي ﴿إِنَّهُ

١ـ الكهف (١٨): ٤٧.

٢ـ القمّي ٢: ١٣٠؛ مختصر بصائر الدّرجات: ٤٣، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٣ـ المصدر: ١٣١؛ مختصر بصائر الدرجات: ٤٣، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٤ـ الكافي ٨: ٢٠٦، الحديث: ٢٠٥؛ العيّاشي ٢: ٢٨١، الحديث: ٢٠، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٥ـ تفسير القرآن العظيم (لابن كثير) ٣: ١١٢، ذيل الآية: ٩٩ من سورة الكهف.

٦ـ في «ب»: «تتبيّن».

٧ـ البيضاوي ٤: ١٢٢.

خَبِيرٌ بِما تَفْعَلُونَ﴾ .

﴿مَنْ جاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْها وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ﴾ .

﴿وَمَنْ جاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النّارِ﴾: فكبّوا على وجوههم.

قال: «الحسنة معرفة الولاية وحبّنا أهل البيت، والسّيّئة إنكار الولاية وبغضنا أهل البيت»[1]. ﴿هَلْ تُجْزَوْنَ إِلّا ما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ .

﴿إِنَّما أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هٰذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَها﴾ . ورد: «إنّ قريشاً لمّا هدموا الكعبة وجدوا في قواعده حجراً فيه كتاب لم يحسنوا قراءته، حتّى دعوا رجلاً فقرأه، فإذا فيه: أنا الله ذو بكّة، حرّمتُها يوم خلقت السّماوات والأرض، ووضعتُها بين هذين الجبلين، وحففتُها بسبعة أملاك حفّاً»[2].

وقال النّبيّ صلّى الله عليه وآله: «ألا إنّ الله حرّم مكّة يوم خلق السّماوات والأرض، فهي حرام بحرام الله إلى يوم القيامة، لا ينفر صيدها، ولا يعضد شجرها، ولا يختلى خلاها، ولا تحلّ لقطتها إلّا لمنشدٍ[3]. فقال العبّاس: يا رسول الله إلّا الإذخر فإنّه للقبر والبيوت؟ فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله: إلّا الإذخر»[4]. ﴿وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾: المنقادين.

﴿وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ فَمَنِ اهْتَدىٰ﴾ باتّباعه إيّاي في ذلك ﴿فَإِنَّما يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ﴾: فإنّ منافعه عائدة إليه ﴿وَمَنْ ضَلَّ﴾ بمخالفتي ﴿فَقُلْ إِنَّما أَنَا مِنَ الْمُنْذِرِينَ﴾ فلا عليّ من وبال ضلالته شيء، إذ ما على الرّسول إلّا البلاغ، وقد بلّغت.

﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلّٰهِ﴾ على نعمة النّبوّة، وعلى ما علّمني ربّي ووفّقني للعمل به

١ ـ الكافي ١: ١٨٥، الحديث: ١٤، عن أبي عبد الله عليه السلام.

٢ ـ الكافي ٤: ٢٢٥، الحديث: ١، عن أبي عبد الله عليه السلام.

٣ ـ نَشَدَ الضّالّة: طَلَبَها وعرّفها. القاموس المحيط ١: ٣٥٤ (نشد).

٤ ـ الكافي ٤: ٢٢٦، ذيل الحديث: ٣، عن أبي عبد الله عليه السلام.

﴿سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ﴾ إذا رجعتم إلى الدّنيا ورجعوا ﴿فَتَعْرِفُونَهَا﴾: فتعرفون أنّها آيات اللّه، حين لا تنفعكم المعرفة.

قال: «الآيات أمير المؤمنين والأئمّة صلوات اللّه عليهم، إذا رجعوا إلى الدّنيا يعرفهم أعداؤهم إذا رأوهم في الدّنيا. وقال أمير المؤمنين عليه السلام: واللّه ما للّه آية أكبر منّي»[1]. ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾.



١ ـ القمّي ٢: ١٣٢.

سورة القصص

[مكيّة، وهي ثمان وثمانون آية][1]

بسم الله الرحمٰن الرحيم

﴿طسٓمٓ﴾.

﴿تِلْكَ آياتُ الكِتابِ المُبِينِ﴾.

﴿نَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ نَبَأِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلا فِي الأَرْضِ﴾: أرض مصر ﴿وَجَعَلَ أَهْلَها شِيَعاً﴾: فرقاً يشيعون ﴿يَسْتَضْعِفُ طائِفَةً مِنْهُمْ﴾ وهم بنو إسرائيل ﴿يُذَبِّحُ أَبْناءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِساءَهُمْ﴾ وذلك لأنّ كاهناً قال له: يولَدُ مولودٌ في بني إسرائيل يَذْهَبُ مُلْكُك على يده. ﴿إِنَّهُ كانَ مِنَ المُفْسِدِينَ﴾.

﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ﴾: نتفضّل ﴿عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الوارِثِينَ﴾.

﴿وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الأَرْضِ﴾: نسلّطهم فيها ﴿وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهامانَ وَجُنُودَهُما مِنْهُمْ ما كانُوا يَحْذَرُونَ﴾ من ذهاب مُلكهم وهلاكهم. قال: «هم آل محمّد. يبعث الله مهديّهم بعد

[1] ـ ما بين المعقوفتين من «ب».

جهدهم؛ فيَعِزَّهُمْ ويذلّ عدوّهم»[١].

أقول: يعني في الباطن والتأويل، وكذا كلّ ما في معناه من الأخبار[٢].

﴿وَأَوْحَيْنا إِلىٰ أُمِّ مُوسىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ ما أمكنك إخفاؤه ﴿فَإِذا خِفْتِ عَلَيْهِ﴾ الصوت ﴿فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ﴾: في النّيل ﴿وَلا تَخافِي﴾ عليه ضيعة ولا شدّة ﴿وَلا تَحْزَنِي﴾ لفراقه ﴿إِنّا رادُّوهُ إِلَيْكِ وَجاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾.

﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوّاً وَحَزَناً﴾. تعليل لالتقاطهم إيّاه، بما هو عاقبته ومؤدّاه، تشبيهاً له بالغرض الحامل عليه. ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهامانَ وَجُنُودَهُما كانُوا خاطِئِينَ﴾.

﴿وَقالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ﴾ أي: لفرعون حين أخرجته من التّابوت: ﴿قُرَّتُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ﴾ عن ابن عبّاس: «قال فرعون: قرّة عين لك، فأمّا لي فلا. قال: قال رسول اللّه ﷺ: والّذي يُحْلف[٣] به لو أقرّ فرعون بأن يكون له قرّة عين كما أقرّت امرأته، لهداه اللّه به كما هداها، ولكنّه أبى للشّقاء الّذي كتب اللّه عليه»[٤]. ﴿لا تَقْتُلُوهُ عَسىٰ أَنْ يَنْفَعَنا﴾ فإنّ فيه مخايل[٥] اليُمْن ودلائل النّفع ﴿أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَداً﴾: نتبنّاه، فإنّه أهل له ﴿وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ﴾ أنّه الّذي ذهاب ملكهم على يديه.

﴿وَأَصْبَحَ فُؤادُ أُمِّ مُوسىٰ فارِغاً﴾: صِفْراً[٦] من العقل، لما دهمها[٧] من الخوف والحيرة ﴿إِنْ كادَتْ لَتُبْدِي بِهِ﴾: إنّها كادت لتظهر بأمره وقصّته. قال: «كادت تخبر بخبره أو تموت، ثمّ حفظت نفسها»[٨]. ﴿لَوْلا أَنْ رَبَطْنا عَلىٰ قَلْبِها﴾ بالصّبر والثّبات ﴿لِتَكُونَ مِنَ

١ـ الغيبة (للطّوسي): ١٨٤، الحديث: ١٤٣، عن أمير المؤمنين ؑ.

٢ـ نهج البلاغة: ٥٠٦، الحكمة: ٢٠٩؛ معاني الأخبار: ٧٩، الحديث: ١، عن أبي عبد اللّه ؑ.

٣ـ في «ج»: «نحلف».

٤ـ مجمع البيان ٧ـ ٨: ٢٤١؛ الكشّاف ٣: ١٦٦؛ البيضاوي ٤: ١٢٤.

٥ـ مخايل، جمع المَخِيلَة وهي ما يوقع في الخيال يعني به الأمارات. مجمع البحرين ٥: ٣٦٨ (خيل).

٦ـ الصِّفْر ـ بالكسر فالسّكون ـ: الخالي. مجمع البحرين ٣: ٣٦٧ (صفر).

٧ـ دَهَمَهُمْ أمرٌ: إذا غشيهم فاشياً. لسان العرب ١٢: ٢١٠ (دهم).

٨ـ القمّي ٢: ١٣٦، عن أبي جعفر ؑ.

المُـؤْمِنِينَ ﴾: من المصدّقين بوعد اللّه ، والواثقين بحفظه .

قال: «فلمّا خافت عليه الصّوت أوحى اللّه إليها أن اعملي التّابوت ثمّ اجعليه فيه ، ثمّ أخرجيه ليلاً فاطرحيه في نيل مصر ، فوضعته في التّابوت ثمّ دفعته في اليمّ ، فجعل يرجع إليها وجعلت تدفعه في الغَمْر [١] ، وأنّ الرّيح ضربته فانطلقت به ، فلمّا رأته قد ذهب به الماء همّت أن تَصيحَ ، فربط اللّه على قلبها» [٢] .

﴿ وَقالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ ﴾: اتّبعي أثَره وتتبّعي خبرَه ﴿ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ ﴾: عن بُعْدٍ ﴿ وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ ﴾ أنّها تقصّ وأنّها أُخته .

﴿ وَحَرَّمْنا عَلَيْهِ المَراضِعَ ﴾: ومنعناه أن يرتضع من المرضعات ﴿ مِنْ قَبْلُ ﴾: من قبل قصصها أثره ﴿ فَقالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ ناصِحُونَ ﴾: لا يقصّرون في إرضاعه وتربيته .

﴿ فَرَدَدْناهُ إِلىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُها وَلا تَحْزَنَ ﴾ بفراقه ﴿ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللّهِ حَقٌّ ﴾ علم مشاهدة . ﴿ وَلٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ ﴾ قد مرّت هذه القصّة في «طٰه» [٣] .

﴿ وَلَمّا بَلَغَ أَشُدَّهُ ﴾ قال: «ثمان عشرة سنة» [٤] . ﴿ وَاسْتَوىٰ ﴾ قال: «التحى» [٥] . ﴿ آتَيْناهُ حُكْماً وَعِلْماً وَكَذٰلِكَ نَجْزِي المُحْسِنِينَ ﴾ .

﴿ وَدَخَلَ المَدِينَةَ ﴾ قال: «مدينة من مدائن فرعون» [٦] . ﴿ عَلىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِها ﴾ قال: «بين المغرب والعشاء» [٧] . ﴿ فَوَجَدَ فِيها رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلانِ هٰذا مِنْ شِيعَتِهِ ﴾ قال:

١ ـ الغَمْر: الماء الكثير . الصّحاح ٢: ٧٧٢ (غمر) .

٢ ـ كمال الدّين ١: ١٤٨ ، الباب: ٦ ، ذيل الحديث الطّويل: ١٣ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .

٣ ـ ذيل الآية: ٤٠ ، واطلب تفصيل القصّة في الصّافي ٣: ٣٠٦ .

٤ و ٥ ـ معاني الأخبار: ٢٢٦ ، الحديث: ١ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام . التحى الغلام: نبتت لحيته . مصباح المنير ٢: ٢٤٣ (لحي) .

٦ و ٧ ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ١: ١٩٨ ، الباب: ١٥ ، ذيل الحديث الطّويل: ١ .

«يقول بقول موسى»[١]. ﴿وَهَـٰذَا مِنْ عَدُوِّهِ﴾ قال: «يقول بقول فرعون»[٢]. ﴿فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ﴾: سأله أن يغيثه بالإعانة، ولذلك عدّي بـ«على» ﴿فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ﴾: فضرب العدوّ بجُمْع كفّه[٣] ﴿فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾ قيل: أي: قتله، وأصله أنهى حياته[٤]. وقال: «أي: قضى على العدوّ بحكم الله، فوكزه فمات»[٥]. ﴿قَالَ هَـٰذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾ قال: «يعني الاقتتال الّذي كان وقع بين الرّجلين، لا ما فعله موسى من قتله»[٦]. ﴿إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ﴾.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾ قال: «يقول: وضعت نفسي غير موضعها، بدخول هذه المدينة»[٧]. ﴿فَاغْفِرْ لِي﴾ أي: أسترني من أعدائك، لئلّا يظفروا بي فيقتلوني ﴿فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾.

﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ﴾ ـ الباء للسّببيّة وقيل: للقسم ـ[٨] قال: «يعني من القوّة حتّى قتلت رجلاً بوكزة»[٩]. ورد: «وكان موسى قد أُعطي بسطة في الجسم وشدّة في البطش[١٠]»[١١]. ﴿فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ﴾ قال: «بل أُجاهدهم في سبيلك بهذه القوّة حتّى ترضى»[١٢].

﴿فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ﴾: يترصّد الاستقادة ﴿فَإِذَا الَّذِي اسْتَنصَرَهُ

١ و ٢ ـ القمّي ٢: ١٣٧، ذيل الحديث الطّويل، عن أبي جعفر عليه السلام.
٣ ـ جُمْع الكفّ ـ بالضّمّ ـ وهو حين تقبضها. الصّحاح ٣: ١١٩٨ (جمع).
٤ ـ البيضاوي ٤: ١٢٥.
٥ و ٦ ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ١: ١٩٩، الباب: ١٥، ذيل الحديث الطّويل: ١.
٧ ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ١: ١٩٩، الباب: ١٥، ذيل الحديث الطّويل: ١، مع تفاوت يسير.
٨ ـ البيضاوي ٤: ١٢٥؛ الكشّاف ٣: ١٦٩.
٩ ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ١: ١٩٩، الباب: ١٥، ذيل الحديث الطّويل: ١.
١٠ ـ البطش: الأخذ بسرعة والأخذ بعنف وسطوة. مجمع البحرين ٤: ١٣٠ (بطش).
١١ ـ كمال الدّين ١: ١٥٠، الباب: ٦، ذيل الحديث الطّويل: ١٣، عن أبي عبد الله عليه السلام.
١٢ ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ١: ١٩٩، الباب: ١٥، ذيل الحديث الطّويل: ١، مع تفاوت يسير.

بِالأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ﴾: يستغيثه على آخر ﴿قالَ لَهُ مُوسىٰ إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ﴾.

قال: «قال له: قاتلت رجلاً بالأمس، وتقاتل هذا اليوم! لأُوذينّك. وأراد أن يبطش به»[١].

﴿فَلَمّا أَنْ أَرادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُما قالَ يا مُوسىٰ أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَما قَتَلْتَ نَفْساً بِالأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلّا أَنْ تَكُونَ جَبّاراً فِي الأَرْضِ وَما تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ المُصْلِحِينَ﴾.

قال: «فلمّا كان من الغد جاء آخر فتشبّث بذلك الرّجل الّذي يقول بقول موسى، فاستغاث بموسى، فلمّا نظر صاحبه إلى موسى قال له: "أتريد أن تقتلني"؟! فخلّى عن صاحبه وهرب»[٢].

﴿وَجاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى المَدِينَةِ يَسْعىٰ﴾: يسرع ﴿قالَ يا مُوسىٰ إِنَّ المَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ﴾: يتشاورون بسببك ﴿لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النّاصِحِينَ﴾.

قال: «وكان خازن فرعون مؤمناً بموسى، قد كتم إيمانه ستّمائة سنة، وهو الّذي قال الله عزّوجلّ: "وَقالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمانَهُ"[٣] قال: وبلغ فرعون خبر قتل موسى الرّجلَ، فطلبه ليقتله، فبعث المؤمن إلى موسى: "إنّ الملأ يأتمرون بك"»[٤].

﴿فَخَرَجَ مِنْها﴾: من المدينة ﴿خائِفاً يَتَرَقَّبُ﴾ لحوق طالب ﴿قالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ القَوْمِ الظّالِمِينَ﴾: خلّصني منهم واحفظني من لحوقهم.

قال: «يلتفت يمنة ويسرة ويقول: "ربّ نجّني من القوم الظّالمين" ـ قال: ـ ومرّ نحو

١ ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ١: ١٩٩، الباب: ١٥، ذيل الحديث الطّويل: ١، مع تفاوت يسير.

٢ ـ القمّي ٢: ١٣٧، عن أبي جعفر عليه السلام.

٣ ـ الغافر (٤٠): ٢٨.

٤ ـ القمّي ٢: ١٣٧، عن أبي جعفر عليه السلام.

مدين ، وكان بينه وبين مدين مسيرة ثلاثة أيّام»[١] .

﴿ وَلَمّا تَوَجَّهَ تِلقاءَ مَدْيَنَ ﴾: قبالة مدين ؛ قرية شعيب ﴿ قالَ عَسىٰ رَبِّي أنْ يَهْدِيَنِي سَواءَ السَّبِيلِ ﴾ .

﴿ وَلَمّا وَرَدَ ماءَ مَدْيَنَ ﴾ أي: البئر . قال: «فخرج من مصر بغير ظَهْر[٢] ولا دابّة ولا خادم ، تخفضه الأرض مرّة وترفعه أُخرى ، حتّى انتهى إلى أرض مدين ، فانتهى إلى أصل شجرة ، فنزل فإذا تحتها بئر»[٣] . ﴿ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النّاسِ ﴾: جماعة كثيرة مختلفين ﴿ يَسْقُونَ ﴾ مواشيهم ﴿ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ ﴾: في مكان أسفل من مكانهم ﴿ آمْرَأتَيْنِ تَذُودانِ ﴾: تمنعان أغنامهما عن الماء ، لئلّا تختلط بأغنامهم ﴿ قالَ ما خَطْبُكُما ﴾: ما شأنكما تذودان ﴿ قالَتا لا نَسْقِي حَتّىٰ يُصْدِرَ الرِّعاءُ ﴾: يصرف الرّعاة مواشيهم عن الماء ، حذراً من مزاحمة الرّجال ﴿ وَأَبُونا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴾: كبير السّنّ لا يستطيع أن يخرج للسّقي ، فيرسلنا اضطراراً .

﴿ فَسَقىٰ لَهُما ﴾ مواشيهما رحمة عليهما . قال: «فرحمهما موسى ودنا من البئر ، فقال لِمَنْ على البئر: أَسْتَقي لي دلواً ولكم دلواً ، وكان الدّلو يمدّه عشرة رجال ، فاستقى وحده دلواً لِمَنْ على البئر ودلواً لبنتي شعيب ، وسقى أغنامهما . قال: وكان شديد الجوع[٤] ؛ ولم يكن أكل منذ ثلاثة أيّام شيئاً»[٥] . قيل: وكان على رأس البئر حجر لا يقلّه إلّا سبعة رجال ، وقيل: عشرة ، وقيل: أربعون ، فأقلّه وحده[٦] .

١ ـ القمّي ٢: ١٢٧ ، عن أبي جعفر عليه السلام .

٢ ـ ظهر ـ بالفتح فالسّكون ـ استعارة للدّابّة والرّاحلة. مجمع البحرين ٣: ٣٨٩ (ظهر) .

٣ ـ كمال الدّين ١: ١٥٠ ، الباب: ٦ ، ذيل الحديث الطّويل: ١٣ ، عن أبي عبد الله عليه السلام .

٤ ـ القمّي ٢: ١٣٨ ، ذيل الحديث الطّويل ، عن أبي جعفر عليه السلام .

٥ ـ المصدر: ١٣٧ ، ذيل الحديث الطّويل ، عن أبي جعفر عليه السلام .

٦ ـ جوامع الجامع: ٣٤٤ ؛ الكشّاف ٣: ١٧٠ ؛ البيضاوي ٤: ١٢٦ .

﴿ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ﴾ قال: «إلى الشّجرة فجلس فيها»[١]. ﴿فَقالَ رَبِّ إِنِّي لِما أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾. قال: «سأل الطّعام»[٢]. وفي رواية: «واللّه ما سأل اللّه عزّ وجلّ إلّا خبزاً يأكله، لأنّه كان يأكل بَقْلَةَ الأرض، ولقد كانت خُضْرَةُ البقل تُرىٰ من شَفيف[٣] صِفاق[٤] بطنه لهُزالِهِ وتَشَذُّب لحمه[٥]»[٦]. وفي رواية: «قال ذلك وهو محتاج إلى شقّ تمرة»[٧].

﴿فَجاءَتْهُ إِحْداهُما تَمْشِي عَلَى اسْتِحْياءٍ قالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ ما سَقَيْتَ لَنا فَلَمّا جاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قالَ لا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظّالِمِينَ﴾.

﴿قالَتْ إِحْداهُما يا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ﴾ لرعي الغنم ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾.

قال: «قال لها شعيب: يا بنيّة هذا قويّ، قد عرفته برفع الصّخرة ـ وفي رواية: بأنّه يستقي الدّلو وحده[٨] ـ الأمين من أين عرفته؟ قالت: يا أبة إنّي مشيت قدّامه فقال: امشي من خلفي، فإن ضللتُ فارشديني إلى الطّريق، فإنّا قوم لا ننظر في أدبار النّساء»[٩].

﴿قالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هاتَيْنِ عَلىٰ أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْراً فَمِنْ عِنْدِكَ﴾ تفضّلاً منك لا إلزاماً عليك ﴿وَما أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ﴾ بإلزام

١ ـ كمال الدّين ١: ١٥٠، الباب: ٦، ذيل الحديث الطّويل: ١٣، عن أبي عبد اللّه عليه السلام، وفيه: «فجلس تحتها».
٢ ـ الكافي ٦: ٢٨٧، الحديث: ٥، عن أبي عبد اللّه عليه السلام؛ وفي العيّاشي ٢: ٢٣٠، الحديث: ٤٤، عنه عليه السلام، وفيه: «إنّما عنى الطعام».
٣ ـ شفيف: رقيق يُسْتَشَفُّ ما وراءه، أي يبصر. المصباح المنير ١: ٣٨٤ (شفف).
٤ ـ الصِفاق: الجلد الأسفل الرقيق تحت الجلد الّذي عليه الشعر وفوق اللحم. لسان العرب ٧: ٣٦٧ (صفق).
٥ ـ تَشَذُّبُ اللّحم: فقدانه وتفرّقه، ويقال: فرس مُشَذَّبٌ. إذا كان طويلاً ليس كثير اللحم. لسان العرب ١: ٤٨٧ (شذب).
٦ ـ نهج البلاغة: ٢٢٦ ـ ٢٢٧، الخطبة: ١٦٠.
٧ ـ كمال الدّين ١: ١٥٠، الباب: ٦، ذيل الحديث الطّويل: ١٣، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.
٨ ـ القمّي ٢: ١٣٨، عن أبي جعفر عليه السلام.
٩ ـ من لا يحضره الفقيه ٤: ١٢، الحديث: ٦، عن الكاظم عليه السلام.

الإتمام ﴿سَتَجِدُنِي إِنْ شاءَ اللَّهُ مِنَ الصّالِحِينَ﴾ في حسن المعاملة.

﴿قالَ ذٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ﴾ لا نخرج عنه ﴿أَيَّما الأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلا عُدْوانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلىٰ ما نَقُولُ وَكِيلٌ﴾: شاهد حفيظ.

﴿فَلَمّا قَضىٰ مُوسَى الأَجَلَ﴾ سئل: أيّ الأجلين قضى؟ قال: «أوفاهما وأبعدهما، عشر سنين»[1]. و في رواية: «وإن سئلت أيّة الابنتين تزوّج؟ فقل: الصّغرى منهما، وهي الّتي جاءت وقالت: "يا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ"»[2]. ﴿وَسارَ بِأَهْلِهِ﴾: بامرأته ﴿آنَسَ﴾: أبصر ﴿مِنْ جانِبِ الطُّورِ ناراً قالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ ناراً لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْها بِخَبَرٍ﴾ أي: عن الطّريق، فإنّه قد ضلّه ﴿أَوْ جَذْوَةٍ﴾: عود غليظ ﴿مِنَ النّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾: تستدفئون بها. قال: «فلمّا صار في مفازة ومعه أهله، أصابهم برد شديد وريح وظلمة وجنّهم اللّيل، فنظر موسى إلى نار قد ظهرت»[3].

﴿فَلَمّا أَتاها نُودِيَ مِنْ شاطِئِ الوادِ الأَيْمَنِ﴾ قال: «هو الفرات»[4]. ﴿فِي البُقْعَةِ المُبارَكَةِ﴾ قال: «هي كربلا»[5]. ﴿مِنَ الشَّجَرَةِ﴾ قيل: كانت نابتة على الشّاطئ[6]. ﴿أَنْ يا مُوسىٰ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ العالَمِينَ﴾. هذا وإن خالف ما في طه[7] والنّمل[8] لفظاً، فلا يخالفه في المعنى.

﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصاكَ فَلَمّا رَآها تَهْتَزُّ﴾ أي: فألقاها فصارت ثعباناً واهتزّت، فلمّا رآها تهتزّ ﴿كَأَنَّها جانٌّ﴾: حيّة في الهيئة والجثّة، أو في السّرعة ﴿وَلّىٰ مُدْبِراً﴾: مهزماً من

١ ـ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ٢٥٠، عن أبي عبد الله ﷺ، ذيل الآية: ٢٧.

٢ ـ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ٢٥٠، عن رسول الله ﷺ.

٣ ـ القمّي ٢: ١٣٩، ذيل الحديث الطّويل، عن أبي عبد الله ﷺ.

٤ و ٥ ـ التّهذيب ٦: ٣٨، الحديث: ٨٠، عن أبي عبد الله ﷺ.

٦ ـ الكشّاف ٣: ١٧٥؛ البيضاوي ٤: ١٢٧.

٧ ـ الآية: ١٠ ـ ١١.

٨ ـ الآية: ٧ ـ ٨.

الخوف ﴿وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾: ولم يرجع ﴿يا مُوسىٰ﴾: نودي يا موسى ﴿أَقْبِلْ وَلا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الآمِنِينَ﴾ من المخاوف، فإنّه "لا يَخافُ لَدَيَّ المُرْسَلُونَ"[١].

﴿أُسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾ قال: «أي: من غير علّة»[٢].

﴿وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَناحَكَ مِنَ الرَّهْبِ﴾. قيل: ولعلّ ذلك لإخفاء الخوف عن العدوّ[٣]، أو لتسكينه بناء على ما يقال: إنّ الخوف يسكن بوضع اليد على الصّدر. ﴿فَذانِكَ بُرْهانانِ مِنْ رَبِّكَ إِلىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِهِ إِنَّهُمْ كانُوا قَوْماً فاسِقِينَ﴾.

﴿قالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْساً فَأَخافُ أَنْ يَقْتُلُونِ﴾ بها.

﴿وَأَخِي هٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِساناً فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءاً﴾: معيناً ﴿يُصَدِّقُنِي﴾ بتلخيص الحقّ وتقرير الحجّة وتزييف الشّبهة ﴿إِنِّي أَخافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ﴾.

﴿قالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ﴾: سنقوّيك به ﴿وَنَجْعَلُ لَكُما سُلْطاناً﴾: غلبة ﴿فَلا يَصِلُونَ إِلَيْكُما﴾ باستيلاء ﴿بِآياتِنا أَنْتُما وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الغالِبُونَ﴾.

﴿فَلَمّا جاءَهُمْ مُوسىٰ بِآياتِنا بَيِّناتٍ قالُوا ما هٰذا إِلّا سِحْرٌ مُفْتَرىً وَما سَمِعْنا بِهٰذا فِي آبائِنا الأَوَّلِينَ﴾.

﴿وَقالَ مُوسىٰ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ جاءَ بِالْهُدىٰ مِنْ عِنْدِهِ وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عاقِبَةُ الدّارِ﴾: العاقبة المحمودة لدار الدّنيا الّتي هي الجنّة، لأنّها خلقت مجازاً إليها ﴿إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظّالِمُونَ﴾.

﴿وَقالَ فِرْعَوْنُ يا أَيُّها المَلَأُ ما عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلٰهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يا هامانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحاً لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلىٰ إِلٰهِ مُوسىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الكاذِبِينَ﴾.

قال: «فبنى هامان له صرحاً، حتّى بلغ مكاناً في الهواء، لا يتمكّن الإنسان أن يقوم

١ـ النّمل (٢٧): ١٠، والآية: «إنّي لا يخاف لديّ المرسلون».
٢ـ القمّي ٢: ١٤٠، ذيل الحديث الطّويل، عن أبي عبد الله عليه السلام.
٣ـ غرائب القرآن ٣: ١٥١.

عليه من الرّياح القائمة في الهواء، فقال لفرعون: لا نقدر أن نزيد على هـذا، فـبعث اللّـه عزّوجلّ رياحاً فرمت به» الحديث[1].

﴿وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنا لا يُرْجَعُونَ﴾.

﴿فَأَخَذْناهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْناهُمْ فِي اليَمِّ فَانْظُرْ كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الظّالِمِينَ﴾.

﴿وَجَعَلْناهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النّارِ وَيَوْمَ القِيامَةِ لا يُنْصَرُونَ﴾.

﴿وَأَتْبَعْناهُمْ فِي هٰذِهِ الدُّنْيا لَعْنَةً﴾: طرداً عن الرّحمة ﴿وَيَوْمَ القِيامَةِ هُمْ مِنَ المَقْبُوحِينَ﴾: ممّن قبحت وجوههم.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنا مُوسَى الكِتابَ﴾: التّوراة ﴿مِنْ بَعْدِ ما أَهْلَكْنا القُرُونَ الأُولىٰ﴾: أقوام نوح وهود وصالح ولوط.

ورد: «ما أهلك اللّه قوماً ولا قرناً[2] ولا أُمّة ولا أهل قرية بعذاب من السّماء، منذ أنزل التّوراة على وجه الأرض، غير القرية الّتي مسخوا قردة ثمّ تلا هذه الآية»[3].

﴿بَصائِرَ لِلنّاسِ وَهُدىً وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾.

﴿وَما كُنْتَ بِجانِبِ الغَرْبِيِّ﴾: بجانب جبل الطّور الغربيّ حيث كلّم اللّه فيه موسى ﴿إِذْ قَضَيْنا﴾: أوحينا ﴿إِلىٰ مُوسَى الأَمْرَ﴾ وكلّمناه ﴿وَما كُنْتَ مِنَ الشّاهِدِينَ﴾ لتكليمه.

﴿وَلٰكِنّا أَنْشَأْنا قُرُوناً فَتَطاوَلَ عَلَيْهِمُ العُمُرُ﴾ فحرّفت الأخبار وتغيّرت الشّرائع واندرست العلوم، فأوحيناه إليك ﴿وَما كُنْتَ ثاوِياً﴾: مقيماً ﴿فِي أَهْلِ مَدْيَنَ﴾ وهم شعيب والمؤمنون به ﴿تَتْلُو عَلَيْهِمْ﴾ قيل: يعني فتقرأ على أهل مكّة[4]. ﴿آياتِنا﴾ الّتي فيها قصّتهم ﴿وَلٰكِنّا كُنّا مُرْسِلِينَ﴾ إيّاك ومخبرين لك بها.

١ـ القمّي ٢: ١٤٠، ذيل الحديث الطّويل، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٢ـ القَرْن من النّاس: أهل زمان واحد. الصّحاح ٦: ٢١٨٠ (قرن).

٣ـ مجمع البيان ٧ـ٨: ٢٥٦، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله، وفيه: «غير أهل القرية الّتي مسخوا قردة».

٤ـ المصدر: ٢٥٧.

﴿وَما كُنْتَ بِجانِبِ الطُّورِ إِذْ نادَيْنا وَلٰكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾: ولكن علّمناك رحمة ﴿لِتُنْذِرَ قَوْماً ما أَتاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ﴾ لوقوعهم في فترة بينك وبين من تقدّمك من الأنبياء ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾.

﴿وَلَوْلا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ بِما قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنا لَوْلا أَرْسَلْتَ إِلَيْنا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ آياتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾. جوابه محذوف، يعني: لولا قولهم إذا أصابتهم عقوبة بسبب كفرهم ومعاصيهم: ربّنا هلّا أرسلت إلينا رسولاً يبلّغنا آياتك فنتّبعها ونكون من المصدّقين، ما أرسلناك، أي: إنّما أرسلناك لعذرهم، وإلزام الحجّة عليهم.

﴿فَلَمّا جاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنا قالُوا لَوْلا أُوتِيَ مِثْلَ ما أُوتِيَ مُوسىٰ﴾ من الكتاب جملة، واليد والعصا وغيرهما اقتراحاً وتعنّتاً ﴿أَوَ لَمْ يَكْفُرُوا بِما أُوتِيَ مُوسىٰ مِنْ قَبْلُ﴾ يعني أبناء جنسهم في الرّأي والمذهب، وهم كفرة زمان موسى ﴿قالُوا سِحْرانِ﴾ قيل: يعنون التّوراة والقرآن[1]. وعلى قراءة «ساحران»: موسى ومحمّد[2]، أو قيل موسى وهٰرون[3]. ﴿تَظاهَرا﴾: تعاونا بتوافق الكتابين أو بإظهار تلك الخوارق ﴿وَقالُوا إِنّا بِكُلٍّ كافِرُونَ﴾.

﴿قُلْ فَأْتُوا بِكِتابٍ مِنْ عِنْدِ اللّٰهِ هُوَ أَهْدىٰ مِنْهُما﴾: ممّا نزّل على موسى وعليَّ ﴿أَتَّبِعْهُ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ﴾.

﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّما يَتَّبِعُونَ أَهْواءَهُمْ﴾ إذ لو اتّبعوا حجّة لأتوا بها.

﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَواهُ بِغَيْرِ هُدىً مِنَ اللّٰهِ﴾ قال: «من اتّخذ دينه رأيه بغير إمام من أئمّة الهدى»[4]. ﴿إِنَّ اللّٰهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظّالِمِينَ﴾.

١ ـ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ٢٥٧، عن عكرمة والكلبي ومقاتل.

٢ ـ المصدر؛ البيضاوي ٤: ١٢٩؛ الكشاف ٣: ١٨٣.

٣ ـ القمّي ٢: ١٤١؛ البيضاوي ٤: ١٢٩.

٤ ـ الكافي ١: ٣٧٤، الحديث: ١، عن الكاظم عليه السلام؛ بصائر الدّرجات: ١٣، الباب: ٨، الحديث: ٣، عن الباقر عليه السلام.

﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنا لَهُمُ القَوْلَ﴾: أتْبَعْنا بعضه بعضاً في الإنزال أو النّظم[١]. قال: «إمام إلى إمام»[٢]. ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾.

﴿الَّذِينَ آتَيْناهُمُ الكِتابَ مِنْ قَبْلِهِ﴾: من قبل القرآن ﴿هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿وَإِذا يُتْلىٰ عَلَيْهِمْ قالُوا آمَنّا بِهِ إِنَّهُ الحَقُّ مِنْ رَبِّنا إِنّا كُنّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ﴾ لما رأوا ذكره في الكتب المتقدّمة.

﴿أُولٰئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِما صَبَرُوا﴾ قال: «بما صبروا على التّقيّة»[٣].

﴿وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ﴾ قال: «الحسنة: التّقيّة، والسّيّئة: الإذاعة»[٤]. وفي رواية: «أي: يدفعون سيّئة من أساء إليهم بحسناتهم»[٥]. و ورد: «اتبع الحسنة السّيّئة تمحها»[٦].

﴿وَمِمّا رَزَقْناهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ في سبيل الخير.

﴿وَإِذا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ﴾ تكرّماً. القمّي: اللّغو: الكذب واللّهو والغناء[٧].

﴿وَقالُوا﴾ للّاغين ﴿لَنا أَعْمالُنا وَلَكُمْ أَعْمالُكُمْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ﴾ متاركة لهم وتوديعاً ﴿لا نَبْتَغِي الجاهِلِينَ﴾: لا نطلب صحبتهم ولا نريدها.

﴿إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلٰكِنَّ اللّهَ يَهْدِي مَنْ يَشاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾. إن ثبت نزولها في أبي طالب فلا دلالة فيها على عدم إيمانه، كما ظنّته العامّة[٨]، «فإنّ اللّه هداه للإيمان قبل بعثة ابن أخيه، واستودعه الوصايا، فدفعها إليه ﷺ». كما ورد[٩].

١ـ أي: أتبعنا بعضه بعضاً في الإنزال ليتّصل التّذكير، أو في النّظم لتقرّر الدّعوة بالحجّة، والمواعظ بالمواعيد، والنّصائح بالعبر. كذا في الصّافي ٤: ٩٤.

٢ـ الكافي ١: ٤١٥، الحديث: ١٨، عن الكاظم عليه السلام.

٣ و ٤ـ الكافي ٢: ٢١٧، الحديث: ١، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٥ـ القمّي ٢: ١٤٢.

٦ـ مسند أحمد ٥: ٢٣٦؛ البيضاوي ٤: ١٣٠، عن النّبيّ ﷺ.

٧ـ القمّي ٢: ١٤٢.

٨ـ الكشّاف ٣: ١٨٥؛ البيضاوي ٤: ١٣٠.

٩ـ الكافي ١: ٤٤٥، الحديث: ١٨؛ كمال الدّين ٢: ٦٦٥، الباب: ٥٨، الحديث: ٧، عن الكاظم عليه السلام. وفي مجمع ←

قال: «إنّ مثل أبي طالب مثل أصحاب الكهف، أسرّوا الإيمان وأظهروا الشرك، فآتاهم الله أجرهم مرّتين»[١].

أقول: وإنّما أسرّ الإيمان وأظهر الشرك ليكون أقدر على نصرة النبيّ صلى الله عليه وآله، كما يستفاد من أخبار أُخر[٢]. وفي الآية إيماء بسبق هدايته من الله[٣]، وإنّه كان يُسِرُّها.

وورد فيه: «إنّه لو شفع [أبي][٤] في كلّ مذنب على وجه الأرض لشفعه الله فيهم، وإنّ نوره يوم القيامة ليطفي أنوار الخلق إلّا أنوار الخمسة[٥] والأئمّة من ولدهم عليهم السلام»[٦].

﴿وَقالُوا إِنْ نَتَّبِعِ الهُدىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنا﴾: نخرج منها. ورد: «إنّها نزلت في قريش حين دعاهم رسول الله صلى الله عليه وآله إلى الإسلام والهجرة»[٧].

وفي رواية قال: «لأدعونّ إلى هذا الأمر الأبيض والأسود، ومَنْ على رؤوس الجبال، ومن في لجج البحار، ولأدعونّ إليه فارس والرّوم. فقالوا: والله لو سمعت بهذا فارس والرّوم لاختطفتنا من أرضنا، ولقلعت الكعبة حجراً حجراً. فأنزل الله هذه الآية»[٨].

→ البيان ٧ ـ ٨: ٢٨٧: «وقد ذكرنا في سورة الأنعام ـ ذيل الآية: ٢٦ ـ أنّ أهل البيت عليهم السلام قد أجمعوا على أنّ أبا طالب مات مسلماً، وتظاهرت الرّوايات بذلك عنهم، وأوردنا هناك طرفاً من أشعاره الدالّة على تصديقه للنبيّ صلى الله عليه وآله وتوحيده، فإنّ استيفاء ذلك جميعه لا تتّسع له الطوامير. وما روي من ذلك في كتب المغازي وغيرها أكثر من أن يحصى يكاشف فيها من كاشف النبيّ صلى الله عليه وآله ويناضل عنه ويصحّح نبوّته، وقال بعض الثقاة أنّ قصائده في هذا المعنى يبلغ قدر مجلّد وأكثر من هذا، ولا شكّ في أنّه لم يختر تمام مجاهرة الأعداء، استصلاحاً لهم، وحسن تدبيره في دفع كيادهم لئلّا يُلْجِئوا الرسول إلى ما ألجأوه إليه بعد موته».

١ ـ الكافي ١: ٤٤٨، الحديث: ٢٨، عن أبي عبد الله عليه السلام.

٢ ـ المصدر: ٤٤٠، ذيل الحديث مولد النّبي صلى الله عليه وآله؛ و٤٤٨، الحديث: ٢٩ و٣١.

٣ ـ راجع: مجمع البيان ٧ ـ ٨: ٢٥٩؛ روح الجنان وروح الجنان (لأبي الفتوح الرّازي) ٤: ٢١٠.

٤ ـ ما بين المعقوفتين من المصدر.

٥ ـ في «ألف» و«ج»: «الخمسة أنوار».

٦ ـ بشارة المصطفى: ٢٠٢، عن أبي عبد الله، عن آبائه، عن أمير المؤمنين عليهم السلام.

٧ ـ القمّي ٢: ١٤٢؛ كشف المهجّة: ١٧٥، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

٨ ـ روضة الواعظين، في مبعث النّبيّ صلى الله عليه وآله، عن عليّ بن الحسين عليهما السلام.

﴿أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَماً آمِناً يُجْبىٰ إِلَيْهِ﴾: يحمل إليه ويجمع فيه ﴿ثَمَراتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ من كلّ أوْب[1] ﴿رِزْقاً مِنْ لَدُنّا﴾. فإذا كان هذا حالهم وهم عبدة الأصنام، فكيف نعرّضهم للتّخوّف[2] والتّخطّف إذا كانوا موحّدين؟! ﴿وَلٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾: جهلة لا يتفطّنون له.

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنا مِنْ قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَها﴾: كانت[3] حالهم كحالهم في الأمن وخفض العيش حتّى أشروا، فدمّر الله عليهم وخرّب ديارهم ﴿فَتِلْكَ مَساكِنُهُمْ﴾ خاوية ﴿لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلّا قَلِيلاً﴾ من شؤم معاصيهم ﴿وَكُنّا نَحْنُ الْوارِثِينَ﴾.

﴿وَما كانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرىٰ حَتّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمِّها﴾: في أصلها، لأنّ أهلها[4] يكون أفطن وأنبل ﴿رَسُولاً يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آياتِنا﴾ لإلزام الحجّة وقطع المعذرة ﴿وَما كُنّا مُهْلِكِي الْقُرىٰ إِلّا وَأَهْلُها ظالِمُونَ﴾ بتكذيب الرّسل والعتوّ في الكفر.

﴿وَما أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتاعُ الْحَياةِ الدُّنْيا وَزِينَتُها﴾ تتمتّعون وتتزيّنون به مدّة حياتكم المنقضية ﴿وَما عِنْدَ اللّٰهِ خَيْرٌ وَأَبْقىٰ﴾ لأنّه لذّة خالصة وبهجة كاملة أبديّة ﴿أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾ فتستبدلون الّذي هو أدنى بالّذي هو خير.

﴿أَفَمَنْ وَعَدْناهُ وَعْداً حَسَناً فَهُوَ لاقِيهِ كَمَنْ مَتَّعْناهُ مَتاعَ الْحَياةِ الدُّنْيا﴾ الّذي هو مشوب بالآلام، مكدّر بالمتاعب، مستعقب للتّحسّر على الانقطاع ﴿ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾ للحساب أو العذاب. وهذه الآية كالنّتيجة للّتي قبلها.

﴿وَيَوْمَ يُنادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾: تزعمونهم شركائي.

﴿قالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنا هٰؤُلاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنا أَغْوَيْناهُمْ كَما غَوَيْنا تَبَرَّأْنا

١ ـ جاؤوا من كلّ أوْب ـ أي: من كلّ طريق ووجهٍ وناحيةٍ. لسان العرب ١: ٢٢٠ (أوب).

٢ ـ في «ألف»: «فكيف تعرضهم التّخوّف».

٣ ـ في «ألف»: «قال: كانت».

٤ ـ في «ألف» و«ج»: «أهله».

﴿إِلَيْكَ﴾ منهم وممّا اختاروه من الكفر ﴿ما كانُوا إِيّانا يَعْبُدُونَ﴾ وإنّما يعبدون أهواءهم.

﴿وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكاءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ﴾ من فرط الحيرة ﴿فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ﴾ لعجزهم عن الإجابة والنّصرة ﴿وَرَأَوُا الْعَذابَ لَوْ أَنَّهُمْ كانُوا يَهْتَدُونَ﴾. «لو» للتّمنّي، أو محذوف الخبر، أي: لو يهتدون لوجه من الحيل يدفعون به العذاب.

﴿وَيَوْمَ يُنادِيهِمْ فَيَقُولُ ماذا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ﴾.

﴿فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْباءُ يَوْمَئِذٍ﴾: لا تهتدي إليهم، وأصله فعموا عن الأنباء، لكنّه عكس مبالغة ودلالة على أنّ ما يحضر الذّهن إنّما يرد عليه من خارج، فإذا أخطأ لم يكن له حيلة إلى استحضاره ﴿فَهُمْ لا يَتَساءَلُونَ﴾: لا يسأل بعضهم بعضاً عن الجواب.

القمّي: إنّ العامّة قد رووا: أنّ ذلك يعني النّداء في القيامة، وأمّا الخاصّة فعن الصّادق عليه السلام: «إنّ العبد إذا دخل قبره وفرغ منه، يسأل عن النّبيّ صلى الله عليه وآله» ثمّ ذكر حديث سؤال القبر[1].

﴿فَأَمّا مَنْ تابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صالِحاً فَعَسى أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ﴾.

﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ ما يَشاءُ وَيَخْتارُ ما كانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾ أي: التّخيّر، كالطّيرة بمعنى التّطيّر، يعني: ليس لأحد من خلقه أن يختار عليه؛ أوليس لأحد أن يختار شيئاً إلّا بقدرته ومشيّته واختياره.

يدلّ على الأوّل: ما ورد في حديث الإمامة: «رغبوا عن اختيار اللّه واختيار رسول اللّه إلى اختيارهم، والقرآن يناديهم، "وربّك يخلق ما يشاء ويختار" الآية»[2].

وعلى الثّاني: ما ورد في حديث: «وتعلم أنّ نواصي الخلق بيده، فليس لهم نفس ولا

١ ـ القمّي ٢: ١٤٣.

٢ ـ الكافي ١: ٢٠١، ذيل الحديث: ١؛ الأمالي (للصّدوق): ٥٣٩، المجلس: ٩٧، ذيل الحديث: ١، عن الرّضا عليه السلام؛ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ٢٦٦، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

لحظة[١] إلّا بقدرته ومشيّته ، وهم عاجزون عن إتيان أقلّ شيء في مملكته إلّا بإذنه وإرادته ، قال اللّه تعالى: "وربّك يخلق" الآية»[٢] . ﴿ سُبْحانَ اللّهِ وَتَعالىٰ عَمّا يُشْرِكُونَ ﴾ .

﴿ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ ما تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَما يُعْلِنُونَ ﴾ فله أن يختار للنّبوّة والإمامة وغيرهما دونهم ، هذا على المعنى الأوّل للآية السّابقة ، وفي بعض الأخبار دلالة عليه[٣] .

﴿ وَهُوَ اللّهُ ﴾ المستحقّ للعبادة ﴿ لا إِلٰهَ إِلّا هُوَ ﴾: لا أحد يستحقّها إلّا هو ﴿ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولىٰ وَالْآخِرَةِ ﴾ لأنّه المولى للنّعم كلّها عاجلها وآجلها ﴿ وَلَهُ الْحُكْمُ ﴾: القضاء النّافذ في كلّ شيء ﴿ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ .

﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَداً إِلىٰ يَوْمِ الْقِيامَةِ مَنْ إِلٰهٌ غَيْرُ اللّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِياءٍ أَفَلا تَسْمَعُونَ ﴾ سماع تدبّر واستبصار .

﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللّهُ عَلَيْكُمُ النَّهارَ سَرْمَداً إِلىٰ يَوْمِ الْقِيامَةِ مَنْ إِلٰهٌ غَيْرُ اللّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلا تُبْصِرُونَ ﴾ .

﴿ وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ ﴾: في اللّيل ﴿ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ ﴾ في النّهار بأنواع المكاسب ﴿ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾: ولكي تعرفوا نعمة اللّه في ذلك ، فتشكروه[٤] عليها .

﴿ وَيَوْمَ يُنادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ . تقريع بعد تقريع ، للإشعار بأنّه لا شيء أجلب لغضب اللّه من الإشراك به ، ولأنّ الأوّل لتقرير فساد رأيهم ، والثّاني لبيان أنّه لم يكن عن برهان .

﴿ وَنَزَعْنا ﴾: وأخرجنا ﴿ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً ﴾ يشهد عليهم بما كانوا عليه . قال: «من

١ ـ في «ب» و«ج»: «ولحظة» .

٢ ـ مصباح الشّريعة: ٩٣ ، الباب: ٤٢ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .

٣ ـ كمال الدّين ٢: ٤٦١ ـ ٤٦٢ ، الباب: ٤٣ ، ذيل الحديث: ٢١ ، عن الحجّة عليه السلام .

٤ ـ في «ألف»: «فتشكرون» .

كلّ فرقة من هذه الأُمّة إمامها»[١]. ﴿فَقُلْنا﴾ للأُمم ﴿هاتُوا بُرْهانَكُمْ﴾ على صحّة ما تتديّنون به ﴿فَعَلِمُوا﴾ حينئذ ﴿أَنَّ الحَقَّ لِلّٰهِ وَضَلَّ عَنْهُمْ﴾: وغاب عنهم غيبة الضّائع ﴿ما كانُوا يَفْتَرُونَ﴾ من الباطل.

﴿إِنَّ قارُونَ كانَ مِنْ قَوْمِ مُوسىٰ﴾ قال: «هو ابن خالته»[٢]. وقيل: كان ابن عمّه يصهر بن قاهث بن لاوي ـ ولا تنافي بينهما ـ وكان ممّن آمن به[٣]، «وكان موسى يحبّه». كذا ورد[٤]. ﴿فَبَغىٰ عَلَيْهِمْ﴾: فطلب الفضل عليهم وتكبّر ﴿وَآتَيْناهُ مِنَ الكُنُوزِ﴾: من الأموال المدّخرة ﴿ما إِنَّ مَفاتِحَهُ﴾: مفاتح صناديقه ﴿لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي القُوَّةِ﴾: لتثقل[٥] الجماعة الكثيرة الأقوياء. القمّي: العصبة: ما بين العشرة إلى تسعة عشر[٦]. ﴿إِذْ قالَ لَهُ قَوْمُهُ لا تَفْرَحْ﴾: لا تبطر[٧] ﴿إِنَّ اللّٰهَ لا يُحِبُّ الفَرِحِينَ﴾ بزخارف الدّنيا.

﴿وَابْتَغِ فِيما آتاكَ اللّٰهُ الدّارَ الآخِرَةَ﴾ بصرفه فيما يوجبها لك ﴿وَلا تَنْسَ﴾: ولا تترك ﴿نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيا﴾ قال: «أي: لا تنس صحّتك وقوّتك وفراغك وشبابك ونشاطك أن تطلب بها الآخرة»[٨]. ﴿وَأَحْسِنْ﴾ إلى عباد اللّٰه ﴿كَما أَحْسَنَ اللّٰهُ إِلَيْكَ﴾ بالإنعام ﴿وَلا تَبْغِ الفَسادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللّٰهَ لا يُحِبُّ المُفْسِدِينَ﴾.

ورد: «إنّ فساد الظّاهر من فساد الباطن، ومن أصلح سريرته أصلح اللّٰه علانيته، ومن خان اللّٰهَ في السّرّ هتك اللّٰهُ ستره في العلانية. وأعظم الفساد أن يرضى العبد بالغفلة عن اللّٰه

١ ـ القمّي ٢: ١٤٣، عن أبي جعفر عليه السلام.
٢ ـ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ٢٦٦، عن أبي عبد اللّٰه عليه السلام.
٣ ـ البيضاوي ٤: ١٣٢.
٤ ـ القمّي ٢: ١٤٥.
٥ ـ في «ألف»: «لتنقل».
٦ ـ القمّي ٢: ١٤٤.
٧ ـ البَطَر: النشاط والطغيان في النّعمة. لسان العرب ٤: ٦٨ (بطر).
٨ ـ معاني الأخبار: ٣٢٥، الحديث: ١، عن أبي عبد اللّٰه عليه السلام.

تعالى وهذا الفساد يتولّد من طول الأمل والحرص والكبر، كما أخبر اللّه في قصّة قارون في قوله: "ولا تبغ الفساد في الأرض إنّ اللّه لا يحبّ المفسدين" وكانت هذه الخصال من صنع قارون واعتقاده، وأصلها من حبّ الدّنيا وجمعها، ومتابعة النّفس وهواها، وإقامة شهواتها، وحبّ المحمدة، وموافقة الشّيطان واتّباع خطراته[1]، وكلّ ذلك مجتمع تحت الغفلة عن اللّه ونسيان منته[2]»[3].

﴿قالَ إِنَّما أُوتِيتُهُ عَلىٰ عِلْمٍ عِنْدِي﴾ القمّي: يعني ماله، وكان يعمل الكيمياء[4].

﴿أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعاً وَلا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾ القمّي: أي: لا يسأل من كان قبلهم عن ذنوب هؤلاء[5].

﴿فَخَرَجَ عَلىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ﴾ القمّي: في الثّياب المصبّغات، يجرّها على الأرض[6].

﴿قالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَياةَ الدُّنْيا يا لَيْتَ لَنا مِثْلَ ما أُوتِيَ قارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾.

﴿وَقالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوابُ اللّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صالِحاً وَلا يُلَقّاها﴾ أي: هذه الكلمة الّتي تكلّم بها العلماء ﴿إِلَّا الصّابِرُونَ﴾ على الطّاعات وعن المعاصي.

﴿فَخَسَفْنا بِهِ وَبِدارِهِ الْأَرْضَ فَما كانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ﴾: أعوان ﴿يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللّهِ﴾ فيدفعون عنه عذابه ﴿وَما كانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ﴾ الممتنعين منه.

القمّي في كلام طويل ما معناه: إنّه كان يؤذي موسى عليه السلام فقال موسى: يا ربّ إن لم تغضب لي فلست لك بنبيّ، فأوحى اللّه إليه: قد أمرت الأرض أن تطيعك، فمُرْها بما شئت. فقال موسى عليه السلام: يا أرض خُذيه، فدخل قصره بما فيه في الأرض، ودخل قارون فيها إلى

١ ـ في المصدر: «واتّباع خطواته».
٢ ـ في «ب» و«ج»: «منّته».
٣ ـ مصباح الشريعة: ١٠٧، الباب: ٥١، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.
٤ و ٥ ـ القمّي ٢: ١٤٤.
٦ ـ القمّي ٢: ١٤٤.

ركبتيه، فبكى وحلّفه بالرَّحِمِ، فقال له موسى: يابن لاوى لا تزدني من كلامك، يـا أرض خُذيه، فابتلعته بقصره وخزائنه، فعيّر اللّه موسى بما قاله، فقال: يا ربّ إنّ قارون دعـاني بغيرك، ولو دعاني بك لأجبته. فقال اللّه عزّوجلّ: يابن لاوي لا تزدني من كلامك، فقال موسى: ياربّ لو علمت أنّ ذلك لك رضا لأجبته، فقال اللّه: يا مـوسى وعـزّتي وجـلالي وجودي ومجدي وعلّو مكاني، لو أنّ قارون كما دعاك دعاني لأجبته، ولكنّه لمّا دعـاك وكلته إليك[1]. هذا ملخّص كلامه.

﴿وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكانَهُ﴾: منزلته ﴿بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ﴾ القمّي: هي لغة سريانيّة[2]. ﴿يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ وَيَقْدِرُ﴾ بمقتضى مشيته، لا لكرامة يقتضي البسط، ولا لهوان يوجب القبض ﴿لَوْلا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنا﴾ فلم يعطنا ما تـمنّينا ﴿لَـخَسَفَ بِنا﴾ لتوليده فينا ما ولده فيه، فخسف به لأجله ﴿وَيْكَأَنَّهُ لا يُفْلِحُ الكافِرُونَ﴾ لنعمة اللّه.

﴿تِلْكَ الدّارُ الآخِرَةُ﴾ الّتي سمعت خبرها وبلغك وصفها ﴿نَجْعَلُها لِلَّذِينَ لا يُـرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الْأَرْضِ﴾: غلبة وقهراً ﴿وَلا فَساداً﴾: ظلماً على النّـاس. قـال: «العـلوّ: الشّـرف، والفساد: البناء»[3]. و ورد: «نزلت في أهل العدل والتّواضع من الولاة، وأهل القدرة من سائر النّاس»[4]. و ورد: «إنّ الرّجل ليعجبه أن يكون شراك[5] نعله أجود من شراك نـعل صـاحبه، فيدخل تحت هذه الآية»[6]. ﴿وَالعاقِـبَةُ﴾ المحمودة ﴿لِلْمُـتَّقِـينَ﴾: من اتّقى ما لا يرضاه اللّه.

﴿مَنْ جاءَ بِالحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْها وَمَنْ جاءَ بِـالسَّـيِّئَةِ فَـلا يُـجْزَى الَّـذِينَ عَـمِلُوا

١ ـ القمّي ٢: ١٤٥.

٢ ـ القمّي ٢: ١٤٤.

٣ ـ القمّي ٢: ١٤٧، عن أبي عبد اللّه عليه السلام. وفيه: «والفساد: النساء» ولكن في المخطوط من القمّي كما أثبتناه.

٤ ـ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ٢٦٩، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

٥ ـ الشّراك: أحد سيور النعل الّتي يكون على وجهها توثق به الرجل، مجمع البحرين ٥: ٢٧٦ (شرك).

٦ ـ سعد السّعود (لابن طاووس): ٨٨، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

السَّيِّئاتِ إِلَّا ما كانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرادُّكَ إِلىٰ مَعادٍ﴾ أيّ معاد. قال: «يرجع إليكم نبيّكم وأمير المؤمنين والأئمّة عليهم السلام»[1]. ﴿قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جاءَ بِالْهُدىٰ وَمَنْ هُوَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾. يعني به نفسه والمشركين.

﴿وَما كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقىٰ إِلَيْكَ الْكِتابُ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾ ولكن ألقاه رحمة منه ﴿فَلا تَكُونَنَّ ظَهِيراً لِلْكافِرِينَ﴾ بمداراتهم. القمّي: قال: المخاطبة للنّبيّ والمعنيّ النّاس[2]. وكذا قال فيما بعده[3].

﴿وَلا يَصُدُّنَّكَ عَنْ آياتِ اللهِ بَعْدَ إِذْ أُنْزِلَتْ إِلَيْكَ وَادْعُ إِلىٰ رَبِّكَ وَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

﴿وَلا تَدْعُ مَعَ اللهِ إِلٰهاً آخَرَ لا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ قال: «دينه والوجه الّذي يؤتى منه»[4]. قال: «ونحن الوجه الّذي يؤتى منه، لم نزل في عباده»[5].

أقول: وذلك لأنّ الوجه ما يواجه به، والله سبحانه إنّما يواجه عباده ويخاطبهم بواسطة نبيّ أو وصيّ نبيّ.

وفي رواية: إنّ الضّمير في وجهه راجع إلى الشّيء[6].

أقول: وعلى هذا فمعناه: إنّ وجه الشّيء لا يهلك، وهو ما يقابل منه إلى اللّه، وهو روحه وحقيقته وملكوته ومحلّ معرفة اللّه منه، الّتي تبقى بعد فناء جسمه وشخصه، والمعنيان متقاربان ﴿لَهُ الْحُكْمُ﴾: القضاء النّافذ في الخلق ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.

١ـ القمّي ٢: ١٤٧، عن عليّ بن الحسين عليهما السلام.
٢ـ المصدر.
٣ـ المصدر، ذيل الآية: ٨٨.
٤ـ التّوحيد: ١٤٩، الباب: ١٢، الحديث: ١، عن أبي جعفر عليه السلام.
٥ـ المصدر: ١٥١، الباب: ١٢، الحديث: ٧، عن أبي عبد اللّه عليه السلام؛ القمّي ٢: ١٤٧، عن أبي جعفر عليه السلام.
٦ـ الدّرّ المنثور ٦: ٤٤٧.

سورة العنكبوت

[مكيّة ، وهي تسع وستّون آية][1]

بسم الله الرحمٰن الرحيم

﴿الٓمٓ﴾ .

﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا﴾: لقولهم ﴿آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ﴾: لا يختبرون . قال: «معنى يفتنون: يبتلون في أنفسهم وأموالهم»[2] . وفي رواية: «الفتنة في الدّين»[3] . و ورد: لمّا نزلت هذه الآية قال النّبيّ صلى الله عليه وآله: «لابدّ من فتنة تبتلى بها الأُمّة بعد نبيّها ، ليتبيّن الصّادق من الكاذب ، لأنّ الوحي قد انقطع ، وبقي السّيف وافتراق الكلمة إلى يوم القيامة»[4] .

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾: اختبرناهم ﴿فَلَيَعْلَمَنَّ اللّٰهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾: فليعلمنّهم في الوجود ممتحنين بعد علمه السّابق بأنّهم سيوجدون كذلك . وفي

١ ـ ما بين المعقوفتين من «ب» .

٢ ـ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ٢٧٢ ، عن أبي عبد الله عليه السلام .

٣ ـ الكافي ١: ٣٧٠ ، الحديث: ٤ ، عن الكاظم عليه السلام .

٤ ـ مجمع البيان ٣ ـ ٤: ٣١٥ ، ذيل الآية: ٦٥ من سورة الأنعام .

قراءتهم عليهم السّلام: «ليُعْلِمنّ»[1] في الموضعين، من الإعلام.

﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونا﴾: أن يفوتونا فلا نقدر أن نجازيهم على مساويهم ﴿ساءَ ما يَحْكُمُونَ﴾.

﴿مَنْ كانَ يَرْجُو لِقاءَ اللّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللّهِ لَآتٍ﴾ قال: «يعني من كان يؤمن بأنّه مبعوث، فإنّ وعد اللّه لآتٍ من الثّواب والعقاب. قال: فاللّقاء هاهنا ليس بالرّؤية، واللّقاء هو البعث»[2]. والقمّي: من أحبّ لقاء اللّه جاءه الأجل[3]. ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ﴾ لأقوال العباد ﴿العَلِيمُ﴾ بعقائدهم وأعمالهم.

﴿وَمَنْ جاهَدَ﴾ نفسه بالصّبر على مضض الطّاعة والكفّ عن الشّهوات ﴿فَإِنَّما يُجاهِدُ لِنَفْسِهِ﴾ لأنّ منفعته لها ﴿إِنَّ اللّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ العالَمِينَ﴾ فلا حاجة به إلى طاعتهم.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّالِحاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كانُوا يَعْمَلُونَ﴾: أحسن جزاء أعمالهم.

﴿وَوَصَّيْنا الإِنْسانَ بِوالِدَيْهِ حُسْناً وَإِنْ جاهَداكَ لِتُشْرِكَ بِي ما لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ بإلاهيّته. عبّر عن نفيها بنفي العلم بها، إشعاراً بأنّ ما لا يعلم صحّته لا يجوز اتّباعه وإن لم يعلم بطلانه، فضلاً عمّا علم بطلانه. ﴿فَلا تُطِعْهُما﴾ في ذلك، إذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ﴿إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّالِحاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصّالِحِينَ﴾.

﴿وَمِنَ النّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنّا بِاللّهِ فَإِذا أُوذِيَ فِي اللّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النّاسِ كَعَذابِ اللّهِ﴾ القمّي: إذا آذاه إنسان، أو أصابه ضرّ أو فاقة أو خوف من الظّالمين، دخل[4] معهم في دينهم، فرأى أنّ ما يفعلونه هو مثل عذاب اللّه الّذي لا ينقطع[5]. ﴿وَلَئِنْ جاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ﴾: فتح

---

١ ـ المصدر ٧ ـ ٨: ٢٧١، عن أمير المؤمنين، وعن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٢ ـ التّوحيد: ٢٦٧، الباب: ٣٦، ذيل الحديث الطّويل: ٥، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

٣ ـ القمّي ٢: ١٤٨.

٤ ـ في المصدر: «ليدخل».

٥ ـ القمّي ٢: ١٤٩.

وغنيمة ﴿لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ﴾ في الدِّين فأشركونا فيه ﴿أَوَ لَيْسَ اللّٰهُ بِأَعْلَمَ بِما فِي صُدُورِ العالَمِينَ﴾ من الإخلاص والنِّفاق.

﴿وَلَيَعْلَمَنَّ اللّٰهُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بقلوبهم ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ المُنافِقِينَ﴾.

﴿وَقالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنا وَلْنَحْمِلْ خَطاياكُمْ﴾. القمّي: كان الكفّار يقولون للمؤمنين: كونوا معنا، فإنّ الّذي تخافون أنتم ليس بشيء، فإن كان حقّاً نتحمّل نحن ذنوبكم، فيعذّبهم اللّه مرّتين؛ مرّة بذنوبهم ومرّة بذنوب غيرهم[١]. ﴿وَما هُمْ بِحامِلِينَ مِنْ خَطاياهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكاذِبُونَ﴾.

﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقالَهُمْ﴾: أثقال ما اقترفته أنفسهم ﴿وَأَثْقالاً مَعَ أَثْقالِهِمْ﴾: وأثقالاً آخر معها، لما تسبّبوا له بالإضلال والحمل على المعصية، من غير أن ينقص من أثقال مَنْ تَبِعَهم شيء ﴿وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ القِيامَةِ عَمّا كانُوا يَفْتَرُونَ﴾.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنا نُوحاً إِلىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلّا خَمْسِينَ عاماً﴾ قال: «لم يشاركه في نبوّته أحد»[٢]. وقال: «يدعوهم سرّاً وعلانية، فلمّا أبوا وعتوا قال: ربّ إنّي مغلوب فانتصر»[٣]. ﴿فَأَخَذَهُمُ الطُّوفانُ وَهُمْ ظالِمُونَ﴾.

﴿فَأَنْجَيْناهُ وَأَصْحابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْناها آيَةً لِلْعالَمِينَ﴾ يتّعظون ويستدلّون بها.

﴿وَإِبْراهِيمَ إِذْ قالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللّٰهَ وَاتَّقُوهُ ذٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ ممّا أنتم عليه ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

﴿إِنَّما تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللّٰهِ أَوْثاناً وَتَخْلُقُونَ إِفْكاً﴾: وتكذبون كذباً في تسميتها آلهة وادّعاء شفاعتها عند اللّه ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللّٰهِ لا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقاً فَابْتَغُوا عِنْدَ اللّٰهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.

١ـ القمّي ٢: ١٤٩.
٢ـ كمال الدّين ١: ٢١٥، الباب: ٢٢، ذيل الحديث الطّويل: ٢، عن أبي جعفر عليه السلام.
٣ـ الكافي ٨: ٢٨٣، ذيل الحديث: ٤٢٤، عن أبي جعفر عليه السلام.

﴿وَإِنْ تُكَذِّبُوا﴾ قيل: هي من جملة قصّة إبراهيم[1]. والقمّي: خطاب لهذه الأُمّة معترض في قصّة إبراهيم، وهو من المنقطع المعطوف[2].

أقول: الوجه فيه أنّ مساق قصّة إبراهيم لتسلية الرّسول، والتّنفيس عنه؛ بأنّ أباه خليل اللّه كان ممنوّاً[3] بنحو ما مني به من شرك القوم وتكذيبهم، وتشبيه حاله فيهم بتشبيه حال إبراهيم في قومه. ولذلك توسّط مخاطبتهم بين طرفي قصّته ﴿فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ الرّسل ﴿وَما عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا البَلاغُ المُبِينُ﴾.

﴿أَوَ لَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِيءُ اللّهُ الخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذٰلِكَ عَلَى اللّهِ يَسِيرٌ﴾.

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ﴾. خطابٌ لإبراهيم على الأوّل، ولنبيّنا على الثّاني.

﴿فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الخَلْقَ ثُمَّ اللّهُ يُنْشِيءُ النَّشْأَةَ الآخِرَةَ إِنَّ اللّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿يُعَذِّبُ مَنْ يَشاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ﴾: تردّون.

﴿وَما أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ ربّكم عن إدراككم ﴿فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّماءِ﴾ إن فررتم من قضائه بالتّواري في إحداهما ﴿وَما لَكُمْ مِنْ دُونِ اللّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ﴾.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآياتِ اللّهِ وَلِقائِهِ﴾ بالبعث ﴿أُولٰئِكَ يَئِسُوا مِنْ رَحْمَتِي وَأُولٰئِكَ لَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ﴾ بكفرهم.

﴿فَما كانَ جَوابَ قَوْمِهِ﴾: قوم إبراهيم له ﴿إِلَّا أَنْ قالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ﴾. كان ذلك قول بعضهم، لكن لمّا رضي به الباقون أُسند إلى كلّهم. ﴿فَأَنْجاهُ اللّهُ مِنَ النّارِ﴾ بأن جعلها عليه برداً وسلاماً ﴿إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآياتٍ﴾ هي حفظه من أذى النّار، وإخمادها مع عظمها في زمان يسير، وإنشاء روض مكانها ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿وَقالَ إِنَّما اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللّهِ أَوْثاناً مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ﴾ أي: لتتوادّوا بينكم،

١ ـ الكشّاف ٣: ٢٠١؛ البيضاوي ٤: ١٣٦.

٢ ـ القمّي ٢: ١٤٩، مع تفاوت يسير.

٣ ـ مَناهُ، يَمْنُوه: ابتلاه واختبره. القاموس المحيط ٤: ٣٩٤ (منو).

وتتواصلوا لاجتماعكم على عبادتها ﴿فِي الحَياةِ الدُّنْيا ثُمَّ يَوْمَ القِيامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ﴾ قال: يعني يتبرأ بعضكم من بعض»[١]. وقال: «الكفر في هذه الآية البراءة»[٢]. ﴿وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضاً وَمَأْواكُمُ النّارُ وَما لَكُمْ مِنْ ناصِرِينَ﴾.

﴿فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ وَقالَ﴾ إبراهيم ﴿إِنِّي مُهاجِرٌ إِلىٰ رَبِّي﴾ قيل: مهاجر من قومي إلى حيث أمرني ربّي[٣]. ﴿إِنَّهُ هُوَ العَزِيزُ﴾ الّذي يمنعني من أعدائي ﴿الحَكِيمُ﴾ الّذي لا يأمرني إلّا بما فيه صلاحي.

﴿وَوَهَبْنا لَهُ إِسْحٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالكِتابَ وَآتَيْناهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيا﴾ بإعطاء الولد في غير أوانه، والذّرّيّة الطّيّبة الّتي من جملتهم خاتم الأنبياء وسيّد المرسلين وأميرالمؤمنين وعترتهما الطّيّبين، واستمرار النّبوّة فيهم، وانتماء[٤] الملل إليه، والصّلاة والثّناء عليه إلى آخر الدّهر ﴿وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصّالِحِينَ﴾.

﴿وَلُوطاً إِذْ قالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الفاحِشَةَ ما سَبَقَكُمْ بِها مِنْ أَحَدٍ مِنَ العالَمِينَ﴾.

﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ﴾: تتعرّضون للسّابلة[٥] بالفاحشة والفضيحة، حتّى انقطعت الطّرق ﴿وَتَأْتُونَ فِي نادِيكُمُ﴾: في مجالسكم الغاصّة؛ ولا يقال النّادي إلّا لما فيه أهله ﴿المُنْكَرَ﴾. قال: «كانوا يتضارطون في مجالسهم في غير حشمة ولا حياء»[٦]. وفي رواية: «هو الخذف»[٧] أي: الرّمي بالحصا. ﴿فَما كانَ جَوابَ قَوْمِهِ إِلّا أَنْ

١ ـ الكافي ٢: ٣٩١، ذيل الحديث: ١، عن أبي عبد الله عليه السلام.

٢ ـ التّوحيد: ٢٦٠، الباب: ٣٦، ذيل الحديث: ٥، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

٣ ـ البيضاوي ٤: ١٣٧.

٤ ـ الانتماء: الانتساب. مجمع البحرين ١: ٤٢١.

٥ ـ السّابلة: الطريق المسلوك، والجمع: السّوابل. أقرب الموارد ١: ٤٩٢ (سبل).

٦ ـ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ٢٨٠، عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام، وفيه: «من غير حشمة ولا حياء».

٧ ـ التهذيب ٣: ٢٦٣، الحديث: ٧٤١، عن أبي عبدالله، عن آبائه، عن النّبيّ صلوات الله عليهم؛ عوالي اللئالي ←

قالُوا ٱئْتِنا بِعَذابِ اللّٰهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّادِقِينَ ﴾ .

﴿ قالَ رَبِّ ٱنْصُرْنِي عَلَى القَوْمِ المُفْسِدِينَ ﴾

﴿ وَلَمّا جاءَتْ رُسُلُنا إِبْراهِيمَ بِالْبُشْرىٰ ﴾: بالبشارة بالولد والنافلة[1] ﴿ قالُوا إِنّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هٰذِهِ القَرْيَةِ ﴾: قرية سَدوم[2] ﴿ إِنَّ أَهْلَها كانُوا ظالِمِينَ ﴾ .

﴿ قالَ إِنَّ فِيها لُوطاً قالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيها لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلّا ٱمْرَأَتَهُ كانَتْ مِنَ الغابِرِينَ ﴾: الباقين في العذاب .

﴿ وَلَمّا أَنْ جاءَتْ رُسُلُنا لُوطاً سِيءَ بِهِمْ ﴾: جاءته المساءة والغمّ بسببهم ﴿ وَضاقَ بِهِمْ ذَرْعاً ﴾: وضاق بشأنهم وتدبير أمرهم ذرعه ، أي: طاقته ﴿ وَقالُوا ﴾ لمّا رأوا فيه من أثر الضّجرة ﴿ لا تَخَفْ وَلا تَحْزَنْ إِنّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلّا ٱمْرَأَتَكَ كانَتْ مِنَ الغابِرِينَ ﴾ .

﴿ إِنّا مُنْزِلُونَ عَلىٰ أَهْلِ هٰذِهِ القَرْيَةِ رِجْزاً مِنَ السَّماءِ ﴾: عذاباً منها ﴿ بِما كانُوا يَفْسُقُونَ ﴾.

﴿ وَلَقَدْ تَرَكْنا مِنْها آيَةً بَيِّنَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ هي منزل لوط ، بقي عبرة للسيّارة .

﴿ وَإِلىٰ مَدْيَنَ أَخاهُمْ شُعَيْباً فَقالَ يا قَوْمِ ٱعْبُدُوا اللّٰهَ وَٱرْجُوا اليَوْمَ الآخِرَ ﴾ قيل: أي افعلوا ما ترجون به ثوابه[3] . وقيل: إنّه من الرّجاء ، بمعنى الخوف[4] . ﴿ وَلا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ .

← ١: ٣٢٧ ، الحديث: ٧٢ ، عن النّبيّ ﷺ .

١ ـ ويقال لولد الولد: نافلة ، لأنّه زيادةٌ على الولد . ومنه قوله تعالى في سورة الانبياء (٢١): ٧٢: «وَوَهَبْنا لَهُ إِسْحاقَ وَيَعْقُوبَ نافِلَةً» . فانّه دعي بإسحاق ، فاستجيب له ، وزيد يعقوب نافلةً ، تفضّل من اللّه وإن كان الكلّ بتفضّله . مجمع البحرين ٥: ٤٨٥ (نفل) .

٢ ـ سَدُوم ـ فعول من السَّدَم ، وهو النّدم مع غمّ ـ: بلدة من أعمال حلب معروفة عامرة عندهم ، وهي من مدائن قوم لوط ، وقاضيها يضرب به المَثَل فيقال: أجور من قاضي سدوم . معجم البلدان ٣: ٢٠٠ .

٣ ـ البيضاوي ٤: ١٣٨ .

٤ ـ المصدر ؛ الكشّاف ٣: ٢٠٥ .

﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ ﴾: الزّلزلة الشّديدة الّتي فيها الصّيحة ﴿ فَأَصْبَحُوا فِي دارِهِمْ جاثِمِينَ ﴾: باركين على الرُّكَبِ ميّتين .

﴿ وَعاداً وَثَمُودَاْ ﴾ أي: واذكرهما ، أو وأهلكنا ﴿ وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَساكِنِهِمْ ﴾: بعض مساكنهم إذا نظرتم إليها عند مروركم بها ﴿ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطانُ أَعْمالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكانُوا مُسْتَبْصِرِينَ ﴾: متمكّنين من النّظر والاستبصار ، ولكنّهم لم يفعلوا .

﴿ وَقارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهامانَ وَلَقَدْ جاءَهُمْ مُوسىٰ بِالْبَيِّناتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَما كانُوا سابِقِينَ ﴾: فائتين ، بل أدركهم أمر اللّه .

﴿ فَكُلاًّ أَخَذْنا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنا عَلَيْهِ حاصِباً ﴾ كقوم لوط ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ ﴾ كمدين وثمود ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنا بِهِ الْأَرْضَ ﴾ كقارون ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنا ﴾ كفرعون وقومه ، وقوم نوح ﴿ وَما كانَ اللّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلٰكِنْ كانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ بالتّعريض للعذاب .

﴿ مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللّهِ أَوْلِياءَ ﴾ فيما اتّخذوه معتمداً ومتّكلاً ﴿ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتاً ﴾ فيما نسجه ، في الوهن والخور[1] ﴿ وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كانُوا يَعْلَمُونَ ﴾: يرجعون إلى علم ، لعلموا أنّ هذا مثلهم .

﴿ إِنَّ اللّهَ يَعْلَمُ ما يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ .

﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثالُ ﴾ يعني هذا المَثَل ونظائره ﴿ نَضْرِبُها لِلنّاسِ ﴾ تقريباً لما بَعُدَ من أفهامهم ﴿ وَما يَعْقِلُها إِلاَّ الْعالِمُونَ ﴾ الّذين يتدبّرون الأشياء على ما ينبغي .

ورد: إنّ النّبيّ صلى الله عليه وآله تلا هذه الآية فقال: «العالم الّذي عقل عن اللّه[2] ، فعمل بطاعته ،

١ ـ الخور: الضّعف . الصّحاح ٢: ٦٥١ (خور) .

٢ ـ عقل عن اللّه ، أي: عرف عنه ، كأنّ أخذ العلم من كتاب اللّه وسنّة نبيّه صلى الله عليه وآله . وأيضاً عقل عن اللّه ، أي: اعتزل عن أهل الدّنيا . مجمع البحرين ٥: ٤٢٦ ـ ٤٢٧ (عقل) .

واجتنب سخطه»[١] .

﴿خَلَقَ اللّٰهُ السَّمٰواتِ وَالأَرْضَ بِالحَقِّ إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ .

﴿أُتْلُ ما أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الكِتابِ﴾ تقرّباً إلى اللّه بقراءته ، وتحفّظاً لألفاظه ، واستكشافاً لمعانيه ﴿وَأَقِمِ الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهىٰ عَنِ الفَحْشاءِ وَالمُنْكَرِ﴾ .

قال: «الصّلاة حُجْزَة[٢] اللّه ، وذلك أنّها تحجز المصلّي عن المعاصي مادام في صلاته ، ثمّ تلا هذه الآية»[٣] .

وروي: إنّ فتى من الأنصار كان يصلّي الصّلوات[٤] مع رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله ويرتكب الفواحش ، فوصف ذلك لرسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله فقال: «انّ صلاته تنهاه يوماً[٥]»[٦] فلم يلبث أن تاب .

﴿وَلَذِكْرُ اللّٰهِ أَكْبَرُ﴾ . قال: «يقول: ذكر اللّه لأهل الصّلاة أكبر من ذكرهم إيّاه ، ألا ترى أنّ يقول: "أُذكُروني أذكُركُمْ"»[٧] .

وفي رواية قال: «ذكر اللّه عند ما أحلّ وحرّم»[٨] .

وورد في التأويل: «الصّلاة تتكلّم ولها صورة وخلق ، تأمر وتنهى ، والنّهي كلام ، والفحشاء والمنكر رجال ، ونحن ذكر اللّه ونحن أكبر»[٩] .

١ ـ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ٢٨٤ .

٢ ـ حَجَزَ يَحْجُزُه حَجْزاً ، أي: منعه . والحُجْزَة: استعير للتمسّك والاعتصام أو الهداية . مجمع البحرين ٤: ١٤ ـ ١٥ (حجز) .

٣ ـ التّوحيد: ١٦٦ ، الباب: ٢٣ ، الحديث: ٤ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .

٤ ـ في «ب»: «الصّلاة» .

٥ ـ في مجمع البيان والصّافي ٤: ١١٨: «إنّ صلاته تنهاه يوماً مّا» .

٦ ـ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ٢٨٥ ؛ الكشّاف ٣: ٢٠٧ ؛ البيضاوي ٤: ١٣٩ .

٧ ـ القمّي ٢: ١٥٠ . والآية في سورة البقرة (٢): ١٥٢ ، ونصّ الآية هكذا: «فاذكُروني أذكُركُم» .

٨ ـ الكافي ٢: ٨٠ ، الحديث: ٤ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .

٩ ـ الكافي ٢: ٥٩٨ ، ذيل الحديث الطّويل: ١ ، عن أبي جعفر عليه السلام . وراجع في تفسير الحديث: مرآة العقول ١٢: ←

﴿وَاللّٰهُ يَعْلَمُ ما تَصْنَعُونَ﴾ .

﴿وَلا تُجادِلُوا أَهْلَ الكِتابِ إِلّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ . قد مضى تفسيره في سورة النّحل[1] . ﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ بالإفراط في الاعتداء ﴿وَقُولُوا آمَنّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلٰهُنا وَإِلٰهُكُمْ واحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ . هو من المجادلة بالّتي هي أحسن .

روي أنّه صلى الله عليه وآله قال: «لا تصدّقوا أهل الكتاب ولا تكذّبوهم ، وقولوا: آمنّا بالله وبكتبه ورسله ، فإن قالوا باطلاً لم تصدّقوهم ، وإن قالوا حقّاً لم تكذّبوهم»[2] .

﴿وَكَذٰلِكَ أَنْزَلْنا إِلَيْكَ الكِتابَ فَالَّذِينَ آتَيْناهُمُ الكِتابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمِنْ هٰؤُلاءِ﴾ يعني أهل الإيمان من أهل القبلة ﴿مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ﴾: بالقرآن ﴿وَما يَجْحَدُ بِآياتِنا إِلَّا الكافِرُونَ﴾ .

﴿وَما كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتابٍ وَلا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ﴾ ذكر اليمين زيادة تصوير للمنفيّ ، ونفي للتّجوّز في الإسناد ﴿إِذاً لَارْتابَ المُبْطِلُونَ﴾ أي: لو كنت ممّن يخطّ ويقرأ لقالوا: لعلّه أو التقطه من كتب الأقدمين .

القمّي: هذه الآية معطوفة على قوله في سورة الفرقان[3]: "اكْتَتَبَها فَهِيَ تُمْلىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً"[4] .

﴿بَلْ هُوَ آياتٌ بَيِّناتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ﴾ قال: «هم الأئمّة»[5] . ﴿وَما يَجْحَدُ بِآياتِنا إِلَّا الظّالِمُونَ﴾ .

← ٤٧٧ .

١ ـ ذيل الآية: ١٢٥ .

٢ ـ الكشّاف ٣: ٢٠٨ ؛ البيضاوي ٤: ١٤٠ ؛ الدّرّ المنثور ٦: ٤٦٩ ، عن النبيّ صلى الله عليه وآله .

٣ ـ الفرقان (٢٥): ٥ .

٤ ـ القمّي ٢: ١٥١ .

٥ ـ الكافي ١: ٢١٤ ، الحديث: ٢ ، عن أبي عبد الله عليه السلام .

﴿وَقالُوا لَوْلا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آياتٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ مثل ناقة صالح، وعصا موسى، ومائدة عيسى ﴿قُلْ إِنَّما الآياتُ عِنْدَ اللهِ﴾ ينزلها كما يشاء، لست أملكها فآتيكم بما تقترحونه. ﴿وَإِنَّما أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾.

﴿أَوَ لَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنا عَلَيْكَ الكِتابَ يُتْلىٰ عَلَيْهِمْ﴾: يدوم تلاوته عليهم ﴿إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾: وتذكرة لمن همّه الإيمان دون التّعنّت.

روي «إنّ أُناساً من المسلمين أتوا رسول الله ﷺ بكتف كتب فيها بعض ما يقوله اليهود، فقال: كفى بها ضلالة قوم أن يرغبوا عمّا جاء به نبيّهم، إلى ما جاء به غير نبيّهم. فنزلت»[1].

﴿قُلْ كَفىٰ بِاللهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيداً﴾ بصدقي وقد صدّقني بالمعجزات.

﴿يَعْلَمُ ما فِي السَّمٰواتِ وَالأَرْضِ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالباطِلِ وَكَفَرُوا بِاللهِ أُولٰئِكَ هُمُ الخاسِرُونَ﴾.

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالعَذابِ وَلَوْلا أَجَلٌ مُسَمًّى﴾ لكلّ عذاب وقوم ﴿لَجاءَهُمُ العَذابُ﴾ عاجلاً ﴿وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ﴾.

﴿يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالعَذابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالكافِرِينَ﴾ لإحاطة أسبابها بهم.

﴿يَوْمَ يَغْشاهُمُ العَذابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا ما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

﴿يا عِبادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي واسِعَةٌ فَإِيّايَ فَاعْبُدُونِ﴾ أي: إذا لم يتيسّر لكم العبادة في بلدة، فهاجروا إلى حيث يتمشّى لكم ذلك.

قال: «يقول: لا تطيعوا أهل الفسق من الملوك، فإن خفتموهم أن يفتنوكم عن دينكم، فإنّ أرضي واسعة، هو يقول: "فيمَ كُنتُم قالوا كُنّا مُستَضعفين في الأرض" فقال: "ألم تكن

١ ـ البيضاوي ٤: ١٤٠.

أرضُ اللّه واسعةٌ فتهاجِروا فيها[1]»[2].

و ورد: «إذا عُصي اللّه في أرضٍ أنت بها[3] فاخرج منها إلى غيرها»[4].

وقال: «من فرّ بدينه من أرض إلى أرض، وإن كان شبراً، استوجب بها الجنّة، وكان رفيق إبراهيم ومحمّد عليهما السلام»[5].

﴿كُلُّ نَفسٍ ذائِقَةُ المَوْتِ ثُمَّ إلَيْنا تُرْجَعُونَ﴾.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّالِحاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ﴾: لننزّلنّهم ﴿مِنَ الجَنَّةِ غُرَفاً تَجْرِي مِنْ تَحْتِها الأنْهارُ خالِدِينَ فِيها نِعْمَ أجْرُ العامِلِينَ﴾.

﴿الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ على المِحَن والمَشاقّ ﴿وَعَلىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾.

﴿وَكَأيِّنْ مِنْ دابَّةٍ لا تَحْمِلُ رِزْقَها اَللّهُ يَرْزُقُها وَإيّاكُمْ﴾. القمّي: كانت العرب يقتلون أولادهم مخافة الجوع، فقال اللّه تعالى: "اللّه يرزقها وإيّاكم"[6]. وقيل: لمّا أُمروا بالهجرة قال بعضهم: كيف نقدم بلدة ليس لنا فيها معيشة؟! فنزلت[7]. ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ﴾ لقولكم وبضميركم.

﴿وَلَئِنْ سَألْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمٰواتِ وَالأرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللّهُ فَأنّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ عن توحيده بعد إقرارهم بذلك بالفطرة.

﴿اللّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ﴾ على التّعاقب، أو لمن يشاء

١ ـ النّساء (٤): ٩٧.
٢ ـ القمّي ٢: ١٥١، عن أبي جعفر عليه السلام.
٣ ـ في المصدر: «أنت فيها».
٤ ـ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ٢٩١، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.
٥ ـ جوامع الجامع: ٣٥٥، عن النّبيّ صلّى اللّه عليه وآله.
٦ ـ القمّي ٢: ١٥١.
٧ ـ الكشّاف ٣: ٢١١؛ البيضاوي ٤: ١٤١.

لإبهامه[١] ﴿إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيءٍ عَلِيمٌ﴾.

﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَحْيا بِهِ الأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِها لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ﴾ فيتناقضون حيث يقرّون بأنّه خالق كلّ شيء، ثمّ إنّهم يشركون به الأصنام.

﴿وَما هٰذِهِ الحَياةُ الدُّنْيا إِلّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ﴾: إلّا كما يلهو ويلعب به الصّبيان، يجتمعون عليه ويتبهّجون به ساعة، ثمّ يتفرّقون متعبين ﴿وَإِنَّ الدّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الحَيَوانُ﴾ لهي دار الحياة الحقيقيّة، لامتناع طريان الموت عليها. وفي لفظة «الحيوان» من المبالغة ما ليس في لفظة «الحياة»؛ لبناء فَعَلان على الحركة، والاضطراب اللّازم للحياة. ﴿لَوْ كانُوا يَعْلَمُونَ﴾ لم يؤثروا عليها الدّنيا الّتي حياتها عارضة سريعة الزّوال.

﴿فَإِذا رَكِبُوا فِي الفُلْكِ﴾ على ما هم من الشّرك ﴿دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾: في صورة من أخلص دينه من المؤمنين، حيث لا يذكرون إلّا اللّه ولا يدعون سواه، لعلمهم بأنّه لا يكشف الشّدائد إلّا هو. ﴿فَلَمّا نَجّاهُمْ إِلَى البَرِّ إِذا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾: فاجأوا المعاودة إلى الشّرك.

﴿لِيَكْفُرُوا بِما آتَيْناهُمْ﴾: لكي يكونوا كافرين بشركهم نعمة النّجاة ﴿وَلِيَتَمَتَّعُوا﴾ باجتماعهم على عبادة الأصنام وتوادّهم عليها ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ عاقبة ذلك حين يعاقبون.

﴿أَوَ لَمْ يَرَوْا﴾ يعني أهل مكّة ﴿أَنّا جَعَلْنا﴾ لهم ﴿حَرَماً آمِناً﴾ أي: جعلنا بلدهم مصوناً عن النّهب والتّعدّي، آمناً أهله عن القتل والسّبي ﴿وَيُتَخَطَّفُ النّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾: يختلسون قتلاً وسبياً إذ كانت[٢] العرب حوله في تغاور وتناهب ﴿أَفَبِالباطِلِ﴾: أبعد هذه

١ ـ يعني يحتمل أن يكون الموسّع له والمضيّق عليه واحداً، على أنّ البسط والقبض على التّعاقب، وأن لا يكون على وضع الضمير موضع «من يشاء» وإبهامه؛ لأنّ «من يشاء» مبهم. البيضاوي ٤: ١٤١.

٢ ـ في «ألف» و«ب»: «إذا كانت».

النّعمة الظّاهرة وغيرها ممّا لا يقدر عليه إلّا اللّه، بالصّنم أو الشّيطان ﴿يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ﴾ حيث أشركوا به غيره.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِباً﴾ بأن زعم أنّ له شريكاً ﴿أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوىً لِلْكافِرِينَ﴾.

﴿وَالَّذِينَ جاهَدُوا فِينا﴾: في حقّنا؛ يشمل جهاد الأعداء الظّاهرة والباطنة ﴿لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنا﴾: سبل السّير إلينا والوصول إلى جنابنا.

ورد: «من عمل بما علم ورّثه اللّه علم ما لم يعلم»[1].

﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ بالنّصر والإعانة. ورد: «هذه الآية لآل محمّد عليهم السلام وأشياعهم»[2].

١ ـ محجّة البيضاء ١: ١٤٨؛ و ٥: ٤٣، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله؛ البيضاوي ٤: ١٤٢.

٢ ـ القمّي ٢: ١٥١، عن أبي جعفر عليه السلام، وفيه: «ولأشياعهم».

سورة الرّوم

[مكيّة، وهي ستّون آية][1]

بسم الله الرحمٰن الرحيم

﴿الٓمٓ﴾.

﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ﴾. قال: «يعني غلبتها فارس»[2].

﴿فِي أَدْنَى الأَرْضِ﴾ قيل: أي: أدنى أرض العرب منهم، أو أدنى أرضهم من العرب[3]. قال: «وهي الشّامات وما حولها»[4]. ﴿وَهُمْ﴾ قال: «يعني وفارس»[5]. ﴿مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ﴾ الرومَ ﴿سَيَغْلِبُونَ﴾.

﴿فِي بِضْعِ سِنِينَ﴾ قال: «يعني يغلبهم المسلمون»[6].

أقول: وهو ما وقع في زمن عمر؛ وهذا على قراءة "سَيُغْلَبُونَ" بضمّ الباء. وعلى قراءة الفتح، قيل ظهرت الرّوم على فارس يوم الحديبيّة[7].

١ـ ما بين المعقوفتين من «ب».

٢ـ الكافي ٨: ٢٦٩، الحديث: ٣٩٧، عن أبي جعفر عليه السلام.

٣ـ الكشّاف ٣: ٢١٣؛ البيضاوي ٤: ١٤٢.

٤، ٥ و ٦ـ الكافي ٨: ٢٦٩، الحديث: ٣٩٧، عن أبي جعفر عليه السلام.

٧ـ الكشّاف ٣: ٢١٤؛ البيضاوي ٤: ١٤٣.

﴿ لِلّٰهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ ﴾ قال: «له الأمر من قبل أن يأمر به، وله الأمر من بعد أن يأمر به، يقضي بما يشاء»[١]. ﴿ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴾.

﴿ بِنَصْرِ اللّٰهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾.

قال: «إنّ لها تأويلاً لا يعلمه إلّا الرّاسخون في العلم من آل محمّد صلّى الله عليه وآله. إنّ رسول الله لمّا هاجر إلى المدينة وأظهر الإسلام، كتب إلى مَلِكِ الرّوم كتاباً وبعث به مع رسول يدعوه إلى الإسلام، وكتب إلى ملك فارس كتاباً يدعوه إلى الإسلام وبعثه إليه مع رسوله. فأمّا مَلِكُ الرّوم فعظّمَ كتابَ رسول الله وأكرم رسوله. وأمّا مَلِكُ فارس فإنّه استخفّ بكتاب رسول الله ومزّقه واستخفّ برسوله. وكان مَلِكُ فارس يومئذ يقاتل مَلِكَ الرّوم. وكان المسلمون يهوون أن يغلب مَلِكُ الرّوم مَلِكَ فارس، وكانوا لناحيته أرجى منهم لِمَلِكِ فارس. فلمّا غلب ملك فارس ملك الرّوم كره ذلك المسلمون واغتمّوا به، فأنزل الله عزّوجلّ بذلك كتاباً، ثمّ فسّر الآية كما ذكر أوّلاً. قال: فلمّا غزا المسلمون فارسَ وافتتحوها، فرح المسلمون بنصر الله عزّوجلّ. قيل: أليس الله يقول "في بِضعِ سنينَ" وقد مضى للمؤمنين سنون كثيرة مع رسول الله صلّى الله عليه وآله وفي إمارة أبي بكر، وإنّما غلب المسلمون فارس في إمارة عمر، فقال: ألم أقل لك: إنّ لهذا تأويلاً وتفسيراً والقرآن ناسخ ومنسوخ، أما تسمع لقول الله: "لله الأمر من قبل ومن بعد" يعني إليه المشيّة في القول، أن يؤخّر ما قدّم ويقدّم ما أخّر في القول إلى يوم تحتم[٢] القضاء بنزول النّصر فيه على المؤمنين، وذلك قوله عزّوجلّ: "ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله" أي: يوم تحتم القضاء بالنّصر»[٣].

وفي رواية: «إنّ بني أُميّة ليسوا من قريش وإنّ أصلهم من الرّوم، وفيهم تأويل هذه الآية، يعني إنّهم غلبوا على المُلْك وسيغلبهم على ذلك بنو العبّاس»[٤].

١ ـ الخرائج والجرائح ٢: ٦٨٦، الحديث: ٨، عن حسن بن عليّ العسكريّ عليه السلام.

٢ ـ في المصدر و«ألف»: «يحتم القضاء» في الموضعين.

٣ ـ الكافي ٨: ٢٦٩، الحديث: ٣٩٧، عن أبي جعفر عليه السلام، مع تفاوت يسير في ابتداء الحديث.

٤ ـ الاستغاثة (لأبي القاسم الكوفي): ٧٤، قال: لقد روينا من طريق علماء أهل البيت عليهم السلام.

أقول: وهذا على قراءة "غُلِبَتْ" بالفتح، و"سَيُغْلَبُونَ" بالضمّ، كما وردت في الشّواذ[1].

﴿وَعْدَ اللّٰهِ لا يُخْلِفُ اللّٰهُ وَعْدَهُ وَلٰكِنَّ أَكْثَرَ النّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾.

﴿يَعْلَمُونَ ظاهِراً مِنَ الحَياةِ الدُّنْيا﴾ قال: «منه الزّجر[2] والنّجوم»[3]. ﴿وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غافِلُونَ﴾. القمّي: يرون حاضرَ الدّنيا ويتغافلون عن الآخرة[4].

﴿أَوَ لَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ﴾ فإنّها أقرب إليهم من غيرها، ومرآة يجتلي للمستبصر ما يجتلي له في سائر المخلوقات، ليتحقّق لهم قدرة مبدعها على إعادتها قدرته على إبدائها. ﴿ما خَلَقَ اللّٰهُ السَّماواتِ وَالأَرْضَ وَما بَيْنَهُما إِلّا بِالحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمّىً﴾ تنتهي عنده ولا تبقى بعده ﴿وَإِنَّ كَثِيراً مِنَ النّاسِ بِلِقاءِ رَبِّهِمْ لَكافِرُونَ﴾: جاحدون، يحسبون أنّ الدّنيا أبديّة وأنّ الآخرة لا تكون.

﴿أَوَ لَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ﴾ قال: «أو لم ينظروا في القرآن»[5]. ﴿فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ كعاد وثمود ﴿وَأَثارُوا الأَرْضَ﴾: وقلّبوا وجهها لاستنباط المياه، واستخراج المعادن، وزرع البذور وغيرها ﴿وَعَمَرُوها﴾: وعمروا الأرض ﴿أَكْثَرَ مِمّا عَمَرُوها﴾: من عمارة أهل مكّة إيّاها، فإنّهم أهل واد غير ذي زرع لا تبسط لهم في غيرها. وفيه تهكّم بهم، من حيث أنّهم مغترّون بالدّنيا مفتخرون بها، وهم أضعف حالاً فيها. ﴿وَجاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالبَيِّناتِ﴾: بالآيات الواضحات ﴿فَما كانَ اللّٰهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلٰكِنْ كانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾.

١ ـ البيضاوي ٤: ١٤٣؛ الكشّاف ٣: ٢١٤.

٢ ـ الزّجر: التيمّن والتشاؤم بالطير والتفاؤل بطيرانها، وهو نوع من الكهانة والعيافة. قيل: إنّما سمّي الكاهن زاجراً؛ لأنّه إذا رأى ما يظنّ أنّه يتشاءم به زجر بالنهي عن المضيّ في تلك الحاجة برفع صوت وشدّة.

٣ ـ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ٢٩٥، عن أبي عبد الله عليه السلام.

٤ ـ القمّي ٢: ١٥٣.

٥ ـ الخصال ٢: ٣٩٦، الحديث: ١٠٢، عن أبي عبد الله عليه السلام.

﴿ثُمَّ كانَ عاقِبَةَ الَّذِينَ أَساؤُوا السُّوأىٰ﴾. هي تأنيث «أسوأ»[1] أو مصدر. ﴿أَنْ كَذَّبُوا بِآياتِ اللّٰهِ﴾ علّة أو بدل أو خبر كان. ﴿وَكانُوا بِها يَسْتَهْزِءُونَ﴾.

﴿اللّٰهُ يَبْدَأُ الخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾: ينشئهم ثمّ يبعثهم ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ للجزاء.

﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السّاعَةُ يُبْلِسُ المُجْرِمُونَ﴾ يسكتون[2] متحيّرين آيسين.

﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنْ شُرَكائِهِمْ﴾ ممّن أشركوهم باللّه ﴿شُفَعاؤُا﴾ يجيرونهم من عذاب اللّه ﴿وَكانُوا بِشُرَكائِهِمْ كافِرِينَ﴾.

﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ﴾ القمّي: إلى الجنّة والنّار[3].

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّالِحاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ﴾ القمّي: أي: يُكْرَمُونَ[4]؛ وأصله: السّرور.

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآياتِنا وَلِقاءِ الآخِرَةِ فَأُولٰئِكَ فِي العَذابِ مُحْضَرُونَ﴾.

﴿فَسُبْحانَ اللّٰهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾.

﴿وَلَهُ الحَمْدُ فِي السَّمٰواتِ وَالأَرْضِ وَعَشِيّاً وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾ قيل: إخبار في معنى الأمر بتنزيه اللّه تعالى والثّناء عليه، في هذه الأوقات الّتي تظهر فيها قدرته، وتتجدّد فيها نعمته. والآية جامعة للصّلوات الخمس؛ تمسون صلاة المغرب والعشاء، وتصبحون صلاة الفجر، وعشيّاً صلاة العصر، وتظهرون صلاة الظّهر[5].

﴿يُخْرِجُ الحَيَّ مِنَ المَيِّتِ وَيُخْرِجُ المَيِّتَ مِنَ الحَيِّ﴾ قال: «يخرج المؤمن من الكافر، ويخرج الكافر من المؤمن»[6]. ﴿وَيُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها﴾ قال: «ليس يحييها

١ ـ كما أنّ الحسنى تأنيث الأحسن.

٢ ـ في «ب»: «يسكنون». وفي الكشّاف ٣: ٢١٦: «الإبلاس، أي: يبقى بائساً ساكناً متحيّراً. وقرئ "يُبْلَسُ" بفتح اللّام ـ من أبلسه إذا أسكته».

٣ و ٤ ـ القمّي ٢: ١٥٣.

٥ ـ البيضاوي ٤: ١٤٤.

٦ ـ مجمع البيان ١ ـ ٢: ٤٢٨، ذيل الآية: ٢٧ من سورة الأنعام، عن الباقر والصادق عليهما السلام. وفي الكافي ٢: ٥، ←

بالقطر، ولكن يبعث اللّه رجالاً فيحيون العدل، فتحيا الأرض لإحياء العدل، ولإقامة حدّ فيه أنفع في الأرض من القطر أربعين صباحاً»[1]. ﴿وَكَذٰلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ من قبوركم.

﴿وَمِنْ آياتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرابٍ ثُمَّ إِذا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ﴾.

﴿وَمِنْ آياتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْواجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْها﴾: لتألفوا بها ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

﴿وَمِنْ آياتِهِ خَلْقُ السَّمٰواتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوانِكُمْ إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآياتٍ لِلْعالِمِينَ﴾.

ورد: «الإمام إذا أبصر الرّجل[2] عرفه وعرف لونه، وإن سمع كلامه من خلف حائط عرفه وعرف ما هو، إنّ اللّه يقول: "وَمِنْ آياتِهِ" إلى قوله "للعالِمين" قال: وهم العلماء، فليس يسمع شيئاً من الأمر ينطق به إلّا عرفه ناجٍ أو هالك، فلذلك يجيبهم بالّذي يجيبهم»[3].

﴿وَمِنْ آياتِهِ مَنامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهارِ وَابْتِغاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾: منامكم في الزّمانين لاستراحة البدن وطلب معايشكم فيهما، أو منامكم باللّيل وابتغاؤكم بالنّهار، فلفّ وضمّ بين الزّمانَيْن والفعلَيْن بعاطفَيْن؛ إشعاراً بأنّ كلّاً من الزّمانين وإن اختصّ بأحدهما فهو صالح للآخر عند الحاجة، ويؤيّده سائر الآيات الواردة فيه[4]. ﴿إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ سماع تفهّم واستبصار.

﴿وَمِنْ آياتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفاً﴾ من الصّاعقة وللمسافر ﴿وَطَمَعاً﴾ في الغيث وللمقيم ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّماءِ ماءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ

← الحديث: ٧، عن أبي عبد اللّه عليه السلام، ما يقرب منه.

١ ـ الكافي ٧: ١٧٤، الحديث: ٢، عن الكاظم عليه السلام، مع تفاوت يسير.

٢ ـ في المصدر: «الإمام إذا أبصر إلى الرجل».

٣ ـ الكافي ١: ٤٣٩، الحديث: ٣، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٤ ـ القصص (٢٨): ٧٣.

يَعْقِلُونَ﴾.

﴿وَمِنْ آياتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّماءُ وَالأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذا دَعاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الأَرْضِ إِذا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ﴾: ثمّ خروجكم من القبور بغتة إذا دعاكم من الأرض دعوة واحدة بلا توقّف.

﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمٰواتِ وَالأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قانِتُونَ﴾: منقادون لفعله فيهم، لا يمتنعون عليه.

﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ بالإضافة إلى قدركم، والقياس على أُصولكم، وإلّا فهما عليه سواء ﴿وَلَهُ المَثَلُ الأَعْلىٰ﴾: الوصف العجيب، الشّأن الّذي ليس لغيره ما يساويه أو يدانيه. قال: «الّذي لا يُشْبِهُهُ شيء ولا يُوصَفُ ولا يُتَوَهَّمُ، فذلك المثل الأعلى»[1]. ﴿فِي السَّمٰواتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ﴾.

﴿ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلاً مِنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِنْ ما مَلَكَتْ أَيْمانُكُمْ مِنْ شُرَكاءَ فِي ما رَزَقْناكُمْ﴾ من الأموال وغيرها ﴿فَأَنْتُمْ فِيهِ سَواءٌ﴾: فتكونون[2] أنتم وهم فيه سواء، يتصرّفون فيه كتصرّفكم مع أنّهم بشر مثلكم، وأنّها معادة لكم ﴿تَخافُونَهُمْ﴾ أن تستبدّوا[3] بتصرّف فيه ﴿كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾: كما يخاف الأحرار بعضهم من بعض ﴿كَذٰلِكَ نُفَصِّلُ الآياتِ﴾: نبيّنها، فإنّ التّمثيل ممّا يكشف المعاني ويوضحها ﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾: يستعملون عقولهم في تدبّر الأمثال.

القمّي في سبب نزولها ما ملخّصه: إنّ إبليس جاء قريشاً في صورة شيخ وقال لهم: هكذا تلبية أسلافكم إذا حجّوا: لبّيك اللّهمّ لبّيك، لا شريك لك إلّا شريك هو لك، تملكه ولا يملكك. فرضوا بذلك، وكانوا يلبّون بها، فلمّا بعث الله رسوله أنكر ذلك عليهم وقال: هذا

١ ـ التّوحيد: ٣٢٤، الباب: ٥٠، الحديث: ١، عن أبي عبد الله عليه السلام.

٢ ـ في «ألف»: «فتكون».

٣ ـ في «ألف»: «أن يستبدّوا».

شرك ، فنزلت[١] .

﴿بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ .

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً﴾ . قال: «أمره أن يقيم وجهه للقبلة[٢] ، ليس فيه شيء من عبادة الأوثان»[٣] . وفي رواية قال: «يقيم للصّلاة لايلتفت يميناً ولا شمالاً»[٤] .

﴿فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ قال: «هي الإسلام ، فطرهم اللّه حين أخذ ميثاقهم على التّوحيد ، قال "أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ"[٥] ، وفيهم[٦] المؤمن والكافر»[٧] .

وفي رواية قال: «هو لا إله إلّا اللّه ومحمّد رسول اللّه وعليّ وليّ اللّه إلى هاهنا التّوحيد»[٨] .

وفي أُخرى: «لا يعرفون إيماناً بشريعة ولا كفراً بجحود»[٩] .

وفي أُخرى: «فطرهم على المعرفة به»[١٠] .

وفي لفظ آخر: «فطرهم على التّوحيد عند الميثاق على معرفة أنّه ربّهم . قال: لولا ذلك لم يعلموا مَنْ ربّهم ، ولا مَنْ رازقهم»[١١] .

١ ـ القمّي ٢: ١٥٤ ، مع تفاوت يسير .
٢ ـ في المصدر زيادة: «خالصاً مخلصاً» .
٣ ـ التّهذيب ٢: ٤٣ ، ذيل الحديث: ١٣٣ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .
٤ ـ القمّي ٢: ١٥٥ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام ، وفيه: «قم للصّلاة . لا تلتفت يميناً ولا شمالاً» .
٥ ـ الأعراف (٧): ١٧٢ .
٦ ـ في المصدر: «فيه» .
٧ ـ الكافي ٢: ١٢ ، الحديث: ٢ ؛ التوحيد: ٣٢٩ ، الباب: ٥٢ ، الحديث: ٣ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .
٨ ـ القمّي ٢: ١٥٥ ، عن عليّ بن موسى الرّضا عليه السلام .
٩ ـ الكافي ٢: ٤١٧ ، ذيل الحديث: ١ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .
١٠ ـ المصدر: ١٣ ، ذيل الحديث: ٣ ؛ التّوحيد: ٣٣٠ ، الباب: ٥٣ ، الحديث: ٩ ، عن أبي جعفر عليه السلام .
١١ ـ التّوحيد: ٣٣٠ ، الباب: ٥٣ ، الحديث: ٨ ، عن أبي جعفر عليه السلام .

﴿لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾: لا يقدر أحد أن يغيّره ﴿ذٰلِكَ الدِّينُ القَيِّمُ﴾: المستوي الّذي لا عوج له ﴿وَلٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾.

﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ﴾: راجعين إليه مرّة بعد أُخرى، متعلّق بـ «أقم»؛ وأُتي بالجمع لدخول الأُمّة في الخطاب معنىً. ﴿وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَلا تَكُونُوا مِنَ المُشْرِكِينَ﴾.

﴿مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ﴾: اختلفوا فيه على اختلاف أهوائهم ﴿وَكانُوا شِيَعاً﴾: فرقاً، تشايع كلّ إمامها الّذي أضلّ دينها ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِما لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾: مسرورون، ظنّاً بأنّه الحقّ.

﴿وَإِذا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ﴾: شدّة ﴿دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذا أَذاقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً﴾: خلاصاً من تلك الشّدّة ﴿إِذا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾.

﴿لِيَكْفُرُوا بِما آتَيْناهُمْ﴾. اللّام فيه للعاقبة. ﴿فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾.

﴿أَمْ أَنْزَلْنا عَلَيْهِمْ سُلْطاناً﴾: حجّة أو ذا سلطان، أي: مَنْ معه برهان ﴿فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِما كانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ﴾.

﴿وَإِذا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً﴾: نعمة من صحّة وسعة ﴿فَرِحُوا بِها﴾: بطروا بسببها ﴿وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾: شدّة ﴿بِما قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾: بشؤم معاصيهم ﴿إِذا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾ من رحمته.

﴿أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشاءُ وَيَقْدِرُ﴾ فما لهم لم يشكروا ولم يحتسبوا في السّرّاء والضّرّاء ﴿إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ يستدلّون بها على كمال القدرة والحكمة.

﴿فَآتِ ذَا القُرْبىٰ حَقَّهُ وَالمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ذٰلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولٰئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ﴾.

قال: «لمّا نزلت هذه الآية على النّبيّ صلّى الله عليه وآله، أعطى فاطمة فدكاً وسلّمه إليها»[١]. وقد سبق في بني إسرائيل فيه كلام[٢].

﴿وَما آتَيْتُمْ مِنْ رِباً﴾: هديّة يتوقّع بها مزيد مكافاة ﴿لِيَرْبُوَا فِي أَمْوالِ النّاسِ﴾: ليزيد ويزكو في أموالهم، يعني ينمو فيها ثمّ يرجع إليه ﴿فَلا يَرْبُوا عِنْدَ اللّهِ﴾: فلا يزكو عنده، يعني لا يثاب عليه من عند اللّه. قال: «هو أن يعطي الرّجل العطيّة أو يهدي الهديّة ليثاب أكثر منها، فليس فيه أجر ولا وزر»[٣].

وفي رواية: «الرّبا رِبَوان: أحدهما حلال، والآخر حرام. فأمّا الحلال: فهو أن يقرض الرّجل أخاه قرضاً، طمعاً أن يزيده ويعوّضه بأكثر ممّا يأخذه بلا شرط بينهما، فإن أعطاه أكثر ممّا أخذه على غير شرط بينهما فهو مباح له، وليس له عند اللّه ثواب فيما أقرضه، وهو قوله: "فلا يربوا عند اللّه". وأمّا الحرام: فالرّجل يقرض قرضاً ويشترط أن يردّ أكثر ممّا أخذه، فهذا هو الحرام»[٤].

﴿وَما آتَيْتُمْ مِنْ زَكاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللّهِ فَأُولئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ﴾: ذوو الأضعاف؛ من الثّواب في الآجل، والمال في العاجل.

ورد: «الزّكاة زيادة في الرّزق»[٥]. والقمّي: أي: ما بررتم به إخوانكم وأقرضتموهم، لا طمعاً في زيادة[٦].

ورد: «على باب الجنّة مكتوب: القرض بثمانية عشر والصّدقة بعشرة»[٧].

١ـ مجمع البيان ٧ـ٨: ٣٠٦، عن الباقر والصّادق عليهما السلام.

٢ـ ذيل الآية: ٢٦ من سورة بني إسرائيل.

٣ـ مجمع البيان ٧ـ٨: ٣٠٦، عن أبي جعفر عليه السلام.

٤ـ القمّي ٢: ١٥٩، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٥ـ من لا يحضره الفقيه ٣: ٣٧٢، الحديث: ١٧٥٤، من خطبة فاطمة عليها السلام.

٦ـ القمّي ٢: ١٥٩.

٧ـ القمّي ٢: ١٥٩، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

﴿اللّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذٰلِكُمْ مِنْ شَيْءٍ سُبْحانَهُ وَتَعالىٰ عَمّا يُشْرِكُونَ﴾.

﴿ظَهَرَ الفَسادُ فِي البَرِّ وَالبَحْرِ بِما كَسَبَتْ أَيْدِي النّاسِ﴾. قال: «حياة دوابّ البحر بالمطر، فإذا كفّ المطر ظهر الفساد في البرّ والبحر، وذلك إذا كثرت الذّنوب والمعاصي»[1].

وفي رواية: «ذاك[2] واللّه حين قالت الأنصار: منّا أمير ومنكم أمير»[3]. ﴿لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا﴾: بعض جزائه، فإنّ تمامه في الآخرة ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ عمّا هم عليه.

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ كانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ﴾ أي: كان سوء عاقبتهم، لفشوّ الشّرك فيهم.

قال: «عنى بذلك، أي: انظروا في القرآن فاعلموا كيف كان عاقبة الّذين من قبلكم، وما أخبركم عنه»[4].

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ القَيِّمِ﴾: البليغ الاستقامة ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللّهِ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ﴾: يتصدّعون، أي: يتفرّقون، فريق في الجنّة، وفريق في السّعير ﴿مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ﴾ أي: وباله، وهو النّار المؤبّدة ﴿وَمَنْ عَمِلَ صالِحاً فَلِأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾: يسوّون منازلهم في الجنّة.

قال: «إنّ العمل الصّالح ليسيق[5] صاحبه إلى الجنّة، فيمهّد له كما يمهّد لأحدكم خادمه فراشه»[6].

﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّالِحاتِ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ لا يُحِبُّ الكافِرِينَ﴾.

١ ـ القمّي ٢: ١٦٠، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٢ ـ في «ألف»: «ذلك».

٣ ـ الكافي ٨: ٥٨، الحديث: ١٩، عن أبي جعفر عليه السلام؛ وفي القمّي ٢: ١٦٠، عنه عليه السلام، مع تفاوت.

٤ ـ الكافي ٨: ٢٤٩، ذيل الحديث: ٣٤٩، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٥ ـ في «ج» والمصدر: «ليسبق».

٦ ـ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ٣٠٧، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

اكتفى عن ذكر جزائهم بالفحوى.

﴿وَمِنْ آياتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّياحَ﴾: رياح الرّحمة ﴿مُبَشِّراتٍ﴾ بالمطر ﴿وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾ المنافع التابعة لها ﴿وَلِتَجْرِيَ الْفُلْكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾ يعني تجارة البحر ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلاً إِلىٰ قَوْمِهِمْ فَجاءُوهُمْ بِالْبَيِّناتِ فَانْتَقَمْنا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا﴾ بالتّدمير ﴿وَكانَ حَقّاً عَلَيْنا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾. فيه إشعار بأنّ الانتقام لهم وإظهار لكرامتهم، حيث جعلهم مستحقّين على اللّه أن ينصرهم.

ورد: «ما من امرئ مسلم[1] يردّ عن عِرض أخيه إلّا كان حقّاً على اللّه أن يردّ عنه نار جهنّم يوم القيامة، ثمّ قرأ: "وَكانَ حَقّاً"، الآية»[2].

﴿اللّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّياحَ فَتُثِيرُ سَحاباً﴾ أي: ترفعه ﴿فَيَبْسُطُهُ فِي السَّماءِ كَيْفَ يَشاءُ﴾ سائراً وواقفاً، مُطبّقاً وغير مطبّق من جانب دون جانب إلى غير ذلك ﴿وَيَجْعَلُهُ كِسَفاً﴾ قيل: أي قطعاً، يعني يبسطه تارة متّصلاً وأُخرى قطعاً[3]. والقمّي: قال: بعضه على بعض[4]. ﴿فَتَرَى الْوَدْقَ﴾: المطر ﴿يَخْرُجُ مِنْ خِلالِهِ﴾ قال: «من خلله»[5]. ﴿فَإِذا أَصابَ بِهِ مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ﴾ يعني بلادهم وأراضيهم ﴿إِذا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ بمجيء الخِصْب[6] ﴿وَإِنْ كانُوا﴾: وإنّه كانوا. ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ﴾ كرّره للتّأكيد. ﴿لَمُبْلِسِينَ﴾: لآيسين.

﴿فَانْظُرْ إِلىٰ آثارِ رَحْمَتِ اللّهِ﴾: آثار الغيث؛ من النّبات والأشجار وأنواع الثّمار

١ ـ في «ألف»: «ما من مؤمن».

٢ ـ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ٣٠٩، عن النبي ﷺ.

٣ ـ الكشّاف ٣: ٢٢٦؛ البيضاوي ٤: ١٤٨.

٤ ـ القمّي ٢: ١٦٠.

٥ ـ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ٣٠٨، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

٦ ـ الخِصْب: كثرة العُشب ورَفاغَة العيش. القاموس المحيط ١: ٦٤ (خصب).

﴿كَيْفَ يُحْيِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها إِنَّ ذٰلِكَ﴾ يعني الذي قدر على إحياء الأرض بعد موتها ﴿لَمُحْيِ الْمَوْتىٰ﴾: لمحييهم لا محالة ﴿وَهُوَ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿وَلَئِنْ أَرْسَلْنا رِيحاً فَرَأَوْهُ مُصْفَرّاً﴾ أي: الأثر والزرع، أو السّحاب فإنّه إذا كان مصفرّاً لم يمطر ﴿لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ﴾. قيل: هذه الآيات ناعية على الكفّار بقلّة تثبّتهم، وعدم تدبّرهم، وسرعة تزلزلهم، لعدم تفكّرهم وسوء رأيهم، فإنّ النّظر السّويّ يقتضي أن يتوكّلوا على اللّه، ويلتجئوا إليه بالاستغفار إذا احتبس القطر عنهم ولم ييأسوا من رحمته، وأن يبادروا إلى الشّكر والاستدامة بالطّاعة إذا أصابهم برحمته ولم يفرطوا في الاستبشار، وأن يصبروا على بلائه إذا ضرب زروعهم بالاصفرار، ولم يكفروا نعمه[1].

﴿فَإِنَّكَ لا تُسْمِعُ الْمَوْتىٰ﴾ وهم مثلهم، لما سدّوا عن الحقّ مشاعرهم ﴿وَلا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعاءَ إِذا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾ فإنّ الأصمّ المقبل وإن لم يسمع الكلام تفطّن منه بواسطة الحركات شيئاً.

﴿وَما أَنْتَ بِهادِي الْعُمْيِ عَنْ ضَلالَتِهِمْ إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآياتِنا﴾ لأنّه الّذي يتلقّى اللّفظ ويتدبّر المعنى ﴿فَهُمْ مُسْلِمُونَ﴾ لما تأمرهم به.

﴿اللّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ﴾: ابتدأكم ضعفاء، أو خلقكم من أصل ضعيف، وهو النّطفة ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً﴾ وهو بلوغكم الأشدّ ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفاً وَشَيْبَةً يَخْلُقُ ما يَشاءُ﴾ من ضعف وقوّة وشيبة وشبيبة ﴿وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾.

﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ ما لَبِثُوا﴾ في الدّنيا أو القبور ﴿غَيْرَ ساعَةٍ﴾. استقلّوا مدّة لبثهم. ﴿كَذٰلِكَ﴾: مثل ذلك الصّرف عن الصّدق ﴿كانُوا يُؤْفَكُونَ﴾: يصرفون في الدّنيا.

﴿وَقالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمانَ﴾ «يعني الأئمّة». كذا ورد[2]. ﴿لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي

---

١ ـ البيضاوي ٤: ١٤٩.

٢ ـ الكافي ١: ٢٠٠، ذيل الحديث: ١؛ عيون أخبار الرضا عليه السلام ١: ٢١٨، الباب: ٢٠، ذيل الحديث: ١، عن عليّ ←

كِتابِ اللّهِ﴾ قيل: في علمه وقضائه، وما أوجبه لكم وكتبه[1]. ﴿إلىٰ يَوْمِ البَعْثِ﴾ القمّي: هذه الآية مقدّمة ومؤخّرة، وإنّما هي: وقال الّذين أُوتوا العلم والإيمان في كتاب اللّه لقد لبثتم إلى يوم البعث[2]. ﴿فَهٰذا يَوْمُ البَعْثِ وَلٰكِنَّكُمْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾.

﴿فَيَوْمَئِذٍ لا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُمْ وَلا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾: لا يدعون إلى ما يقتضي إعتابهم، أي: إزالة عتبهم والرّضا عنهم، من التّوبة والطّاعة، كما دعوا إليه في الدّنيا.

﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنا لِلنّاسِ فِي هٰذَا القُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَلَئِنْ جِئْتَهُم بِآيَةٍ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من فرط عنادهم وقسوة قلوبهم ﴿إنْ أَنْتُمْ﴾ يعنون الرّسول والمؤمنين ﴿إلّا مُبْطِلُونَ﴾: مزوّرون.

﴿كَذٰلِكَ يَطْبَعُ اللّهُ عَلىٰ قُلُوبِ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾.

﴿فَاصْبِرْ﴾ على أذاهم ﴿إنَّ وَعْدَ اللّهِ﴾ بنصرتك، وإظهار دينك على الدّين كلّه ﴿حَقٌّ﴾ لابدّ من إنجازه ﴿وَلا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لا يُوقِنُونَ﴾: ولا يحملنّك على الخفّة والقلق بتكذيبهم وإيذائهم، فإنّهم شاكّون ضالّون، لا يستبدع منهم ذلك. والقمّي: أي: لا يغضبنّك[3].

← بن موسى الرّضا ﷺ، بالمضمون.

١ ـ الكشّاف ٣: ٢٢٧؛ البيضاوي ٤: ١٤٩.

٢ ـ القمّي ٢: ١٦٠.

٣ ـ القمّي ٢: ١٦٠.

سورة لقمان

[مكيّة، إلّا الآيات ٢٧ و ٢٨ و ٢٩ فمدنيّة، وآياتها أربع وثلاثون][1]

بسم الله الرحمٰن الرحيم

﴿الٓمٓ﴾

﴿تِلْكَ آياتُ الكِتابِ الحَكِيمِ﴾: ذي الحكمة، أو المحكم آياته.

﴿هُدىً وَرَحْمَةً لِلْمُحْسِنِينَ﴾.

﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكاةَ وَهُمْ بِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾.

﴿أُولٰئِكَ عَلىٰ هُدىً مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولٰئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ﴾.

﴿وَمِنَ النّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الحَدِيثِ﴾: ما يلهي عمّا يعني. قال: «هو الطّعن في الحقّ والاستهزاء به»[2]. قال: «ومنه الغناء»[3]. ﴿لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللّٰهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَها هُزُواً﴾: ويتّخذ السّبيل سخريّة ﴿أُولٰئِكَ لَهُمْ عَذابٌ مُهِينٌ﴾ لإهانتهم الحقّ وإيثار الباطل عليه.

﴿وَإِذا تُتْلىٰ عَلَيْهِ آياتُنا وَلّىٰ مُسْتَكْبِراً كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْها كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْراً﴾: ثقلاً

١ ـ ما بين المعقوفتين من «ب».

٢ ـ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ٣١٣، عن أبي عبد الله عليه السلام.

٣ ـ المصدر: معاني الأخبار: ٣٤٩، الحديث: ١، عن أبي عبد الله عليه السلام.

﴿فَبَشِّرْهُ بِعَذابٍ أَلِيمٍ﴾ . قال: «هو النّضر بن الحارث بن علقمة بن كلدة[١] ، وكان ذا رواية من أحاديث النّاس وأشعارهم»[٢] .

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّالِحاتِ لَهُمْ جَنّاتُ النَّعِيمِ﴾ .

﴿خالِدِينَ فِيها وَعْدَ اللهِ حَقّاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ .

﴿خَلَقَ السَّماواتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَها﴾ قال: «ثمّ عمد ولكن لا ترونها»[٣] . ﴿وَأَلْقى فِي الْأَرْضِ رَواسِيَ﴾: جبالاً شوامخ ﴿أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ﴾: كراهة أن تميل بكم ﴿وَبَثَّ فِيها مِنْ كُلِّ دابَّةٍ وَأَنْزَلْنا مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَنْبَتْنا فِيها مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾: من كلّ صنف كثير المنفعة .

﴿هذا خَلْقُ اللهِ فَأَرُونِي ماذا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظّالِمُونَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾ .

﴿وَلَقَدْ آتَيْنا لُقْمانَ الْحِكْمَةَ﴾ قال: «الفهم والعقل»[٤] . وفي رواية قال: «أُوتي معرفة إمام زمانه»[٥] . ﴿أَنِ اشْكُرْ لِلّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّما يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ﴾ لاستحقاقه بالشّكر دوام النّعمة ومزيدها . ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ﴾ عن الشّكر ﴿حَمِيدٌ﴾: محمود ، ينطق بحمده جميع مخلوقاته ، حقيق بالحمد حُمِدَ أو لم يحمد .

قال: «شكر كلّ نعمة وإن عظمت ، أن يحمد اللّه عليها»[٦] . قال: «وإن كان فيما أنعم عليه في ماله حقّ ، أدّاه»[٧] .

١ ـ مرّت ترجمته ذيل الآية: ٥ من سورة الفرقان ج ٢ ص ١٣٧ .

٢ ـ القمّي ٢: ١٦١ ، عن أبي جعفر عليه السلام .

٣ ـ المصدر: ٣٢٨ ، عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام .

٤ ـ الكافي ١: ١٦ ، ذيل الحديث الطّويل: ١٢ ، عن الكاظم عليه السلام .

٥ ـ القمّي ٢: ١٦١ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .

٦ ـ الكافي ٢: ٩٥ ، الحديث: ١١ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .

٧ ـ المصدر: ٩٦ ، ذيل الحديث: ١٢ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .

وفي رواية: «من أنعم اللّه عليه بنعمة فعرفها بقلبه، فقد أدّى شكرها»[١].

و ورد: «أوحى اللّه إلى موسى اُشكرني حقّ شكري، فقال: يا ربّ وكيف أشكرك حقّ شكرك، وليس مِنْ شُكْرٍ أشكرك بـه، إلّا وأنت أنـعمْتَ بـه عـليّ؟! قـال: يـاموسى الآن شكرتني؛ حين عَلِمْتَ أنّ ذلك منّي»[٢].

﴿وَإِذْ قالَ لُقْمانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يا بُنَيَّ﴾ تصغير إشفاق. ﴿لا تُشْرِكْ بِاللّٰهِ إِنَّ الشِرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ لأنّه تسوية بين مَنْ لا نعمة إلّا منه ومَنْ لا نعمة منه.

قال: «الظّلم ثلاثة: ظلم يغفره اللّه، وظلم لا يغفره اللّه، وظلم لا يدعه اللّه. فأمّا الظّلم الّذي لا يغفره اللّه فالشّرك، وأمّا الظّلم الّذي يغفره فظلم الرّجل نفسه فيما بينه وبين اللّه، وأمّا الظّلم الّذي لا يدعه اللّه فالمداينة[٣] بين العباد»[٤].

﴿وَوَصَّيْنا الإِنْسانَ بِوالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلىٰ وَهْنٍ﴾: تضعف ضعفاً فوق ضعف، فإنّها لايزال يتضاعف ضعفها ﴿وَفِصالُهُ فِي عامَيْنِ﴾: وفطامه في انقضاء عامين، وكـانت ترضعه في تلك المدّة. والجملتان اعتراض مؤكّد للتّوصية فـي حـقّها. ﴿أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوالِدَيْكَ إِلَيَّ المَصِيرُ﴾ فاُحاسبك على شكرك وكفرك.

قال: «أمر بالشّكر له وللوالدين، فمن لم يشكر والديه لم يشكر اللّه»[٥].

وقال: «من لم يشكر المُنْعِمَ من المخلوقين لم يشكر اللّه عزّوجلّ»[٦].

﴿وَإِنْ جاهَداكَ عَلىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي ما لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ باستحقاقه الإشراك تقليداً

١ ـ الكافي ٢: ٩٦، الحديث: ١٥، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.
٢ ـ المصدر: ٩٨، الحديث: ٢٧، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.
٣ ـ المداينة: المجازاة، ومنه: «كما تدين تدان».
٤ ـ الكافي ٢: ٣٣٠، الحديث: ١، عن أبي جعفر عليه السلام.
٥ ـ عيون أخبار الرضا عليه السلام ١: ٢٥٨، الباب: ٢٦، الحديث: ١٣.
٦ ـ المصدر ٢: ٢٤، الباب: ٣١، الحديث: ٢.

لهما، يعني ما ليس ﴿فَلا تُطِعْهُما﴾ في ذلك «إذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخـالق»[١].

﴿وَصاحِبْهُما فِي الدُّنْيا مَعْرُوفاً﴾: صحاباً معروفاً يرتضيه الشّرع ويقتضيه الكرم.

قيل: «أوصني يا رسول اللّه عليه السلام فقال: لا تشرك باللّه شيئاً وإن حرّقت بالنّار وعذّبت إلّا وقلبك مطمئنّ بالإيمان، ووالديك فأطعهما وبرّهما حيّين كانا أو ميّتين، وإن أمراك أن تخرج من أهلك ومالك فافعل، فإنّ ذلك من الإيمان»[٢].

﴿وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنابَ إِلَيَّ﴾ بالتّوحيد والإخلاص في الطّـاعة. قـال: «يـقول: سبيل محمّد صلى الله عليه وآله»[٣]. ﴿ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

والآيتان معترضتان في تضاعيف وصيّة لقمان، تأكيداً لما فيها من النّهي عن الشّرك، كأنّه قال: وقد وصّينا بمثل ما وصّى به، وذكر الوالدين للمبالغة في ذلك، فإنّهما مع أنّهما تِلْوَا الباري عزّ اسمه في استحقاق التّعظيم والطّاعة، لا يجوز أن يطاعا في الإشراك، فـما ظنّك بغيرهما.

﴿يا بُنَيَّ إِنَّها إِنْ تَكُ مِثْقالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ﴾ أي: الخصلة من الإساءة والإحسان، إن تك مثلاً في الصّغر كحبّة الخردل. وعلى رفع مثقال، فالهاء للقصّة، والكون تامّة. ﴿فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّماواتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ﴾: في أخفى مكان وأحرزه، أو أعلاه أو أسفله ﴿يَأْتِ بِهَا اللَّهُ﴾: يحضرها ويحاسب عليها ﴿إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ﴾: يصل علمه إلى كلّ خفيّ ﴿خَبِيرٌ﴾: يعلمه بكنهه.

ورد: «اتّقوا المحقّرات من الذّنوب، فإنّ لها طالباً. لا يقولنّ أحدكم أذنب وأستغفر اللّه إنّ اللّه يقول: "إنّ تك مثقال حبّة" الآية»[٤].

١ ـ عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢: ١٢٤، الباب: ٣٥، ذيل الحديث الطّويل: ١.

٢ ـ الكافي ٢: ١٥٨، الحديث: ٢، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٣ ـ القمّي ٢: ١٦٥، عن أبي جعفر عليه السلام.

٤ ـ الكافي ٢: ٢٧٠، الحديث: ١٠، عن أبي جعفر عليه السلام؛ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ٣١٩، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

﴿يا بُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَٱصْبِرْ عَلىٰ ما أَصابَكَ﴾ من الشّدائد. قال: «من المشقّة والأذى في الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر»[1]. ﴿إِنَّ ذٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾: عزيمة، قَطْعُه قَطعُ إيجابٍ وإلزام لا رخصة فيه.

﴿وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنّاسِ﴾ قال: «ولا تُمِلْ وجْهَك من النّاس تكبّراً، ولا تُعْرِضْ عمّن يكلّمك استخفافاً به»[2]. قيل: هو من الصّعر، وهو داء يعتري البعير فيلوي عنقه[3]. والقمّي: أي: لا تذلّ للنّاس طمعاً فيما عندهم[4].

﴿وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحاً﴾: بطراً. قال: «يقول: بالعظمة»[5]. ﴿إِنَّ اللّٰهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتالٍ فَخُورٍ﴾. علّة النّهي. ورد: «من اختال فقد نازع اللّه في جبروته»[6].

﴿وَٱقْصِدْ فِي مَشْيِكَ﴾: توسّط فيه بين الدّبيب والإسراع. والقمّي: أي: لا تعجل[7]. ورد: «سرعة المشي تذهب ببهاء المؤمن»[8]. ﴿وَٱغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ﴾: اقصر منه. القمّي: أي: لا ترفعه[9]. ﴿إِنَّ أَنْكَرَ الأَصْواتِ﴾: أوحشها ﴿لَصَوْتُ الحَمِيرِ﴾.

قال: «هي العطسة المرتفعة القبيحة؛ والرّجل يرفع صوته بالحديث رفعاً قبيحاً، إلّا أن يكون داعياً أو يقرأ القرآن»[10].

١ـ مجمع البيان ٧ـ٨: ٣١٩، عن أمير المؤمنين عليه السلام.
٢ـ المصدر، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.
٣ـ الكشّاف ٣: ٢٣٤؛ البيضاوي ٤: ١٥٢.
٤ـ القمّي ٢: ١٦٥.
٥ـ المصدر، عن أبي جعفر عليه السلام.
٦ـ من لا يحضره الفقيه ٤: ٧، ذيل الحديث: ١؛ الأمالي (للصّدوق): ٣٤٨، المجلس: ٦٦، ذيل الحديث: ١، عن أبي عبد اللّه، عن أبيه، عن آبائه، عن علي عليهم السلام.
٧ـ القمّي ٢: ٦٥.
٨ـ الخصال ١: ٩، الحديث: ٣، عن أبي الحسن عليه السلام.
٩ـ القمّي ٢: ٦٥.
١٠ـ مجمع البيان ٧ـ٨: ٢٣٨، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ ما فِي السَّمٰواتِ﴾ بأن جعله أسباباً لمنافعكم ﴿وَما فِي الأَرْضِ﴾ بأن مكّنكم من الانتفاع به ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظاهِرَةً وَباطِنَةً﴾: محسوسة ومعقولة، ما تعرفونه وما لاتعرفونه.

قال: «أمّا النّعمة الظّاهرة فالنّبيّ صلى الله عليه وآله وما جاء به من معرفة اللّه وتوحيده، وأمّا النّعمة الباطنة فولايتنا أهل البيت وعقد مودّتنا»[1].

وفي رواية: «النّعمة الظّاهرة الإمام الظّاهر، والباطنة الإمام الغائب»[2].

وفي أُخرى: «أمّا ما ظَهَر فالإسلام، وما سوّى اللّه من خلقك، وما أفضل[3] عليك من الرّزق؛ وأمّا ما بَطَن فسَتْر مساوئ عملك ولم يفضحك به»[4].

﴿وَمِنَ النّاسِ مَنْ يُجادِلُ فِي اللَّهِ﴾: في توحيده وصفاته ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ مستفاد من برهان ﴿وَلا هُدىً﴾ راجع إلى رسول أو وصيّ رسول ﴿وَلا كِتابٍ مُنِيرٍ﴾ أنزله اللّه، بل بتقليد من لا يجوز تقليده.

﴿وَإِذا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا ما أَنْزَلَ اللَّهُ قالُوا بَلْ نَتَّبِعُ ما وَجَدْنا عَلَيْهِ آباءَنا أَوَلَوْ كانَ الشَّيْطانُ يَدْعُوهُمْ إِلىٰ عَذابِ السَّعِيرِ﴾. قال: «هو النّضر بن الحارث[5]. قال له رسول اللّه صلى الله عليه وآله: اتّبع ما أُنزل إليك من ربّك. قال: بل أتّبع ما وجدت عليه آبائي»[6].

﴿وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ﴾ بأن فوّض أمره إليه، وأقبل بشراشره عليه ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ في عمله ﴿فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقىٰ﴾: تعلّق بأوثق ما يتعلّق به ﴿وَإِلَى اللَّهِ عاقِبَةُ الأُمُورِ﴾ إذ الكلّ صائر إليه.

١ ـ القمّي ٢: ١٦٥، عن أبي جعفر عليه السلام.

٢ ـ كمال الدّين ٢: ٣٦٨، الباب: ٣٤، الحديث: ٦؛ المناقب ٤: ١٨٠، عن الكاظم عليه السلام.

٣ ـ في المصدر: «أفاض».

٤ ـ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ٣٢٠، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله.

٥ ـ مرّت ترجمته في ذيل الآية: ٧ من نفس السّورة.

٦ ـ القمّي ٢: ١٦٦، عن أبي جعفر عليه السلام.

﴿وَمَنْ كَفَرَ فَلا يَحْزُنْكَ كُفْرُهُ إِلَيْنا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُمْ بِما عَمِلُوا إِنَّ اللّٰهَ عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ﴾.

﴿نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلاً ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلىٰ عَذابٍ غَلِيظٍ﴾.

﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمٰواتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللّٰهُ﴾ لوضوح البرهان، بحيث اضطرّوا إلى الإذعان.

قال: «قال رسول اللّه ﷺ: كلّ مولود يولد على الفطرة، يعني على المعرفة بأنّ اللّه عزّوجلّ خالقه، فذلك قول اللّه عزّوجلّ: ولئن سئلتهم" الآية»[1].

﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلّٰهِ﴾ على إلزامهم وإلجائهم إلى الاعتراف بما يوجب بطلان معتقدهم ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾ أنّ ذلك يلزمهم.

﴿لِلّٰهِ ما فِي السَّمٰواتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللّٰهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾.

﴿وَلَوْ أَنَّ ما فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ﴾ والبحر المحيط بسعته مداد ممدوداً بسبعة أبحر. فأغنى عن ذكر المداد «يمدّه»، لأنّه من مدّ الدّواة وأمدّها. وفي قراءتهم عليهم السلام: «والبحر مداده»[2]. ﴿ما نَفِدَتْ كَلِماتُ اللّٰهِ﴾ بكتبها بتلك الأقلام، بذلك المداد. ﴿إِنَّ اللّٰهَ عَزِيزٌ﴾: لا يعجزه شيء ﴿حَكِيمٌ﴾: لا يخرج عن علمه وحكمته أمر.

﴿ماخَلْقُكُمْ وَلابَعْثُكُمْ إِلّا كَنَفْسٍ واحِدَةٍ﴾: إلّا كخلقها وبعثها، إذ لا يشغله شأن عن شأن.

قال: «بلغنا واللّه أعلم أنّهم قالوا: يا محمّد خلقنا أطواراً؛ نطفاً ثمّ علقاً، ثمّ أنشأنا خلقاً آخر كما تزعم، وتزعم أنّا نبعث في ساعة واحدة. فقال اللّه: "ما خلقكم ولا بعثكم إلّا كنفس واحدة" "إنّما يقول لَهُ كُنْ فَيَكونَ"[3]»[4].

١ ـ التوحيد: ٣٣١، الباب: ٥٣، الحديث: ٩، عن أبي جعفر عليه السلام. ٢ ـ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ٣٢١، عن أبي عبداللّه عليه السلام.
٣ ـ البقرة (٢): ١١٧؛ آل عمران (٣): ٤٧؛ مريم (١٩): ٣٥؛ غافر (٤٠): ٦٨. وفي جميع الآيات: «فإنّما».
٤ ـ القمّي ٢: ١٦٧، عن أبي جعفر عليه السلام.

﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ لا يشغله سمع عن سمع، ولا إبصار عن إبصار.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهارِ وَيُولِجُ النَّهارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ﴾ من النيّرين ﴿يَجْرِي﴾ في فلكه ﴿إِلىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ القمّي يقول: كلّ واحد منهما يجري إلى منتهاه، لا يقصر عنه ولا يجاوزه[1]. ﴿وَأَنَّ اللَّهَ بِما تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾.

﴿ذٰلِكَ﴾ إشارة إلى الّذي ذكر من سعة العلم، وشمول القدرة وعجائب الصّنع، واختصاص الباري عزّ اسمه بها. ﴿بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ ما يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْباطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ﴾: بإحسانه في تهيئة أسبابه ﴿لِيُرِيَكُمْ مِنْ آياتِهِ إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآياتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ قيل: أي: لكلّ من حبس نفسه على النّظر في آيات اللّه، والتفكّر في آلائه، والشكر لنعمائه، أو لكلّ مؤمن كامل الإيمان[2]. «فإنّ الإيمان نصفان: نصف صبر، ونصف شكر». كما ورد[3].

أقول: راكب البحر بين خوف من الغرق ورجاء للخلاص [والوصول إلى المطلوب بسرعة[4]]. فهو لايزال بين بليّة ونعمة، والبليّة تطلبه بالصّبر، والنّعمة تطلبه بالشّكر، فهو صبّار شكور.

﴿وَإِذا غَشِيَهُمْ﴾: علاهم وغطّاهم، يعني في البحر ﴿مَوْجٌ كَالظُّلَلِ﴾: كما يظلّ من جبل أو سحاب أو غيرهما ﴿دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ لزوال ما ينازع الفطرة من الهوى والتّقليد، بما دهاهم من الخوف الشّديد. ﴿فَلَمَّا نَجّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ﴾ القمّي: أي: صالح[5]. ﴿وَما يَجْحَدُ بِآياتِنا إِلَّا كُلُّ خَتّارٍ﴾: غدّار ينقض العهد الفطريّ، وما

١ ـ القمّي ٢: ١٦٧، عن أبي جعفر عليه السلام.

٢ ـ البيضاوي ٥: ٥٥، ذيل الآية: ٣٣ من سورة الشّورى.

٣ ـ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ٣٢٣.

٤ ـ ما بين المعقوفتين لم ترد في «ألف».

٥ ـ القمّي ٢: ١٦٧.

كان في البحر. والقمّي: الختّار الخدّاع[1]. ﴿كَفُورٍ﴾ للنعم.

﴿يا أَيُّها النّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْماً لا يَجْزِي﴾: لا يقضي، وعلى ضمّ الياء: لا يغني ﴿والِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلا مَوْلُودٌ هُوَ جازٍ عَنْ والِدِهِ شَيْئاً إِنَّ وَعْدَ اللّهِ حَقٌّ﴾ بالثواب والعقاب. القمّي: ذلك القيامة[2] ﴿فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الحَياةُ الدُّنْيا﴾ قال: «بتشويقها»[3]. وقال: «الدّنيا دنياءان: دنيا بلاغ، ودنيا ملعونة»[4]. ﴿وَلا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللّهِ الغَرُورُ﴾: الشّيطان بأن يرجيكم التّوبة والمغفرة، فيجسركم على المعاصي.

﴿إِنَّ اللّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السّاعَةِ﴾: علم وقت قيامها ﴿وَيُنَزِّلُ الغَيْثَ﴾ في إبّانه المقدّر له، والمحلَ المعيّن له في علمه. ﴿وَيَعْلَمُ ما فِي الأَرْحامِ﴾ قال: «من ذكر أو أُنثى، وقبيح أو جميل، وسخيّ أو بخيل، وشقيّ أو سعيد، ومن يكون للنّار حطباً أو في الجنان للنّبيّين مرافقاً»[5]. ﴿وَما تَدْرِي نَفْسٌ ماذا تَكْسِبُ غَداً﴾ من خير أو شرّ، وربّما تعزم على شيء، فتفعل خلافه. ﴿وَما تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾.

قال: «هذه الخمسة أشياء لم يطّلع عليها ملك مقرّب ولا نبيّ مرسل، وهي من صفات اللّه تعالى»[6].

و ورد: «هذا هو علم الغيب الّذي لا يعلمه أحد إلاّ اللّه»[7].

﴿إِنَّ اللّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾.

١ و ٢ ـ القمّي ٢: ١٦٧.

٣ ـ من لا يحضره الفقيه ٤: ٢٧٤، ذيل الحديث: ٨٢٩؛ معاني الأخبار: ١٩٩، ذيل الحديث: ٤٤، عن الكاظم، عن أبيه، عن آبائه، عن أمير المؤمنين عليهم السلام، وفيهما: «بتشوّقها».

٤ ـ الكافي ٢: ١٣١، ذيل الحديث: ١١، عن السجاد عليه السلام.

٥ ـ نهج البلاغة: ١٨٦، ذيل الخطبة: ١٢٨.

٦ ـ القمّي ٢: ١٦٧، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٧ ـ نهج البلاغة: ١٨٦، ذيل الخطبة: ١٢٨.

سورة السّجدة

[مكيّة، وهي ثلاثون آية][1]

بسم الله الرحمٰن الرحيم

﴿الٓمٓ﴾.

﴿تَنْزِيلُ الكِتابِ لا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ العالَمِينَ﴾.

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَراهُ بَلْ هُوَ الحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْماً ما أَتاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾.

﴿اللّٰهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمٰواتِ وَالأَرْضَ وَما بَيْنَهُما فِي سِتَّةِ أَيّامٍ ثُمَّ اسْتَوىٰ عَلَى العَرْشِ﴾. سبق في الأعراف[2]. ﴿ما لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا شَفِيعٍ أَفَلا تَتَذَكَّرُونَ﴾.

﴿يُدَبِّرُ الأَمْرَ مِنَ السَّماءِ إِلَى الأَرْضِ﴾ بأسباب سماويّة، نازلة آثارها إلى الأرض ﴿ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾: يصعد الأمر إليه ﴿فِي يَوْمٍ كانَ مِقْدارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمّا تَعُدُّونَ﴾. القمّي: يعني الأُمور الّتي يدبّرها، والأمر والنّهي الّذي أمر به، وأعمال العباد، كلّ هذا يظهر[3] يوم

١ ـ ما بين المعقوفتين من «ب».

٢ ـ ذيل الآية: ٥٤.

٣ ـ في المصدر: «يظهره».

القيامة فيكون مقدار ذلك اليوم ألف سنة من سني الدّنيا[١].

﴿ذٰلِكَ عالِمُ الغَيْبِ وَالشَّهادَةِ﴾ فيدبّر أمرهما على وفق الحكمة ﴿العَزِيزُ﴾: الغالب على أمره ﴿الرَّحِيمُ﴾ على العباد في تدبيره.

﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ موفّراً عليه ما يستعدّه ويليق به، على وفق الحكمة والمصلحة ﴿وَبَدَأَ خَلْقَ الإِنْسانِ﴾ يعني آدم ﴿مِنْ طِينٍ﴾.

﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ﴾: ولده ﴿مِنْ سُلالَةٍ﴾ القمّي: هو الصّفو من الطّعام والشّراب[٢]. ﴿مِنْ ماءٍ مَهِينٍ﴾: المنيّ.

﴿ثُمَّ سَوّاهُ﴾: قوّمه بتصوير أعضائه على ما ينبغي ﴿وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ﴾. أضافه إلى نفسه تشريفاً وإظهاراً بأنّه خلق عجيب، وأنّ له لشأناً. وقد سبق في الحجر[٣]. ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصارَ وَالأَفْئِدَةَ قَلِيلاً ما تَشْكُرُونَ﴾.

﴿وَقالُوا أَإِذا ضَلَلْنا فِي الأَرْضِ﴾: غبنا فيها، بحيث لا نتميّز من ترابها ﴿أَإِنّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقاءِ رَبِّهِمْ كافِرُونَ﴾ قال: «يعني البعث»[٤].

﴿قُلْ يَتَوَفّاكُمْ﴾: يستوفي نفوسكم، لا يترك منها شيئاً، ولا يُبقي منكم أحداً ﴿مَلَكُ المَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ﴾ بقبض أرواحكم وإحصاء آجالكم ﴿ثُمَّ إِلىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾.

﴿وَلَوْ تَرىٰ إِذِ المُجْرِمُونَ ناكِسُوا رُؤُوسِهِمْ﴾ من الحياء والخزي ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنا أَبْصَرْنا﴾ ما وعدتنا ﴿وَسَمِعْنا﴾ منك تصديق رسلك. كذا قيل[٥]. والقمّي: "أبصرنا وسمعنا" في الدّنيا ولم نعمل به[٦]. ﴿فَارْجِعْنا نَعْمَلْ صالِحاً إِنّا مُوقِنُونَ﴾ إذ لم يبق لنا شكّ بما شاهدنا.

١ و ٢ ـ القمّي ٢: ١٦٨.

٣ ـ الآية: ٢٩.

٤ ـ التّوحيد: ٢٦٧، الباب: ٣٦، ذيل الحديث الطّويل: ٥، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

٥ ـ الكشّاف ٣: ٢٤٢؛ البيضاوي ٤: ١٥٥.

٦ ـ لم نعثر عليه في تفسير القمّي المطبوعة، ولعلّه سقط من النسّاخ؛ لأنّه بعينه موجود في النّسخة المخطوطة من تفسير القمّي، الموجودة في مكتبة الإعلام الاسلامي، تحت رقم: ٢٦٨١٨.

﴿وَلَوْ شِئْنا لَآتَيْنا كُلَّ نَفْسٍ هُداها وَلٰكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي﴾: ثبت قضائي وسبق وعيدي ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنّاسِ أَجْمَعِينَ﴾.

﴿فَذُوقُوا بِما نَسِيتُمْ لِقاءَ يَوْمِكُمْ هٰذا إِنّا نَسِيناكُمْ﴾ القمّي: أي: تركناكم[1].

﴿وَذُوقُوا عَذابَ الْخُلْدِ بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

﴿إِنَّما يُؤْمِنُ بِآياتِنا الَّذِينَ إِذا ذُكِّرُوا بِها خَرُّوا سُجَّداً﴾ خوفاً من عذاب اللّه ﴿وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾: نزّهوه عمّا لا يليق به، حامدين له، شكراً على ما وفّقهم للإسلام وآتاهم الهدى ﴿وَهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ عن الإيمان والطّاعة.

﴿تَتَجافىٰ جُنُوبُهُمْ﴾: ترتفع وتتنحّى ﴿عَنِ الْمَضاجِعِ﴾: الفرش ومواضع النّوم. قال: «هم المتهجّدون باللّيل، الّذين يقومون عن فرشهم للصّلاة»[2]. ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً﴾ من سخطه ﴿وَطَمَعاً﴾ في رحمته ﴿وَمِمّا رَزَقْناهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ في وجوه الخير.

قال: «لعلّك ترى أنّ القوم لم يكونوا ينامون، لا بدّ لهذا البدن أن تريحه حتّى يخرج نفسه، فإذا خرج النّفس استراح البدن، ورجع الرّوح قوّة على العمل. قال: نزلت في أمير المؤمنين عليه السلام وأتباعه من شيعتنا، ينامون في أوّل اللّيل، فإذا ذهب ثلثا اللّيل أو ما شاء اللّه، فزعوا إلى ربّهم راغبين مرهبين طامعين فيما عنده، فذكر اللّه في كتابه فأخبركم بما أعطاهم، إنّه أسكنهم في جواره، وأدخلهم جنّته، وآمنهم خوفهم، وأذهب رعبهم»[3].

﴿فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ ما أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾: ممّا تقرّ به عيونهم ﴿جَزاءً بِما كانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

قال: «ما من عمل حسن يعمله العبد إلّا وله ثواب في القرآن إلّا صلاة اللّيل، فإنّ اللّه عزّوجلّ لم يبيّن ثوابها لعظم خطرها عنده، فقال جلّ ذكره: "تتجافى جنوبهم ـ إلى قوله:ـ

١ ـ القمّي ٢: ١٦٨.

٢ ـ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ٣٣١، عنهما عليهما السلام.

٣ ـ علل الشّرائع ٢: ٣٦٥، الباب: ٨٦، الحديث: ٤، عن أبي جعفر عليه السلام.

يعملون"»[١].

و ورد: «يقول اللّه: أعددْت لعبادي الصّالحين ما لا عين رأت ولا أُذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر بَلْهَ ما اطّلعتكم عليه، اقرأوا إن شئتم: "فلا تعلم نفس" الآية»[٢].

أقول: بَلْهَ مبنّي على الفتح ككيف، بمعنى دَعْ أو سوى.

﴿أَفَمَنْ كانَ مُؤْمِناً كَمَنْ كانَ فاسِقاً﴾: خارجاً عن الإيمان ﴿لا يَسْتَوُونَ﴾.

﴿أَمّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّالِحاتِ فَلَهُمْ جَنّاتُ الْمَأْوىٰ نُزُلاً﴾ هو ما يعدّ للنّازل من طعام وشراب وصِلَة ﴿بِما كانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْواهُمُ النّارُ كُلَّما أَرادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْها أُعِيدُوا فِيها وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذابَ النّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾.

قال: «إنّ عليّ بن أبي طالب والوليد بن عقبة[٣] تشاجرا، فقال ـ الفاسق ـ الوليد بن عقبة: أنا واللّه أبسط منك لساناً، وأحدّ منك سناناً، وأمثل منك جثواً في الكتيبة. فقال عليّ عليه السلام: اسكت! إنّما أنت فاسق، فأنزل اللّه هذه الآيات»[٤].

﴿وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذابِ الْأَدْنىٰ دُونَ الْعَذابِ الْأَكْبَرِ﴾ قبل أن يصلوا إلى الآخرة

١ ـ القمّي ٢: ١٦٨، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٢ ـ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ٣٣١، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله.

٣ ـ الوليد بن عقبة بن أبي معيط، أبو وهب، الأموي القرشي: من فتيان قريش وشعرائهم، وهو أخو عثمان بن عفّان لأمّه، أسلم يوم فتح مكّة. بعثه رسول اللّه صلى الله عليه وآله على صدقات بني المصطلق. ولا خلاف بين أهل العلم في أنّ قوله عزّوجلّ: ﴿إن جاءكم فاسقٌ بنبأٍ فتبيّنوا﴾ أُنزلت في الوليد بن عقبة. ثمّ ولّاه عمر صدقات بني تغلب، وولّاه عثمان الكوفة بعد سعد بن أبي وقّاص (سنة ٢٩هـ). كان الأصمعي وأبو عبيدة والكلبي وغيرهم يقولون: كان الوليد شريب خمر، وروي انّ الوليد صلّى صلاة الصبح بأهل الكوفة أربع ركعات وهو سكران، ثمّ التفت إليهم فقال: أزيدكم. وهذه الرّواية مشهورة من رواية الثّقات من أهل الحديث. ولمّا قتل عثمان تحوّل الوليد إلى الجزيرة الفراتيّة واعتزل الفتنة. وقيل: شهد صفّين مع معاوية، وقيل: لم يشهدها، ولكنّه يحرض معاوية بكتبه وشعره على الأخذ بثأر عثمان. ومات بالرّقّة سنة ٦١هـ. راجع: أُسد الغابة ٥: ٩١ ـ ٩٢؛ الأعلام ٨: ١٢٢.

٤ ـ القمّي ٢: ١٧٠.

﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ . قال: «العذاب الأدنى عذاب القبر»[١] . وفي رواية: «الدّابّة والدّجّال»[٢] . والقمّي: العذاب الأدنى عذاب الرّجعة بالسّيف ، فإنّهم يرجعون حتّى يعذّبوا[٣] .

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا﴾ فلم يتفكّر فيها ، و«ثمّ» لاستبعاد الإعراض عنها مع فرط وضوحها ، وإرشادها إلى أسباب السّعادة بعد التّذكّر لها ﴿إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ﴾ فكيف بمن كان أظلم من كلّ ظالم .

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ﴾ قال: «من لقاء موسى ربّه في الآخرة»[٤] . ﴿وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ .

﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ قال: «لا بأمر النّاس ، يقدّمون أمر اللّه قبل أمرهم ، وحكم اللّه قبل حكمهم»[٥] . ﴿لَمَّا صَبَرُوا﴾ . القمّي: كان في علم اللّه أنّهم يصبرون على ما يصيبهم ، فجعلهم أئمّة[٦] . ﴿وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ .

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ من أمر الدّين .

﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ﴾ أي: كثرة من أهلكنا[٧] .

﴿يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ﴾: يمرّون في متاجرهم على ديارهم ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ﴾ .

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ﴾: الّتي جرز نباتها أي: قطع

١ ـ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ٣٣٢ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .

٢ ـ المصدر ، عنهما عليهما السلام .

٣ ـ القمّي ٢: ١٧٠ .

٤ ـ الدّرّ المنثور ٦: ٥٥٦ . لم نعثر عليه في كتب الخاصّة ، ونقله بنصّه في التّبيان ومجمع البيان بلفظة «قيل» .

٥ ـ القمّي ٢: ١٧٠ .

٦ ـ المصدر: ١٧١ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .

٧ ـ في «ب»: «أهلكناهم» .

وأزيل. القمّي: الأرض الخراب[1]. ﴿فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعاً تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلا يُبْصِرُونَ﴾.

﴿وَيَقُولُونَ مَتى هٰذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ﴾.

﴿قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمانُهُمْ وَلا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾: ولا يمهلون.

القمّي: هو مَثَلٌ ضربه الله عزّوجلَ في الرّجعة والقائمﷺ، فلمّا أخبرهم رسول اللهﷺ بخبر الرّجعة قالوا: "متى هذا الفتح إن كنتم صادقين"، وهذه معطوفة على قوله: "ولَنُذيقَنَّهُمْ مِنَ العَذابِ الأدْنى"[2].

﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانْتَظِرْ إِنَّهُمْ مُنْتَظِرُونَ﴾.



١ و ٢ ـ القمّي ٢: ١٧١.

سورة الأحزاب

[مدنيّة، وهي ثلاث وسبعون آية][1]

بسم الله الرحمٰن الرحيم

﴿يا أَيُّها النَّبِيُّ اتَّقِ اللّٰهَ وَلا تُطِعِ الكافِرِينَ وَالمُنافِقِينَ﴾ القمّي: وهذا هو الّذي قال الصّادق عليه السلام: «إنّ اللّه بعث نبيّه بإيّاك أعني واسمعي يا جاره، فالمخاطبة للنّبيّ والمعنيّ النّاس»[2]. ﴿إِنَّ اللّٰهَ كانَ عَلِيماً حَكِيماً﴾. قيل: قالوا: ارفض ذكر آلهتنا وقل: إنّ لها شفاعة لمن عبدها[3] وندعك وربّك، فنزلت[4].

﴿وَاتَّبِعْ ما يُوحىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّ اللّٰهَ كانَ بِما تَعْمَلُونَ خَبِيراً﴾.

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللّٰهِ وَكَفىٰ بِاللّٰهِ وَكِيلاً﴾.

﴿ما جَعَلَ اللّٰهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾ ردّ لما زعمت العرب من أنّ اللّبيب الأريب له قلبان. قال: «لا يجتمع[5] حبّنا وحبّ عدوّنا في جوف إنسان، إنّ اللّه لم يجعل

١ ـ ما بين المعقوفتين من «ب».

٢ ـ القمّي ٢: ١٧١، وفيه: «والمعنيّ للنّاس».

٣ ـ لم ترد «لمن عبدها» في «ألف» و«ج».

٤ ـ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ٣٣٥.

٥ ـ في «ألف»: «لا يجتمعان».

لرجل قلبين[١] في جوفه ؛ فيحبّ بهذا ويبغض بهذا»[٢] الحديث.

و ورد: «من كان قلبه متعلّقاً في صلاته بشيء دون اللّه ، فهو قريب من ذلك الشيء ، بعيد عن حقيقة ما أراد اللّه منه في صلاته ، ثمّ تلا هذه الآية»[٣].

﴿وَما جَعَلَ أَزْواجَكُمُ اللّائِي تُظاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهاتِكُمْ﴾ ردّ لما زعمت العرب: أنّ من قال لزوجته: أنتِ عليَّ كظهر أُمّي ، صارت زوجته كالأُمّ له. ﴿وَما جَعَلَ أَدْعِياءَكُمْ أَبْناءَكُمْ﴾ ردّ لما زعمت العرب: «أنّ دعيّ[٤] الرّجل ابنه ، ولذلك كانوا يقولون لزيد بن حارثة الكلبيّ[٥] عتيقِ رسول اللّه: ابن محمّد ، وذلك لأنّه حين برئ منه أبوه لإسلامه ، وعدم مفارقته النّبيّ ولحوقه بأبيه ؛ ألحقه رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله بنفسه». كذا ورد[٦]. ﴿ذلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْواهِكُمْ﴾ لا حقيقة له ﴿وَاللّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾.

﴿ادْعُوهُمْ لِآبائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللّهِ﴾: أعدل ﴿فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آباءَهُمْ﴾ لتنسبوا إليهم ﴿فَإِخْوانُكُمْ فِي الدِّينِ﴾: فهم إخوانكم في الدّين ﴿وَمَوالِيكُمْ﴾: وأولياؤكم فيه ، فقولوا: هذا أخي ومولاي ، بهذا التأويل. ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُناحٌ فِيما أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلكِنْ ما تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكانَ اللّهُ غَفُوراً رَحِيماً﴾.

﴿النَّبِيُّ أَوْلى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ يعني أولى بهم في الأُمور كلّها ، فإنّه لا

١ ـ في المصدر: «من قلبين».

٢ ـ القمّي ٢: ١٧١ ، عن أبي جعفر ، عن أمير المؤمنين عليه السلام. وفي الأمالي (للشيخ الطّوسي) ١: ١٤٨ ، عن أمير المؤمنين عليه السلام ما يقرب منه.

٣ ـ مصباح الشّريعة: ٩٢ ، الباب: ٤١ في السّجود ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٤ ـ الدَّعِيّ: من يتبنّاه الإنسان وأنّه ليس بابن حقيقة. مجمع البحرين ١: ١٤٤ (دعا).

٥ ـ زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبي: صحابيّ. اختطف في الجاهليّة صغيراً ، واشترته خديجة بنت خويلد فوهبته إلى النّبيّ صلّى اللّه عليه وآله حين تزوّجها ، فتبنّاه النّبيّ قبل الإسلام وأعتقه وزوّجه بنت عمّته. واستمرّ النّاس يسمّونه «زيد بن محمّد» حتّى نزلت آية «ادعوهم لآبائهم». وهو من أقدم الصحابة إسلاماً. وكان النّبيّ يحبّه ويقدّمه ، وجعل له الإمارة في غزوة مؤتة ، فاستشهد فيها في سنة ٨ من الهجرة. الأعلام (للزركلي) ٣: ٥٧.

٦ ـ القمّي ٢: ١٧٢ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام ، بالمضمون.

يأمرهم ولا يرضى منهم إلّا بما فيه صلاحهم ونجاحهم بخلاف النّفس ؛ فلذلك أطلق ، فيجب عليهم أن يكون أحبّ إليهم من أنفسهم ، وأمره أنفذ عليهم من أمرها ، وشفقتهم عليه أتمّ من شفقتهم عليها . ورد: «إنّه لمّا أراد غزوة تبوك وأمر النّاس بالخروج ، قال قوم: نستأذن آباءنا وأُمّهاتنا . فنزلت»[١] .

وكذلك الأئمّة عليهم السلام من بعده ، فإنّ كلّ واحد منهم أولى بالمؤمنين من أنفسهم واحداً بعد واحد . سئل عن معنى ذلك ، فقال: «قول النّبيّ صلى الله عليه وآله: من ترك دَيْناً أو ضياعاً فعليّ وإليّ[٢] ، ومن ترك مالاً فلورثته ، فالرّجل ليست له على نفسه ولاية إذا لم يكن له مال ، وليس له على عياله أمر ولا نهي إذا لم يُجْرِ عليهم[٣] النّفقة ، والنّبيّ وأمير المؤمنين ومَنْ بعدهما سلام اللّه عليهم ألزمهم اللّه هذا ، فمن هناك صاروا أولى بهم من أنفسهم ، وما كان سبب إسلام عامّة اليهود إلّا من بعد هذا القول من رسول اللّه صلى الله عليه وآله ، لأنّهم آمنوا على أنفسهم وعيالاتهم»[٤] .

﴿وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾: منزّلات منزلتهنّ في التّحريم مطلقاً ، «وفي استحقاق التّعظيم ما دُمْنَ على الطّاعة» . كذا ورد[٥] .

وزيد في قراءتهم عليهم السلام «وهو أب لهم»[٦] . القمّي: نزلت: وهو أب لهم[٧] .

أقول: وذلك لما مرّ من إلزام نفسه مؤنتهم وتربية أيتامهم ومن يضيع منهم ، ولأنّ كلّ نبيّ أب لأُمّته ، من جهة أنّه أصل فيما به الحياة الأبديّة ، ولذلك صار المؤمنون إخوة . و ورد:

١ ـ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ٣٣٨ ، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله .
٢ ـ ليس في المصدر كلمة: «وإليّ» .
٣ ـ في «ألف» و«ج»: «عليه» .
٤ ـ الكافي ١: ٤٠٦ ، الحديث: ٦ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .
٥ ـ كمال الدّين ٢: ٤٥٩ ، الباب: ٤٣ ، ذيل الحديث الطّويل: ٢١ ، عن القائم عليه السلام .
٦ ـ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ٣٣٨ .
٧ ـ القمّي ٢: ١٧٥ .

«أنا وعليّ أبوا هذه الأمّة»[١] . وذلك لأنّهما في هذا المعنى سواء .

﴿وَأُولُوا الأَرْحامِ بَعْضُهُمْ أَوْلىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتابِ اللّٰهِ﴾: في حكمه المكتوب . قال: «نزلت في الإمرة ، إنّ هذه الآية جرت في ولد الحسين من بعده ، فنحن أولى بالأمر وبرسول اللّه من المؤمنين والمهاجرين والأنصار»[٢] . وقد مضت هذه الآية في آخر الأنفال[٣] ، وأنّها نزلت في نسخ التّوارث بالهجرة والنّصرة .

والتّوفيق بنزول هذه في الإمرة ، وتلك في الميراث ، لا يلائم الاستثناء في هذه الآية ولا ما يأتي في بيانه ؛ بلى إن عكسنا استقام ، وكذا إذا عمّمْنا الحكم وإن كان المورد خاصّاً ، وكذا إذا جعلنا أحدهما تأويلاً ، كما يستفاد من بعض الأخبار[٤] .

﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهاجِرِينَ﴾ صلة لأُولي ، أي: أولوا الأرحام بحقّ القرابة أولى بالإمرة أو بالميراث من المؤمنين بحقّ الدّين ، والمهاجرين بحقّ الهجرة . وإن حملنا الآية على الميراث احتمل أيضاً أن تكون بياناً لأُولي الأرحام . ﴿إِلّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلىٰ أَوْلِيائِكُمْ مَعْرُوفاً﴾ يعني بالتّوصية . سئل: أيّ شيء للموالي؟ فقال: «ليس لهم من الميراث إلّا ما قال اللّه: "إلّا أن تفعلوا إلى أوليائكم معروفاً"»[٥] . ﴿كانَ ذٰلِكَ فِي الْكِتابِ مَسْطُوراً﴾ .

﴿وَإِذْ أَخَذْنا﴾ مقدّر بأذكر . ﴿مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْراهِيمَ وَمُوسىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنا مِنْهُمْ مِيثاقاً غَلِيظاً﴾ القمّي: الواو في "وَمِنْكَ" زيادة ، إنّما هو "منك ومن نوح" ، فأخذ اللّه الميثاق لنفسه على الأنبياء ، ثمّ أخذ لنبيّه على الأنبياء

١ ـ الأمالي (للصّدوق): ٢٢ ، المجلس: ٤ ، ذيل الحديث: ٦ ؛ علل الشّرائع ١: ١٢٧ ، الباب: ١٠٦ ، الحديث: ٢ ، عن النّبيّ صلّى اللّه عليه وآله .

٢ ـ الكافي ١: ٢٨٨ ، الحديث: ٢ ، عن أبي جعفر عليه السلام .

٣ ـ الآية: ٧٥ .

٤ ـ علل الشّرائع ١: ٢٠٥ ، الباب: ١٥٦ ، الحديث: ٢ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .

٥ ـ الكافي ٧: ١٣٥ ، الحديث: ٣ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .

والأئمّة عليهم السلام ثمّ أخذ للأنبياء على رسوله صلوات الله عليهم [١].

﴿لِيَسْأَلَ الصّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ﴾ أي: فعلنا ذلك ليسأل الله يوم القيامة الأنبياء الّذين صدقوا عهدهم، فيظهر صدقهم. ﴿وَأَعَدَّ لِلْكافِرِينَ عَذاباً أَلِيماً﴾ كأنّه قيل: فأثاب المؤمنين وأعدّ للكافرين.

﴿يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنا عَلَيْهِمْ رِيحاً﴾ يعني الأحزاب، وهم قريش وغطفان ويهود قريظة والنّضير في عشرة الآف، وكان المسلمون سبعمائة. فلمّا سمع النّبيّ صلى الله عليه وآله بإقبالهم، ضرب الخندق على المدينة بينه وبينهم؛ بإشارة سلمان رضي الله عنه عليه وتصويبه الوحي، فبقي يحاربهم في الخندق أيّاماً، فلمّا طال الأمر واشتدّ عليهم الحصار، وكانوا في وقت برد شديد، وأصابتهم مجاعة، وخافوا من اليهود خوفاً شديداً، وتكلّم المنافقون بما حكى الله عنهم، ونافق أكثر من معه، وقد كان أخبرهم بتحزّب العرب عليه ومجيئهم من فوق، ويغدر يهود ونقضهم عهدَه ومجيئهم من أسفل، وأنّه يصيبهم جهد شديد، وأنّ العاقبة له عليهم، بعث الله الدّبور [٢] مع الملائكة فهزموهم بإذن الله. كذا ذكره القمّي [٣] في خلال قصّتهم بطولها.

﴿وَجُنُوداً لَمْ تَرَوْها﴾ يعني الملائكة ﴿وَكانَ اللّهُ بِما تَعْمَلُونَ بَصِيراً﴾ أي: حفر الخندق؛ وعلى الغيبة، أي: التّحزّب والمحاربة.

﴿إِذْ جاؤُكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ﴾: من أعلى الوادي ﴿وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ﴾: من أسفل الوادي ﴿وَإِذْ زاغَتِ الْأَبْصارُ﴾: مالت عن مستوى نظرها حيرة وشُخوصاً ﴿وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَناجِرَ﴾ رعباً، فإنّ الرّئة تنتفخ من شدّة الرّوع، فيرتفع القلب بارتفاعها إلى رأس

١ ـ القمّي ٢: ١٧٦.

٢ ـ الدّبُور: الريح الّتي تُقابِل الصَّبا والقبول، وهي ريح تَهُبُّ من نحو المغرب، والصّبا تقابلها من ناحية المشرق. الصّحاح ٢: ٦٥٤؛ لسان العرب ٤: ٢٧١ (دبر).

٣ ـ القمّي ٢: ١٧٦ إلى ١٨٨.

الحنجرة، وهي منتهى الحلقوم. ﴿وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا﴾: الأنواع من الظّنّ.

﴿هُنالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ﴾: اختبروا؛ فظهر المخلص من المنافق، والثّابت من المتزلزل. ﴿وَزُلْزِلُوا زِلْزالاً شَدِيداً﴾ من شدّة الفزع.

﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ما وَعَدَنا اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ من الظّفر وإعلاء الدّين ﴿إِلَّا غُرُوراً﴾: وعداً باطلاً.

﴿وَإِذْ قالَتْ طائِفَةٌ مِنْهُمْ يا أَهْلَ يَثْرِبَ﴾: أهل المدينة ﴿لا مُقامَ لَكُمْ﴾: لا موضع قيام لكم ﴿فَارْجِعُوا﴾ إلى منازلكم هاربين ﴿وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ﴾ للرّجوع ﴿يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنا عَوْرَةٌ﴾: غير حصينة، وأصلها الخلل ﴿وَما هِيَ بِعَوْرَةٍ﴾ قال: «بل هي رفيعة السَّمْك[1] حصينة»[2]. وفي رواية: «وكانت بيوتهم في أطراف البيوت حيث ينفرد النّاس، فأكذبهم. قال "وما هي بعورة"»[3]. ﴿إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِراراً﴾ من القتال.

﴿وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطارِها﴾: من جوانبها ﴿ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ﴾: الرّدّة ومقاتلة المسلمين ﴿لَآتَوْها﴾: لأعطوها ﴿وَما تَلَبَّثُوا بِها﴾ بالفتنة، أي بإعطائها ﴿إِلَّا يَسِيراً﴾.

﴿وَلَقَدْ كانُوا عاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لا يُوَلُّونَ الْأَدْبارَ وَكانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولاً﴾.

﴿قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِرارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذاً لا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلاً﴾.

﴿قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرادَ بِكُمْ سُوءاً أَوْ أَرادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيّاً﴾ ينفعهم ﴿وَلا نَصِيراً﴾ يدفع الضّرّ عنهم.

﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ﴾: المثبّطين[4] عن رسول الله ﷺ؛ وهم المنافقون ﴿وَالْقائِلِينَ لِإِخْوانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنا﴾: قرّبوا أنفسكم إلينا ﴿وَلا يَأْتُونَ الْبَأْسَ﴾: ولا يقاتلون

١ ـ السَّمْك: السقف. الصّحاح ٤: ١٥٩٢ (سمك).

٢ ـ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ٣٤٧، عن أبي عبد الله عليه السلام.

٣ ـ العيّاشي ٢: ١٠٣، الحديث: ٩٨، عن أبي جعفر عليه السلام.

٤ ـ ثبّطه: قعد به عن الأمر وشغله عنه ومنعه تخذيلاً ونحوه. المصباح المنير ١: ١٠٠ (ثبط).

﴿إلّا قَليلاً﴾.

﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ﴾ بُخَلاء بالمعاونة أو النّفقة أو الظّفر أو الغنيمة ﴿فَإِذا جاءَ الخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ﴾ في أحداقهم ﴿كَالَّذِي يُغْشى عَلَيْهِ مِنَ المَوْتِ﴾: من معالجة سكرات الموت؛ خوفاً ولواذاً بك ﴿فَإِذا ذَهَبَ الخَوْفُ﴾ وحيزت الغنائم ﴿سَلَقُوكُمْ﴾: ضربوكم ﴿بِأَلْسِنَةٍ حِدادٍ﴾: ذربة[1] يطلبون الغنيمة. والسّلق: البسط بقهر، باليد أو باللّسان. ﴿أَشِحَّةً عَلَى الخَيْرِ أُولٰئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا﴾ إخلاصاً ﴿فَأَحْبَطَ اللّٰهُ أَعْمالَهُمْ وَكانَ ذٰلِكَ عَلَى اللّٰهِ يَسِيراً﴾.

القمّي: نزلت هذه الآية في الثّاني لمّا قال لعبد الرّحمن بن عوف: هلمّ ندفع محمّداً إلى قريش ونلحق نحن بقومنا[2].

﴿يَحْسَبُونَ الأَحْزابَ لَمْ يَذْهَبُوا﴾ أي: هؤلاء لجبنهم يظنّون أنّ الأحزاب لم ينهزموا، وقد انهزموا ﴿وَإِنْ يَأْتِ الأَحْزابُ﴾ كرّة ثانية ﴿يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بادُونَ فِي الأَعْرابِ﴾: تمنّوا أنّهم خارجون إلى البدو وحاصلون بين الأعراب ﴿يَسْأَلُونَ﴾ كلّ قادم من جانب المدينة ﴿عَنْ أَنْبائِكُمْ﴾: عمّا جرى عليكم ﴿وَلَوْ كانُوا فِيكُمْ﴾ هذه الكرّة ولم يرجعوا إلى المدينة. وكان قتال ﴿ما قاتَلُوا إِلّا قَلِيلاً﴾ رياءً وخوفاً عن التّعيير.

﴿لَقَدْ كانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللّٰهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ في أفعاله وأخلاقه، كثباته في الحرب ومقاساته للشّدائد وغير ذلك ﴿لِمَنْ كانَ يَرْجُو اللّٰهَ وَاليَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللّٰهَ كَثِيراً﴾. قرن بالرّجاء كثرة الذّكر المؤدّية إلى ملازمة الطّاعة، فإنّ المؤتسي بالرّسول من كان كذلك.

﴿وَلَمّا رَأَى المُؤْمِنُونَ الأَحْزابَ قالُوا هٰذا ما وَعَدَنا اللّٰهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللّٰهُ وَرَسُولُهُ وَما زادَهُمْ إِلّا إِيماناً وَتَسْلِيماً﴾. روي: إنّ النّبيّ ﷺ قال: «سيشتدّ الأمر

[1] ـ الذّرب: الحادّ من كلّ شيء. ولسان ذَرِبٌ وفيه ذَرابةٌ، أي: حِدَّةٌ. قال أبو زيد: في لسانه ذَرَبٌ، وهو الفحش. الصّحاح ١: ١٢٧ (ذرب).

[2] ـ القمّي ٢: ١٨٨.

باجتماع الأحزاب عليكم ، والعاقبة لكم عليهم . وقال: إنّهم سائرون إليكم بعد تسع أو عشر»[١].

﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجالٌ صَدَقُوا ما عاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ قال: «أن لا يفرّوا أبداً»[٢]. ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ قَضىٰ نَحْبَهُ﴾ قال: «أجله ، وهو حمزة وجعفر»[٣]. قيل: النّحب: النّذر ، استعير للموت لأنّه كنذر لازم في الرّقبة[٤]. ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ﴾ قال: «أجله ، يعني عليّاً»[٥]. ﴿وَما بَدَّلُوا﴾ العهدَ ولا غيّروه ﴿تَبْدِيلاً﴾: شيئاً من التّبديل . فيه تعريض لأهل النّفاق ومرض القلب بالتّبديل .

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «ولقد كنت عاهدت اللّه تعالى ورسوله أنا وعمّي حمزة وأخي جعفر وابن عمّي عبيدة على أمر وفينا به للّه تعالى ولرسوله صلى الله عليه وآله ، فتقدّمني أصحابي وتخلّفت بعدهم لما أراد اللّه تعالى ، فأنزل اللّه فينا: "من المؤمنين رجال صدقوا" الآية»[٦].

وفي لفظ آخر قال: «فينا نزلت: "رجال صدقوا" فأنا واللّه المنتظر ، وما بدّلت تبديلاً»[٧].

﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنافِقِينَ﴾: المبدّلين ﴿إِنْ شاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كانَ غَفُوراً رَحِيماً﴾ .

﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يعني الأحزاب ﴿بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنالُوا خَيْراً﴾: غير ظافرين ﴿وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتالَ﴾ قال: «كفى اللّه المؤمنين القتال بعليّ بن أبي طالب وقتله

١ ـ البيضاوي ٤: ١٦١ .
٢ و ٣ ـ القمّي ٢: ١٨٨ ، عن أبي جعفر عليه السلام .
٤ ـ البيضاوي ٤: ١٦١ .
٥ ـ القمّي ٢: ١٨٩ ، عن أبي جعفر عليه السلام .
٦ ـ الخصال ٢: ٣٧٦ ، ذيل الحديث الطّويل: ٥٨ ، عن أبي جعفر ، عن أمير المؤمنين عليه السلام .
٧ ـ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ٣٥٠ ، عن أمير المؤمنين عليه السلام .

عمرو بن عبد ود»[١]. ﴿وَكانَ اللّهُ قَوِيّاً﴾ على إحداث ما يريده ﴿عَزِيزاً﴾ غالباً على كلّ شيء.

﴿وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظاهَرُوهُمْ﴾: ظاهروا الأحزاب ﴿مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ﴾ القمّي: يعني بني قريظة[٢]. ﴿مِنْ صَياصِيهِمْ﴾: من حصونهم ﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ﴾: الخوف ﴿فَرِيقاً تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقاً﴾.

﴿وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيارَهُمْ﴾: مزارعهم وحصونهم ﴿وَأَمْوالَهُمْ﴾: نقودهم ومواشيهم وأثاثهم ﴿وَأَرْضاً لَمْ تَطَئُوها وَكانَ اللّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيراً﴾. وذلك أنّه لمّا دخل رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله المدينة واللّواءُ معقودٌ، أراد أن يغتسل من الغبار، فناداه جبرئيل عليه السلام: ما وضعت الملائكة لأمتها[٣]، فكيف تضع لأمتك! إنّ اللّه يأمرك أن لا تصلّي العصر إلّا ببني قريظة؛ فإنّي متقدّمُكم ومُزَلزِلٌ بهم حصنَهم، إنّا كنّا في آثار القوم نزجرهم زجراً. فخرج رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام بين يديه مع الرّاية العظمى، وأنزل العسكر حول حصنهم، فحاصرهم ثلاثة أيّام، فجزعوا وأكثروا عليه، فأنزلهم على حكم سعد بن معاذ فرضوا بذلك. فحكم سعد: أن يُقتَلَ رجالُهم وتُسبىٰ نساؤهم وذراريهم، وتُقسَمَ غنائمُهم وأموالُهم بين المهاجرين والأنصار. فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله: قد حَكَمْتَ بقول اللّه عزّوجلّ فوق سبعة أرقعة[٤]. هذا ملخّص ما ذكره القمّي[٥].

﴿يا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْواجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَياةَ الدُّنْيا﴾: السّعة والتّنعّم فيها ﴿وَزِينَتَها﴾: وزخارفها ﴿فَتَعالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ﴾: أُعطكنّ المتعة ﴿وَأُسَرِّحْكُنَّ سَراحاً جَمِيلاً﴾:

١ ـ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ٣٥٠، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٢ ـ القمّي ٢: ١٨٩.

٣ ـ اللّأمَة: الدّرع. الصّحاح ٥: ٢٠٢٦ (لأم).

٤ ـ الرقيع: سماء الدنيا، وكذلك سائر السماوات. الصّحاح ٣: ١٢٢٢ (رقع).

٥ ـ القمّي ٢: ١٨٩ إلى ١٩١.

طلاقاً من غير ضرار برغبة .

﴿وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللّٰهَ وَرَسُولَهُ وَالدّارَ الآخِرَةَ فَإِنَّ اللّٰهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِناتِ مِنْكُنَّ أَجْراً عَظِيماً﴾ . استحقر دونه الدّنيا وزينتها .

ورد: «إنّ زينب بنت جحش قالت لرسول اللّه ﷺ : لا تعدل وأنت رسول اللّه! وقالت حفصة: إن طلّقتنا وجدنا أكفائنا من قومنا . فاحتبس الوحي عن رسول اللّه ﷺ عشرين يوماً ، قال: فأنف اللّه لرسوله ، فأنزل هذه الآية . قال: فاخترن اللّه ورسوله ولم يكن شيء ، ولو اخترن أنفسهنّ لَبِنّ[1]»[2] .

والقمّي: أصاب غنيمة ، فقلن أزواجه: أعطنا ما أصبتَ ، فقال: قَسَمْتُه بين المسلمين على ما أمر اللّه ، فغضبن من ذلك ، وقلن: لعلّك ترى أنّك إن طلّقتنا أن لا نجد الأكفاء من قومنا يتزوّجونا! فأنف اللّه عزّوجلّ لرسوله ، فأمره أن يَعْتَزِلَهنّ تسعة وعشرين يوماً حتّى حِضْنَ وطَهُرْنَ ، ثمّ أنزل اللّه هذه الآية ، وهي آية التّخيير ، فقامت أمّ سلمة أوّل من قامت ، فقالت: قد اخترتُ اللّهَ ورسولَه ، فقُمْنَ كلّهنّ ، فعانقنه ، وقلن مثل ذلك ، فأنزل اللّه: "تُرْجي مَنْ تَشاءُ مِنْهُنَّ وتُؤْوي إِلَيْكَ مَنْ تَشاءُ" الآية[3] ، فهذه الآية مع هذه ؛ وقد أخّرت عنها في التأليف[4] .

ورد: «إنّما هذا شيء كان لرسول اللّه ﷺ خاصّة ، أُمر بذلك فَفَعَلَ ، ولو اخترن أنفسهنّ لطلّقهنّ»[5] .

﴿يا نِساءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ﴾: ظاهر قبحها ﴿يُضاعَفْ لَها الْعَذابُ

١ ـ أي: لصرن بائنات ، يعني حصل البينونة بينك وبينهنّ .
٢ ـ الكافي ٦: ١٣٨ ، الحديث: ٢ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .
٣ ـ نفس السورة: ٥١ .
٤ ـ القمّي ٢: ١٩٢ .
٥ ـ الكافي ٦: ١٣٧ ، الحديث: ٣ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .

ضِعْفَيْنِ﴾: ضعفي عذاب غيرهنّ. قال: «الفاحشة: الخروج بالسّيف»[1].

﴿وَكَانَ ذٰلِكَ عَلَى اللّٰهِ يَسِيراً﴾ لا يمنعه عن التّضعيف كونهنّ نساء النّبيّ، وكيف وهو سببه؟!

﴿وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ﴾: ومن يدم على الطّاعة ﴿لِلّٰهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صالِحاً نُؤْتِها أَجْرَها مَرَّتَيْنِ﴾: مرّة على الطّاعة ومرّة على طلب رضا النّبيّ صلى الله عليه وآله؛ بالقناعة وحسن المعاشرة وغير ذلك. ﴿وَأَعْتَدْنا لَها رِزْقاً كَرِيماً﴾ في الجنّة زيادة على أجرها. قال: «كلّ ذلك[2] في الآخرة، حيث يكون الأجر يكون العذاب»[3].

﴿يا نِساءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّساءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ﴾ اللّه ﴿فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ﴾: فلا تُجِبْنَ بقولكنّ خاضعاً ليّناً مثل قول المريبات ﴿فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾: فجور ﴿وَقُلْنَ قَوْلاً مَعْرُوفاً﴾: حسناً بعيداً عن الرّيبة.

﴿وَقَرْنَ﴾ من الوقار أو القرار ﴿فِي بُيُوتِكُنَّ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجاهِلِيَّةِ الْأُولىٰ﴾ التّبرّج: إظهارُ النّساء زينتهنّ ومحاسنهنّ للرّجال.

ورد: «إنّ يوشع بن نون وصيّ موسى عاش بعد موسى ثلاثين سنة، وخرجت عليه صفراء بنت شعيب زوجة موسى عليه السلام فقالت: أنا أحقّ بالأمر منك، فقاتلها فقتل مقاتلتها وأحسن أسرها، وإنّ ابنة أبي بكر ستخرج على عليّ في كذا وكذا ألفاً من أُمّتي، فيقاتلها فيقتل مقاتلتها ويأسرها فيحسن أسرها، وفيها أنزل اللّه: "وقرن في بيوتكنّ ولا تبرّجن تبرّج الجاهليّة الأُولى" يعني صفراء بنت شعيب»[4]. وفي رواية: «أي: سيكون جاهليّة

١ ـ القمّي ٢: ١٩٣، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٢ ـ في المصدر: «كلّ هذا».

٣ ـ القمّي ٢: ١٩٣، عن أبي جعفر عليه السلام.

٤ ـ كمال الدّين ١: ٢٧، في مقدّمة المصنّف، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله.

أُخرى»[١].

﴿وَأَقِمْنَ الصَّلاةَ وَآتِينَ الزَّكاةَ وَأَطِعْنَ اللّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّما يُرِيدُ اللّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾.

قال: «نزلت هذه الآية في رسول اللّه وعليّ بن أبي طالب وفاطمة والحسن والحسين صلوات اللّه عليهم، وذلك في بيت أُمّ سلمة زوج النّبيّ، فدعا رسولُ اللّه صلى الله عليه وآله أمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين، ثمّ ألبسهم كساءً له خيبريّاً، ودخل معهم فيه، ثمّ قال: اللّهمّ هؤلاء أهل بيتي الّذين وَعَدْتَني فيهم ما وَعَدْتَني، اللّهمّ اذهب عنهم الرّجس وطهّرهم تطهيراً، فقالت أُمّ سلمة: وأنا معهم يا رسول اللّه؟ قال: ابشري يا أُمّ سلمة، فإنّك إلى خير»[٢].

وزيد في رواية: «إنّما نزلت فيّ وفي أخي وفي ابنتي وفي ابنيّ وفي تسعة من ولد ابني الحسين خاصّة، ليس معنا[٣] أحد غيرنا»[٤].

وفي أُخرى: «يعني الأئمّة وولايتهم، من دخل فيها دخل في بيت النّبيّ»[٥]. وفي نزولها في شأنهم أخبار كثيرة من طريق العامّة[٦] والخاصّة[٧].

وعن زيد بن عليّ بن الحسين: إنّ جهّالاً من النّاس يزعمون: أنّه إنّما أراد اللّهُ بهذه الآية أزواجَ النّبيّ، وقد كذبوا وأثموا وأيمن اللّه، ولو عنى أزواج النّبيّ لقال: ليذهب عنكنّ

١ ـ القمّي ٢: ١٩٣، عن أبي عبد اللّه، عن أبيه عليهما السلام.

٢ ـ القمّي ٢: ١٩٣، عن أبي جعفر عليه السلام.

٣ ـ في المصدر: «ليست فيها».

٤ ـ كمال الدّين ١: ٢٧٨، الباب: ٢٤، ذيل الحديث: ٢٥، عن أمير المؤمنين عليه السلام، عن رسول اللّه صلى الله عليه وآله.

٥ ـ الكافي ١: ٤٢٣، الحديث: ٥٤، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٦ ـ السنن الكبرى (للبيهقي) ٢: ١٥٠؛ المستدرك (للحاكم) ٢: ٤١٦؛ البيضاوي ٤: ١٦٣؛ روح المعاني ٢٢: ١٤.

٧ ـ القمّي ٢: ١٩٣؛ علل الشّرائع ١: ١٩١، الباب: ١٥١، الحديث: ١؛ الخصال ٢: ٥٦١، ذيل الحديث: ٣١؛ عيون أخبار الرضا عليه السلام ١: ٢٢٩، الباب: ٢٣، الحديث: ١.

الرّجس ويطهّركنّ تطهيراً، ولكان الكلام مؤنّثاً، كما قال: "أُذكُرْنَ ما يُتْلىٰ في بُيُوتِكُنَّ"، "ولا تبرّجن" "ولستنّ كأحد من النّساء"[١].

و ورد: «ليس شيء أبعد من عقول الرّجال من تفسير القرآن، إنّ الآية أوّلها ينزل في شيء وأوسطها في شيء وآخرها في شيء ثمّ قال: "إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرّجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً" من ميلاد الجاهليّة»[٢].

وفي رواية: «الرّجس هو الشّكّ، ولا نشكّ في ديننا أبداً»[٣].

﴿وَاذْكُرْنَ ما يُتْلىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آياتِ اللّٰهِ وَالحِكْمَةِ﴾ من الكتاب الجامع بين الأمرين ﴿إِنَّ اللّٰهَ كانَ لَطِيفاً خَبِيراً﴾.

﴿إِنَّ المُسْلِمِينَ وَالمُسْلِماتِ وَالمُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِناتِ﴾. ورد: «إنّ الإيمان ما وقّر في القلوب، والإسلام ما عليه المناكح والمواريث وحقن الدّماء، والإيمان يشرك الإسلام، والإسلام لا يشرك الإيمان»[٤]. ﴿وَالقانِتِينَ﴾: المداومين على الطّاعة ﴿وَالقانِتاتِ وَالصّادِقِينَ﴾ في القول والفعل ﴿وَالصّادِقاتِ وَالصّابِرِينَ﴾ على الطّاعات وعن المعاصي ﴿وَالصّابِراتِ وَالخاشِعِينَ﴾: المتواضعين للّه بقلوبهم وجوارحهم ﴿وَالخاشِعاتِ وَالمُتَصَدِّقِينَ﴾ من أموالهم ابتغاء مرضاة الله ﴿وَالمُتَصَدِّقاتِ وَالصّائِمِينَ﴾ للّه بنيّة صادقة ﴿وَالصّائِماتِ وَالحافِظِينَ فُرُوجَهُمْ﴾ عن الحرام ﴿وَالحافِظاتِ وَالذّاكِرِينَ اللّٰهَ كَثِيراً﴾ بقلوبهم وألسنتهم ﴿وَالذّاكِراتِ أَعَدَّ اللّٰهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً﴾ لذنوبهم ﴿وَأَجْراً عَظِيماً﴾ على طاعتهم.

روي: «دخلت أسماء بنت عميس على نساء رسول الله ﷺ فقالت: هل فينا شيء من

١ـ القمّي ٢: ١٩٣.

٢ـ العيّاشي ١: ١٧، الحديث: ١، عن أبي جعفر عليه السلام.

٣ـ بصائر الدّرجات: ٢٠٦، الباب: ١١، الحديث: ١٣، عن أبي جعفر عليه السلام.

٤ـ الكافي ٢: ٢٦، الحديث: ٣، عن أبي عبد الله عليه السلام.

القرآن؟ قلن: لا . فأتت رسول اللّه فقالت: يا رسول اللّه إنّ النّساء لفي خيبة وخسار! فقال: وممّ ذلك؟ قالت: لأنّهنّ لا يُذكرنَ بخير كما يُذكَرُ الرّجال . فأنزل اللّه هذه الآية»[١] .

﴿وَما كانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إذا قَضَى اللّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾: أن يختاروا من أمرهم شيئاً ، بل يجب عليهم أن يجعلوا اختيارهم تبعاً لاختيار اللّه ورسوله ، والخيرة: ما يخيّر .

ورد: «إنّ رسول اللّه صلى الله عليه وآله خطب على زيد بن حارثة زينبَ بنت جحش ، وهي بنت عمّة النّبيّ صلى الله عليه وآله ، فقالت: يا رسول اللّه حتّى أوامر نفسي فانظر . فأنزل اللّه هذه الآية ، فقالت: يا رسول اللّه أمري بيدك ، فزوّجها إيّاه»[٢] . ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُبِيناً﴾ .

﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِ﴾ بالإسلام ﴿وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ﴾ بالعتق ؛ وهو زيد بن حارثة ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾: زينب ﴿وَاتَّقِ اللّهَ﴾ في أمرها فلا تطلّقها ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ ما اللّهُ مُبْدِيهِ﴾ .

قال: «إنّ الّذي أخفاه في نفسه هو أنّ اللّه سبحانه أعلمه أنّها ستكون من أزواجه ، وأنّ زيداً سيطلّقها . فلمّا جاء زيد وقال له: أُريد أن أُطلّق زينب ، قال له: "أمسك عليك زوجك" ، فقال سبحانه: لِمَ قُلْتَ: أمسك عليك زوجك؟ وقد أعلمتك أنّها ستكون من أزواجك»[٣] .

وزاد في رواية: «ولم يبده ؛ لكيلا يقول أحد من المنافقين: إنّه قال في امرأة في بيت رجل: إنّها أحد أزواجه من أُمّهات المؤمنين ، وخشي قول المنافقين[٤]»[٥] .

١ ـ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ٣٥٨ ، عن مقاتل بن حيان ، مع تفاوت يسير .

٢ ـ القمّي ٢: ١٩٤ ، عن أبي جعفر عليه السلام .

٣ ـ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ٣٦٠ ، عن عليّ بن الحسين عليهما السلام .

٤ ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ١: ١٩٥ ، الباب: ١٤ ، ذيل الحديث الطّويل: ١ .

٥ ـ وزاد في «ألف»: «وفي المخفى رواية أُخرى ذكرناها في الصّافي» .

﴿وَتَخْشَى النَّاسَ﴾ تعييرَهم إيّاك به. ﴿وَاللّٰهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشاهُ﴾ إن كان فيه ما يخشى ﴿فَلَمّا قَضىٰ زَيْدٌ مِنْها وَطَراً﴾ بحيث ملّها ولم يبق له فيها حاجة، وطلّقها وانقضت عدّتها ﴿زَوَّجْناكَها﴾ وفي قراءتهم عليهم السلام: «زوّجتكها»[1].

ورد: «إنّ اللّه ما تولّى تزويجَ أحدٍ من خلقه إلّا تزويج حوّاء من آدم، وزينب من رسول اللّه، وفاطمة من عليّ»[2].

﴿لِكَيْ لا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْواجِ أَدْعِيائِهِمْ إِذا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَراً وَكانَ أَمْرُ اللّٰهِ مَفْعُولاً﴾.

﴿ما كانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيما فَرَضَ اللّٰهُ لَهُ سُنَّةَ اللّٰهِ﴾: سنّ ذلك سنّة ﴿فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ﴾ من الأنبياء، وهو نفي الحرج عنهم فيما أباح لهم ﴿وَكانَ أَمْرُ اللّٰهِ قَدَراً مَقْدُوراً﴾: قضاءً مقضيّاً وحكماً قطعيّاً.

﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسالاتِ اللّٰهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلا يَخْشَوْنَ أَحَداً إِلَّا اللّٰهَ وَكَفىٰ بِاللّٰهِ حَسِيباً﴾ فينبغي أن لا يخشى إلّا منه.

﴿ما كانَ مُحَمَّدٌ أَبا أَحَدٍ مِنْ رِجالِكُمْ﴾ على الحقيقة، فيثبت بينه وبينه ما بين الوالد وولده من حرمة المصاهرة وغيرها.

أقول: لا يُنتقَضُ عمومُه بكونه أباً للأئمّة عليهم السلام وأنّهم بنوه، لأنّهم رجاله ليسوا برجال النّاس، مع أنّهم لا يقاسوا بالنّاس. ورد: إنّه صلّى اللّه عليه وآله قال: «إنّ كلّ بني بنت ينسبون إلى أبيهم إلّا أولاد فاطمة فإنّي أنا أبوهم، وقال للحسن والحسين: ابناي هذان إمامان قاما أو قعدا»[3].

١ ـ جوامع الجامع: ٣٧٣، عن أهل البيت وعليّ والصادق عليهم السلام.

٢ ـ عيون أخبار الرضا عليه السلام ١: ١٩٥، الباب: ١٤، ذيل الحديث الطّويل: ١.

٣ ـ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ٣٦١.

يعني قاما بالإمامة أو قعدا عنها، وقد مرّ في سورتي النّساء[1] والأنعام[2] ما يدلّ على أنّهما ابناه أيضاً.

﴿وَلَٰكِنْ رَسُولَ اللَّهِ﴾ وكلّ رسولٍ أبو أُمّته لا مطلقاً، بل من حيث أنّه شفيق ناصح لهم، واجب التّوقير والطّاعة عليهم؛ وزيدٌ منهم. ﴿وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾: وآخرهم الّذي ختمهم أو خُتموا به، على اختلاف القراءتين[3]. ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً﴾.

﴿يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْراً كَثِيراً﴾: يغلب الأوقات وتعمّ أنواعه.

﴿وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾: أوّل النّهار وآخره. خصوصاً لفضلهما على سائر الأوقات، بكونهما مشهودين.

ورد: «ما من شيء إلّا وله حدّ ينتهي إليه، إلّا الذّكر فليس له حدّ ينتهي إليه، فرض اللّه الفرائضَ فمن أدّاهنّ فهو حدّهن، وشهر رمضان فمن صامه فهو حدّه، والحجّ فمن حجّ فهو حدّه، إلّا الذّكر فإنّ اللّه لم يرض منه بالقليل، ولم يجعل له حدّاً ينتهي إليه، ثمّ تلا هذه الآية»[4].

﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ﴾ بالرّحمة ﴿وَمَلائِكَتُهُ﴾ بالاستغفار لكم، والاهتمام بما يصلحكم ﴿لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَى النُّورِ﴾: من ظلمات الكفر والمعاصي إلى نور الإيمان والطّاعة ﴿وَكانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً﴾ حيث اعتنى بصلاح أمرهم وإنافة[5] قدرهم، واستعمل في ذلك ملائكته المقرّبين.

ورد: «من صلّى على محمّد وآل محمّد عشراً صلّى اللّه عليه وملائكته مائة مرّة، ومن

١ـ ذيل الآية: ٢٣.

٢ـ ذيل الآية: ١٥٣.

٣ـ مجمع البيان ٧ـ٨: ٣٥٨.

٤ـ الكافي ٢: ٤٩٨، الحديث: ١، عن أبي عبد اللّه عليه السلام، وفيه: «اللّه عزّوجلّ» في الموضعين.

٥ـ ناف الشيء ينوف، أي: طال وارتفع. الصّحاح ٤: ١٤٣٦ (نوف).

صلّى على محمّد وآل محمّد[١] مائة مرّة صلّى اللّه عليه وملائكته ألفاً، أما تسمع قولَ اللّه عزّوجلّ: "هو الّذي يصلّي عليكم" الآية»[٢].

﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلامٌ﴾ قيل: أي: يحيّون يوم لقائه بالسّلامة من كلّ مكروه وآفة[٣]. و ورد: «يعني أنّه لايزول الإيمان عن قلوبهم يوم يبعثون»[٤]. ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْراً كَرِيماً﴾.

﴿يا أَيُّها النَّبِيُّ إِنّا أَرْسَلْناكَ شاهِداً﴾: «على من بعثت إليه، بتصديقهم وتكذيبهم»[٥] ﴿وَمُبَشِّراً﴾ «بالجنّة من أطاعك»[٦] ﴿وَنَذِيراً﴾ «بالنّار من عصاك»[٧].

﴿وَداعِياً إِلَى اللّهِ﴾: «إلى دينه». كذا ورد في الأربعة[٨]. ﴿بِإِذْنِهِ﴾: بتيسيره ﴿وَسِراجاً مُنِيراً﴾ يستضاء به عن ظلمات الجهالة، ويقتبس من نوره أنوار البصائر.

﴿وَبَشِّرِ المُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللّهِ فَضْلاً كَبِيراً﴾.

﴿وَلا تُطِعِ الكافِرِينَ وَالمُنافِقِينَ﴾. تهييج له على ما هو عليه من مخالفتهم. ﴿وَدَعْ أَذاهُمْ﴾: إيذاءهم إيّاك، أو إيذاءك[٩] إيّاهم ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ﴾ فإنّه يكفيهم ﴿وَكَفى بِاللّهِ وَكِيلاً﴾. القمّي: نزلت بمكّة قبل الهجرة بخمس سنين، قال: فهذا دليل على خلاف التّأليف[١٠].

﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذا نَكَحْتُمُ المُؤْمِناتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ﴾:

١ ـ في «ألف»: «ومن صلّى عليه».

٢ ـ الكافي ٢: ٤٩٣، الحديث: ١٤، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٣ ـ البيضاوي ٤: ١٦٥.

٤ ـ التّوحيد: ٢٦٧، الباب: ٣٦، ذيل الحديث: ٥، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

٥ ـ الاحتجاج ١: ٣٦١، عن أمير المؤمنين عليه السلام، بالمضمون.

٦ و ٧ و ٨ ـ علل الشّرائع ١: ١٢٧، الباب: ١٠٦، ذيل الحديث: ١؛ معاني الأخبار: ٥٢، ذيل الحديث: ٢، عن حسن بن علي بن أبي طالب عليهما السلام، عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله.

٩ ـ في «ب»: «وإيذاءك».

١٠ ـ القمّي ٢: ١٩٤.

تجامعوهنّ ﴿فَما لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ﴾: أيّام يتربّصن فيها بأنفسهنّ ﴿تَعْتَدُّونَها﴾: تستوفون عددها ﴿فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَراحاً جَمِيلاً﴾ من غير ضرار ولا منع حقّ.

قال: «عليه نصف المهر إن كان فرض لها شيئاً، وإن لم يكن فرض لها فليمتّعها على نحو ما يتمتّع مثلها من النّساء»[١]. وقد سبق في سورة البقرة[٢].

﴿يا أَيُّها النَّبِيُّ إِنّا أَحْلَلْنا لَكَ أَزْواجَكَ اللّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ﴾: مهورهنّ؛ لأنّ المهر أجر على البضع ﴿وَما مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمّا أَفاءَ اللّهُ عَلَيْكَ﴾ بالسّبي ﴿وَبَناتِ عَمِّكَ وَبَناتِ عَمّاتِكَ وَبَناتِ خالِكَ وَبَناتِ خالاتِكَ اللّاتِي هاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَها لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَها﴾. «نزلت في خولة بنت حكيم من الأنصار، عرضت نفسها عليه وقالت: وهبت نفسي لك إن قبلتني، فقال لها خيراً ودعا لها وللأنصار، فنزلت». كذا ورد[٣]. ﴿خالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ قال: «ولا يحلّ ذلك لغيره»[٤]. ﴿قَدْ عَلِمْنا ما فَرَضْنا عَلَيْهِمْ فِي أَزْواجِهِمْ﴾ من الشّرائط والحصر في الأربع ﴿وَما مَلَكَتْ أَيْمانُهُمْ﴾ والجملة إعتراض. ﴿لِكَيْلا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ﴾ أي: خلص إحلالها لك لمعان يقتضي التوسيع عليك ﴿وَكانَ اللّهُ غَفُوراً﴾ لما يعسر التّحرّز عنه ﴿رَحِيماً﴾ بالتوسعة في مظانّ الحرج.

﴿تُرْجِي مَنْ تَشاءُ مِنْهُنَّ﴾ بترك نكاحها أو تطليقها ﴿وَتُؤْوِي إِلَيْكَ﴾ بضمّها إليك وإمساكها ﴿مَنْ تَشاءُ﴾ قال: «من أوى فقد نكح، ومن أرجى فلم ينكح»[٥]. وفي رواية: «ومن أرجى فقد طلّق»[٦]. ﴿وَمَنِ ابْتَغَيْتَ﴾: طلبت ﴿مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلا جُناحَ عَلَيْكَ﴾ في

١ ـ الكافي ٦: ١٠٨، الحديث: ١١، عن أبي عبد الله عليه السلام.

٢ ـ ذيل الآية: ٢٣١.

٣ و ٤ ـ الكافي ٥: ٥٦٨، الحديث: ٥٣، عن أبي جعفر عليه السلام.

٥ ـ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ٣٦٧، عن الباقر والصّادق عليهما السلام.

٦ ـ القمّي ٢: ١٩٢، عن أبي عبد الله عليه السلام.

شيء من ذلك . ﴿ذٰلِكَ أَدْنىٰ أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِما آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ﴾: ذلك التّفويض إلى مشيّتك ، أقرب إلى قرّة عيونهنّ وقلّة حزنهنّ ورضاهنّ جميعاً ؛ لأنّه حكم كلّهنّ فيه سواء ، ثمّ إن سوّيت بينهنّ وجدن ذلك تفضّلاً منك ، وإن رجّحت بعضهنّ علمن أنّه بحكم اللّه ، فتطمئنّ نفوسهنّ . ﴿وَاللّٰهُ يَعْلَمُ ما فِي قُلُوبِكُمْ وَكانَ اللّٰهُ عَلِيماً حَلِيماً﴾ .

﴿لا يَحِلُّ لَكَ النِّساءُ مِنْ بَعْدُ وَلا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْواجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلّا ما مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكانَ اللّٰهُ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَقِيباً﴾ . قيل: المعنى لا يحلّ لك النّساء من بعد الأجناس المذكورة اللّاتي نصّ على إحلالهنّ لك ، ولا أن تبدّل بهنّ أزواجاً من أجناس أُخر[١] ؛ وقيل: من بعد النّساء اللّاتي اخترن اللّه ورسوله ، إذ خيّرن مكافاة لهنّ على ذلك ، وهنّ التّسع[٢] .

و ورد: «إنّما عنى به: لا يحلّ لك النّساء اللّاتي حرّم اللّه عليك في هذه الآية "حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهاتُكُم وبناتُكُم" إلى آخرها[٣] . قال: ولو كان الأمر كما يقولون ، كان قد أحلّ لكم ما لم يحلّ له ، لأنّ أحدكم يستبدل كلّما أراد ، ولكنّ الأمر ليس كما يقولون ، إنّ اللّه عزّوجلّ أحلّ لنبيّه أن ينكح من النّساء ما أراد إلّا ما حرّم في هذه الآية في سورة النّساء»[٤] . وفيه ما فيه .

وقيل: هي منسوخة بقوله: "ترجي من تشاء" فإنّه وإن تقدّمها قراءة فهو مسبوق بها نزولاً[٥] .

﴿يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلىٰ طَعامٍ﴾: تدعون

١ ـ جوامع الجامع: ٣٧٦ ؛ الكشّاف ٣: ٢٧٠ ؛ البيضاوي ٤: ١٦٦ .

٢ ـ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ٣٦٧ .

٣ ـ النّساء (٤): ٢٣ .

٤ ـ الكافي ٥: ٣٨٩ ، الحديث: ٤ ، عن أبي جعفر عليه السلام .

٥ ـ البيضاوي ٤: ١٦٦ .

اليه ﴿غَيْرَ ناظِرِينَ إناهُ﴾: غير منتظرين وقته أو إدراكه ؛ من أنى الطّعام إذا أدرك . ﴿وَلكِنْ إذا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإذا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا﴾: تفرّقوا ولا تمكثوا ﴿وَلا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إنَّ ذٰلِكُمْ كانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ﴾ لتضييق المنزل عليه وعلى أهله ، واشتغاله بما لا يعنيه ﴿فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ﴾: من إخراجكم ﴿وَاللّٰهُ لا يَسْتَحْيِي مِنَ الحَقِّ﴾ فيأمركم بالخروج ﴿وَإذا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتاعاً﴾: شيئاً ينتفع به ﴿فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَراءِ حِجابٍ ذٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ من الخواطر الشّيطانيّة .

القمّي: لمّا تزوّج رسول اللّه صلى الله عليه وآله بزينب بنت جحش وكان يحبّها ، فأولم ودعا أصحابه ، وكانوا إذا أكلوا يحبّون أن يتحدّثوا عنده ، وكان يحبّ أن يخلو معها ، فأنزل اللّه عزّ وجلّ هذه الآية[1] .

﴿وَما كانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللّٰهِ وَلا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْواجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَداً﴾: من بعد وفاته أو فراقه ﴿إنَّ ذٰلِكُمْ كانَ عِنْدَ اللّٰهِ عَظِيماً﴾ .

﴿إنْ تُبْدُوا شَيْئاً﴾ كنكاحهنّ ، على ألسنتكم ﴿أَوْ تُخْفُوهُ﴾ في صدوركم ﴿فَإنَّ اللّٰهَ كانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً﴾ .

القمّي: لمّا أنزل: "وأزواجُهُ أُمّهاتُهُم"[2] وحرّم اللّه نساء النّبيّ على المسلمين ، غضب طلحة فقال: يحرم[3] محمّد علينا نساءه ويتزوّج هو بنسائنا ، لئن أمات اللّه محمّداً لنركضنّ بين خلاخيل نسائه ، كما ركض بين خلاخيل نسائنا ، فأنزل اللّه[4] .

﴿لا جُناحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبائِهِنَّ وَلا أَبْنائِهِنَّ وَلا إخْوانِهِنَّ وَلا أَبْناءِ إخْوانِهِنَّ وَلا أَبْناءِ أَخَواتِهِنَّ﴾ . استثناء لمن لا يجب الاحتجاب عنهم .

١ ـ القمّي ٢: ١٩٥ .

٢ ـ نفس السّورة: ٦ .

٣ ـ في «ب»: «حرّم» .

٤ ـ القمّي ٢: ١٩٥ .

روي: «إنّه لمّا نزلت آية الحجاب، قال الآباء والأبناء والأقارب: يا رسول اللّه أو نكلّمهنّ أيضاً من وراء حجاب؟ فنزلت»[١].

﴿وَلا نِسائِهِنَّ﴾ يعني النّساء المؤمنات ﴿وَلا ما مَلَكَتْ أَيْمانُهُنَّ﴾. سبق بيانه في سورة النّور[٢]. ﴿وَاتَّقِينَ اللَّهَ﴾ فيما أُمرتنّ به ﴿إِنَّ اللَّهَ كانَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيداً﴾ لا تخفى عليه خافية.

﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ﴾. قال: «الصلاة من اللّه رحمة، ومن الملائكة تزكية، ومن النّاس دعاء»[٣]. ورد: «صلّ على النّبيّ ﷺ كلّما ذكرته أو ذكره ذاكر عندك في أذان وغيره»[٤].

﴿وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾. قال: «يعني التّسليم»[٥] فيما ورد عنه.

وفي رواية: «لهذه الآية ظاهر وباطن، فالظّاهر: قوله: "صلّوا عليه". والباطن قوله: "سلّموا تسليماً"، أي: سلّموا لمن وصّاه واستخلفه عليكم فضله[٦] وما عهد به اليه، تسليماً، قال: وهذا ممّا أخبرتك: أنّه لا يعلم تأويله إلّا من[٧] لطف حسّه وصفا ذهنه وصحّ تمييزه»[٨].

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾: يرتكبون ما يكرهانه من الكفر والمخالفة ﴿لَعَنَهُمُ اللَّهُ﴾: أبعدهم من رحمته ﴿فِي الدُّنْيا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذاباً مُهِيناً﴾: يهينهم مع الإيلام. القمّي: نزلت فيمن غصب أميرالمؤمنين حقّه، وأخذ حقّ فاطمة وآذاها[٩].

١ ـ الكشّاف ٣: ٢٧٢؛ البيضاوي ٤: ١٦٧.
٢ ـ ذيل الآية: ٣١.
٣ ـ معاني الأخبار: ٣٦٨، الحديث: ١، عن أبي عبد اللّه ﷺ.
٤ ـ الكافي ٢: ٣٠٢، الحديث: ٧؛ من لا يحضره الفقيه ١: ١٨٥، الحديث: ٨٧٥، عن أبي جعفر ﷺ.
٥ ـ معاني الأخبار: ٣٦٨، الحديث: ١، عن أبي عبد اللّه ﷺ.
٦ ـ في المصدر: «واستخلفه وفضّله عليكم».
٧ ـ في جميع النّسخ: «إلّا لمن لطف» وما أثبتناه من المصدر.
٨ ـ الاحتجاج ١: ٣٧٧، عن أمير المؤمنين ﷺ.
٩ ـ القمّي ٢: ١٩٦.

﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِناتِ بِغَيْرِ ما اكْتَسَبُوا﴾: بغير جناية استحقّوا بها ﴿فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتاناً وَإِثْماً مُبِيناً﴾.

ورد: «إذا كان يوم القيامة نادى مناد أين المؤذون[1] لأوليائي؟ فيقوم قوم ليس على وجوههم لحم، فيقال: هؤلاء الّذين آذوا المؤمنين، ونصبوا لهم، وعاندوهم وعنّفوهم في دينهم، ثمّ يؤمر بهم إلى جهنّم»[2].

﴿يا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْواجِكَ وَبَناتِكَ وَنِساءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلابِيبِهِنَّ﴾: يغطّين وجوههنّ وأبدانهنّ بملاحفهنّ إذا برزن لحاجة ﴿ذلِكَ أَدْنى أَنْ يُعْرَفْنَ﴾: يميّزن من الإماء والقينات ﴿فَلا يُؤْذَيْنَ﴾: فلا يؤذيهنّ أهل الرّيبة بالتعرّض لهنّ ﴿وَكانَ اللَّهُ غَفُوراً﴾ لما سلف ﴿رَحِيماً﴾ بعباده، يراعي مصالحهم حتّى الجزئيّات منها.

﴿لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ القمّي: شكّ[3]. ﴿وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ﴾: الّذين يرجفون أخبار السّوء، وأصله التّحريك، من الرّجفة وهي الزّلزلة، سمّي به الأخبار الكاذب، لكونه متزلزلاً غير ثابت.

القمّي: نزلت في قوم منافقين، كانوا في المدينة يرجفون برسول الله صلّى الله عليه وآله إذا خرج في بعض غزواته يقولون: قتل وأسر، فيغتمّ المسلمون لذلك ويشكون إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله[4].

﴿لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ﴾ قيل: لنأمرنّك بقتالهم أو إجلائهم[5]. والقمّي: نأمرك بإخراجهم من المدينة[6] ﴿ثُمَّ لا يُجاوِرُونَكَ فِيها﴾: في المدينة ﴿إِلَّا قَلِيلاً﴾.

١ ـ في المصدر: «أين الصدود».

٢ ـ الكافي ٢: ٣٥١، الحديث: ٢، عن أبي عبد الله عليه السلام.

٣ ـ القمّي ٢: ١٩٦.

٤ ـ القمّي ٢: ١٩٦.

٥ ـ البيضاوي ٤: ١٦٨.

٦ ـ القمّي ٢: ١٩٧.

﴿مَلْعُونِينَ﴾ قال: «فوجبت عليهم اللّعنة»[1]. ﴿أَيْنَما ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلاً﴾.

﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ﴾: سنّ اللّه ذلك في الأُمم الماضية، وهو أن يُقتل الّذين نافقوا الأنبياء وسعوا في وهنهم بالإرجاف ونحوه، أينما ثقفوا ﴿وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً﴾.

﴿يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ﴾: عن وقت قيامها ﴿قُلْ إِنَّما عِلْمُها عِنْدَ اللَّهِ﴾ لم يطلع عليه ملكاً ولا نبيّاً ﴿وَما يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيباً﴾.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيراً﴾.

﴿خالِدِينَ فِيها أَبَداً لا يَجِدُونَ وَلِيًّا﴾ يحفظهم ﴿وَلا نَصِيراً﴾ يدفع العذاب عنهم.

﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ﴾ تصرف من جهة إلى جهة، أو من حال إلى حال ﴿يَقُولُونَ يا لَيْتَنا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا﴾.

﴿وَقالُوا رَبَّنا إِنَّا أَطَعْنا سادَتَنا وَكُبَراءَنا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا﴾.

﴿رَبَّنا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذابِ﴾: مثلي ما آتيتنا به؛ لأنّهم ضلّوا وأضلّوا ﴿وَالْعَنْهُمْ لَعْناً كَبِيراً﴾: أشدّ اللّعن وأعظمه.

القمّي: هي كناية عن الّذين غصبوا آل محمّد حقّهم. "يا ليتنا أطعنا": يعني في أمير المؤمنين، والسّادة والكبراء: هما أوّل من بدأ بظلمهم وغصبهم[2].

﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسىٰ فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قالُوا وَكانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهاً﴾. قال: «كانوا يقولون: ليس له ما للرّجال»[3]. وفي رواية: «يقولون: إنّه

١ ـ المصدر: عن أبي جعفر عليه السلام.

٢ ـ القمّي ٢: ١٩٧.

٣ ـ المصدر، عن أبي عبد الله عليه السلام.

عنّين»[١]. وفي أُخرى: «إنّه كان حييّاً[٢] ستيراً، يغتسل وحده. فقالوا: ما يتستّر منّا إلّا لعيب بجلده؛ إمّا برص وإمّا أدرَة[٣]، فذهب مرّة يغتسل فوضع ثوبه على حجر، فمرّ الحجر بثوبه، فطلبه موسى. فرأوه عرياناً كأحسن الرّجال خلقاً. "فبرّأه اللّه ممّا قالوا"»[٤].

﴿يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً﴾ قال: «عدلاً»[٥].

﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ قال: «في ولاية عليّ والأئمّة من بعده»[٦]. ﴿فَقَدْ فازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾.

﴿إِنّا عَرَضْنا الأَمانَةَ عَلَى السَّمٰواتِ وَالأَرْضِ وَالجِبالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَها وَأَشْفَقْنَ مِنْها وَحَمَلَها الإِنْسانُ إِنَّهُ كانَ ظَلُوماً جَهُولاً﴾.

قال[٧]: «الأمانة الولاية، من أدّعاها بغير حقّ كفر»[٨].

أقول: يعني بالولاية: الإمارة والإمامة المتقرّب بهما إلى اللّه[٩].

وفي رواية: «الأمانة: الولاية. والإنسان: أبو الشّرور المنافق، يعني الأوّل»[١٠].

١ ـ الأمالي (للصّدوق): ٩٢، المجلس: ٢٢، ذيل الحديث: ٣، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٢ ـ في «ج»: «حيّياً». والحَيِيّ والحَيّيّ: ذو الحياء.

٣ ـ الأُدرَة: نفخة في الخُصية. النّهاية ١: ٣١ (أدر).

٤ ـ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ٣٧٢، مرفوعة.

٥ ـ الكافي ٨: ١٠٧، الحديث: ٨١، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٦ ـ الكافي ١: ٤١٤، الحديث: ٨؛ القمي ٢: ١٩٨، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٧ ـ في «ألف»: «أقول: ما قيل في تفسير هذه الآية في مقام التّعميم انّ المراد بالأمانة التّكليف، وبعرضها عليهنّ النّظر إلى استعدادهنّ، وبإبائهنّ الإباء الطّبيعي الّذي هو عدم اللّياقة والاستعداد، وبحمل الانسان قابليّته واستعداده لها، وكونه ظلوماً جهولاً لما غلب عليه من القوّة الغضبيّة والشّهويّة، وهو وصف للجنس باعتبار الأغلب، وكلّ ما ورد في تفسيرها في مقام التّخصيص يرجع إلى هذا؛ مثل ما ورد ان...».

٨ ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ١: ٣٠٦، الباب: ٢٨، الحديث: ٦٦؛ معاني الأخبار: ١١٠، ذيل الحديث: ٣، عن عليّ بن موسى الرّضا عليه السلام.

٩ ـ في «ألف»: «الإمارة والإمامة ويحتمل إرادة القرب من اللّه».

١٠ ـ معاني الأخبار: ١١٠، الحديث: ٢، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

وفي أُخرى: «هي الولاية أبين أن يحملنها كفراً، وحملها الإنسان، والإنسان أبو فلان»[١].

والقمّي: الأمانة هي الإمامة والأمر والنّهي. قال: والدّليل على أنّ الأمانة هي الإمامة قوله عزّوجلّ للأئمة: "إنّ اللّه يأمركم أن تؤدّوا الأمانات إلى أهلها" يعني الإمامة، فالأمانة هي الإمامة عرضت على السّموات والأرض والجبال فأبين أن يدعوها أو يغصبوها أهلها "وأشفقن منها وحملها الإنسان"؛ يعني الأوّل؛ "إنّه كان ظلوماً جهولاً"[٢].

أقول:[٣] تخصيص الأمانة في هذه الأخبار بالولاية والإمامة[٤]، والإنسان بالأوّل، لاينافي عمومها لكلّ تكليف بعبوديّة للّه وأمانة وشمول الإنسان كلّ مكلّف. فقد ورد: «إنّ عليّاًعليه‌السلام إذا حضر وقت الصّلاة يتململ ويتزلزل ويتلوّن، فيقال له: مالَكَ يا أمير المؤمنين؟! فيقول: جاء وقت الصّلاة، وقت أمانة عرضها اللّه على السّماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها»[٥].

وفي وصاياهعليه‌السلام: «ثمّ أداء الأمانة، فقد خاب من ليس من أهلها، إنّها عُرِضَت على السّماوات المبنيّة، والأرض المدحوّة، والجبال ذات الطّول المنصوبة، فلا أطولَ ولا أعرضَ ولا أعلى ولا أعظمَ منها، ولو امتنع شيء بطول أو عرض أوقوّة أو عزّ لامتنعنَ، ولكن أشفَقنَ من العقوبة، وعَقَلنَ ما جَهِلَ من هو أضعف منهنّ، وهو الإنسان؛ "إنّه كان ظلوماً جهولاً"»[٦]. وظاهر هذه الوصيّة التّعميم.

و ورد: «في الرّجل يبعث إلى الرّجل يقول له: ابتع لي ثوباً، فيطلب له في السّوق

١ـ بصائر الدّرجات: ٧٦، باب آخر في ولاية أمير المؤمنينعليه‌السلام، الحديث: ٣، عن أبي جعفرعليه‌السلام.

٢ـ القمّي ٢: ١٩٨. والآية في سورة النساء(٤): ٥٨.

٣ـ في «ألف» زيادة: «الدليل على أنّ».

٤ـ في «ألف» زيادة: «اللتين مرجعهما واحد».

٥ـ عوالي اللّئالي ١: ٣٢٤، الحديث: ٦٢.

٦ـ نهج البلاغة: ٣١٧، الخطبة: ١٩٩. وفي الكافي ٥: ٣٧، ذيل الحديث: ١، ما يقرب منه.

فيكون عنده ما يجد له في السّوق فيعطيه من عنده. قال: لا يقربن هذا ولا يدنس نفسه، إنّ اللّه عزّوجلّ يقول: "إنّا عرضنا الأمانة" الآية»[1].

فتأويل هذه الآية في مقام التّعميم أن يقال: المراد بالأمانة: التّكليف بالعبوديّة للّه لكلّ عبد بحسب وسعه، وأعظمها الخلافة الإلهيّة لأهلها، ثمّ تسليم من لم يكن من أهلها لأهلها، وعدم ادّعاء منزلتها لنفسه، ثمّ ساير التّكاليف؛ والمراد بعرضها على السّماوات والأرض والجبال: النّظر إلى استعدادهنّ لذلك، وبإبائهنّ: الإباء الذّاتيّ الّذي هو عبارة عن عدم اللّياقة لها، وبحمل الإنسان إيّاها: تحمّله لها من غير استحقاق لها واقتدار بها، وبكونه ظلوماً جهولاً: ما غلب عليه من القوّة الغضبيّة والشّهويّة، وهو وصف للجنس باعتبار الأغلب، فكلّ ما ورد في مقام التّخصيص يرجع إلى هذا، كما يظهر عند التّدبّر.

﴿لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنافِقِينَ وَالْمُنافِقاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِناتِ وَكانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً﴾. تعليل للحمل من حيث أنّه نتيجته؛ وذكر التّوبة في الوعد إشعار بأنّ كونهم "ظلوماً جهولاً" في جبلّتهم لا يخليهم من فرطات.

١ ـ التّهذيب ٦: ٣٥٢، الحديث: ٩٩٩، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

سورة سبأ

[مكيّة ، وهي أربع وخمسون آية][1]

بسم الله الرحمٰن الرحيم

﴿ اَلحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ ما فِي السَّمٰوٰاتِ وَما فِي الأَرْضِ ﴾ كلّه نعمة من اللّه ، فله الحمد في الدّنيا ﴿ وَلَهُ الحَمْدُ فِي الآخِرَةِ ﴾ لأنّ نعمها أيضاً من اللّه كلّها ﴿ وَهُوَ الحَكِيمُ ﴾: الّذي أحكم أمر الدّارين ﴿ الخَبِيرُ ﴾ ببواطن الأشياء .

﴿ يَعْلَمُ ما يَلِجُ ﴾: يدخل ﴿ فِي الأَرْضِ ﴾ من مطر أو كنز أو ميّت ﴿ وَما يَخْرُجُ مِنْها ﴾ من ماء أو فلزّ ، أو نباتٍ أو حيوانٍ ﴿ وَما يَنْزِلُ مِنَ السَّماءِ ﴾ من مطر أو مَلَكٍ أو رزق ﴿ وَما يَعْرُجُ فِيها ﴾ من عمل أو مَلَك ﴿ وَهُوَ الرَّحِيمُ الغَفُورُ ﴾ للمقصّرين في شكر نعمه .

﴿ وَقالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَأْتِينا السّاعَةُ ﴾ . إنكار لمجيئها ، أو استبطاء استهزاء بالوعد به . ﴿ قُلْ بَلىٰ وَرَبِّي ﴾ . ردّ لكلامهم وإثبات لما نفوه . ﴿ لَتَأْتِيَنَّكُمْ عالِمِ الغَيْبِ ﴾ . تكرير لإيجابه ، مؤكّداً بالقسم ، مقرّراً له بوصف المقسم به بصفات تقرّر إمكانه ، وتنفي استبعاده .

﴿ لا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمٰوٰاتِ وَلا فِي الأَرْضِ وَلا أَصْغَرُ مِنْ ذٰلِكَ وَلا أَكْبَرُ إِلّا فِي كِتابٍ مُبِينٍ ﴾ . رفعُهُما بالابتداء ، والجملة تأكيد لنفي العُزوب .

١ ـ ما بين المعقوفتين من «ب» .

﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ﴾. علّة لإتيانها وبيان لما يقتضيه ﴿أُولٰئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ لا تعب فيه ولا مَنّ عليه.

﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آياتِنا﴾ بالإبطال وتزهيد النّاس فيها ﴿مُعاجِزِينَ﴾: مسابقين كي يفوتونا. وعلى قراءة. «معجزين»[1]. أي: مثبّطين عن الإيمان من أراده. ﴿أُولٰئِكَ لَهُمْ عَذابٌ مِنْ رِجْزٍ﴾: من سيّء العذاب ﴿أَلِيمٌ﴾.

﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الحَقَّ وَيَهْدِي إِلىٰ صِراطِ العَزِيزِ الحَمِيدِ﴾. القمّي: هو أمير المؤمنين عليه السلام صدّق رسول الله بما أنزل الله عليه[2].

﴿وَقالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلىٰ رَجُلٍ﴾ يعنون النّبيّ صلى الله عليه وآله ﴿يُنَبِّئُكُمْ﴾: يحدّثكم بأعجب الأعاجيب ﴿إِذا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾: تفرّق أجسادكم كلّ تفريق ﴿إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾: تنشؤون خلقاً جديداً.

﴿أَفْتَرىٰ عَلَى اللّٰهِ كَذِباً أَمْ بِهِ جِنَّةٌ﴾: جنون، يوهمه ذلك ويلقيه على لسانه. ﴿بَلِ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ فِي العَذابِ وَالضَّلالِ البَعِيدِ﴾ ردٌّ من الله عليهم ترديدَهم.

﴿أَفَلَمْ يَرَوْا إِلىٰ ما بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَما خَلْفَهُمْ﴾: ما أحاط بجوانبهم ﴿مِنَ السَّماءِ وَالأَرْضِ﴾ ممّا يدلّ على كمال قدرة الله، وأنّهم في سلطانه تجري عليهم قدرته ﴿إِنْ نَشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفاً مِنَ السَّماءِ إِنَّ فِي ذٰلِكَ﴾: النّظر والفكر فيهما وما يدلّان عليه ﴿لَآيَةً﴾: لَدلالة ﴿لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ﴾: راجعٍ إلى ربّه، فإنّه يكون كثيرَ التأمّل في أمره.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنا داوُودَ مِنّا فَضْلاً يا جِبالُ أَوِّبِي مَعَهُ﴾: رجّعي معه التسبيح ﴿وَالطَّيْرَ﴾ رجّعي أيضاً، أو أنت والطير ﴿وَأَلَنّا لَهُ الحَدِيدَ﴾: جعلنا في يده كالشّمع، يصرفه كيف يشاء من غير إحماءٍ وطَرْقٍ؛ وقد سبق نحوه في سورة الأنبياء[3].

١ ـ التّبيان ٧: ٣٢٩؛ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ٧٩؛ البيضاوي ٤: ١٧٠.

٢ ـ القمّي ٢: ١٩٨، عن رسول الله صلى الله عليه وآله.

٣ ـ ذيل الآية: ٧٩.

القمّي: كان داود عليه السلام إذا مرّ بالبراري يقرأ الزّبور، تسبّح الجبال والطّير معه والوحوش، وألان اللّه له الحديد مثل الشّمع، حتّى كان يتّخذ منه ما أحبّ[1].

﴿أَنِ اعْمَلْ سابِغاتٍ﴾: دروعاً واسعات ﴿وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ﴾: في نسجها بحيث يتناسب حَلَقُها، أو في مساميرها في الرّقّة والغلظ. قال: «الحلقة بعد الحلقة»[2]. والقمّي: المسامير الّتي في الحلقة[3] ﴿وَاعْمَلُوا صالِحاً إِنِّي بِما تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

﴿وَلِسُلَيْمانَ الرِّيحَ﴾: وسخّرنا له الرّيح ﴿غُدُوُّها شَهْرٌ وَرَواحُها شَهْرٌ﴾ القمّي: كانت الرّيح تحمل كرسيّ سليمان، فتسير به في الغداة مسيرة شهر وبالعشيّ مسيرة شهر[4].

﴿وَأَسَلْنا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ﴾ القمّي: الصّفر[5]. وقيل: أسال له النّحاس المذاب من معدنه، فنبع منه نبوع الماء من الينبوع، ولذلك سمّاه عيناً، وكان ذلك باليمن[6]. ﴿وَمِنَ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ﴾: بأمره ﴿وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنا﴾: ومن يعدل منهم عمّا أمرناه من طاعة سليمان ﴿نُذِقْهُ مِنْ عَذابِ السَّعِيرِ﴾ في الدّنيا أو في الآخرة.

﴿يَعْمَلُونَ لَهُ ما يَشاءُ مِنْ مَحارِيبَ﴾ قصوراً حصينة ومساكن شريفة، سمّيت بها لأنّها يذبّ عنها ويحارب عليها ﴿وَتَماثِيلَ﴾: وصوراً. قال: «واللّه ما هي تماثيل الرّجال والنّساء ولكنّها الشّجر وشبهه»[7]. ﴿وَجِفانٍ﴾: صحاف ﴿كَالْجَوابِ﴾: كالحياض الكبار ﴿وَقُدُورٍ راسِياتٍ﴾: ثابتات على الأثافي[8] لا تنزل عنها لعظمها. ﴿اعْمَلُوا آلَ داوُدَ شُكْراً وَقَلِيلٌ مِنْ عِبادِيَ الشَّكُورُ﴾.

١ـ القمّي ٢: ١٩٩.

٢ـ قرب الإسناد: ٣٦٤، الحديث: ١٣٠٥، عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام.

٣ و ٤ و ٥ـ القمّي ٢: ١٩٩.

٦ـ البيضاوي ٤: ١٧١.

٧ـ الكافي ٦: ٥٢٧، الحديث: ٧؛ مجمع البيان ٧ـ٨: ٣٨٣، عن أبي عبد اللّه عليه السلام؛ وفي الكافي ٦: ٤٧٧، الحديث: ٣، عن أبي جعفر عليه السلام.

٨ـ الأثافي جمع الأُثفيّة، وهي الحجارة التي تنصب ويجعل القدر عليها. مجمع البحرين ١: ٧٣ (ثفا).

﴿فَلَمَّا قَضَيْنا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ﴾: علی سليمان ﴿ما دَلَّهُمْ عَلىٰ مَوْتِهِ إلّا دابَّةُ الأَرْضِ﴾: الأَرَضَة، والأرض فعلها أُضيفت إليه ﴿تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ﴾: عصاه.

ورد: «إنّه أمر الجنّ فصنعوا له قبّة من قوارير، فبينا هو متّكئ على عصاه في القبّة، ينظر إلى الجنّ كيف يعملون وينظرون إليه، إذ حانت منه التفاته فإذا هو برجل معه في القبّة؛ ففزع منه، فقال: من أنت؟! قال: أنا الّذي لا أقبل الرّشا، ولا أهاب الملوك، أنا ملك الموت، فقبضه وهو متّكي على عصاه في القبّة، والجنّ ينظرون إليه. قال: فمكثوا سنة يَدْأَبُونَ[1] له، حتّى بعث اللّهُ الأَرَضَةَ فأكلت مِنْسأَتَه، وهي العصا»[2].

﴿فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الجِنُّ أَنْ لَوْ كانُوا يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ ما لَبِثُوا فِي العَذابِ المُهِينِ﴾.

قال: «واللّه ما نزلت هذه الآية هكذا، وإنّما نزلت: فلمّا خرّ تبيّنت الإنس أنّ الجنّ لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين»[3].

القمّي: وذلك أنّ الإنس كانوا يقولون: إنّ الجنّ يعلمون الغيب، فلمّا سقط سليمان على وجهه علموا: أن لو يعلم الجنّ الغيب لم يعملوا سنة لسليمان وهو ميّت ويتوهّمونه حيّاً[4].

﴿لَقَدْ كانَ لِسَبَأٍ﴾: لأولاد سبأ ﴿فِي مَسْكَنِهِمْ﴾ باليمن حيث أجرى لهم سليمان خليجاً من البحر العَذْب إلى بلاد الهند. كذا قاله القمّي[5]. ﴿آيَةٌ﴾: علامة دالّة على قدرة اللّه على ما يشاء ﴿جَنَّتانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمالٍ﴾. قيل: جماعتان من البساتين، كلّ واحدة منها في تقاربها وتضايقها[6] كأنّه جنّة واحدة، إحداهما عن يمين بلدهم والأُخرى عن

١ ـ دأب في عمله: جدَّ وتَعِبَ. القاموس المحيط ١: ٦٦ (دأب).

٢ ـ علل الشّرائع ١: ٧٤، الباب: ٦٤، الحديث: ٣؛ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ٣٨٤، عن أبي جعفر عليه السلام، مع اختلاف.

٣ ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ١: ٢٦٦، الباب: ٢٦، الحديث: ٢٤؛ علل الشّرائع ١: ٧٤، الباب: ٦٤، الحديث: ٢، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٤ و ٥ ـ القمّي ٢: ٢٠٠.

٦ ـ في «ب»: «منهما في تقاربهما وتضايقهما».

شمالها[1]. القمّي: عن مسيرة عشرة أيّام، فيها يمرّ المارّ لا تقع عليه الشّمس من التفافها[2].

﴿كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾.

﴿فَأَعْرَضُوا﴾ عن الشّكر. القمّي: عملوا بالمعاصي، وعتوا عن أمر ربّهم[3]. ﴿فَأَرْسَلْنا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ﴾ القمّي: أي: العظيم الشّديد[4]. ﴿وَبَدَّلْناهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَواتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ﴾: مُرٍّ بَشِعٍ[5] ﴿وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾. معطوفان على «أُكل» لا «خمط»، فإنّ الأثل هو الطّرفاء ولا ثمر له، ووصف السّدر بالقلّة، لأنّ جناه وهو النّبق ممّا يطيب أكله، وتسمية البدل جنّتين للمشاكلة والتّهكّم.

﴿ذٰلِكَ جَزَيْناهُمْ بِما كَفَرُوا﴾: بكفرانهم النّعمة ﴿وَهَلْ نُجازِي﴾ بمثل ذلك ﴿إِلَّا الْكَفُورَ﴾.

﴿وَجَعَلْنا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بارَكْنا فِيها﴾ بالتّوسعة على أهلها. قيل: هي قرى الشّام[6]. والقمّي: مكّة[7]. ﴿قُرىً ظاهِرَةً﴾: متواصلة يظهر بعضها لبعض ﴿وَقَدَّرْنا فِيهَا السَّيْرَ﴾ بحيث يقيل الغادي في قرية ويبيت في أُخرى. ﴿سِيرُوا فِيها لَيالِيَ وَأَيّاماً﴾: متى شئتم من ليل أو نهار ﴿آمِنِينَ﴾.

﴿فَقالُوا رَبَّنا باعِدْ بَيْنَ أَسْفارِنا﴾: أشِروا النّعمة وملّوا العافية. وفي قراءتهم عليهم السلام: «باعَدَ»[8] بلفظ الخبر؛ فهو شكوى منهم لِبُعدِ سفرهم، إفراطاً في التّرفيه. ﴿وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ حيث بطروا النّعمة ﴿فَجَعَلْناهُمْ أَحادِيثَ﴾ يتحدّث النّاس بهم تعجّباً؛ وضرب

١ ـ البيضاوي ٤: ١٧٢.

٢ و ٣ ـ القمّي ٢: ٢٠٠.

٤ ـ القمّي ٢: ٢٠١.

٥ ـ البَشِع من الطّعام: الكريه فيه مَرارة. القاموس المحيط ٣: ٥ (بشع).

٦ ـ التّبيان ٨: ٣٨٩؛ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ٣٨٧؛ البيضاوي ٤: ١٧٣.

٧ ـ القمّي ٢: ٢٠١.

٨ ـ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ٣٨٤، عن أبي جعفر عليه السلام.

مَثَل ، فيقولون: تفرّقوا أيدي سبأ ، أي: تفرّقوا كتفرّق أيدي سبا . ﴿ وَمَزَّقْناهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ ﴾: وفرّقناهم غاية التّفريق ، حتّى لحق كلّ قبيلة منهم بِصُقْعٍ . ﴿ إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآياتٍ لِكُلِّ صَبّارٍ شَكُورٍ ﴾ .

قال: «هؤلاء قوم كانت لهم قرى متّصلة ينظر بعضهم إلى بعض ، وأنهار جارية وأموال ظاهرة ، فكفروا نِعَمَ اللّه عزّوجلّ ، وغيّروا ما بأنفسهم من عافية اللّه ، فغيّر اللّه ما بهم من نعمة ، "وإنّ اللّهَ لا يُغيّرُ ما بقومٍ حتّى يغيّروا ما بأنفسهم"[١] فأرسل اللّه عليهم سيل العَرِم ، فغرّق قراهم وخرّب ديارهم ، وذهب بأموالهم وأبدلهم مكان جنّتيهم جنّتين ذواتي أُكل ، الآية»[٢] .

وفي رواية: «بل فينا ضرب اللّه الأمثال في القرآن ، فنحن القرى الّتي بارك اللّه فيها ، وذلك قول اللّه عزّوجلّ في من أقرّ بفضلنا ، حيث أمرهم أن يأتونا "وجعلنا بينهم وبين القرى الّتي باركنا فيها قرى ظاهرة" والقرى الظّاهرة الرّسل ، والنّقلة عنّا إلى شيعتنا ، قال: والسّير مثل للعلم سير به في اللّيالي والأيّام عنّا إليهم ، في الحلال والحرام ، والفرائض والأحكام ، آمنين فيها إذا أخذوا من معدنها الّذي أُمروا أن يأخذوا منه ، آمنين من الشّكّ والضّلال ، والنّقلة من الحرام إلى الحلال»[٣] . وفي معناه أخبار أُخر[٤] .

﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ ﴾: حقّق ظنّه ، وهو قوله: "لأُضِلَّنَّهُمْ"[٥] "ولأُغْوِيَنَّهُمْ"[٦] . وعلى التّخفيف: صدق ظنّه . ﴿ فَاتَّبَعُوهُ إِلّا فَرِيقاً مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ .

﴿ وَما كانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطانٍ ﴾: تسلّط واستيلاء بوسوسة واستغواء ﴿ إِلّا لِنَعْلَمَ مَنْ

١ ـ الرّعد (١٣): ١١ .
٢ ـ الكافي ٢: ٢٧٤ ، الحديث: ٢٣ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .
٣ ـ الاحتجاج ٢: ٦٣ ، عن أبي جعفر عليه السلام ، مع اختلاف يسير .
٤ ـ الكافي ٨: ٣١١ ، الحديث: ٤٨٥ ؛ كمال الدّين ٢: ٤٨٣ ، الباب: ٤٥ ، الحديث: ٢ ؛ الاحتجاج ٢: ٤٢ .
٥ ـ النساء (٤): ١١٩ .
٦ ـ الحجر (١٥): ٣٩ .

﴿يُؤْمِنُ بِالآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْها فِي شَكٍّ﴾: ليتميّز المؤمن من الشّاكّ، أُريد بحصول العلم حصولُ متعلَّقِه.

قال: «تأويل هذه الآية لمّا قُبض رسول الله صلى الله عليه وآله، والظّنّ من إبليس حين قالوا لرسول الله: إنّه ينطق عن الهوى، فظنّ بهم إبليس ظنّاً، فصدّقوا ظنّه»[1].

﴿وَرَبُّكَ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾.

﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ﴾ آلهة ﴿مِنْ دُونِ اللهِ﴾ فيما يهمّكم ﴿لا يَمْلِكُونَ مِثْقالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمٰواتِ وَلا فِي الأَرْضِ﴾: في أمرهما ﴿وَما لَهُمْ فِيهِما مِنْ شِرْكٍ﴾: من شركة ﴿وَما لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ﴾ يعينه على تدبير أمرها.

﴿وَلا تَنْفَعُ الشَّفاعَةُ عِنْدَهُ﴾: ولا تنفعهم شفاعةُ أيضاً، كما يزعمون ﴿إِلّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ أن يشفع.

قال: «لا يشفع أحدٌ من أنبياء الله ورسله يوم القيامة حتّى يأذن اللّه له، إلّا رسول الله صلى الله عليه وآله، فإنّ الله قد أَذِنَ له في الشّفاعة من قبل يوم القيامة، والشّفاعة له وللأئمّة، ثمّ بعد ذلك للأنبياء عليهم السلام»[2].

﴿حَتّىٰ إِذا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ﴾ يعني يتربّصون[3] فزعين، حتّى إذا كشف الفزع عن قلوبهم ﴿قالُوا﴾: قال بعضهم لبعض ﴿ماذا قالَ رَبُّكُمْ قالُوا الحَقَّ وَهُوَ العَلِيُّ الكَبِيرُ﴾.

قال: «وذلك أنّ أهل السماوات لم يسمعوا وحياً فيما بين أن بعث عيسى بن مريم إلى أن بعث محمّد صلى الله عليه وآله، فلمّا بعث اللّهُ جبرئيلَ إلى محمّد صلى الله عليه وآله سمع أهل السّماوات صوتَ وحي القرآن كوَقْعِ الحديد على الصّفا، فصَعِقَ أهل السماوات، فلمّا فرغ من الوحي انحدر جبرئيل عليه السلام كلما مرّ بأهل سماء فزّع عن قلوبهم، يقول كشف عن قلوبهم. فقال بعضهم

١ ـ الكافي ٨: ٣٤٥، ذيل الحديث: ٥٤٢، عن أبي جعفر عليه السلام.

٢ ـ القمّي ٢: ٢٠١، عن أبي عبد الله عليه السلام.

٣ ـ في «ألف»: «متربّصين».

لبعض: "ماذا قال ربّكم" الآية»[1] .

﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمٰواتِ وَالأَرْضِ﴾ تقرير لقوله: "لا يملكون" ﴿قُلِ اللّٰهُ﴾ إذ لا جواب سواه ؛ وفيه إشعار بأنّهم إن سكتوا أو تلعثموا[2] في الجواب مخافة الإلزام ، فهم مُقِرّون به بقلوبهم ﴿وَإِنّا أَوْ إِيّاكُمْ لَعَلىٰ هُدىً أَوْ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾ أي: وإنّ أحدَ الفريقين من الموحّدين والمشركين لَعَلىٰ أحد الأمرين ؛ وهو أبلغ من التّصريح ، لأنّه في صورة الإنصاف المسكت للخصم المشاغب . واختلاف الحرفين لأنّ الهادي كمن صعد مناراً ينظر الأشياء ويتطلّع عليها ، أو ركب جواداً يَركُضُه حيث يشاء ، والضّالّ كأنّه منغمس في ظلام مرتبك لا يرى ، أو محبوس في مطمورة لا يستطيع أن يتفصّى منها .

﴿قُلْ لا تُسْأَلُونَ عَمّا أَجْرَمْنا وَلا نُسْأَلُ عَمّا تَعْمَلُونَ﴾ هذا أدخل في الانصاف وأبلغ في الإخبات ، حيث أسند الإجرام إلى أنفسهم والعمل إلى المخاطبين .

﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنا رَبُّنا﴾ يوم القيامة ﴿ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنا بِالحَقِّ﴾ يَحكُمُ ويَفصِلُ بأن يدخلَ المحقّين الجنّة والمبطلين النّار ﴿وَهُوَ الفَتّاحُ﴾: الحاكم الفاصل ﴿العَلِيمُ﴾ بما ينبغي أن يقضى به .

﴿قُلْ أَرُونِيَ الَّذِينَ أَلْحَقْتُمْ بِهِ شُرَكاءَ﴾: لأرى بأيّ صفة ألحقتموهم بالله في استحقاق العبادة؟! وهو استفسار عن شبهتهم بعد إلزام الحجّة عليهم ؛ زيادة في تبكيتهم . ﴿كَلّا﴾ ردعٌ عن المشاركة بعد إبطال المقايسة ﴿بَلْ هُوَ اللّٰهُ العَزِيزُ الحَكِيمُ﴾: الموصوف بالغلبة وكمال القدرة والحكمة ، وهؤلاء الملحقون متّسمة بالذّلّة ، متأبّية عن قبول العلم والقدرة رأساً .

﴿وَما أَرْسَلْناكَ إِلّا كافَّةً لِلنّاسِ﴾: إلّا إرسالة عامّة لهم ﴿بَشِيراً وَنَذِيراً وَلٰكِنَّ أَكْثَرَ النّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾ فيحملهم جهلُهم على مخالفتك .

١ ـ القمي: ٢: ٢٠٢ ، عن أبي جعفر عليه السلام .

٢ ـ تلعثم الرّجل في الأمر: إذا تمكّث فيه وتأنّى . مجمع البحرين ٢: ١٦٢ (لعثم) .

قال: «أرسله إلى النّاس كافّة ، إلى الأبيض والأسواد والجنّ والإنس»[١] .

ورد: «إنّ اللّه تعالى أمر جبرئيل فاقتلع الأرض بريشة من جناحه ونصبها لرسول اللّه صلّى الله عليه وآله ، فكانت بين يديه مثل راحته في كفّه ، ينظر إلى أهل الشّرق والغرب ويخاطب كلّ قوم بألسنتهم ، ويدعوهم إلى اللّه عزّوجلّ وإلى نبوّته بنفسه ، فما بقيت قرية ولا مدينة إلّا ودعاهم النّبيّ بنفسه»[٢] .

﴿وَيَقُولُونَ مَتىٰ هٰذَا الوَعْدُ﴾ الموعود بقوله: "يَجْمَعُ بَيْنَنا رَبُّنا" . ﴿إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ﴾ .

﴿قُلْ لَكُمْ مِيعادُ يَوْمٍ لا تَسْتَأْخِرُونَ عَنْهُ ساعَةً وَلا تَسْتَقْدِمُونَ﴾ .

﴿وَقالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهٰذَا القُرْآنِ وَلا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ ولا بما تقدّمه من الكتب الدّالّة على البعث ﴿وَلَوْ تَرىٰ إِذِ الظّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ في موضع المحاسبة ﴿يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلىٰ بَعْضٍ الْقَوْلَ﴾ يتحاورون ﴿يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا﴾: الأتباع ﴿لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا﴾: للرّؤساء ﴿لَوْلا أَنْتُمْ﴾ وإضلالكم ﴿لَكُنّا مُؤْمِنِينَ﴾ .

﴿قالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْناكُمْ عَنِ الهُدىٰ بَعْدَ إِذْ جاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ﴾ حيث أعرضتم عن الهدى وآثرتم التّقليدَ عليه .

﴿وَقالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهارِ﴾ إضراب عن إضرابهم ، أي: لم يكن إجرامنا الصّادّ ، بل مكركم لنا ليلاً ونهاراً ، حتّى أغرَتُمْ علينا رأينا ﴿إِذْ تَأْمُرُونَنا أَنْ نَكْفُرَ بِاللّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْداداً وَأَسَرُّوا النَّدامَةَ لَمّا رَأَوُا العَذابَ﴾: وأضمر الفريقان النّدامة على الضّلالة والإضلال، وأخفاها كلّ عن صاحبه مخافة التّعيير. سئل: وما يغنيهم إسرارهم النّدامةَ. وهم في العذاب؟ قال: «يكرهون شماتة الأعداء»[٣] .

١ ـ الكافي ٢: ١٧ ، الحديث: ١ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .

٢ ـ القمي ٢: ٢٠٣، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .

٣ ـ المصدر .

﴿وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: في أعناقهم. جاء بالظّاهر تنويهاً بذمّهم، وإشعاراً بموجب إغلالهم. ﴿هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا ما كانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

﴿وَما أَرْسَلْنا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قالَ مُتْرَفُوها إِنّا بِما أُرْسِلْتُمْ بِهِ كافِرُونَ﴾ تسلية لرسول الله صلى الله عليه وآله ممّا مُني به من قومه. وتخصيص المتنعّمين بالتّكذيب، لأنّ الدّاعي المعظم إلى التّكبّر والمفاخرة بزخارف الدّنيا الانهماك في الشّهوات، والاستهانة بمن لم يحظ منها، ولذلك ضمّوا المفاخرة والتّهكّم إلى التّكذيب.

﴿وَقالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوالاً وَأَوْلاداً وَما نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾.

﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشاءُ وَيَقْدِرُ﴾: ويضيق على من يشاء، وليس ذلك لكرامة وهوان ﴿وَلٰكِنَّ أَكْثَرَ النّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾.

﴿وَما أَمْوالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنا زُلْفىٰ﴾: قربة ﴿إِلّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صالِحاً﴾ بإنفاق ماله في سبيل الله، وتعليم ولده الخيرَ والصّلاحَ ﴿فَأُولٰئِكَ لَهُمْ جَزاءُ الضِّعْفِ بِما عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفاتِ آمِنُونَ﴾.

ورد: «الغنيّ إذا كان وصولاً برحمه بارّاً بإخوانه، أضعف الله له الأجرَ ضِعْفَين، لأنّ الله يقول: "وما أموالكم" الآية»[1].

﴿وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي آياتِنا﴾ بالرّدّ والطّعن ﴿مُعاجِزِينَ أُولٰئِكَ فِي الْعَذابِ مُحْضَرُونَ﴾.

﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ﴾ هذا في شخص واحد باعتبار وقتين، وما سبق في شخصين فلا تكرير. ﴿وَما أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ﴾ عوضاً، إمّا عاجلاً أو آجلاً. ورد: «من صدّق بالخلف جاد بالعطيّة»[2]. ﴿وَهُوَ خَيْرُ الرّازِقِينَ﴾ فإنّ غيره وسط في إيصال رزقه لا حقيقة لرازقيّته.

١ـ علل الشّرائع ٢: ٦٠٤، الباب: ٣٨٥، الحديث: ٧٣؛ القمّي ٢: ٢٠٣، عن أبي عبد الله عليه السلام.
٢ـ الكافي ٤: ٢، الحديث: ٤، عن رسول الله صلى الله عليه وآله.

﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلائِكَةِ أَهٰؤُلاءِ إِيّاكُمْ كانُوا يَعْبُدُونَ ﴾ . إنّما خصّهم لأنّهم أشرف شركائهم والصّالحون للخطاب منهم ، وهو تقريع للمشركين ، وتبكيت وإقناط لهم عمّا يتوقّعون من شفاعتهم .

﴿ قالُوا سُبْحانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنا مِنْ دُونِهِمْ ﴾ لا موالاة بيننا وبينهم ﴿ بَلْ كانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ ﴾ أي: الشّياطين ، حيث أطاعوهم في عبادة غير اللّه ﴿ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ ﴾ .

﴿ فَالْيَوْمَ لا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفْعاً وَلا ضَرّاً ﴾ إذ الأمر فيه كلّه للّه ﴿ وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذابَ النّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِها تُكَذِّبُونَ ﴾ .

﴿ وَإِذا تُتْلىٰ عَلَيْهِمْ آياتُنا بَيِّناتٍ قالُوا ما هٰذا ﴾ يعنون النّبيّ ﷺ ﴿ إِلّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمّا كانَ يَعْبُدُ آباؤُكُمْ وَقالُوا ما هٰذا ﴾ يعنون القرآن ﴿ إِلّا إِفْكٌ ﴾: كذب ﴿ مُفْتَرىً ﴾ على اللّه ﴿ وَقالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمّا جاءَهُمْ إِنْ هٰذا إِلّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴾ .

﴿ وَما آتَيْناهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَها ﴾: تدعوهم إلى ما هم عليه[1] ﴿ وَما أَرْسَلْنا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ ﴾ يُنذرهُم على تركه ، فمِنْ أين وقع لهم هذه الشّبهة؟! .

﴿ وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾ رسلهم ، كما كذّبوا ﴿ وَما بَلَغُوا مِعْشارَ ما آتَيْناهُمْ ﴾ قيل: وما بلغ هؤلاء عشر ما آتينا أُولئك من القوّة وطول العمر وكثرة المال ؛ أو ما بلغ أُولئك عشر ما آتينا هؤلاء من البيّنات والهدى[2] .

أقول: كأنّه أُريد ـ على التّقديرين ـ أنّ أُولئك كانوا أحرى بتكذيب رسلهم من هؤلاء ، وعليه يحمل ما رواه القمّي مرفوعاً: «وما بلغ ما آتينا رسلهم معشار ما آتينا محمّداً وآل محمّد»[3] . أو يُحمل على أنّ المراد: أنّ فضائل محمّد وآل محمّد أحرى بالحسد والتّكذيب ، وإيتاء محمّد وآل محمّد إيتاء لهم ؛ فلا ينافي الحديث ظاهر القرآن .

١ ـ في «ألف»: «تدعوهم اليه» .
٢ ـ البيضاوي ٤: ١٧٤ .
٣ ـ القمّي ٢: ٢٠٤ .

﴿فَكَذَّبُوا رُسُلِي﴾ لا تكرير فيه ، لأنّ الأوّل مطلق والثاني مقيّد . ﴿فَكَيْفَ كانَ نَكِيرِ﴾ أي: إنكاري لهم بالتّدمير ؛ فليحذر هؤلاء من مثله .

﴿قُلْ إِنَّما أَعِظُكُمْ بِواحِدَةٍ﴾ أُرشِدُكم وأنصحُ لكم بخصلة واحدة ﴿أَنْ تَقُومُوا لِلّٰهِ﴾ معرضين عن المراء والتّقليد ﴿مَثْنىٰ وَفُرادىٰ﴾: متفرّقين ، اثنين اثنين وواحداً واحداً . فإنّ الازدحام يُشوّشُ الخاطِرَ ويخلِطُ القولَ ﴿ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا﴾ في أمري وما جِئتُ به ، لتعلموا حقّيّته[1] ﴿ما بِصاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ﴾: فتعلموا ما به جنون يحمله على ذلك ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذابٍ شَدِيدٍ﴾ أي: قدّامه .

﴿قُلْ ما سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ﴾ . قال: «معناه أنّ أجر ما دعوتُكم إليه من إجابتي وذخره هو لكم دوني»[2] . وفي رواية يقول: «أجر المودّة الّذي لم أسألكم غيره فهو لكم ؛ تهتدون به ، وتنجون من عذاب يوم القيامة»[3] . ﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللّٰهِ وَهُوَ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ .

﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ﴾: يلقيه وينزله على من يجتبيه من عباده ﴿عَلّامُ الْغُيُوبِ﴾ .

﴿قُلْ جاءَ الْحَقُّ﴾: الإسلام ﴿وَما يُبْدِئُ الْباطِلُ وَما يُعِيدُ﴾: وزهق الباطل ، أي: الشّرك ، بحيث لم يبق له أثر .

﴿قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ﴾ عن الحقّ ﴿فَإِنَّما أَضِلُّ عَلىٰ نَفْسِي﴾: فإنّ وبال ضلالي عليها .

﴿وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِما يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ﴾ .

﴿وَلَوْ تَرىٰ إِذْ فَزِعُوا﴾ لرأيتَ فظيعاً ﴿فَلا فَوْتَ﴾: فلا يفوتون اللّٰه بهَرَبٍ أو حصن .

١ ـ في «ب»: «حقيقته» .

٢ ـ مجمع البيان ٧ ـ ٨ : ٣٩٦ ، عن أبي جعفر عليه السلام .

٣ ـ الكافي ٨ : ٣٧٩ ، الحديث: ٥٧٤ ، عن أبي جعفر عليه السلام .

قال: «إذ فزعوا من الصّوت، وذلك الصّوت من السّماء»[١]. ﴿وَأُخِذُوا مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ﴾. قال: «من تحت أقدامهم خسف بهم»[٢].

وفي رواية: «لكأنّي أنظر إلى القائم وقد أسند ظهره إلى الحجر، إلى أن قال: فإذا جاء إلى البيداء[٣] يخرج إليه جيشُ السُّفياني، فيأمر اللّهُ عزّوجلّ الأرضَ فتأخذ بأقدامهم، وهو قوله تعالى: "ولو ترى إذ فزعوا" الآية»[٤].

﴿وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ﴾ قال: «يعني بالقائم من آل محمّد»[٥]. ﴿وَأَنَّىٰ لَهُمُ التَّنَاوُشُ﴾: التّناول، يعني تناولَ الإيمان ﴿مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾: [من جانب بعيد من أمره][٦]، يعني بعد انقضاء زمان التّكليف.

قال: «إنّهم طلبوا الهدى من حيث لا ينال، وقد كان لهم مبذولاً من حيث ينال»[٧].

﴿وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ﴾ يعني أوان التّكليف ﴿وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ﴾: ويرجمون بالظّنّ، ويتكلّمون بما لم يَظهَر لهم ﴿مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾: من جانب بعيد من أمره.

﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ قال: «يعني أن لا يعذّبوا»[٨]. ﴿كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ﴾ قال: «يعني من كان قبلهم من المكذّبين هلكوا»[٩]. ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُرِيبٍ﴾.

١ ـ القمّي ٢: ٢٠٥، عن أبي جعفر عليه السلام.

٢ ـ المصدر: ٢٠٦، عن أبي جعفر عليه السلام.

٣ ـ البَيْداء: إسم لأرض مَلساء بين مكّة والمدينة، وهي إلى مكّة أقرب. تُعدُّ من الشَّرَف أمام ذي الحليفة. وفي قول بعضهم: إنّ قوماً كانوا يغزون البيت فنزلوا بالبيداء فبعث اللّه عزّوجلّ جبرائيل فقال: يا بيداء أبيديهم. وكلّ مفازة لا شيء بها فهي بيداء. معجم البلدان ١: ٥٢٣.

٤ و ٥ ـ القمّي ٢: ٢٠٥، عن أبي جعفر عليه السلام.

٦ ـ ما بين المعقوفتين من «ب».

٧ ـ القمّي ٢: ٢٠٦، عن أبي جعفر عليه السلام.

٨ و ٩ ـ المصدر: ٢٠٥، عن أبي جعفر عليه السلام.

سورة فاطر

[مكيّة، وهي خمس وأربعون آية][1]

بسم اللّه الرحمٰن الرحيم

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فاطِرِ السَّمٰوٰاتِ وَالأَرْضِ﴾: مُبدِعهما، من الفطر بمعنى الشقّ، كأنّه شقّ العدم بإخراجهما منه. ﴿جاعِلِ المَلائِكَةِ رُسُلاً﴾: وسائط بين اللّه وبين أنبيائه والصالحين من عباده، يبلّغون إليهم رسالاته بالوحي والإلهام والرّؤيا الصّادقة. ﴿أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنىٰ وَثُلاثَ وَرُباعَ﴾ ينزلون بها ويعرجون، ويسرعون بها نحو ما أُمروا به ﴿يَزِيدُ فِي الخَلْقِ ما يَشاءُ إِنَّ اللّٰهَ عَلىٰ كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ﴾.

ورد: «إنّ النّبيّ صلّى اللّه عليه وآله رأى جبرئيل ليلة المعراج وله ستّمائة ألف جناح»[2]. و«إنّ دردائيل له ستّة عشر ألف جناح»[3]. إلى غير ذلك من كثرة أجنحة الملائكة، ولعلّه إلى ذلك أُشير بقوله: "يزيد في الخلق ما يشاء" يعني على مقتضى حكمته.

١ ـ ما بين المعقوفتين من «ب».

٢ ـ الكشّاف ٣: ٢٩٨؛ البيضاوي ٤: ١٧٨. وفي القمّي ٢: ٢٠٦، عن أبي عبد اللّه عليه السلام، وفيه: «وله ستّمائة جناح».

٣ ـ كمال الدّين ١: ٢٨٢، الباب: ٢٤، الحديث: ٣٦، عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله.

و ورد: «إنّ القضاء والقدر خلقان من خلق اللّه، واللّه يزيد في الخلق ما يشاء»[١].

وفي رواية: «هو الوجه الحسن والصّوت الحسن والشّعر الحسن»[٢].

﴿ما يَفْتَحِ اللّٰهُ لِلنّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ﴾ كنعمة وأمن وصحّة وعلم، ونبوّة وولاية. قال: «والمتعة من ذلك»[٣]. ﴿فَلا مُمْسِكَ لَها﴾ يحبسها ﴿وَما يُمْسِكْ فَلا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ﴾: من بعد إمساكه ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾: الغالب على ما يشاء، ليس لأحد أن ينازعه فيه ﴿الْحَكِيمُ﴾: لا يفعل إلّا بعلم وإتقان.

﴿يا أَيُّهَا النّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللّٰهِ عَلَيْكُمْ﴾: احفظوها بمعرفة حقّها، والاعتراف بها وطاعة منعمها ﴿هَلْ مِنْ خالِقٍ غَيْرُ اللّٰهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّماءِ وَالْأَرْضِ لا إِلٰهَ إِلّا هُوَ فَأَنّى تُؤْفَكُونَ﴾: فمن أيّ وجه تصرفون عن التّوحيد إلى الإشراك به؟!.

﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ وَإِلَى اللّٰهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ فاصبر كما صبروا، حتّى يرجع الأمر إليه.

﴿يا أَيُّهَا النّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللّٰهِ﴾ بالحشر والجزاء ﴿حَقٌّ﴾ لا خلف فيه ﴿فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَياةُ الدُّنْيا﴾ فيُذهِلكم التّمتّع بها عن طلب الآخرة والسّعي لها ﴿وَلا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللّٰهِ الْغَرُورُ﴾: الشّيطان بأن يمنّيكم المغفرة مع الإصرار على المعصية.

﴿إِنَّ الشَّيْطانَ لَكُمْ عَدُوٌّ﴾ عداوة عامّة قديمة ﴿فَاتَّخِذُوهُ عَدُوّاً﴾ في عقائدكم وأفعالكم، وكونوا على حذر منه في مجامع أحوالكم ﴿إِنَّما يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحابِ السَّعِيرِ﴾.

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّالِحاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾.

﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَناً﴾ كمن لم يزيّن له بل وفّق حتّى عرف الحقّ؛ فحذف الجواب لدلالة ما بعده عليه. ﴿فَإِنَّ اللّٰهَ يُضِلُّ مَنْ يَشاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشاءُ فَلا

١ ـ التّوحيد: ٣٦٤، الباب: ٦٠، الحديث: ١، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٢ ـ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ٤٠٠، عن رسول اللّه صلى الله عليه وآله.

٣ ـ القمّي ٢: ٢٠٧، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

تَذهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَراتٍ ﴾: فلا تهلك نفسك عليهم للحسرات على غيّهم وإصرارهم على التكذيب ﴿ إِنَّ اللّٰهَ عَلِيمٌ بِما يَصْنَعُونَ ﴾ .

﴿ وَاللّٰهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّياحَ فَتُثِيرُ سَحاباً فَسُقْناهُ إِلىٰ بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها كَذٰلِكَ النُّشُورُ ﴾ أي: مثل إحياء الموات ، إحياء الأموات .

ورد: «إذا أراد اللّٰه أن يبعثَ الخلق أمطر السّماء على الأرض أربعين صباحاً ، فاجتمعت الأوصال ونبتت اللّحوم»[١] .

﴿ مَنْ كانَ يُرِيدُ العِزَّةَ فَلِلّٰهِ العِزَّةُ جَمِيعاً ﴾ أي: فليطلبها من عنده ، فإنّ كلّها له . ورد: «إنّ ربّكم يقول كلّ يوم: أنا العزيز ، فمن أراد عزّ الدّارين فليطع العزيز»[٢] .

﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالعَمَلُ الصّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴾ . قال: «الكلم الطّيّب: قول المؤمن: لا إله إلّا اللّٰه ، محمّد رسول اللّٰه ، عليّ وليّ اللّٰه وخليفة رسول اللّٰه ، والعمل الصّالح: الاعتقاد بالقلب: أنّ هذا هو الحقّ من عند اللّٰه ، لا شكّ فيه ، من ربّ العالمين»[٣] .

وفي رواية: «إنّ لكلّ قول مصداقاً من عَمَل يصدّقه أو يكذّبه ، فإذا قال ابن آدم وصدّق قولَه بعمله ، رفع قوله بعمله إلى اللّٰه ، وإذا قال وخالف بعمله قولَه ، ردّ قوله على عمله الخبيث وهوى به في النّار»[٤] .

وفي أُخرى: «يعني إذا كان عَمَلُه خالصاً ارتفع قوله وكلامُه»[٥] .

﴿ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئاتِ ﴾: المكرات السّيّئات ﴿ لَهُمْ عَذابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولٰئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴾: يفسد ولا ينفذ ، وفي العاقبة يحيق بهم .

١ ـ الأمالي (للصّدوق): ١٤٩ ، المجلس: ٣٣ ، الحديث: ٥ ؛ القمّي ٢: ٢٥٣ ، عن أبي عبد اللّٰه عليه السلام .
٢ ـ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ٤٠٢ ، عن رسول اللّٰه صلى الله عليه وآله .
٣ ـ القمّي ٢: ٢٠٨ ، عن أبي عبد اللّٰه عليه السلام .
٤ ـ المصدر ، عن أبي جعفر عليه السلام ، عن رسول اللّٰه صلى الله عليه وآله .
٥ ـ الاحتجاج ١: ٣٨٧ ، عن أمير المؤمنين عليه السلام ، وفيه: «عمله صالحاً» .

﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْواجاً﴾: ذكراناً وإناثاً ﴿وَما تَحْمِلُ مِنْ أُنْثى وَلا تَضَعُ إِلّا بِعِلْمِهِ وَما يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلّا فِي كِتابٍ﴾.

قيل: معناه لا يطول عمر ولا ينقص إلّا في كتاب، وهو أن يكتب في اللّوح: لو أطاع اللّٰه فلانٌ بقي إلى وقت كذا، وإذا عصى نقص من عمره الّذي وُقِّتَ له، واليه أشار رسولُ اللّٰه صلى الله عليه وآله في قوله: «إنّ الصّدقة وصلة الرّحم تعمُرانِ الدّيارَ وتزيدان في الأعمار»[1].

﴿إِنَّ ذٰلِكَ عَلَى اللّٰهِ يَسِيرٌ﴾.

﴿وَما يَسْتَوِي الْبَحْرانِ هٰذا عَذْبٌ فُراتٌ سائِغٌ شَرابُهُ وَهٰذا مِلْحٌ أُجاجٌ﴾. قال: «هو المرّ»[2]. قيل: مثل للمؤمن والكافر[3]. ﴿وَمِنْ كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْماً طَرِيّاً وَتَسْتَخْرِجُونَ﴾ منه ﴿حِلْيَةً تَلْبَسُونَها﴾: اللآلي واليواقيت ﴿وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَواخِرَ﴾ تشقّ الماء بجريها ﴿لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾: من فضل اللّٰه بالنّقلة فيها ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهارِ وَيُولِجُ النَّهارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى ذٰلِكُمُ اللّٰهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ ما يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾. هو الجِلدةُ الرّقيقة الّتي على ظهر النّواة.

﴿إِنْ تَدْعُوهُمْ لا يَسْمَعُوا دُعاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾.

﴿يا أَيُّهَا النّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَراءُ إِلَى اللّٰهِ وَاللّٰهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾.

﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾.

﴿وَما ذٰلِكَ عَلَى اللّٰهِ بِعَزِيزٍ﴾: بمتعذّر أو متعسّر.

﴿وَلا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرى﴾: ولا تحمل نفس آثمة إثمَ نفس أُخرى، وأمّا قوله:

١ ـ جوامع الجامع: ٣٨٧؛ الكشّاف ٣: ٣٠٣.

٢ ـ القمّي ٢: ٢٠٨، عن أبي جعفر عليه السلام.

٣ ـ البيضاوي ٤: ١٨٠.

"وليحملنّ أثقالهم وأثقالاً مع أثقالهم"[1] ففي الضالّين المضلّين؛ فإنّهم يحملون أثقال إضلالهم مع أثقال ضلالهم، وكلّ ذلك أوزارهم، ليس فيها شيء من أوزار غيرهم. ﴿وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ﴾: نفس أثقلتها الأوزار ﴿إِلىٰ حِمْلِها﴾: تحمل بعض أوزارها ﴿لايُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ﴾: لم تجب بحمل شيء منه. نفى أن يحمل عنها ذنبها، كما نفى أن يحمل عليها ذنب غيرها.

﴿وَلَوْ كانَ ذا قُرْبىٰ﴾: ولو كان المدعوّ ذا قرابتها. أضمر المدعوّ لدلالة "إن تدع" عليه.

﴿إِنَّما تُنْذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالغَيْبِ وَأَقامُوا الصَّلاةَ﴾ إذ غيرهم لا ينتفعون به ﴿وَمَنْ تَزَكّىٰ﴾: تطهّر من دنس المعاصي ﴿فَإِنَّما يَتَزَكّىٰ لِنَفْسِهِ وَإِلَى اللّٰهِ المَصِيرُ﴾ فيجازيه على تزكيته.

﴿وَما يَسْتَوِي الأَعْمىٰ وَالبَصِيرُ﴾: الكافر والمؤمن.

﴿وَلا الظُّلُماتُ وَلا النُّورُ﴾: ولا الباطل ولا الحقّ.

﴿وَلا الظِّلُّ وَلا الحَرُورُ﴾: ولا الثواب ولا العقاب. و«لا» لتأكيد نفي الاستواء، وتكريرها على الشقّين لمزيد التأكيد. والحرور: السّموم.

﴿وَما يَسْتَوِي الأَحْياءُ وَلا الأَمْواتُ﴾: العلماء والجهلاء؛ أو تمثيل آخر للمؤمنين والكافرين أبلغ من الأوّل، ولذلك كرّر الفعل. ﴿إِنَّ اللّٰهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشاءُ وَما أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي القُبُورِ﴾: المُصِرّين على الكفر.

﴿إِنْ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾: فما عليك إلّا الإنذار. وأمّا الإسماع فلا إليك، ولا حيلة لك إليه في المطبوع على قلوبهم.

﴿إِنّا أَرْسَلْناكَ بِالحَقِّ بَشِيراً وَنَذِيراً وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ﴾: أهل عصر ﴿إِلّا خَلا﴾: مضى.

﴿فِيها نَذِيرٌ﴾ من نبيّ أو وصيّ نبيّ. القمّي: لكلّ زمان إمام[2].

١ ـ العنكبوت (٢٩): ١٣.

٢ ـ القمّي ٢: ٢٠٩.

و ورد: «لم يمت محمّد صلى الله عليه وآله إلّا وله بعيث نذير . فإن قيل: لا ، فقد ضيّع رسول الله صلى الله عليه وآله مَنْ في أصلاب الرّجال من أُمّته . قيل: وما يكفيهم القرآن؟ قال: بلى! إن وجدوا له مفسّراً . قيل: وما فسّره رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قال: بلى! قد فسّره لرجل واحد ، وفسّر للأُمّة شأن ذلك الرّجل ؛ وهو عليّ بن أبي طالب عليه السلام»[١] .

﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ جاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّناتِ﴾: بالمعجزات الشّاهدة على نبوّتهم ﴿وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتابِ الْمُنِيرِ﴾ كصحف إبراهيم والتّوارة والإنجيل .

﴿ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كانَ نَكِيرِ﴾ أي: إنكاري بالعقوبة .

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَخْرَجْنا بِهِ ثَمَراتٍ مُخْتَلِفاً أَلْوانُها وَمِنَ الْجِبالِ جُدَدٌ﴾ أي: ذو جدد أي خِطَط وطرائق ﴿بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوانُها﴾ بالشّدّة والضّعف .

﴿وَغَرابِيبُ سُودٌ﴾: ومنها غرابيب متّحدة اللّون ؛ والغربيب تأكيد للأسود ، وحقّه أن يتبع المؤكّد ، قدّم لمزيد التّأكيد ، لما فيه من التّأكيد باعتبار الإضمار والإظهار .

﴿وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوانُهُ كَذلِكَ﴾: كاختلاف الثّمار والجبال .

﴿إِنَّما يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبادِهِ الْعُلَماءُ﴾ إذ شرط الخشية معرفة المخشيّ والعلم بصفاته وأفعاله ، فمن كان أعلم به كان أخشى منه ، ولذلك قال النّبيّ صلى الله عليه وآله: «إنّي أخشاكم لله وأتقاكم»[٢] .

قال: «يعني بالعلماء مَنْ صدّق قولَه فِعْلُه ، ومن لم يصدّق قولَه فِعْلُه فليس بعالم»[٣] .

﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ . تعليل لوجوب الخشية ، لدلالته على أنّه مُعاقِبٌ للمُصِرّ على طغيانه ، غفور للتّائب عن عصيانه .

١ ـ الكافي ١: ٢٥٠ ، ذيل الحديث: ٦ ، عن أبي جعفر عليه السلام .

٢ ـ البيضاوي ٤: ١٨٢ .

٣ ـ الكافي ١: ٣٦ ، الحديث: ٢ ؛ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ٤٠٧ ، عن أبي عبد الله عليه السلام .

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتابَ اللَّهِ وَأَقامُوا الصَّلاةَ وَأَنْفَقُوا مِمّا رَزَقْناهُمْ سِرّاً وَعَلانِيَةً يَرْجُونَ تِجارَةً لَنْ تَبُورَ﴾: لن تكسُدَ ولن تهلك بالخسران. والتّجارة تحصيل الثّواب بالطّاعة.

﴿لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾ على ما يقابل أعمالهم. قال: «هو الشّفاعة لمن وجبت له النّار ممّن صنع إليه معروفاً في الدّنيا»[١]. ﴿إِنَّهُ غَفُورٌ﴾ لفرطاتهم ﴿شَكُورٌ﴾ لطاعاتهم.

﴿وَالَّذِي أَوْحَيْنا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتابِ﴾ يعني القرآن ﴿هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقاً لِما بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ من الكتب السّماويّة ﴿إِنَّ اللَّهَ بِعِبادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾: عالم بالبواطن والظواهر.

﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنا مِنْ عِبادِنا فَمِنْهُمْ ظالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سابِقٌ بِالْخَيْراتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾.

قال: «هي في ولد عليّ وفاطمة»[٢].

وفي رواية: «أراد اللّه بذلك العترةَ الطّاهرة، ولو أراد الأُمّة لكانت بأجمعها في الجنّة، لقوله: "جنّاتُ عدنٍ يدخلونها"»[٣].

وقال: «ليس يدخل في هذا من أشار بسيفه ودعا النّاس إلى ضلال. فقيل: أيّ شيء الظّالم لنفسه؟ قال: الجالس في بيته لا يعرف حقّ الإمام، والمقتصد: العارف بحقّ الإمام، والسّابق بالخيرات: الإمام»[٤].

وفي معناه أخبار كثيرة[٥]، وفي بعضها: «أمّا الظّالم لنفسه منّا فمن عَمِلَ عملاً صالحاً

١ ـ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ٤٠٧، عن النّبيّ صلّى الله عليه وآله.
٢ ـ بصائر الدّرجات: ٤٥، الباب: ٢١، الحديث: ٣، عن أبي جعفر عليه السلام.
٣ ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ١: ٢٢٩، الباب: ٢٣، الحديث: ١.
٤ ـ الكافي ١: ٢١٥، ذيل الحديث: ٢، عن أبي عبد الله عليه السلام.
٥ ـ راجع: المصدر: ٢١٤، الحديث: ١ و٢١٥، الحديث: ٣؛ الاحتجاج ٢: ١٣٩؛ بصائر الدّرجات: ٤٤، الباب: ٢١، الحديث: ٢.

وآخر سيّئاً ، وأمّا المقتصد فهو المتعبّد المجتهد ، وأمّا السّابق بالخيرات فعليّ والحسن والحسين عليهم السلام ومن قُتِلَ من آل محمّد شهيداً»[١] .

وفي رواية: «الظّالم يحوم[٢] حول نفسه ، والمقتصد يحوم حول قلبه ، والسّابق يحوم حول ربّه»[٣] .

﴿جَنّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَها يُحَلَّوْنَ فِيها مِنْ أَساوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤاً وَلِباسُهُمْ فِيها حَرِيرٌ﴾ .

﴿وَقالُوا الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنا لَغَفُورٌ﴾ للمذنبين ﴿شَكُورٌ﴾ للمطيعين .

﴿الَّذِي أَحَلَّنا دارَ الْمُقامَةِ﴾: دار الإقامة ﴿مِنْ فَضْلِهِ لا يَمَسُّنا فِيها نَصَبٌ﴾: تعب ﴿وَلا يَمَسُّنا فِيها لُغُوبٌ﴾: كَلالٌ ، إذ لا تكليف فيها ولا كَدّ . قال: «يعني المقتصد والسّابق»[٤] .

وفي رواية: «أمّا السّابق فيدخل الجنّة بغير حساب ، وأمّا المقتصد فيحاسَبُ حساباً يسيراً ، وأمّا الظّالم لنفسه فيحبس في المقام ثمّ يدخل الجنّة فهم الّذين "قالوا الحمدُ للّه الذي أذهب عنّا الحزن"»[٥] .

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نارُ جَهَنَّمَ لا يُقْضى عَلَيْهِمْ﴾: لا يحكم عليهم بموت ثان ﴿فَيَمُوتُوا﴾ ويستريحوا ﴿وَلا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذابِها﴾ بل كلّما خبت زيدوا سعيراً ﴿كَذلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ﴾ .

١ـ مجمع البيان ٧ـ٨: ٤٠٩ ، عن أبي جعفر عليه السلام .
٢ـ حام حولَ الشيء ، أي: دار . الصّحاح ٥: ١٩٠٨ (حوم) .
٣ـ معاني الأخبار: ١٠٤ ، الحديث: ١ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام ، وفيه «يحوم حوم» بدل: «يحوم حول» في المواضع الثلاث .
٤ـ معاني الأخبار: ١٠٥ ، ذيل الحديث: ٢ ، عن أبي جعفر عليه السلام .
٥ـ مجمع البيان ٧ـ٨: ٤٠٨ ، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله .

﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيها﴾: يستغيثون بالصّراخ[1] ﴿رَبَّنا أَخْرِجْنا نَعْمَلْ صالِحاً غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَ لَمْ نُعَمِّرْكُمْ ما يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجاءَكُمُ النَّذِيرُ﴾ يتناول كلّ عمر يمكن فيه من التّذكّر.

و ورد: «هو توبيخ لابن ثماني عشرة سنة»[2].

وفي رواية: «من عمّره اللّه ستّين سنة فقد أعذر اليه»[3]. ﴿فَذُوقُوا فَما لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ﴾.

﴿إِنَّ اللَّهَ عالِمُ غَيْبِ السَّمٰواتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ﴾.

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلائِفَ فِي الْأَرْضِ﴾: ألقى[4] إليكم مقاليد التّصرف فيها، أو جعلكم خلفاً بعد خلف. ﴿فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَلا يَزِيدُ الْكافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتاً وَلا يَزِيدُ الْكافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَساراً﴾. كرّره للدّلالة على أنّ اقتضاء الكفر لكلّ واحد من الأمرين مستقلّ باقتضاء قبحه ووجوب التّجنّب عنه. والمراد بالمقت مقت اللّه، وبالخسار خسار الآخرة.

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي ماذا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمٰواتِ أَمْ آتَيْناهُمْ كِتاباً﴾ ينطق على أنّا اتّخذنا شركاء ﴿فَهُمْ عَلىٰ بَيِّنَةٍ مِنْهُ بَلْ إِنْ يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً إِلَّا غُرُوراً﴾ بأنّهم شفعاؤهم عند اللّه.

﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمٰواتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولا وَلَئِنْ زالَتا إِنْ أَمْسَكَهُما مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ﴾: من بعد اللّه، أو من بعد الزّوال.

١ ـ الصَّرخَة: الصّيحة الشديدة. القاموس المحيط ١: ٢٧٣ (صرخ).

٢ ـ من لا يحضره الفقيه ١: ١١٨، الحديث: ٥٦١؛ الخصال ٢: ٥٠٩، الحديث: ٢؛ الأمالي: ٤٠، المجلس: ١٠، ذيل الحديث: ١٠؛ مجمع البيان ٧ـ٨: ٤١٠، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٣ ـ مجمع البيان ٧ـ٨: ٤١٠، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله.

٤ ـ في «ألف» و«ب»: «القمّي». والصحيح ما أثبتناه كما في «ج»، حيث لم ترد هذه الكلمات في القمّي، والظّاهر أنّها تصحيف من النّسّاخ.

قال: «بنا يُمسك اللّه السّماوات والأرض أن تزولا»[١].

وقال: «لولا ما في الأرض منّا لساخت بأهلها»[٢]. ﴿إِنَّهُ كانَ حَلِيماً غَفُوراً﴾.

﴿وَأَقْسَمُوا بِاللّٰهِ جَهْدَ أَيْمانِـهِمْ لَـئِنْ جاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونُنَّ أَهْدىٰ مِنْ إِحْدَى الأُمَمِ﴾.

قيل: وذلك أنّ قريشاً لمّا بلغهم أنّ أهل الكتاب كذّبوا رسلهم، قالوا: لعن اللّه اليهود والنّصارى، لو أتانا رسول لنكوننّ أهدى من إحدى الأُمم[٣]. ﴿فَلَمّا جاءَهُمْ نَذِيرٌ﴾ يعني محمّداً صلّى الله عليه وآله ﴿ما زادَهُمْ إِلّا نُـفُوراً﴾: تباعداً عن الحقّ.

﴿اِسْتِكْباراً فِي الأَرْضِ وَمَكْرَ السَّـيِّئِ وَلا يَحِـيقُ﴾: ولا يحيط ﴿الْمَكْرُ السَّـيِّئُ إِلّا بِأَهْلِهِ﴾ قيل: وقد حاق بهم يوم بدر[٤]. ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ﴾: ينتظرون ﴿إِلّا سُنَّـتَ الأَوَّلِـينَ﴾ بتعذيب مكذّبيهم ﴿فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللّٰهِ تَبْدِيلاً﴾ بجعل التّعذيب غيره ﴿وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّـةِ اللّٰهِ تَحْوِيلاً﴾ بنقله إلى غيرهم.

﴿أَوَ لَمْ يَسِـيرُوا فِي الأَرْضِ﴾ في مسايرهم في أسفارهم، أو في القرآن ﴿فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كانَ عاقِـبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾: فينظروا في آثارهم، أو في أخبارهم ﴿وَكانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُـوَّةً وَما كانَ اللّٰهُ لِـيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ﴾: لِيَسبِقَه ويفوته ﴿فِي السَّـماواتِ وَلا فِـي الأَرْضِ إِنَّهُ كانَ عَلِـيماً قَدِيراً﴾.

﴿وَلَوْ يُـؤاخِذُ اللّٰهُ النّاسَ بِما كَسَبُوا ما تَرَكَ عَلىٰ ظَهْرِها﴾: ظهرِ الأرض ﴿مِنْ دابَّةٍ﴾ تدبّ عليها بشؤم[٥] معاصيهم ﴿وَلٰـكِنْ يُـؤَخِّـرُهُمْ إِلىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى فَإِذا جاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللّٰهَ كانَ بِعِـبادِهِ بَصِـيراً﴾.

١ ـ كمال الدّين ١: ٢٠٢، الباب: ٢١، قطعة من حديث: ٦، عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام.

٢ ـ المصدر: ٢٠٧، الباب: ٢١، ذيل الحديث: ٢٢، عن السّجاد عليه السلام.

٣ و ٤ ـ البيضاوي ٤: ١٨٤.

٥ ـ في «ب»: «من شؤم».

سورة يسٓ

[مكيّة ، وهي ثلاث وثمانون آية][1]

بسم اللّه الرحمٰن الرحيم

﴿يسٓ﴾ قد مضى نظائره . قال: «هو اسم من أسماء النّبي صلى الله عليه وآله ، ومعناه: يا أيّها السّامع الوحي»[2] .

﴿وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ﴾ الواو للقسم .

﴿إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ .

﴿عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ قال: «على الطّريق الواضح»[3] .

﴿تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾ قال: «القرآن»[4] .

﴿لِتُنْذِرَ قَوْماً﴾ قال: «لتنذر القوم الّذين أنت فيهم»[5] . ﴿مَا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ﴾ قال: «عن اللّه ، وعن رسوله ، وعن وعيده»[6] .

﴿لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَىٰ أَكْثَرِهِمْ﴾ قال: «ممّن لا يقرّون بولاية أمير المؤمنين والأئمة

---

١ ـ ما بين المعقوفتين من «ب» .

٢ ـ معاني الأخبار: ٢٢ ، الحديث: ١ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .

٣ و ٤ ـ القمّي ٢: ٢١١ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .

٥ و ٦ ـ الكافي ١: ٤٣٢ ، الحديث: ٩٠ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .

من بعده»[١]. ﴿فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ﴾ قال: «بإمامة أمير المؤمنين والأوصياء من بعده، فلمّا لم يقرّوا كانت عقوبتهم ما ذكر اللّه»[٢].

﴿إِنَّا جَعَلْنا فِي أَعْناقِهِمْ أَغْلالاً فَهِيَ إِلَى الأَذْقانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ﴾ القمّي: قد رفعوا رؤوسهم[٣].

﴿وَجَعَلْنا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدّاً وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدّاً فَأَغْشَيْناهُمْ فَهُمْ لا يُبْصِرُونَ﴾.

قال: «يقول: فأعميناهم فهم لا يبصرون الهدى. أخذ اللّه سمعهم وأبصارهم وقلوبهم، فأعماهم عن الهدى»[٤].

وقال: «هذا في الدّنيا، وفي الآخرة في نار جهنّم مقمحون»[٥].

قيل: تقرير لتصميمهم على الكفر والطّبع على قلوبهم، بحيث لا تغني الآيات والنّذر؛ بتمثيلهم بالّذين غلّت أعناقهم، والأغلال واصلة إلى أذقانهم، فلا تخلّيهم يطأطئون فهم مقمحون رافعون رؤوسهم، غاضّون أبصارهم في أنّهم لا يلتفتون لفت الحقّ ولا يعطفون أعناقهم نحوه، ولا يطأطئون رؤوسهم له، وبمن أحاط بهم سدّان فغطّى أبصارهم بحيث لا يبصرون قدّامهم ووراءهم، في أنّهم محبوسون في مطمورة[٦] الجهالة، ممنوعون عن النّظر في الآيات والدّلائل[٧].

﴿وَسَواءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لا يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿إِنَّما تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمنَ بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾.

﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتى﴾: الأموات بالبعث، والجهّال بالهداية ﴿وَنَكْتُبُ ما

١ و ٢ ـ الكافي ١: ٤٣٢، الحديث: ٩٠، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٣ ـ القمّي ٢: ٢١٢.

٤ ـ المصدر، عن أبي جعفر عليه السلام.

٥ ـ الكافي ١: ٤٣٢، ذيل الحديث: ٩٠، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٦ ـ المطمورة: حفيرة تحت الأرض يوسّع أسافلها. تاج العروس ١٢: ٤٣٣.

٧ ـ البيضاوي ٤: ١٨٥.

قَدَّمُوا﴾: ما أسلفوا من الأعمال الصّالحة والطّالحة ﴿وَآثارَهُمْ﴾ كعلم علّموه، وخطوة مشوا بها إلى المساجد، وكإشاعة باطل، وتأسيس ظلم. ﴿وَكُلَّ شَيءٍ أَحْصَيْناهُ فِي إِمامٍ مُبِينٍ﴾ القمّي: أي: في كتاب مبين[1].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «أنا والله الإمام المبين؛ أبيّن الحقّ من الباطل، ورثته من رسول الله صلّى الله عليه وآله»[2].

وعن النّبيّ صلّى الله عليه وآله: «ما من علم إلّا علّمنيه ربّي وأنا علّمته عليّاً، وقد أحصاه الله فيّ، وكلّ علم عَلِمتُ فقد أحصيتُه في إمام المتّقين، وما من علم إلّا علّمتُه عليّاً»[3].

وقال: «لمّا نزلت هذه الآية قام أبو بكر وعمر من مجلسهما وقالا: يا رسول الله هو التّوراة؟ قال: لا. قالا: فهو الإنجيل؟ قال: لا. قالا: فهو القرآن؟ قال لا. قال: فأقبل أمير المؤمنين عليه السلام فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله: هو هذا، إنّه الإمام الّذي أحصى الله فيه علم كلّ شيء»[4].

﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلاً أَصْحابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جاءَهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ قيل: أرسلهم الله، أو أرسلهم عيسى بأمر الله[5].

﴿إِذْ أَرْسَلْنا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُما فَعَزَّزْنا بِثالِثٍ فَقالُوا إِنّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ﴾.

«هي قرية أنطاكيّة[6]، أُرسل اليهم رسولان، فغلظوا عليهما وحبسوهما في بيت

١ و ٢ ـ القمّي ٢: ٢١٢.

٣ ـ الاحتجاج ١: ٧٤، مع تفاوت.

٤ ـ معاني الأخبار: ٩٥، الحديث: ١، عن أبي جعفر، عن أبيه، عن جدّه عليهم السلام.

٥ ـ مجمع البيان ٧ـ٨: ٤٢٠؛ زاد المسير (لابن الجوزي) ٦: ٢٦٦.

٦ ـ أنطاكيّة: وهي من أعيان البلاد وأُمّهاتها، موصوفة بالنزاهة والحسن وطيب الهواء وعذوبة الماء وكثرة الفواكه وسعة الخير. وقال ابن بُطلان: وخرجنا من حلب طالبين أنطاكيّة وبينهما يوم وليلة، فوجدنا المسافة التي بين حلب وانطاكيّة عامرة لا خراب فيها أصلا. ولم تزل أنطاكيّة قصبة العواصم من الثغور الشاميّة. وأوّل من بنى أنطاكية «انطيخس» وهو الملك الثالث بعد الإسكندر. وقيل: أوّل من بناها وسكنها «أنطاكيّة» بنت الروم بن اليقن بن سام بن نوح عليه السلام، أُخت أنطاليّة باللّام. معجم البلدان ١: ٢٦٦.

الأصنام ، فبعث اللّه الثّالث . فقال لهم: أحببت أن أعبد إله الملك ، فأمر الملك أن ادخلوه إلى بيت الآلهة . فمكث سنة مع صاحبيه ، فقال لهما: بهذا ينقل قوم من دين إلى دين ، بالخرق؟! أفلا رفقتما ، ثمّ قال لهما: لا تقرّان بمعرفتي ، وقال للملك: رأيت رجلين في بيت الآلهة ، فما حالهما؟ قال: هذان رجلان أتياني ببطلان ديني ، ويدعواني إلى إله سماويّ ، فقال: أيّها الملك فمناظرة جميلة ، فإن يكن الحقّ لهما تبعناهما ، وإن يكن الحقّ لنا دخلا معنا في ديننا . فلمّا دخلا إليه قال لهما صاحبهما: ما الّذي جئتما به؟ قالا: جئنا ندعوه إلى عبادة اللّه ؛ الّذي خلق السّموات والأرض ، ويخلق في الأرحام ما يشاء ، ويصوّر كيف يشاء ، وأنبت الأشجار والثّمار ، وأنزل القطر من السّماء . فقال لهما: هذا الّذي تدعوان إليه وإلى عبادته إن جئنا بأعمى يقدر أن يردّه صحيحاً؟ قالا: إن سألناه أن يفعل ، فعل إن شاء . قال: أيّها الملك عليّ بأعمى لم يبصر شيئاً قطّ ، فأُتي به ، فقال لهما: أدعوا إلهكما أن يردّ بصر هذا . فقاما وصلّيا ركعتين ، فإذا عيناه مفتوحتان وهو ينظر إلى السّماء ، ففعل صاحبهما مثل فعلهما بأعمى آخر . فأتيا بِمُقعَد فدعوا اللّه فأطلقت رجلاه ، ففعل صاحبهما مثله بمقعد آخر . فقال: أيّها الملك! قد أتيا بحجّتين وآتينا بمثلهما ، ولكن إن أحيا إلههما ابنك الّذي مات دخلت معهما في دينهما ، فقال له الملك: وأنا أيضاً معك ، فخرّا ساجدين للّه وأطالا السّجود ، ثمّ رفعا رؤوسهما وقالا للملك: ابعث إلى قبر ابنك تجده قد قام من قبره إن شاء اللّه . فخرج النّاس ينظرون ، فوجدوه قد خرج من قبره ينفض رأسه من التّراب . فقال له: يا بنيّ ما حالك؟ قال: كنت ميّتاً ، فرأيت رجلين ساجدين يسألان اللّه أن يحييني . قال: فتعرفهما إذا رأيتهما؟ قال: نعم . فكان يمرّ عليه رجل بعد رجل ، فمرّ أحدهما بعد جمع كثير فقال هذا أحدهما ، ثمّ مرّ الآخر فعرفهما وأشار بيده إليهما . فآمن الملك وأهل مملكته» .

كذا ورد[1] .

١ ـ القمّي ٢: ٢١٣ ، عن أبي جعفر عليه السلام .

وفي رواية: «إنّ الثّالث كان شمعون الصّفا رأس الحواريّين ، وإنّه كان يدعو معهما سرّاً ، فقام الميّت وقال: وأنا أحذّركم ما أنتم فيه ، فآمنوا باللّه ، فتعجّب الملك ، فلمّا علم شمعون أنّ قوله أثّر في الملك دعاه إلى اللّه ، فآمن وآمن من أهل مملكته قوم وكفر آخرون»[١] .

﴿قالُوا ما أَنْتُمْ إِلّا بَشَرٌ مِثْلُنا﴾ لا مزيّة لكم تقتضي اختصاصكم بماتدعون ﴿وَما أَنْزَلَ الرَّحْمنُ مِنْ شَيْءٍ﴾: من وحي ورسالة ﴿إِنْ أَنْتُمْ إِلّا تَكْذِبُونَ﴾ .

﴿قالُوا رَبُّنا يَعْلَمُ إِنّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ﴾ . ﴿وَما عَلَيْنا إِلَّا الْبَلاغُ الْمُبِينُ﴾ .

﴿قالُوا إِنّا تَطَيَّرْنا بِكُمْ﴾: تشأمنا . قيل: ذلك لاستغرابهم ما ادّعوه وتنفّرهم بهم[٢] . والقمّي: تطيّرنا بأسمائكم[٣] . ﴿لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا﴾ عن مقالتكم هذه ﴿لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُمْ مِنّا عَذابٌ أَلِيمٌ﴾ .

﴿قالُوا طائِرُكُمْ مَعَكُمْ﴾: سبب شؤمكم معكم ، وهو سوء عقيدتكم وأعمالكم: ﴿أَإِنْ ذُكِّرْتُمْ﴾: أئن وعظتم به تطيّرتم وتوعّدتم . فحذف الجواب . ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ﴾ .

﴿وَجاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعى قالَ يا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾ . القمّي: نزلت في حبيب النّجار ، إلى قوله: "مِنَ الْمُكْرَمِينَ"[٤] .

ورد: «الصّدّيقون ثلاثة: حبيب النّجار ، مؤمن آل يس الّذي يقول "إتّبعوا المُرسلين" ؛ وحزقيل ، مؤمن آل فرعون ؛ وعليّ بن أبي طالب ، وهو أفضلهم»[٥] .

﴿اتَّبِعُوا مَنْ لا يَسْأَلُكُمْ أَجْراً﴾ على النّصح وتبليغ الرّسالة ﴿وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ إلى خير الدّارين .

﴿وَما لِيَ لا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ . تلطّف في الإرشاد ، بإيراده في

١ـ مجمع البيان ٧ـ٨: ٤٢٠ ، في رواية عن وهب بن منبة .

٢ـ البيضاوي ٤: ١٨٦ .

٣ و ٤ـ القمّي ٢: ٢١٤ .

٥ـ الأمالي (للصّدوق): ٣٨٥ ، المجلس: ٧٢ ، الحديث: ٦ ، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله .

معرض المناصحة لنفسه وإمحاض النّصح ، حيث أراد لهم ما أراد لنفسه ، والمراد تقريعهم على تركهم عبادة خالقهم إلى عبادة غيره ، ولذلك قال: "وإليه ترجعون" مبالغة في التّهديد ، ثمّ عاد إلى المساق الأوّل .

﴿أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمنُ بِضُرٍّ لا تُغْنِ عَنِّي شَفاعَتُهُمْ شَيْئاً وَلا يُنْقِذُونِ﴾ .

﴿إِنِّي إِذاً لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾ .

﴿إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ الّذي خلقكم ؛ أو هو خطاب للرّسل ، بعد ما أراد القوم أن يقتلوه ﴿فَاسْمَعُونِ﴾: فاسمعوا إيماني .

﴿قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ﴾ . قيل له ذلك لمّا قتلوه ، بشرى بأنّه من أهل الجنّة ، أو إكراماً وإذناً في دخولها . ﴿قالَ يا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ﴾ .

﴿بِما غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ﴾ . روي: «إنّه نصح قومه حيّاً وميّتاً»[1] .

﴿وَما أَنْزَلْنا عَلى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّماءِ﴾ لإهلاكهم ، كما أرسلنا يوم بدر والخندق ، بل كفينا أمرهم بصيحة ﴿وَما كُنّا مُنْزِلِينَ﴾ . «ما» نافية أو موصولة معطوفة على جند ، أي: وممّا كنّا منزلين على من قبلهم من حجارة وريح ونحوهما .

﴿إِنْ كانَتْ إِلاّ صَيْحَةً واحِدَةً﴾ صاح بها جبرئيل ﴿فَإِذا هُمْ خامِدُونَ﴾: ميّتون ، شبّهوا بالنّار رمزاً ؛ إلى أنّ الحيّ كالنّار السّاطع والميّت كرمادها .

﴿يا حَسْرَةً عَلَى الْعِبادِ﴾ تعالى فهذا أوانك ، وفي قراءتهم عليهم السلام : «يا حسرة العباد»[2] .

﴿ما يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلاّ كانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُنَ﴾ .

﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لا يَرْجِعُونَ﴾ .

﴿وَإِنْ كُلٌّ لَمّا جَمِيعٌ لَدَيْنا مُحْضَرُونَ﴾ إن شدّد «لمّا» فهو بمعنى إلاّ ، وإن خفّف فـ

١ ـ جوامع الجامع: ٣٩٢ .

٢ ـ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ٤٢٠ ، عن عليّ بن الحسين عليه السلام .

«إن» مخفّفة، و«ما» مزيدة للتأكيد.

﴿وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْناها وَأَخْرَجْنا مِنْها حَبّاً فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ﴾ فإنّه معظم ما يؤكل ويعاش به.

﴿وَجَعَلْنا فِيها جَنّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنابٍ وَفَجَّرْنا فِيها مِنَ الْعُيُونِ﴾.

﴿لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ﴾: ثمر ما ذكر ﴿وَما عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ﴾ ممّا يتّخذ منه، كالعصير والدّبس ونحوهما، وقيل: «ما» نافية[1]. ﴿أَفَلا يَشْكُرُونَ﴾.

﴿سُبْحانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْواجَ كُلَّها﴾: الأنواع والأصناف ﴿مِمّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ﴾ من النّبات والشّجر ﴿وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ الأنثى والذّكر ﴿وَمِمّا لا يَعْلَمُونَ﴾: وأزواجاً ممّا لا يطّلعهم الله عليه.

﴿وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهارَ﴾ نزيله ونكشف عن مكانه؛ مستعار من سلخ الشّاة ﴿فَإِذا هُمْ مُظْلِمُونَ﴾: داخلون في الظّلام.

قال: «يعني قبض محمّد ﷺ، وظهرت الظّلمة فلم يبصروا فضل أهل بيته»[2].

﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَها﴾: لحدّ معيّن ينتهي إليه دورها، وفي قراءتهم عليهم السلام: «لا مستقرّ لها»[3]، أي: لا سكون لها فإنّها متحرّكة دائماً. ﴿ذلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾.

﴿وَالْقَمَرَ قَدَّرْناهُ﴾: قدّرنا مسيره ﴿مَنازِلَ﴾ وهي ثمانية وعشرون منزلاً، ينزل كلّ ليلة في واحد منها لا يتخطّاه ولا يتقاصر عنه ﴿حَتّى عادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾ كالشّمراخ[4] المعوّج العتيق.

١ ـ الكشّاف ٣: ٣٢٢؛ البيضاوي ٤: ١٨٨.

٢ ـ الكافي ٨: ٣٨٠، قطعة من حديث: ٥٧٤، عن أبي جعفر عليه السلام.

٣ ـ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ٤٢٣، عن السّجاد والباقر والصّادق عليهم السلام.

٤ ـ الشِّمراخ والشُّمروخ: العِثكال، وهو ما يكون فيه الرطب، وكلّ غصن من أغصانه شِمراخ. مجمع البحرين ٢: ٤٣٦؛ النّهاية ٢: ٥٠٠ (شمرخ).

﴿لا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَها﴾: يصحّ لها ويتسهّل ﴿أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلا اللَّيْلُ سابِقُ النَّهارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾: يسيرون فيه بانبساط.

قال: «يقول: الشّمس سلطان النّهار، والقمر سلطان اللّيل، لا ينبغي للشّمس أن تكون مع ضوء القمر باللّيل، ولا يسبق اللّيل النّهار: يقول: لا يذهب اللّيل حتّى يدركه النّهار، "وكلّ في فلك يسبحون": يقول: يجيء وراء الفلك الاستدارة»[1].

وفي رواية: «إنّ النّهار خلق قبل اللّيل وقوله تعالى: "ولا اللّيل سابق النّهار" أي: قد سبقه النّهار»[2].

﴿وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾: المملوء، أي: سفينة نوح، كما في قوله: "ذُرِّيَّةَ من حَمَلنا مَعَ نوحٍ"[3].

سئل في حديث: فما التّسعون؟ قال: «الفلك المشحون، اتّخذ نوح عليه السلام فيه تسعين بيتاً للبهائم»[4].

قيل: حمل الله ذرّيّتهم فيها، حمله آباءهم الأقدمين وفي أصلابهم ذرّيّاتهم، وتخصيص الذّرّيّة لأنّه أبلغ في الامتنان وأدخل في التّعجيب مع الإيجاز[5]. والقمّي: السّفن المملئة[6]. وعمّم الفلك؛ فالمراد بالذّرّيّة أولادهم الّذين يبعثونهم إلى تجاراتهم، أو صبيانهم ونسائهم.

﴿وَخَلَقْنا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ﴾: من مثل الفلك ﴿ما يَرْكَبُونَ﴾ من السّفن والزّوارق، على المعنى الأوّل؛ ومن الأنعام والدّوابّ، ولا سيّما الابل، فإنّها سفائن البرّ، على المعنى الأخير.

١ـ القمّي ٢: ٢١٤، عن أبي جعفر عليه السلام.
٢ـ مجمع البيان ٧ـ٨: ٤٢٥، عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام.
٣ـ الإسراء (١٧): ٣.
٤ـ الخصال ٢: ٥٩٨، قطعة من حديث: ١، عن أمير المؤمنين عليه السلام.
٥ـ البيضاوي ٤: ١٨٨.
٦ـ القمّي ٢: ٢١٥.

﴿وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلا صَرِيخَ لَهُمْ وَلا هُمْ يُنْقَذُونَ﴾. ﴿إِلّا رَحْمَةً مِنّا وَمَتاعاً إِلىٰ حِينٍ﴾.

﴿وَإِذا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا ما بَيْنَ أَيْدِيكُمْ﴾ قال: «من الذّنوب»[1]. ﴿وَما خَلْفَكُمْ﴾ قال: «من العقوبة»[2]. ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ جواب إذا محذوف دلّ عليه ما بعده، كأنّه قيل: أعرضوا.

﴿وَما تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آياتِ رَبِّهِمْ إِلّا كانُوا عَنْها مُعْرِضِينَ﴾.

﴿وَإِذا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمّا رَزَقَكُمُ اللّٰهُ قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنُطْعِمُ مَنْ لَوْ يَشاءُ اللّٰهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلّا فِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾. إمّا تهكّم بهم من إقرارهم باللّه وتعليقهم الأُمور بمشيئة اللّه، وإمّا إيهام بأنّ اللّه لمّا كان قادراً أن يطعمهم فلم يطعمهم فنحن أحقّ بذلك، وهذا من فرط جهالتهم، فإنّ اللّه يُطعِمُ بأسباب منها حثّ الأغنياء على إطعام الفقراء، وتوفيقهم له.

﴿وَيَقُولُونَ مَتىٰ هٰذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ﴾ يعنون وعد البعث.

﴿ما يَنْظُرُونَ﴾: ما ينتظرون ﴿إِلّا صَيْحَةً واحِدَةً﴾ هي النّفخة الأُولى ﴿تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾: يختصمون في متاجرهم ومعاملاتهم.

﴿فَلا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلا إِلىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾ القمّي: ذلك في آخر الزّمان، يصاح فيهم صيحة وهم في أسواقهم يتخاصمون، فيموتون كلّهم في مكانهم، لا يرجع أحد إلى منزله ولا يوصي بوصيّة[3].

و ورد: «الرّجلان قد نشرا ثوبهما يتبايعان فما يطويانه حتّى تقوم السّاعة. والرّجل يرفع أكلته إلى فيه فما تصل إلى فيه حتّى تقوم. والرّجل يليط حوضه ليسقي ماشيته فما

١ و ٢ ـ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ٤٢٧، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.
٣ ـ القمّي ٢: ٢١٥.

يسقيها حتّى تقوم»[١].

﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ أي: مرّة ثانية، كما يأتي في سورة الزّمر[٢]. ﴿فَإِذا هُمْ مِنَ الأَجْداثِ﴾: من القبور ﴿إِلىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ﴾: يسرعون.

﴿قالُوا يا وَيْلَنا مَنْ بَعَثَنا مِنْ مَرْقَدِنا﴾. وفي قراءتهم عليهم السلام: «مِنْ بَعْثِنا»[٣] على مِن الجارّة والمصدر. ﴿هٰذا ما وَعَدَ الرَّحْمٰنُ وَصَدَقَ المُرْسَلُونَ﴾.

قال: «فإنّ القوم كانوا في القبور، فلمّا قاموا حسبوا أنّهم كانوا نياماً. "قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا" قالت الملائكة: "هذا ما وعد الرّحمن" الآية»[٤].

﴿إِنْ كانَتْ إِلّا صَيْحَةً واحِدَةً﴾ هي النّفخة الأخيرة ﴿فَإِذا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنا مُحْضَرُونَ﴾ بمجرّد الصّيحة. وفي ذلك تهوين أمر البعث والحشر، واستغناؤهما عن الأسباب الّتي ينوط بها فيما يشاهدونه.

قال: «كان أبوذر رضي الله عنه يقول في خطبة: ما بين الموت والبعث إلّا كنومة نمتها ثمّ استيقظت منها»[٥].

﴿فَالْيَوْمَ لا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَلا تُجْزَوْنَ إِلّا ما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

﴿إِنَّ أَصْحابَ الجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فاكِهُونَ﴾: متلذّذون. قال: «شغلوا بافتضاض العذارى. قال: وحواجبهنّ كالأهلّة، وأشفار أعينهنّ كقوادم النّسور»[٦].

﴿هُمْ وَأَزْواجُهُمْ فِي ظِلالٍ عَلَى الأَرائِكِ مُتَّكِؤُونَ﴾. قال: «الأرائك: السُّرر عليها

١ـ مجمع البيان ٧ـ٨: ٤٢٧.

٢ـ الزّمر (٣٩): ٦٨.

٣ـ جوامع الجامع: ٣٩٤، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

٤ـ القمّي ٢: ٢١٦، عن أبي جعفر عليه السلام.

٥ـ الكافي ٢: ١٣٤، الحديث: ١٨، عن أبي عبد الله عليه السلام.

٦ـ مجمع البيان ٧ـ٨: ٤٢٩، عن أبي عبد الله عليه السلام.

الحجال»[1]. و ورد: «إذا جلس المؤمن على سريره اهتزّ سريره فرحاً»[2].

﴿لَهُمْ فِيها فاكِهَةٌ وَلَهُمْ ما يَدَّعُونَ﴾: يتمنّون، من قولهم: ادّع عليّ ما شئت، أي: تمنّه. كذا قيل[3].

﴿سَلامٌ قَوْلاً مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ﴾ يقال لهم قولاً كائناً من جهته، يعني: إنّ اللّه يسلّم عليهم. القمّي: السّلام منه هو الأمان[4].

﴿وَامْتازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ﴾ وانفردوا عن المؤمنين، وذلك حين يسار بالمؤمنين إلى الجنّة، كقوله: "ويومَ تقومُ السّاعةُ يومئذٍ يتفرّقون"[5].

﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يا بَنِي آدَمَ أَنْ لا تَعْبُدُوا الشَّيْطانَ﴾ جعلها عبادة الشّيطان، لأنّه الآمر بها المزيّن لها، وقد ثبت أنّ من أطاع المخلوق في معصية الخالق فقد عبَدَه. و ورد: «من أطاع رجلاً في معصية فقد عبَدَه»[6]. ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾.

﴿وَأَنِ اعْبُدُونِي هذا صِراطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾.

﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلاًّ كَثِيراً﴾: خلقاً كثيراً ﴿أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ﴾.

﴿هذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾. ﴿اصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِما كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾.

﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلى أَفْواهِهِمْ﴾: نمنعها عن الكلام ﴿وَتُكَلِّمُنا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِما كانُوا يَكْسِبُونَ﴾.

قال: «وليست تشهد الجوارح على مؤمن، إنّما تشهد على من حقّت عليه كلمة

١ ـ القمّي ٢: ٢١٦، عن أبي جعفر عليه السلام.

٢ ـ المصدر: ٢٤٧؛ الكافي ٨: ٩٧، قطعة من حديث: ٦٩، عن أبي جعفر عليه السلام، عن رسول اللّه صلى الله عليه وآله.

٣ ـ البيضاوي ٤: ١٩٠.

٤ ـ القمّي ٢: ٢١٦.

٥ ـ الرّوم (٣٠): ١٤.

٦ ـ الكافي ٢: ٣٩٨، الحديث: ٨، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

العذاب، فأمّا المؤمن فيعطى كتابه بيمينه»[١].

﴿وَلَوْ نَشاءُ لَطَمَسْنا عَلىٰ أَعْيُنِهِمْ﴾ لمسحنا أعينهم حتّى تصير ممسوحة ﴿فَاسْتَبَقُوا الصِّراطَ﴾: إلى الطّريق الّذي اعتادوا سلوكه ﴿فَأَنّىٰ يُبْصِرُونَ﴾ الطّريق وجهة السّلوك فضلاً عن غيره.

﴿وَلَوْ نَشاءُ لَمَسَخْناهُمْ﴾ بتغيير صورهم وإبطال قواهم ﴿عَلىٰ مَكانَتِهِمْ﴾: مكانهم، بحيث يخمدون فيه. القمّي: في الدّنيا[٢]. ﴿فَمَا اسْتَطاعُوا مُضِيّاً﴾: ذهاباً ﴿وَلا يَرْجِعُونَ﴾.

﴿وَمَنْ نُعَمِّرْهُ﴾: نطل عمره ﴿نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ﴾: نقلّبه فيه؛ فلا يزال يتزايد ضعفه وانتقاص بُنْيَتِهِ وقُواه، عكس ما كان عليه بدو أمره ﴿أَفَلا يَعْقِلُونَ﴾ أنّ من قَدَرَ على ذلك قدَرَ على الطّمس والمسخ، فإنّه مشتمل عليهما وزيادة، غير أنّه على تدرّج.

﴿وَما عَلَّمْناهُ الشِّعْرَ﴾ بتعليم القرآن، يعني ليس ما أنزلنا عليه من صناعة الشّعر في شيء، أي: ممّا يتوخّاه الشّعراء من التّخييلات المرغّبة والمنفّرة ونحوهما، ممّا لا حقيقة له ولا أصل؛ وإنّما هو تمويه محض، موزوناً كان أو غير موزون. ﴿وَما يَنْبَغِي لَهُ﴾ يعني هذه الصّناعة. القمّي: كانت قريش تقول: إنّ هذا الّذي يقوله محمّد شعر، فردّ اللّه عزّوجلّ عليهم[٣]. ﴿إِنْ هُوَ إِلّا ذِكْرٌ﴾: عظة ﴿وَقُرْآنٌ مُبِينٌ﴾: كتاب سماويّ يُتلى في المعابد.

﴿لِيُنْذِرَ مَنْ كانَ حَيّاً﴾ قال: «أي: عاقلاً»[٤]. والقمّي: أي: مؤمناً حيّ القلب[٥].

﴿وَيَحِقَّ الْقَوْلُ﴾: وتجب كلمة العذاب ﴿عَلَى الْكافِرِينَ﴾ المصرّين على الكفر.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنّا خَلَقْنا لَهُمْ مِمّا عَمِلَتْ أَيْدِينا﴾ قيل: يعني ممّا تولّينا إحداثه ولم يقدر على إحداثه غيرنا، وذكر الأيدي وإسناد العمل إليها استعارة تفيد مبالغة في الاختصاص،

١ ـ الكافي ٢: ٣٢، ذيل الحديث: ١، عن أبي جعفر عليه السلام.

٢ و ٣ ـ القمّي ٢: ٢١٧.

٤ ـ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ٤٣٢، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

٥ ـ القمّي ٢: ٢١٧.

والتّفرّد الإحداث[١]. والقمّي: أي: بقوّتنا خلقناها[٢]. ﴿أَنْعاماً﴾ خصّها بالذّكر لما فيها من بدائع الفطرة وكثرة المنافع. ﴿فَهُمْ لَها مالِكُونَ﴾: يتصرّفون فيها.

﴿وَذَلَّلْناها لَهُمْ فَمِنْها رَكُوبُهُمْ﴾: مركوبهم ﴿وَمِنْها يَأْكُلُونَ﴾.

﴿وَلَهُمْ فِيها مَنافِعُ﴾ ممّا يكسبون بها، ومن الجلود والأصواف والأوبار ﴿وَمَشارِبُ﴾ من ألبانها ﴿أَفَلا يَشْكُرُونَ﴾.

﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنْصَرُونَ﴾: رجاء أن ينصروهم.

﴿لا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ﴾ قال: «يقول: لا يستطيع الآلهة لهم نصراً»[٣] ﴿وَهُمْ لَهُمْ﴾: «للآلهة»[٤]. ﴿جُنْدٌ مُحْضَرُونَ﴾ قيل: أي: معدّون لحفظهم والذّبّ عنهم، أو محضرون أثرهم في النّار[٥].

﴿فَلا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ إِنّا نَعْلَمُ ما يُسِرُّونَ وَما يُعْلِنُونَ﴾.

﴿أَوَ لَمْ يَرَ الإِنْسانُ أَنّا خَلَقْناهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾ القمّي: أي: ناطق عالم بليغ[٦].

﴿وَضَرَبَ لَنا مَثَلاً﴾: أمراً عجيباً، وهو نفي القدرة على إحياء الموتى ﴿وَنَسِيَ خَلْقَهُ﴾: خلقنا إيّاه ﴿قالَ مَنْ يُحْيِ العِظامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ منكراً إيّاه، مستبعداً له. والرّميم: ما بَلِيَ من العظام.

قال: «جاء أُبيّ بن خلف فأخذ عظماً بالياً من حائط ففتّه[٧]، ثمّ قال[٨]: يا محمّد "إذا كنّا

١ـ البيضاوي ٤: ١٩١.

٢ـ القمّي ٢: ٢١٧.

٣ و ٤ـ المصدر، عن أبي جعفر عليه السلام.

٥ـ البيضاوي ٤: ١٩١.

٦ـ القمّي ٢: ٢١٨.

٧ـ فَتَّ الشيء يفتّه فتّاً: دقّه وكسره بأصابعه. لسان العرب ١٠: ١٦٩ (فتت).

٨ـ في «ألف» والمصدر: «فقال».

عِظاماً ورفاتاً أئنّا لمبعوثون خلقاً»[1]؟! فنزلت»[2].

﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ يعلم تفاصيل المخلوقات، وكيفيّة خلقها، وأجزاءها المتفتّة، المتبدّدة أُصولها وفروعها، ومواقعها وطريق تمييزها، وضمّ بعضها إلى بعض.

قال: «إنّ الرّوح مقيمة في مكانها، روح المحسن[3] في ضياء وفسحة، وروح المسيء في ضيق وظلمة، والبدن يصير تراباً كما منه خلق، وما يقذفه به السّباع والهوامّ من أجوافها ممّا أكلته ومزّقته، كلّ ذلك في التّراب محفوظ عند من لا يعزب عنه مثقال ذرّة في ظلمات الأرض، ويعلم عدد الأشياء ووزنها، وإنّ تراب الرّوحانيّين بمنزلة الذّهب في التّراب، فإذا كان حين البعث مطرت الأرض مطر النّشور، فتربو الأرض فتمخض مخض السّقاء[4]، فيصير تراب البشر كمصير الذّهب من التّراب إذا غسل بالماء، والزّبد من اللّبن إذا مخض، فيجتمع تراب كلّ قالب إلى قالبه، فينتقل بإذن الله القادر إلى حيث الرّوح، فتعود الصّور بإذن المصوّر كهيئتها، وتلج الرّوح فيها؛ فإذا قد استوى لا ينكر من نفسه شيئاً»[5].

﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَاراً فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ﴾ القمّي: وهو المَرْخ[6] والعَفار[7]؛ يكون في ناحية من بلاد العرب، فإذا أرادوا أن يستوقدوا أخذوا من ذلك الشّجر، ثمّ أخذوا عوداً فحرّكوه فيه فيستوقدون منه النّار[8]. قيل: يسحقون المرخ على

١ ـ الإسراء (١٧): ٤٩ و ٩٨.

٢ ـ العيّاشي ٢: ٢٩٦، الحديث: ٨٩، عن أبي عبد الله عليه السلام.

٣ ـ في «ب»: «روح المؤمن».

٤ ـ السّقاء: جلد السّخلة إذا جذع يكون للماء واللبن، والجمع: أسقية وأساقي. مجمع البحرين ١: ٢٢١ (سقا).

٥ ـ الاحتجاج ٢: ٩٨، عن أبي عبد الله عليه السلام، مع تفاوت يسير.

٦ ـ المرخ: شجر كثير الوري سريعه. لسان العرب ١٣: ٦٨ (مرخ).

٧ ـ العفار: شجر يتّخذ منه الزّناد. لسان العرب ٩: ٢٨٧ (عفر).

٨ ـ القمّي ٢: ٢١٨.

العفار ـ وهما خضراوان ـ يقطر منهما الماء ؛ فتنقدح النّار[1] .

﴿أَوَ لَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمٰواتِ وَالأَرْضَ﴾ مع كبر جرمهما وعظم شأنهما ﴿بِقادِرٍ عَلىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾ في الصّغر والحقارة ﴿بَلىٰ وَهُوَ الخَلّاقُ العَلِيمُ﴾: كثير المخلوقات والمعلومات . «وهذه كلّها جدال بالّتي هي أحسن ، أمر اللّه تعالى نبيّه أن يجادل بـه مـن جحد البعث بعد الموت» . كذا ورد[2] .

﴿إِنَّما أَمْرُهُ﴾: إنّما شأنه ﴿إِذا أَرادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ﴾: تكون ﴿فَيَكُونُ﴾ . وهـو تمثيل لتأثير قدرته في مراده بأمر المطاع للمطيع في حصول المأمور ، مـن غـير امـتناع وتوقّف وافتقار إلى مزاولة[3] عمل واستعمال آلة ، قطعاً لمادّة الشّبهة .

قال: «كن منه صنع ، وما يكون به المصنوع»[4] .

وقال: «إنّما كلامه سبحانه فعلٌ منه أنشأه . قال: يقول ولا يلفِظُ ، ويُريد ولا يُضمِر»[5] .

وقال: «يريد بلا همّة»[6] .

والقمّي: خزائنه في الكاف والنّون[7] .

﴿فَسُبْحانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ . تنزيه له عمّا ضربوا له ، وتـعجيب عمّا قالوا فيه ، و"ملكوت كلّ شيء": ما يقوم به ذلك الشّيء من عالم الأرواح والملائكة .

﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ . وعد ووعيد للمقرّين والمنكرين .

١ ـ البيضاوي ٤: ١٩٢ .
٢ ـ الاحتجاج ١: ١٤ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .
٣ ـ زاوَلَهُ مُزاوَلَة: طالبَه . القاموس المحيط ٣: ٤٠٢ (زول) .
٤ ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ١: ١٧٣ ، الباب: ١٢ ، قطعة من حديث: ١ .
٥ ـ نهج البلاغة: ٢٧٤ ، الخطبة: ١٨٦ .
٦ ـ المصدر: ٢٥٨ ، الخطبة: ١٧٩ ، وفيه: «مريدٌ بلا همّة» .
٧ ـ القمّي ٢: ٢١٨ .

سورة الصّافّات

[مكيّة، وهي مائة واثنتان وثمانون آية][1]

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم

﴿وَالصّافّاتِ صَفّاً﴾. ﴿فَالزّاجِراتِ زَجْراً﴾.

﴿فَالتّالِياتِ ذِكْراً﴾.

القمّي: الملائكة والأنبياء عليهم السلام، ومن صفّ للّه وعبده، والّذين يزجرون النّاس، والّذين يقرؤون الكتاب من النّاس[2].

﴿إِنَّ إِلٰهَكُمْ لَواحِدٌ﴾ جواب القسم.

﴿رَبُّ السَّمٰواتِ وَالأَرْضِ وَما بَيْنَهُما وَرَبُّ المَشارِقِ﴾: مشارق الكواكب، أو مشارق الشّمس، فإنّ لها كلّ يوم مشرقاً، وبحسبها المغارب، ولذلك اكتفى بذكرها، مع أنّ الشّروق أدلّ على القدرة وأبلغ في النّعمة.

﴿إِنّا زَيَّنّا السَّماءَ الدُّنْيا﴾: القربى ﴿بِزِينَةٍ الْكَواكِبِ﴾.

﴿وَحِفْظاً﴾ برمي الشّهب ﴿مِنْ كُلِّ شَيْطانٍ مارِدٍ﴾: خبيث.

﴿لا يَسَّمَّعُونَ إِلَى المَلَأِ الأَعْلىٰ﴾: الملائكة وأشرافهم ﴿وَيُقْذَفُونَ﴾: ويرمون ﴿مِنْ كُلِّ جانِبٍ﴾ من جوانب السّماء إذا قصدوا صعوده.

١ ـ ما بين المعقوفتين من «ب».

٢ ـ القمّي ٢: ١١٨.

﴿دُحُوراً﴾: للدّحور وهو الطّرد ﴿وَلَهُمْ عَذابٌ واصِبٌ﴾ قال: «أي: دائم موجع قد وصل إلى قلوبهم»[١].

﴿إِلّا مَنْ خَطِفَ الخَطْفَةَ﴾: اختلس كلام الملائكة مسارقة ﴿فَأَتْبَعَهُ شِهابٌ ثاقِبٌ﴾: مضيء كأنّه يثقب الجوّ بضوئه. والشّهاب ما يرى كأنّه كوكب انقضّ.

﴿فَاسْتَفْتِهِمْ﴾: فاستخبرهم ﴿أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَمْ مَنْ خَلَقْنا﴾ من الملائكة والسّماوات والأرض وما بينهما، والمشارق والكواكب والشّهب الثّواقب. ﴿إِنّا خَلَقْناهُمْ مِنْ طِينٍ لازِبٍ﴾: يلزق باليد.

﴿بَلْ عَجِبْتَ﴾ من قدرة الله وإنكارهم البعث ﴿وَيَسْخَرُونَ﴾ من تعجّبك.

﴿وَإِذا ذُكِّرُوا لا يَذْكُرُونَ﴾. ﴿وَإِذا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ﴾. ﴿وَقالُوا إِنْ هٰذا إِلّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾. ﴿أَإِذا مِتْنا وَكُنّا تُراباً وَعِظاماً أَإِنّا لَمَبْعُوثُونَ﴾. ﴿أَوَ آباؤُنا الأَوَّلُونَ﴾.

﴿قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ داخِرُونَ﴾: صاغرون.

﴿فَإِنَّما هِيَ زَجْرَةٌ واحِدَةٌ﴾ فإنّما البعثة صيحة واحدة؛ هي النّفخة الثّانية ﴿فَإِذا هُمْ يَنْظُرُونَ﴾: فإذا هم قيام من مراقدهم أحياء يبصرون، أو ينتظرون ما يفعل بهم.

﴿وَقالُوا يا وَيْلَنا هٰذا يَوْمُ الدِّينِ﴾: يوم الحساب والمجازاة.

﴿هٰذا يَوْمُ الفَصْلِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾: يوم القضاء والفرق بين المحسن والمسيء؛ وهو قول بعضهم لبعض، أو قول الملائكة لهم.

﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْواجَهُمْ﴾: وأشباههم ﴿وَما كانُوا يَعْبُدُونَ﴾.

﴿مِنْ دُونِ اللّٰهِ﴾ من الأصنام وغيرها، زيادة في تحسيرهم وتخجيلهم ﴿فَاهْدُوهُمْ إِلىٰ صِراطِ الجَحِيمِ﴾ قال: «يقول: ادعوهم إلى طريق الجحيم»[٢].

﴿وَقِفُوهُمْ﴾: احبسوهم في الموقف ﴿إِنَّهُمْ مَسْؤُولُونَ﴾ قيل: عن عقائدهم وأعمالهم[٣]. وقال: «عن ولاية أمير المؤمنين عليه السلام»[٤].

١ـ القمّي ٢: ٢٢١، عن أبي جعفر عليه السلام.

٢ـ القمّي ٢: ٢٢٢، عن أبي جعفر عليه السلام.

٣ـ مجمع البيان ٧ـ٨: ٤٤١؛ البيضاوي ٥: ٤.

وورد في تفسيرها: «لا يجاوز قدما عبدٍ حتى يسأل عن أربع: عن شبابه فيما أبلاه، وعن عمره فيما أفناه، وعن ماله من أين جَمَعَه وفيما أنفقه، وعن حبّنا أهل البيت»[٥].

﴿ما لَكُمْ لا تَناصَرُونَ﴾: لا ينصر بعضكم بعضاً بالتّخليص، وهو توبيخ وتقريع.

﴿بَلْ هُمُ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ﴾: منقادون لعجزهم، أو متسالمون يسلم بعضهم بعضاً ويخذله. القمّي: يعني للعذاب[٦].

﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلى بَعْضٍ يَتَساءَلُونَ﴾ للتّوبيخ.

﴿قالُوا إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنا عَنِ الْيَمِينِ﴾ يعني عن أقوى الوجوه وأيمنه.

﴿قالُوا بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾. ﴿وَما كانَ لَنا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطانٍ بَلْ كُنْتُمْ قَوْماً طاغِينَ﴾.

﴿فَحَقَّ عَلَيْنا قَوْلُ رَبِّنا إِنّا لَذائِقُونَ﴾ القمّي: العذاب[٧].

﴿فَأَغْوَيْناكُمْ إِنّا كُنّا غاوِينَ﴾.

﴿فَإِنَّهُمْ﴾: فإنّ الأتباع والمتبوعين ﴿يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ كما كانوا في الغواية مشتركين.

﴿إِنّا كَذلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ﴾: بالمشركين.

﴿إِنَّهُمْ كانُوا إِذا قِيلَ لَهُمْ لا إِلهَ إِلَّا اللّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾. ﴿وَيَقُولُونَ أَإِنّا لَتارِكُوا آلِهَتِنا لِشاعِرٍ مَجْنُونٍ﴾. ﴿بَلْ جاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ﴾. ﴿إِنَّكُمْ لَذائِقُوا الْعَذابِ الْأَلِيمِ﴾. ﴿وَما تُجْزَوْنَ إِلّا ما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾. ﴿إِلّا عِبادَ اللّهِ

٤ ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ١: ٣١٣، الباب: ٢٨، الحديث: ٨٦؛ وج ٢: ٥٩، الباب: ٣١، الحديث: ٢٢٢؛ الأمالي (للشيخ الطّوسي) ١: ٢٩٦؛ ومن العامّة: شواهد التّنزيل ٢: ١٠٦ـ١٠٧، الأحاديث: ٧٨٥ إلى ٧٩٠، عن رسول الله صلّى الله عليه وآله.

٥ ـ علل الشّرائع ١: ٢١٨، الباب: ١٥٩، الحديث: ٢، عن حسن بن عليّ، عن رسول الله صلوات الله عليهم.

٦ و ٥ ـ القمّي ٢: ٢٢٢.

العَـــذابِ الأَلِـــيمِ﴾. ﴿وَمـا تُـجْزَوْنَ إِلّا مـا كُـنتُمْ تَـعْمَلُونَ﴾. ﴿إِلّا عِـبادَ اللّٰهِ المُـخْلَصِـينَ﴾.

﴿أُولٰئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ﴾ قال: «يعلمه الخدّام، فيأتون بـه أولياء اللّٰـه قـبل أن يسألوهم إيّاه»[١].

﴿فَواكِهُ وَهُمْ مُـكْرَمُونَ﴾. قال: «فإنّهم لا يشتهون شيئاً في الجنّة إلّا أُكرموا به»[٢].

﴿فِـي جَنّاتِ النَّـعِيمِ﴾. ﴿عَلىٰ سُـرُرٍ مُـتَقابِلِـينَ﴾.

﴿يُـطافُ عَلَيْـهِمْ بِكَأْسٍ مِـنْ مَعِـينٍ﴾: من شراب جار ظاهر للعيون، أو خارج من العيون؛ وصف به خمر الجنّة لأنّها تجري كالماء.

﴿بَيْـضاءَ لَـذَّةٍ لِلشّـارِبِينَ﴾. وَصَفَها بلذّة للمبالغة، أو أنّها تأنيث لَذّ بمعنى لذيذ.

﴿لا فِـيها غَـوْلٌ﴾: غائلة وفساد، كما في خمر الدّنـيا، كـالخمار ﴿وَلا هُـمْ عَـنْها يُـنْزَفُونَ﴾ قيل: أي يسكرون؛ مِن نُزِفَ: إذا ذهب عقله[٣]. والقمّي: أي لا يطردون منها[٤].

﴿وَعِنْدَهُمْ قاصِراتُ الطَّرْفِ﴾: قصرن أبصارهنّ على أزواجـهنّ ﴿عِـينٌ﴾ قـيل: أي واسعات العيون الحُسّانها، جمع عيناء[٥]. وقيل: هـي الشّـديدة بـياض العـين، الشّـديدة سوادها[٦].

﴿كَـأَنَّـهُنَّ بَـيْضٌ مَـكْنُونٌ﴾: شبّههنّ ببيض النّعام الّذي تكنّه بريشها، مـصوناً مـن الغبار ونحوه، في الصّفاء والبياض المخلوط بأدنى صفرة، فإنّه أحسن ألوان الأبدان. كذا قيل[٧].

١ و ٢ ـ الكافي ٨: ١٠٠، ذيل الحديث: ٦٩، عن أبي جعفر عليه السلام.
٣ ـ البيضاوي ٥: ٦.
٤ ـ القمّي ٢: ٢٢٢.
٥ ـ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ٤٤٣؛ جامع البيان (للطبري) ٢٣: ٣٦.
٦ ـ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ٤٤٣.
٧ ـ البيضاوي ٥: ٦.

﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ عن المعارف والفضائل، وما جرى لهم وعليهم في الدّنيا، فإنّه ألذّ اللّذّات.

﴿قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ﴾: جليس في الدّنيا.

﴿يَقُولُ أَئِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ﴾: يوبّخني على التّصديق بالبعث.

﴿أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً وَعِظَاماً أَإِنَّا لَمَدِينُونَ﴾: لمجزيّون؛ من الدّين، بمعنى الجزاء.

﴿قَالَ﴾ أي: ذلك القائل لجلسائه ﴿هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ﴾ إلى أهل النّار لأريكم ذلك القرين، فتعلموا أين منزلتكم من منزلته.

﴿فَاطَّلَعَ﴾ عليهم ﴿فَرَآهُ﴾ أي: قرينه ﴿فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ﴾ قال: «يقول: في وسط الجحيم»[1].

﴿قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدْتَ لَتُرْدِينِ﴾: إنّه كدت لتهلكني بالإغواء.

﴿وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي﴾ بالهداية والعصمة ﴿لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾: معك فيها.

﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ﴾. عطف على محذوف، أي: نحن مخلّدون منعّمون، فما نحن بمن شأنه الموت.

﴿إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَىٰ﴾ الّتي كانت في الدّنيا ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾.

﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

﴿لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾. قال: «إذا دخل أهل الجنّة الجنّة وأهل النّار النّار، جيء الموت، فيذبح كالكبش بين الجنّة والنّار، ثمّ يقال: خلود فلا موت أبداً، فيقول أهل الجنّة: "أفما نحن بميّتين"، الآيات»[2].

﴿أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُزُلاً أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ﴾: شجرة ثمرها نزل أهل النّار. فيه دلالة على أنّ ما ذكر من النّعيم لأهل الجنّة بمنزلة ما يقام للنّازل، ولهم ما وراء ذلك ما يقصر عنه

١ و ٢ ـ القمّي ٢: ٢٢٣، عن أبي جعفر عليه السلام.

الأفهام، وكذلك الزّقوم لأهل النّار.

﴿إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ﴾: محنة وعذاباً لهم في الآخرة أو ابتلاء في الدّنيا، فإنّهم لمّا سمعوا أنّها في النّار قالوا: كيف ذلك، والنّار تحرق الشّجر؟!

﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ﴾.

﴿طَلْعُهَا﴾: حملها ﴿كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾ في تناهي القبح والهول، نظيره في التّشبيه بالمتخيّل تشبيه الفائق في الحسن بالمَلَك.

﴿فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ﴾ لغلبة الجوع.

﴿ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا﴾ أي: بعد ما شبعوا منها وغلبهم العطش ﴿لَشَوْبًا مِنْ حَمِيمٍ﴾: لشراباً من غسّاق، أو صديد مشوباً بماء حميم يقطع أمعاءهم.

﴿ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ﴾ فإنّ الزّقوم والحميم نُزُلٌ يقدم إليهم قبل دخولها.

﴿إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ﴾.

﴿فَهُمْ عَلَىٰ آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ﴾. تعليل لاستحقاقهم تلك الشّدائد، بتقليد الآباء في الضّلال. والإهراع: الإسراع الشّديد. كأنّهم يزعجون على الإسراع على أثرهم؛ وفيه إشعار بأنّهم بادروا إلى ذلك من غير توقّف على بحث ونظر.

﴿وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ﴾: قبل قومك ﴿أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ﴾.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنْذِرِينَ﴾.

﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ﴾.

﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ الّذين تنبّهوا بإنذارهم، فأخلصوا دينهم للّه، أو أخلصهم اللّه لدينه.

﴿وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ﴾: دعانا حين أيس من قومه ﴿فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ﴾ أي: فأجبناه أحسن الإجابة، فواللّه لنعم المجيبون نحن.

﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾: من أذى قومه والغرق.

﴿وَجَعَلْنا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الباقِينَ﴾ إذ هلك من هلك .

﴿وَتَرَكْنا عَلَيْهِ فِي الآخِرِينَ﴾ . قال: «ظهرت الجبريّة من ولد حام ويافث ، فاستخفى ولد سام بما عندهم من العلم ، وجرت على سام بعد نوح الدّولة لحام ويافث ، وهو قول اللّه عزّوجلّ "وتركنا عليه في الآخرين" يقول: تركت على نوح دولة الجبّارين ، ويعزّي اللّه محمّداً صلّى الله عليه وآله بذلك»[1] .

وقيل: بل معناه: وأبقينا عليه ذكراً جميلاً ، فحذف[2] . وقيل: وتركنا عليه هذه الكلمة ، أي: التّسليم الّذي بعده[3] . وكذا الكلام فيما يأتي[4] من نظائره .

﴿سَلامٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِي العالَمِينَ﴾ أي: سلام من اللّه عليه ، تحيّة ثابتة في الملائكة والثّقلين ؛ مجازاة له على إحسانه .

﴿إنّا كَذٰلِكَ نَجْزِي المُحْسِنِينَ﴾ .

﴿إنَّهُ مِنْ عِبادِنا المُؤْمِنِينَ﴾ .

﴿ثُمَّ أَغْرَقْنا الآخَرِينَ﴾ .

﴿وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ﴾: ممّن شايعه في الإيمان وأصول الشّريعة ﴿لَإِبْراهِيمَ﴾ .

﴿إِذْ جاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ . من حبّ الدّنيا .

﴿إِذْ قالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ ماذا تَعْبُدُونَ﴾ .

﴿أَإِفْكاً آلِهَةً دُونَ اللّهِ تُرِيدُونَ﴾: أتريدون آلهة دون اللّه إفكاً؟! فقدّم للعناية .

﴿فَما ظَنُّكُمْ بِرَبِّ العالَمِينَ﴾: بمن هو حقيق بالعبادة ، حتّى أشركتم به غيره وأمنتم من عذابه .

١ـ كمال الدّين ١: ١٣٥ ، الباب: ٢ ، الحديث: ٣ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .

٢ـ التّبيان ٨: ٥٠٦ ؛ مجمع البيان ٧ـ٨: ٤٤٧ ؛ جامع البيان (للطبري) ٢٣: ٤٣ .

٣ـ التّبيان ٨: ٥٠٦ ؛ مجمع البيان ٧ـ٨: ٤٤٧ .

٤ـ الآيات: ١٠٨ و ١١٩ و ١٢٩ من نفس السّورة .

﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ﴾ فرأى مواقعها واتّصالاتها .

﴿فَقالَ إِنّي سَقِيمٌ﴾ أراهم أنّه استدلّ بها على أنّه مشارف للسّقم ، لئلّا يخرجوه إلى مُعيّدهم[1] ؛ لأنّهم كانوا منجّمين ، وذلك حين سألوه أن يعيّد معهم . قال: «والله ما كان سقيماً ، وما كذب ، وإنّما عنى سقيماً في دينه مرتاداً»[2] .

﴿فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ﴾ إلى عيدٍ لهم .

﴿فَراغَ إِلى آلِهَتِهِمْ﴾: فذهب إليها في خفية . ﴿فَقالَ﴾ أي: للأصنام استهزاءً ﴿أَلا تَأْكُلُونَ﴾ يعني الطّعام الّذي كان عندهم .

﴿ما لَكُمْ لا تَنْطِقُونَ﴾ بجوابي .

﴿فَراغَ عَلَيْهِمْ﴾: فمال عليهم مستخفياً . والتّعدية بـ«على» للاستعلاء وكراهة الميل .

﴿ضَرْباً بِالْيَمِينِ﴾: يضربهم ضرباً بها .

﴿فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ﴾: إلى إبراهيم بعد ما رجعوا ﴿يَزِفُّونَ﴾: يسرعون لمّا رأوا أصنامهم مكسّرة ، وظنّوا أنّه كاسرها .

﴿قالَ أَتَعْبُدُونَ ما تَنْحِتُونَ﴾ من الأصنام .

﴿وَاللهُ خَلَقَكُمْ وَما تَعْمَلُونَ﴾ فإنّ جوهرها بخَلْقه ، ونَحْتها بإقداره .

﴿قالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْياناً فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ﴾: في النّار الشّديدة ، فإنّه لمّا قهرهم بالحجّة قصدوا تعذيبه بذلك ؛ لئلّا يظهر للعامّة عجزهم .

﴿فَأَرادُوا بِهِ كَيْداً فَجَعَلْناهُمُ الأَسْفَلِينَ﴾: الأذلّين ، بإبطال كيدهم وجعله برهاناً نيّراً على علوّ شأنه ، حيث جعل النّار عليه برداً وسلاماً ، وقد مضت قصّته في سورة

---

١ ـ في «ب»: «معبدهم» .

٢ ـ معاني الأخبار: ٢١٠ ، الحديث: ١ ، عن أبي عبد الله عليه السلام ؛ وفي الكافي ٨: ١٠٠ ، الحديث: ٧٠ ؛ و٣٦٨ ، الحديث: ٥٥٩ ، ما يقرب منه .

الأنبياء[١].

﴿وَقالَ إِنّي ذاهِبٌ إِلىٰ رَبّي سَيَهْدِينِ﴾ قال: «يعني بيت المقدس»[٢].

قال: «إنّ ذهابه إلى ربّه توجّهُهُ إليه عبادةً واجتهاداً وقربةً إلى اللّه عزّوجلّ»[٣].

﴿رَبِّ هَبْ لي مِنَ الصّالِحينَ﴾: بعض الصّالحين يعينني على الدّعوة والطّاعة، ويؤنسني في الغُربة، يعني الولد، فإنّ لفظة الهبة غالبة فيه.

﴿فَبَشَّرْناهُ بِغُلامٍ حَليمٍ﴾. قيل: ما نَعَتَ اللّهُ نبيّاً بالحلم لعزّة وجوده غير إبراهيم وابنه عليهما السلام[٤].

﴿فَلَمّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ﴾ أي: فلمّا وجد وبلغ أن يسعى معه في أعماله ﴿قالَ يا بُنَيَّ إِنّي أَرىٰ فِي الْمَنامِ أَنّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ ماذا تَرىٰ﴾ إنّما شاوره فيه وهو حَتْم، ليعلم ما عنده فيما نزل من بلاء اللّه، فيثبت قدمه إن جزع، ويأمن عليه إن سلّم، وليوطّن نفسه عليه فيهون، ويكتسب المثوبة بالانقياد له قبل نزوله.

﴿قالَ يا أَبَتِ افْعَلْ ما تُؤْمَرُ﴾: ما تؤمر به؛ وإنّما ذكر بلفظ المضارع لتكرّر الرّؤيا. و ورد: «إنّه قال: "يا أبت افعل ما تؤمر"، ولم يقل يا أبت افعل ما رأيت»[٥].

﴿سَتَجِدُني إِنْ شاءَ اللّهُ مِنَ الصّابِرينَ﴾.

﴿فَلَمّا أَسْلَما﴾: استسلما لأمر اللّه، أو أسلم الذّبيح نفسه وإبراهيم ابنه، وفي قراءتهم عليهم السلام: «سلّما»[٦] من التّسليم ﴿وَتَلَّهُ لِلْجَبينِ﴾: صَرَعَه[٧] على شقّه، فوقع جبينه على

١ـ الآية: ٥٧ إلى ٧١.

٢ـ الكافي ٨: ٣٧١، الحديث: ٥٦٠، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٣ـ التّوحيد: ٢٦٦، الحديث: ٥، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

٤ـ الكشّاف ٣: ٣٤٧؛ البيضاوي ٥: ٨.

٥ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ١: ٢١٠، الباب: ١٨، الحديث: ١.

٦ـ مجمع البيان ٧ـ٨: ٤٥١، عن أمير المؤمنين وجعفر بن محمّد عليهما السلام.

٧ـ الصَّرْع: الطّرح على الأرض. القاموس المحيط ٣: ٥١ (صرع).

الأرض، وهو أحد جانبي الجبهة.

﴿وَنادَيْناهُ أَنْ يا إِبْراهِيمُ﴾.

﴿قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيا﴾ بالعزم والإتيان بما كان تحت قدرتك من ذلك. وجواب لمّا محذوف تقديره: كان ما كان ممّا ينطق به الحال ولا يحيط به المقال، من فرحهما وشكرهما لله على ما أنعم عليهما من رفع البلاء بعد حلوله، والتوفيق لما لم يوفّق غيرهما لمثله، وإظهار فضلهما به على العالمين، مع إحراز الثّواب العظيم، إلى غير ذلك. ﴿إِنّا كَذٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾.

﴿إِنَّ هٰذا لَهُوَ الْبَلاءُ الْمُبِينُ﴾: الابتلاء البيّن الّذي يتميّز فيه المُخلِص من غيره، أو المحنة البيّنة الصّعوبة، فإنّه لا أصعب منها.

﴿وَفَدَيْناهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾: عظيم القدْر أو الجثّة سمين. قال: «بكبش أملح، يأكل في سواد ويشرب في سواد وينظر في سواد ويمشي في سواد ويبول ويبعر في سواد، وكان يرتع قبل ذلك في رياض الجنّة أربعين عاماً، وما خرج من رحم أُنثى، وإنّما قال الله له كُنْ فكان»[١].

وفي رواية: «نزل من السّماء على الجبل الّذي عن يمين مسجد منى»[٢].

وسئل عن الذّبيح من كان؟ فقال: «إسماعيل، لأنّ الله ذكر قصّته في كتابه، ثمّ قال: "وبشّرناه بإسحاق نبيّاً من الصّالحين"»[٣].

أقول: ويؤيّده أيضاً: أنّ البشارة بإسحاق في موضع آخر[٤] مقرونة بأنّه من ورائه يعقوب، فلا يناسب الأمر بذبحه مراهقاً.

١ ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ١: ٢١٠، الباب: ١٨، الحديث: ١، وفيه: «كن فيكون».

٢ ـ القمّي ٢: ٢٢٦، عن أبي عبد الله عليه السلام.

٣ ـ من لا يحضره الفقيه ٢: ١٤٨، الحديث: ٦٥٥، عن أبي عبد الله عليه السلام.

٤ ـ هود (١١): ٧١.

وفي الحديث النّبويّ: «أنا ابن الذّبيحَيْن يعني إسماعيل وعبد الله»[1]. كما ورد في معناه[2].

وأمّا الوجه فيما ورد: «إنّ الذّبيح إسحاق فهو: أنّه تمنّى أن يكون هو الّذي أُمر أبوه بذبحه وكان يصبر لأمر الله ويسلّم له كصبر أخيه وتسليمه، فينال بذلك درجته في الثّواب، فعلم الله ذلك من قلبه، فسمّاه بين ملائكته ذبيحاً؛ لتمنّيه ذلك». كذا ورد[3].

﴿وَتَرَكْنا عَلَيْهِ فِي الآخِرِينَ﴾.

﴿سَلامٌ عَلىٰ إِبْراهِيمَ﴾ سبق بيانه[4].

﴿كَذٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾. ﴿إِنَّهُ مِنْ عِبادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾. ﴿وَبَشَّرْناهُ بِإِسْحٰقَ نَبِيّاً مِنَ الصّالِحِينَ﴾.

﴿وَبارَكْنا عَلَيْهِ وَعَلىٰ إِسْحٰقَ﴾: أفضنا عليهم بركات الدّين والدّنيا ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِما مُحْسِنٌ وَظالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِينٌ﴾.

﴿وَلَقَدْ مَنَنّا عَلىٰ مُوسىٰ وَهٰرُونَ﴾. ﴿وَنَجَّيْناهُما وَقَوْمَهُما مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾. ﴿وَنَصَرْناهُمْ فَكانُوا هُمُ الْغالِبِينَ﴾. ﴿وَآتَيْناهُمَا الْكِتابَ الْمُسْتَبِينَ﴾. ﴿وَهَدَيْناهُمَا الصِّراطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾. ﴿وَتَرَكْنا عَلَيْهِما فِي الآخِرِينَ﴾. ﴿سَلامٌ عَلىٰ مُوسىٰ وَهٰرُونَ﴾. ﴿إِنّا كَذٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾. ﴿إِنَّهُما مِنْ عِبادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾. ﴿وَإِنَّ إِلْياسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾.

﴿إِذْ قالَ لِقَوْمِهِ أَلا تَتَّقُونَ﴾.

﴿أَتَدْعُونَ بَعْلاً﴾: أتعبدونه وتطلبون منه الخير، وهو اسم صنم لهم ﴿وَتَذَرُونَ

١ ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ١: ٢١٠، الباب: ١٨، الحديث: ١.

٢ ـ جامع البيان (للطبري) ٢٣: ٥٤؛ الكشاف ٣: ٣٥٠؛ تفسير القرآن العظيم (لابن كثير) ٤: ٢١.

٣ ـ من لا يحضره الفقيه ٢: ١٤٨، الحديث: ٦٥٥، عن الصادق عليه السلام.

٤ ـ ذيل الآية: ٧٩ من نفس السّورة.

أَحْسَنَ الخالِقِينَ ﴾: وتتركون عبادته.

﴿ اللّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبائِكُمُ الأَوَّلِينَ ﴾.

﴿ فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴾ أي: في العذاب.

﴿ إِلّا عِبادَ اللّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴾. ﴿ وَتَرَكْنا عَلَيْهِ فِي الآخِرِينَ ﴾.

﴿ سَلامٌ عَلَىٰ إِلْ ياسِينَ ﴾ قيل: هو لغة في إلياس، كسينا وسينين[1]. وفي قراءتهمعليهم‌السلام: «آل يس»[2]. وكذا في قراءة جماعة من العامّة[3]، لأنّهم وجدوه مفصولاً في مصحف إمامهم.

قال: «يٰس محمّد، ونحن آل يٰس»[4].

وفي رواية: «إنّ اللّه سمّى النّبيّ بهذا الاسم حيث قال: "يٰس وَالْقُرآنِ الحَكيمِ إِنَّكَ لَمِنَ المُرسَلِينَ" لعلمه أنّهم يسقطون: "سلام على آل محمّد" كما أسقطوا غيره»[5].

ويؤيّد القراءة الأُولى ما بعد هذه الآية ونظم سائر القصص، وقيل: "يٰس" اسم أبي إلياس[6].

﴿ إِنّا كَذٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾.

﴿ إِنَّهُ مِنْ عِبادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴾.

﴿ وَإِنَّ لُوطاً لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾.

﴿ إِذْ نَجَّيْناهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴾.

١ـ البيضاوي ٥: ١١.

٢ـ عيون أخبار الرّضاعليه‌السلام ١: ٢٣٧، الباب: ٢٣، الحديث: ١.

٣ـ البيضاوي ٥: ١١؛ معالم التّنزيل (للبغوي) ٤: ٤١، عن نافع وابن عامر؛ جامع البيان (للطّبري) ٢٣: ٦١، عن قرّاء المدينة.

٤ـ معاني الأخبار: ١٢٢، الحديث: ٢، عن أمير المؤمنينعليه‌السلام.

٥ـ الاحتجاج ١: ٣٧٧، عن أمير المؤمنينعليه‌السلام.

٦ـ الكشّاف ٣: ٣٥٢؛ البيضاوي ٥: ١١.

﴿إِلَّا عَجُوزاً فِي الغابِرِينَ﴾ .

﴿ثُمَّ دَمَّرْنا الآخَرِينَ﴾ قد مضى تفسيرها[1] .

﴿وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ﴾ .

﴿وَبِاللَّيْلِ أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾: أفليس فيكم عقل تعتبرون به؟

سئل عن هذه الآية ، فقال: «تمرّون عليهم في القرآن ، إذا قرأتم القرآن يقرأ ما قصّ اللّه عليكم من خبرهم»[2] .

﴿وإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ المُرْسَلِينَ﴾ .

﴿إِذْ أَبَقَ﴾: هرب ، وأصل الإباق: الهَرَبُ من السّيد ، لكن لمّا كان هَرَبُهُ من قومه بغير إذن ربّه حَسُنَ إطلاقه عليه . ﴿إِلَى الفُلْكِ المَشْحُونِ﴾: المملوء .

﴿فَساهَمَ﴾: فقارع أهله ﴿فَكانَ مِنَ المُدْحَضِينَ﴾: فصار من المغلوبين بالقرعة .

﴿فَالْتَقَمَهُ الحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾: داخل في الملامة .

ورد: «إنّه لمّا ركب مع القوم فوقفت السّفينة في اللّجّة ، واستهموا فوقع السّهم على يونس ثلاث مرّات ، قال: فمضى يونس إلى صدر السّفينة ، فإذا الحوت فاتح فاه ، فرمى بنفسه»[3] .

﴿فَلَوْلا أَنَّهُ كانَ مِنَ المُسَبِّحِينَ﴾ . ﴿لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ .

﴿فَنَبَذْناهُ بِالْعَراءِ﴾: بالمكان الخالي عمّا يغطّيه من شجر أو نبت ﴿وَهُوَ سَقِيمٌ﴾ قال: «وقد ذهب جلده ولحمه»[4] .

﴿وَأَنْبَتْنا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ﴾ . قال: «وهي الدّبا ، فأظلّته من الشّمس ،

١ـ في الأعراف (٧): ٨٤ ؛ وهود (١١): ٨٢ ؛ والحجر (١٥): ٧٣ .

٢ـ الكافي ٨: ٢٤٨ ، الحديث: ٣٤٩ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .

٣ـ من لا يحضره الفقيه ٣: ٥١ ، الحديث: ١٧٣ ، عن أبي جعفر عليه السلام .

٤ـ القمّي ١: ٣١٩ ، عن أمير المؤمنين عليه السلام .

فسكن، ثمّ أمر اللّه الشّجرة فتنحّت عنه ووقعت الشّمس عليه؛ فجزع. فأوحى اللّه إليه: يا يونس لِمَ لَمْ ترحم مائة ألف أو يزيدون وأنت تجزع من ألم ساعة؟ قال: يا ربّ عفوك عفوك. فردّ اللّه عليه بدنه، ورجع إلى قومه فآمنوا به»[١].

﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾. وفي قراءتهم عليهم السلام: «ويزيدون»[٢] بالواو. قال: «يزيدون ثلاثين ألفاً»[٣].

﴿فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾: إلى أجلهم المقضيّ.

﴿فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ﴾ القمّي: قالت قريش: إنّ الملائكة هم بنات اللّه! فردّ اللّه عليهم[٤].

﴿أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ﴾. ﴿أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ﴾.

﴿وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ فيما يتديّنون به.

﴿أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ﴾. ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾. ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾.

﴿أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُبِينٌ﴾: حجّة واضحة.

﴿فَأْتُوا بِكِتَابِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾.

﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا﴾. القمّي: يعني أنّهم قالوا: الجنّ بنات اللّه[٥]. وقيل: يعني الملائكة سمّوا بها لاستتارهم[٦]. وقيل: قالوا: إنّ اللّه صاهر الجنّ فخرجت

١ ـ القمّي ١: ٣١٩، عن أمير المؤمنين عليه السلام.
٢ ـ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ٤٥٧، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.
٣ ـ الكافي ١: ١٧٥، الحديث: ١، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.
٤ ـ القمّي ٢: ٢٢٧.
٥ ـ القمّي ٢: ٢٢٧.
٦ ـ التّبيان ٨: ٥٣٣؛ البيضاوي ٥: ١٢؛ معالم التّنزيل (للبغوي) ٤: ٤٤، عن مجاهد وقتادة.

الملائكة[1]، تعالى اللّه عمّا يقول الظّالمون علوّاً كبيراً. ﴿وَلَقَدْ عَلِمَتِ الجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾: إنّ المشركين في النّار.

﴿سُبْحانَ اللّهِ عَمّا يَصِفُونَ﴾. ﴿إلّا عِبادَ اللّهِ المُخْلَصِينَ﴾.

﴿فَإِنَّكُمْ وَما تَعْبُدُونَ﴾. عودٌ إلى خطابهم.

﴿ما أَنْتُمْ عَلَيْهِ﴾: على اللّه ﴿بِفاتِنِينَ﴾: مفسدين النّاس بالإغواء.

﴿إلّا مَنْ هُوَ صالِ الجَحِيمِ﴾: إلّا من سبق في علمه أنّه من أهل النّار، يصلاها لا محالة.

﴿وَما مِنّا إلّا لَهُ مَقامٌ مَعْلُومٌ﴾. قيل: هي حكاية اعتراف الملائكة بالعبوديّة؛ للرّدّ على عبدتهم. والمعنى: وما منّا أحد إلّا وله مقام معلوم في المعرفة والعبادة، والانتهاء إلى أمر اللّه في تدبير العالم[2].

و ورد: «أُنزلت في الأئمّة والأوصياء من آل محمّد عليهم السلام»[3].

﴿وَإِنّا لَنَحْنُ الصّافُّونَ﴾ في أداء الطّاعة ومنازل الخدمة.

﴿وَإِنّا لَنَحْنُ المُسَبِّحُونَ﴾: المنزّهون اللّه عمّا لا يليق به. القمّي: «قال جبرئيل: يا محمّد "إنّا لنحن الصّافّون، وإنّا لنحن المسبّحون"»[4].

و ورد: «كنّا أنواراً صفوفاً حول العرش، نسبّح فيسبّح أهل السّماء بتسبيحنا، إلى أن هبطنا إلى الأرض، فسبّحنا فسبّح أهل الأرض بتسبيحنا، "وإنّا لنحن الصّافّون وإنّا لنحن المسبّحون"»[5].

١ـ الكشّاف ٣: ٣٥٥؛ البيضاوي ٥: ١٢.

٢ـ البيضاوي ٥: ١٣.

٣ـ القمّي ٢: ٢٢٧، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٤ـ المصدر، عن أبي جعفر عليه السلام.

٥ـ المصدر: ٢٢٨، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

﴿وَإِنْ كانُوا لَيَقُولُونَ﴾ أي: مشركوا قريش.

﴿لَوْ أَنَّ عِنْدَنا ذِكْراً مِنَ الْأَوَّلِينَ﴾: كتاباً من الكتُب الّتي نزلت عليهم.

﴿لَكُنّا عِبادَ اللّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾: أخلصنا العبادة له، ولم نخالف مثلهم.

﴿فَكَفَرُوا بِهِ﴾ لمّا جاءهم الذّكر. قال: «هم كفّار قريش، كانوا يقولون ذلك، يقول اللّه عزّوجلّ: فكفروا به حين جاءهم محمّد صلى الله عليه وآله». كذا ورد[1]. ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ عاقبة كفرهم.

﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنا لِعِبادِنَا الْمُرْسَلِينَ﴾ أي: وعدنا لهم بالنّصر والغلبة، كما يفسّره ما بعده.

﴿إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ﴾.

﴿وَإِنَّ جُنْدَنا لَهُمُ الْغالِبُونَ﴾.

﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾: فأعرض عنهم ﴿حَتّى حِينٍ﴾ هو الموعد لنصرك عليهم.

﴿وَأَبْصِرْهُمْ﴾ على ما ينالهم حينئذ ﴿فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾ ما قضينا لك من التأييد والنّصرة، والثّواب في الآخرة. و«سوف» للوعيد لا للتّبعيد.

﴿أَفَبِعَذابِنا يَسْتَعْجِلُونَ﴾. روي: «إنّه لمّا نزل "فسوف يبصرون" قالوا: متى هذا؟ فنزل»[2].

﴿فَإِذا نَزَلَ بِساحَتِهِمْ فَساءَ صَباحُ الْمُنْذَرِينَ﴾. شبّه العذاب بجيش هجمهم فأناخ بفنائهم بغتةً. والصّباح مستعار لوقت نزول العذاب، لأنّ أكثر ما يكون الهجوم والغارة في صباح الجيش المبيّت.

﴿وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتّى حِينٍ﴾.

﴿وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾ تأكيد إلى تأكيد وإطلاق بعد تقييد؛ للإشعار بأنّه

١ ـ القمّي ٢: ٢٢٨، عن أبي جعفر عليه السلام.
٢ ـ البيضاوي ٥: ١٣.

يبصر وأنّهم يبصرون ما لا يحيط به الذّكر من أصناف المسرّة وأنواع المساءة، أو الأوّل لعذاب الدّنيا، والثّاني لعذاب الآخرة.

والقمّي: "فإذا نزل بساحتهم"، يعني: العذاب إذا نزل ببني أُميّة وأشياعهم في آخر الزّمان، "فسوف يبصرون". قال: أبصروا حين لا ينفعهم البصر. قال: فهذه في أهل الشّبهات والضّلالات من أهل القبلة[1].

﴿سُبْحانَ رَبِّكَ رَبِّ العِزَّةِ عَمّا يَصِفُونَ﴾. قال: «إنّ اللّه علا ذكره كان ولا شيء غيره، وكان عزيزاً ولا عزّ كان قبل عزّه، وذلك، قوله سبحانه: "ربّك ربّ العزّة"»[2].

﴿وَسَلامٌ عَلَى المُرْسَلِينَ﴾. تعميم للرّسل بالتّسليم بعد تخصيص بعضهم.

﴿وَالحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ العالَمِينَ﴾ على ما أفاض عليهم وعلى من اتّبعهم من النّعم وحسن العاقبة. وفيه تعليم المؤمنين كيف يحمدونه ويسلّمون على رسله.

ورد: «من أراد أن يكتال بالمكيال الأوفى، فليقل إذا أراد أن يقوم من مجلسه: "سُبحانَ رَبِّكَ" الآيات الثّلاث»[3].

١ ـ القمّي ٢: ٢٢٧.

٢ ـ التّوحيد: ٦٧، الباب: ٢، الحديث: ٢٠، عن أبي جعفر عليه السلام. وفيه: «ولا عزّ؛ لأنّه كان قبل عزّه».

٣ ـ الكافي ٢: ٤٩٦، الحديث: ٣، عن أبي جعفر عليه السلام.

سورة صٓ

[مكيّة، وهي ثمان وثمانون آية][1]

بسم اللّه الرّحمٰن الرّحيم

﴿صٓ﴾. قد سبق تأويله[2].

و ورد: «وأمّا "ص" فعين تنبع من تحت العرش، وهي الّتي توضّأ منها النّبيّ صلى الله عليه وآله لمّا عرج به، ويدخلها جبرئيل كلّ يوم دخلة فينغمس[3] فيها، ثمّ يخرج منها فينفض أجنحته، فليس من قطرة تقطر من أجنحته إلّا خلق اللّه تبارك وتعالى منها مَلَكاً، يسبّح اللّه ويقدّسه ويكبّره ويحمده إلى يوم القيامة»[4].

وفي رواية سئل: وما صاد الّذي أمر أن يغتسل منه ـ يعني النّبيّ صلى الله عليه وآله ـ لمّا أُسري به؟ فقال: «عين تنفجر من ركن من أركان العرش يقال لها "ماء الحياة"، وهو ما قال اللّه: "ص والقُرآنِ ذي الذِّكرِ"»[5].

١ـ ما بين المعقوفتين من «ب».

٢ـ البقرة (٢): ١.

٣ـ في المصدر: «فيغتمس».

٤ـ معاني الأخبار: ٢٢، قطعة من حديث: ١، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٥ـ علل الشّرائع ١: ٣٣٥، الباب: ٣٢، ذيل الحديث: ١، عن الكاظم عليه السلام.

وفي أُخرى: «هو ماء يسيل من ساق العرش الأيمن»[١] .

وفي أُخرى: «إنّه اسم من أسماء اللّه تعالى أقسم به»[٢] .

﴿وَالقُرآنِ ذِي الذِّكْرِ﴾ مقسم به ، عطفاً على "ص" . وجوابه محذوف ، أي: إنّه لحق ، يدلّ عليه ما بعده .

﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقاقٍ﴾ يعني: ماكفر من كفر لخلل وجد فيه ، بل الّذين كفروا في استكبار عن الحقّ ، وخلاف للّه ولرسوله ، ولذلك كفروا به .

﴿كَمْ أَهْلَكْنا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ﴾ . وعيدٌ لهم على كفرهم به ، استكباراً وشقاقاً . ﴿فَنادَوْا﴾ استغاثةً ﴿وَلاتَ حِينَ مَناصٍ﴾ أي: ليس الحين حين منجا ومفرّ ؛ زيدت التّاء على «لا» للتّأكيد .

﴿وَعَجِبُوا أَنْ جاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ﴾: بَشَرٌ مثلهم ﴿وَقالَ الكافِرُونَ﴾ . وُضِعَ فيه الظّاهر موضع الضّمير ؛ غضباً عليهم وذمّاً لهم ، وإشعاراً بأنّ كفرهم جسّرهم[٣] على هذا القول ﴿هٰذا ساحِرٌ﴾ فيما يظهره معجزة ﴿كَذّابٌ﴾ فيما يقول على اللّه .

﴿أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلٰهاً واحِداً إِنَّ هٰذا لَشَيْءٌ عُجابٌ﴾: بليغ في العجب ، فإنّه خلاف ما أطبق عليه آباؤنا .

﴿وَانْطَلَقَ المَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا﴾: قائلين بعضهم لبعض: "امشوا" ﴿وَاصْبِرُوا عَلىٰ آلِهَتِكُمْ﴾: على عبادتها ، فلا ينفعكم مكالمته ﴿إِنَّ هٰذا لَشَيْءٌ يُرادُ﴾ قيل: أي: إنّ هذا لشيء من ريب الزّمان ، يراد بنا فلا مردّ له[٤] . وقيل: إنّ هذا الّذي يدّعيه من الرّياسة والتّرفّع على العرب ، لشيء يريده كلّ أحد[٥] .

﴿ما سَمِعْنا بِهٰذا﴾: بالّذي يقوله ﴿فِي المِلَّةِ الآخِرَةِ﴾: في الملّة الّتي أدركنا عليها آباءنا ﴿إِنْ هٰذا إِلَّا اخْتِلاقٌ﴾: كذبٌ اختلقه .

١ ـ الكافي ٣: ٤٨٥ ، قطعة من حديث: ١ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .

٢ ـ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ٤٦٥ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .

٣ ـ في «ألف»: «جبرهم» .

٤ و ٥ ـ البيضاوي ٥: ١٥ .

«قالت قريش لأبي طالب: إنّ ابن أخيك قد آذانا وآذىٰ آلهتنا ، فادعه ومُرْه ، فليَكُفَّ[1] عن آلهتنا ونَكُفُّ عن إلهه ، فخبّره أبو طالب به ، فقال: أوَهل لهم في كلمةٍ خيرٌ لهم من هذا[2] ، يسودون بها العرب ، ويطأون أعناقهم ، فقال أبو جهل: نعم . قال: تقولون: لا إله إلّا اللّه ، فوضعوا أصابعهم في آذانهم ، وخرجوا هرّاباً وهم يقولون: «ما سَمِعْنا بِهذا» الآية» . كذا ورد[3] .

﴿أَأُنْزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي بَلْ لَمّا يَذُوقُوا عَذابِ﴾: بل لم يذوقوا عذابي بعد ، فإذا ذاقوه زال شكّهم ، يعني: أنّهم لا يصدّقون به حتّى يمسّهم العذاب فيلجئهم إلى تصديقه .

﴿أَمْ عِنْدَهُمْ خَزائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهّابِ﴾: بل أعندهم خزائن رحمته حتّى يصيبوا بها من شاؤوا ، فيتخيّروا للنبوّة بعض صناديدهم؟ يعني: أنّ النبوّة عطيّة من اللّه ، يتفضّل بها على من يشاء من عباده ، لا مانع له ؛ فإنّه العزيز الّذي لا يغلب[4] ، الوهّاب الّذي له أن يهب كلّ ما يشاء لمن يشاء .

﴿أَمْ لَهُمْ مُلْكُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَما بَيْنَهُما﴾: أم لهم مدخل في هذا العالم ، الّذي هو جزء يسير من خزائنه . ﴿فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبابِ﴾ ويدبّروا أمر العالم ، فينزلوا الوحي إلى من يستصوبون .

﴿جُنْدٌ ما هُنالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الْأَحْزابِ﴾ أي: هم جند مّا من الكفّار المتحزّبين على الرّسل ؛ مكسور عمّا قريب ، فمن أين لهم التّدابير الإلهيّة ، والتّصرّف في الأُمور الرّبّانيّة؟!

١ ـ في «ألف»: «ليكفّ».

٢ ـ الهمزة للاستفهام ، والواو للعطف على مقدّر ، و«لهم» متعلّق بمحذوف ، و«خير» خبر مبتدأ ، والتقدير: أقالوا هذا وهل لهم رغبة في كلمة هي خير لهم من هذا الّذي طلبوه . شرح أصول الكافي والرّوضة (للمولى صالح المازندراني) ١١: ١٠٢ .

٣ ـ الكافي ٢: ٦٤٩ ، الحديث: ٥ ، عن أبي جعفر عليه السلام .

٤ ـ في «ألف»: «لا يغالب» .

أو فلا تكثرث لما يقولون ، و«هنالك» إشارة إلى حيث وضعوا فيه أنفسهم من الابتدار لهذا القول .

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتادِ﴾ . سئل: لأيّ شيء سمّي ذا الأوتاد؟ فقال: «لأنّه كان إذا عذّب رجلاً بسطه على الأرض على وجهه ، ومدّ يديه ورجليه فأوتدها بأربعة أوتاد في الأرض ، وربّما بسطه على خشب منبسط فوتد رجليه ويديه بأربعة أوتاد ، ثمّ تركه على حاله حتّى يموت . فسمّاه الله عزّوجلّ ذا الأوتاد»[1] .

والقمّي: الأوتاد: الّتي أراد أن يصعد بها إلى السّماء[2] .

﴿وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحابُ لْئَيْكَةِ﴾: وأصحاب الغيضة ، وهم قوم شعيب ﴿أُولئِكَ الْأَحْزابُ﴾ يعني: المتحزّبين على الرّسل ، الّذين جعل الجند المهزوم منهم .

﴿إِنْ كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقابِ﴾ .

﴿وَما يَنْظُرُ هؤُلاءِ﴾: وما ينتظر قومك ﴿إِلَّا صَيْحَةً واحِدَةً﴾ هي النّفخة ﴿ما لَها مِنْ فَواقٍ﴾ قيل: أي: من توقّف مقدار فواق ، وهو ما بين الحلْبَتَيْن ، أو رجوع وترداد ، فإنّه فيه يرجع اللّبن إلى الضّرع[3] . والقمّي: أي: لا يفيقون عن العذاب[4] .

﴿وَقالُوا رَبَّنا عَجِّلْ لَنا قِطَّنا﴾: قسطنا من العذاب الّذي توعّدنا به . قال: «نصيبهم من العذاب»[5] . ﴿قَبْلَ يَوْمِ الْحِسابِ﴾ استعجلوا ذلك استهزاء .

﴿إِصْبِرْ عَلى ما يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنا داوُدَ ذَا الْأَيْدِ﴾ . قال: «اليد في كلام العرب القوّة والنّعمة ، ثمّ تلا هذه الآية»[6] . ﴿إِنَّهُ أَوّابٌ﴾ قيل: أي: رجّاع إلى مرضاة الله ، لقوّته في

١ ـ علل الشّرائع ١: ٧٠ ، الباب: ٦٠ ، الحديث: ١ ، عن أبي عبد الله عليه السلام .

٢ ـ القمّي ٢: ٤٢٠ .

٣ ـ البيضاوي ٥: ١٦ .

٤ ـ القمّي ٢: ٢٢٩ .

٥ ـ معاني الأخبار: ٢٢٥ ، الحديث: ١ ، عن أمير المؤمنين عليه السلام .

٦ ـ التّوحيد: ١٥٣ ، الباب: ١٣ ، الحديث: ١ ، عن أبي جعفر عليه السلام .

الدّين[١]. والقمّي: أي: دعّاء[٢]. قيل: إنّه يصوم يوماً ويفطر يوماً، ويقوم نصف اللّيل[٣].

﴿إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْراقِ﴾: حين تشرق الشّمس، أي: تضيء ويصفو شعاعها.

﴿وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوّابٌ﴾: كلّ من الجبال والطّير لأجل تسبيحه رجّاع إلى التّسبيح. وقد مرّ بيانه في سورتي الأنبياء وسبأ[٤].

﴿وَشَدَدْنا مُلْكَهُ﴾: قوّيناه بالهيبة والنّصرة وكثرة الجنود ﴿وَآتَيْناهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطابِ﴾.

قال: «هو قوله: البيّنة على المدّعي واليمين على المدّعى عليه»[٥].

وفي رواية: «هو معرفة اللّغات»[٦].

﴿وَهَلْ أَتاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ﴾ فيه تعجيب وتشويق إلى استماعه، ﴿إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرابَ﴾: إذ تصعّدوا سور الغرفة.

﴿إِذْ دَخَلُوا عَلى داوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ﴾ لأنّهم نزلوا عليه من فوق في يوم الاحتجاب والحَرَس على الباب ﴿قالُوا لا تَخَفْ خَصْمانِ بَغى بَعْضُنا عَلى بَعْضٍ فَاحْكُمْ بَيْنَنا بِالْحَقِّ وَلا تُشْطِطْ﴾: ولا تَجُرْ في الحكومة ﴿وَاهْدِنا إِلى سَواءِ الصِّراطِ﴾: إلى وسطه، وهو العدل.

﴿إِنَّ هذا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ واحِدَةٌ﴾. النّعجة هي الأُنثى من الضّأن، وقد يكنّى بها عن المرأة. ﴿فَقالَ أَكْفِلْنِيها﴾: ملّكنيها ﴿وَعَزَّنِي فِي الْخِطابِ﴾:

١ ـ الكشّاف ٣: ٣٦٣؛ البيضاوي ٥: ١٦.

٢ ـ القمّي ٢: ٢٢٩.

٣ ـ البيضاوي ٥: ١٦.

٤ ـ الأنبياء (٢١): ٧٩؛ السبأ (٣٤): ١٠.

٥ ـ جوامع الجامع: ٤٠٤، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

٦ ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ٢: ٢٢٨، الباب: ٥٣، الحديث: ٣.

وغلبني في مخاطبته إيّاي .

﴿قالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤالِ نَعْجَتِكَ إلىٰ نِعاجِهِ وَإنَّ كَثِيراً مِنَ الخُلَطاءِ﴾: الشّركاء الّذين خلطوا أموالهم ﴿لَيَبْغِي﴾: ليتعدّي ﴿بَعْضُهُمْ عَلىٰ بَعْضٍ إلّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّالِحاتِ وَقَلِيلٌ ما هُمْ﴾ «ما» مزيدة للإبهام والتّعجّب من قلّتهم ﴿وَظَنَّ داوُودُ﴾ قال: «أي: عَلِمَ»[١] . ﴿أنَّما فَتَنّاهُ﴾: امتحنّاه بتلك الحكومة ، هل ينبّه بها ﴿فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ راكِعاً﴾: ساجداً ﴿وَأنابَ﴾ قال: «أي: تاب»[٢] .

﴿فَغَفَرْنا لَهُ ذٰلِكَ﴾: ما استغفر عنه ﴿وَإنَّ لَهُ عِنْدَنا لَزُلْفىٰ﴾: لقربة بعد المغفرة ﴿وَحُسْنَ مَآبٍ﴾: مرجع في الجنّة .

﴿يا داوُودُ إنّا جَعَلْناكَ خَلِيفَةً فِي الأرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النّاسِ بِالحَقِّ وَلا تَتَّبِعِ الهَوىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللّٰهِ إنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللّٰهِ لَهُمْ عَذابٌ شَدِيدٌ بِما نَسُوا يَوْمَ الحِسابِ﴾ .

روت العامّة[٣] في خطيئة داود ما لا يجوز روايته ولا نسبته إلى أدنى رجل من المسلمين ، فكيف بالأنبياءعليهم‌السلام ؟! وورد تكذيبه عن الأئمّة[٤] . أشدّ تكذيب .

و ورد: «إنّ داودعليه‌السلام إنّما ظنّ أن ما خلق اللّه عزّوجلّ خلقاً هو أعلم منه ، فبعث اللّه عزّوجلّ إليه المَلَكَيْن فتسوّرا المحراب ، فقالا له: "خصمان بغى بعضنا على بعض" الآية ، فعجل داودعليه‌السلام على المدّعى عليه فقال: "لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه" ، ولم يسأل المدّعي البيّنة على ذلك ، ولم يقبل على المدّعى عليه فيقول له: ما تقول؟ فكان هذا خطيئة رَسْم حُكمٍ ، لا ما ذهبتم إليه ـ يعني: ما روته العامّة ـ قال: ألا تسمع اللّه عزّوجلّ يقول: "يا

١ و ٢ ـ القمّي ٢: ٢٣٤ ، عن أبي جعفرعليه‌السلام .

٣ ـ جامع البيان (للطّبري) ٢٣: ٩٣ ؛ الكشّاف ٣: ٣٦٥ .

٤ ـ عيون أخبار الرّضاعليه‌السلام ١: ١٩٤ ، الباب: ١٤ ، الحديث: ١ ؛ الأمالي (للصّدوق): ٩٢ ، المجلس: ٢٢ ، ذيل الحديث: ٣ ، عن أبي عبد اللّهعليه‌السلام ؛ التّبيان ٨: ٥٥٥ ، عن أمير المؤمنينعليه‌السلام .

داود إنّا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين النّاس بالحقّ" إلى آخر الآية»[١].

﴿وَما خَلَقْنا السَّماءَ وَالأَرْضَ وَما بَيْنَهُما باطِلاً﴾ لا حكمة فيه ﴿ذٰلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النّارِ﴾.

﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّالِحاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الأَرْضِ﴾.

قال: «لا ينبغي لأهل الحقّ أن ينزلوا أنفسهم منزلة أهل الباطل، لأنّ اللّه لم يجعل أهل الحقّ عنده بمنزلة أهل الباطل، ألم يعرفوا وجه قول اللّه تعالى في كتابه: "أم نجعل الّذين آمنوا" الآية»[٢].

﴿أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجّارِ﴾ تكرير للإنكار الأوّل باعتبار وصفين آخرين يمنعان التّسوية بين المؤمنين والكافرين، أو أراد بهما المتّقين من المؤمنين والمجرمين منهم.

﴿كِتابٌ أَنْزَلْناهُ إِلَيْكَ مُبارَكٌ﴾: نفّاع ﴿لِيَدَّبَّرُوا آياتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الأَلْبابِ﴾.

﴿وَوَهَبْنا لِداوُودَ سُلَيْمانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوّابٌ﴾: كثير الرجوع إلى اللّه، بالتّوبة والذّكر.

﴿إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ﴾: بعد الظّهر ﴿الصّافِناتُ الْجِيادُ﴾ الصّافن: الخيل الّذي يقوم على طرف سُنْبُكِ[٣] يد أو رجل، وهو من الصّفات المحمودة في الخيل. والجياد: جمع جواد أو جود، وهو الّذي يسرع في جريه، وقيل: الّذي يجود بالرّكض، وقيل: جمع جيّد[٤].

﴿فَقالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي﴾. قيل: أي: آثرت، وينبغي أن يعدّى بـ«على»، ولكنّه لمّا أُنيب مناب أنبت، عدّي بـ«عن»[٥]. وقيل: يعني تقاعدت عن ذكر ربّي

١ ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ١: ١٩٤، الباب: ١٤، الحديث: ١؛ الأمالي (للصدوق): ٨٨، الحديث: ٨، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٢ ـ الكافي ٨: ١٢، الحديث: ١، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٣ ـ السُّنْبُك كقُنْفذ: طرف مقدم الحافر، وهو معرّب، والجمع: سنابك. مجمع البحرين ٥: ٢٧ (سبك).

٤ ـ التّبيان ٨: ٥٦٠؛ البيضاوي ٥: ١٨.

٥ ـ البيضاوي ٥: ١٩.

لحبّ الخير[١] . والخير: المال الكثير ، ويعني به هنا الخيل .

و ورد: «الخيل معقود بنواصيها[٢] الخير»[٣] .

﴿حَتّىٰ تَوارَتْ بِالْحِجابِ﴾ أي: غربت الشّمس ، شبّه غروبها بتواري المخبأة بحجابها ، وإضمارها من غير ذكر لدلالة العشيّ عليها .

﴿رُدُّوها عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحاً﴾: فأخذ يمسح مسحاً ﴿بِالسُّوقِ وَالأَعْناقِ﴾ .

ورد: «إنّ سليمان بن داود عليه السلام عرض عليه ذات يوم بالعشيّ الخيل ، فاشتغل بالنّظر إليها حتّى توارت الشّمس بالحجاب ، فقال للملائكة: ردّوا الشّمس عليّ حتّى أُصلّي صلاتي في وقتها ؛ فردّوها ، فقام فمسح ساقيه وعنقه ، وأمر أصحابه الّذين فاتتهم الصّلاة معه بمثل ذلك ، وكان ذلك وضوءهم للصّلاة ثمّ قام فصلّى ، فلمّا فرغ غابت الشّمس وطلعت النّجوم ، وذلك قول اللّه عزّوجلّ: "ووهبنا لداود سليمان" إلى قوله: "والأعناق"»[٤] .

وفي رواية: «اشتغل بعرض الخيل لأنّه أراد جهاد العدوّ»[٥] .

والعامّة رووها على نحو لا يليق بالأنبياء[٦] ، وورد تكذيبه عن أئمّتنا عليهم السلام[٧] .

﴿وَلَقَدْ فَتَنّا سُلَيْمانَ وَأَلْقَيْنا عَلىٰ كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنابَ﴾ . ورد: «إنّ الجنّ والشّياطين لمّا ولد لسليمان ابنٌ قال بعضهم لبعض: إن عاش له ولد لنلقَيَنّ منه ما لقينا من أبيه من البلاء . فأشفق عليه السلام منهم عليه ، فاسترضعه في المزن ؛ وهو السّحاب ، فلم يشعر إلّا

١ ـ البيضاوي ٥: ١٩ .

٢ ـ في المصدر: «في نواصيها» .

٣ ـ الكافي ٥: ٤٨ ، الحديث: ٢ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام ، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله ؛ والحديث: ٣ ، عن أبي جعفر عليه السلام ، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله ، مع اختلاف يسير .

٤ ـ من لا يحضره الفقيه ١: ١٢٩ ، الحديث: ٦٠٧ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .

٥ ـ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ٤٧٥ ، عن أمير المؤمنين عليه السلام .

٦ ـ جامع البيان (للطبري) ٢٣: ١٠٠ ؛ الكشّاف ٣: ٣٧٣ ؛ معالم التنزيل (للبغوي) ٤: ٦١ .

٧ ـ الكافي ٣: ٢٩٤ ، الحديث: ١٠ ؛ علل الشّرائع ٢: ٦٠٥ ، الباب: ٣٨٥ ، الحديث: ٧٩ ، عن أبي جعفر عليه السلام ؛ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ٤٧٥ ، عن أمير المؤمنين عليه السلام .

وقد وضع على كرسيّه ميّتاً ، تنبيهاً على أنّ الحذر لا ينفع من القدر ، وإنّما عوتب على خوفه من الشّياطين»[١] .

﴿قالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكاً لا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي﴾: لا يتسهّل له ولا يكون ، ليكون معجزة لي مناسبة لحالي ، أو لا ينبغي لأحد أن يسلبه منّي ، أو لا يصحّ لأحد من بعدي لعظمته ، كذا قيل[٢] .

وقال: «المُلك مُلكان: مُلكٌ مأخوذٌ بالغلبة والجور وإجبار النّاس ، ومُلك مأخوذ من قِبل اللّه فقال سليمان: هب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي أن يقول: إنّه مأخوذ بالغلبة والجور وإجبار النّاس فسخّر اللّه له ما سخّر ، فعلم النّاس في وقته وبعده: أنّ مُلكَه لا يشبه مُلكَ المُلوكِ الجبّارين من النّاس»[٣] . كذا ورد[٤] . ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ .

﴿فَسَخَّرْنا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخاءً﴾: لينة لا تزعزع ﴿حَيْثُ أَصابَ﴾: أراد .

﴿وَالشَّياطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ﴾ .

﴿وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفادِ﴾: قرن بعضهم مع بعض في السّلاسل ليكفّوا عن الشّرّ

﴿هذا عَطاؤُنا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ﴾: فاعط من شئت وامنع من شئت ﴿بِغَيْرِ حِسابٍ﴾: غير محاسب على منّه وإمساكه ؛ لتفويض التّصرّف فيه إليك .

﴿وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنا لَزُلْفى وَحُسْنَ مَآبٍ﴾ .

﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنا أَيُّوبَ إِذْ نادى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطانُ بِنُصْبٍ﴾: بتعب ﴿وَعَذابٍ﴾: وألم .

ورد: «إنّما كانت بليّة أيّوب الّتي ابتلي بها في الدّنيا ، لنعمة أنعم اللّه بها عليه ؛ فأدّى

١ ـ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ٤٧٦ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .

٢ ـ البيضاوي ٥: ١٩ .

٣ ـ في المصدر: «المختارين من قِبَل النّاس والمالكين بالغلبة والجور» .

٤ ـ علل الشّرائع ١: ٧١ ، الباب: ٦٢ ، الحديث: ١ ، عن موسى بن جعفر عليهما السلام .

شكرها . وكان إبليس في ذلك الزّمان لا يحجب دون العرش ، فلمّا صعد عمل أيّوب بأداء شكر النّعمة ، حسده إبليس فقال: يا ربّ إنّ أيّوب لم يؤدّ شكر هذه النّعمة إلّا بما أعطيته من الدّنيا ، فلو حِلْتَ بينه وبين دنياه ما أدّى إليك شكر نعمة ، فسَلِّطْني على دنياه حتّى تعلم أنّه لا يؤدّي شكر نعمة ، فقال: قد سلّطتك على دنياه . فلم يدع له دنياً ولا ولداً إلّا أهلك كلّ ذلك ، وهو يحمد اللّه عزّوجلّ ، ثمّ رجع إليه فقال: يا ربّ إنّ أيّوب يعلم أنّك سَتَرُدُّ إليه دنياه الّتي أخذتها منه ، فسلّطني على بدنه حتّى تعلم أنّه لا يؤدّي شكر نعمة ، قال: قد سلّطتك على بدنه ما عدا عينيه وقلبه ولسانه وسمعه ، قال: فانقضّ مبادراً خشية أن تدركه رحمة اللّه عزّوجلّ فتحول بينه وبينه ، فنفخ في منخريه من نار السّموم فصار جسده نقطاً نقطاً»[1] .

و ورد: «إنّ اللّه ابتلى أيّوبَ بلا ذنب ، فصَبَر حتّى عُيِّرَ ، إنّ الأنبياء لا يصبرون على التّعيير»[2] .

وقال: «إنّ اللّه يَبْتَلي المؤمن بكلّ بليّة ، ويُميته بكلّ ميتة ، ولا يبتليه بذهاب عقله ، أما ترى أيّوب كيف سلّط إبليس على ماله وعلى أهله ، وعلى كلّ شيء منه ، ولم يسلّط[3] على عقله ، ترك له يوحّد اللّه عزّوجلّ»[4] .

﴿ارْكُضْ بِرِجْلِكَ﴾: اضرب بها الأرض ؛ حكاية لما أُجيب به . ﴿هٰذا مُغْتَسَلٌ بارِدٌ وَشَرابٌ﴾ أي: فنبعت عين ، فقيل: هذا مُغتسَلٌ ، أي: تغتسل به ، وتشرب منه فيبرأ باطنك وظاهرك .

﴿وَوَهَبْنا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ﴾ . قال: «أحيا له من ولده الّذين كانوا ماتوا قبل ذلك

١ ـ علل الشّرائع ١: ٧٥ ، الباب: ٦٥ ، الحديث: ١ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام ، مع تفاوت يسير .
٢ ـ المصدر ، ٧٦ ، الباب: ٦٥ ، الحديث: ٤ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .
٣ ـ في «ب»: «ولم يسلّطه» .
٤ ـ الكافي ٢: ٢٥٦ ، الحديث: ٢٢ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام ، وفيه: «ترك له ليوحّد اللّه به» .

بآجالهم، مثل الّذين هلكوا يومئذ»[1]. ﴿رَحْمَةً مِنّا وَذِكْرىٰ لِأُولِي الأَلْبابِ﴾ لينتظروا الفرج بالصّبر واللّجأ إلى اللّه فيما يحيق بهم.

﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثاً﴾: حُزْمَة من خشب ﴿فَاضْرِبْ بِهِ وَلا تَحْنَثْ﴾ وذلك أنّه حلف أن يضرب زوجتَه في أمر، ثمّ ندم عليه، فحلّل اللّه يمينه بذلك. «وهي رخصة باقية في الحدود»، كما ورد[2]. قال: «فأخذ عَذْقاً[3] مشتملاً على مائة شِمْراخ، فضربها ضربة واحدة، فخرج عن يمينه»[4]. ﴿إِنّا وَجَدْناهُ صابِراً نِعْمَ العَبْدُ﴾: أيّوب ﴿إِنَّهُ أَوّابٌ﴾: مقبل بشراشره على اللّه.

﴿وَاذْكُرْ عِبادَنا إِبْراهِيمَ وَإِسْحٰقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الأَيْدِي وَالأَبْصارِ﴾ قال: «أُولوا القوّة في العبادة والصبر[5] فيها»[6].

﴿إِنّا أَخْلَصْناهُمْ بِخالِصَةٍ﴾: جعلناهم خالصين لنا بخصلة لا شوب فيها ﴿ذِكْرَى الدّارِ﴾ هي تذكّرهم للآخرة دائماً، فإنّ خلوصهم في الطّاعة بسببها، وذلك لأنّه كان مطمح نظرهم فيما يأتون ويذرون جوار اللّه والفوز بلقائه. وإطلاق الدّار للإشعار بأنّها الدّار حقيقة، والدّنيا معبر.

﴿وَإِنَّهُمْ عِنْدَنا لَمِنَ المُصْطَفَيْنَ الأَخْيارِ﴾.

﴿وَاذْكُرْ إِسْمٰعِيلَ وَالْيَسَعَ﴾. قيل: هو ابن اخطوب، استخلفه إلياس على بني

١ ـ الكافي ٨: ٢٥٢، الحديث: ٣٥٤، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.
٢ ـ الكافي ٧: ٢٤٣، الحديث: ١؛ و٢٤٤، الحديث: ٤؛ من لا يحضره الفقيه ٤: ١٩، الحديث: ٤١، عن أبي عبد اللّه عليه السلام؛ والحديث: ٤٢، عن أبي جعفر عليه السلام.
٣ ـ العَذْق: كلّ غصن له شُعَب. لسان العرب ٩: ١١٠ (عذق).
٤ ـ القمّي ٢: ٢٤١، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.
٥ ـ في «ب» و«ج»: «البصر».
٦ ـ القمّي ٢: ٢٤٢، عن أبي جعفر عليه السلام.

إسرائيل، ثمّ استنبأ[1]. ﴿وَذَا الكِفْلِ﴾ هو يوشع بن نون، كما مرّ في سورة الأنبياء[2].

﴿وَكُلٌّ مِنَ الأَخْيارِ﴾. ﴿هٰذا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ﴾. ﴿جَنّاتِ عَدْنٍ مُفَتَّحَةً لَهُمُ الأَبْوابُ﴾.

﴿مُتَّكِئِينَ فِيها يَدْعُونَ فِيها بِفاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرابٍ﴾ في الاقتصار على الفاكهة إشعار بأنّ مطاعمهم لمحض التّلذّذ، فإنّ التغذّي للتّحلّل، ولا تحلّل ثمّة.

﴿وَعِنْدَهُمْ قاصِراتُ الطَّرْفِ﴾: لا ينظرن إلى غير أزواجهنّ ﴿أَتْرابٌ﴾: لِدات[3] بعضهنّ لبعض، لا عجوز فيهنّ ولا صبيّة.

﴿هٰذا ما تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الحِسابِ﴾: لأجله.

﴿إِنَّ هٰذا لَرِزْقُنا ما لَهُ مِنْ نَفادٍ﴾: انقطاع.

﴿هٰذا﴾: الأمر هذا ﴿وَإِنَّ لِلطّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ﴾.

﴿جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَها فَبِئْسَ المِهادُ﴾.

﴿هٰذا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسّاقٌ﴾ هو ما يغسق، أي: يسيل من صديد[4] أهل النّار.

﴿وَآخَرُ مِنْ شَكْلِهِ﴾: من مثل المذوق أو الذّائق ﴿أَزْواجٌ﴾: أصناف. القمّي: هم بنو العبّاس[5].

﴿هٰذا فَوْجٌ مُقْتَحِمٌ مَعَكُمْ﴾ حكاية ما يقال لرؤساء الطّاغين إذا دخلوا النّار، ودخل معهم فوج تبعهم في الضّلال. والاقتحام: ركوب الشّدّة والدّخول فيها.

١ ـ البيضاوي ٥: ٢١.

٢ ـ ذيل الآية: ٨٥.

٣ ـ جمعٌ واحده اللِّدَة: التِّرْب وهو الّذي وُلِد معك وتربّى، أصله: وِلد. أقرب الموارد ٣: ١٤٨٤ (ولد).

٤ ـ الصّديد: الدّم المختلط بالقيح في الجُرْح. ترتيب كتاب العين: ٤٤٢ (صدد).

٥ ـ القمّي ٢: ٢٤٢.

ورد: «إن النّار تضيق على أهلها كضيق الزّجّ[١] بالرّمح»[٢].

﴿لا مَرْحَباً بِهِمْ﴾. دعاء من المتبوعين على التّابعين. القمّي: فيقول بنو أُميّة: لا مرحباً بهم[٣]. ﴿إِنَّهُمْ صالُوا النّارِ﴾.

﴿قالُوا﴾ أي: الأتباع للرّؤساء ﴿بَلْ أَنْتُمْ لا مَرْحَباً بِكُمْ﴾: بل أنتم أحقّ بما قلتم، لضلالكم وإضلالكم ﴿أَنْتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنا فَبِئْسَ الْقَرارُ﴾.

﴿قالُوا﴾ القمّي: أي: بنو أُميّة[٤]. ﴿رَبَّنا مَنْ قَدَّمَ لَنا هذا﴾ القمّي: يعنون الأوّل والثّاني[٥]. ﴿فَزِدْهُ عَذاباً ضِعْفاً فِي النّارِ﴾ وذلك أن تزيد على عذابه مثله.

﴿وَقالُوا ما لَنا لا نَرى رِجالاً كُنّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرارِ﴾ أي: في الدّنيا.

﴿أَتَّخَذْناهُمْ سِخْرِيًّا﴾: هزواً ﴿أَمْ زاغَتْ عَنْهُمُ الْأَبْصارُ﴾: مالت فلا نراهم، أي: ليسوا هاهنا، أم زاغت عنهم أبصارنا.

قال: «لقد ذكركم الله، إذ حكى عن عدوّكم في النّار: "وقالوا ما لنا" الآية، قال: والله ما عنى ولا أراد بهذا غيركم، صرتم عند أهل النّار[٦] شرار النّاس، وأنتم والله في الجنّة تحبرون، وفي النّار تطلبون»[٧].

﴿إِنَّ ذلِكَ لَحَقٌّ تَخاصُمُ أَهْلِ النّارِ﴾. قال: «يتخاصمون فيكم فيما كانوا يقولون في الدّنيا»[٨].

﴿قُلْ إِنَّما أَنَا مُنْذِرٌ وَما مِنْ إِلهٍ إِلَّا اللّهُ الْواحِدُ الْقَهّارُ﴾.

١ـ زُجُّ الرُّمح: الحديدة الّتي تركَّبُ في أسفل الرّمح. لسان العرب ٦: ١٩ (زجج).

٢ـ مجمع البيان ٧ـ٨: ٢٨٣، عن رسول الله صلى الله عليه وآله.

٣ـ القمّي ٢: ٢٤٢.

٤ و ٥ـ المصدر: ٢٤٣.

٦ـ في المصدر: «صرتم عند أهل هذا العالم».

٧ـ الكافي ٨: ٣٦، ذيل الحديث: ٦، عن أبي عبد الله عليه السلام.

٨ـ المصدر: ١٤١، الحديث: ١٠٤، عن أبي عبد الله عليه السلام.

﴿رَبُّ السَّمٰواتِ وَالأَرْضِ وَما بَيْنَهُما العَزِيزُ الغَفّارُ﴾ .

﴿قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ﴾ .

﴿أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ﴾ . قال: «النّبأ الإمامة»[1] . وفي رواية: «هو واللّه أمير المؤمنين عليه السلام»[2] .

﴿ما كانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِالمَلَإِ الأَعْلىٰ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ .

﴿إِنْ يُوحىٰ إِلَيَّ إِلّا أَنَّما أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ .

ورد في حديث المعراج: «قال: يا محمّد! قلت: لبّيك يا ربّ . قال: فيم اختصم الملأ الأعلى؟ قال: قلت: سبحانك لا علم لي إلّا ما علّمتني . قال: فوضع يده بين كتفيّ ، فوجدت بَردها بين ثدييَّ ، قال: فلم يسألني عمّا مضى ولا عمّا بقي إلّا علمته ، فقال: يا محمّد فيم اختصم الملأ الأعلى؟ قال: قلت: في الكفّارات والدّرجات والحسنات . فقال لي: يا محمّد قد انقطع أكلتك وانقضت نبوّتك ، فمن وصيّك؟ فقلت: يا ربّ قد بلوت خلقك فلم أر أحداً من خلقك أطوع لي من عليّ . فقال: ولي يا محمّد ، فقلت: يا ربّ إنّي قد بلوت خلقك ، فلم أر في خلقك أحداً أشدّ حبّاً لي من عليّ بن أبي طالب عليه السلام . قال: ولي يا محمّد ؛ فبشّره بأنّه راية الهدى ، وإمام أوليائي ، ونور لمن أطاعني ، والكلمة الّتي ألزمتها المتّقين ، من أحبّه فقد أحبّني ، ومن أبغضه فقد أبغضني ، مع ما أنّي أخصّه بما لم أخصّ به أحداً . فقلت: يا ربّ أخي وصاحبي ووزيري ووارثي ، فقال: إنّه أمرٌ قد سبق ؛ إنّه مبتلى ومبتلى به ، مع ما أنّي قد نحلته ونحلته ونحلته أربعة أشياء ، عقدها بيده ولا يفصح بها عقدها»[3] .

وفي رواية قال: «قال لي ربّي: أتدري فيم يختصم الملأ الأعلى؟ فقلت: لا . قال:

---

١ ـ بصائر الدّرجات: ٢٠٧ ، الحديث: ١ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .

٢ ـ المصدر: ٧٧ ، الحديث: ٣ ، عن أبي جعفر عليه السلام .

٣ ـ القمّي ٢: ٢٤٤ ، عن أبي جعفر عليه السلام .

اختصموا في الكفّارات والدّرجات . فأمّا الكفّارات: فإسباغ[١] الوضوء في السّبرات[٢] ، ونقل الأقدام إلى الجماعات ، وانتظار الصّلاة بعد الصّلاة . وأمّا الدّرجات: فإفشاء السّلام ، وإطعام الطّعام ، والصّلاة باللّيل والنّاس نيام»[٣] .

﴿إِذْ قالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خالِقٌ بَشَراً مِنْ طِينٍ﴾ . ﴿فَإِذا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ ساجِدِينَ﴾ . ﴿فَسَجَدَ المَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ . ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكانَ مِنَ الكافِرِينَ﴾ .

﴿قالَ يا إِبْلِيسُ ما مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِما خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ قال: «يعني بقوّتي وقدرتي»[٤] . ﴿أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ العالِينَ﴾: تكبّرتَ من غير استحقاق ، أو كنت ممّن علا واستحقّ التفوّق؟!

﴿قالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ . ﴿قالَ فَاخْرُجْ مِنها فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾ . ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلىٰ يَوْمِ الدِّينِ﴾ . ﴿قالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ . ﴿قالَ فَإِنَّكَ مِنَ المُنْظَرِينَ﴾ . ﴿إِلىٰ يَوْمِ الوَقْتِ المَعْلُومِ﴾ . ﴿قالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ .

﴿إِلَّا عِبادَكَ مِنْهُمُ المُخْلَصِينَ﴾ . قد مرّ تمام تفسيره وتفسير تمامه في سورة البقرة والأعراف والحجر[٥] .

﴿قالَ فَالحَقُّ﴾ أي: فالحقّ يميني ، وعلى النّصب أي: فأحقّ الحقّ ، القمّي: أي: إنّك

١ ـ إسباغ الوضوء: المبالغة فيه واتمامه . لسان العرب ٨: ٤٣٢ (سبغ) .

٢ ـ السَّبرات: جمع سَبْرَة ، وهي الغداة الباردة . لسان العرب ٤: ٣٤١ (سبر) .

٣ ـ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ٤٨٥ ، عن النّبيّ ﷺ .

٤ ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ١: ١٢٠ ، الباب: ١١ ، الحديث: ١٣ ؛ التوحيد: ١٥٤ ، الحديث: ٢ ، عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام ، وفيهما: «بقدرتي وقوّتي» .

٥ ـ البقرة (٢): ١٣٩ ؛ الأعراف (٧): ٢٩ ؛ الحجر (١٥): ٤٠ ـ ٤١ .

تفعل ذلك[١] . ﴿وَالحَقَّ أَقُولُ﴾: أقوله .

﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ .

﴿قُلْ ما أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَما أَنَا مِنَ المُتَكَلِّفِينَ﴾ . قال: «أن أسألكم ما لستم بأهله»[٢] .

﴿إِنْ هُوَ إِلّا ذِكْرٌ﴾: عظة ﴿لِلْعالَمِينَ﴾ .

﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ﴾ من الوعد والوعيد ﴿بَعْدَ حِينٍ﴾ . قال: «عند خروج القائم عليه السلام»[٣] .



١ ـ لم نعثر عليه في تفسير القمّي المطبوعة ، ولعلّه سقط من النّسّاخ ؛ لأنّه بعينه موجود في النّسخة المخطوطة من تفسير القمّي ، الموجودة في مكتبة الاعلام الإسلامي ، تحت رقم: ٢٦٨١٨ .

٢ ـ الكافي ٨: ٣٧٩ ، الحديث: ٥٧٤ ، عن أبي جعفر عليه السلام .

٣ ـ المصدر: ٢٨٧ ، الحديث: ٤٣٢ ، عن أبي جعفر عليه السلام .

سورة الزّمر

[مكيّة، وهي خمس وسبعون آية][1]

بسم الله الرّحمن الرّحيم

﴿تَنْزِيلُ الكِتابِ مِنَ اللّهِ العَزِيزِ الحَكِيمِ﴾.

﴿إِنّا أَنْزَلْنا إِلَيْكَ الكِتابَ بِالحَقِّ فَاعْبُدِ اللّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ﴾ من الشّرك والرّياء.

﴿أَلا لِلّهِ الدِّينُ الخالِصُ﴾ لأنّه المتفرّد بالأُلوهيّة، والاطّلاع على الضّمائر ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِياءَ ما نَعْبُدُهُمْ إِلّا لِيُقَرِّبُونا إِلَى اللّهِ زُلْفى﴾ بإضمار القول ﴿إِنَّ اللّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي ما هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ من أُمور الدّين ﴿إِنَّ اللّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ كاذِبٌ كَفّارٌ﴾.

﴿لَوْ أَرادَ اللّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَداً﴾ كما زعموا ونسبوا إليه الملائكة والمسيح وعزير ﴿لَاصْطَفى﴾: لاختار ﴿مِمّا يَخْلُقُ ما يَشاءُ﴾ قيل: يعني ما كان اتّخاذه الولد باختيارهم حتّى يضيفوا إليه من شاؤوا[2] ﴿سُبْحانَهُ هُوَ اللّهُ الواحِدُ القَهّارُ﴾ قال: «ليس له في الأشياء شبيه»[3].

١ ـ ما بين المعقوفتين من «ب».

٢ ـ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ٤٨٨.

٣ ـ التّوحيد: ٨٣، الباب: ٣، قطعة من حديث: ٣، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

﴿خَلَقَ السَّمٰواتِ وَالأَرْضَ بِالحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهارِ وَيُكَوِّرُ النَّهارَ عَلَى اللَّيْلِ﴾: يغشى كلّ واحد منهما الآخر، كأنّه يُلفُّ عليه لَفّ اللّباس باللابس؛ أو يغيبه به كما يغيب الملفوف باللّفافة. أو يجعله كارّاً عليه كُروراً متتابعاً تتابع أكوار العِمامَة. ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى أَلا هُوَ العَزِيزُ﴾: الغالب على كلّ شيء ﴿الغَفّارُ﴾ حيث لم يعاجل بالعقوبة.

﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ واحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْها زَوْجَها﴾. سبق تفسيره في سورة النّساء[1]. ﴿وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الأَنْعامِ ثَمانِيَةَ أَزْواجٍ﴾ أهليّاً ووحشيّاً، من البقر والضّأن والمعز، وبخاتي[2] وعراباً من الإبل؛ كما مرّ بيانه في سورة الأنعام[3]. قال: «إنزاله ذلك خلقه إيّاه»[4]. ﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهاتِكُمْ خَلْقاً مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ﴾: حيواناً سويّاً، من بعد عظام مكسوّة لحماً، من بعد عظام عارية، من بعد مضغة، من بعد علقة، من بعد نطفة. ﴿فِي ظُلُماتٍ ثَلاثٍ﴾ قال: «ظلمة البطن وظلمة الرّحم وظلمة المشيمة»[5]. ﴿ذٰلِكُمُ اللّهُ رَبُّكُمْ لَهُ المُلْكُ لا إِلٰهَ إِلّا هُوَ فَأَنّىٰ تُصْرَفُونَ﴾ يعدل بكم عن عبادته إلى الإشراك.

﴿إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلا يَرْضىٰ لِعِبادِهِ الكُفْرَ﴾ لاستضرارهم به رحمة عليهم ﴿وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ لأنّه سبب فلا حكم. القمّي: فهذا كفر النّعم[6]. و ورد: «الكفر هاهنا الخلاف، والشّكر الولاية والمعرفة»[7]. ﴿وَلا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرىٰ ثُمَّ إِلىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ﴾.

﴿و إِذا مَسَّ الإِنْسانَ ضُرٌّ دَعا رَبَّهُ مُنِيباً إِلَيْهِ﴾ لزوال ما ينازع العقل في الدّلالة على

١ ـ النّساء (٤): ١.
٢ ـ البَخاتي جمع البَخْت ـ بالضمّ ـ الإبل الخراسانيّة. القاموس المحيط ١: ١٤٨ (بخت).
٣ ـ ذيل الآية: ١٤٣ ـ ١٤٤.
٤ ـ الاحتجاج ١: ٣٧٢، عن أمير المؤمنين عليه السلام.
٥ ـ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ٤٩١، عن أبي جعفر عليه السلام.
٦ ـ القمّي ٢: ٢٤٦.
٧ ـ المحاسن: ١٤٩، الباب: ١٩، الحديث: ٦٥.

أنّ مبدأ الكلّ منه سبحانه ﴿ثُمَّ إذا خَوَّلَهُ﴾: أعطاه تفضّلاً، فإنّ التّخويل مختصّ بالتّفضّل. ﴿نِعْمَةً مِنْهُ﴾: من اللّه ﴿نَسِيَ ما كانَ يَدْعُو إلَيْهِ﴾ أي: الضّرّ الّذي كان يدعو اللّه إلى كشفه ﴿مِنْ قَبْلُ﴾: من قبل النّعمة ﴿وَجَعَلَ لِلّهِ أَنْداداً﴾: شركاء ﴿لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلاً إنَّكَ مِنْ أَصْحابِ النّارِ﴾.

قال: «نزلت في أبي الفصيل، إنّه كان رسول اللّه ﷺ عنده ساحراً، فكان إذا مسّه الضّرّ، يعني السّقم "دعا ربّه منيباً إليه"، يعني تائباً إليه من قوله في رسول اللّه ﷺ ما يقول، "ثمّ إذا خوّله نعمة منه"، يعني العافية "نسي ما كان يدعو إليه من قبل"، يعني نسي التّوبة إلى اللّه ممّا كان يقول في رسول اللّه: إنّه ساحر؛ ولذلك قال اللّه عزّوجلّ: "قل تمتّع بكفرك قليلاً إنّك من أصحاب النّار، "يعني إمرتك على النّاس بغير حقّ من اللّه عزّوجلّ ومن رسوله»[1].

﴿أَمَّنْ هُوَ قانِتٌ آناءَ اللَّيْلِ ساجِداً وَقائِماً يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾ قال: «يعني صلاة اللّيل»[2].

وفي الحديث السّابق: «ثمّ عطف القول من اللّه في عليّ عليه السلام، يخبر بحاله وفضله عند اللّه فقال: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ﴾ أنّ محمّداً رسول اللّه ﴿وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾ أنّ محمّداً رسول اللّه، أو أنّه[3] ساحر كذّاب. قال: هذا تأويله»[4]. ﴿إنَّما يَتَذَكَّرُ أُولُوا الأَلْبابِ﴾.

قال: «نحن الّذين يعلمون، وعدوّنا الّذين لا يعلمون، وشيعتنا أُولوا الألباب»[5].

١ ـ الكافي ٨: ٢٠٤، الحديث: ٢٤٦، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٢ ـ علل الشّرائع: ٣٦٤، الباب: ٨٤، ذيل الحديث: ٨، عن أبي جعفر عليه السلام.

٣ ـ في المصدر: «وأنّه».

٤ ـ الكافي ٨: ٢٠٤ ـ ٢٠٥، الحديث: ٢٤٦، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٥ ـ الكافي ٨: ٣٥، قطعة من حديث: ٦، عن أبي عبد اللّه عليه السلام؛ بصائر الدّرجات: ٥٤، الباب: ٢٤، الحديث: ١، عن أبي جعفر عليه السلام.

قال: «هم أُولوا العقول»[1] .

﴿قُلْ يا عِبادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ﴾ بلزوم طاعته ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هٰذِهِ الدُّنْيا حَسَنَةٌ﴾ . الظّرف إمّا متعلّق بـ«أحسنوا» أو بـ«حَسَنَة» ؛ وعلى الأوّل تشمل الحسنةُ حسنةَ الدّارين ، وعلى الثّاني لا ينافي نيلَ حسنةِ الآخرة أيضاً ، وحسنة الدّنيا مثل الصّحّة والعافية .

ورد: «إنّ المؤمن يعمل لثلاث من الثّواب ، إمّا لخير فإنّ اللّه يثيبه بعمله في دنياه ، ثمّ تلا هذه الآية ، ثمّ قال: فمن أعطاهم اللّه في الدّنيا لم يحاسبهم به في الآخرة»[2] .

﴿وَأَرْضُ اللّهِ واسِعَةٌ﴾ فمن تعسّر عليه التّوفّر على الإحسان في وطنه ، فليهاجر إلى حيث تمكّن منه ﴿إِنَّما يُوَفَّى الصّابِرُونَ﴾ على مشاقّ الطّاعة ، من احتمال البلاء ومهاجرة الأوطان لها ﴿أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسابٍ﴾: أجراً لا يهتدي إليه حساب الحُسّاب .

قال: «إذا نشرت الدّواوين ونصبت الموازين لم ينصب لأهل البلاء ميزان ، ولم ينشر لهم ديوان ، ثمّ تلا هذه الآية»[3] .

و ورد: «إذا كان يوم القيامة يقوم عنق من النّاس فيأتون باب الجنّة فيضربونه ، فيقال لهم: من أنتم؟ فيقولون: نحن أهل الصّبر . فيقال: على ما صَبَرْتُم؟ فيقولون: كنّا نصبر على طاعة اللّه ، ونصبر عن معاصي اللّه . فيقول اللّه عزّوجلّ: صدقوا أَدْخِلوهم الجنّة . وهو قول اللّه: "إنّما يوفّى الصّابرون أجرهم بغير حساب"»[4] .

﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ﴾: موحّداً له .

﴿وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ﴾: مقدّمهم في الدّنيا والآخرة .

١ ـ الكافي ١: ٢٠، ذيل الحديث: ١٢، عن موسى بن جعفر، عن حسن بن علي عليهما السلام ؛ القمي ٢: ٢٤٦ .
٢ ـ الأمالي (للشّيخ الطّوسي) ١: ٢٥؛ الأمالي (للشّيخ المفيد): ٢٦٢، قطعة من حديث: ٣ عن أمير المؤمنين عليه السلام .
٣ ـ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ٤٩٢ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام ، عن رسول اللّه صلى الله عليه وآله .
٤ ـ الكافي ٢: ٧٥ ، الحديث: ٤ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .

﴿قُلْ إِنِّي أَخافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي﴾ بترك الإخلاص ﴿عَذابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ .

﴿قُلِ اللّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصاً لَهُ دِينِي﴾ امتثالاً لأمره تعالى .

﴿فَاعْبُدُوا ما شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ﴾ تهديدٌ وخذلان لهم . ﴿قُلْ إِنَّ الخاسِرِينَ﴾: الكاملين في الخسران ﴿الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ﴾ قال: «غبنوا»[1] . ﴿يَوْمَ القِيامَةِ أَلا ذٰلِكَ هُوَ الخُسْرانُ المُبِينُ﴾ .

﴿لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النّارِ﴾: أطباق منها تظلّهم ﴿وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ﴾ . قيل: هي ظلل للآخرين[2] . ﴿ذٰلِكَ يُخَوِّفُ اللّهُ بِهِ عِبادَهُ﴾ ليجتنبوا ما يوقعهم فيه ﴿يا عِبادِ فَاتَّقُونِ﴾ ولا تتعرّضوا لما يوجب سخطي .

﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطّاغُوتَ﴾: البالغ غاية الطّغيان ﴿أَنْ يَعْبُدُوها وَأَنابُوا إِلَى اللّهِ﴾: وأقبلوا إليه بشراشرهم عمّا سواه ﴿لَهُمُ البُشْرىٰ﴾ بالثّواب على ألسنة الرّسل وعلى ألسنة الملائكة ، عند حضور الموت . قال: «أنتم هم ؛ ومن أطاع جبّاراً فقد عبده»[3] . ﴿فَبَشِّرْ عِبادِ﴾ .

﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ القَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾: يميّزون بين الحقّ والباطل ، ويؤثرون الأفضل فالأفضل . ورد: «هو الرّجل يسمع الحديث فيحدّث به كما سمعه ؛ لا يزيد فيه ولا ينقص منه»[4] . ﴿أُولٰئِكَ الَّذِينَ هَداهُمُ اللّهُ﴾ لدينه ﴿وَأُولٰئِكَ هُمْ أُولُوا الأَلْبابِ﴾ .

﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ العَذابِ أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النّارِ﴾ بالسّعي في دعائه إلى الإيمان ؛ إنكار واستبعاد لإنقاذ من حقّ عليه الكلمة ، لأنّه كالواقع في النّار .

﴿لٰكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِنْ فَوْقِها غُرَفٌ مَبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِها

١ ـ القمّي ٢: ٢٤٨ ، عن أبي جعفر عليه السلام .

٢ ـ الكشّاف ٣: ٣٩٢ ؛ البيضاوي ٥: ٢٥ .

٣ ـ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ٤٩٣ ، عن أبي عبد الله عليه السلام .

٤ ـ الكافي ١: ٥١ ، الحديث: ١ ، عن أبي عبد الله عليه السلام .

الأنْهارُ وَعْدَ اللّهِ لا يُخْلِفُ اللّهُ المِيعادَ﴾ .

قال: «تلك غرف بناها اللّه لأوليائه بالدّرّ والياقوت والزّبرجد ، سقوفها الذّهب محبوكة بالفضّة ، لكلّ غرفة منها ألف باب من ذهب ، على كلّ باب ملك موكّل به»[1] الحديث .

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَسَلَكَهُ يَنابِيعَ فِي الأَرْضِ﴾: عيوناً وركايا ﴿ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعاً مُخْتَلِفاً أَلْوانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ﴾: يثور عن منبته بالجفاف ﴿فَتَراهُ مُصْفَرّاً﴾ من يُبْسه ﴿ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطاماً﴾: فُتاتاً ﴿إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَذِكْرىٰ﴾: لتذكيراً بأنّه لا بدّ من صانع حكيم دبّره وسوّاه ، وبأنّه مثل الحياة الدّنيا فلا يغترّوا بها ﴿لِأُولِي الأَلْبابِ﴾ إذ لا يتذكّر به غيرهم .

﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللّهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ﴾ حتّى تمكّن فيه بيسر ﴿فَهُوَ عَلىٰ نُورٍ مِنْ رَبِّهِ﴾ . خبره محذوف ، دلّ عليه ما بعده .

قال: «إنّ النّور إذا وقع في القلب انفسح له وانشرح . قالوا: يا رسول اللّه فهل لذلك علامة يعرف بها؟ قال: التّجافي عن دار الغرور ، والإنابة إلى دار الخلود ، والاستعداد للموت قبل نزوله»[2] .

﴿فَوَيْلٌ لِلْقاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللّهِ﴾: من أجل ذكره ، وهي أشدّ تأبّياً عن قبوله من القاسي عنه بسبب آخر ؛ فـ«من» هنا أبلغ من «عن» . ﴿أُولٰئِكَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾ .

روي: «إنّ الأُولى نزلت في أمير المؤمنين عليه السلام وحمزة ، والثّانية في أبي لهب وولده»[3] .

﴿اللّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الحَدِيثِ﴾ يعني القرآن ﴿كِتاباً مُتَشابِهاً﴾: يشبه بعضه بعضاً في الإعجاز وتجاوب النّظم وصحّة المعنى ، والدّلالة على المنافع العامّة . ﴿مَثانِيَ﴾: «يثنّى

١ ـ الكافي ٨: ٩٧ ، قطعة من حديث: ٦٩ ؛ القمّي ٢: ٢٤٦ ، عن أبي جعفر عليه السلام ، عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله .

٢ ـ روضة الواعظين ٢: ٤٤٨ ، عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله .

٣ ـ تفسير ابن جُزَيّ: ٦٢٤ .

فيه القول» أي: يتكرّر. كذا ورد[1] في أحد وجوه تسمية فاتحة الكتاب بها. ويجوز أن يكون جمع مثن من الثّناء، وإنّما وصف الواحد بالجمع لأنّ الكتاب جملة ذات تفاصيل. وإن جعل "مثاني" تمييزاً لـ "متشابهاً"، يكون المعنى: متشابهة تصاريفه.

قيل: الفائدة في التّكرير والتّثنية: أنّ النّفوس تنفر عن النّصيحة والمواعظ، فما لم يكرّر عليها عوداً بعد بدء لم يرسخ فيها[2].

﴿تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾: تنقبض وتشمئزّ خوفاً ممّا فيه من الوعيد، وهو مَثَلٌ في شدّة الخوف.

ورد: «إذا اقشعرّ جلد العبد من خشية اللّه تتحاتّ عنه ذنوبه كما يتحاتّ عن الشّجرة اليابسة ورقها»[3].

﴿ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾: تطمئنّ إليه بالرّحمة وعموم المغفرة ﴿ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ يخرجه من الضّلال.

﴿أَفَمَنْ يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾: يجعل وجهه درعه يقي به نفسه؛ لأنّ يديه مغلولتان إلى عنقه، فلا يقدر أن يتّقي إلّا بوجهه. وخبره محذوف، أي: كمن هو آمن منه. ﴿وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ﴾ أي: لهم؛ وضع الظّاهر موضعه، تسجيلاً عليهم بالظّلم، وإشعاراً للموجب لما يقال لهم: ﴿ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ أي: وباله.

﴿كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾: من الجهة الّتي كانت لا يخطر ببالهم أنّ الشّرّ يأتيهم منها.

﴿فَأَذَاقَهُمُ اللَّهُ الْخِزْيَ﴾: الذّلّ، كالمسخ والخسف والقتل والسّبي والإجلاء ﴿فِي

١ ـ العيّاشي ١: ٢٢، الحديث: ١٧، عن أبي عبد اللّه عليه السلام؛ العيّاشي ٢: ٢٤٩، الحديث: ٣٤، عن أحدهما عليهما السلام.
٢ ـ الكشّاف ٣: ٣٩٥.
٣ ـ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ٤٩٥؛ زاد المسير ٧: ١٣، عن رسول اللّه صلى الله عليه وآله.

الحَياةِ الدُّنيا وَلَعَذابُ الآخِرَةِ﴾ المعدّ لهم ﴿أَكْبَرُ﴾ لشدّته ودوامه ﴿لَوْ كانُوا يَعْلَمُونَ﴾ لاعتبروا به واجتنبوا عنه.

﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنا لِلنّاسِ فِي هذَا القُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾: يتّعظون به.

﴿قُرْآناً عَرَبِيّاً غَيْرَ ذِي عِوَجٍ﴾: لا اختلال فيه بوجه مّا ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾.

﴿ضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً﴾ للمشرك والموحّد ﴿رَجُلاً فِيهِ شُرَكاءُ مُتَشاكِسُونَ﴾: متنازعون مختلفون ﴿وَرَجُلاً سَلَماً لِرَجُلٍ﴾: خالصاً لواحد ليس لغيره عليه سبيل.

نزلت في أبي بكر وأصحابه وأمير المؤمنين عليه السلام وشيعته. «فإنّ أمير المؤمنين كان سلماً لرسول الله صلى الله عليه وآله وأبا بكر كان يجمع المتفرّقون ولايته، وهم في ذلك يلعن بعضهم بعضاً، ويبرأ بعضهم من بعض». كذا ورد[1].

أقول: الوجه في ذلك: أنّ شيعة أمير المؤمنين عليه السلام كانوا أهل نصّ من الله ورسوله؛ ولا اختلاف فيه؛ ولذلك، اعتقدوه مفترض الطّاعة. وأبو بكر لم يكن سلماً للّه ورسوله؛ لا في أمر الإمارة ولا فيما يبتني عليه من الأحكام، وكان أصحابه أصحاب آراء؛ وهي ممّا يجري فيه الاختلاف.

﴿هَلْ يَسْتَوِيانِ مَثَلاً﴾: صفة وحالاً ﴿الْحَمْدُ لِلّهِ﴾: لا يشاركه في الحمد سواه، لأنّه المنعم بالذّات ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾ فيشركون به غيره لفرط جهلهم.

﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾: فإنّ الكلّ بصدد الموت.

﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ القِيامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾: يخاصم بعضكم بعضاً فيما دار بينكم في الدّنيا.

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جاءَهُ﴾ القمّي: يعني بما جاء به رسول الله صلى الله عليه وآله من الحقّ[2]. ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوىً﴾: مقام ﴿لِلْكافِرِينَ﴾.

١ ـ الكافي ٨: ٢٢٤، الحديث: ٢٨٣، عن أبي جعفر عليه السلام.

٢ ـ القمّي ٢: ٢٤٩.

﴿وَالَّذِي جاءَ بِالصِّدْقِ﴾ قال: «محمّد»[1]. ﴿وَصَدَّقَ بِهِ﴾ قال: «أمير المؤمنين عليه السلام»[2]. ﴿أُولٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾.

﴿لَهُمْ ما يَشاؤُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذٰلِكَ جَزاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾.

﴿لِيُكَفِّرَ اللّٰهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا﴾ فضلاً عن غيره ﴿وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كانُوا يَعْمَلُونَ﴾ فيَعُدُّ لهم محاسن أعمالهم بأحسنها، في زيادة الأجر وعظمه؛ لفرط إخلاصهم فيها.

﴿أَلَيْسَ اللّٰهُ بِكافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾. قيل: قالت قريش: إنّا نخاف أن تخبُلك[3] آلهتنا لعيبك إيّاها[4]. والقمّي: يقولون لك: اعفنا من عليّ، ويخوّفونك بأنّهم يلحقون بالكفّار[5]. ﴿وَمَنْ يُضْلِلِ اللّٰهُ فَما لَهُ مِنْ هادٍ﴾.

﴿وَمَنْ يَهْدِ اللّٰهُ فَما لَهُ مِنْ مُضِلٍّ﴾ إذ لا رادّ لفعله ﴿أَلَيْسَ اللّٰهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقامٍ﴾.

﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمٰواتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللّٰهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ ما تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللّٰهِ إِنْ أَرادَنِيَ اللّٰهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كاشِفاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللّٰهُ﴾ في إصابة الخير ودفع الضرّ.

روي: «إنّه صلى الله عليه وآله سألهم فسكتوا، فنزل ذلك»[6]. ﴿عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ لعلمهم بأنّ الكلّ منه.

﴿قُلْ يا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلىٰ مَكانَتِكُمْ﴾: على حالكم ﴿إِنِّي عامِلٌ﴾ على مكانتي ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾.

١ ـ ٢ ـ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ٤٩٨، عن أئمّة الهدى عليهم السلام؛ القمّي ٢: ٢٤٩.

٣ ـ الخَبْل: الفساد، وقد خَبَلَه وخَبَّلَه، واختَبَلَه: إذا أفسد عقلَه أو عضوه. الصّحاح ٤: ١٦٨٢ (خبل).

٤ ـ الكشّاف ٣: ٣٩٨؛ البيضاوي ٥: ٢٨.

٥ ـ القمّي ٢: ٢٤٩.

٦ ـ الكشّاف ٣: ٣٩٩؛ البيضاوي ٥: ٢٨.

﴿مَنْ يَأْتِيهِ عَذابٌ يُخْزِيهِ﴾ ؛ من المغلوب في الدّارين ، فإنّ خزي أعدائه دليل غلبته وقد أخزاهم اللّه يوم بدر . ﴿وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذابٌ مُقِيمٌ﴾: دائم ، وهو عذاب النّار .

﴿إِنّا أَنْزَلْنا عَلَيْكَ الكِتابَ لِلنّاسِ﴾: لمصالحهم في معاشهم ومعادهم ﴿بِالحَقِّ﴾ متلبّساً به ﴿فَمَنِ اهْتَدىٰ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّما يَضِلُّ عَلَيْها وَما أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾ لتجبرهم على الهدى ، وإنّما عليك البلاغ .

﴿اللّهُ يَتَوَفَّى الأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِها وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنامِها﴾ أي: يقبضها عن الأبدان بأن يقطع تعلّقها عنها وتصرّفها فيها ظاهراً وباطناً ؛ وذلك عند الموت ، أو ظاهراً لا باطناً ؛ وهو في النّوم . ﴿فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضىٰ عَلَيْهَا المَوْتَ﴾: لا يردّها إلى البدن ﴿وَيُرْسِلُ الأُخْرىٰ﴾ أي: النّائمة إلى بدنها عند اليقظة ﴿إِلىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ هو الوقت المضروب لموته ﴿إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآياتٍ﴾ على كمال قدرته وحكمته وشمول رحمته ﴿لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ .

ورد: «ما من أحد ينام إلّا عرجت نفسه إلى السّماء وبقيت روحه في بدنه ، وصار بينهما سبب كشعاع الشّمس ، فإن أذن اللّه في قبض الرّوح أجابت الرّوح النّفس ، وإن أذن اللّه في ردّ الرّوح أجابت النّفس الرّوح ؛ وهو قوله سبحانه: "اللّه يتوفّى الأنفس" الآية . فما رأت في ملكوت السّماوات فهو ممّا له تأويل ، وما رأت فيما بين السّماء والأرض فهو ممّا يخيّله الشّيطان ولا تأويل له»[1] .

﴿أَمِ اتَّخَذُوا﴾: بل اتّخذ قريش ﴿مِنْ دُونِ اللّهِ شُفَعاءَ﴾ تشفع لهم عند اللّه ﴿قُلْ أَوَلَوْ كانُوا﴾: أيشفعون ولو كانوا ﴿لا يَمْلِكُونَ شَيْئاً وَلا يَعْقِلُونَ﴾ .

﴿قُلْ لِلّهِ الشَّفاعَةُ جَمِيعاً﴾: لا يشفع أحدٌ إلّا بإذنه ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمٰواتِ وَالأَرْضِ﴾ لا يملك أحد أن يتكلّم في أمره دون إذنه ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ .

﴿وَإِذا ذُكِرَ اللّهُ وَحْدَهُ﴾ دون آلهتهم ﴿اشْمَأَزَّتْ﴾: انقبضت ونفرت ﴿قُلُوبُ الَّذِينَ

---

١ ـ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ٥٠١ ، عن أبي جعفر عليه السلام .

لا يُـؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ وَإذا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إذا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ .

قال: «"إذا ذكر اللّه وحده" بطاعة من أمَرَ اللّه بطاعته من آل محمّد "اشمأزّت قلوب الّذين لا يؤمنون بالآخرة ، وإذا ذكر الّذين" لم يأمر اللّه بطاعتهم "إذا هم يستبشرون"»[1] .

﴿قُلِ اللَّهُمَّ فاطِرَ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ عالِمَ الغَيْبِ وَالشَّهادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبادِكَ فِيما كانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾: فأنت وحدك تحكم بيني وبينهم ، فإنّي تحيّرت في كفرهم ، وعجزت في عنادهم وشدّة شكيمتهم .

﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ما فِي الأَرْضِ جَمِيعاً وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ العَذابِ يَوْمَ القِيامَةِ﴾ . وعيدٌ شديد ، وإقناط كلّيّ لهم من الخلاص ﴿وَبَدا لَهُمْ مِنَ اللّٰهِ ما لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾ . زيادة مبالغة فيه ، وهو نظير قوله: "فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ ما أُخْفِيَ لَهُمْ من قرّة أعينٍ"[2] في الوعد .

﴿وَبَدا لَهُمْ سَيِّئاتُ ما كَسَبُوا وَحاقَ بِهِمْ ما كانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾: وأحاط بهم جزاؤه .

﴿فَإذا مَسَّ الإنْسانَ ضُرٌّ دَعانا ثُمَّ إذا خَوَّلْناهُ نِعْمَةً مِنّا﴾: أعطيناه إيّاها تفضّلاً ﴿قالَ إنَّما أُوتِيتُهُ عَلىٰ عِلْمٍ﴾: على علم منّي بوجوه كسبه ، أو بأنّي سأُعطاه لما لي من استحقاقه . كذا قيل[3] . ﴿بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ﴾: امتحان له أيشكر أم يكفر ﴿وَلٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾ ذلك .

﴿قَدْ قالَها الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ يعني هذه الكلمة ، قارون قاله ورضي به قومه .

﴿فَما أَغْنىٰ عَنْهُمْ ما كانُوا يَكْسِبُونَ﴾.

﴿فَأَصابَهُمْ سَيِّئاتُ ما كَسَبُوا وَالَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ بالعتوّ ﴿مِنْ هٰؤُلاءِ﴾ المشركين

---

١ ـ الكافي ٨: ٣٠٤ ، الحديث: ٤٧١ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .

٢ ـ السّجدة (٣٢): ١٧ .

٣ ـ الكشّاف ٣: ٤٠٢ ، البيضاوي ٥: ٣٠ .

﴿سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئاتُ ما كَسَبُوا﴾ كما أصاب أُولئك ، وقد أصابهم ، فإنّهم قحطوا سبع سنين ، وقتل ببدر صناديدهم . ﴿وَما هُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾: فائتين .

﴿أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللّٰهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ .

﴿قُلْ يا عِبادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلىٰ أَنْفُسِهِمْ﴾: أفرطوا في الجناية عليها بالإسراف في المعاصي ﴿لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللّٰهِ إِنَّ اللّٰهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ .

قال: «واللّٰه ما أراد بهذا غيركم»[1] .

والقمّي: نزلت في شيعة عليّ بن أبي طالب خاصّة[2] .

و ورد: «ما في القرآن آية أوسع منها»[3] .

﴿وَأَنِيبُوا إِلىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذابُ ثُمَّ لا تُنْصَرُونَ﴾ .

﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ ما أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لا تَشْعُرُونَ﴾ .

﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ﴾: كراهة أن تقول ﴿يا حَسْرَتا عَلىٰ ما فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللّٰهِ﴾: في حقّه وطاعته وقربه .

قال: «جنب اللّٰه عليّ عليه السلام ، وهو حجّة اللّٰه على الخلق يوم القيامة»[4] . وفي رواية: «في ولاية عليّ»[5] . ورد: «نحن جنب اللّٰه»[6] .

١ـ الكافي ٨: ٣٥ ، قطعة من حديث: ٦ ، عن أبي عبد اللّٰه عليه السلام .

٢ـ القمّي ٢: ٢٥٠ .

٣ـ مجمع البيان ٧ـ٨: ٥٠٣ ، عن أمير المؤمنين عليه السلام .

٤ـ المناقب ٣: ٢٧٣ ، عن السّجاد والباقر والصادق عليهم السلام .

٥ـ المصدر ، عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام .

٦ـ كمال الدّين ١: ٢٠٦ ، الباب: ٢١ ، الحديث: ٢٠ ، عن أبي جعفر عليه السلام ؛ القمّي ٢: ٢٥١ ، عن أبي عبد اللّٰه عليه السلام .

وفي أُخرى: «ألا ترى أنك تقول: فلان إلى جنب فلان، إذا أردت أن تصف قربه منه»[١]

﴿وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السّاخِرِينَ﴾: المستهزئين بأهله، يعني فرّطت وأنا ساخر.

﴿أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللّٰهَ هَدانِي﴾ بالإرشاد إلى الحق ﴿لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ الشرك والمعاصي.

﴿أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى العَذابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ في العقيدة والعمل، و«أو» للدلالة على أنّه لا يخلو من هذه الأقوال، تحيّراً أو تعلّلاً بما لا طائل تحته.

﴿بَلىٰ قَدْ جاءَتْكَ آياتِي فَكَذَّبْتَ بِها وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الكافِرِينَ﴾. ردّ من الله عليه لما تضمّنه قوله "لو أنّ اللّه هداني"، من معنى النّفي. القمّي: يعني بالآيات الائمّة عليهم السلام[٢].

﴿وَيَوْمَ القِيامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللّٰهِ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ﴾.

قال: «من ادّعى أنّه إمام وليس بإمام. قيل: وإن كان علويّاً فاطميّاً؟ قال: وإن كان علويّاً فاطميّاً»[٣].

﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوىً﴾: مقام ﴿لِلْمُتَكَبِّرِينَ﴾.

﴿وَيُنَجِّي اللّٰهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفازَتِهِمْ﴾: بفلاحهم ﴿لا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

﴿اللّٰهُ خالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾: يتولّى التّصرّف فيه.

﴿لَهُ مَقالِيدُ السَّمٰواتِ وَالأَرْضِ﴾: مفاتيحها، لا يملك أمرها ولا يتمكّن من التّصرّف فيها غيره؛ وهو كناية عن قدرته وحفظه لها. ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآياتِ اللّٰهِ أُولٰئِكَ

١ ـ الاحتجاج ١: ٣٧٦، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

٢ ـ القمّي ٢: ٢٥١.

٣ ـ المصدر، عن أبي عبد الله عليه السلام.

هُمُ الخاسِرُونَ ﴾ .

﴿ قُلْ أَفَغَيْرَ اللّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّها الجاهِلُونَ ﴾ .

روي: «إنّهم قالوا: استلم بعض آلهتنا نؤمن بإلهك ، فنزلت»[١] .

﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الخاسِرِينَ ﴾ .

﴿ بَلِ اللّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشّاكِرِينَ ﴾ القمّي: هذه مخاطبة للنّبيّ والمعنيّ لأُمّته[٢] .

و ورد: «يعني: إن أشرك في الولاية غيره ، "بل اللّه فاعبد" يعني بالطّاعة ، "وكن من الشّاكرين" بأن عضدتك بأخيك وابن عمّك»[٣] .

﴿ وَما قَدَرُوا اللّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾: ما قدروا عظمته في أنفسهم حقّ تعظيمه ، حيث وصفوه بما لا يليق به .

قال: «لمّا شبّهه العادلون بالخلق المبعّض ، المحدود في صفاته ، ذي الأقطار والنّواحي المختلفة في طبقاته ، وكان عزّوجلّ الموجود بنفسه لا بأداته ؛ انتفى أن يكون قَدَروه حقّ قَدْرِه ، فقال تنزيهاً لنفسه عن مشاركة الأنداد ، وارتفاعها عن قياس المقدّرين له بالحدود من كَفَرَةِ العباد: "وما قدروا اللّه حقّ قدره"»[٤] .

وقد مرّ فيه حديث آخر في الأنعام[٥] .

﴿ وَالأَرْضُ جَميعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ القِيامَةِ ﴾ قال: «يعني مِلكه لا يملكها معه أحد»[٦] .

١ ـ جوامع الجامع ٤١٤ ؛ الكشاف ٣: ٤٠٧ ؛ البيضاوي ٥: ٣٢ .

٢ ـ القمّي ٢: ٢٥١ .

٣ ـ الكافي ١: ٤٢٧ ، الحديث: ٧٦ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .

٤ ـ التّوحيد: ٥٥ ، الباب: ٢ ، قطعة من حديث: ١٣ ، عن أبي عبد اللّه ، عن أمير المؤمنين عليهما السلام .

٥ ـ ذيل الآية: ٩١ .

٦ ـ التّوحيد: ١٦١ ، الباب: ١٧ ، الحديث: ٢ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .

﴿وَالسَّمٰوٰاتُ مَطْوِيّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ قال: «يعني بقدرته وقوّته»[١].

قيل: هو تنبيه على عظمته وحقارة المخلوقات العظام الّتي تتحيّر فيها الأوهام، بالإضافة إلى قدرته، ودلالة على أنّ تخريب العالم أهون شيء عليه[٢].

﴿سُبْحانَهُ وَتَعالىٰ عَمّا يُشْرِكُونَ﴾.

﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ يعني المرّة الأُولى ﴿فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمٰوٰاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾: خرّوا ميّتين ﴿إِلّا مَنْ شاءَ اللّٰهُ﴾.

روي: «هم جبرئيل وميكائيل واسرافيل وملك الموت»[٣].

وفي رواية: «هم الشّهداء متقلّدون أسيافهم حول العرش»[٤].

﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرىٰ فَإِذا هُمْ قِيامٌ يَنْظُرُونَ﴾: قائمون من قبورهم يقلّبون أبصارهم.

﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّها﴾. قال: «ربّ الأرض إمام الأرض. قيل: فإذا خرج يكون ماذا؟ قال: إذاً يستغني النّاس عن ضوء الشّمس ونور القمر، ويجتزؤون بنور الإمام»[٥]. ﴿وَوُضِعَ الْكِتابُ﴾ للحساب ﴿وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَداءِ﴾ القمّي: الشّهداء: الأئمّة[٦]. ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾: بين العباد ﴿بِالْحَقِّ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾.

﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ ما عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِما يَفْعَلُونَ﴾.

﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلىٰ جَهَنَّمَ زُمَراً﴾: أفواجاً متفرّقة بعضها في أثر بعض، على تفاوت أقدامهم في الضّلالة والشّرارة. ﴿حَتّىٰ إِذا جاؤُوها فُتِحَتْ أَبْوابُها وَقالَ لَهُمْ خَزَنَتُها أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آياتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقاءَ يَوْمِكُمْ هٰذا قالُوا بَلىٰ

١ ـ التّوحيد: ١٦٢، الباب: ١٧، ذيل الحديث: ٢، عن أبي عبد الله عليه السلام.
٢ ـ البيضاوي ٥: ٣٢.
٣ ـ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ٥٠٨؛ جامع البيان (للطبري) ٢٤: ٢٠؛ الكشّاف ٣: ١٦١؛ البيضاوي ٤: ١٢٢.
٤ ـ المصدر، عن رسول الله صلى الله عليه وآله.
٥ ـ القمّي ٢: ٢٥٣، عن أبي عبد الله عليه السلام.
٦ ـ المصدر.

وَلٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ العَذابِ عَلَى الكافِرِينَ﴾: كلمة اللّه بالعذاب، وهو الحكم عليهم بالشّقاوة، وأنّهم من أهل النّار.

﴿قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوابَ جَهَنَّمَ خالِدِينَ فِيها فَبِئْسَ مَثْوَى المُتَكَبِّرِينَ﴾. قد مرّ بيان أبواب جهنّم في سورة الحجر[1].

﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الجَنَّةِ﴾ إسراعاً بهم إلى دار الكرامة راكبين ﴿زُمَراً﴾: على تفاوت مراتبهم في الشّرف وعلوّ الطّبقة ﴿حَتَّىٰ إِذا جاؤُوها وَ فُتِحَتْ أَبْوابُها﴾ حذف جواب «إذا» للدّلالة على أنّ لهم حينئذ من الكرامة والتّعظيم ما لا يحيط به الوصف، وأنّ أبواب الجنّة تُفْتَحُ لهم قبل مجيئهم منتظرين. ﴿وَقالَ لَهُمْ خَزَنَتُها سَلامٌ عَلَيْكُمْ﴾: لا يَعْتَريكم بَعْدُ مكروهٌ ﴿طِبْتُمْ﴾: طهرتم من دنس المعاصي. والقمّي: أي طاب مواليدكم؛ لأنّه لا يدخل الجنّة إلّا طيّب المولد[2]. ﴿فَادْخُلُوها خالِدِينَ﴾.

ورد: «أحسنوا الظّنّ باللّه، واعلموا أنّ للجنّة ثمانية أبواب، عَرْضُ كلِّ بابٍ منها مسيرة أربعمائة سنة»[3].

﴿وَقالُوا الحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي صَدَقَنا وَعْدَهُ﴾ بالبعث والثّواب ﴿وَأَوْرَثَنا الأَرْضَ﴾ قال: «يعني أرضَ الجنّة»[4]. ﴿نَتَبَوَّأُ مِنَ الجَنَّةِ حَيْثُ نَشاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ العامِلِينَ﴾ الجنّة.

﴿وَتَرَى المَلائِكَةَ حافِّينَ﴾: مُحدِقينَ ﴿مِنْ حَوْلِ العَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾: ذاكرين له بوصفَيْ جلاله وإكرامه تلذّذاً به. وفيه إشعار بأنّ منتهى درجات العلّيّين، وأعلى لذائذهم هو الاستغراق في صفات الحقّ سبحانه. ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالحَقِّ وَقِيلَ الحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ العالَمِينَ﴾ أي: على ما قضى بيننا بالحقّ؛ والقائلون هم المؤمنون.

١ـ ذيل الآية: ٤٤.

٢ـ القمّي ٢: ٢٥٤.

٣ـ الخصال ٢: ٤٠٨، الحديث: ٧، عن أبي جعفر ﷺ، وفيه: «مسيرة أربعين سنة».

٤ـ القمّي ٢: ٢٥٤، عن أبي جعفر ﷺ.

سورة المؤمن[1]

[مكيّة، إلّا آيتي ٥٦ و ٥٧ فمدنيّتان، وآياتها خمس وثمانون آية][2]

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم

﴿حمٓ﴾ سبق تأويل أمثاله[3]

﴿تَنْزِيلُ الكِتابِ مِنَ اللّٰهِ العَزِيزِ العَلِيمِ﴾.

﴿غافِرِ الذَّنْبِ وَقابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ العِقابِ ذِي الطَّوْلِ﴾: ذي الفضل بترك العقاب المستحقّ ﴿لا إِلٰهَ إِلّا هُوَ﴾ فيجب الإقبال الكلّيّ على عبادته ﴿إِلَيْهِ المَصِيرُ﴾ فيجازي المطيعَ والعاصي.

﴿ما يُجادِلُ فِي آياتِ اللّٰهِ﴾ بالطّعن فيها وإدحاض[4] الحقّ ﴿إِلّا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾.

قال: «لُعِنَ المجادلون في دين الله على لسان سبعين نبيّاً، ومن جادل في آيات الله فقد كفر، ثمّ تلا هذه الآية»[5].

١ ـ في «ب»: «سورة غافر».

٢ ـ ما بين المعقوفتين من «ب».

٣ ـ البقرة (٢): ١.

٤ ـ دَحَضَتْ: بطلت. الصّحاح ٣: ١٠٧٦ (دحض).

٥ ـ كمال الدّين ١: ٢٥٦، الباب: ٢٤، الحديث: ١، عن رسول الله ﷺ.

﴿فَلا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلادِ﴾ بالتّجارات المربحة، فإنّهم مأخوذون عن قريب بكفرهم أخْذَ مَنْ قَبْلَهُمْ.

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالأَحْزابُ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾: والّذين تحزّبوا على الرّسل، وناصبوهم بعد قوم نوحٍ كعادٍ وثمود. ﴿وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ﴾ من هؤلاء ﴿بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ﴾: ليتمكّنوا من إصابته بما أرادوا من تعذيب. ﴿وَجادَلُوا بِالْباطِلِ﴾: بما لا حقيقة له ﴿لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ﴾: ليزيلوا به ﴿فَأَخَذْتُهُمْ﴾ بالإهلاك جزاء لهمّهم ﴿فَكَيْفَ كانَ عِقابِ﴾ فإنّكم تتلون قصصهم في القرآن.

﴿وَكَذلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحابُ النّارِ﴾ قال: «يعني بني أُميّة»[1].

﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ قال: «آمنوا بولايتنا»[2].

و ورد: «إنّ للّه ملائكة يُسْقِطون الذّنوب عن ظهور شيعتنا، كما يُسْقِطُ الرّيحُ الورقَ في أوان سقوطه، وذلك قوله تعالى: "الّذين يحملون العرش" الآية. قال: استغفارهم واللّه لكم دون هذا الخلق»[3].

﴿رَبَّنا﴾: يقولون ربّنا ﴿وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْماً فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذابَ الْجَحِيمِ﴾.

﴿رَبَّنا وَأَدْخِلْهُمْ جَنّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبائِهِمْ وَأَزْواجِهِمْ وَذُرِّيّاتِهِمْ﴾ ليتمّ سرورهم ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ﴾: الّذي لا يمتنع عليه مقدور ﴿الْحَكِيمُ﴾:

١ ـ القمّي ٢: ٢٥٥، عن أبي جعفر عليه السلام.

٢ ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ١: ٢٦٢، الباب: ٢٦، الحديث: ٢٢، عن الرّضا، عن آبائه، عن رسول اللّه صلوات اللّه عليهم.

٣ ـ الكافي ٨: ٣٤، قطعة من حديث: ٦، عن أبي عبد اللّه عليه السلام؛ وفيه: ٣٠٤، الحديث: ٤٧٠، عنه عليه السلام، مع تفاوت في ذيل الحديث.

الّذي لا يفعل إلّا ما تقتضيه حكمته، ومن ذلك الوفاء بالوعد.

﴿وَقِهِمُ السَّيِّئاتِ﴾: العقوبات ﴿وَمَنْ تَقِ السَّيِّئاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنادَوْنَ لَمَقْتُ اللّهِ﴾ إيّاكم ﴿أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ الأمّارة بالسّوء ﴿إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الإِيمانِ فَتَكْفُرُونَ﴾.

﴿قالُوا رَبَّنا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ﴾. قال: «ذلك في الرّجعة»[١].

أقول: لعلّ المراد أنّ التّثنية إنّما تتحقّق بالرّجعة، أو يقولون ذلك في الرّجعة، بحسب الإماتة والإحياء اللّتين في القبر للسّؤال.

﴿فَاعْتَرَفْنا بِذُنُوبِنا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ﴾: فهل إلى نوعِ خروجٍ من العذاب طريقٌ فنسلكه؟.

﴿ذٰلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذا دُعِيَ اللّهُ وَحْدَهُ﴾ قال: «يقول: إذا ذكر اللّه وحده بولاية من أمر اللّه بولايته»[٢]. ﴿كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكْ بِهِ﴾ قال: «من ليست له ولاية»[٣]. ﴿تُؤْمِنُوا﴾ قال: «بأنّ له ولاية»[٤]. ﴿فَالْحُكْمُ لِلّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ﴾.

﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آياتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّماءِ رِزْقاً وَما يَتَذَكَّرُ إِلّا مَنْ يُنِيبُ﴾: يرجع من الإنكار بالإقبال عليها والتّفكّر فيها.

﴿فَادْعُوا اللّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ من الشّرك ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْكافِرُونَ﴾ إخلاصكم وشقّ عليهم.

﴿رَفِيعُ الدَّرَجاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ﴾ القمّي: روح القدس، وهو خاصّ برسول اللّه والأئمّة عليهم السلام[٥]. ﴿لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلاقِ﴾ قال:

١ و ٢ و ٣ و ٤ ـ القمّي ٢: ٢٥٦، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٥ ـ القمّي ٢: ٢٥٦.

«يوم يلتقي أهل السّماء وأهل الأرض»[١].

﴿يَوْمَ هُمْ بارِزُونَ﴾: خارجون من قبورهم لا يسترهم شيء ﴿لا يَخْفىٰ عَلَى اللّٰهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ﴾ من أعيانهم وأعمالهم وأحوالهم. ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلّٰهِ الواحِدِ القَهّارِ﴾. حكاية لما يسأل عنه ولما يجاب به، بما دلّ عليه ظاهر الحال فيه من زوال الأسباب وارتفاع الوسائط، وأمّا حقيقة الحال فناطقة بذلك دائماً.

﴿الْيَوْمَ تُجْزىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِما كَسَبَتْ لا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللّٰهَ سَرِيعُ الْحِسابِ﴾.

قال: «يقول اللّه: "لمن الملك اليوم" ثمّ تَنْطِقُ أرواحُ أنبيائه ورسله وحججه فيقولون: "للّه الواحد القهّار" فيقول اللّه جلّ جلاله: "اليوم تجزى"»[٢].

وفي رواية أُخرى: «فيردّ اللّه على نفسه، "للّه الواحد القهّار"»[٣].

﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الآزِفَةِ﴾ أي: القيامة؛ سمّيت بها لأزوفها، أي: قربها. ﴿إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَناجِرِ﴾ فإنّها ترتفع عن أماكنها فتلتصق بحلوقهم، فلا تعود فتتروّحوا، ولا تخرج فتستريحوا. ﴿كاظِمِينَ﴾ على الغمّ ﴿ما لِلظّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ﴾: قريب مشفق ﴿وَلا شَفِيعٍ يُطاعُ﴾: يشفع.

ورد: «من لم يَنْدَمْ على ذنب يرتكبه، فليس بمؤمن، ولم تجب له الشّفاعة، وكان ظالماً، واللّه تعالى يقول: "ما للظّالمين من حميم" الآية»[٤].

﴿يَعْلَمُ خائِنَةَ الأَعْيُنِ﴾: استراق النّظر. سئل عن معناها، فقال: «ألم تر إلى الرّجل ينظر إلى الشّيء وكأنّه لا ينظر إليه، فذلك خائنة الأعين»[٥]. ﴿وَما تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ من

١ ـ معاني الأخبار: ١٥٦، الحديث: ١، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٢ ـ التّوحيد: ٢٣٤، الباب: ٣٢، ذيل الحديث الطّويل: ١، عن أبي الحسن الرّضا، عن أبيه، عن جدّه، عن أمير المؤمنين عليهم السلام.

٣ ـ القمّي ٢: ٢٥٧، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٤ ـ التّوحيد: ٤٠٨، الباب: ٦٣، الحديث: ٦، عن موسى بن جعفر عليهما السلام.

٥ ـ معاني الأخبار: ١٤٧، الحديث: ١، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

الضمائر .

﴿وَاللَّهُ يَقْضِي بِالحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾ . تقرير لعلمه بخائنة الأعين وقضائه بالحقّ ، ووعيد لهم على ما يقولون ويفعلون ، وتعريض بحال ما يدعون من دونه .

﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ﴾: أرض القرآن ﴿فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الَّذِينَ كانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثاراً فِي الأَرْضِ﴾ مثل القِلاع والمدائن الحصينة ﴿فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَما كانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ واقٍ﴾ .

﴿ذٰلِكَ﴾ الأخذ ﴿بِأَنَّهُمْ كانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالبَيِّناتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ العِقابِ﴾ .

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنا مُوسىٰ بِآياتِنا﴾: بالمعجزات ﴿وَسُلْطانٍ مُبِينٍ﴾: وحجّة قاهرة ظاهرة .

﴿إِلىٰ فِرْعَوْنَ وَهامانَ وَقارُونَ فَقالُوا ساحِرٌ كَذّابٌ﴾ .

﴿فَلَمّا جاءَهُمْ بِالحَقِّ مِنْ عِنْدِنا قالُوا اقْتُلُوا أَبْناءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِساءَهُمْ﴾ أي: أعيدوا عليهم ما كنتم تفعلون بهم أوّلاً ، كي يصدّوا عن مظاهرة موسى . ﴿وَما كَيْدُ الكافِرِينَ إِلّا فِي ضَلالٍ﴾: في ضياع .

﴿وَقالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُ﴾ قاله تجلّداً وعدم مبالاة بدعائه .

قيل: كانوا يكفّونه عن قتله ويقولون: إنّه ليس الّذي تخافه بل هو ساحر ، ولو قتلته ظنّ أنّك عجزت عن معارضته بالحجّة . وتعلّله بذلك ـ مع كونه سفّاكاً في أهون شيء ـ دليل على أنّه تيقّن أنّه نبيّ ؛ فخاف من قتله ؛ أو ظنّ أنّه لو حاوله لم يتيسّر له[1] .

سئل: ما كان يمنعه؟ قال: «منعته رشدته ، ولا يَقتُلُ الأنبياءَ ولا أولادَ الأنبياء إلّا أولاد الزّنا[2] .

١ ـ البيضاوي ٥: ٣٧ .

٢ ـ علل الشّرائع ١: ٥٨ ، الباب: ٥٢ ، الحديث: ١ ، عن أبي عبد الله عليه السلام .

﴿إِنِّي أَخافُ﴾ إن لم أقتله ﴿أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسادَ﴾ ما يفسد دنياكم من التّحارب والتّهارج.

﴿وَقالَ مُوسىٰ﴾ أي: لقومه لمّا سمع كلامه ﴿إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسابِ﴾.

﴿وَقالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾: من أقربائه، واسمه «حزقيل». كما ورد[1]. قال: «ابن خاله»[2]. وفي رواية: «ابن عمّه»[3]. ولاتنافي بينهما. ﴿يَكْتُمُ إِيمانَهُ﴾ القمّي: كتم إيمانه ستّمائة سنة[4]. ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَنْ يَقُولَ﴾: لأن يقول. ﴿رَبِّيَ اللّٰهُ وَقَدْ جاءَكُمْ بِالْبَيِّناتِ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ أضافه إليهم بعد ذكر البيّنات، احتجاجاً عليهم واستدراجاً لهم إلى الاعتراف به، ثمّ أخذهم بالاحتجاج من باب الاحتياط. ﴿وَإِنْ يَكُ كاذِباً فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ﴾: لا يتخطّاه وَبالُ كِذْبِه، فيحتاج في دفعه إلى قتله. ﴿وَإِنْ يَكُ صادِقاً يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ﴾: فلا أقلّ من أن يصيبكم بعضه. وفيه مبالغةٌ في التّحذير، وإظهارٌ للإنصاف وعدم التّعصّب، ولذلك قدّم كونه كاذباً.

﴿إِنَّ اللّٰهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذّابٌ﴾. قيل: احتجاج ثالث ذو وجهين: أحدهما: أنّه لو كان مسرفاً كذّاباً لما هداه اللّه إلى البيّنات، ولما عضده بتلك المعجزات. وثانيهما: أنّ من خذله اللّه وأهلكه فلا حاجة لكم إلى قتله. ولعلّه أراد به المعنى الأوّل، وخيّل إليهم الثّاني لتلين شكيمتهم، وعرّض به فرعون بأنّه مسرف كذّاب[5].

﴿يا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظاهِرِينَ﴾: غالبين عالين ﴿فِي الْأَرْضِ﴾: أرض مصر

١ ـ الأمالي (للصدوق) ٣٨٥، المجلس: ٧٢، الحديث: ١٨، عن رسول اللّه ﷺ؛ الاحتجاج ٢: ١٣١، عن أبي عبد اللّه ؏.

٢ ـ عيون أخبار الرّضا ؏ ١: ٢٤٠، الباب: ٢٣، الحديث: ١، وفيه: «ابن خال فرعون».

٣ ـ الاحتجاج ٢: ١٣١، عن أبي عبد اللّه ؏.

٤ ـ القمّي ٢: ٢٥٧.

٥ ـ البيضاوي ٥: ٣٨.

﴿فَمَنْ يَنْصُرُنا مِنْ بَأْسِ اللّٰهِ إِنْ جاءَنا﴾ أي: فلا تفسدوا أمركم ولا تتعرّضوا لبأس اللّه بقتله، فإنّه إن جاءنا لم يمنعنا منه أحد؛ وإنّما أدرج نفسه فيه ليريهم أنّه معهم ومساهمهم فيما ينصح لهم. ﴿قالَ فِرْعَوْنُ ما أُرِيكُمْ﴾: ما أشير إليكم ﴿إِلّا ما أَرىٰ﴾ واستصوبه من قتله ﴿وَما أَهْدِيكُمْ إِلّا سَبِيلَ الرَّشادِ﴾.

﴿وَقالَ الَّذِي آمَنَ يا قَوْمِ إِنِّي أَخافُ عَلَيْكُمْ﴾ في تكذيبه والتعرّض له ﴿مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزابِ﴾: مثل أيّام الأُمم الماضية المتحزّبة على الرّسل، يعني وقائعهم. وجمع «الأحزاب» مع التفسير أغنى عن جمع «اليوم».

﴿مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعادٍ وَثَمُودَ﴾: مثل سنّة اللّه فيهم حين استأصله؛ جزاء بما كانوا عليه من الكفر وإيذاء الرّسل. ﴿وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ كقوم لوط ﴿وَمَا اللّٰهُ يُرِيدُ ظُلْماً لِلْعِبادِ﴾ يعاقبهم بغير ذنب، ولا يخلي الظّالم منهم بغير انتقام.

﴿وَيا قَوْمِ إِنِّي أَخافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنادِ﴾ قال: «يوم ينادي أهل النّار أهل الجنّة: أفيضوا علينا من الماء، أو ممّا رزقكم اللّه»[١].

﴿يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ ما لَكُمْ مِنَ اللّٰهِ مِنْ عاصِمٍ﴾ يعصمكم من عذابه ﴿وَمَنْ يُضْلِلِ اللّٰهُ فَما لَهُ مِنْ هادٍ﴾.

﴿وَلَقَدْ جاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ﴾: من قبل موسى ﴿بِالْبَيِّناتِ﴾: بالمعجزات ﴿فَما زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمّا جاءَكُمْ بِهِ﴾ من الدّين. ﴿حَتّىٰ إِذا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللّٰهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولاً كَذٰلِكَ يُضِلُّ اللّٰهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتابٌ﴾

﴿الَّذِينَ يُجادِلُونَ فِي آياتِ اللّٰهِ بِغَيْرِ سُلْطانٍ﴾: بغير حجّة ﴿أَتاهُمْ﴾ بل إمّا بتقليد أو شبهة داحضة[٢] ﴿كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللّٰهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذٰلِكَ يَطْبَعُ اللّٰهُ عَلىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبّارٍ﴾.

١ـ معاني الأخبار: ١٥٦، الحديث: ١، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٢ـ دَحَضَ الحجّةُ: بَطَلَتْ. القاموس المحيط ٢: ٣٤٣ (دحض).

﴿وَقالَ فِرْعَوْنُ يا هامانُ ابْنِ لِي صَرْحاً﴾: بناءً مكشوفاً عالياً ؛ مِن صَرَحَ الشّيء: إذا ظَهَرَ . ﴿لَعَلّي أَبْلُغُ الأَسْبابَ﴾: الطّرق .

﴿أَسْبابَ السَّمٰواتِ فَأَطَّلِعَ إِلىٰ إِلٰهِ مُوسىٰ وَإِنّي لَأَظُنُّهُ كاذِباً﴾ في دعوى الرّسالة . ﴿وَكَذٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَما كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلّا فِي تَبابٍ﴾: في خسار .

﴿وَقالَ الَّذِي آمَنَ يا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشادِ﴾ .

﴿يا قَوْمِ إِنَّما هٰذِهِ الحَياةُ الدُّنْيا مَتاعٌ﴾: تمتّع يسير لسرعة زوالها ﴿وَإِنَّ الآخِرَةَ هِيَ دارُ القَرارِ﴾ لخلودها .

﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلا يُجْزىٰ إِلّا مِثْلَها﴾ عدلاً من الله ﴿وَمَنْ عَمِلَ صالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولٰئِكَ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيها بِغَيْرِ حِسابٍ﴾: بغير تقدير وموازنة بالعمل ، بل أضعافاً مضاعفة ، فضلاً من الله ورحمة .

﴿وَيا قَوْمِ ما لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النّارِ﴾ .

﴿تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللّٰهِ وَأُشْرِكَ بِهِ ما لَيْسَ لِي بِهِ﴾: بربوبيّته ﴿عِلْمٌ﴾ والمراد نفي المعلوم ، والإشعار بأنّ الأُلوهيّة ، لابدّ لها من برهان ؛ واعتقادها لا يصحّ إلّا عن إيقان .

﴿وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى العَزِيزِ الغَفّارِ﴾ المستجمع لصفات الأُلوهيّة من كمال القدرة والغلبة والتّمكّن من المجازاة ، والقدرة على التّعذيب ، والغفران .

﴿لا جَرَمَ﴾ «لا» ردّ لما دعوه إليه ، و«جرم» بمعنى حقّ . ﴿أَنَّما تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيا وَلا فِي الآخِرَةِ﴾ . قيل: أي: حقّ عدم دعوة آلهتكم إلى عبادتها ، أو عدم دعوة مستجابة لها[1] . ﴿وَأَنَّ مَرَدَّنا إِلَى اللّٰهِ﴾ بالموت ﴿وَأَنَّ المُسْرِفِينَ﴾ في الضّلال والطّغيان . ﴿هُمْ أَصْحابُ النّارِ﴾ .

١ ـ البيضاوي ٥: ٤٠ .

﴿فَسَتَذْكُرُونَ﴾ عند معاينة العذاب ﴿ما أَقُولُ لَكُمْ﴾ من النّصيحة ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْـرِي إِلَى اللَّهِ﴾ ليعصمني من كلّ سوء ﴿إِنَّ اللَّهَ بَصِـيرٌ بِالعِـبادِ﴾.

﴿فَوَقاهُ اللَّهُ سَيِّئاتِ ما مَكَرُوا﴾: شدائد مكرهم ﴿وَحاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ العَذابِ﴾.

قال: «التَقيّة تُرسُ اللّه في الأرض، لأنّ مؤمن آل فرعون لو أظهر الإسلام لَقُتِلَ»[١].

ورد: ما ملخّصه: «إنّه لمّا وشوا[٢] به إلى فرعون: أنّه خالفك، وجيء بـه إليـه، ورّى فَوُقِيَ من القتل، فجعل في ساق كلّ واحد من الواشين وَتَدٌ وفي صدره وتَدٌ، وأمر أصحاب أمشاط الحديد فشقّوا بها لحومهم من أبدانهم، فذلك ما قال اللّه: "فوقاه اللّه" إلى قوله: "سوء العذاب"»[٣].

وفي رواية: «واللّه لقد قطعوه إرباً إرباً، ولكن وقاه اللّه أن يفتنوه في دينه»[٤].

﴿النّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْها غُـدُوّاً وَعَشِـيّاً﴾. قال: «ذلك في الدّنيا قبل يوم القيامة، لأنّ في نار القيامة لا يكون غدوّ وعشيّ، ثمّ قال: إن كانوا إنّما يعذّبون في النّار غدوّاً وعشيّاً، ففيما بين ذلك هم من السُّعداء؛ ولكن هذا في نار البرزخ قبل يوم القيامة، ألم تسمع إلى قوله تعالى: "ويوم تقوم السّاعة ادخلوا" الآية»[٥].

و ورد: «إنّ أرواح الكفّار في نار جهنّم يعرضون عليها، يقولون: ربّنا لا تُقِمْ لنا السّاعة، ولا تُنْجِزْ لنا ما وعدتنا، ولا تُلْحِقْ آخرنا بأوّلنا»[٦]. ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ العَذابِ﴾.

١ـ مجمع البيان ٧ـ٨: ٥٢١، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.
٢ـ وَشَىٰ به وَشْياً ووِشايةً: إذا نمّ عليه وسعىٰ به. لسان العرب ١٥: ٣١٣ (وشي).
٣ـ الاحتجاج ٢: ١٣١ـ١٣٢، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.
٤ـ القمّي ٢: ٢٥٨، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.
٥ـ مجمع البيان ٧ـ٨: ٥٢٦، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.
٦ـ الكافي ٣: ٢٤٥، الحديث: ٢، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

﴿وَإِذْ يَتَحاجُّونَ فِي النّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنّا كُنّا لَكُمْ تَبَعاً فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنّا نَصِيباً مِنَ النّارِ﴾ بالدّفع أو الحمل.

قال: «الاستكبار هو ترك الطّاعة لمَن أُمروا بطاعته، والتّرفّع على من ندبوا إلى متابعته»[1].

﴿قالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنّا كُلٌّ فِيها﴾ فكيف نغني عنكم، ﴿إِنَّ اللّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ العِبادِ﴾ ولا معقّب لحكمه.

﴿وَقالَ الَّذِينَ فِي النّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنّا يَوْماً مِنَ العَذابِ﴾.

﴿قالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالبَيِّناتِ قالُوا بَلىٰ قالُوا فَادْعُوا﴾ فإنّا لا نجترئ فيه؛ إذ لم يؤذن لنا في الدّعاء لأمثالكم، وفيه إقناط لهم عن الإجابة. ﴿وَما دُعاءُ الكافِرِينَ إِلّا فِي ضَلالٍ﴾: في ضياع لا يجاب.

﴿إِنّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الحَياةِ الدُّنْيا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهادُ﴾. قال: «ذلك واللّه في الرّجعة، أما علمت أنّ أنبياء كثيرة لم ينصروا في الدّنيا وقتلوا، وأئمّة من بعدهم قتلوا ولم ينصروا، وذلك في الرّجعة»[2].

﴿يَوْمَ لا يَنْفَعُ الظّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ﴾ لبطلانها ﴿وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدّارِ﴾.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنا مُوسَى الهُدىٰ﴾: ما يهتدي به في الدّين من المعجزات والصّحف والشّرائع ﴿وَأَوْرَثْنا بَنِي إِسْرائِيلَ الكِتابَ﴾: التّوراة.

﴿هُدىً وَذِكْرىٰ لِأُولِي الأَلْبابِ﴾.

﴿فَاصْبِرْ﴾ على أذى المشركين ﴿إِنَّ وَعْدَ اللّهِ حَقٌّ﴾ بالنّصر ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾: لترك الأولى والاهتمام بأمر العدا ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالعَشِيِّ وَالإِبْكارِ﴾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجادِلُونَ فِي آياتِ اللّهِ بِغَيْرِ سُلْطانٍ أَتاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلّا كِبْرٌ﴾:

١ـ مصباح المتهجّد: ٧٠١، عن أبي الحسن الرّضا، عن آبائه، عن أمير المؤمنين عليهم السلام.
٢ـ القمّي ٢: ٢٥٩، عن أبي عبد الله عليه السلام.

عظمة وتكبّر عن الحقّ ﴿ما هُمْ بِبالِغيهِ﴾ أي: ما هم ببالغي تلك العظمة، لأنّ اللّه مذلّهم ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾.

﴿لَخَلْقُ السَّمٰواتِ وَالأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النّاسِ﴾ فمن قَدَرَ على خلقها أوّلاً من غير أصل، قَدَرَ على خلق النّاس ثانياً من أصل ﴿وَلٰكِنَّ أَكْثَرَ النّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾ لأنّهم لا ينظرون ولا يتأمّلون؛ لفرط غفلتهم واتّباعهم أهواءهم.

﴿وَما يَسْتَوِي الأَعْمىٰ وَالبَصِيرُ﴾: الجاهل والمستبصر ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّالِحاتِ وَلا المُسِيءُ﴾: والمحسن والمسيء، فما بعد البعث يظهر التّفاوت ﴿قَلِيلاً ما تَتَذَكَّرُونَ﴾.

﴿إِنَّ السّاعَةَ لَآتِيَةٌ لا رَيْبَ فِيها وَلٰكِنَّ أَكْثَرَ النّاسِ لا يُؤْمِنُونَ﴾ لقصور نظرهم على ظاهر المحسوس.

﴿وَقالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ داخِرِينَ﴾: صاغرين. قال: «هو الدّعاء، وأفضل العبادة الدّعاء»[1].

﴿اللّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ﴾: لتستريحوا فيه، بأن خلقه بارداً مظلماً، ليؤدّي إلى ضعف المحرّكات وهدوء الحواسّ. ﴿وَالنَّهارَ مُبْصِراً﴾: يبصر فيه أو به؛ وإسناد الإبصار إليه مجاز فيه مبالغة. ﴿إِنَّ اللّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النّاسِ﴾: فضل لا يوازيه فضل. ﴿وَلٰكِنَّ أَكْثَرَ النّاسِ لا يَشْكُرُونَ﴾ لجهلهم بالمُنْعِم، وإغفالهم مواقع النِّعم.

﴿ذٰلِكُمُ اللّهُ رَبُّكُمْ خالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لا إِلٰهَ إِلّا هُوَ فَأَنّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾: تصرفون عن عبادته إلى عبادة غيره.

﴿كَذٰلِكَ يُؤْفَكُ الَّذِينَ كانُوا بِآياتِ اللّهِ يَجْحَدُونَ﴾.

﴿اللّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ قَراراً وَالسَّماءَ بِناءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ بأن

---

١ ـ الكافي ٢: ٤٦٦، الحديث: ١، عن أبي جعفر عليه السلام.

خلقكم منتصب القامة ، بادي البشرة ، متناسب الأعضاء والتخطيطات ، متهيأً لمزاولة الصّنايع واكتساب الكمالات . ﴿وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾: اللّذائذ ﴿ذٰلِكُمُ اللّٰهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللّٰهُ رَبُّ العالَمِينَ﴾ فإنّ كلّ ما سواه مربوب مفتقر معرض للزّوال .

﴿هُوَ الحَيُّ﴾: المتفرّد بالحياة الذّاتيّة ﴿لا إلٰهَ إلّا هُوَ﴾: لا أحد يساويه أو يدانيه في ذاته وصفاته ﴿فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ من الشّرك والرّياء ﴿الحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ العالَمِينَ﴾: قائلين له .

ورد: «إذا قال أحدكم: "لا إله إلّا اللّه" فليقل: "الحمد للّه ربّ العالمين" فإنّ اللّه تعالى يقول: "هو الحيّ" الآية»[1] .

﴿قُلْ إنِّي نُهِيتُ أنْ أعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللّٰهِ لَمَّا جاءَنِيَ البَيِّناتُ مِنْ رَبِّي وَأُمِرْتُ أنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ العالَمِينَ﴾: أن أنقاد له ، وأُخلِص له ديني .

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً﴾

﴿ثُمَّ لِتَبْلُغُوا﴾: ثمّ يبقيكم لتبلغوا ﴿أشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخاً وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفّىٰ مِنْ قَبْلُ﴾: من قبل الشّيخوخة أو بلوغ الأشدّ .

﴿وَلِتَبْلُغُوا أجَلاً مُسَمّىً﴾: ويفعل ذلك لتبلغوا وقت الموت ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ ما في ذلك من الحجج والعِبَر .

﴿هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإذا قَضىٰ أمْراً فَإنَّما يَقُولُ لَهُ كُنْ﴾ بلا صوت ولا حرف ﴿فَيَكُونُ﴾ .

﴿ألَمْ تَرَ إلَى الَّذِينَ يُجادِلُونَ فِي آياتِ اللّٰهِ أنّىٰ يُصْرَفُونَ﴾ عن التّصديق بها .

﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالكِتابِ وَبِما أرْسَلْنا بِهِ رُسُلَنا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ .

﴿إذِ الأغْلالُ فِي أعْناقِهِمْ وَالسَّلاسِلُ يُسْحَبُونَ﴾ بها .

١ ـ القمّي ٢: ٢٦٠ ، عن عليّ بن الحسين عليهما السلام .

﴿فِي الحَمِيمِ ثُمَّ فِي النّارِ يُسْجَرُونَ﴾: يحرقون.

﴿ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ ماكُنْتُمْ تُشْرِكُونَ﴾.

﴿مِنْ دُونِ اللّهِ قالُوا ضَلُّوا عَنّا﴾: فلم نجد ماكنّا نتوقّع منهم ﴿بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئاً﴾: بل تبيّن لنا أنّا لم نكن نعبد شيئاً بعبادتهم. ﴿كَذٰلِكَ يُضِلُّ اللّهُ الكافِرِينَ﴾ حتّى لا يهتدوا إلى شيء ينفعهم في الآخرة.

ورد: «فأمّا النّصّاب من أهل القبلة فإنّهم يَخُدُّ لهم خدٌّ إلى النّار الّتي خلقها اللّه في المشرق، فيدخل عليهم منها اللّهب والشّرر والدّخان وفورة الحميم إلى يوم القيامة، ثمّ مصيرهم إلى الحميم. "ثمّ في النّار يسجرون، ثمّ قيل لهم أين ماكنتم تشركون من دون اللّه"؟! أي: أين إمامكم الّذي اتّخذتموه دون الإمام الّذي جعله اللّه للنّاس إماماً؟»[1].

وقال: «وقد سمّاهم اللّه كافرين مشركين بأن كذّبوا بالكتاب وقد أرسل اللّه عزّوجلّ رسله بالكتاب وبتأويله، فمن كذّب بالكتاب، أو كذّب بما أرسل به رسله من تأويل الكتاب، فهو مشرك كافر»[2].

﴿ذٰلِكُمْ بِما كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الأَرْضِ﴾: تبطرون وتتكبّرون ﴿بِغَيْرِ الحَقِّ﴾: بالشّرك والطّغيان ﴿وَبِما كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ﴾: تتوسّعون في الفرح.

﴿أُدْخُلُوا أَبْوابَ جَهَنَّمَ﴾ المقسومة لكم ﴿خالِدِينَ فِيها فَبِئْسَ مَثْوَى المُتَكَبِّرِينَ﴾ عن الحقّ جهنّم.

﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللّهِ حَقٌّ﴾ بهلاك الكفّار وتعذيبهم. ﴿فَإِمّا نُرِيَنَّكَ﴾: فإن نُرِك، و«ما» مزيدة لتاكيد الشّرطيّة، ولذلك لحقت النّون الفعل. ﴿بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ﴾ وهو القتل والأسر ﴿أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾ قبل أن تراه ﴿فَإِلَيْنا يُرْجَعُونَ﴾ فنجازيهم بأعمالهم.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنا رُسُلاً مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ

١ ـ الكافي ٣: ٢٤٧، ذيل الحديث: ١؛ القمّي ٢: ٢٦٠، عن أبي جعفر عليه السلام.
٢ ـ القمّي ٢: ٢٦٠، عن أبي جعفر عليه السلام.

عَلَيْكَ ﴾ . ورد: «إنّ عددهم مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً»[1] . ﴿ وَما كانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلّا بِإِذْنِ اللّهِ ﴾: ليس له أن يستبدّ بإتيان المقترح[2] بها . ﴿ فَإِذا جاءَ أَمْرُ اللّهِ ﴾ بالعذاب ﴿ قُضِيَ بِالحَقِّ ﴾: بإنجاء المحقّ وتعذيب المبطل ﴿ وَخَسِرَ هُنالِكَ المُبْطِلُونَ ﴾: المعاندون ، باقتراح الآيات بعد ظهور ما يغنيهم عنها .

﴿ اللّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَنْعامَ لِتَرْكَبُوا مِنْها وَمِنْها تَأْكُلُونَ ﴾ فإنّ منها ما يؤكل كالغنم ، ومنها ما يؤكل ويركب كالإبل والبقر .

﴿ وَلَكُمْ فِيها مَنافِعُ ﴾ كالألبان والجلود والأوبار ﴿ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْها حاجَةً فِي صُدُورِكُمْ ﴾ بالمسافرة عليها ﴿ وَعَلَيْها ﴾ في البرّ ﴿ وَعَلَى الفُلْكِ ﴾ في البحر ﴿ تُحْمَلُونَ ﴾ .

﴿ وَيُرِيكُمْ آياتِهِ ﴾ الدالّة على كمال قدرته وفرط رحمته ﴿ فَأَيَّ آياتِ اللّهِ تُنْكِرُونَ ﴾ فإنّها لظهورها لاتقبل الإنكار .

﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثاراً فِي الأَرْضِ فَما أَغْنى عَنْهُمْ ما كانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ . «ما» الأُولى يحتمل النّافية والاستفهاميّة ، والثّانية الموصولة والمصدريّة[3] .

﴿ فَلَمّا جاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالبَيِّناتِ فَرِحُوا بِما عِنْدَهُمْ مِنَ العِلْمِ ﴾ واستحقروا علم الرّسل ﴿ وَحاقَ بِهِمْ ما كانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ .

﴿ فَلَمّا رَأَوْا بَأْسَنا ﴾: شدّة عذابنا ﴿ قالُوا آمَنّا بِاللّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنا بِما كُنّا بِهِ

١ ـ الخصال ٢: ٦٤٢ ، الحديث: ١٨ ، عن الرّضا ، عن آبائه ، عن أمير المؤمنين ، عن النّبيّ صلوات اللّه عليهم ؛ والحديث: ١٩ ، عن عليّ بن الحسين ، عن أبيه ، عن أمير المؤمنين ، عن النّبيّ صلوات اللّه عليهم ؛ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ٥٣٣ .

٢ ـ اقترحته: ابتدعته من غير سبق مثال . المصباح المنير ٢: ١٧٦ (قرح) .

٣ ـ فالمعنى على الأوّل: لم يغن عنهم ما كسبوه من البنيان والأموال شيئاً من عذاب اللّه تعالى . وعلى الثّاني: فأيّ شيء أغنى عنهم كسبهم . فيكون موضع «ما» الأُولى نصباً ، وموضع «ما» الثّانية رفعاً . التّبيان ٩: ١٠١ ؛ مجمع البيان ٧ ـ ٨: ٥٣٥ .

مُشْرِكِينَ﴾ يعنون الأصنام.

﴿فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمانُهُمْ لَمّا رَأَوْا بَأْسَنا سُنَّةَ اللّٰهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبادِهِ وَخَسِرَ هُنالِكَ الكافِرُونَ﴾ أي: في وقت رؤيتهم البأس، استعير اسم المكان للزّمان.

سئل: لأيّ علّة غرّق اللّٰه تعالى فرعون وقد آمن به وأقرّ بتوحيده؟ قال: «لأنّه آمن عند رؤية البأس، والإيمان عند رؤية البأس غير مقبول، وذلك حكم اللّٰه تعالى ذكره في السّلف والخلف. قال اللّٰه عزّوجلّ: "فلمّا رأوا بأسنا" الآيتين»[١].



١ ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ٢: ٧٧، الباب: ٣٢، الحديث: ٧.

سورة السجدة[1]

[مكيّة، وهي أربع وخمسون آية][2]

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم

﴿حمٓ﴾.

﴿تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ﴾.

﴿كِتابٌ فُصِّلَتْ آياتُهُ﴾: بيّن حلالها وحرامها، وأحكامها وسننها، ﴿قُرْآناً عَرَبِيّاً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾.

﴿بَشِيراً وَنَذِيراً فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ﴾ عن تدبّره وقبوله ﴿فَهُمْ لا يَسْمَعُونَ﴾ سماع تأمّل وطاعة.

﴿وَقالُوا قُلُوبُنا فِي أَكِنَّةٍ﴾: في أغطية ﴿مِمّا تَدْعُونا إِلَيْهِ وَفِي آذانِنا وَقْرٌ﴾: صَمَمٌ ﴿وَمِنْ بَيْنِنا وَبَيْنِكَ حِجابٌ﴾ يمنعنا عن التّفهّم منك، والتّواصل. تمثيلات لنُبُوّ[3] قلوبهم عن الموافقة ﴿فَاعْمَلْ﴾ على دينك ﴿إِنَّنا عامِلُونَ﴾ على ديننا.

﴿قُلْ إِنَّما أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحىٰ إِلَيَّ أَنَّما إِلٰهُكُمْ إِلٰهٌ واحِدٌ﴾: لَستُ مَلَكاً ولا جنيّاً لا

١ ـ في «ب»: «سورة فصّلت».

٢ ـ ما بين المعقوفتين من «ب».

٣ ـ نَبا الشيء: تجافى وتباعد. الصّحاح ٦: ٢٥٠٠ (نبا).

يمكنكم التّلقّي منه، ولا أدعوكم إلى ما تَنْبُو عنه العقول والأسماع؛ وإنّما أدعوكم إلى التّوحيد والاستقامة في العمل ﴿فَاسْتَقِيمُوا﴾ في أفعالكم، متوجّهين ﴿إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ﴾ ممّا أنتم عليه ﴿وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ﴾.

﴿الَّذِينَ لا يُؤْتُونَ الزَّكاةَ وَهُمْ بِالآخِرَةِ هُمْ كافِرُونَ﴾. قال: «أترى أنّ الله عزّ وجلّ طلب من المشركين زكاة أموالهم وهم يشركون به، حيث يقول: "وويل للمشركين" الآية؟ قيل: ففسّره لي. فقال: ويل للمشركين الّذين أشركوا بالإمام الأوّل، وهم بالائمّة الآخرين كافرون. إنّما دعا الله العباد إلى الإيمان به، فإذا آمنوا بالله وبرسوله افترض عليهم الفرائض»[1].

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّالِحاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾: غير مقطوع؛ أو لا يَمُنُّ به عليهم.

﴿قُلْ أَإِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ﴾ القمّي: أي وقتين: ابتداء الخلق وانقضائه[2].

أقول: وفي هذا سرّ لايدركه إلّا من له صفاء ذهن ونقاء سريرة.

﴿وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْداداً ذلِكَ رَبُّ الْعالَمِينَ﴾.

﴿وَجَعَلَ فِيها رَواسِيَ مِنْ فَوْقِها وَبارَكَ فِيها﴾: وأكثر خيرها. القمّي: أي: لا تزول وتبقى[3]. ﴿وَقَدَّرَ فِيها أَقْواتَها فِي أَرْبَعَةِ أَيّامٍ سَواءً﴾.

القمّي: يعني في أربعة أوقات، وهي الّتي يُخْرِجُ الله عزّ وجلّ فيها أقوات العالَم، من النّاس والبهائم والطّير وحشرات الأرض، وما في البرّ والبحر من الخلق، من الثّمار والنّبات والشّجر، وما يكون فيه معاش الحيوان كلّه؛ وهو الرّبيع والصّيف والخريف والشّتاء. ففي الشّتاء يرسل الله الرّياح والأمطار والأنداء[4] والطّلول من السّماء، فتلقح الأرض والشّجر،

١ـ القمّي ٢: ٢٦٢، عن أبي عبد الله عليه السلام.

٢ و ٣ـ المصدر.

٤ـ جمع النّدى: المطر والبلل وما يسقط آخر اللّيل. مجمع البحرين ١: ٤١٢ (ندا).

وهو وقت بارد، ثمّ يجيء بعده الرّبيع، وهو وقت معتدل، حارّ وبارد، فيخرج من الشّجر ثماره، ومن الأرض نباتها، فيكون أخضر ضعيفاً. ثمّ يجيء وقت الصّيف، وهو حارّ، فينضج الثّمار ويصلب الحبوب الّتي هي أقوات العالم وجميع الحيوان. ثمّ يجيء من بعده وقت الخريف، فيطيّبه ويبرّده. ولو كان الوقت كلّه شيئاً واحداً لم يخرج النّبات من الأرض. لأنّه لو كان الوقت كلّه ربيعاً، لم ينضج الثّمار ولم يبلغ الحبوب. ولو كان الوقت كلّه صيفاً، لاحترق كلّ شيء في الأرض، ولم يكن للحيوان معاش ولا قوت. ولو كان الوقت كلّه خريفاً ولم يتقدّمه شيء من هذه الأوقات، لم يكن شيء يتقوّت به العالَم. فجعل اللّه هذه الأقوات في أربعة أوقات: في الشّتاء والرّبيع والصّيف والخريف، وقام به العالم واستوى وبقي، وسمّى اللّه هذه الأوقات أيّاماً[1].

﴿لِلسَّائِلِينَ﴾ القمّي: يعني المحتاجين؛ لأنّ كلّ محتاج سائلٌ، وفي العالم من خَلْقِ اللّه مَنْ لا يسأل ولا يقدر عليه من الحيوان كثيرٌ، فهم سائلون وإن لم يسألوا[2].

﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ﴾: قصد نحو خلقها وتدبيرها، و«ثمّ» لتفاوت ما بين الخلقين لا للتّراخي في المدّة؛ إذ لا مدّة قبل خلق السّماء. ﴿وَهِيَ دُخَانٌ﴾: أمرٌ ظلمانيّ ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً﴾: شئتما ذلك أو أبيتما ﴿قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾: منقادين بالذّات. تمثيل لتأثير قدرته فيهما وتأثّرهما بالذّات عنها بأمر المطاع، وإجابة المطيع الطّائع، كقوله: "كُنْ فَيَكُونُ"[3]؛ أو هو نوع من الكلام باطناً من دون حرف ولا صوت.

سئل: عمّن كلّمَ اللّه لا من الجنّ ولا من الإنس؟، فقال: «السّماوات والأرض في قوله:

١ ـ القمّي ٢: ٢٦٢.

٢ ـ المصدر: ٢٦٣.

٣ ـ البقرة (٢): ١١٧؛ آل عمران (٣): ٤٧ و ٥٩؛ الأنعام (٦): ٧٣؛ النّحل (١٦): ٤٠؛ مريم (١٩): ٣٥؛ يس (٣٦): ٨٢؛ المؤمن (٤٠): ٦٨.

"ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين"»[١] .

﴿فَقَضاهُنَّ سَبْعَ سَمٰواتٍ﴾: فخلقهنّ خلقاً إبداعياً ﴿فِي يَوْمَيْنِ﴾ القمّي: في وقتين: إبداءاً وانقضاءً[٢] . ﴿وَأَوْحىٰ فِي كُلِّ سَماءٍ أَمْرَها﴾: شأنها وما يتأتّى منها، بأن حملها عليه اختياراً أو طبعاً. القمّي: هذا وحي تقدير وتدبير[٣] . ﴿وَزَيَّنَّا السَّماءَ الدُّنْيا بِمَصابِيحَ﴾: بالنّجوم ﴿وَحِفْظاً﴾ من الشّيطان المسترق وسائر الآفات.

ورد: «النّجوم أمان لأهل السّماء، فإذا ذهبت النّجوم ذهب أهل السّماء. وأهل بيتي أمان لأهل الأرض، فإذا ذهب أهل بيتي ذهب أهل الأرض»[٤] .

﴿ذٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾: البالغ في القدرة والعلم.

﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا﴾ عن الإيمان بعد هذا البيان. القمّي: وهم قريش، وهو معطوف على قوله: "فأعرضَ أكثرهم فهم لا يسمعون"[٥] ﴿فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صاعِقَةً مِثْلَ صاعِقَةِ عادٍ وَثَمُودَ﴾.

﴿إِذْ جاءَتْهُمُ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ﴾: مَنْ تقدّمهم ﴿وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾: مَنْ أُرسِلَ إليهم[٦] ؛ أو من جميع جوانبهم، واجتهدوا بهم من كلّ جهة؛ أو بالإنذار بما جرى على الكفّار في الدّنيا، وبالتّحذير عمّا أعدّ لهم في الآخرة. ﴿أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللّٰهَ قالُوا لَوْ شاءَ رَبُّنا﴾ إرسالَ الرّسل ﴿لَأَنْزَلَ مَلائِكَةً فَإِنّا بِما أُرْسِلْتُمْ بِهِ كافِرُونَ﴾.

﴿فَأَمّا عادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنّا قُوَّةً﴾: اغترّوا

١ ـ القمّي ٢: ٢٦٣، عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام .

٢ و ٣ ـ القمّي ٢: ٢٦٣ .

٤ ـ كمال الدّين ١: ٢٠٥، الباب: ٢١، الحديث: ١٩، عن أمير المؤمنين عليه السلام، عن رسول الله صلى الله عليه وآله .

٥ ـ القمّي ٢: ٢٦٣ .

٦ ـ أي: الرُّسُل الذين جاؤوا آباءهم والرّسل الّذين جاؤوهم في أنفسهم، لأنّهم كانوا خلف من جاء آباءهم من الرّسل، فيكون الهاء والميم في «من خلفهم» للرّسل. مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٧ .

بقوّتهم. قيل: كان من قوّتهم أنّ الرّجل منهم ينزع الصّخرة فيَقْلَعُها بيده[1]. ﴿أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾: قدرة ﴿وَكانُوا بِآياتِنا يَجْحَدُونَ﴾: يعرفون أنّها حق وينكرونها.

﴿فَأَرْسَلْنا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَراً﴾. قال: «الصّرصر: البارد»[2]. ﴿فِي أَيّامٍ نَحِساتٍ﴾ قال: «مياشيم»[3]. ﴿لِنُذِيقَهُمْ عَذابَ الخِزْيِ فِي الحَياةِ الدُّنْيا وَلَعَذابُ الآخِرَةِ أَخْزىٰ وَهُمْ لا يُنْصَرُونَ﴾.

﴿وَأَمّا ثَمُودُ فَهَدَيْناهُمْ﴾ قال: «عرّفناهم»[4] وجوب الطّاعات وتحريم المعاصي. ﴿فَاسْتَحَبُّوا العَمىٰ عَلَى الهُدىٰ﴾ قال: «وهم يعرفون»[5]. ﴿فَأَخَذَتْهُمْ صاعِقَةُ العَذابِ الهُونِ بِما كانُوا يَكْسِبُونَ﴾

﴿وَنَجَّيْنا الَّذِينَ آمَنُوا وَكانُوا يَتَّقُونَ﴾.

﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْداءُ اللّهِ إِلَى النّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ قال: «يحبس أوّلهم على آخرهم»[6].

﴿حَتّىٰ إِذا ما جاءُوها﴾: إذا حضروها. و«ما» مزيدة لتأكيد اتّصال الشّهادة بالحضور. ﴿شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِما كانُوا يَعْمَلُونَ﴾ بإنطاق اللّه إيّاها.

﴿وَقالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنا قالُوا أَنْطَقَنا اللّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.

القمّي: نزلت في قوم تعرض عليهم أعمالهم فينكرونها، فيقولون: ما عملنا شيئاً منها. فتشهد عليهم الملائكة الّذين كتبوا عليهم أعمالهم. قال الصّادق عليه السلام: «فيقولون للّه: يا ربّ

١ ـ البيضاوي ٥: ٤٦.

٢ و ٣ ـ القمّي ٢: ٢٦٣، عن أبي جعفر عليه السلام.

٤ و ٥ ـ التّوحيد: ٤١١، الباب: ٦٤، الحديث: ٤، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٦ ـ القمّي ٢: ١٢٩، ذيل الآية: ١٧ من سورة النّمل، عن أبي جعفر عليه السلام.

هؤلاء ملائكتك يشهدون لك. ثمّ يحلفون باللّه ما فعلوا من ذلك شيئاً. وهو قول اللّه عزّوجلّ: "يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللّهُ جَميعاً فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَما يَحْلِفُونَ لَكُمْ"[١]. وهم الّذين غصبوا أمير المؤمنين عليه السلام. فعند ذلك يختم اللّه على ألسنتهم وينطق جوارحهم، فيشهد السّمع بما سَمِعَ ما حرّم اللّه، ويشهد البصر بما نظر به إلى ما حرّم اللّه، وتشهد اليدان بما أخذتا، وتشهد الرّجْلان بما سَعَتا في ما حرّم اللّه، ويشهد الفرج بما ارتكب ممّا حرّم اللّه. ثمّ أنطق اللّه ألسنتهم، فيقولون هم لجلودهم: "لِمَ شهدتُم علينا"؟»[٢].

﴿وَما كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ﴾ قال: «أي: من اللّه»[٣]. ﴿أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلا أَبْصارُكُمْ وَلا جُلُودُكُمْ﴾. قال: «يعني بالجلود الفروج والأفخاذ»[٤]. ﴿وَلٰكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللّهَ لا يَعْلَمُ كَثِيراً مِمّا تَعْمَلُونَ﴾ فلذلك اجترأتم على ما فعلتم.

﴿وَذٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْداكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الخاسِرِينَ﴾ إذ صار ما منحوا للاستعداد به في الدّارين سبباً لشقاء النّشأتين.

ورد: «ليس من عبد يظنّ باللّه عزّوجلّ خيراً إلّا كان عند ظنّه به؛ وذلك قوله عزّوجلّ: "وذلكم ظنّكم الّذي ظننتم بربّكم أرديكم فأصبحتم من الخاسرين"»[٥].

﴿فَإِنْ يَصْبِرُوا فَالنّارُ مَثْوىً لَهُمْ﴾ لا خلاص لهم عنها ﴿وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا﴾: يسألوا العتبى؛ وهي الرّجوع إلى ما يحبّون ﴿فَما هُمْ مِنَ المُعْتَبِينَ﴾ أي: لايجابوا إلى ذلك.

﴿وَقَيَّضْنا﴾: وقدّرنا ﴿لَهُمْ قُرَناءَ﴾ من شياطين الجنّ والإنس ﴿فَزَيَّنُوا لَهُمْ ما بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ من أمر الدّنيا واتّباع الشّهوات ﴿وَما خَلْفَهُمْ﴾ من أمر الآخرة وإنكاره ﴿وَحَقَّ

---

١ ـ المجادلة (٥٨): ١٨.

٢ ـ القمّي ٢: ٢٦٤.

٣ ـ المصدر، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٤ ـ الكافي ٢: ٣٦، ذيل الحديث الطويل: ١، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٥ ـ القمّي ٢: ٢٦٥، عن أبي عبد اللّه عليه السلام، عن رسول اللّه صلى الله عليه وآله.

عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾ أي: كلمة العذاب ﴿فِي أُمَمٍ﴾: في جملة أمم ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ﴾ وقد عملوا مثل أعمالهم ﴿إِنَّهُمْ كانُوا خاسِرِينَ﴾.

﴿وَقالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَسْمَعُوا لِهٰذا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ﴾: وعارضوه بالخرافات.

القمّي: وصيّروه سخريّة ولغواً[1]. ﴿لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾: تغلبونه على قراءته.

﴿فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذاباً شَدِيداً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كانُوا يَعْمَلُونَ﴾: سيّئات أعمالهم.

﴿ذٰلِكَ جَزاءُ أَعْداءِ اللّٰهِ النّارُ لَهُمْ فِيها دارُ الْخُلْدِ جَزاءً بِما كانُوا بِآياتِنا يَجْحَدُونَ﴾.

﴿وَقالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنا أَرِنَا اللَّذَيْنِ أَضَلّانا مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ﴾: شيطاني النّوعين الحاملين على الضّلالة والعصيان.

قال: «يعنون إبليس الأبالسة وقابيل بن آدم، أوّل من أبدع المعصية»[2]. وفي رواية قال: «هما، ثمّ قال: وكان فلان شيطاناً»[3].

أقول: لعلّ ذلك «لأنّ ولد الزّنا يخلق من مائي الزّاني والشّيطان معاً». كما ورد[4].

وفي أُخرى: «من الجنّ: إبليس الّذي ردّ عليه قتل رسول اللّه صلّى الله عليه وآله في دار النّدوة، وأضلّ النّاس بالمعاصي، وجاء بعد وفاة رسول اللّه صلّى الله عليه وآله إلى أبي بكر فبايعه، ومن الإنس: فلان»[5].

﴿نَجْعَلْهُما تَحْتَ أَقْدامِنا﴾: ندسُّهما انتقاماً منهما ﴿لِيَكُونا مِنَ الأَسْفَلِينَ﴾ ذُلّاً ومكاناً.

١ـ القمّي ٢: ٢٦٥.

٢ـ مجمع البيان ٩ـ ١٠: ١٢، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

٣ـ الكافي ٨: ٣٣٤، الحديث: ٥٢٣، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٤ـ العيّاشي ٢: ٢٩٩، الحديث: ١٠٤، عن أبي جعفر عليه السلام؛ وص ٣٠٠، الحديث: ١٠٨، عن أحدهما عليهما السلام.

٥ـ القمّي ٢: ٢٦٥، عن أبي جعفر عليه السلام.

﴿إِنَّ الَّذِينَ قالُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾ اعترافاً بربوبيّته، وإقراراً بوحدانيّته ﴿ثُمَّ اسْتَقامُوا﴾ على مقتضاه. قال: «على الأئمّة واحداً بعد واحد»[١]. وفي رواية: «هي واللّه ما أنتم عليه»[٢].

وفي نهج البلاغة: «وإنّي متكلّم بِعِدَةِ اللّه وحجّته، قال اللّه تعالى: "إنّ الّذين قالوا ربّنا اللّه ثمّ استقاموا" الآية، وقد قلتم: "ربّنا اللّه"، فاستقيموا على كتابه، وعلى منهاج أمره، وعلى الطّريقة الصّالحة من عبادته، ثمّ لا تمرقوا منها، ولا تَبْتَدِعُوا فيها، ولا تخالفوا عنها، فإنّ أهل المُروق منقطع بهم عند اللّه يوم القيامة»[٣].

﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ﴾ قال: «عند الموت»[٤]. ﴿أَلَّا تَخافُوا﴾ ما تقدمون عليه ﴿وَلا تَحْزَنُوا﴾ على ما خلفتم ﴿وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾.

قال: «فما أمامكم من الأهوال فقد كفيتموها، وما تخلفونه من الذّراريّ والعيال، فهذا الّذي شاهدتموه في الجنان بدلاً منهم؛ وذلك حين أراهم مَلَكُ الموت درجاتِ الجنان وقصورَها، والنّبيّ والوصيّ والطّيّبين من آلهما في أعلى علّيّين، عند الموت». كذا ورد[٥].

﴿نَحْنُ أَوْلِياؤُكُمْ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا﴾ قال: «أي: نحرسكم في الدّنيا»[٦]. ﴿وَفِي الْآخِرَةِ﴾ قال: «عند الموت»[٧]. ﴿وَلَكُمْ فِيها ما تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيها ما تَدَّعُونَ﴾: ما تتمنّون؛ من الدّعاء، بمعنى الطّلب.

﴿نُزُلاً مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ﴾. قيل له: بلَغَنا أنّ الملائكة تتنزّل عليكم، قال: «أي واللّه

١ـ الكافي ١: ٢٢٠، الحديث: ٢، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٢ـ مجمع البيان ٩ـ١٠: ١٢، عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام.

٣ـ نهج البلاغة: ٢٥٣، الخطبة: ١٧٦.

٤ـ القمّي ٢: ٢٦٥؛ تأويل الآيات الظاهرة: ٥٢٤، عن أبي جعفر عليه السلام؛ مجمع البيان ٩ـ١٠: ١٢، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٥ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٢٣٩، الحديث: ١١٧، عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله.

٦ و ٧ـ مجمع البيان ٩ـ١٠: ١٣، عن أبي جعفر عليه السلام.

لتنزل علينا ، فتطأ فُرُشنا ؛ أما تقرأ كتابَ اللّه تعالى: "إنّ الّذين قالوا ربّنا اللّه" الآية»[1] .

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعا إِلَى اللّٰهِ﴾: إلى عبادته ﴿وَعَمِلَ صالِحاً وَقالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ . ورد: «إنّها في عليّ عليه السلام»[2] .

﴿وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ﴾ في الجزاء وحسن العاقبة. و«لا» الثانية مزيدة لتاكيد النّفي . ﴿إِدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾: ادفع السّيّئة حيث اعترضتْك بالّتي هي أحسن منها ، وهي الحسنة ؛ على أنّ المرادَ بالأحسن: الزّائدُ مطلقاً ، أو بأحسن ما يمكن دَفعُها به من الحسنات . القمّي: أدفع سيّئة من أساء إليك بحسنتك[3] .

و ورد: «الحسنة: التّقيّة ، والسّيّئة: الإذاعة»[4] .

﴿فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَداوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ أي: إذا فعلت ذلك ، صار عدوّك المشاقّ ، مثل الوليّ الشّفيق .

﴿وَما يُلَقّاها﴾: وما يلقّى هذه السّجيّة ، وهي مقابلة الإساءة بالإحسان ﴿إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ فإنّها تحبس النّفس عن الانتقام . قال: «إلّا الّذين صبروا في الدّنيا على الأذى»[5] .

﴿وَما يُلَقّاها إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ يعني من الخير وكمال النّفس .

﴿وَإِمّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطانِ نَزْغٌ﴾: نَخس[6] ؛ شبّه به وسوسته ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللّٰهِ﴾ من شرّه ولا تُطِعْه ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ﴾ لاستعاذتك ﴿الْعَلِيمُ﴾ بنيّتك .

القمّي: المخاطبة لرسول اللّه صلّى الله عليه وآله ، والمعنيّ للنّاس[7] .

---

١ ـ بصائر الدّرجات: ٩١ ، الباب: ١٧ ، الحديث: ٣ ، عن أبي جعفر عليه السلام .

٢ ـ العيّاشي ١: ٢٧٩ ، الحديث: ٢٨٦ ، عن أبي جعفر عليه السلام ، بالمضمون .

٣ ـ القمّي ٢: ٢٦٦ .

٤ ـ الكافي ٢: ٢١٧ ـ ٢١٨ ، الحديث: ١ و ٦ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .

٥ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ١٣ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .

٦ ـ نَخَسْتُ الدّابّةَ نَخْساً: طَعَنْتُهُ بعُودٍ أو غيره فَهاجَ . المصباح المنير ٢: ٣٠٠ (نخس) .

٧ ـ القمّي ٢: ٢٦٦ .

﴿وَمِنْ آياتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهارُ وَالشَّمْسُ وَالقَمَرُ لا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلا لِلْقَمَرِ﴾ لأنّهما مخلوقان مأموران مثلكم ﴿وَاسْجُدُوا لِلّٰهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيّاهُ تَعْبُدُونَ﴾.

﴿فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا﴾ عن الامتثال ﴿فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ﴾ من الملائكة ﴿يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهارِ وَهُمْ لا يَسْأَمُونَ﴾: لا يملّون.

﴿وَمِنْ آياتِهِ أَنَّكَ تَرَى الأَرْضَ خاشِعَةً﴾: يابسة متطامنة؛ مستعار من الخشوع بمعنى التذلّل. ﴿فَإِذا أَنْزَلْنا عَلَيْها الماءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ﴾: انتفخت بالنّبات ﴿إِنَّ الَّذِي أَحْياها لَمُحْيِ المَوْتىٰ إِنَّهُ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ﴾: يميلون عن الاستقامة ﴿فِي آياتِنا﴾ بالطّعن والتّحريف والتّأويل بالباطل والإلغاء فيها ﴿لا يَخْفَوْنَ عَلَيْنا﴾ فنجازيهم على إلحادهم. ﴿أَفَمَنْ يُلْقىٰ فِي النّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِناً يَوْمَ القِيامَةِ اعْمَلُوا ما شِئْتُمْ﴾ تهديدٌ شديد. ﴿إِنَّهُ بِما تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ﴾ قال: «يعني القرآن»[١]. ﴿لَمّا جاءَهُمْ﴾. خبر «إنّ» محذوف دلّ عليه ما بعده. ﴿وَإِنَّهُ لَكِتابٌ عَزِيزٌ﴾.

﴿لا يَأْتِيهِ الباطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ﴾ قال: «من قبل التّوراة، ولا من قبل الإنجيل والزّبور»[٢]. ﴿وَلا مِنْ خَلْفِهِ﴾ قال: «أي: لا يأتيه من بعده كتاب يُبْطِلُه»[٣].

وفي رواية: «ليس في إخباره عمّا مضى باطل، ولا في إخباره عمّا يكون في المستقبل باطل؛ بل أخباره كلّها موافقة لمخبَراتها»[٤].

﴿تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ﴾ وأيّ حكيم ﴿حَمِيدٍ﴾: يحمده كلّ مخلوق بما ظهر عليه من نِعَمِه.

﴿ما يُقالُ لَكَ إِلّا ما قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقابٍ

١ و ٢ و ٣ ـ القمّي ٢: ٢٦٦، عن أبي جعفر عليه السلام.
٤ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ١٥، عنهما عليهما السلام.

أَلِيمٍ﴾ .

﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآناً أَعْجَمِيّاً لَقالُوا لَوْلا فُصِّلَتْ آياتُهُ﴾: بيّنت بلسان نفقهه ﴿أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ﴾: أكلام أعجميّ ومخاطب عربيّ؟! والأعجميّ يقال للّذي لا يفهم كلامه، ويقال لكلامه. ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدىً﴾ إلى الحقّ ﴿وَشِفاءٌ﴾ من الشكّ والشبهة ﴿وَالَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ فِي آذانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمىً﴾ لتصاممهم[1] عن سماعه، وتعاميهم عمّا يريهم من الآيات ﴿أُولئِكَ يُنادَوْنَ مِنْ مَكانٍ بَعِيدٍ﴾. تمثيل لعدم قبولهم واستماعهم له، بمَنْ يصاح به مِنْ مسافة بعيدة .

﴿وَلَقَدْ آتَيْنا مُوسَى الْكِتابَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ﴾ قال: «اختلفوا كما اختلفت هذه الأُمّة في الكتاب، وسيختلفون في الكتاب الّذي مع القائم، الّذي يأتيهم به، حتّى ينكره ناس كثير، فيقدّمهم فيضرب أعناقهم»[2]. ﴿وَلَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ﴾ بالإمهال ﴿لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ باستيصال المكذّبين ﴿وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ﴾: من القرآن ﴿مُرِيبٍ﴾: موجب للاضطراب .

﴿مَنْ عَمِلَ صالِحاً فَلِنَفْسِهِ﴾ نفعه ﴿وَمَنْ أَساءَ فَعَلَيْها﴾ ضرّه . ﴿وَما رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ فيفعل بهم ما ليس له .

﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ إذا سئل عنها ؛ إذ لا يعلمها إلّا هو ﴿وَما تَخْرُجُ مِنْ ثَمَراتٍ مِنْ أَكْمامِها﴾: من أوعيتها ؛ جمع «كم» بالكسر . ﴿وَما تَحْمِلُ مِنْ أُنْثى وَلا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَيَوْمَ يُنادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكائِي﴾ بزعمكم . القمّي: يعني ما كانوا يعبدون من دون الله[3]. ﴿قالُوا آذَنَّاكَ﴾: أعلمناك ﴿ما مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ﴾: من أحد منّا يشهد لهم بالشّركة، إذ تبرّأنا عنهم لمّا عاينّا الحال ؛ أو ما من أحد منّا يشاهدهم، لأنّهم ضلّوا عنّا .

﴿وَضَلَّ عَنْهُمْ ما كانُوا يَدْعُونَ﴾: يعبدون ﴿مِنْ قَبْلُ وَظَنُّوا﴾: وأيقنوا ﴿ما لَهُمْ مِنْ

١ ـ في «ب»: «لتصامّهم» .

٢ ـ الكافي ٨: ٢٨٧ ، الحديث: ٤٣٢ ، عن أبي جعفر عليه السلام .

٣ ـ القمّي ٢: ٢٦٦ .

مَحِيصٍ﴾: مهرب.

﴿لا يَسْأَمُ الإِنْسانُ مِنْ دُعاءِ الخَيْرِ﴾ القمّي: أي: لا يملّ ولا يعيا من أن يدعو لنفسه بالخير[1]. ﴿وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَؤُوسٌ قَنُوطٌ﴾: يائس من روح اللّه وفرجه.

﴿وَلَئِنْ أَذَقْناهُ رَحْمَةً مِنّا مِنْ بَعْدِ ضَرّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هٰذا لِي﴾: حقّي أستحقّه ﴿وَما أَظُنُّ السّاعَةَ قائِمَةً﴾: تقوم ﴿وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنىٰ﴾: ولئن قامت على التوهّم، كان لي عند اللّه الحالة الحسنى من الكرامة، وذلك لاعتقاده أنّ ما أصابه من نعم الدّنيا فلاستحقاق لا ينفكّ عنه. ﴿فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِما عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنْ عَذابٍ غَلِيظٍ﴾.

﴿وَإِذا أَنْعَمْنا عَلَى الإِنْسانِ أَعْرَضَ﴾ عن الشّكر ﴿وَنَأىٰ بِجانِبِهِ﴾: وانحرف عنه وذهب بنفسه، وتباعد عنه بكلّيّته تكبّراً؛ والجانب مجاز عن النّفس. ﴿وَإِذا مَسَّهُ الشَّرُّ﴾ كالفقر والمرض والشّدّة ﴿فَذُو دُعاءٍ عَرِيضٍ﴾: كثير.

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ﴾: أخبروني ﴿إِنْ كانَ مِنْ عِنْدِ اللّٰهِ﴾ أي: القرآن ﴿ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ﴾ من غير نظر واتّباع دليل ﴿مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقاقٍ بَعِيدٍ﴾: من أضلّ منكم؛ فوضع الموصول موضع الضّمير شرحاً لحالهم، وتعليلاً لمزيد ضلالهم.

﴿سَنُرِيهِمْ آياتِنا فِي الآفاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ﴾. قال: «نريهم[2] في أنفسهم المسخ، ونريهم في الآفاق انتقاض الآفاق عليهم، فيرون قدرة اللّه في أنفسهم وفي الآفاق»[3].

وفي رواية: «خسف ومسخ وقذف»[4].

١ ـ القمّي ٢: ٢٦٧.

٢ ـ في المصدر: «يريهم» في الموضعين.

٣ ـ الكافي ٨: ٣٨١، الحديث: ٥٧٥، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٤ ـ المصدر: ١٦٦، الحديث: ١٨١، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

وفي أُخرى: «الفتن في آفاق الأرض[١] ، والمسخ في أعداء الحقّ»[٢] .

﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الحَقُّ﴾ قال: «خروج القائم هو الحقّ عند اللّه ، يراه الخلق لابدّ منه»[٣] .

أقول: كأنّه عليه السلام أراد أنّ ذلك إنّما يكون في الرّجعة ، وعند ظهور القائم يرون من العجائب والغرائب في الآفاق وفي الأنفس ما يتبيّن لهم به: أنّ الإمامة والولاية وظهور الإمام حقّ ، فيكون مخصوصاً بالجاحدين ومن رام التّعميم . قال[٤]: سنريهم دلائلنا على ما تدعوهم إليه من التّوحيد ، وما يتبعه في آفاق العالم ، من أقطار السّماء والأرض ، وفي أنفسهم وما فيهما من لطائف الصّنعة وبدائع الحكمة ، حتّى يظهر لهم أنّ ذلك هو الحقّ ؛ وهذا للمتوسّطين من أهل النّظر ، الّذين يستشهدون بالصّنائع على الصّانع ، الّذين لا يرضون بالتّقليد المحض .

﴿أَوَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾: أولم يكفك شهادة ربّك على كلّ شيء دليلاً عليه ، وهذا للخواصّ الّذين يستشهدون باللّه على اللّه ؛ ولهذا خصّه به في الخطاب.

ورد: «العبوديّة جوهرة كنهها الرّبوبيّة ، فما فقد من العبوديّة وجد في الرّبوبيّة ، وما خفي عن الرّبوبيّة أُصيب في العبوديّة ؛ قال اللّه تعالى: "سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتّى يتبيّن لهم أنّه الحقّ أو لم يكف بربّك أنّه على كلّ شيء شهيد" أي: موجود في غيبتك وحضرتك»[٥] .

﴿أَلا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقاءِ رَبِّهِمْ أَلا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ﴾ لا يفوته شيء .

١ـ في المصدر: «في الآفاق» .
٢ـ الإرشاد (للمفيد): ٣٥٩ ، عن الكاظم عليه السلام .
٣ـ الكافي ٨: ٣٨١ ، ذيل الحديث: ٥٧٥ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .
٤ـ لم نعثر عليه ، ولعلّ «قال» تصحيف «قيل» ، ويؤيّده ما في الصّافي ٤: ٣٦١ حيث أشار إلى هذه الألفاظ بـ «قيل» . والقائل: عطاء وابن زيد كما في مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ١٩ .
٥ـ مصباح الشّريعة: ٧ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .

سورة الشّورى

[مكيّة، وهي ثلاث وخمسون آية][1]

بسم اللّه الرّحمن الرّحيم

﴿حمٓ﴾.

﴿عٓسٓقٓ﴾. قال: «"عس": عدد سني القائم، و"قاف" جبل محيط بالدّنيا من زمرّدة خضراء، فخضرة السّماء من ذلك الجبل؛ وعلم كلّ شيء في "عسق"»[2].

﴿كَذٰلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللّٰهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

﴿لَهُ ما فِي السَّمٰوٰاتِ وَما فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾.

﴿تَكادُ السَّمٰوٰاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ﴾ قال: «أي: يتصدّعن»[3]. أقول: يعني من عظمة اللّه ﴿وَالْمَلائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ قال: «من المؤمنين»[4]. القمّي: للمؤمنين من الشّيعة التّوّابين خاصّة؛ ولفظ الآية عامّ والمعنى خاصّ[5].

﴿أَلا إِنَّ اللّٰهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾.

١ ـ ما بين المعقوفتين من «ب».

٢ و ٣ ـ القمّي ٢: ٢٦٨، عن أبي جعفر عليه السلام.

٤ ـ جوامع الجامع: ٤٢٧، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٥ ـ القمّي ٢: ٢٦٨.

﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِياءَ اللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ﴾: رقيب على أحوالهم وأعمالهم، فيجازيهم بها ﴿وَما أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾.

﴿وَكَذٰلِكَ أَوْحَيْنا إِلَيْكَ قُرْآناً عَرَبِيّاً لِتُنْذِرَ أُمَّ القُرىٰ﴾ أي: أهلها. وهي مكّة ﴿وَمَنْ حَوْلَها﴾: سائر الأرض ﴿وَتُنْذِرَ يَوْمَ الجَمْعِ﴾: يوم القيامة يجمع فيها الخلائق ﴿لا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾.

﴿وَلَوْ شاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً واحِدَةً﴾ مهتدين ﴿وَلٰكِنْ يُدْخِلُ مَنْ يَشاءُ فِي رَحْمَتِهِ﴾ بالهداية ﴿وَالظّالِمُونَ ما لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ﴾ أي: ويدَعُهُم بغير وليّ ولا نصير في عذابه.

﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِياءَ فَاللَّهُ هُوَ الوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِ المَوْتىٰ وَهُوَ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ القمّي: من المذاهب والأديان[1]. ﴿فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ﴾ يوم القيامة. وقيل: وما اختلفتم فيه من تأويل متشابه، فارجعوا إلى المحكم من كتاب اللّه[2]. ﴿ذٰلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾.

﴿فاطِرُ السَّمٰواتِ وَالأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْواجاً﴾ يعني النّساء ﴿وَمِنَ الأَنْعامِ أَزْواجاً﴾ يعني ذكراً وأنثى ﴿يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ﴾: يبثّكم ويكثركم فيه، يعني النّسل الّذي يكون من الذّكور والإناث ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ قال: «إذا كان الشّيء من مشيئته فكان لا يشبه مكوّنه»[3]. القمّي: ردّ اللّه على من وصف اللّه[4]. قيل: الكاف زائدة[5]. وقيل: بل المراد المبالغة في نفي المثل عنه. فإنّه إذا نفى عمّن يناسبه ويسدّ مسدّه كان نفيه عنه

١ ـ القمّي ٢: ٢٧٣.

٢ ـ البيضاوي ٥: ٥١.

٣ ـ المصباح المتهجّد: ٦٩٧، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

٤ ـ القمّي ٢: ٢٧٣.

٥ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٢٤؛ البيضاوي ٥: ٥٢.

أولى[١]. ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ لكلّ ما يسمع ويبصر.

﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمٰوٰاتِ وَالْأَرْضِ﴾: خزائنهما ﴿يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشاءُ وَيَقْدِرُ﴾: يوسّع ويقتر على وفق مشيئته ﴿إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ فيفعله على ما ينبغي.

﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ ما وَصّىٰ بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنا إِلَيْكَ وَما وَصَّيْنا بِهِ إِبْراهِيمَ وَمُوسىٰ وَعِيسىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ﴾ يعني: الأصل المشترك فيما بينهم، ومنه الولاية ﴿وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾: ولا تختلفوا فيه ﴿كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ﴾: عظم عليهم ﴿ما تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾ من هذه الشّرائع ﴿اللّٰهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشاءُ﴾: يختار ويجتلب إلى الدّين ﴿وَيَهْدِي إِلَيْهِ﴾ بالإرشاد والتّوفيق ﴿مَنْ يُنِيبُ﴾: من يقبل إليه.

قال: «نحن الّذين شرع اللّه لنا دينه، فقال في كتابه: "شَرَعَ لكم" يا آل محمّد "من الدّين" الآية. قال: فقد علّمنا وبلّغنا علم ما علّمنا، واستودعنا علمهم، نحن ورثة أُولي العزم من الرّسل، "أن أقيموا الدّين" يا آل محمّد "ولا تتفرّقوا فيه": وكونوا على جماعة، "كَبُرَ على المشركين": من أشرك بولاية عليّ، "ما تدعوهم إليه"، من ولاية عليّ ـ وزيد في رواية أُخرى: هكذا في الكتاب مخطوطة قال: «إنّ اللّه يا محمّد»[٢] ـ يهدي إليه من يُنيب: من يجيبك إلى ولاية عليّ»[٣].

﴿وَما تَفَرَّقُوا إِلّا مِنْ بَعْدِ ما جاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ﴾. القمّي: لم يتفرّقوا بجهل؛ ولكنّهم تفرّقوا لمّا جاءهم وعرفوه، فحسد بعضهم بعضاً، وبغى بعضهم على بعض، لمّا رأوا من تفاضيل أمير المؤمنين عليه السلام بأمر اللّه، فتفرّقوا في المذاهب، وأخذوا بالآراء والأهواء[٤].

١ ـ البيضاوي ٥: ٥١.

٢ ـ الكافي ١: ٤١٨، الحديث: ٣٢، عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام.

٣ ـ الكافي ١: ٢٢٤، الحديث: ١؛ بصائر الدّرجات: ١١٨، الباب: ٣، الحديث: ١؛ تأويل الآيات الظاهرة: ٥٣٠، عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام.

٤ ـ القمّي ٢: ٢٧٣.

﴿وَلَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ﴾ بالإمهال ﴿إِلىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾: لأهلكهم، ولم ينظرهم إذا اختلفوا ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الكِتابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ﴾.

﴿فَلِذٰلِكَ فَادْعُ﴾. القمّي: يعني لهذه الأمور، والدّين الّذي تقدّم ذكره، وموالاة أمير المؤمنين عليه السلام فادع[1]. و ورد: «يعني إلى ولاية أمير المؤمنين»[2].

﴿وَاسْتَقِمْ كَما أُمِرْتَ وَلا تَتَّبِعْ أَهْواءَهُمْ﴾ فيه ﴿وَقُلْ آمَنْتُ بِما أَنْزَلَ اللّٰهُ مِنْ كِتابٍ﴾ يعني جميع الكتب المنزلة ﴿وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللّٰهُ رَبُّنا وَرَبُّكُمْ﴾: خالق الكلّ ومتولّي أمره ﴿لَنا أَعْمالُنا وَلَكُمْ أَعْمالُكُمْ﴾: وكلٌّ مجازى بعمله ﴿لا حُجَّةَ بَيْنَنا وَبَيْنَكُمُ﴾: لا حجاج، بمعنى لا خصومة. إذ الحقّ قد ظهر ولم يبق للمحاجّة مجال. ﴿اللّٰهُ يَجْمَعُ بَيْنَنا﴾ يوم القيامة ﴿وَإِلَيْهِ المَصِيرُ﴾: مرجع الكلّ.

﴿وَالَّذِينَ يُحاجُّونَ فِي اللّٰهِ﴾: في دينه ﴿مِنْ بَعْدِ ما اسْتُجِيبَ لَهُ﴾ لدينه أو لرسوله ﴿حُجَّتُهُمْ داحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾.

القمّي: أي: يحتجّون على الله بعد ما شاء الله أن يبعث عليهم الرّسل، فبعث الله إليهم الرّسل والكتب، فغيّروا وبدّلوا، ثمّ يحتجّون يوم القيامة، فحجّتهم على الله داحضة، أي: باطلة عند ربّهم[3].

﴿وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذابٌ شَدِيدٌ﴾ بمعاندتهم.

﴿اللّٰهُ الَّذِي أَنْزَلَ الكِتابَ بِالحَقِّ وَالمِيزانَ﴾. القمّي: «الميزان أمير المؤمنين عليه السلام»[4]. أقول: قد مضى تحقيقه في الأعراف[5]. ﴿وَما يُدْرِيكَ لَعَلَّ السّاعَةَ

١ ـ القمّي ٢: ٢٧٣.
٢ ـ ٣ ـ المصدر: ٢٧٤.
٤ ـ القمّي ٢: ٣٤٣، ذيل الآية: ٧ من سورة الرحمٰن، عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام.
٥ ـ ذيل الآية: ٨.

قَرِيبٌ ﴾.

﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِها وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْها﴾: خائفون منها مع اعتناء بها لتوقّع الثّواب ﴿وَيَعْلَمُونَ أَنَّها الْحَقُّ﴾ الكائن لا محالة ﴿أَلا إِنَّ الَّذِينَ يُمارُونَ فِي السّاعَةِ﴾ القمّي: أي: يخاصمون، فإنّهم كانوا يقولون لرسول الله ﷺ: أقم لنا السّاعة وأتنا بما تعدنا، إن كنت من الصّادقين[1]. ﴿لَفِي ضَلالٍ بَعِيدٍ﴾.

﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبادِهِ﴾: برٌّ بهم بصنوف من البرّ ﴿يَرْزُقُ مَنْ يَشاءُ﴾: يرزقه لما يشاء، فيخصّ كلّاً من عباده بنوع من البرّ على ما اقتضته حكمته. ﴿وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾: المنيع الّذي لا يُغلب.

﴿مَنْ كانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ﴾: ثوابها. شبّهه بالزّرع، من حيث إنّه فائدة تحصل بعمل الدّنيا، ولذلك قيل: الدّنيا مزرعة الآخرة[2].

﴿نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ﴾ فنعطه بالواحد عشراً إلى سبعمائة فما فوقها. ﴿وَمَنْ كانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيا نُؤْتِهِ مِنْها﴾: شيئاً منها، على ما قسمنا له ﴿وَما لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ﴾ إذ الأعمال بالنّيّات. وإنّما لكلّ امرئ ما نوى.

ورد: «المال والبنون حرث الدّنيا، والعمل الصّالح حرث الآخرة، وقد يجعلهما اللّه لأقوام»[3].

﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ ما لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾ كالشّرك وإنكار البعث والعمل للدّنيا ﴿وَلَوْلا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾. قال: «لولا ما تقدّم فيهم من اللّه عزّ ذكره، ما أبقى القائم منهم أحداً»[4]. أقول: يعني قائم كلّ عصر. ﴿وَإِنَّ الظّالِمِينَ لَهُمْ

١ ـ القمّي ٢: ٢٧٤؛ ومنتهى كلامه اقتباس من الآية: ٧٠. من سورة الأعراف.

٢ ـ عوالي اللئالي ١: ٢٦٧، عن رسول الله ﷺ؛ البيضاوي ٥: ٥٣.

٣ ـ القمّي ٢: ٢٧٤، عن أبي عبد الله عليه السلام.

٤ ـ الكافي ٨: ٢٨٧، الحديث: ٤٣٢، عن أبي جعفر عليه السلام.

عَذابٌ أَلِيمٌ﴾.

﴿تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمّا كَسَبُوا﴾: خائفين ممّا ارتكبوا وعملوا ﴿وَهُوَ واقِعٌ بِهِمْ﴾ أي: ما يخافونه ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّالِحاتِ فِي رَوْضاتِ الجَنّاتِ لَهُمْ ما يَشاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذٰلِكَ هُوَ الفَضْلُ الكَبِيرُ﴾.

﴿ذٰلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللّهُ عِبادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّالِحاتِ قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾: على ما أتعاطاه من التّبليغ ﴿أَجْراً﴾: نفعاً منكم ﴿إِلّا المَوَدَّةَ فِي القُرْبىٰ﴾ قال: «أن تودّوا قرابتي وعترتي، وتحفظوني فيهم»[1].

ورد: «جاءت الأنصار إلى رسول اللّه صلّى الله عليه وآله، فقالوا: إنّا آوينا ونصرنا، فخذ طائفة من أموالنا فاستعن بها على ما نابك، فأنزل اللّه: "قل لا أسألكم عليه أجراً" يعني على النّبوة "إلّا المودّة في القربى" أي: في أهل بيته، ثمّ قال: ألا ترى أنّ الرّجل يكون له صديق، وفي نفس ذلك الرّجل شيء على أهل بيته، فلا يسلم صدره، فأراد اللّه أن لا يكون في نفس رسول اللّه شيء على أُمّته؛ ففرض اللّه عليهم المودّة في القربى. فإن أخذوا أخذوا مفروضاً، وإن تركوا تركوا مفروضاً»[2].

وقال: «هي واللّه فريضة من اللّه على العباد لمحمّد صلّى الله عليه وآله في أهل بيته»[3].

وفي رواية: «في عليّ وفاطمة والحسن والحسين، أصحاب الكساء»[4]. وفي أُخرى: «هم الأئمّة عليهم السلام»[5].

وروي إنّه: لمّا نزلت، قالوا: يا رسول اللّه مَنْ هؤلاء الّذين أَمَرنا اللّه بمودّتهم؟ قال:

١ـ مجمع البيان ٩ـ١٠: ٢٨، عن السّجاد والباقر والصادق عليهم السلام.
٢ـ القمّي ٢: ٢٧٥، عن أبي جعفر عليه السلام.
٣ـ المحاسن: ١٤٤، الباب: ١٣، الحديث: ٤٦، عن أبي جعفر عليه السلام.
٤ـ الكافي ٨: ٩٣، الحديث: ٦٦، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.
٥ـ الكافي ١: ٤١٣، الحديث: ٧، عن أبي جعفر عليه السلام.

«عليّ وفاطمة وولدهما»[١].

﴿وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً﴾ قال: «اقتراف الحسنة، مودّتنا أهل البيت»[٢]. وفي رواية: «الاقتراف التّسليم لنا والصّدق علينا، وأن لا يكذب علينا»[٣].

﴿نَزِدْ لَهُ فِيها حُسْناً إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾. قال: «من توالى[٤] الأوصياء، من آل محمّد واتبع آثارهم، فذاك يزيده ولاية من مضى من النّبيّين والمؤمنين الأوّلين، حتّى يصل ولايتهم إلى آدم»[٥].

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرىٰ عَلَى اللّهِ كَذِباً﴾ أي: افترى آية المودّة، كما يأتي بيانه[٦]. ﴿فَإِنْ يَشَأِ اللّهُ يَخْتِمْ عَلىٰ قَلْبِكَ﴾ قال: «لو افتريت»[٧].

وفي رواية يقول: «لو شئت حبست عنك الوحي، فلم تكلّم بفضل أهل بيتك ولا بمودّتهم»[٨].

﴿وَيَمْحُ اللّهُ الباطِلَ﴾: المفترى. قال: «يعني يبطله»[٩].

﴿وَيُحِقُّ الحَقَّ بِكَلِماتِهِ﴾ قال: «يعني بالأئمّة والقائم من آل محمّد عليهم السلام»[١٠]. وفي رواية يقول: «يحقّ لأهل بيتك الولاية»[١١].

١ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٢٨، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله؛ البيضاوي ٥: ٥٣. وفي شواهد التنزيل ٢: ١٣٠، الحديث: ٨٢٢؛ الدّرّ المنثور ٧: ٣٤٨، ابن عبّاس.

٢ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٢٩، عن حسن بن عليّ عليهما السلام.

٣ ـ الكافي ١: ٣٩١، الحديث: ٤، عن أبي جعفر عليه السلام.

٤ ـ في المصدر: «من تولّى».

٥ ـ الكافي ٨: ٣٧٩، الحديث: ٥٧٤، عن أبي جعفر عليه السلام.

٦ ـ ذيل الآية: ٢٥، من نفس السّورة.

٧ ـ القمّي ٢: ٢٧٥، عن أبي جعفر عليه السلام.

٨ ـ الكافي ٨: ٣٧٩، الحديث: ٥٧٤، عن أبي جعفر عليه السلام.

٩ و ١٠ ـ القمّي ٢: ٢٧٥، عن أبي جعفر عليه السلام.

١١ ـ الكافي ٨: ٣٨٠، الحديث: ٥٧٤، عن أبي جعفر عليه السلام.

﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ﴾. قال: «يقول: بما ألقوه في صدورهم من العداوة لأهل بيتك، والظّلم بعدك»[١].

﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبادِهِ وَيَعْفُوا عَنِ السَّيِّئاتِ وَيَعْلَمُ ما تَفْعَلُونَ﴾.

روي: «لمّا نزلت آية المودّة بعد مقالة الأنصار ـ كما مرّ[٢] ـ فقرأها عليهم، وقال: تودّون قرابتي من بعدي. فخرجوا من عنده مسلّمين لقوله. فقال المنافقون: إنّ هذا الشيء افتراه في مجلسه، أراد أن يذلّلنا لقرابته من بعده. فنزلت: "أم يقولون افترى على اللّه كذباً" فأرسل إليهم، فتلاها عليهم، فبكوا واشتدّ عليهم، فأنزل اللّه: "وهو الّذي يقبل التّوبة عن عباده" الآية، فأرسل في أثرهم، فبشّرهم»[٣].

وورد مثله برواية الخاصّة[٤]، إلّا أنّه ذكر مكان: "أم يقولون افترى على اللّه كذباً"، "أم يقولون افتريهُ قُلْ إنِ افتَرَيْتُهُ فلا تملِكونَ لي من اللّهِ شيئاً" الآية، كما في الأحقاف[٥].

﴿وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّالِحاتِ﴾ روي: «إنّهم الّذين سلّموا لقوله»[٦].

وفي رواية الخاصّة: «هو المؤمن يدعو لأخيه بظهر الغيب، فيقول له المَلَك: آمين، ويقول العزيز الجبّار: ولك مثلا ما سألتَ، وقد أعطيت ما سألت بحبّك إيّاه»[٧].

﴿وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾. قال: «الشّفاعة لمن وجبت له النّار، ممّن أحسن إليهم في الدّنيا»[٨]. ﴿وَالكافِرُونَ لَهُمْ عَذابٌ شَدِيدٌ﴾.

١ ـ الكافي ٨: ٣٨٠، الحديث: ٥٧٤، عن أبي جعفر عليه السلام.
٢ ـ ذيل الآية: ٢٣، من نفس السّورة.
٣ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٢٩؛ وتأويل الآيات الظّاهرة: ٥٣١.
٤ ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ١: ٢٣٥، الباب: ٢٣، ذيل الحديث الطّويل: ١، عن أبي الحسن الرّضا، عن آبائه، عن حسين بن عليّ عليهم السلام.
٥ ـ الاحقاف (٤٦): ٨.
٦ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٢٩.
٧ ـ الكافي ٢: ٥٠٧، الحديث: ٣، عن أبي جعفر عليه السلام.
٨ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٣٠، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبادِهِ لَبَغَوْا فِي الأَرْضِ﴾: لتكبّروا وأفسدوا بطراً.

قال: «لو فعل لفعلوا، ولكن جعلهم محتاجين بعضهم إلى بعض؛ واستعبدهم بذلك، ولو جعلهم كلّهم أغنياء لبغوا»[١].

﴿وَلٰكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ ما يَشاءُ﴾ قال: «بما يعلم أنّه يصلحهم في دينهم ودنياهم»[٢].

﴿إِنَّهُ بِعِبادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾.

في الحديث القدسيّ: «إنّ من عبادي من لا يصلحه إلّا الغنى ولو أفقرته لأفسده، وإنّ من عبادي من لا يصلحه إلّا الفقر ولو أغنيته لأفسده، وذلك أنّي أُدبّر عبادي؛ لعلمي بقلوبهم»[٣].

﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الغَيْثَ﴾: المطر الّذي يغيثهم من الجَدْبِ[٤]، ولذلك خصّ بالنّافع.

﴿مِنْ بَعْدِ ما قَنَطُوا﴾: أيسوا منه ﴿وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ﴾ في كلّ شيء، من السّهل والجبل والنّبات والحيوان ﴿وَهُوَ الوَلِيُّ﴾: الّذي يتولّى عباده بإحسانه ونشر رحمته ﴿الحَمِيدُ﴾: المستحقّ للحمد.

﴿وَمِنْ آياتِهِ خَلْقُ السَّمٰواتِ وَالأَرْضِ وَما بَثَّ فِيهِما مِنْ دابَّةٍ وَهُوَ عَلىٰ جَمْعِهِمْ إِذا يَشاءُ قَدِيرٌ﴾.

﴿وَما أَصابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِما كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾: فبسبب معاصيكم ﴿وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾ من الذّنوب، فلا يعاقب عليها.

ورد: «خير آية في كتاب اللّه. هذه الآية. يا عليّ ما من خدش عود، ولا نَكْبَة قدم إلّا بذنب، وما عفا اللّه عنه في الدّنيا فهو أكرم من أن يعود فيه، وما عاقب عليه في الدّنيا فهو

١ و ٢ ـ القمّي ٢: ٢٧٦، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٣ ـ علل الشّرائع ١: ١٢، الباب: ٩، الحديث: ٧؛ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٣٠.

٤ ـ الجَدْب: نقيض الخِصْب. الصّحاح ١: ٩٧ (جدب).

أعدل من أن يُثنّي على عبده»[١].

أقول: الآية مخصوصة بغير أولياء اللّه، فقد ورد: «إنّ اللّه يخصّ أولياءه بالمصائب ليأجرهم عليها من غير ذنب»[٢].

﴿وَما أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ﴾: فائتين ما قضى عليكم من المصائب ﴿وَما لَكُمْ مِنْ دُونِ اللّهِ مِنْ وَلِيٍّ﴾ يحرسكم عنها ﴿وَلا نَصِيرٍ﴾ يدفعها عنكم.

﴿وَمِنْ آياتِهِ الْجَوارِ﴾: السّفن الجارية ﴿فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلامِ﴾: كالجبال.

﴿إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَواكِدَ عَلىٰ ظَهْرِهِ﴾: فيبقين ثوابت على ظهر البحر ﴿إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآياتٍ لِكُلِّ صَبّارٍ شَكُورٍ﴾ قيل: لكلّ من حبَس نفسه على النّظر في آيات اللّه، والتّفكّر في آلائه[٣]. وقد مرّ له معنى آخر في لقمان[٤].

﴿أَوْ يُوبِقْهُنَّ﴾: يهلك أهلهنّ ﴿بِما كَسَبُوا وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ﴾ بإنجائهم.

﴿وَيَعْلَمَ الَّذِينَ يُجادِلُونَ فِي آياتِنا﴾ قيل: عطف على علّة مقدّرة، مثل: لينتقم منهم ويعلم[٥]. ﴿ما لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ﴾ محيد[٦] من العذاب.

﴿فَما أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتاعُ الْحَياةِ الدُّنْيا﴾ تمتّعون به مدّة حياتكم ﴿وَما عِنْدَ اللّهِ﴾ من ثواب الآخرة لخلوص ﴿خَيْرٌ وَأَبْقىٰ﴾ نفعه ودوامه ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾.

﴿وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَواحِشَ﴾. قد سبق تفسير الكبائر في سورة

١ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٣١، عن أمير المؤمنين عليه السلام، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله.

٢ ـ الكافي ٢: ٤٥٠، الحديث: ٢؛ القمّي ٢: ٢٧٧، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٣ ـ البيضاوي ٥: ٥٥.

٤ ـ لقمان (٣١): ٣١.

٥ ـ البيضاوي ٥: ٥٥؛ الكشّاف ٣: ٤٧٢.

٦ ـ حادَ، يَحيدُ حَيْدَةً عن الشّيء: تَنَحّى وبَعُدَ. المصباح المنير ١: ١٩٤ (حيد).

النّساء[١]. ﴿وَإِذا ما غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾. ورد: «من كظم غيظاً وهو يقدر على إمضائه، حشا اللّه قلبه أمناً وإيماناً يوم القيامة»[٢].

﴿والَّذِينَ اسْتَجابُوا لِرَبِّهِمْ﴾: قبلوا ما أُمروا به ﴿وَأَقامُوا الصَّلاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورىٰ بَيْنَهُمْ﴾: تشاور بينهم، لا ينفردون برأي حتّى يتشاوروا ويجتمعوا عليه؛ وذلك من فرط تيقّظهم في الأُمور. ورد: «ما من رجل يشاور أحداً إلّا هدي إلى الرّشد»[٣]. ﴿وَمِمّا رَزَقْناهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ في سبيل الخير.

﴿وَالَّذِينَ إذا أَصابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ﴾ على ما جعله اللّه لهم؛ كراهة التذلّل، وهو وصفهم بالشّجاعة بعد وصفهم بسائر أُمّهات الفضائل، وهو لا ينافي وصفهم بالغفران، فإنّ الغفران ينبئ عن عجز المغفور، والانتصار يشعر عن مقاومة الخصم، والحلم عن العاجز محمود، وعن المتغلّب مذموم؛ لأنّه إجراء وإغراء على البغي.

﴿وَجَزاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُها﴾. سمّى الثّانية سيّئة للازدواج، ولأنّها تسوء من تنزل به، وهذا منع عن التّعدّي في الانتصار ﴿فَمَنْ عَفا وَأَصْلَحَ﴾ بينه وبين عدوّه ﴿فَأَجْرُهُ عَلَى اللّهِ﴾ إبهامه يدلّ على عِظَمه.

ورد: «إذا كان يوم القيامة نادى مناد: من كان أجره على اللّه فليدخل الجنّة. فيقال: من ذا الّذي أجره على اللّه؟ فيقال: العافون عن النّاس يدخلون الجنّة بغير حساب»[٤].

﴿إِنَّهُ لا يُحِبُّ الظّالِمِينَ﴾: المبتدئين بالسّيّئة، والمتجاوزين في الانتقام.

﴿وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ﴾: بعد ما ظُلِمَ ﴿فَأُولٰئِكَ ما عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ﴾ بالمعاتبة والمعاقبة.

١ ـ ذيل الآية: ٣٦.

٢ ـ القمّي ٢: ٢٧٧، عن أبي جعفر عليه السلام.

٣ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٣٣، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله.

٤ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٣٤، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله.

ورد: «حقّ من أساءك أن تعفو عنه، وإن علمت أنّ العفو يضرّ انتصرت، ثمّ تلا هذه الآية»[١].

﴿إِنَّما السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ﴾: يبتدؤونهم بالإضرار، ويطلبون ما لا يستحقّونه تجبّراً عليهم ﴿وَيَبْغُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الحَقِّ أُولٰئِكَ لَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ﴾.

﴿وَلَمَنْ صَبَرَ﴾ على الأذى ﴿وَغَفَرَ﴾ ولم ينتصر ﴿إِنَّ ذٰلِكَ﴾ منه ﴿لَمِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾.

﴿وَمَنْ يُضْلِلِ اللّٰهُ فَما لَهُ مِنْ وَلِيٍّ مِنْ بَعْدِهِ﴾: من بعد خذلان اللّه إيّاه ﴿وَتَرَى الظّالِمِينَ لَمّا رَأَوُا العَذابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلىٰ مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ﴾ أي: إلى رجعة إلى الدّنيا.

﴿وَتَراهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْها﴾ أي: على النّار، ويدلّ عليها العذاب. ﴿خاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ﴾: متذلّلين متقاصرين ممّا يلحقهم من الذّلّ ﴿يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ﴾ يبتدئ نظرهم إلى النّار، من تحريك لأجفانهم ضعيف، كالمصبور ينظر إلى السّيف. ﴿وَقالَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الخاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ﴾ بالتّعريض للعذاب المخلّد ﴿يَوْمَ القِيامَةِ أَلا إِنَّ الظّالِمِينَ فِي عَذابٍ مُقِيمٍ﴾.

﴿وَما كانَ لَهُمْ مِنْ أَوْلِياءَ يَنْصُرُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللّٰهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللّٰهُ فَما لَهُ مِنْ سَبِيلٍ﴾ إلى الهدى والنّجاة. «هذه الآيات من قوله: "ولمن انتصر" إلى آخرها نزلت في القائم وأصحابه، وانتصارهم من أعدائهم». كذا ورد[٢].

قال: «و"الظّالمين" يعني آل محمّد حقّهم. وعليّ عليه السلام هو العذاب، ينظرون إليه من طرف خفيّ»[٣].

﴿إِسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللّٰهِ ما لَكُمْ مِنْ مَلْجَأٍ يَوْمَئِذٍ

١ ـ الخصال ٢: ٥٧٠، قطعة من حديث: ١، عن عليّ بن الحسين عليهما السلام.

٢ ـ و ٣ ـ القمّي ٢: ٢٧٨، عن أبي جعفر عليه السلام.

﴿وَما لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ﴾. إنكار لما اقترفتموه، لأنّه مثبت في صحائف أعمالكم، يشهد عليه جوارحكم.

﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَما أَرْسَلْناكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً﴾: رقيباً ﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلّا الْبَلاغُ وَإِنّا إِذا أَذَقْنَا الإِنْسانَ مِنّا رَحْمَةً فَرِحَ بِها وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِما قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الإِنْسانَ كَفُورٌ﴾: بليغ الكفران، ينسي النّعمة رأساً ويذكر البليّة ويعظّمها، ولم يتأمّل سببها.

وإنّما صدّر الأُولى بـ«إذا» والثّانية بـ«إن» لأنّ إذاقة النّعمة محقّقة، بخلاف إصابة البليّة. وإنّما أقام علّة الجزاء مقامه في الثّانية، ووضع الظّاهر موضع المضمر، للدّلالة على أنّ هذا الجنس موسوم بكفران النّعمة.

﴿لِلّهِ مُلْكُ السَّمٰواتِ وَالأَرْضِ﴾ فله أن يقسمَ النّعمة والبليّة كيف شاء ﴿يَخْلُقُ ما يَشاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشاءُ إِناثاً﴾ قال: «يعني ليس معهنّ ذكر»[١]. ﴿وَيَهَبُ لِمَنْ يَشاءُ الذُّكُورَ﴾ قال: «يعني ليس معهم أُنثى»[٢].

﴿أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْراناً وَإِناثاً﴾ قال: «أي: يهب لمن يشاء ذكراناً وإناثاً جميعاً، يجمع له البنين والبنات، أي: يهبهم جميعاً لواحد»[٣]. ﴿وَيَجْعَلُ مَنْ يَشاءُ عَقِيماً إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾.

﴿وَما كانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللّهُ إِلّا وَحْياً﴾: كلاماً يسمعه من ملك يشاهده، أو يقع في قلبه.

القمّي: وحي مشافهة، ووحي إلهام، وهو الّذي يقع في القلب[٤].

﴿أَوْ مِنْ وَراءِ حِجابٍ﴾: كلاماً لا يشاهد قائله. القمّي: كما كلّم اللّه نبيّه، وكما كلّم اللّه موسى من النّار[٥].

﴿أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ ما يَشاءُ﴾ فيسمع من الرّسول. القمّي: وحي مشافهة.

١ و ٢ و ٣ ـ القمّي ٢: ٢٧٨، عن أبي جعفر عليه السلام.
٤ و ٥ ـ المصدر: ٢٧٩.

يعني إلى النّاس[1]. ﴿إِنَّهُ عَلِيٌّ﴾ عن صفات المخلوقين ﴿حَكِيمٌ﴾: يفعل ما يقتضيه حكمته.

﴿وَكَذٰلِكَ أَوْحَيْنا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنا﴾ أي: أرسلناه إليك بالوحي.

قال: «خلق من خلق اللّه أعظم من جبرئيل وميكائيل، كان مع رسول اللّه ﷺ يخبره ويسدّده، وهو مع الأئمّة من بعده»[2].

وفي رواية: «فلمّا أوحاها إليه علم بها العلم والفهم، وهي الرّوح الّتي يعطيها اللّه عزّوجلّ من شاء، فإذا أعطاها عبداً علّمه الفهم»[3].

﴿ما كُنْتَ تَدْرِي مَا الكِتابُ وَلاَ الإِيمانُ﴾ أي: قبل الوحي ﴿وَلٰكِنْ جَعَلْناهُ نُوراً نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشاءُ مِنْ عِبادِنا﴾.

قال: «بلى قد كان في حال لا يدري ما الكتاب ولا الإيمان، حتّى بعث اللّه عزّوجلّ الرّوح الّتي ذكر في الكتاب، فلمّا أوحاها علم بها العلم والفهم»[4].

وفي رواية: «عليّ هو النّور؛ هدى به من هدى من خلقه»[5].

﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلىٰ صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ قال: «يقول: تدعو»[6]. وفي رواية: «إنّك لتأمر بولاية عليّ وتدعو إليها، وعليّ هو الصّراط المستقيم»[7].

﴿صِراطِ اللّهِ الَّذِي لَهُ ما فِي السَّمٰوٰاتِ وَما فِي الأَرْضِ﴾ قال: «يعني عليّاً، إنّه جعله خازنه على ما في السّماوات وما في الأرض من شيء، وائتمنه عليه»[8]. ﴿أَلا إِلَى اللّهِ تَصِيرُ الأُمُورُ﴾ بارتفاع الوسائط والتّعلّقات.

١ ـ القمّي ٢: ٢٧٩.

٢ ـ الكافي ١: ٢٧٣، الحديث: ١، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٣ و ٤ ـ المصدر، ٢٧٤، الحديث: ٥، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٥ ـ القمّي ٢: ٢٨٠، عن أبي جعفر عليه السلام، وفيه: «به هدى من هدى».

٦ ـ الكافي ٥: ١٣، قطعة من حديث: ١، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٧ ـ القمّي ٢: ٢٨٠؛ بصائر الدّرجات: ٧٨، ذيل الحديث: ٥، عن أبي جعفر عليه السلام.

٨ ـ القمّي ٢: ٢٨٠، عن أبي جعفر عليه السلام.

سورة الزّخرف

[مكيّة ، إلّا آية: ٥٤ فمدنيّة ، وآياتها تسع وثمانون آية][1]

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم

﴿حـمٓ﴾ .

﴿وَالكِتابِ المُبِينِ﴾ .

﴿إِنّا جَعَلْناهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً﴾: أقسم بالقرآن على أنّه جعله قرآناً عربيّاً . وهو من البدائع ، لتناسب القسم والمقسم عليه . وفي الباطن الكتاب المبين أمير المؤمنين عليه السلام ، كما يأتي في الدّخان[2] . ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾: لكي تفهموا معانيه .

﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الكِتابِ لَدَيْنا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾: رفيع الشّأن ذو حكمة بالغة .

﴿أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحاً﴾: نَدَعُكم مهملين ، لا نحتجّ عليكم برسول أو إمام؟!

﴿أَنْ كُنْتُمْ قَوْماً مُسْرِفِينَ﴾: لأن كنتم .

﴿وَكَمْ أَرْسَلْنا مِنْ نَبِيٍّ فِي الأَوَّلِينَ﴾ .

﴿وَما يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيٍّ إِلّا كانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ . تسلية لرسول الله صلى الله عليه وآله عن استهزاء قومه .

١ ـ ما بين المعقوفتين من «ب» .

٢ ـ ذيل الآية: ٤ .

﴿فَأَهْلَكْنا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشاً وَمَضىٰ مَثَلُ الْأَوَّلِينَ﴾: وسلف في القرآن قصّتهم العجيبة، وفيه وَعْدٌ لرسول الله ﷺ، ووعيد لهم بمثل ما جرى على الأوّلين.

﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمٰواتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾ يعني: أقرّوا بعزّي وعلمي، وما بعده استئناف.

﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْداً﴾ تستقرّون فيها ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ فِيها سُبُلاً﴾ تسلكونها ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ إلى مقاصدكم، أو إلى حكمة الصّانع بالنّظر في ذلك.

﴿وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّماءِ ماءً بِقَدَرٍ﴾: بمقدار ينفع ولا يضرّ ﴿فَأَنْشَرْنا بِهِ بَلْدَةً مَيْتاً﴾: فأحيينا به أرضاً لانبات فيها ﴿كَذٰلِكَ تُخْرَجُونَ﴾: تنشرون من قبوركم.

﴿وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْواجَ كُلَّها﴾: أصناف المخلوقات ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعامِ ما تَرْكَبُونَ﴾ في البحر والبرّ.

﴿لِتَسْتَوُوا عَلىٰ ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ﴾: تذكروها بقلوبكم؛ معترفين بها حامدين عليها ﴿وَتَقُولُوا سُبْحانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنا هٰذا وَما كُنّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾: مطيقين. يعني: لا طاقة لنا بالإبل ولا بالفلك ولا بالبحر، لولا أنّ الله سخّره لنا.

﴿وَإِنّا إِلىٰ رَبِّنا لَمُنْقَلِبُونَ﴾ أي: راجعون. واتّصاله بذلك لأنّ الرّكوب للتنقّل، والنّقلة العظمى هو الانقلاب إلى الله عزّوجلّ، ولأنّه مخطر فينبغي للراكب أن لا يغفل عنه ويستعدّ للقاء الله.

ورد: «ليس من عبد يقولها عند ركوبه فيقع من بعير أو دابّة فيصيبه شيء بإذن الله»[1].

﴿وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبادِهِ جُزْءاً﴾: ولداً. فقالوا: الملائكة بنات الله. سمّاه جزءاً؛ لأنّ الولد بضعة من والده. قيل: هو متّصل بقوله: "وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ"[2] أي: وجعلوا له بعد ذلك الاعتراف[3]. ﴿إِنَّ الْإِنْسانَ لَكَفُورٌ مُبِينٌ﴾: ظاهر الكفران.

١ـ الكافي ٣: ٤٧٢، الحديث: ٥، عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام.

٢ـ الآية: ٨، من نفس السّورة.

٣ـ الكشّاف ٣: ٤٨٠؛ البيضاوي ٥: ٥٨.

﴿أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُمْ بِالْبَنِينَ﴾ إنكارٌ وتعجيب من شأنهم.

﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا﴾: بما جعل له شبهاً، فإنّ كلّ ولد من كلّ جنس شبهه وجنسه ﴿ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا﴾: صار وجهه أسود في الغاية؛ لما يعتريه من الكآبة[1] ﴿وَهُوَ كَظِيمٌ﴾: مملوّ قلبه من الكرب.

﴿أَوَمَنْ يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ﴾: أو يجعلون له من يتربّى في الزّينة، يعني البنات. ﴿وَهُوَ فِي الْخِصَامِ﴾: في المجادلة ﴿غَيْرُ مُبِينٍ﴾ للحجّة. يقال: قلّما تتكلّم امرأة بحجّتها إلّا تكلّمت بالحجّة عليها.

﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَٰنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ﴾: خلق اللّه إيّاهم، فشاهدوهم إناثاً ﴿سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ﴾ الّتي شهدوا بها على الملائكة ﴿وَيُسْأَلُونَ﴾ عنها يوم القيامة.

﴿وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَا لَهُمْ بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾.

﴿أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِنْ قَبْلِهِ﴾ ينطق على صحّة ما قالوه ﴿فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ﴾.

﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ﴾: طريقة تامّ ﴿وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ﴾ أي: لا حجّة لهم على ذلك، وإنّما جنحوا إلى تقليد آبائهم الجهلة.

﴿وَكَذَٰلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ﴾ تسليةً، ودلالةٌ على أنّ التّقليد في مثله ضلال قديم. وفي تخصيص المترفين إشعارٌ بأنّ التّنعّم وحبّ البطالة صرفهم عن النّظر إلى التّقليد.

﴿قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ﴾ يعني: أتتّبعون آباءكم، ولو جئتكم بدين أهدى من دين آبائكم، وهو حكاية أمر ماضٍ أوحي إلى النّذير، أو خطاب لنبيّنا صلى الله عليه وآله. ﴿قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾ أي: وإن كان أهدى.

١ ـ كَئِبَ يَكْأَبُ ـ من باب: تَعِبَ ـ كَآبَةً وكَأْباً وكَأَبَةً: حَزِنَ أشدّ الحزن. المصباح المنير ٢: ٢٣٧ (كأب).

﴿فَانْتَقَمْنا مِنهُمْ﴾ بالاستئصال ﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾.

﴿وَإِذْ قالَ إِبْراهِيمُ﴾: واذكر وقت قوله هذا، ليروا كيف تبرّأ عن التّقليد وتمسّك بالبرهان، أو ليقلّدوه إن لم يكن لهم بدّ من التّقليد، فإنّه أشرف آبائهم..

﴿لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَآءٌ مِمّا تَعْبُدُونَ﴾.

﴿إِلّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ﴾ هداية بعد هداية.

﴿وَجَعَلَها﴾ أي: كلمة التّوحيد ﴿كَلِمَةً باقِيَةً فِي عَقِبِهِ﴾: في ذرّيّته، فيكون فيهم أبداً من يوحّد اللّه ويدعو إلى توحيده، ويكون إماماً للخلق وحجّة عليهم. ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾: يرجع من أشرك منهم بدعاء من وحّده.

قال: «فينا نزلت هذه الآية، والإمامة في عقب الحسين إلى يوم القيامة»[1].

﴿بَلْ مَتَّعْتُ هٰؤُلاءِ وَآباءَهُمْ حَتّى جاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُبِينٌ﴾.

﴿وَلَمّا جاءَهُمُ الْحَقُّ قالُوا هٰذا سِحْرٌ وَإِنّا بِهِ كافِرُونَ﴾: ضمّوا إلى شركهم معاندة الحقّ.

﴿وَقالُوا لَوْلا نُزِّلَ هٰذا الْقُرْآنُ عَلى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ بالجاه والمال: إمّا الوليد بن المغيرة[2] بمكّة، أو عروة بن مسعود الثّقفيّ[3] بالطّائف، فإنّ الرّسالة

١ ـ كمال الدّين ١: ٣٢٣، الباب: ٣١، الحديث: ٨، عن السّجادعليه السلام ؛ علل الشّرائع ١: ٢٠٧، الباب: ١٥٦، الحديث: ٦، عن أبي جعفرعليه السلام ؛ معاني الأخبار: ١٣٢، مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٤٥؛ المناقب ٤: ٤٦، عن أبي عبد اللّه‌عليه السلام.

٢ ـ الوليد بن المغيرة بن عبد اللّه بن عمرو: من قضاة العرب في الجاهليّة، ومن زعماء قريش ومن زنادقتها. وأدرك الإسلام وهو شيخ هرم، فعاداه وقاوم دعوته، وهو الّذي جمع قريشاً وقال: إنّ النّاس يأتونكم أيّام الحجّ فيسألونكم عن محمّد، فتختلف أقوالكم فيه، فيقول هذا: كاهن، ويقول هذا: شاعر، ويقول هذا: مجنون؛ وليس يشبه واحداً ممّا يقولون، ولكن أصلح ما قيل فيه: «ساحر» لأنّه يفرق بين المرء وأخيه، والزّوج وزوجته. ولد في سنة ٩٥ قبل الهجرة وهلك بعد الهجرة بثلاثة أشهر. الأعلام (للزركلي) ٨: ١٢٢.

٣ ـ عروة بن مسعود بن معتب الثقفي: صحابيّ مشهور، كان كبيراً في قومه بالطّائف، ولمّا أسلم استأذن النّبيّ صلى الله عليه وآله

←

منصب عظيم لا يليق إلّا بعظيم، ولم يعلموا أنّها رتبة روحانيّة، تستدعي عظم[1] النّفس، بالتحلّي بالفضائل الأُخرويّة، والكمالات القدسيّة، لا التّزخرف بالزّخارف الدّنيويّة.

﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ﴾. إنكارٌ فيه تجهيل وتعجيب من تحكّمهم. والمراد بالرّحمة: النّبوّة. ﴿نَحْنُ قَسَمْنا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الحَياةِ الدُّنْيا وَرَفَعْنا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً سُخْرِيّاً﴾: ليستعمل بعضهم بعضاً في حوائجهم، فيحصل بينهم تألّف وتضامّ، وينتظم بذلك النّظام، لا اعتراض لهم علينا في ذلك ولا تصرّف.

«ليس للغنيّ أن يقول: هلّا أُضيف إلى غناي جمالُ فلانٍ، ولا للجميل أن يقول: هلّا أُضيف إلى جمالي مالُ فلانٍ إلى غير ذلك». كذا ورد[2]. ﴿وَرَحْمَتُ رَبِّكَ﴾ هذه، أي: النّبوّة وما يتبعها ﴿خَيْرٌ مِمّا يَجْمَعُونَ﴾: من حطام الدّنيا؛ والعظيم من رزق منها لا منه.

﴿وَلَوْلا أَنْ يَكُونَ النّاسُ أُمَّةً واحِدَةً﴾: لولا أن يرغبوا في الكفر إذا رأوا الكفّار في سعة وتنعّم؛ لحبّهم الدّنيا؛ فيجتمعوا عليه.

قال: «عنى بذلك أُمّة محمّد صلّى الله عليه وآله، أن يكونوا على دين واحد؛ كفّاراً كلّهم»[3].

﴿لَجَعَلْنا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفاً مِنْ فِضَّةٍ وَمَعارِجَ﴾: ومصاعد ﴿عَلَيْها يَظْهَرُونَ﴾: يعلون السّطوح.

﴿وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْواباً وَسُرُراً﴾ أي: من فضّة ﴿عَلَيْها يَتَّكِئُونَ﴾.

← أن يرجع إلى قومه يدعوهم إلى الإسلام. فقال: أخاف أن يقتلوك. قال: لو وجدوني نائماً ما أيقظوني. فأذن له. فرجع، فدعاهم إلى الإسلام، فخالفوه، ورماه أحدهم بسهم فقتله، وكان ذلك في سنة ٩ من الهجرة. الأعلام (للزركلي) ٤: ٢٢٧.

١ ـ في «ب»: «عظيم النفس».

٢ ـ الاحتجاج ١: ٣١، عن العسكري، عن الهادي عليه السلام، عن رسول الله صلّى الله عليه وآله.

٣ ـ الكافي ٢: ٢٦٥، الحديث: ٢٣؛ علل الشرائع ٢: ٥٨٩، الباب: ٣٨٥، الحديث: ٣٣، عن علي بن الحسين عليهما السلام.

﴿وَزُخْرُفاً﴾: وزينة .

قال: «لو فعل اللّه ذلك بهم لما آمن أحد ، ولكنّه جعل في المؤمنين أغنياء وفي الكافرين فقراء ، وجعل في المؤمنين فقراء وفي الكافرين أغنياء ، ثمّ امتحنهم بالأمر والنّهي والصّبر والرّضا»[1] .

﴿وَإِنْ كُلُّ ذٰلِكَ لَمّا مَتاعُ الحَياةِ الدُّنْيا﴾ «لمّا» بمعنى «إلّا» ، و«إن» نافية . ﴿وَالآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ .

ورد: «إنّ اللّه جلّ ثناؤه ليعتذر إلى عبده المؤمن المحوج في الدّنيا ، كما يعتذر الأخ إلى أخيه ، فيقول: وعزّتي ما أحوجتك في الدّنيا من هوانٍ كان بك عليّ ، فارفع هذا السَّجْف[2] ، فانظر إلى ما عوّضتك من الدّنيا . قال: فيرفع فيقول: ما ضرّني ما منعتني مع ما عوّضتني»[3] .

و ورد: «يا معشر المساكين طيبوا نفساً ، واعطوا اللّه الرّضا من قلوبكم يثبكم اللّه على فقركم ، فإن لم تفعلوا فلا ثواب لكم»[4] .

﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمٰنِ﴾: يتعامى ويعرض عنه ، لفرط اشتغاله بالمحسوسات وانهماكه في الشّهوات ﴿نُقَيِّضْ﴾: نسبّب ونقدّر ﴿لَهُ شَيْطاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾: يوسوسه ويغويه دائماً .

ورد: «من تصدّى بالإثم أعشى[5] عن ذكر اللّه ، ومن ترك الأخذ عمّن أمر اللّه بطاعته قيّض له شيطان ؛ فهو له قرين»[6] .

١ ـ القمّي ٢: ٢٨٤ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .
٢ ـ السَّجْف ـ ويُكْسَرُ ـ السِّتْر ، القاموس المحيط ٣: ١٥٥ (سجف) .
٣ ـ الكافي ٢: ٢٦٤ ، الحديث: ١٨ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .
٤ ـ الكافي ٢: ٢٦٣ ، الحديث: ١٤ ، عن النّبيّ صلّى اللّه عليه وآله .
٥ ـ أعشى عنه: صدر عنه إلى غيره وأعرض . أقرب الموارد ٣: ٧٨٧ (عشو) .
٦ ـ الخصال ٢: ٦٣٣ ، حديث أربعمائة ، عن أبي عبد اللّه ، عن آبائه ، عن أمير المؤمنين عليهم السلام .

﴿وَإِنَّهُمْ﴾: وإنّ الشياطين ﴿لَيَصُدُّونَهُمْ﴾ أي: العاشين ﴿عَنِ السَّبِيلِ﴾: سبيل الحقّ ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ .

﴿حَتَّىٰ إِذا جاءَنا﴾ أي: العاشي ﴿قالَ﴾ أي: للشّيطان ﴿يا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ المَشْرِقَيْنِ﴾: بعد المشرق من المغرب ﴿فَبِئْسَ القَرِينُ﴾ أنت .

﴿وَلَنْ يَنْفَعَكُمُ الْيَوْمَ﴾ ما أنتم عليه من التّمنّي ﴿إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي العَذابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ .

قال: «نزلت هكذا: حتّى إذا جاءانا، يعني فلاناً وفلاناً، يقول أحدهما لصاحبه حين يراه: "يا لَيت"، الآيتين. قال: "إذ ظلمتم" آل محمّد حقّهم»[١] .

﴿أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي العُمْيَ وَمَنْ كانَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾ . إنكار تعجّب من أن يكون هو الّذي يقدر على هدايتهم، بعد تمرّنهم على الكفر واستغراقهم في الضّلال، بحيث صار عشاهم عمى مقروناً بالصّمم .

﴿فَإِمّا نَذْهَبَنَّ بِكَ﴾ فإن قبضناك قبل أن نريك عذابهم . و«ما» مزيدة للتأكيد . ﴿فَإِنّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ﴾ بعدك .

﴿أَوْ نُرِيَنَّكَ﴾: أو إن أردنا أن نريك ﴿الَّذِي وَعَدْناهُمْ﴾ من العذاب ﴿فَإِنّا عَلَيْهِمْ مُقْتَدِرُونَ﴾: لا يفوتوننا .

روي: «إنّه أُري ما يلقى ذرّيّته من أُمّته بعده، فما زال منقبضاً ولم ينبسط ضاحكاً حتّى لقى اللّه عزّ وجلّ»[٢] .

و ورد: إنّه قال في حجّة الوداع بمنى: «لألفينّكم[٣] ترجعون بعدي كفّاراً يضرب بعضكم رقاب بعض، وأيم اللّه لئن فعلتموها لتعرفنّني في الكتيبة الّتي تضاربكم، ثمّ التفت إلى

١ـ القمّي ٢: ٢٨٦، عن أبي جعفر عليه السلام .

٢ـ الجامع لأحكام القرآن (للقرطبي) ١٦: ٩٢؛ تفسير القرآن العظيم (لابن كثير) ٤: ٤٤ .

٣ـ أَلْفَيْتُ الشيء: وجدتُه . الصّحاح ٦: ٢٤٨٤ (لفا) .

خلفه فقال: أو عليّ أو عليّ أو عليّ ، فرأينا أنّ جبرئيل غمزه . فأنزل اللّه على أثر ذلك: "فإمّا نذهبنّ بك فإنّا منهم منتقمون" بعليّ بن أبي طالب»[١] . أقول: يعني في الرّجعة .

وفي رواية قال: «فإمّا نذهبنّ بك يا محمّد من مكّة إلى المدينة ، فإنّا رادّوك إليها ، ومنتقمون منهم بعليّ بن أبي طالب»[٢] .

﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ قال: «على ولاية عليّ»[٣] .

﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾ . قال: «نحن قومه ونحن المسؤولون»[٤] .

﴿وَسْئَلْ مَنْ أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنا أَجَعَلْنا مِنْ دُونِ الرَّحْمٰنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ﴾ .

«نزلت حين أسرى به إلى السّماء وجمع له الأنبياء ، فعلم منهم ما أرسلوا به وحمّلوه» . كذا ورد[٥] .

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنا مُوسىٰ بِآياتِنا إِلىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِهِ فَقالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعالَمِينَ﴾ .

﴿فَلَمّا جاءَهُمْ بِآياتِنا إِذا هُمْ مِنْها يَضْحَكُونَ﴾: استهزؤوا بها أوّل ما رأوها ، ولم يتأمّلوا فيها .

﴿وَما نُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِها وَأَخَذْناهُمْ بِالْعَذابِ﴾ كالسّنين والطّوفان والجراد ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ .

﴿وَقالُوا يا أَيُّهَ السّاحِرُ﴾ قيل: نادوه بذلك في تلك الحال لشدّة شكيمتهم وفرط

١ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٤٩ ؛ جوامع الجامع: ٤٣٤ .

٢ ـ القمّي ٢: ٢٨٤ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .

٣ ـ المصدر: ٢٨٦ ، عن أبي جعفر عليه السلام .

٤ ـ الكافي ١: ٢١١ ، الحديث: ٥ ؛ القمّي ٢: ٢٨٦ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام ؛ الكافي ١: ٢١٠ ، الحديث: ١ ، عن أبي جعفر عليه السلام .

٥ ـ الاحتجاج ١: ٣٧٠ ؛ القمّي ٢: ٢٨٥ ، عن أبي جعفر عليه السلام ، بالمضمون .

حماقتهم ؛ أو لأنّهم كانوا يسمّون العالم الباهر ساحراً[١] ، والقمّي: يا أيّها العالم[٢] ﴿ادْعُ لَنا رَبَّكَ بِما عَهِدَ عِنْدَكَ﴾ أن يكشف عنّا العذاب ﴿إِنَّنا لَمُهْتَدُونَ﴾ .

﴿فَلَمّا كَشَفْنا عَنْهُمُ العَذابَ إِذا هُمْ يَنْكُثُونَ﴾ عهدهم بالاهتداء .

﴿وَنادىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ﴾ بعد كشف العذاب عنهم ؛ مخافة أن يؤمن بعضهم . ﴿قالَ يا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهٰذِهِ الأَنْهارُ﴾: أنهار النّيل ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلا تُبْصِرُونَ﴾ .

﴿أَمْ أَنَا خَيْرٌ﴾ مع هذه المملكة والبسطة ﴿مِنْ هٰذا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ﴾: ضعيف حقير لا يصلح للرّئاسة ﴿وَلا يَكادُ يُبِينُ﴾ الكلام ، لما به من الرُّتّة[٣] . و«أم» إمّا منقطعة والهمزة فيها للتّقرير ؛ أو متّصلة ، والمعنى: أفلا تبصرون؟ أم تبصرون فتعلمون أنّي خير منه؟ .

﴿فَلَوْلا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ﴾ أي: فهلّا أُلقي إليه مقاليد الملك إن كان صادقاً إذ كانوا إذا سوّدوا رجلاً سوّروه وطوّقوه بطوق من ذهب . ﴿أَوْ جاءَ مَعَهُ المَلائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ﴾: مقارنين ، يعينونه أو يصدّقونه .

﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ﴾: استخفّ أحلامهم ، أو طلب منهم الخفّة في مطاوعته ، ودعاهم ﴿فَأَطاعُوهُ إِنَّهُمْ كانُوا قَوْماً فاسِقِينَ﴾ .

﴿فَلَمّا آسَفُونا﴾: أغضبونا بالإفراط في العناد والعصيان .

قال: «إنّ اللّه لا يأسف كأسفنا ، ولكنّه خلق أولياء لنفسه يأسفون ويرضون ، وهم مخلوقون مربوبون ، فجعل رضاهم رضا نفسه ، وسخطهم سخط نفسه» الحديث[٤] .

﴿انْتَقَمْنا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْناهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ في اليمّ .

١ ـ البيضاوي ٥: ٦٠ .

٢ ـ القمّي ٢: ٢٨٥ .

٣ ـ الرُّتَّةُ: العُجْمَة والكُحْلَة في اللّسان . القاموس المحيط ١: ١٥٣ (رتت) .

٤ ـ الكافي ١: ١٤٤ ، الحديث: ٦ ، التوحيد: ١٦٨ ، الباب: ٢٦ ، الحديث: ٢ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .

﴿فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفاً﴾: قدوة لمن بعدهم من الكفّار ﴿وَمَثَلاً لِلْآخِرِينَ﴾: وعِظَة لهم.

﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلاً﴾ أي: لعليّ.

قال عليه السلام: «جئت إلى النّبيّ يوماً[1]، فوجدته في ملإ من قريش، فنظر إليّ، ثمّ قال: يا عليّ إنّما مثلك في هذه الأمّة كمثل عيسى بن مريم عليه السلام، أحبّه قوم فأفرطوا في حبّه فهلكوا، وأبغضه قوم وأفرطوا في بغضه فهلكوا، واقتصد فيه قوم فنجوا، فعظم ذلك عليهم وضحكوا وقالوا: يشبّهه بالأنبياء والرّسل؛ فنزلت هذه الآية»[2].

وفي رواية قال: «إنّ فيك شبهاً من عيسى بن مريم، لولا أن يقول فيك طوائف من أُمّتي ما قالت النّصارى في عيسى بن مريم، لقلت فيك قولاً لا تمرّ بملإ من النّاس إلّا أخذوا التّراب من تحت قدميك، يلتمسون بذلك، البركة. قال: فغضب الأعرابيّان والمغيرة بن شعبة[3] وعدّة من قريش معهم، فقالوا: ما رضي أن يضرب لابن عمّه مثلاً إلّا عيسى بن مريم، فنزلت»[4].

وفي رواية: «قالوا: واللّه لآلهتنا الّتي كنّا نعبدها في الجاهليّة أفضل منه»[5].

﴿إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾. قال: «الصّدود في العربيّة: الضّحك»[6].

١ ـ الكافي ١: ١٤٤، الحديث: ٦. التوحيد: ١٦٨، الباب: ٢٦، الحديث: ٢، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٢ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٥٣؛ جوامع الجامع: ٤٣٦، عن أهل البيت، عن عليّ عليه السلام.

٣ ـ المغيرة بن شعبة بن أبي عامر بن مسعود الثقفي، أبو عبد اللّه: أحد دهاة العرب وقادتهم وولاتهم، صحابيّ. ولد في الطائف (بالحجاز). فلمّا ظهر الإسلام تردّد في قبوله إلى أن كانت سنة: ٥ هـ. فأسلم، وشهد الحديبية واليمامة وفتوح الشّام والقادسيّة ونهاوند وهمدان وغيرها. وولّاه عمر بن الخطاب على البصرة، وعزله. ثمّ ولّاه الكوفة، وأقرّه عثمان على الكوفة ثم عزله. ولمّا حدثت الحرب بين علي ومعاوية اعتزلها المغيرة. ثمّ ولّاه معاوية الكوفة، فلم يزل فيها إلى أن مات سنة: ٥٠ هـ. الأعلام (للزركلي) ٧: ٢٧٧.

٤ ـ الكافي ٨: ٥٧، الحديث: ١٨، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله.

٥ ـ القمّي ٢: ٢٨٦، عن سلمان، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله.

٦ ـ معاني الأخبار: ٢٢٠، الحديث: ١، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله.

وفي رواية: «أنزل: "يضجّون" فحرّفوها»[١].

﴿وَقالُوا أَآلِهَتُنا خَيْرٌ أَمْ هُوَ ما ضَرَبُوهُ لَكَ﴾ أي: هذا المثل ﴿إِلّا جَدَلاً بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ شداد الخصومة، حِراص على اللّجاج.

﴿إِنْ هُوَ﴾ يعني الّذي ضرب له المثل، أو ضرب به؛ والأوّل مرويّ[٢]. ﴿إِلّا عَبْدٌ أَنْعَمْنا عَلَيْهِ وَجَعَلْناهُ مَثَلاً لِبَنِي إِسْرائِيلَ﴾.

﴿وَلَوْ نَشاءُ لَجَعَلْنا مِنْكُمْ﴾ قال: «يعني من بني هاشم»[٣]. ﴿مَلائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ﴾: يخلفونكم في الأرض، يعني أنّ اللّه قادر على أعجب من ذلك.

﴿وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسّاعَةِ﴾ أي: من أشراطها، يُعلم بها قربها. القمّي: يعني أمير المؤمنين عليه السلام[٤]. وقيل: يعني عيسى، أي: نزوله[٥]. ﴿فَلا تَمْتَرُنَّ بِها وَاتَّبِعُونِ هذا صِراطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾.

﴿وَلا يَصُدَّنَّكُمُ الشَّيْطانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾.

﴿وَلَمّا جاءَ عِيسى بِالْبَيِّناتِ قالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ فيما أبلّغه عنه.

﴿إِنَّ اللّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هذا صِراطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾.

﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزابُ﴾: الفرق المتحزّبة ﴿مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾.

﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلّا السّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ﴾.

١ ـ القمّي ٢: ٢٨٦، عن سلمان، عن النبيّ صلى الله عليه وآله.

٢ ـ الكافي ٨: ٥٧، الحديث: ١٨، عن النبيّ صلى الله عليه وآله.

٣ ـ الكافي ٨: ٥٧، الحديث: ١٨، عن النبيّ صلى الله عليه وآله.

٤ ـ لم نعثر عليه في تفسير القمّي المطبوع، ولعلّه سقط من النّسّاخ؛ لأنّه بعينه موجود في النّسخة المخطوطة من تفسير القمّي، الموجودة في مكتبة الإعلام الإسلامي، تحت رقم: ٢٦٨١٨.

٥ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٥٤؛ الكشّاف ٣: ٤٩٤؛ البيضاوي ٥: ٦٢.

﴿الأَخِلاّءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلّا المُتَّقِينَ﴾ فإنّ خلّتهم لمّا كانت في اللّه تبقى نافعة أبد الآباد.

قال: «واللّه ما أراد بهذا غيركم»[1].

و ورد: «ألا كلّ خلّة في غير اللّه فإنّها تصير عداوة يوم القيامة»[2].

﴿يا عِبادِ لا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ اليَوْمَ وَلا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ حكاية لما ينادي به المتّقون المتحابّون في اللّه يومئذ.

﴿الَّذِينَ آمَنُوا بِآياتِنا وَكانُوا مُسْلِمِينَ﴾.

﴿أُدْخُلُوا الجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْواجُكُمْ تُحْبَرُونَ﴾ القمّي: أي تكرمون[3].

﴿يُطافُ عَلَيْهِمْ بِصِحافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوابٍ﴾ الصَّحْفَة: القَصْعَة. والكُوب: كوز لا عروة له. ﴿وَفِيها ما تَشْتَهِيهِ الأَنْفُسُ﴾.

ورد: «فإذا اشتهى المؤمن ولداً خلقه اللّه عزّوجلّ بغير حمل ولا ولادة على الصّورة الّتي يريد، كما خلق آدم عبرة»[4].

و ورد: «إنّ الرّجل في الجنّة يبقى على مائدته أيّام الدّنيا، ويأكل في أكلة واحدة بمقدار أكله في الدّنيا»[5].

﴿وَتَلَذُّ الأَعْيُنُ﴾ بمشاهدته ﴿وَأَنْتُمْ فِيها خالِدُونَ﴾.

﴿وَتِلْكَ الجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوها بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

﴿لَكُمْ فِيها فاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْها تَأْكُلُونَ﴾.

١ ـ الكافي ٨: ٣٥، ذيل الحديث: ٦، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.
٢ ـ القمّي ٢: ٢٨٧، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.
٣ ـ المصدر: ٢٨٨.
٤ ـ الاحتجاج ٢: ٣١٠، في توقيعات النّاحية المقدّسة، عن القائم عليه السلام.
٥ ـ القمّي ٢: ٢٨٨، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذابِ جَهَنَّمَ خالِدُونَ﴾.

﴿لا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ﴾: لا يخفّف عنهم ﴿وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾: آئسون من الخير.

﴿وَما ظَلَمْناهُمْ وَلٰكِنْ كانُوا هُمُ الظّالِمِينَ﴾.

﴿وَنادَوْا يا مالِكُ﴾. وفي قراءتهم عليهم السلام: «يا مالِ»[١] بالترخيم. قيل: فلعلّه إشعار بأنّهم لضعفهم لا يستطيعون تأدية اللّفظ بالتّمام[٢]. ﴿لِيَقْضِ عَلَيْنا رَبُّكَ﴾ يعني: سل ربّك ليقضي علينا، أي: يميتنا؛ من قضى عليه: إذا أماته. ﴿قالَ إِنَّكُمْ ماكِثُونَ﴾.

﴿لَقَدْ جِئْناكُمْ بِالْحَقِّ وَلٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كارِهُونَ﴾.

﴿أَمْ أَبْرَمُوا أَمْراً﴾ في تكذيب الحقّ وردّه، ولم يقتصروا على كراهته. ﴿فَإِنّا مُبْرِمُونَ﴾ أمراً في مجازاتهم. القمّي: يعني ما تعاهدوا عليه في الكعبة: أن لا يردّوا الأمر في أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله[٣].

و ورد: «إنّ هذه الآيات نزلت فيهم»[٤].

﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنّا لا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْواهُمْ بَلىٰ﴾ نسمعها ﴿وَرُسُلُنا﴾: والحفظة مع ذلك ﴿لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ ذلك.

﴿قُلْ إِنْ كانَ لِلرَّحْمٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ العابِدِينَ﴾. قال: «أي: الجاحدين. قال: والتأويل في هذا القول باطنه مضادّ لظاهره»[٥]. والقمّي: يعني أوّل الآنفين للّه أن يكون له ولد[٦].

﴿سُبْحانَ رَبِّ السَّماواتِ وَالأَرْضِ رَبِّ العَرْشِ عَمّا يَصِفُونَ﴾: عن كونه ذا ولد، فإنّ

١ـ مجمع البيان ٩ـ ١٠: ٥٦؛ الكشّاف ٣: ٤٩٦، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

٢ـ البيضاوي ٥: ٦٤؛ الكشّاف ٣: ٤٩٦.

٣ـ القمّي ٢: ٢٨٨.

٤ـ الكافي ٨: ١٨٠، ذيل الحديث: ٢٠٢، عن أبي عبد الله عليه السلام.

٥ـ الاحتجاج ١: ٣٧٢، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

٦ـ القمّي ٢: ٢٨٩.

هذه المبدعات منزّهة عن توليد المثل ، فما ظنّك بمبدعها وخالقها .

﴿ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴾ .

﴿ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَٰهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَٰهٌ ﴾: مستحقّ لأن يُعْبَد فيهما ﴿ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴾ .

﴿ وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ .

﴿ وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ بالتّوحيد .

﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾ لتعذّر المكابرة فيها ، من فرط ظهوره ﴿ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ من عبادته إلى عبادة غيره .

﴿ وَقِيلِهِ ﴾ وقوله: "قيل" عطف على "السّاعة" ، وعلى النّصب أي: ويعلم قول الرّسول صلّى الله عليه وآله أو وقال: قوله . وقيل: الهاء زائدة[1] . ﴿ يَا رَبِّ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ .

﴿ فَاصْفَحْ عَنْهُمْ ﴾: فأعرض عن دعوتهم آيساً عن إيمانهم ﴿ وَقُلْ سَلَامٌ ﴾: تسلّم منكم ومتاركة ﴿ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ . تسليةٌ له ، وتهديد لهم .

١ ـ تفسير الكبير ٢٧: ٢٣٤ .

سورة الدّخان

[مكيّة، وهي تسع وخمسون آية][1]

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم

﴿حمٓ﴾.

﴿وَالكِتابِ المُبِينِ﴾.

﴿إِنّا أَنزَلْناهُ فِي لَيْلَةٍ مُبارَكَةٍ﴾ قال: «هي ليلة القدر، أنزل اللّه القرآن فيها إلى البيت المعمور جملة واحدة، ثمّ نزل من البيت المعمور على رسول اللّه صلى الله عليه وآله في طول عشرين سنة»[2]. ﴿إِنّا كُنّا مُنذِرِينَ﴾.

﴿فِيها يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ «أي: محكم». كذا ورد[3].

قال: «أي: يقدّر اللّه كلّ أمر من الحقّ والباطل، وما يكون في تلك السّنة، وله فيه البداء[4] والمشيئة، يقدّم ما يشاء ويؤخّر ما يشاء، من الآجال والأرزاق، والبلايا والأعراض والأمراض، ويزيد فيه ما يشاء وينقص ما يشاء، ويلقيه رسول اللّه صلى الله عليه وآله إلى

١ ـ ما بين المعقوفتين من «ب».

٢ ـ القمّي ٢: ٢٩٠، عن أبي جعفر، وأبي عبد اللّه، وأبي الحسن عليهم السلام.

٣ ـ الكافي ١: ٢٤٨، الحديث: ٣، عن أبي جعفر عليه السلام.

٤ ـ البداء في أصل اللّغة بمعنى الظهور، وقد اكتسب في الاستعمال اختصاصاً في ظهور رأي جديد في أمر.

أمير المؤمنين عليه السلام ، ويلقيه أمير المؤمنين إلى الأئمّة ، حتّى ينتهي ذلك إلى صاحب الزّمان صلوات اللّه عليهم ، ويشترط له فيه البداء والمشيئة ، والتّقديم والتأخير»[١] .

وفي رواية: «إنّه لينزل إلى وليّ الأمر تفسير الأُمور سنة سنة ، يؤمر فيها في أمر نفسه بكذا وكذا ، وفي أمر النّاس بكذا وكذا»[٢] .

وورد في تفسير هذه الآية في الباطن: «أمّا "حمٓ" فهو محمّد صلّى الله عليه وآله ، وهو في كتاب هود الّذي أُنزل عليه ، وهو منقوص الحروف . وأمّا "الكتاب المبين" فهو أمير المؤمنين عليه السلام . وأمّا اللّيلة ، ففاطمة صلوات اللّه عليها . وأمّا قوله: "فيها يفرق كلّ أمر حكيم" يقول: يخرج منها خير كثير ، فرجل حكيم ورجل حكيم ورجل حكيم» الحديث[٣] .

﴿أَمْراً مِنْ عِنْدِنا﴾: على مقتضى حكمتنا ﴿إِنّا كُنّا مُرْسِلِينَ﴾: من عادتنا إرسال الرّسل بالكتب .

﴿رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾ . وضع الرّبّ موضع الضّمير إشعاراً بأنّ الرّبوبيّة اقتضت ذلك ، فإنّه أعظم أنواع التّربية . ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ﴾ .

﴿رَبِّ السَّمٰواتِ وَالأَرْضِ وَما بَيْنَهُما إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ﴾: علمتم أنّ الأمر كما قلنا .

﴿لا إِلٰهَ إِلّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبائِكُمُ الأَوَّلِينَ﴾ .

﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ﴾ . ردٌّ لكونهم موقنين .

﴿فَارْتَقِبْ﴾: فانتظر لهم ﴿يَوْمَ تَأْتِي السَّماءُ بِدُخانٍ مُبِينٍ﴾ .

﴿يَغْشَى النّاسَ﴾: يحيط بهم ﴿هٰذا عَذابٌ أَلِيمٌ﴾ .

روي في حديث أشراط السّاعة: «أوّل الآيات: الدّخان ، ونزول عيسى ، ونار تخرج من قعر عَدَنَ أَبْيَنَ ، تسوق النّاس إلى المحشر . قيل: فما الدخان؟ فتلا رسول اللّه صلّى الله عليه وآله هذه الآية ، وقال: يملأ ما بين المشرق والمغرب ، يمكث أربعين يوماً وليلة . أمّا المؤمن فيصيبه

١ ـ القمّي ٢: ٢٩٠ ، عن أبي جعفر ، وأبي عبد اللّه ، وأبي الحسن عليهم السلام .

٢ ـ الكافي ١: ٢٤٨ ، الحديث: ٣ ، عن أبي جعفر عليه السلام .

٣ ـ المصدر: ٤٧٩ ، قطعة من حديث: ٤ ، عن أبي الحسن عليه السلام .

كهيئة الزّكام، وأمّا الكافر فهو كالسّكران، يخرج من منخريه وأُذنيه ودبره»[١].

أقول: أبْيَن بالموحّدة ثمّ المثنّاة من تحت: اسم رجل نُسِبَ إليه عَدَن.

وفي رواية: «دخان يأتي من السّماء قبل قيام الساعة. يدخل في أسماع الكفرة، حتّى يكون رأس الواحد كرأس الحنيذ[٢]، ويعتري المؤمن منه كهيئة الزّكام، ويكون الأرض كلّها كبيت أُوقِدَ فيه، ليس فيه خصاص[٣]، يمتدّ ذلك أربعين يوماً»[٤].

والقمّي: ذلك إذا خرجوا في الرّجعة من القبر، يغشى النّاس كلّهم الظّلمة، فيقولوا: "هذا عذاب أليم"[٥].

﴿رَبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾ وعد بالإيمان، إن كشف عنهم العذاب.

﴿أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ﴾: أبان لهم ما هو أعظم منها، في إيجاب الذّكرى من الآيات والمعجزات.

﴿ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ﴾: يعلّمه غلامٌ أعجميّ لبعض ثقيف ﴿مَّجْنُونٌ﴾.
القمّي: قالوا ذلك لمّا نزل الوحي فأخذه الغش، فقالوا: هو مجنون[٦].

﴿إِنَّا كَاشِفُوا ٱلْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ﴾ قيل: يعني إلى الكفر غِبّ الكشف[٧].
والقمّي: يعني إلى القيامة[٨].

﴿يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰ﴾ القمّي: القيامة[٩]. والبطش: التّناول بصولة. ﴿إِنَّا

١ ـ الكشّاف ٣: ٥٠١؛ البيضاوي ٥: ٦٥.
٢ ـ الحَنْذُ: اشتواء اللّحم، والحَنيذ: المَشويّ. كتاب العين ٣: ٢٠١ (حنذ).
٣ ـ الخَصاص: الخلل والفُرَج. مجمع البحرين ٤: ١٦٧ (خصص).
٤ ـ جوامع الجامع: ٤٣٨؛ الكشّاف ٣: ٥٠١، عن أمير المؤمنين عليه السلام.
٥ ـ القمّي ٢: ٢٩٠.
٦ ـ القمّي ٢: ٢٩١.
٧ ـ البيضاوي ٥: ٦٦.
٨ و ٩ ـ القمّي ٢: ٢٩١.

مُنْتَقِمُونَ﴾.

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا﴾: اختبرنا ﴿قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ﴾.

﴿أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبادَ اللّهِ﴾: أرسلوهم معي. القمّي: أي: ما فرض اللّه من الصّلاة والزّكاة والصّوم والحجّ والسّنن والأحكام[1]. ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾: غير متّهم.

﴿وَأَنْ لا تَعْلُوا عَلَى اللّهِ﴾ بالاستهانة بوحيه ورسوله ﴿إِنِّي آتِيكُمْ بِسُلْطانٍ مُبِينٍ﴾. لذكر الأمين مع الأداء، والسّلطان مع العلاء شأن لا يخفى.

﴿وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ﴾: التجأت إليه وتوكّلت عليه ﴿أَنْ تَرْجُمُونِ﴾: أن تؤذوني ضرباً أو شتماً.

﴿وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاعْتَزِلُونِ﴾ لا عليّ، ولا لي.

﴿فَدَعا رَبَّهُ﴾ بعد ما كذّبوه ﴿أَنَّ هٰؤُلاءِ قَوْمٌ مُجْرِمُونَ﴾. تعريضٌ بالدّعاء عليهم بذكر ما استوجبوه به، ولذلك سمّاه دعاء.

﴿فَأَسْرِ﴾ أي: فأوحى اللّه إليه أن أسر ﴿بِعِبادِي لَيْلاً إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ﴾: يتّبعكم فرعون وجنوده، إذا علموا بخروجكم.

﴿وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْواً﴾ قيل: أي: مفتوحاً ذا فَجْوةٍ واسعة، أو ساكناً على هيئته[2]. والقمّي: أي: جانباً، وخُذْ على الطّريق[3]. ﴿إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُغْرَقُونَ﴾.

﴿كَمْ تَرَكُوا﴾: كثيراً تركوا ﴿مِنْ جَنّاتٍ وَعُيُونٍ﴾.

﴿وَزُرُوعٍ وَمَقامٍ كَرِيمٍ﴾: محافل مزيّنة ومنازل حسنة.

﴿وَنَعْمَةٍ﴾: وتنعّم ﴿كانُوا فِيها فاكِهِينَ﴾: متنعّمين. والقمّي: النّعمة في الأبدان.

١ ـ القمّي ٢: ٢٩١.

٢ ـ البيضاوي ٥: ٦٦.

٣ ـ القمّي ٢: ٢٩١.

فاكهين أي: مفاكهة النّساء[١].

﴿كَذٰلِكَ وَأَوْرَثْناها قَوْماً آخَرِينَ﴾.

﴿فَما بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّماءُ وَالأَرْضُ﴾. قيل: مجاز عن عدم الاكتراث بهلاكهم، والاعتداد بوجودهم[٢].

و ورد: «ما بكت السّماء والأرض إلّا على يحيى بن زكريّا، وعلى الحسين بن عليّ»[٣].

وفي رواية «بكت السّماء على يحيى بن زكريا، وعلى الحسين بن عليّ أربعين صباحاً، ولم تبك إلّا عليهما. قيل: فما بكاؤها؟ قال: كانت تطلع حمراء وتغيب حمراء»[٤].

وفي أُخرى: «بكت السّماء على الحسين أربعين يوماً بالدّم»[٥].

﴿وَما كانُوا مُنْظَرِينَ﴾: مُمهلين إلى وقت آخر.

﴿وَلَقَدْ نَجَّيْنا بَنِي إِسْرائِيلَ مِنَ العَذابِ المُهِينِ﴾: من استعباد فرعون وقتله أبناءهم.

﴿مِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كانَ عالِياً مِنَ المُسْرِفِينَ﴾.

﴿وَلَقَدِ اخْتَرْناهُمْ عَلىٰ عِلْمٍ﴾ بأنّهم أحقّاء بذلك. ﴿عَلَى العالَمِينَ﴾: على عالمي زمانهم. القمّي: فلفظه عامّ ومعناه خاصّ[٦]. ﴿وَآتَيْناهُمْ مِنَ الآياتِ﴾ كفلق البحر، وتظليل الغمام، وإنزال المنّ والسّلوى. ﴿ما فِيهِ بَلاءٌ مُبِينٌ﴾: نعمة جليّة، أو اختبار ظاهر.

﴿إِنَّ هٰؤُلاءِ﴾ يعني كفّار قريش؛ فإنّ قصّة فرعون كانت معترضة. ﴿لَيَقُولُونَ﴾.

﴿إِنْ هِيَ إِلّا مَوْتَتُنا الأُولىٰ﴾: ما العاقبة ونهاية الأمر إلّا الموتة المزيلة للحياة الدّنيويّة. ﴿وَما نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ﴾: بمبعوثين.

١ ـ القمّي ٢: ٢٩١.

٢ ـ البيضاوي ٥: ٦٦.

٣ ـ القمّي ٢: ٢٩١، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

٤ ـ المناقب ٤: ٥٤؛ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٦٥، عن أبي عبد الله عليه السلام.

٥ ـ المناقب ٤: ٥٤، عن أبي عبد الله عليه السلام.

٦ ـ القمّي ٢: ٢٩٢.

﴿فَأْتُوا بِآبائِنا إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ﴾ .

﴿أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ﴾ الحميريّ[١] ، الّذي سار بالجيوش وحير الحيرة ؛ كان مؤمناً وقومُه كافرين ، ولذلك ذمّهم دونه . ورد: «لا تسبّوا تبّعاً ، فإنّه كان قد أسلم»[٢] . ﴿وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ كعاد وثمود . ﴿أَهْلَكْناهُمْ إِنَّهُمْ كانُوا مُجْرِمِينَ﴾ كما أنّ هؤلاء مجرمون .

﴿وَما خَلَقْنا السَّمٰواتِ وَالْأَرْضَ وَما بَيْنَهُما لاعِبِينَ﴾ .

﴿ما خَلَقْناهُما إِلَّا بِالْحَقِّ وَلٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾ .

﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ﴾: فصل الحقّ عن الباطل ، والمحقّ عن المبطل ﴿مِيقاتُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ .

﴿يَوْمَ لا يُغْنِي مَوْلًى عَنْ مَوْلًى شَيْئاً﴾ من الإغناء ﴿وَلا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾ .

﴿إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللّٰهُ﴾ بالعفو عنه ، وقبول الشّفاعة فيه ﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ﴾: لا ينصر منه من أراد تعذيبه ﴿الرَّحِيمُ﴾ لمن أراد أن يرحمه .

قال: «نحن واللّه الّذي يرحم اللّه[٣] ، ونحن واللّه الّذي استثنى اللّه ، لكنّا نغني عنهم»[٤] . وفي رواية: «يعني بذلك عليّاً وشيعته»[٥] .

﴿إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ﴾ . مضى صفتها في الصّافّات[٦] .

﴿طَعامُ الْأَثِيمِ﴾: كثير الآثام . القمّي: نزلت في أبي جهل[٧] .

١ ـ «التّبابعة» أسم ملوك اليمن ، فتُبّع لقب له ، كما يقال: خاقان لملك الترك ، وقيصر لملك الرّوم . سمّي تبّعاً لكثرة اتّباعه من النّاس ؛ وقيل: سمّي تبّعاً لأنّه تبع من قبله من ملوك اليمن . مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٦٦ .

٢ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٦٦ ، عن رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم .

٣ ـ في المصدر: رحم اللّه» .

٤ ـ الكافي ١: ٤٢٣ ، الحديث: ٥٦ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .

٥ ـ الكافي ٨: ٣٥ ، ذيل الحديث: ٦ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .

٦ ـ الصّافّات (٣٧): ٦٤ ـ ٦٥ .

٧ ـ القمّي ٢: ٢٩٢ .

﴿كَالْمُهْلِ﴾ القمّي: الصّفر المذاب[1]. ﴿يَغْلِي فِي الْبُطُونِ﴾.

﴿كَغَلْيِ الحَمِيمِ﴾ القمّي: هو الّذي حمي وبلغ المنتهى[2].

﴿خُذُوهُ﴾ على إرادة القول، والمقول له الزّبانية ﴿فَاعْتِلُوهُ﴾: فجرّوه بمجامعه بقهر ﴿إِلَىٰ سَوَاءِ الْجَحِيمِ﴾: وسطه.

﴿ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ﴾: من عذاب هو الحميم.

﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ أي: وقولوا له ذلك استهزاء به. القمّي: وذلك، أنّ أباجهل كان يقول: أنا العزيز الكريم، فيعيّر بذلك في النّار[3].

﴿إِنَّ هٰذا ما كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ﴾: تشكّون وتمارون فيه.

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقامٍ أَمِينٍ﴾: يأمن صاحبه عن الآفة والانتقال.

﴿فِي جَنّاتٍ وَعُيُونٍ﴾.

﴿يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ﴾: ما رقّ من الحرير ﴿وَإِسْتَبْرَقٍ﴾: ما غلظ منه ﴿مُتَقابِلِينَ﴾ في مجالسهم، ليستأنس بعضهم ببعض.

﴿كَذٰلِكَ﴾:الأمر كذلك ﴿وَزَوَّجْناهُمْ بِحُورٍ عِينٍ﴾ الحوراء: البيضاء، والعيناء: عظيم العينين.

ورد: «المؤمن يزوّج ثمانمائة عذراء وألف ثيّب، وزوجتين من الحور العين»[4].

﴿يَدْعُونَ فِيها بِكُلِّ فاكِهَةٍ﴾: يطلبون ويأمرون بإحضار ما يشتهون من الفواكه، لا يتخصّص شيء منها بمكان ولا زمان ﴿آمِنِينَ﴾ من الضّرر.

﴿لا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الأُولىٰ﴾ الّتي في الدّنيا، حين يشارف الجنّة

١ و ٢ و ٣ ـ القمّي ٢: ٢٩٢.

٤ ـ القمّي ٢: ٨٢، ذيل تفسير الآية: ٢٣، من سورة الحجّ، عن أبي عبد الله عليه السلام. وفيه: «وأربعة آلاف ثيّب».

ويشاهدها ﴿ وَوَقاهُمْ عَذابَ الجَحِيمِ ﴾ .

﴿ فَضْلاً مِنْ رَبِّكَ ذٰلِكَ هُوَ الفَوْزُ العَظِيمُ ﴾ .

﴿ فَإِنَّما يَسَّرْناهُ بِلِسانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ : يفهمونه ، فيتذكّرون به لما لم يتذكّروا .

﴿ فَارْتَقِبْ ﴾ ما يحلّ بهم ﴿ إِنَّهُمْ مُرْتَقِبُونَ ﴾ ما يحلّ بك .



سورة الجاثية

[مكيّة، وهي سبع وثلاثون آية][1]

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم

﴿حمٓ﴾.

﴿تَنْزِيلُ الكِتابِ مِنَ اللهِ العَزِيزِ الحَكِيمِ﴾.

﴿إِنَّ فِي السَّمٰواتِ وَالأَرْضِ لَآياتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ من النّجوم والشّمس والقمر، وممّا يخرج من الأرض من أنواع النّبات للنّاس والدّوابّ.

﴿وَفِي خَلْقِكُمْ وَما يَبُثُّ مِنْ دابَّةٍ آياتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾.

﴿وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهارِ وَما أَنْزَلَ اللهُ مِنَ السَّماءِ مِنْ رِزْقٍ﴾: من مطر؛ سمّاه رزقاً لأنّه سببه. ﴿فَأَحْيا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها﴾: يُبسها ﴿وَتَصْرِيفِ الرِّياحِ﴾ باختلاف جهاتها وأحوالها، وإثارتها السّحاب. وإلقاحها الشّجر ﴿آياتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾. ولعلّ اختلاف الفواصل لاختلاف الآيات في الدّقّة والظّهور.

﴿تِلْكَ آياتُ اللهِ نَتْلُوها عَلَيْكَ بِالحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللهِ وَآياتِهِ يُؤْمِنُونَ﴾ أي: بعد حديثه، وهو القرآن. وتقديم اسم الله للمبالغة والتّعظيم، كقولك: أعجبني زيد وكرمه.

١ـ ما بين المعقوفتين من «ب».

﴿وَيْلٌ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾: كذّاب كثير الاثم.

﴿يَسْمَعُ آياتِ اللّهِ تُتْلىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ﴾: يقيم على كفره ﴿مُسْتَكْبِراً﴾ عن الايمان بالآيات. و«ثمّ» لاستبعاد الاصرار بعد سماع الآيات. ﴿كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْها﴾ أي: كأنّه ﴿فَبَشِّرْهُ بِعَذابٍ أَلِيمٍ﴾.

﴿وَإِذا عَلِمَ مِنْ آياتِنا شَيْئاً﴾ القمّي: وإذا رأى[1]. ﴿اتَّخَذَها هُزُواً أُولٰئِكَ لَهُمْ عَذابٌ مُهِينٌ﴾.

﴿مِنْ وَرائِهِمْ جَهَنَّمُ وَلا يُغْنِي عَنْهُمْ ما كَسَبُوا﴾ من الأموال والأولاد ﴿شَيْئاً وَلا مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللّهِ أَوْلِياءَ﴾ من الأصنام والرّؤساء ﴿وَلَهُمْ عَذابٌ عَظِيمٌ﴾.

﴿هٰذا هُدىً﴾ أي: القرآن ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآياتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذابٌ مِنْ رِجْزٍ﴾: من أشدّ العذاب ﴿أَلِيمٌ﴾.

﴿اللّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ﴾: بتسخيره وأنتم راكبوها ﴿وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾ بالتّجارة والغوص والصّيد وغيرها ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ ما فِي السَّماواتِ وَما فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً﴾ بأن خلقها كلّها نافعة لكم ﴿مِنْهُ﴾: كائنة منه ﴿إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

﴿قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا﴾ أي: قل لهم: اغفروا يغفروا. يعني يعفوا ويصفحوا.

﴿لِلَّذِينَ لا يَرْجُونَ أَيّامَ اللّهِ﴾: لا يتوقّعون وقائعه بأعدائه.

قال: «قل للّذين مَنَنّا عليهم بمعرفتنا أن يعرّفوا الّذين لا يعلمون، فإذا عرّفوهم فقد غفروا لهم»[2].

والقمّي: يقول الأئمّة الحقّ: لا تدعوا على أئمّة الجور، حتّى يكون اللّه هو الّذي يعاقبهم[3]. ﴿لِيَجْزِيَ قَوْماً بِما كانُوا يَكْسِبُونَ﴾.

١ ـ القمّي ٢: ٢٩٣.

٢ ـ القمّي ٢: ٢٩٤، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٣ ـ القمّي ٢: ٢٩٣.

﴿مَنْ عَمِلَ صالِحاً فَلِنَفْسِهِ﴾ ثوابه ﴿وَمَنْ أَساءَ فَعَلَيْها﴾ عقابه ﴿ثُمَّ إِلىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ فيجازيكم على أعمالكم.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنا بَنِي إِسْرائِيلَ الكِتابَ﴾: التوارة ﴿وَالحُكْمَ﴾: والحكمة، أو فصل الخصومات ﴿وَالنُّبُوَّةَ﴾ إذ كثّر الأنبياء فيهم ما لم يكثر في غيرهم ﴿وَرَزَقْناهُمْ مِنَ الطَّيِّباتِ وَفَضَّلْناهُمْ عَلَى العالَمِينَ﴾: عالمي زمانهم.

﴿وَآتَيْناهُمْ بَيِّناتٍ مِنَ الأَمْرِ﴾: أدلّة من أمر الدّين ﴿فَما اخْتَلَفُوا﴾ في ذلك الأمر ﴿إِلّا مِنْ بَعْدِ ما جاءَهُمُ العِلْمُ﴾ بحقيقة الحال ﴿بَغْياً بَيْنَهُمْ﴾: عداوة وحسداً.

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ القِيامَةِ فِيما كانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾.

﴿ثُمَّ جَعَلْناكَ عَلىٰ شَرِيعَةٍ مِنَ الأَمْرِ﴾: طريقة من أمر الدّين ﴿فَاتَّبِعْها وَلا تَتَّبِعْ أَهْواءَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾. القمّي: هذا تأديب لرسول الله صلى الله عليه وآله، والمعنى لأمّته[1].

﴿إِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللهِ شَيْئاً﴾ ممّا أراد بك ﴿وَإِنَّ الظّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِياءُ بَعْضٍ وَاللهُ وَلِيُّ المُتَّقِينَ﴾.

﴿هٰذا بَصائِرُ لِلنّاسِ وَهُدىً وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾.

﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئاتِ﴾: اكتسبوها ﴿أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّالِحاتِ سَواءً مَحْياهُمْ وَمَماتُهُمْ ساءَ ما يَحْكُمُونَ﴾.

﴿وَخَلَقَ اللهُ السَّمٰواتِ وَالأَرْضَ بِالحَقِّ وَلِتُجْزىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِما كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾.

﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلٰهَهُ هَواهُ﴾ بأن أطاعه وبنى عليه دينه.

القمّي: نزلت في قريش، كلّما هَوَوْا شيئاً عبدوه، وجرت بعد رسول الله صلى الله عليه وآله في أصحابه الّذين غصبوا أمير المؤمنين عليه السلام، واتّخذوا إماماً بأهوائهم[2].

١ـ القمّي ٢: ٢٩٤.

٢ـ القمّي ٢: ٢٩٤.

﴿وَأَضَلَّهُ اللّٰهُ عَلىٰ عِلْمٍ﴾: وخذله؛ عالماً بضلاله وفساد جوهر روحه. ﴿وَخَتَمَ عَلىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ﴾ فلا يبالي بالمواعظ ولا يتفكّر في الآيات ﴿وَجَعَلَ عَلىٰ بَصَرِهِ غِشاوَةً﴾ فلاينظر بعين الاستبصار والاعتبار ﴿فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللّٰهِ﴾: من بعد إضلاله ﴿أَفَلا تَذَكَّرُونَ﴾.

﴿وَقالُوا ما هِيَ﴾: ما الحياة ﴿إِلّا حَياتُنَا الدُّنْيا﴾ الّتي نحن فيها ﴿نَمُوتُ وَنَحْيا﴾. القمّي: هذا مقدّم ومؤخّر، لأنّ الدّهريّة لم يقرّوا بالبعث والنّشور بعد الموت، وإنّما قالوا: نحيا ونموت[1]. وقيل: أي نموت نحن ويحيا آخرون ممّن يأتون بعدنا[2]. ﴿وَما يُهْلِكُنا إِلَّا الدَّهْرُ﴾: إلّا مرور الزمان ﴿وَما لَهُمْ بِذٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلّا يَظُنُّونَ﴾.

قال في حديث: «فأمّا كفر الجحود فهو الجحود بالرّبوبيّة، وهو قول من يقول: لا ربّ ولا جنّة ولا نار، وهو قول صنفين من الزّنادقة يقال لهم: الدّهريّة، وهم الّذين يقولون: "وما يهلكنا إلّا الدّهر"، وهو دين وضعوه لأنفسهم، بالاستحسان منهم على غير تثبّت منهم ولا تحقيق لشيء ممّا يقولون. قال اللّٰه عزّوجلّ: "إن هم إلّا يظنّون" أنّ ذلك كما يقولون»[3].

﴿وَإِذا تُتْلىٰ عَلَيْهِمْ آياتُنا بَيِّناتٍ ما كانَ حُجَّتَهُمْ﴾: ما كان لهم متشبّث يعارضونها به ﴿إِلّا أَنْ قالُوا ائْتُوا بِآبائِنا إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ﴾.

﴿قُلِ اللّٰهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلىٰ يَوْمِ الْقِيامَةِ لا رَيْبَ فِيهِ وَلٰكِنَّ أَكْثَرَ النّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾ لقصور نظرهم على ما يُحِسُّونَه.

﴿وَلِلّٰهِ مُلْكُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ السّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ الْمُبْطِلُونَ﴾.

﴿وَتَرىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جاثِيَةً﴾ القمّي: أي: على ركبها[4]. أقول: يعني مستوفزين. وقيل:

١ـ القمّي ٢: ٢٩٤.

٢ـ جامع البيان (للطبري) ٢٥: ٩١؛ الكشّاف ٣: ٥١٢؛ البيضاوي ٥: ٧.

٣ـ الكافي ٢: ٣٨٩، الحديث: ١، عن أبي عبد اللّٰه عليه السلام.

٤ـ القمّي ٢: ٢٩٥.

أي: مجتمعة ؛ من الجثوة وهي الجماعة[١] . ﴿كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعىٰ إِلىٰ كِتابِهَا﴾: صحيفة أعمالها . ﴿الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ ما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ .

﴿هٰذا كِتابُنا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ﴾: يشهد عليكم .

و ورد: «إنّ الكتاب لم ينطق ولن ينطق ، ولكن رسول اللّه صلى الله عليه وآله هو النّاطق بالكتاب . قال اللّه تعالى: "هذا كتابنا ينطقُ عليكم بالحقّ" فقيل: إنّا لا نقرؤها هكذا؟ فقال: هكذا واللّه نزل بها جبرئيل عليه السلام على محمّد صلى الله عليه وآله ، ولكنّه ممّا حُرّفَ من كتاب اللّه»[٢] . أقول: يعني أنّه نزل على البناء للمفعول .

﴿إِنّا كُنّا نَسْتَنْسِخُ ما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾: نستكتب الملائكة أعمالكم من اللّوح المحفوظ .

ورد: «إنّ الملكين الموكّلين بالعبد إذا أرادا النّزول صباحاً ومساءً ينسخ لهما إسرافيل عمل العبد من اللّوح المحفوظ ، فيعطيهما ذلك ، فإذا صعدا صباحاً ومساءً بديوان العبد قابله إسرافيل بالنّسخ الّتي انتسخ لهما ، حتّى يظهر أنّه كان كما نسخ منه»[٣] .

وفي رواية: «أوَلستم عرباً فكيف لا تعرفون معنى الكلام؟! واحدكم يقول لصاحبه: انسخ ذلك الكتاب ، أوَ ليس إنّما ينسخ من كتاب آخر من الأصل ، وهو قوله: "إنّا كنّا نستنسخ ما كنتم تعملون"»[٤] .

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّالِحاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ذٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ﴾ . ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ آياتِي تُتْلىٰ عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنْتُمْ قَوْماً مُجْرِمِينَ﴾ . ﴿وَإِذا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللّٰهِ حَقٌّ وَالسّاعَةُ لا رَيْبَ فِيها قُلْتُمْ ما نَدْرِي ما

١ ـ الكشّاف ٣: ٥١٣ ؛ البيضاوي ٥: ٧١ .

٢ ـ الكافي ٨: ٥٠ ، الحديث: ١١ ؛ القمّي ٢: ٢٩٥ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .

٣ ـ سعد السّعود: ٢٢٦ .

٤ ـ القمّي ٢: ٣٨٠ ، ذيل الآية: ١ ، عن سورة القلم ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .

السّاعَةُ إِنْ نَظُنُّ إِلّا ظَنّاً وَما نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴾ .

﴿ وَبَدا لَهُمْ ﴾: ظهر لهم ﴿ سَيِّئاتُ ما عَمِلُوا وَحاقَ بِهِمْ ما كانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ .

﴿ وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنْساكُمْ ﴾: نترككم في العذاب ترك ما ينسى . ﴿ كَما نَسِيتُمْ لِقاءَ يَوْمِكُمْ هٰذا وَمَأْواكُمُ النّارُ وَما لَكُمْ مِنْ ناصِرِينَ ﴾ .

﴿ ذٰلِكُمْ بِأَنَّكُمُ اتَّخَذْتُمْ آياتِ اللّٰهِ هُزُواً وَغَرَّتْكُمُ الْحَياةُ الدُّنْيا فَالْيَوْمَ لا يُخْرَجُونَ مِنْها وَلا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴾: لا يطلب منهم أن يعتبوا ربّهم ، أي: يرضوه لفوات أوانه .

﴿ فَلِلّٰهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمٰواتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعالَمِينَ ﴾ إذ الكلّ نعمة منه .

﴿ وَلَهُ الْكِبْرِياءُ فِي السَّمٰواتِ وَالْأَرْضِ ﴾ إذ ظهر فيها آثار قدرته ﴿ وَهُوَ الْعَزِيزُ ﴾ الّذي لا يغلب ﴿ الْحَكِيمُ ﴾ فيما قدّر وقضى ؛ فاحمدوه وكبّروه وأطيعوا له .

سورة الأحقاف

[مكيّة، وهي خمس وثلاثون آية][1]

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم

﴿حمٓ﴾.

﴿تَنْزِيلُ الكِتابِ مِنَ اللّٰهِ العَزِيزِ الحَكِيمِ﴾.

﴿ما خَلَقْنَا السَّمٰواتِ وَالأَرْضَ وَما بَيْنَهُما إِلّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمّا أُنْذِرُوا مُعْرِضُونَ﴾.

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ ما تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللّٰهِ أَرُونِي ماذا خَلَقُوا مِنَ الأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمٰواتِ ائْتُونِي بِكِتابٍ مِنْ قَبْلِ هٰذا﴾ يعني القرآن. قال: «عنى بالكتاب التوراة والانجيل»[2]. ﴿أَوْ أَثارَةٍ مِنْ عِلْمٍ﴾: أو بقيّة بقيت عليكم من علوم الأوّلين قال: «عنى بذلك علم أوصياء الأنبياء»[3]. ﴿إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ﴾.

﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللّٰهِ مَنْ لا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلىٰ يَوْمِ القِيامَةِ﴾: ما دامت الدّنيا ﴿وَهُمْ عَنْ دُعائِهِم غافِلُونَ﴾.

١ ـ ما بين المعقوفتين من «ب».

٢ و ٣ ـ الكافي ١: ٤٢٦، الحديث: ٧٢، عن أبي جعفر عليه السلام.

﴿وَإِذا حُشِرَ النّاسُ كانُوا لَهُمْ أَعْداءً﴾: يضرّونهم ولا ينفعونهم ﴿وَكانُوا بِعِبادَتِهِمْ كافِرِينَ﴾. كلّ من الضميرين ذو وجهين.

﴿وَإِذا تُتْلىٰ عَلَيْهِمْ آياتُنا بَيِّناتٍ قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمّا جاءَهُمْ هٰذا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾.

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَراهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَلا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللّٰهِ شَيْئاً﴾ يعني إن عاجلني اللّه بالعقوبة فلا تقدرون على دفع شيء منها، فكيف أجترئ عليه وأُعرّض نفسي للعقاب من غير توقّع نفع، ولا دفع ضرّ من قِبَلكم! ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِما تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ من القدح في آياته ﴿كَفىٰ بِهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ يشهد لي بالصّدق والبلاغ، وعليكم بالكذب والإنكار؛ وهو وعيد بجزاء إفاضتهم. ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾. وعدٌ بالرّحمة والمغفرة لمن تاب وآمن، وإشعارٌ بحلم اللّه عنهم مع جرأتهم، وقد سبق شأن نزول هذه الآية في الشّورى[1].

﴿قُلْ ما كُنْتُ بِدْعاً مِنَ الرُّسُلِ﴾: بديعاً منهم، أدعوكم إلى ما لم يدعوا إليه، أو أقدر على ما لم يقدروا عليه. ﴿وَما أَدْرِي ما يُفْعَلُ بِي وَلا بِكُمْ﴾ في الدّارين على التّفصيل، إذ لا علم لي بالغيب ﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلّا ما يُوحىٰ إِلَيَّ وَما أَنَا إِلّا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾.

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كانَ مِنْ عِنْدِ اللّٰهِ﴾ أي: القرآن ﴿وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرائِيلَ﴾ قيل[2]: هو عبد اللّه بن سلام[3]. وقيل: موسى عليه السلام، وشهادته ما في التوراة من نعت الرّسول صلى الله عليه وآله[4]. ﴿عَلىٰ مِثْلِهِ﴾ ممّا في التّوراة من المعاني المصدّقة له المطابقة عليه

١ ـ ذيل الآية: ٢٥.

٢ ـ التّبيان ٩: ٢٧١؛ الكشّاف ٣: ٥١٨؛ البيضاوي ٥: ٧٣.

٣ ـ عبد اللّه بن سلام بن الحارث الإسرائيليّ، أبو يوسف، صحابيّ، قيل: إنّه من نسل يوسف بن يعقوب. أسلم عند قدوم النّبيّ صلى الله عليه وآله المدينة، وقيل: تأخّر إسلامه إلى سنة ثمان، وكان حليفاً لبني قينقاع، وكان اسمه في الجاهليّة «الحصين». وأنّ أمير المؤمنين عليه السلام لمّا بويع أرسل خلف جمع وأمرهم بالبيعة. فقيل له: ألا تبعث إلى حسان بن ثابت وكعب بن مالك وعبد اللّه بن سلام؟ فقال: لا حاجة، لنا فيمن لا حاجة له فينا. ومات بالمدينة سنة: ٤٣. راجع: الإصابة ٤: ٨٠؛ شرح نهج البلاغة (لابن أبي الحديد) ٤: ٩؛ الأعلام (للزركلي) ٤: ٩٠.

٤ ـ التّبيان ٩: ٢٧١؛ البيضاوي ٥: ٧٣.

﴿فَآمَنَ﴾ به ﴿وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ . استئناف مشعر بأنّ كفرهم به لضلالهم المسبّب عن ظلمهم ، ودليل على الجواب المحذوف ، أي: ألستم ظالمين .

﴿وَقالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي: لأجلهم وفي شأنهم ﴿لَوْ كانَ خَيْراً﴾ أي: الإيمان ﴿ما سَبَقُونا إِلَيْهِ﴾ وهم فقراء وموالٍ ورُعاة ﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هٰذا إِفْكٌ قَدِيمٌ﴾ .

﴿وَمِنْ قَبْلِهِ﴾: ومن قبل القرآن ﴿كِتابُ مُوسىٰ إِماماً وَرَحْمَةً وَهٰذا كِتابٌ مُصَدِّقٌ﴾ لكتاب موسى ﴿لِساناً عَرَبِيّاً لِيُنْذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرىٰ لِلْمُحْسِنِينَ﴾ .

﴿إِنَّ الَّذِينَ قالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقامُوا﴾ . مضى تفسيره في حم السّجدة[1] . ﴿فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ .

﴿أُولٰئِكَ أَصْحابُ الْجَنَّةِ خالِدِينَ فِيها جَزاءً بِما كانُوا يَعْمَلُونَ﴾

﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسانَ بِوالِدَيْهِ إِحْساناً حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهاً وَوَضَعَتْهُ كُرْهاً وَحَمْلُهُ وَفِصالُهُ﴾: ومدّة حمله وفطامه ﴿ثَلاثُونَ شَهْراً﴾ . ذلك كلّه بيان لما تكابده الأُمّ في تربية الولد ، مبالغة في التّوصية بها ﴿حَتّىٰ إِذا بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾: استحكم قوّته وعقله ﴿وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي﴾: ألهمني ﴿أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلىٰ والِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صالِحاً تَرْضاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ﴾ عمّا يشغل عنك ﴿وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾: المخلصين لك .

ورد ما ملخّصه: «إنّها نزلت في الحسين عليه السلام ، وإنّ كراهة أُمّه بالحمل والوضع من جهة أنّها أُخبرت بأنّه سيقتل ، فلمّا بُشّرت بأنّ في ذرّيّته الإمامة والولاية والوصيّة رضيت ، قال: فلولا أنّه قال: "أصلح لي في ذرّيّتي" لكانت ذرّيّته كلّهم أئمّة . قال: ولم يولد لستّة أشهر إلّا عيسى بن مريم والحسين عليهما السلام»[2] .

١ ـ ذيل الآية: ٣٠ .

٢ ـ الكافي ١: ٤٦٤ ، الحديث: ٣ و ٤ ؛ علل الشّرائع ١: ٢٠٦ ، الباب: ١٥٦ ، الحديث: ٣ ، عن أبي عبد الله عليه السلام .

﴿أُولٰئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ ما عَمِلُوا وَنَتجاوَزُ عَنْ سَيِّئاتِهِمْ فِي أَصْحابِ الجَنَّةِ وَعْدَ الصِّدْقِ الَّذِي كانُوا يُوعَدُونَ﴾.

﴿وَالَّذِي قالَ لِوالِدَيْهِ أُفٍّ لَكُما أَتَعِدانِنِي أَنْ أُخْرَجَ﴾: أن أُبعث ﴿وَقَدْ خَلَتِ القُرُونُ مِنْ قَبْلِي﴾ فلم يرجع أحد منهم ﴿وَهُما يَسْتَغِيثانِ اللّٰهَ وَيْلَكَ آمِنْ إِنَّ وَعْدَ اللّٰهِ حَقٌّ فَيَقُولُ ما هٰذا إِلَّا أَساطِيرُ الأَوَّلِينَ﴾: أباطيلهم الّتي كتبوها. القمّي: نزلت في عبد الرحمان بن أبي بكر[1].

﴿أُولٰئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ القَوْلُ﴾ بأنّهم أهل النّار ﴿فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الجِنِّ وَالإِنْسِ إِنَّهُمْ كانُوا خاسِرِينَ﴾.

﴿وَلِكُلٍّ﴾ من الفريقين ﴿دَرَجاتٌ مِمّا عَمِلُوا﴾: مراتب في الخير والشّرّ. والدّرجة غالبة في المثوبة، وهاهنا جاءت على التّغليب. ﴿وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمالَهُمْ﴾: جزاؤها ﴿وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾ بنقص ثواب، وزيادة عقاب.

﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّباتِكُمْ﴾: لذائذكم ﴿فِي حَياتِكُمُ الدُّنْيا﴾ باستيفائها ﴿وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِها﴾ فما بقي لكم منها شيء. القمّي: أكلتم وشربتم ولبستم وركبتم، وهي في بني فلان[2].

ورد: «أُتي النّبيّ صلّى الله عليه وآله بخبيص[3] فأبى أن يأكله، فقيل: أتحرّمه؟ فقال: لا، ولكنّي أكره أن تتوق[4] إليه نفسي، ثم تلا هذه الآية»[5]. ﴿فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذابَ الهُونِ بِما كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الحَقِّ وَبِما كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ﴾.

١ ـ القمّي ٢: ٢٩٧.

٢ ـ القمّي ٢: ٢٩٨.

٣ ـ الخَبيص: طعام معمول من التّمر والزبيب والسمن. مجمع البحرين ٤: ١٦٧ (خبص).

٤ ـ تاقَتْ نفسي إلى الشيء، أي: اشتاقَتْ. الصّحاح ٤: ١٤٥٣ (توق).

٥ ـ المحاسن ٢: ٤٠٩، الباب: ١٥، الحديث: ١٣٣، عن أبي عبد الله، عن آبائه عليهم السلام.

﴿وَاذْكُرْ أَخا عادٍ﴾ يعني هوداً ﴿إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقافِ﴾ . قيل: هي جمع «حِقْف» ، وهي رمل مستطيل مرتفع فيه انحناء[١] . القمّي: الأحقاف من بلاد عاد ، من الشُقُوق[٢] إلى الأَجْفُر[٣] ، وهي أربعة منازل[٤] . ﴿وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ﴾: الرُسل ﴿مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ﴾: قبل هود وبعده ﴿أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخافُ عَلَيْكُمْ عَذابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ .

﴿قالُوا أَجِئْتَنا لِتَأْفِكَنا﴾: لتصرفنا ﴿عَنْ آلِهَتِنا فَأْتِنا بِما تَعِدُنا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّادِقِينَ﴾ .

﴿قالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ﴾: لا علم لي بوقت عذابكم ، ولا مدخل لي فيه فأستعجل به ، وما لي إلّا البلاغ ﴿وَأُبَلِّغُكُمْ ما أُرْسِلْتُ بِهِ وَلٰكِنِّي أَراكُمْ قَوْماً تَجْهَلُونَ﴾ .

﴿فَلَمّا رَأَوْهُ عارِضاً﴾: سحاباً عرض في أُفق السماء ﴿مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قالُوا هٰذا عارِضٌ مُمْطِرُنا بَلْ هُوَ﴾ أي: قال هود: بل هو ﴿مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ﴾ من العذاب ﴿رِيحٌ فِيها عَذابٌ أَلِيمٌ﴾ .

﴿تُدَمِّرُ﴾: تهلك ﴿كُلَّ شَيْءٍ﴾ من نفوسكم وأموالكم ﴿بِأَمْرِ رَبِّها فَأَصْبَحُوا﴾ أي: فجاءتهم الرّيح فدمّرتهم فأصبحوا ﴿لا يُرىٰ إِلّا مَساكِنُهُمْ كَذٰلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾ .

روي: «إنّ هوداً لمّا أحسّ بالرّيح ، اعتزل بالمؤمنين في الحظيرة ، وجاءت الرّيح فأمالت الأحقاف على الكفرة ، وكانوا تحتها سبع ليال وثمانية أيّام ، ثمّ كشفت عنهم

---

١ ـ الكشّاف ٣: ٥٢٣ ؛ البيضاوي ٥: ٧٤ .

٢ ـ شُقُوق: جمع شَقّ أو شِقّ ، وهو النّاحية: منزل بطريق مكّة بعد واقصة من الكوفة وبعدها تلقاء مكّة بطان وقبر العبادي ، وهو لبني سلامة من بني أسد . والشقوق أيضاً: من مياه ضبّة بأرض اليمامة . معجم البلدان ٣: ٣٥٦ .

٣ ـ الأَجْفُر: جمع جَفر ، وهو البئر الواسعة لم تُطوَ: موضع بين فَيْدْ والخزيميّة ، بينه وبين فَيْدْ ستّة وثلاثون فرسخاً نحو مكّة . وقال الزمخشري: الأجفر ماءٌ لبني يربوع ، انتَزَعَتْه منهم بنو جذيمة . معجم البلدان ١: ١٠٢ .

٤ ـ القمّي ٢: ٢٩٨ .

واحتملتهم وقذفتهم في البحر»[١].

﴿وَلَقَدْ مَكَّنّاهُمْ فِيما إِنْ مَكَّنّاكُمْ فِيهِ﴾ «إن» نافية أو شرطيّة محذوفة الجواب، أي: كان بغيكم أكثر. ﴿وَجَعَلْنا لَهُمْ سَمْعاً وَأَبْصاراً وَأَفْئِدَةً﴾ ليعرفوا تلك النّعم، ويستدلّوا بها على منعمها، ويواظبوا على شكرها. ﴿فَما أَغْنىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلا أَبْصارُهُمْ وَلا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ﴾: من الإغناء ﴿إِذْ كانُوا يَجْحَدُونَ بِآياتِ اللّٰهِ وَحاقَ بِهِمْ ما كانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ من العذاب. القمّي: أي: قد أعطيناهم فكفروا، فنزل بهم العذاب، فاحذروا أن لا ينزل بكم ما نزل بهم[٢].

﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنا ما حَوْلَكُمْ﴾ يا أهل مكّة ﴿مِنَ الْقُرىٰ﴾ كحجر ثمود، وقرى قوم لوط ﴿وَصَرَّفْنَا الْآياتِ﴾ بتكريرها ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ عن كفرهم.

﴿فَلَوْلا نَصَرَهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللّٰهِ قُرْباناً آلِهَةً﴾: فهلّا منعتهم من الهلاك آلهتهم الّذين يتقرّبون بهم إلى اللّه، حيث قالوا: "هٰؤُلاءِ شُفَعاؤُنا عِنْدَ اللّٰهِ"[٣]. ﴿بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ﴾: غابوا عن نصرهم ﴿وَذٰلِكَ إِفْكُهُمْ﴾: صرفهم عن الحقّ ﴿وَما كانُوا يَفْتَرُونَ﴾.

﴿وَإِذْ صَرَفْنا إِلَيْكَ نَفَراً مِنَ الْجِنِّ﴾ والنّفر دون العشرة.

ورد: «إنّهم كانوا تسعة، واحد من جنّ نصيبين والثّمان من بني عمرو بن عامر وذكر أسماءهم»[٤]. ﴿يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمّا حَضَرُوهُ قالُوا أَنْصِتُوا﴾: قال بعضهم لبعض: اُسكتوا لنسمعه. ﴿فَلَمّا قُضِيَ﴾: فرغ من قراءته ﴿وَلَّوْا إِلىٰ قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ﴾ إيّاهم.

﴿قالُوا يا قَوْمَنا إِنّا سَمِعْنا كِتاباً أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسىٰ مُصَدِّقاً لِما بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلىٰ طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ﴾.

١ ـ البيضاوي ٥: ٧٥.

٢ ـ القمّي ٢: ٢٩٩.

٣ ـ يونس (١٠): ١٨.

٤ ـ الاحتجاج ١: ٣٣٠، عن موسى بن جعفر، عن آبائه، عن أمير المؤمنين عليهم السلام.

﴿يا قَوْمَنا أَجِيبُوا داعِيَ اللّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ﴾: بعض ذنوبكم. قيل: هو ما يكون من خالص حقّ اللّه، فإنّ المظالم لا تغفر بالإيمان[1]. ﴿وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذابٍ أَلِيمٍ﴾.

﴿وَمَنْ لا يُجِبْ داعِيَ اللّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الأَرْضِ﴾ إذ لا ينجي منه مهرب ﴿وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِياءُ﴾ يمنعونه منه ﴿أُولئِكَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾.

سئل عن مؤمني الجنّ: أيدخلون الجنّة؟ فقال: «لا، ولكن للّه حظائر بين الجنّة والنّار، يكون فيها مؤمنو الجنّ وفسّاق الشّيعة»[2].

﴿أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّماواتِ وَالأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ﴾: ولم يتعب ولم يعجز ﴿بِخَلْقِهِنَّ بِقادِرٍ عَلى أَنْ يُحْيِيَ المَوْتى بَلى إِنَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النّارِ أَلَيْسَ هذا بِالحَقِّ قالُوا بَلى وَرَبِّنا قالَ فَذُوقُوا العَذابَ بِما كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾.

﴿فَاصْبِرْ كَما صَبَرَ أُولُوا العَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾: أولوا الثّبات والجدّ منهم، فإنّك من جملتهم. وأُولوا العزم: أصحاب الشّرائع، اجتهدوا في تأسيسها وتقريرها، وصبروا على مشاقّها. قال: «هم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمّد صلوات اللّه عليهم»[3].

﴿وَلا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ﴾: لكفّار قريش بالعذاب، فإنّه نازل بهم في وقته لا محالة. ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ ما يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلّا ساعَةً مِنْ نَهارٍ﴾ استقصروا من هوله مدّة لبثهم في الدّنيا، حتّى يحسبونها ساعة. ﴿بَلاغٌ﴾: هذا الّذي وعظتم به كفاية، أو تبليغ من الرّسول. ﴿فَهَلْ يُهْلَكُ إِلّا القَوْمُ الفاسِقُونَ﴾: الخارجون عن الاتّعاظ والطّاعة.

١ـ البيضاوي ٥: ٧٦.

٢ـ القمّي ٢: ٣٠٠، عن أبي جعفر عليه السلام.

٣ـ الكافي ١: ١٧٥، الحديث: ٣، عن أبي عبد اللّه عليه السلام؛ وص ٢٢٤، الحديث: ٢؛ الخصال ١: ٣٠٠، الحديث: ٧٣، عن أبي جعفر عليه السلام؛ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ٢: ٧٩، الباب: ٣٢، الحديث: ١٣.

سورة محمّد

[مدنيّة ، وهي ثمان وثلاثون آية][1]

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللّهِ أَضَلَّ أَعْمالَهُمْ﴾ . القمّي: نزلت في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله الذين ارتدّوا بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ، وغصبوا أهل بيته حقّهم ، وصدّوا عن أمير المؤمنين وولاية الأئمّة عليهم السلام "أضلّ أعمالهم" ، أي: أبطل ما كان تقدّم منهم مع رسول الله صلى الله عليه وآله من الجهاد[2] .

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ وَآمَنُوا بِما نُزِّلَ عَلىٰ مُحَمَّدٍ﴾ قال: «بما نزل على محمّد في عليّ ؛ هكذا نزلت»[3] .

﴿وَهُوَ الحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بالَهُمْ﴾: حالهم . القمّي: نزلت في أبي ذرّ وسلمان وعمّار والمقداد ، لم ينقضوا العهد وثبتوا على الولاية[4] .

﴿ذٰلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الباطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ

١ ـ ما بين المعقوفتين من «ب» .

٢ ـ القمّي ٢: ٣٠٠ .

٣ ـ المصدر: ٣٠١ ، عن أبي عبد الله عليه السلام .

٤ ـ المصدر: ٣٠١ .

﴿كَذٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثالَهُمْ﴾.

قال: «في سورة محمّد آية فينا وآية في أعدائنا»[١].

﴿فَإِذا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ في المحاربة ﴿فَضَرْبَ الرِّقابِ﴾: فاضربوا الرّقاب ضرباً ﴿حَتّىٰ إِذا أَثْخَنْتُمُوهُمْ﴾: أكثرتم قتلهم وأغلظتموه ﴿فَشُدُّوا الْوَثاقَ﴾: فأسروهم واحفظوهم ﴿فَإِمّا مَنّاً بَعْدُ وَإِمّا فِداءً﴾: فإمّا تمنّون منّاً، أو تفدون فداء. والمراد التّخيير بين المنّ والإطلاق، وبين أخذ الفداء. ﴿حَتّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزارَها﴾: آلاتها وأثقالها الّتي لا تقوم إلّا بها، كالسّلاح والكراع. أي: تنقضي الحرب ولم يبق إلّا مسلم أو مسالم.

﴿ذٰلِكَ﴾: الأمر ذلك ﴿وَلَوْ يَشاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ﴾: لانتقم منهم بالاستئصال ﴿وَلٰكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ﴾: ولكن أمركم بالقتال، ليبلو المؤمنين بالكافرين، بأن يجاهدوهم فيستوجبوا الثّواب العظيم، والكافرين بالمؤمنين، بأن يعاجلهم بأيديهم ببعض عذابهم، كي يرتدع بعضهم عن الكفر. ﴿وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمالَهُمْ﴾: فلن يضيّعها.

﴿سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بالَهُمْ﴾.

﴿وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَها لَهُمْ﴾ القمّي: أي: وعدها إيّاهم، وادّخرها لهم[٢].

﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ﴾: إن تنصروا دينه ورسوله ﴿يَنْصُرْكُمْ﴾ على عدوّكم ﴿وَيُثَبِّتْ أَقْدامَكُمْ﴾ في القيام بحقوق الإسلام، والمجاهدة مع الكفّار.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْساً لَهُمْ﴾: فعثوراً وانحطاطاً لهم ﴿وَأَضَلَّ أَعْمالَهُمْ﴾.

﴿ذٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا ما أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ في عليّ. قال: «هكذا نزل جبرئيل بهذه الآية، إلّا أنّه كشط[٣] الإسم»[٤]. ﴿فَأَحْبَطَ أَعْمالَهُمْ﴾.

---

١ ـ المصدر، عن أبي عبد الله عليه السلام، عن النبيّ صلى الله عليه وآله.
٢ ـ القمّي ٢: ٣٠٢.
٣ ـ الكَشْطُ: رَفْعُك شيئاً عن شيء قد غطّاه. كتاب العين ٥: ٢٨٩ (كشط).
٤ ـ القمّي ٢: ٣٠٢، عن أبي جعفر عليه السلام.

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ﴾ القمّي: في أخبار الأُمم الماضية[١]. ﴿فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾: أهلكهم وعذّبهم ﴿وَلِلْكافِرِينَ﴾ الّذين كرهوا ما أنزل اللّه في عليّ ﴿أَمْثالُها﴾ من العذاب والهلاك.

﴿ذٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا﴾: ناصرهم ﴿وَأَنَّ الكافِرِينَ لا مَوْلىٰ لَهُمْ﴾: لا ناصر لهم فيدفع عنهم العذاب وأمّا قوله: "وَرُدُّوا إِلَى اللّٰهِ مَوْلٰيهُمُ الحَقِّ"[٢] فالمولى فيه بمعنى المالك.

﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّالِحاتِ جَنّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ﴾: ينتفعون بمتاع الدّنيا ﴿وَيَأْكُلُونَ كَما تَأْكُلُ الأَنْعامُ﴾: حريصين غافلين عن العاقبة ﴿وَالنّارُ مَثْوًى لَهُمْ﴾: منزل ومقام.

﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْناهُمْ فَلا ناصِرَ لَهُمْ﴾ يدفع عنهم.

﴿أَفَمَنْ كانَ عَلىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ﴾ القمّي: يعني أمير المؤمنين صلوات اللّه عليه[٣]. ﴿كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْواءَهُمْ﴾. ورد: «هم المنافقون»[٤]. القمّي: يعني الّذين غصبوه[٥].

﴿مَثَلُ الجَنَّةِ﴾ أي: أمثَل الجنّة ﴿الَّتِي وُعِدَ المُتَّقُونَ فِيها أَنْهارٌ مِنْ ماءٍ غَيْرِ آسِنٍ﴾: غير متغيّر الطّعم والرّيح ﴿وَأَنْهارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشّارِبِينَ﴾: لذيذة لهم، لا يكون فيها كراهة ريح، ولا غائلة سكر وخمار. القمّي: إذا تناولها وليّ اللّه

١ ـ القمّي ٢: ٣٠٢.
٢ ـ يونس (١٠): ٣٠.
٣ ـ القمّي ٢: ٣٠٢.
٤ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ١٠٠، عن أبي جعفر عليه السلام.
٥ ـ القمّي ٢: ٣٠٢.

وجد رائحة المِسك فيها[١]. ﴿وَأَنْهارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى﴾: لم يخالطه الشّمع وفضلات النّحل وغيرها ﴿وَلَهُمْ فِيها مِنْ كُلِّ الثَّمَراتِ وَ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خالِدٌ فِي النّارِ﴾: كمثل من هو خالد في النّار ﴿وَسُقُوا ماءً حَمِيماً﴾ مكان تلك الأشربة ﴿فَقَطَّعَ أَمْعاءَهُمْ﴾ من فرط الحرارة.

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتّىٰ إِذا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ماذا قالَ آنِفاً﴾. القمّي: نزلت في المنافقين من أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وآله، ومن كان إذا سَمِعَ شيئاً لم يكن يؤمن به ولم يَعِه، فإذا خرج قال للمؤمنين: ماذا قال محمّد آنفاً[٢]؟ ﴿أُولٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللّهُ عَلىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْواءَهُمْ﴾.

﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زادَهُمْ هُدىً وَآتاهُمْ تَقْواهُمْ﴾.

﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ﴾: ينتظرون ﴿إِلَّا السّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جاءَ أَشْراطُها﴾: فقد ظهر أماراتها ﴿فَأَنّىٰ لَهُمْ إِذا جاءَتْهُمْ ذِكْراهُمْ﴾: تذكّرهم، ولا ينفع حينئذ ولا فراغ له.

ورد: «أمّا أشراط السّاعة فنار تحشر النّاس من المشرق إلى المغرب»[٣].

وفي رواية: «إنّ من أشراط السّاعة أن يرفع العلم ويظهر الجهل، ويشرب الخمر، ويفشو الزّنا، ويقلّ الرّجال وتكثر النّساء، حتّى انّ الخمسين امرأة فيهنّ واحد من الرّجال»[٤].

وفي حديث سلمان عدّ منها أشياء كثيرة، وهو مذكور في الصّافي[٥].

﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلٰهَ إِلَّا اللّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِناتِ﴾ يعني إذا علمت سعادة المؤمنين وشقاوة الكافرين؛ فاثبت على ما أنت عليه من العلم بالوحدانيّة

١ و ٢ ـ القمّي ٢: ٣٠٣.

٣ ـ علل الشّرائع ١: ٩٥، الباب: ٣، الحديث: ٨٥، عن رسول الله صلّى الله عليه وآله.

٤ ـ روضة الواعظين ٢: ٤٨٥، عن رسول الله صلّى الله عليه وآله، وفي «ج»: «الخميسين».

٥ ـ الصّافي ٥: ٢٥ ـ ٢٦.

وتكميل النّفس بإصلاح أحوالها وأفعالها وهضمها بالاستغفار لذنبك، ولذنوب المؤمنين والمؤمنات بالدّعاء لهم والتّحريض[١] على ما يستدعي غفرانهم. ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ﴾ في الدّنيا، ولها مراحل لابدّ من قطعها ﴿وَمَثْوَاكُمْ﴾ في العقبى، فإنّها دار إقامتكم.

ورد: «الاستغفار وقول لا إله إلاّ اللّه خير العبادة. قال اللّه العزيز الجبّار: "فاعلم أنّه لا إله إلاّ اللّه واستغفر لذنبك"»[٢].

﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلا نُزِّلَتْ سُورَةٌ﴾ في أمر الجهاد ﴿فَإِذا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ﴾: مبيّنة ﴿وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتالُ﴾ أي: الأمر به ﴿رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾: جُبْناً ومخافة ﴿فَأَوْلى لَهُمْ﴾: فويل لهم.

﴿طاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ﴾ خير لهم ﴿فَإِذا عَزَمَ الْأَمْرُ﴾ أي: جدّ. أسند عزم أصحاب الأمر إلى الأمر مجازاً، وجوابه محذوف. ﴿فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ﴾ أي: فيما زعموا من الحرص على الجهاد ﴿لَكانَ﴾ الصّدق ﴿خَيْراً لَهُمْ﴾.

﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ﴾: فهل يتوقّع منكم ﴿إِنْ تَوَلَّيْتُمْ﴾ أمور النّاس وتأمّرتم عليهم، أو أعرضتم وتولّيتم عن الإسلام ﴿أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحامَكُمْ﴾ تناحراً[٣] على الولاية وتجاذباً لها، أو رجوعاً إلى ما كنتم عليه في الجاهليّة؛ من تغاور ومقاتلة مع الأقارب. والمعنى: أنّهم لضعفهم في الدّين وحرصهم على الدّنيا؛ أحقّاء بأن يتوقّع ذلك منهم من عرف حالهم، ويقول لهم هل عسيتم؟

ورد: «إنّها نزلت في بني أُميّة»[٤].

١ ـ في «ألف»: «التّحريص».

٢ ـ الكافي ٢: ٥١٧، الحديث: ٢، عن رسول اللّه ﷺ.

٣ ـ انْتَحَرَ القومُ على الأمر: تشاحّوا عليه. وقيل: انْتَحَرُوا وتَناحَرُوا: من شدّة حرصهم. القاموس المحيط ٢: ١٤٤؛ كتاب العين ٣: ٢١٠ (نحر). وفي «ألف»: «تفاخراً».

٤ ـ الكافي ٨: ١٠٣، الحديث: ٧٦؛ القمّي ٢: ٣٠٨، عن أبي جعفر ﷺ.

﴿أُولَـٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ﴾ عن استماع الحقّ ﴿وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ﴾ فلا يهتدون سبيله.

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾ قال: «أفلا يتدبّرون القرآن فيقضون ما عليهم من الحقّ»[١].

﴿أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ لا يصل إليها ذكر ولا ينكشف لها أمر. وإضافة الأقفال إليها، للدّلالة على أقفال مناسبة لها مختصّة بها، لا تجانس الأقفال المعهودة.

ورد: «إنّ اللّه إذا أراد أن يهدي عبداً فتح مسامع قلبه، وإذا أراد به غير ذلك ختم مسامع قلبه، فلا يصلح أبداً؛ وهو قول اللّه عزّوجلّ: "أم على قلوب أقفالها"»[٢].

﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ﴾ إلى ما كانوا عليه من الكفر ﴿مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ﴾: سهّل لهم ﴿وَأَمْلَىٰ لَهُمْ﴾: مدّلهم في الآمال والأمانيّ. وعلى قراءة: أُملي[٣]، أي: وأنا أُمهلهم ولم أُعاجلهم بالعقوبة.

قال: «نزلت واللّه فيهما وفي أتباعهما»[٤]. وفي رواية: «الشيطان: الثّاني»[٥].

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ﴾ قال: «في عليّ»[٦]. ﴿سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ﴾.

قال: «دعوا بني أُميّة إلى ميثاقهم أن لا يصيّروا الأمر فينا بعد النّبيّ صلّى اللّه عليه وآله، ولا يعطونا من الخمس شيئاً. وقالوا: إن أعطيناهم إيّاه لم يحتاجوا إلى شيء، ولم يبالوا أن لا يكون الأمر فيهم. فقالوا: سنطيعكم في بعض الأمر الّذي دعوتمونا إليه، وهو الخمس ألّا تعطيهم منه شيئاً»[٧].

﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ﴾.

١ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ١٠٤، عن أبي عبد اللّه وأبي الحسن عليهما السلام.
٢ ـ المحاسن: ٢٠٠، الحديث: ٣٥، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.
٣ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ١٠٣، في قراءة أهل البصرة.
٤ ـ الكافي ١: ٤٢٠، الحديث: ٤٣، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.
٥ ـ القمّي ٢: ٣٠٨: عن أبي عبد اللّه عليه السلام.
٦ و ٧ ـ الكافي ١: ٤٢١، ذيل الحديث: ٤٣، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

﴿فَكَيْفَ﴾ يعملون ويحتالون ﴿إذا تَوَفَّتْهُمُ المَلائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبارَهُمْ﴾.

﴿ذٰلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا ما أَسْخَطَ اللّٰهَ﴾ القمّي: يعني موالاة فلان وفلان[1]. ﴿وَكَرِهُوا رِضْوانَهُ﴾.

قال: «كرهوا عليّاً؛ أمر اللّه بولايته يوم بدر، ويوم حنين، وببطن نخلة، ويوم التّروية، ويوم عرفة؛ نزلت فيه خمس عشرة آية في الحجّة الّتي صدّ فيها رسول اللّه ﷺ عن المسجد الحرام، وبالجحفة، وبخُمّ»[2].

﴿فَأَحْبَطَ أَعْمالَهُمْ﴾ القمّي: يعني الّتي عملوها من الخيرات[3].

﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللّٰهُ أَضْغانَهُمْ﴾: أن لن يبرز اللّه لرسوله والمؤمنين أحقادهم.

﴿وَلَوْ نَشاءُ لَأَرَيْناكَهُمْ﴾: لعرّفناكهم بدلائل تعرفهم بأعيانهم ﴿فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيماهُمْ﴾: بعلاماتهم الّتي نسمهم بها ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ القَوْلِ﴾: في أُسلوبه، وإمالته إلى جهة تعريض وتورية. قال بعض الصّحابة: لحن القول: بغض عليّ بن أبي طالب، وكنّا نعرف المنافقين على عهد رسول اللّه بذلك[4]. ﴿وَاللّٰهُ يَعْلَمُ أَعْمالَكُمْ﴾.

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ﴾ بالتّكاليف الشّاقّة ﴿حَتّٰى نَعْلَمَ المُجاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبارَكُمْ﴾ عن إيمانكم وموالاتكم المؤمنين في صدقها وكذبها.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللّٰهِ وَشاقُّوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ ما تَبَيَّنَ لَهُمُ الهُدىٰ لَنْ يَضُرُّوا اللّٰهَ شَيْئاً﴾ بكفرهم وصدّهم ﴿وَسَيُحْبِطُ أَعْمالَهُمْ﴾.

﴿يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللّٰهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلا تُبْطِلُوا أَعْمالَكُمْ﴾

١ ـ القمّي ٢: ٣٠٩.

٢ ـ روضة الواعظين: ١٠٦، عن أبي جعفر عليه السلام.

٣ ـ القمّي ٢: ٣٠٩.

٤ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ١٠٦، عن أبي سعيد الخدري، وجابر بن عبد اللّه الأنصاري.

الصّالِحات بترك الإطاعة فيما افترض اللّه ورسوله عليكم .

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ ماتُوا وَهُمْ كُفّارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ .

﴿فَلا تَهِنُوا﴾: فلا تضعفوا ﴿وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ﴾: ولا تدعوا إلى الصّلح خوراً وتذلّلاً ﴿وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ﴾: الأغلبون ﴿وَاللَّهُ مَعَكُمْ﴾: ناصركم ﴿وَلَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمالَكُمْ﴾: ولن يضيع أعمالكم بإفراده عن الثواب . والآية ناسخة لقوله تعالى: "وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لها"[١] .

﴿إِنَّما الحَياةُ الدُّنْيا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾ لا ثبات لها ﴿وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ﴾: ثواب إيمانكم وتقواكم ﴿وَلا يَسْأَلْكُمْ أَمْوالَكُمْ﴾: جميع أموالكم ، بل يقتصر على جزء يسير ، كالعُشْر ونصف العُشْر ورُبع العُشْر .

﴿إِنْ يَسْأَلْكُمُوها فَيُحْفِكُمْ﴾: فيجهدكم بطلب الكلّ ، والإحفاء: المبالغة وبلوغ الغاية ﴿تَبْخَلُوا﴾ فلا تعطوا ﴿وَيُخْرِجْ أَضْغانَكُمْ﴾: العداوة الّتي في صدوركم .

﴿ها أَنْتُمْ هٰؤُلاءِ﴾ قيل: أي: أنتم يا مخاطبون هؤلاء الموصوفون[٢] . والقمّي: معناه: أنتم يا هؤلاء[٣] ﴿تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخَلُ وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّما يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ﴾: فإنّ نفع الإنفاق وضرّ[٤] الإمساك عائدان إليه ﴿وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَراءُ﴾ فما يأمركم به فهو لاحتياجكم ، فإن امتثلتم فلكم ، وإن تولّيتم فعليكم ﴿وَإِنْ تَتَوَلَّوْا﴾ عطف على "وإن تؤمنوا" . ﴿يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ﴾: يقم مكانكم قوماً آخرين ﴿ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثالَكُمْ﴾ في معاداتكم وخلافكم .

١ ـ الأنفال (٨): ٦١ .

٢ ـ البيضاوي ٥: ٨١ .

٣ ـ القمّي ٢: ٣٠٩ .

٤ ـ في «ألف»: «ضرر» .

قال: «إن تتولّوا معشر العرب يستبدل قوماً غيركم، يعني الموالي»[١].

وفي رواية: «عنى أبناء الموالي المعتقين»[٢].

وروي: «إنّ أُناساً قالوا: يا رسول اللّه من هؤلاء الّذين ذكر اللّه في كتابه؟ وكان سلمان إلى جنبه، فضرب بيده على فخذ سلمان فقال: هذا وقومه، والّذي نفسي بيده، لو كان الإيمان منوطاً بالثّريّا لَتَنَاوَلَه رجال من فارس»[٣].



١ـ مجمع البيان ٩ـ ١٠: ١٠٨، عن أبي جعفر عليه السلام.

٢ـ القمّي ٢: ٣٠٩، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٣ـ الكشّاف ٣: ٥٤٠؛ معالم التّنزيل ٤: ١٨٧؛ تفسير القرآن العظيم ٤: ١٩٦؛ مجمع البيان ٩ـ ١٠: ١٠٨.

سورة الفتح

[مدنيّة ، وهي تسع وعشرون آية][1]

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم

﴿إنّا فَتَحْنا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً﴾ . ورد: «إنّ سبب نزول هذه السّورة ، وهذا الفتح العظيم ، أنّ الله عزّوجلّ أمر رسوله صلى الله عليه وآله في النّوم أن يدخل المسجد الحرام ويطوف ويحلق مع المحلّقين ، فأخبر أصحابه وأمرهم بالخروج ، فخرجوا ؛ فلمّا نزل ذا الحليفة ، أحرموا بالعمرة ، وساقوا البدن . قال: فلمّا كان في اليوم الثّاني نزل الحديبيّة ـ وهي على طرف الحرم ـ وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يستنفر الأعراب في طريقه معه ، فلم يتبعه أحد ويقولون: أيطمع محمّد وأصحابه أن يدخلوا الحرم ؛ وقد غزتهم قريش في عقر ديارهم فقتلوهم؟! إنّه لا يرجع محمّد وأصحابه إلى المدينة أبداً . فلمّا نزل الحديبيّة ، خرجت قريش يحلفون باللّات والعزّى: لا يدعون رسول الله صلى الله عليه وآله يدخل مكّة ؛ وفيهم عين تطرف ، فبعث إليهم : أنّي لم آت لحرب ، وإنّما جئت لأقضي مناسكي وأنحر بدني وأُخلّي بينكم وبين لُحمانها ، فبعثوا إليه حفص بن الأحنف[2] وسهيل ابن عمرو[3] ، فقالا: يا محمّد ألا ترجع عنّا عامك هذا ،

١ ـ ما بين المعقوفتين من «ب» .

٢ ـ هو مِكْرَز بن حفص بن الأخيف ، من بني عامر بن لؤي ، من قريش: شاعر جاهليّ ، من الفُتّاك ، أدرك الإسلام ، وقدم المدينة لمّا أسر المسلمون سهيل بن عمرو يوم بدر . راجع: المغازي (للواقدي) ١: ٥٩٩ و٦٠٢ ؛ السّيرة النبويّة (لابن كثير) ٣: ٣١٦ ؛ الأعلام (للزّركلي) ٧: ٢٨٤ .

٣ ـ سهيل بن عمرو بن عبد شمس ، القرشي العامري، من لؤي: خطيب قريش وأحد سادتها في الجاهليّة. أسره ←

إلى أن ننظر إلى ما يصير أمرك وأمر العرب؟ فإنّ العرب قد تسامعت مسيرك ، فإذا دخلت بلادنا وحرمنا استذلّتنا العرب واجترأت علينا ، ونخلّي لك البيت في العام القابل في هذا الشّهر ثلاثة أيّام ، حتّى تقضي نسكك وتنصرف عنّا ، فأجابهم رسول اللّهﷺ إلى ذلك ، واشترط عليهم: أنّ المسلمين بمكّة لا يؤذون في إظهارهم الإسلام ، ولا يكرهون ولاينكر عليهم شيء يفعلونه من شرائع الإسلام . فقبلوا ذلك . فلمّا أجابهم إلى الصّلح ، أنكر عليه عامّة أصحابه ، وأشدّ ما كان إنكاراً عمر ، فقال: يا رسول اللّه ألم تقل لنا أن ندخل المسجد الحرام ، ونحلّق مع المحلّقين؟ فقال: أمن عامنا هذا وعدتُك؟ قلت لك: إنّ اللّه عزّوجلّ قد وعدني أن أفتح مكّة وأطوف وأسعى وأُحلّق مع المحلّقين ، فلمّا أكثروا عليه قال لهم: إن لم تقبلوا الصّلح فحاربوهم . فمرّوا نحو قريش وهم مستعدّون للحرب ، وحملوا عليهم ، فانهزم أصحاب رسول اللّهﷺ هزيمة قبيحة ، ومرّوا برسول اللّهﷺ فتبسّم ، ثمّ قال: يا عليّ خذ السّيف واستقبل قريشاً ، فأخذ أمير المؤمنينؑ سيفه وحمل على قريش ، فلمّا نظروا إليه تراجعوا ، ثمّ قالوا: يا عليّ بدا لمحمّد فيما أعطانا؟ فقال: لا . ورجع حفص بن الأحنف وسهيل بن عمرو إلى رسول اللّهﷺ فقالا: يا محمّد قد أجابت قريش إلى ما اشترطت من إظهار الإسلام ، وأن لا يكره أحد على دينه قال: وكتبوا نسختين ، نسخة عند رسول اللّهﷺ ونسخة عند سهيل بن عمرو ، ورجع سهيل وحفص إلى قريش ، وقال رسول اللّهﷺ: انحروا بدنكم واحلقوا رؤوسكم فامتنعوا ، وقالوا: كيف ننحر ونحلّق ولم نطف بالبيت ، ولم نسع بين الصّفا والمروة؟ فنحر رسول اللّه وحلق ، فنحر القوم على حيث يقين وشكّ وارتياب . ثمّ رحل نحو المدينة فرجع إلى التّنعيم ، ونزل تحت الشّجرة ، فجاء أصحابه الّذين أنكروا عليه الصّلح واعتذروا ، وأظهروا النّدامة على ما كان منهم ، وسألوه أن يستغفر لهم . فنزلت آية الرّضوان»[١] . هذا ملخّص القصّة .

﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَما تَأَخَّرَ﴾ علّة للفتح من حيث إنّه مسبّب عن

← المسلمون يوم بدر ، وافتدي ، فأقام على دينه إلى يوم الفتح بمكّة ، فأسلم وسكنها ، ثمّ سكن المدينة . مات بالطّاعون في الشّام سنة: ١٨هـ. الأعلام (للزّركلي) ٣: ١٤٤ .

١ ـ القمّي ٢: ٣٠٩ ، عن أبي عبد اللّهؑ .

جهاد الكفّار والسّعي في إزاحة الشّرك وإعلاء الدّين وتكميل النّفوس النّاقصة قهراً ؛ ليصير ذلك بالتّدريج اختياراً ، وتخليص الضّعفة عن أيدي الظّلمة .

سئل عن هذه الآية ، فقال: «ما كان له ذنب ولا همّ بذنب ، ولكنّ اللّه حمله ذنوب شيعته ثمّ غفرها له»[١] .

وفي رواية: «يعني ذنبك عند مشركي أهل مكّة ، حيث دعوت إلى توحيد اللّه فيما تقدّم وتأخّر وجعلت الآلهة إلهاً واحداً»[٢] .

﴿وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ﴾ بإعلاء الدّين وضمّ الملك إلى النّبوّة ﴿وَيَهْدِيَكَ صِراطاً مُسْتَقِيماً﴾ في تبليغ الرّسالة وإقامة مراسم الرّياسة .

﴿وَيَنْصُرَكَ اللّهُ نَصْراً عَزِيزاً﴾: نصراً فيه عزّ ومَنَعَة .

﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ﴾: الثّبات والطّمأنينة . قال: «هو الإيمان»[٣] . ﴿فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ . القمّي: هم الّذين لم يخالفوا رسول اللّه صلى الله عليه وآله ، ولم ينكروا عليه الصّلح[٤] . ﴿لِيَزْدادُوا إِيماناً مَعَ إِيمانِهِمْ﴾ . قد مضى معنى زيادة الإيمان في سورة الأنفال[٥] . ﴿وَلِلّهِ جُنُودُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ﴾ يدبّر أمرهما ، فيسلّط بعضها على بعض تارة ، ويوقع فيما بينهم السّلم أُخرى ، كما تقتضيه حكمته . ﴿وَكانَ اللّهُ عَلِيماً حَكِيماً﴾ .

﴿لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِناتِ﴾: فعل ما فعل ليدخل ﴿جَنّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئاتِهِمْ﴾: يغطّيها ﴿وَكانَ ذلِكَ عِنْدَ اللّهِ فَوْزاً عَظِيماً﴾ لأنّه منتهى ما يطلب من جلب نفع أو دفع ضرّ .

﴿وَيُعَذِّبَ الْمُنافِقِينَ وَالْمُنافِقاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكاتِ الظّانِّينَ بِاللّهِ ظَنَّ

١ـ القمّي ٢: ٣١٤ ؛ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ١١٠ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .

٢ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ١: ٢٠٢ ، الباب: ١٥ ، ذيل الحديث الطّويل: ١ ، وليس فيها: «جعلت الآلهة إلهاً واحداً» .

٣ـ الكافي ٢: ١٥ ، الحديث: ١ ، عن أبي جعفر عليه السلام ؛ والحديث: ٤ و ٥ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .

٤ـ القمّي ٢: ٣١٥ .

٥ـ ذيل الآية: ٤ .

السَّوْءِ﴾ وهو أن لا ينصر رسوله والمؤمنين ﴿عَلَيْهِمْ دائِرَةُ السَّوْءِ﴾: دائرة ما يظنّونه ويتربّصونه بالمؤمنين لا يتخطّاهم. القمّي: هم الّذين أنكروا الصّلح واتّهموا رسول اللّه[1].
﴿وَغَضِبَ اللّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَساءَتْ مَصِيراً﴾.

﴿وَلِلّهِ جُنُودُ السَّمٰواتِ وَالأَرْضِ وَكانَ اللّهُ عَزِيزاً حَكِيماً﴾.

﴿إِنّا أَرْسَلْناكَ شاهِداً﴾ على أمّتك ﴿وَمُبَشِّراً﴾ على الطّاعة ﴿وَنَذِيراً﴾ على المعصية.

﴿لِتُؤْمِنُوا بِاللّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ﴾: وتقوّوه بتقوية دينه ورسوله ﴿وَتُوَقِّرُوهُ﴾: وتعظّموه ﴿وَتُسَبِّحُوهُ﴾: وتنزّهوه ﴿بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾: غدوة وعشيّاً.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبايِعُونَكَ إِنَّما يُبايِعُونَ اللّهَ﴾ لأنّه المقصود ببيعته ﴿يَدُ اللّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ يعني يدك الّتي فوق أيديهم في حال بيعتهم إيّاك، إنّما هي بمنزلة يد اللّه؛ لأنّهم في الحقيقة يبايعون اللّه ببيعتك. ﴿فَمَنْ نَكَثَ﴾: نقض العهد ﴿فَإِنَّما يَنْكُثُ عَلىٰ نَفْسِهِ﴾: فلا يعود ضرر نكثه إلّا عليه ﴿وَمَنْ أَوْفىٰ بِما عاهَدَ عَلَيْهُ اللّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً﴾.

القمّي: نزلت هذه الآية بعد نزول آية الرّضوان، واشترط عليهم أن لا ينكروا بعد ذلك على رسول اللّه شيئاً يفعله، ولا يخالفوه في شيء يأمرهم به، وإنّما رضي اللّه عنهم بهذا الشّرط أن يفوا به، فبهذا العقد[2] رضي اللّه عنهم، فقدّموا في التّأليف آية الشّرط على آية الرّضوان[3].

﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الأَعْرابِ شَغَلَتْنا أَمْوالُنا وَأَهْلُونا فَاسْتَغْفِرْ لَنا﴾. القمّي: هم

١ ـ القمّي ٢: ٣١٥.
٢ ـ في «ب» والمصدر: «فبهذا العهد».
٣ ـ القمّي ٢: ٣١٥.

الّذين استنفرهم في الحديبيّة[١]. ﴿يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ ما لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾. تكذيبٌ لهم في الاعتذار والاستغفار. ﴿قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللّهِ شَيْئاً﴾: فمن يمنعكم من مشيئته وقضائه ﴿إِنْ أَرادَ بِكُمْ ضَرّاً﴾ كقتل أو هزيمة، وخلل في المال والأهل، وعقوبة على التخلّف ﴿أَوْ أَرادَ بِكُمْ نَفْعاً﴾: ما يضادّ ذلك ﴿بَلْ كانَ اللّهُ بِما تَعْمَلُونَ خَبِيراً﴾.

﴿بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلى أَهْلِيهِمْ أَبَداً﴾: لظنّكم أنّ المشركين يستأصلونهم ﴿وَزُيِّنَ ذلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ فتمكّن فيها ﴿وَظَنَنْتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ وَكُنْتُمْ قَوْماً بُوراً﴾: هالكين عند اللّه، لفساد عقيدتكم وسوء نيّتكم. القمّي: أي: قوم سوء[٢].

﴿وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنّا أَعْتَدْنا لِلْكافِرِينَ سَعِيراً﴾.

﴿وَلِلّهِ مُلْكُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشاءُ وَكانَ اللّهُ غَفُوراً رَحِيماً﴾ فإنّ الغفران والرّحمة من دأبه، والتعذيب داخل تحت قضائه بالعرض، كما قال: «سبقت رحمتي غضبي»[٣].

﴿سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ﴾ يعني المذكورين. القمّي: ولمّا رجع من الحديبيّة إلى المدينة غزا خيبر، فاستأذنه المخلّفون أن يخرجوا معه، فقال اللّه: "سيقول المخلّفون"[٤]. ﴿إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلى مَغانِمَ لِتَأْخُذُوها﴾ يعني مغانم خيبر ﴿ذَرُونا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلامَ اللّهِ﴾ وهو وعده لأهل الحديبيّة: أن يعوّضهم من مغانم مكّة مغانم خيبر. ﴿قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونا﴾ نفي في معنى النّهي ﴿كَذلِكُمْ قالَ اللّهُ مِنْ قَبْلُ﴾: من قبل تهيّئهم للخروج إلى خيبر ﴿فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنا﴾ أن نشارككم في الغنائم ﴿بَلْ كانُوا لا يَفْقَهُونَ إِلّا قَلِيلاً﴾: إلّا فهماً قليلاً، وهو فطنتهم لأمور الدّنيا.

١ ـ القمّي ٢: ٣١٥.

٢ ـ القمّي ٢: ٣١٥.

٣ ـ الكافي ١: ٤٤٣، الحديث: ١٣، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٤ ـ القمّي ٢: ٣١٥.

﴿قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الأَعْرابِ﴾ . كرّر ذكرهم بهذا الاسم ؛ مبالغة في الذمّ ، وإشعاراً بشناعة التّخلّف . ﴿سَتُدْعَوْنَ إِلىٰ قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ . قيل: هم هوازن وثقيف[1] . ﴿تُقاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ﴾ أي: يكون أحد الأمرين: ﴿فَإِنْ تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللّٰهُ أَجْراً حَسَناً﴾ هو الغنيمة في الدّنيا والجنّة في الآخرة ﴿وَإِنْ تَتَوَلَّوْا كَما تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ﴾ عن الحديبيّة ﴿يُعَذِّبْكُمْ عَذاباً أَلِيماً﴾ لتضاعف جرمكم .

﴿لَيْسَ عَلَى الأَعْمىٰ حَرَجٌ وَلا عَلَى الأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلا عَلَى المَرِيضِ حَرَجٌ﴾ لمّا أوعد على التّخلّف ، نفى الحرج عن هؤلاء المعذورين ؛ استثناء لهم عن الوعيد .

﴿وَمَنْ يُطِعِ اللّٰهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذاباً أَلِيماً﴾ .

﴿لَقَدْ رَضِيَ اللّٰهُ عَنِ المُؤْمِنِينَ إِذْ يُبايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ ما فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثابَهُمْ فَتْحاً قَرِيباً﴾ : فتح خيبر غبّ انصرافهم .

﴿وَمَغانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَها﴾ يعني مغانم خيبر ﴿وَكانَ اللّٰهُ عَزِيزاً حَكِيماً﴾ .

﴿وَعَدَكُمُ اللّٰهُ مَغانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَها﴾ وهي ما يفيء على المؤمنين إلى يوم القيامة ﴿فَعَجَّلَ لَكُمْ هٰذِهِ﴾ يعني مغانم خيبر ﴿وَكَفَّ أَيْدِيَ النّاسِ عَنْكُمْ﴾: أيدي أهل خيبر وحلفائهم ﴿وَلِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ﴾: أمارة يعرفون بها صدق الرّسول في وعدهم ﴿وَيَهْدِيَكُمْ صِراطاً مُسْتَقِيماً﴾ هو الثّقة بفضل اللّه والتّوكّل عليه .

﴿وَأُخْرىٰ لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْها﴾ بعد ﴿قَدْ أَحاطَ اللّٰهُ بِها وَكانَ اللّٰهُ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيراً﴾ .

﴿وَلَوْ قاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ . من أهل مكّة ولم يصالحوا ﴿لَوَلَّوُا الأَدْبارَ ثُمَّ لا يَجِدُونَ وَلِيّاً﴾ يحرسهم ﴿وَلا نَصِيراً﴾ ينصرهم .

١ ـ الكشّاف ٣: ٥٤٥ ؛ البيضاوي ٥: ٨٣ .

﴿سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ﴾ أي: سنّ غلبة أنبيائه، سنّة قديمة فيمن مضى من الأمم ﴿وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً﴾.

﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ﴾: أيدي كفّار مكّة ﴿وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ﴾: في داخل مكّة ﴿مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ القمّي: أي: من بعد أن أَمِمْتُم[1] من المدينة إلى الحرم، وطلبوا منكم الصّلح من بعد أن كانوا يغزونكم بالمدينة صاروا يطلبون الصّلح بعد أن كنتم تطلبون الصّلح منهم[2]. ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيراً﴾ من مقاتلتهم أوّلاً طاعة لرسوله، وكفّهم ثانياً لتعظيم بيته.

﴿هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيَ مَعْكُوفاً﴾: محبوساً ﴿أَنْ يَبْلُغَ مَحِلَّهُ﴾. الهَدْي: ما يهدى إلى مكّة، ومحِلّه: مكانه الّذي يحلّ فيه نحره.

﴿وَلَوْلا رِجالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِساءٌ مُؤْمِناتٌ﴾ القمّي: يعني بمكّة[3]. ﴿لَمْ تَعْلَمُوهُمْ﴾: لم تعرفوهم بأعيانهم لاختلاطهم بالمشركين ﴿أَنْ تَطَؤُهُمْ﴾: أن توقعوا بهم وتبتدؤوهم ﴿فَتُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ﴾: من جهتهم ﴿مَعَرَّةٌ﴾: مكروه، كوجوب الدّية والكفّارة بقتلهم، والتأسّف عليهم، وتعيير الكفّار بذلك، والإثم بالتّقصير في البحث عنهم. ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ أي: تطؤوهم غير عالمين بهم.

وجواب «لولا» محذوف لدلالة الكلام عليه، والمعنى: لولا كراهة أن تهلكوا أناساً مؤمنين بين أظهر الكافرين جاهلين بهم، فيصيبكم بإهلاكهم مكروه، لما كفّ أيديكم عنهم.

القمّي: أخبر الله عزّوجلّ نبيّه: أنّ علّة الصّلح إنّما كان للمؤمنين والمؤمنات الّذين كانوا بمكّة، ولو لم يكن صلح وكانت الحرب لقتلوا، فلمّا كان الصّلح أمنوا وأظهروا

---

[1] ـ أي: قصدتم. والأمّ بالفتح: القصد. يقال: أمّهُ وأمّمَهُ وتأمّمَهُ: إذا قصدَه. الصّحاح ٥: ١٨٦٥ (أمم).
[2] و [3] ـ القمّي ٢: ٣١٦.

الإسلام . ويقال: إنّ ذلك الصّلح كان أعظم فتحاً على المسلمين من غلبهم[١] .

﴿لِيُدْخِلَ اللّٰهُ فِي رَحْمَتِهِ﴾ . علّة لما دلّ عليه كفّ الأيدي من أهل مكّة ؛ صوناً لمن فيها من المؤمنين ، أي: كان ذلك ليدخل اللّه في توفيقه ؛ لزيادة الخير أو الإسلام ﴿مَنْ يَشاءُ﴾ من مؤمنيهم أو مشركيهم ﴿لَوْ تَزَيَّلُوا﴾: لو تفرّقوا وتميّز بعضهم من بعض ﴿لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذاباً أَلِيماً﴾ بالقتل والسّبي .

القمّي: يعني هؤلاء الّذين كانوا بمكّة من المؤمنين والمؤمنات . لو زالوا عنهم وخرجوا من بينهم لعذّبنا الّذين كفروا منهم[٢] .

وورد في تفسيره: «لو أخرج اللّه ما في أصلاب المؤمنين من الكافرين ، وما في أصلاب الكافرين من المؤمنين ، لعذّبنا الّذين كفروا»[٣] .

﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ﴾: الأنفة ﴿حَمِيَّةَ الْجاهِلِيَّةِ﴾ الّتي تمنع إذعان الحقّ ﴿فَأَنْزَلَ اللّٰهُ سَكِينَتَهُ عَلىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ فتحمّلوا حميّتهم ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوىٰ﴾ قال: «هو الإيمان»[٤] .

وفي رواية: «لا إله إلّا اللّه هي كلمة التقوى ، يثقل اللّه بها الموازين يوم القيامة»[٥] .

وفي أُخرى نبويّة: «إنّ عليّاً راية الهدى وإمام أوليائي ونور من أطاعني ، وهو الكلمة الّتي ألزمتها المتّقين»[٦] .

﴿وَكانُوا أَحَقَّ بِها وَأَهْلَها﴾: والمستأهل لها ﴿وَكانَ اللّٰهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً﴾ .

﴿لَقَدْ صَدَقَ اللّٰهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيا﴾: صدّقه في رؤياه ﴿بِالْحَقِّ﴾: متلبّساً به ، فإنّ ما

---

١ و ٢ ـ القمّي ٢: ٣١٦ .

٣ ـ كمال الدّين ٢: ٦٤٢ ، الباب: ٥٤ ، ذيل الحديث الطّويل: ١ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .

٤ ـ الكافي ٢: ١٥ ، الحديث: ٥ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .

٥ ـ علل الشّرائع ١: ٢٥١ ، الباب: ١٨٢ ، الحديث: ٨ ، عن حسن بن عليّ عليهما السلام ، عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله .

٦ ـ الأمالي (للصدوق): ٣٨٦ ، المجلس: ٧٢ ، الحديث: ٢٣ ، عن أبي جعفر عليه السلام ، عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله .

رآه كائن لا محالة . وقد سبق قصّته في أوّل السّورة . ﴿لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الحَرامَ إِنْ شاءَ اللّٰهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ﴾: محلّقاً بعضكم ومقصّراً آخرون ﴿لا تَخافُونَ﴾ بعد ذلك ﴿فَعَلِمَ ما لَمْ تَعْلَمُوا﴾ من الحكمة في تأخير ذلك ﴿فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذٰلِكَ فَتْحاً قَرِيباً﴾ هو فتح خيبر ، ليستروح إليه قلوب المؤمنين ، إلى أن يتيسّر الموعود .

﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدىٰ وَدِينِ الحَقِّ﴾: وبدين الإسلام ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾: ليغلبه على جنس الدّين كلّه ، بنسخ ما كان حقّاً ، وإظهار فساد ما كان باطلاً ، ثمّ بتسليط المسلمين على أهله ، إذ ما من أهل دين إلّا وقد قهر بالإسلام أو سيقهر . وفيه تأكيد لما وعده بالفتح .

القمّي: وهو الإمام الّذي يظهره اللّه عزّوجلّ على الدّين كلّه ، فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً ، كما ملئت ظلماً وجوراً . وهذا ممّا ذكرنا أنّ تأويله بعد تنزيله[1] .

أقول: وقد سبق تمام الكلام فيه في سورة التّوبة[2] .

﴿وَكَفىٰ بِاللّٰهِ شَهِيداً﴾ على أنّ وعده كائن ، أو على رسالته .

﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللّٰهِ﴾ جملة مبيّنة للمشهود به ، أو استئناف مع معطوفه ، وما بعدهما خبر . ﴿وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدّاءُ عَلَى الكُفّارِ رُحَماءُ بَيْنَهُمْ﴾: يغلظون على من خالف دينهم ، ويتراحمون فيما بينهم ، كقوله: أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ على الكافِرِينَ"[3] . ﴿تَراهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً﴾ لأنّهم مشتغلون بالصّلاة في أكثر أوقاتهم ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللّٰهِ وَرِضْواناً سِيماهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾ قال: «هو السّهر في الصّلاة»[4] . ﴿ذٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْراةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنْجِيلِ﴾: صفتهم العجيبة الشّأن ، المذكورة فيهما .

١ ـ القمّي ٢: ٣١٧ .

٢ ـ ذيل الآية: ٣٣ .

٣ ـ المائدة (٥): ٥٤ .

٤ ـ من لا يحضره الفقيه ١: ٢٩٩ ، الحديث: ١٣٦٩ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .

قال: «إنّ اللّه عزّوجلّ قد أنزل في التّوراة والإنجيل والزّبور صفة محمّد، وصفة أصحابه ومبعثه ومهاجره، وهو قوله: "محمّد رسول اللّه" إلى قوله: "في الإنجيل"»[1].

﴿كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ﴾: فراخه ﴿فَآزَرَهُ﴾: فقوّاه ﴿فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ﴾: فاستقام على قُصُبه؛ جمع ساق. ﴿يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ﴾ بكثافته وقوّته وغِلَظِهِ وحسن منظره.

قيل: هو مَثَل ضربه اللّه للصّحابة؛ قلّوا في بدء الإسلام، ثمّ كثروا واستحكموا، فترقّى أمرهم بحيث أعجب النّاس[2].

﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾ علّة لتشبيههم بالزّرع في زكائه واستحكامه. ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾.

«نزلت في أمير المؤمنين عليه السلام ومن كان تحت لوائه يوم القيامة، من السّابقين الأوّلين من المهاجرين والأنصار، لا يخالطهم غيرهم». كذا ورد[3].

١ـ القمّي ١: ٣٣، ذيل الآية: ٦ من سورة البقرة، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٢ـ البيضاوي ٥: ٨٦؛ الكشاف ٣: ٥٥١.

٣ـ الأمالي (للشّيخ الطّوسي) ١: ٣٨٧، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله.

سورة الحجرات

[مدنيّة ، وهي ثماني عشرة آية][1]

بسم اللّه الرّحمٰن الرّحيم

﴿يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللّهِ وَرَسُولِهِ﴾ قيل: أي: بين يدي رسول اللّه ، وذكر اللّه تعظيم له وإشعار بأنّه من اللّه بمكان ، والمعنى: لا تقطعوا أمراً قبل أن يحكما به[2] ؛ أو لا تتقدّموا في المشي[3]. ﴿وَاتَّقُوا اللّهَ﴾ في التّقديم ﴿إِنَّ اللّهَ سَمِيعٌ﴾ لأقوالكم ﴿عَلِيمٌ﴾ بأفعالكم .

﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْواتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾ أي: إذا كلّمتموه فلاتجاوزوا أصواتكم عن صوته ﴿وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ﴾: ولا تبلغوا به الجهر الدّائر بينكم ، بل اجعلوا صوتكم أخفض من صوته ؛ محاماة على التّرحيب ومراعاة للأدب ، وتكرير النّداء لاستدعاء مزيد الاستبصار والمبالغة في الإيقاظ ، والدّلالة على استقلال المنادى له ، وزيادة الاهتمام به . ﴿أَنْ تَحْبَطَ أَعْمالُكُمْ﴾: لأن تحبط ، أو كراهة أن تحبط . ﴿وَأَنْتُمْ لاتَشْعُرُونَ﴾ أنّها محبطة .

١ ـ ما بين المعقوفتين من «ب» .

٢ ـ البيضاوي ٥: ٨٦ .

٣ ـ تفسير ابن جزيّ: ٧٠١ .

القمّي: نزلت في وفد بني تميم، كانوا إذا قدموا على رسول الله صلّى الله عليه وآله وقفوا على باب حجرته فنادوا: يا محمّد أُخرج إلينا. وكانوا إذا خرج رسول الله تقدّموه في المشي. وكانوا إذا كلّموه رفعوا أصواتهم فوق صوته ويقولون: يا محمّد يا محمّد ما تقول في كذا؟ كما يكلّمون بعضهم بعضاً، فأنزل الله[1].

وورد: «وكان رسول الله صلّى الله عليه وآله بهم رحيماً وعليهم عطوفاً، وفي إزالة الآثام عنهم مجتهداً، حتّى أنّه كان ينظر إلى من يخاطبه فتعمّلَ[2] على أن يكون صوته مرتفعاً على صوته، ليزيل عنه ما توعّده الله من إحباط أعماله، حتّى أنّ رجلاً أعرابيّاً ناداه يوماً خلف حائط بصوت له جَهْوَرِيٍّ: يا محمّد، فأجابه بأرفع من صوته، يريد أن لا يأثم الأعرابيّ بارتفاع صوته»[3].

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ﴾: يخفضونها ﴿عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ﴾ مراعاة للأدب ﴿أُولَـٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ﴾: جرّبها لها ومرّنها عليها ﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ﴾: من خارجها؛ خلفها أو قدّامها، والمراد حجرات نسائه ﴿أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ إذ العقل يقتضي حسن الأدب ومراعاة الحشمة لمن كان بهذا المنصب.

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ﴾. في «إليهم» إشعار بأنّه لو خرج لا لأجلهم، ينبغي أن يصبروا حتّى يفاتحهم بالكلام أو يتوجّه إليهم. ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ حيث اقتصر على النّصح والتّقريع.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا﴾: فتعرّفوا وتفحّصوا. وفي

١ـ القمّي ٢: ٣١٨.

٢ـ أي: تكلّف العمل. وتَعَمَّلَ، أي: تَعَنّى. لسان العرب ١١: ٤٧٦ (عمل).

٣ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٤٧٧، الحديث: ٣٠٥، عن أبي الحسن الكاظم عليه السلام.

قراءتهم عليهم السلام بالثّاء المثلثة والباء الموحّدة[١]، يعني فتوقّفوا حتّى يتبيّن الحال ﴿أَنْ تُصِيبُوا﴾: كراهة إصابتكم ﴿قَوْماً بِجَهالَةٍ﴾: جاهلين بحالهم ﴿فَتُصْبِحُوا عَلىٰ ما فَعَلْتُمْ نادِمِينَ﴾.

«نزلت في الوليد بن عقبة[٢]، حيث أخبر عن بني المصطلق بالارتداد، فهمَّ المؤمنون بقتالهم». كذا ورد[٣].

﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ﴾: لوقعتم في العنت؛ وهو الجهْد والهلاك. وفيه إشعار بأنّ بعضهم أشار إليه بالإيقاع ببني المصطلق. ﴿وَلٰكِنَّ اللّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيانَ﴾.

قيل: هو خطاب للمؤمنين الّذين لم يفعلوا ذلك ولم يكذّبوا لغرضهم الفاسد، تحسيناً لهم وتعريضاً بذمّ من فعل[٤].

قال: «الفسوق: الكذب»[٥]. و ورد: «الإيمان: أمير المؤمنين عليه السلام، والكفر والفسوق والعصيان: الأوّل والثاني والثالث»[٦].

﴿أُولٰئِكَ هُمُ الرّاشِدُونَ﴾ يعني أُولئك الّذين فعل اللّه بهم ذلك؛ هم الّذين أصابوا الطّريق السّويّ.

﴿فَضْلاً مِنَ اللّهِ وَنِعْمَةً وَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

﴿وَإِنْ طائِفَتانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا﴾: تقاتلوا ﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُما﴾ بالنصح

١ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ١٣١، عن أبي جعفر عليه السلام.

٢ ـ مرّت ترجمته ذيل الآية: ٢٠ من سورة السجدة.

٣ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ١٣٢، عن ابن عباس ومجاهد.

٤ ـ الجامع لأحكام القرآن (للقرطبي) ١٦: ٣١٤، بالمضمون.

٥ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ١٣٣، عن أبي جعفر عليه السلام.

٦ ـ الكافي ١: ٤٢٦، الحديث: ٧١؛ القمّي ٢: ٣١٩، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

والدّعاء إلى حكم الله ﴿فَإِنْ بَغَتْ إِحْداهُما عَلَى الأُخْرىٰ﴾: تعدّت ﴿فَقاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتّىٰ تَفِيءَ إِلىٰ أَمْرِ اللَّهِ﴾: ترجع إلى حكمه وما أمر به ﴿فَإِنْ فاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُما بِالعَدْلِ﴾: بفصل ما بينهما على ما حكم الله ﴿وَأَقْسِطُوا﴾: واعدلوا في كلّ الأُمور ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ المُقْسِطِينَ﴾.

قيل: نزلت في قتال حدث بين الأوس والخزرج في عهده صلى الله عليه وآله بالسّعف والنّعال[1].

و ورد: «إنّما جاء تأويل هذه الآية يوم البصرة، وهم أهل هذه الآية، وهم الّذين بغوا على أمير المؤمنين عليه السلام. قال: وهي الفئة الباغية»[2].

﴿إِنَّمَا المُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ قال: «بنو أب وأُمّ[3]، وإذا ضرب على رجل منهم عِرق سَهِرَ له الآخرون»[4].

وفي رواية: «لأنّ اللّه خلق المؤمنين من طينة الجنان، وأجرى في صورهم من ريح الجنّة، فلذلك هم إخوة لأب وأُمّ»[5].

﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ ورد: «صدقة يحبّها اللّه إصلاح بين النّاس إذا تفاسدوا، وتقارب بينهم إذا تباعدوا»[6].

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾.

﴿يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْراً مِنْهُمْ وَلا نِساءٌ

١ ـ الكشّاف ٣: ٥٦٣؛ البيضاوي ٥: ٨٨.

٢ ـ الكافي ٨: ١٨٠، ذيل الحديث: ٢٠٢، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٣ ـ أُريد بالأب روح اللّه الّذي نفخ منه في طينة المؤمن، وبالأُمّ الماء العذب والتّربة الطّيّبة؛ لا آدم وحوّاء كما يتبادر إلى بعض الأذهان؛ لعدم اختصاص الانتساب إليهما بالإيمان. إلّا أن يقال: تباين العقائد صار مانعاً عن تأثير تلك الأُخوّة. لكنّه بعيد. ويمكن أن يكون المراد اتّحاد آبائهم الحقيقيّة الّذين أحيوهم بالإيمان والعلم. مرآة العقول ٩: ٨.

٤ ـ الكافي ٢: ١٦٥، الحديث: ١، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٥ ـ المصدر: ١٦٦، الحديث: ٧، عن أبي جعفر عليه السلام.

٦ ـ الكافي ٢: ٢٠٩، الحديث: ١، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

﴿مِنْ نِساءٍ عَسىٰ أَنْ يَكُنَّ خَيْراً مِنْهُنَّ﴾ أي: لا يسخر بعض المؤمنين والمؤمنات من بعض، إذ قد يكون المسخور منه خيراً عند الله من السّاخر.

القمّي: نزلت في صفيّة بنت حيّ بن أخطب، وكانت زوجة رسول الله صلى الله عليه وآله، وذلك أنّ عائشة وحفصة كانتا تؤذيانها، وتشتمانها وتقولان لها: يا بنت اليهوديّة. فشكت ذلك إلى رسول الله. فقال لها: ألّا تجيبينهما؟ فقالت: بماذا يا رسول الله؟ قال: قولي: إنّ أبي هارون نبيّ الله، وعمّي موسى كليم الله، وزوجي محمّد رسول الله، فما تنكران منّي؟ فقالت لهما. فقالتا: هذا علّمكِ رسول الله، فأنزل الله[1].

﴿وَلا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ﴾: ولا يَعِبْ بعضكم بعضاً ﴿وَلا تَنابَزُوا بِالْأَلْقابِ﴾ ولا يدعو بعضكم بعضاً بلقب السّوء ﴿بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمانِ﴾ أي: بئس الذّكر المرتفع للمؤمنين أن يذكروا بالفسق بعد دخولهم الإيمان واشتهارهم به. ﴿وَمَنْ لَمْ يَتُبْ﴾ عمّا نهي عنه ﴿فَأُولٰئِكَ هُمُ الظّالِمُونَ﴾ بوضع العصيان موضع الطّاعة، وتعريض النّفس للعذاب.

﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَّنِّ﴾: كونوا منه على جانب. وإبهام الكثير ليحتاط في كلّ ظنّ ويتأمّل، حتّى يعلم أنّه من أيّ القبيل ﴿إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾.

ورد: «ضع أمر أخيك على أحسنه حتّى يأتيك ما يقلبك منه، ولا تظنّنّ بكلمة خرجت من أخيك سوءاً وأنت تجد لها في الخير محملاً»[2].

﴿وَلا تَجَسَّسُوا﴾: ولا تبحثوا عن عوارت المؤمنين. ورد: «لا تطلبوا عثرات المؤمنين، فإنّه من يتبع[3] عثرات أخيه يتبع الله عثرته، ومن يتبع الله عثرته، يفضحه ولو

١ ـ القمّي ٢: ٣٢١.

٢ ـ الكافي ٢: ٣٦٢، الحديث: ٣، عن أبي عبد الله، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

٣ ـ في المصدر: «تتبّع» في جميع المواضع.

في جوف بيته»[١].

﴿وَلا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً﴾: ولا يذكر بعضكم بعضاً بالسّوء في غيبته.

سئل عن الغيبة فقال: «هو أن تقول لأخيك في دينه ما لم يفعل[٢]، وتبثّ عليه أمراً قد ستره اللّه عليه، لم يقم عليه فيه حدّ»[٣].

وفي رواية: «وأمّا الأمر الظّاهر فيه، مثل الحدّة والعجلة فلا»[٤]

﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ﴾. تمثيلٌ لما يناله المغتاب من عِرض المغتاب على أفحش وجه مع مبالغات. ﴿وَاتَّقُوا اللّهَ إِنَّ اللّهَ تَوّابٌ رَحِيمٌ﴾.

روي: «إنّ أبا بكر وعمر بعثا سلمان إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله ليأتي لهما بطعام، فبعثه إلى أُسامة بن زيد، وكان خازن رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله على رحله، فقال: ما عندي شيء، فعاد إليهما. فقالا: بخل أُسامة، ولو بعثنا سلمان إلى بئر سميحة لغار ماؤها، ثمّ انطلقا إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله، فقال لهما: مالي أرى خضرة اللّحم في أفواهكما؟! قالا: يا رسول اللّه ما تناولنا اليوم لحماً. قال: ظلتم تفكّهون لحم سلمان وأُسامة، فنزلت»[٥].

﴿يا أَيُّها النّاسُ إِنّا خَلَقْناكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثى﴾: من آدم وحوّاء ﴿وَجَعَلْناكُمْ شُعُوباً وَقَبائِلَ﴾. قال: «الشّعوب: العجم، والقبائل: العرب»[٦]. ﴿لِتَعارَفُوا﴾: ليعرف بعضكم بعضاً؛ لا للتّفاخر بالآباء والقبائل ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللّهِ أَتْقاكُمْ﴾ فإنّ بالتّقوى تكمل

١ ـ الكافي ٢: ٣٥٥، الحديث: ٥، عن أبي عبد اللّه عليه السلام، عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله.

٢ ـ المراد بما لم يفعل: العيب الّذي لم يكن باختياره وفعَلَه اللّه فيه كالعيوب البدنيّة، فيخصّ بما إذا كان مستوراً. وهذا بناءً على أنّ «في دينه» صفة «لأخيك» أي: الّذي أُخوّته بسبب دينه. ويمكن أن يكون «في دينه» متعلّقاً بالقول، أي: كان ذلك القول طعناً في دينه بنسبة كفر أو معصية إليه؛ ويدلّ على أنّ الغيبة تشتمل البهتان أيضا. مرآة العقول ١٠: ٤٣٠.

٣ ـ الكافي ٢: ٣٥٧، الحديث: ٣، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٤ ـ المصدر: ٣٥٨، الحديث: ٧، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٥ ـ الكشّاف ٣: ٥٦٩؛ البيضاوي ٥: ٨٩؛ جوامع الجامع: ٤٥٩.

٦ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ١٣٨، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

النّفوس وتفاضل الأشخاص، فمن أراد شرفاً فليلتمس منها. القمّي: هو ردّ على من يفتخر بالأحساب والأنساب[١]. و ورد: «أتقاكم، أي: أعملكم بالتّقيّة»[٢]. ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ﴾ بكم ﴿خَبِيرٌ﴾ ببواطنكم.

﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا﴾. قيل: نزلت في نفر من بني أسد، قدموا المدينة في سنة جَدْبَة[٣] وأظهروا الشّهادتين، وكانوا يقولون لرسول الله صلّى الله عليه وآله: أتيناك بالأثقال والعيال، ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان، يريدون الصّدقة ويمنّون[٤]

﴿قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا﴾ إذ الإيمان تصديق مع ثقة وطمأنينة قلب، ولم يحصل لكم ﴿وَلَٰكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾ فإنّ الإسلام انقياد ودخول في السّلم؛ وإظهار الشّهادة وترك المحاربة يشعر به. وكان نظم الكلام أن يقول: لا تقولوا: آمنّا، ولكن قولوا: أسلمنا؛ إذ لم تؤمنوا ولكن أسلمتم. فعدل منه إلى هذا النّظم، احترازاً من النّهي عن القول بالإيمان والجزم بإسلامهم، وقد فقد شرط اعتباره شرعاً.

ورد: «الإسلام علانية والإيمان في القلب»[٥].

وفي رواية: «الإسلام قبل الإيمان؛ وعليه يتوارثون ويتناكحون، والإيمان عليه يثابون»[٦].

﴿وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ توقيت لـ«قولوا». ﴿وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ بالإخلاص وترك النّفاق ﴿لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ﴾: لا ينقصكم من أجورها ﴿شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

١ـ القمّي ٢: ٣٢٢.
٢ـ كمال الدّين ٢: ٣٧١، الباب: ٣٥، الحديث: ٥، عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام.
٣ـ أجْدَبَت البلاد: قحطت وغلت أسعارها، مجمع البحرين ٢: ٢٢ (جدب).
٤ـ البيضاوي ٥: ٨٩.
٥ـ مجمع البيان ٩ـ ١٠: ١٣٨، عن رسول الله صلّى الله عليه وآله.
٦ـ الكافي ١: ١٧٣، ذيل الحديث: ٤، عن أبي عبد الله عليه السلام.

﴿إِنَّما الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللّٰهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتابُوا وَجاهَدُوا بِأَمْوالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللّٰهِ أُولٰئِكَ هُمُ الصّادِقُونَ﴾ الّذين صدقوا في ادّعاء الإيمان. القمّي: نزلت في أمير المؤمنين عليه السلام[1].

﴿قُلْ أَتُعَلِّمُونَ اللّٰهَ بِدِينِكُمْ﴾: أتخبرونه به لقولكم آمنّا ﴿وَاللّٰهُ يَعْلَمُ ما فِي السَّماواتِ وَما فِي الْأَرْضِ وَاللّٰهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾: لا يخفى عليه خافية، وهو تجهيل لهم وتوبيخ.

روي: «إنّه لمّا نزلت الآية المتقدّمة جاؤوا وحلفوا أنّهم مؤمنون معتقدون، فنزلت هذه»[2].

﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلامَكُمْ﴾: بإسلامكم ﴿بَلِ اللّٰهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَداكُمْ لِلْإِيمانِ﴾ على ما زعمتم، مع أنّ الهداية لا تستلزم الاهتداء. ﴿إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ﴾ في ادّعاء الإيمان.

القمّي: نزلت في عثمان، ثمّ ذكر عنه كلمة قالها لرسول اللّه صلى الله عليه وآله فيها المنّة، في قصّة له مع سلمان[3].

﴿إِنَّ اللّٰهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَاللّٰهُ بَصِيرٌ بِما تَعْمَلُونَ﴾ في سرّكم وعلانيتكم.

١ ـ القمّي ٢: ٣٢٢.

٢ ـ البيضاوي ٥: ٩٠.

٣ ـ القمّي ٢: ٣٢٢.

سورة قٓ

[مكّيّة ، وهي خمس وأربعون آية][1]

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم

﴿قٓ وَالقُرْآنِ المَجِيدِ﴾ . قال: «"ق" جبل محيط بالدّنيا من زمرّد أخضر ، فخضرة السّماء من ذلك الجبل»[2] . وفي رواية: «وبه يمسك اللّه الأرض أن تميد بأهلها»[3] .

والقمّي: جبل محيط بالدّنيا من وراء يأجوج ومأجوج[4] .

﴿بَلْ عَجِبُوا﴾ يعني قريشاً ﴿أَنْ جاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ﴾ يعني رسول اللّه ﴿فَقالَ الكافِرُونَ هٰذا شَيءٌ عَجِيبٌ﴾ .

﴿أَإِذا مِتْنا﴾ أي: أنرجع إذا متنا؟! ﴿وَكُنّا تُراباً ذٰلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ﴾ .

القمّي: نزلت في أُبيّ بن خلف ، قال لأبي جهل: تعال إليّ لأعجبك من محمّد . ثمّ أخذ عظماً ففتّه ثمّ قال: يا محمّد تزعم أنّ هذا يُحْيىٰ؟![5]

﴿قَدْ عَلِمْنا ما تَنْقُصُ الأَرْضُ مِنْهُمْ﴾: ما تأكل الأرض من أجساد موتاهم ﴿وَعِنْدَنا

---

١ ـ ما بين المعقوفتين من «ب» .

٢ و ٣ ـ معاني الأخبار: ٢٢ ، الحديث: ١ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .

٤ ـ القمّي ٢: ٣٢٣ .

٥ ـ القمّي ٢: ٣٢٣ .

كِتابٌ حَفِيظٌ ﴾.

﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِالحَقِّ لَمّا جاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ ﴾: مضطرب، فتارة يقولون: إنّه شاعر، وتارة إنّهُ ساحِرٌ، وتارة إنّه كاهن، إلى غير ذلك.

﴿ أَفَلَمْ يَنْظُرُوا ﴾ حين كفروا بالبعث ﴿ إِلَى السَّماءِ فَوْقَهُمْ ﴾: إلى آثار قدرة اللّه في خلق العالم ﴿ كَيْفَ بَنَيْناها ﴾: رفعناها بلا عمد ﴿ وَزَيَّنّاها ﴾ بالكواكب ﴿ وَما لَها مِنْ فُرُوجٍ ﴾: فتوق، بأن خلقها ملساء، متلاصقة الطّباق.

﴿ وَالأَرْضَ مَدَدْناها ﴾: بسطناها ﴿ وَأَلْقَيْنا فِيها رَواسِيَ ﴾: جبالاً ثوابت ﴿ وَأَنْبَتْنا فِيها مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴾: من كلّ صنف حسن.

﴿ تَبْصِرَةً وَذِكْرىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴾: راجع إلى ربّه، متفكّر في بدائع صنعه.

﴿ وَنَزَّلْنا مِنَ السَّماءِ ماءً مُبارَكاً ﴾: كثير المنافع. قال: «ليس من ماء في الأرض إلّا وقد خالطه ماء السّماء»[١]. ﴿ فَأَنْبَتْنا بِهِ جَنّاتٍ ﴾: أشجاراً وأثماراً ﴿ وَحَبَّ الحَصِيدِ ﴾: وحبّ الزّرع الّذي من شأنه أن يحصد، كالبرّ والشّعير.

﴿ وَالنَّخْلَ باسِقاتٍ ﴾: مرتفعات أو حوامل، وإفرادها بالذّكر لفرط ارتفاعها، وكثرة منافعها ﴿ لَها طَلْعٌ نَضِيدٌ ﴾: منضود بعضه فوق بعض.

﴿ رِزْقاً لِلْعِبادِ وَأَحْيَيْنا بِهِ ﴾: بذلك الماء ﴿ بَلْدَةً مَيْتاً ﴾: أرضاً جدبة لا نماء فيها ﴿ كَذٰلِكَ الخُرُوجُ ﴾: كما أنزلنا الماء من السّماء، وأخرجنا به النّبات من الأرض، وأحيينا البلدة الميت؛ يكون خروجكم أحياءً بعد موتكم. وهو جواب لقولهم: "أئذا مِتنا وكُنّا تُراباً ذلكَ رجعٌ بعيدٌ".

﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحابُ الرَّسِّ ﴾ الّذين رسّوا نبيّهم في الأرض، أي: دسّوه[٢]، كما سبق في الفرقان[٣]. ﴿ وَثَمُودُ ﴾.

١ـ الكافي ٦: ٣٨٧، الحديث: ١، عن أبي جعفر ﷺ، عن رسول اللّه ﷺ.

٢ـ دَسَسْتُ الشيء في التّراب أدُسُّهُ: أخفيته فيه. الصّحاح ٣: ٩٢٨ (دسس).

٣ـ ذيل الآية: ٣٨.

﴿وَعادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوانُ لُوطٍ﴾ .

﴿وَأَصْحابُ الْأَيْكَةِ﴾: الغيضة، وهم قوم شعيب، كما مرّ في الحجر[۱] . ﴿وَقَوْمُ تُبَّعٍ﴾ . مضى ذكره في الدّخان[۲] . ﴿كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ﴾: فوجب وحلّ عليه وعيدي . وفيه تسلية للرّسول صلّى الله عليه وآله، وتهديد لهم .

﴿أَفَعَيِينا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ﴾: أفعجزنا عن الإبداء حتّى نعجز عن الإعادة ﴿بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ أي: هم لا ينكرون قدرتنا على الخلق الأوّل . بل هم في خلط وشبهة في خلق مستأنف، لما فيه من مخالفة العادة .

قال: «تأويل ذلك: أنّ الله تعالى إذا أفنى هذا الخلق وهذا العالم، وسكن أهلُ الجنّة وأهل النّار النّار، جدّد الله عالَماً غير هذا العالَم، وجدّد خلقاً من غير فحولة ولا إناث؛ يعبدونه ويوحّدونه، وخلق لهم أرضاً غير هذه الأرض تحملهم، وسماءً غير هذه السّماء تظلّهم، لعلّك ترى أنّ الله إنّما خلق هذا العالَم الواحد، أو[۳] ترى أنّ الله لم يخلق بشراً غيركم! بلى والله لقد خلق ألف ألف عالَم وألف ألف آدم! أنت في آخر تلك العوالم، وأولئك الآدميّين»[٤] .

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسانَ وَنَعْلَمُ ما تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ﴾: ما تحدّث به نفسه؛ وهو ما يخطر بالبال. والوسوسة: الصّوت الخفيّ . ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾: عِرق العنق، وهو مَثَل في القُرب .

﴿إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيانِ﴾: إذ يتلقّى[٥] الحفيظان ما يتلفّظ به . وفيه إشعار بأنّه غنيّ عن

۱ ـ ذيل الآية: ۷۸ .
۲ ـ ذيل الآية: ۳۷ .
۳ ـ في المصدر: «وترى» .
٤ ـ التّوحيد: ۲۷۷، الباب: ۳۸، الحديث: ۲، عن أبي جعفر عليه السلام .
٥ ـ في «ج»: «إذ يتلقّن» .

استحفاظ الملكين، فإنّه أعلم منهما ومطّلع على ما يخفي عليهما؛ لأنّه أقرب إليه منهما، ولكنّه لحكمة اقتضته من تشديد في تثبّط العبد عن المعصية، وتأكيد في اعتبار الأعمال وضبطها للجزاء، وإلزام الحجّة يوم يقوم الأشهاد. ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾.

﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ﴾: ملك يرقب عمله ﴿عَتِيدٌ﴾: معدّ حاضر.

قال: «ما من قلب إلّا وله أذنان، على إحداهما ملك مرشد وعلى الأُخرى شيطان مفتّن، هذا يأمره وهذا يزجره، الشّيطان يأمره بالمعاصي، والملك يزجره عنها، وهو قول اللّه: "عن اليمين وعن الشّمال قعيد"»[1].

﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ﴾: شدّته الذّاهبة بالعقل ﴿بِالْحَقِّ﴾ يعني يلاقونها عن قريب. القمّي: نزلت: وجاءت سكرة الحقّ بالموت[2]. ﴿ذَٰلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾: تميل وتفرّ عنه، والخطاب للإنسان.

﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ يعني نفخة البعث ﴿ذَٰلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ﴾: يوم تحقّق الوعيد وإنجازه.

﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ قال: «سائق يسوقها إلى محشرها، وشاهد يشهد عليها بعملها»[3].

﴿لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ﴾: ما حجبك عن أُمور معادك، وهو الغفلة والانهماك في المحسوسات والأُلف بها وقصور النّظر عليها. ﴿فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾: نافذ، لزوال المانع للإبصار.

﴿وَقَالَ قَرِينُهُ﴾ قال: «يعني الملك الشهيد عليه»[4]. ﴿هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ﴾: هذا ما

١ ـ الكافي ٢: ٢٦٦، الحديث: ١، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٢ ـ القمّي ٢: ٣٢٤.

٣ ـ نهج البلاغة: ١١٦، الخطبة: ٨٥.

٤ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ١٤٦، عن أبي جعفر وأبي عبد اللّه عليهما السلام.

هو مكتوب عندي حاضر لديّ.

﴿أَلْقِيا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ﴾ قيل: خطاب من اللّه للسّائق والشّهيد[١]. والقمّي: مخاطبة للنّبي صلى الله عليه وآله وعليّ عليه السلام وذلك قول الصّادق عليه السلام: «عليّ قسيم الجنّة والنّار»[٢]. وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله: إنّ اللّه تبارك وتعالى إذا جمع النّاس يوم القيامة في صعيد واحد، كنت أنا وأنت يومئذ عن يمين العرش، ثمّ يقول اللّه تبارك وتعالى لي ولك: قوما فألقيا مَنْ أبغضكما وكذّبكما في النّار، وأَدْخِلا الجنّةَ مَنْ أحبّكما؛ وذلك قوله تعالى: "ألقيا في جهنّم كلّ كفّار عنيد"»[٣].

﴿مَنّاعٍ لِلْخَيْرِ﴾: كثير المنع للمال؛ من حقوقه المفروضة ﴿مُعْتَدٍ﴾: متعدّ ﴿مُرِيبٍ﴾: شاكّ في اللّه وفي دينه.

﴿الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللهِ إِلٰهاً آخَرَ فَأَلْقِياهُ فِي العَذابِ الشَّدِيدِ﴾.

﴿قالَ قَرِينُهُ﴾: الشّيطان المقيّض له ﴿رَبَّنا ما أَطْغَيْتُهُ﴾ كأنّ الكافر قال: هو أطغاني فقال قرينه: ما أطغيته ﴿وَلٰكِنْ كانَ فِي ضَلالٍ بَعِيدٍ﴾ فأعنته عليه؛ فإنّ إغواء الشّيطان إنّما يؤثّر فيمن كان مختلّ الرّأي، مائلاً إلى الفجور، كما قال: "وَما كانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطانٍ إِلّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي"[٤].

﴿قالَ﴾ أي: اللّه ﴿لا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ﴾ أي: في موقف الحساب، فإنّه لا فائدة فيه ﴿وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ﴾ على الطّغيان في كتبي وعلى ألسنة رسلي، فلم يبق لكم حجّة.

﴿ما يُبَدَّلُ القَوْلُ لَدَيَّ﴾ بوقوع الخلف فيه ﴿وَما أَنَا بِظَلّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ فأعذّب من ليس لي تعذيبه.

١ـ الكشّاف ٤: ٧؛ البيضاوي ٥: ٩٣.

٢ـ القمّي ٢: ٣٢٤.

٣ـ المصدر؛ وفي الأمالي (للطّوسي) ١: ٢٩٦ و٣٧٨؛ ومجمع البيان ٩ ـ ١٠: ١٤٧ ما يقرب منه.

٤ـ إبراهيم (١٤): ٢٢.

﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾ قيل: تخييل وتصوير، يعني كأنّها مع سعتها يدخلها من يدخلها وفيها بعد فراغ، فتطلب الزّيادة[١].

والقمّي: هو استفهام، لأنّ اللّه وعد النّار أن يملأها، فيمتلئ النّار، ثمّ يقول لها: "هل امتلأت" وتقول: "هل من مزيد" على حدّ الاستفهام، أي: ليس فيّ مزيد، فتقول الجنّة: يا ربّ وعدت النّار أن تملأها، ووعدتني أن تملأني فلم تملأني وقد ملأت النّار، فيخلق اللّه يومئذ خلقاً فيملأ بهم الجنّة. فقال أبو عبد اللّه عليه السلام: «طوبى لهم! لم يروا غموم الدّنيا وهمومها»[٢].

﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ قيل: أي: قربت لهم مكاناً غير بعيد[٣]. والقمّي: أي: زيّنت لهم بسرعة[٤].

﴿هٰذا ما تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوّابٍ حَفِيظٍ﴾: رجّاع إلى اللّه، حافظ لحدود اللّه.

﴿مَنْ خَشِيَ الرَّحْمٰنَ بِالْغَيْبِ وَجاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ﴾.

﴿ادْخُلُوها﴾ يقال لهم: ادخلوها ﴿بِسَلامٍ﴾: سالمين من العذاب وزوال النّعم، أو مسلّماً عليكم من اللّه وملائكته ﴿ذٰلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ﴾.

﴿لَهُمْ ما يَشاؤُنَ فِيها وَلَدَيْنا مَزِيدٌ﴾ وهو ما لا يخطر ببالهم ممّا لا عين رأت ولا أُذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

القمّي: النّظر إلى رحمة اللّه[٥].

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنا قَبْلَهُمْ﴾: قبل قومك ﴿مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشاً﴾: قوّة، كعاد وثمود

١ ـ البيضاوي ٥: ٩٣.
٢ ـ القمّي ٢: ٣٢٦.
٣ ـ البيضاوي ٥: ٩٣.
٤ ـ القمّي ٢: ٣٢٧.
٥ ـ القمّي ٢: ٣٢٧.

﴿فَنَقَّبُوا فِي الْبِلادِ﴾: فخرقوا البلاد وتصرّفوا في الأرض، أو جالوا فيها كلّ مجال ﴿هَلْ مِنْ مَحِيصٍ﴾ لهم من الله، أو من الموت.

﴿إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَذِكْرىٰ لِمَنْ كانَ لَهُ قَلْبٌ﴾ أي: قلب واع يتفكّر في حقائقه، قال: «يعني عقل»[١]. ﴿أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ﴾: أو أصغى لاستماعه ﴿وَهُوَ شَهِيدٌ﴾: حاضر بذهنه ليفهم معانيه.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمٰواتِ وَالْأَرْضَ وَما بَيْنَهُما فِي سِتَّةِ أَيّامٍ﴾ مرّ تفسيره[٢]. ﴿وَما مَسَّنا مِنْ لُغُوبٍ﴾: من تعب وإعياء، «ردّ لما زعمته اليهود: أنّه سبحانه استراح بعد خلقها». كذا ورد[٣].

﴿فَاصْبِرْ عَلىٰ ما يَقُولُونَ﴾ من وصف الحقّ سبحانه بما لا يليق بجنابه ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾: ونزّهه عن الوصف بما يوجب التشبيه، حامداً له على ما أنعم عليك من إصابة الحقّ وغيرها. ﴿قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾ يعني: الفجر والعصر.

قال: «تقول حين تصبح وحين تمسي عشر مرّات: لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يحيي ويميت[٤] وهو على كلّ شيء قدير»[٥].

﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ﴾: وسبّحه بعض اللّيل ﴿وَأَدْبارَ السُّجُودِ﴾: وأعقاب الصّلاة، قال: «ركعتان بعد المغرب»[٦]؛ وفي رواية: «أربع»[٧]؛ وفي أُخرى: «الوتر من آخر اللّيل»[٨].

١ ـ الكافي ١: ١٦، ذيل الحديث الطّويل: ١٢، عن أبي الحسن الكاظم عليه السلام.
٢ ـ في سورة الأعراف (٧) ذيل الآية: ٥٤.
٣ ـ روضة الواعظين ٢: ٣٩٤.
٤ ـ في «ألف» زيادة: «وهو حيّ لا يموت بيده الخير».
٥ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ١٥٠، عن أبي عبد الله عليه السلام.
٦ ـ الكافي ٣: ٤٤٤، الحديث: ١١، عن أبي جعفر عليه السلام؛ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ١٥٠، عن النّبيّ، وأمير المؤمنين، وحسن بن عليّ صلوات الله عليهم.
٧ ـ القمّي ٢: ٣٢٧، عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام.
٨ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ١٥٠، عن أبي عبد الله عليه السلام.

﴿وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنادِ المُنادِ﴾ قيل: للبعث وفصل القضاء[1]. والقمّي: ينادي المنادي باسم القائم واسم أبيه[2]. ﴿مِنْ مَكانٍ قَرِيبٍ﴾ بحيث يصل نداؤه إلى الكلّ على سواء.

﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالحَقِّ﴾ القمّي: صيحة القائم من السّماء[3]. ﴿ذٰلِكَ يَوْمُ الخُرُوجِ﴾ قال: «هي الرّجعة»[4].

﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ﴾ في الدّنيا ﴿وَإِلَيْنا المَصِيرُ﴾ في الآخرة.

﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ الأَرْضُ عَنْهُمْ سِراعاً﴾: مسرعين ﴿ذٰلِكَ حَشْرٌ﴾: بعث وجمع ﴿عَلَيْنا يَسِيرٌ﴾: هيّن. القمّي: في الرّجعة[5].

﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِما يَقُولُونَ﴾ تسلية للنّبيّ صلّى الله عليه وآله، وتهديد لهم. ﴿وَما أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبّارٍ﴾: بمسلّط، تقهرهم على الإيمان، أو تفعل بهم ما تريد، وإنّما أنت داع ﴿فَذَكِّرْ بِالقُرْآنِ مَنْ يَخافُ وَعِيدِ﴾ لأنّه المنتفع بالتّذكير.

١ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ١٥٠.

٢ و ٣ ـ القمّي ٢: ٣٢٧.

٤ ـ المصدر، عن أبي عبد الله عليه السلام.

٥ ـ المصدر.

سورة الذّاريات

[مكيّة ، وهي ستّون آية][1]

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم

﴿وَالذَّارِياتِ ذَرْواً﴾ قال: «الرّيح»[2] .

﴿فَالْحامِلاتِ وِقْراً﴾ قال: «السّحاب»[3] .

﴿فَالْجارِياتِ يُسْراً﴾ قال: «السّفن»[4] .

﴿فَالْمُقَسِّماتِ أَمْراً﴾ قال: «الملائكة»[5] . القمّي: وهو قسم كلّه[6] .

﴿إِنَّما تُوعَدُونَ لَصادِقٌ﴾ .

﴿وَإِنَّ الدِّينَ لَواقِعٌ﴾ جواب القسم ، والدّين: الجزاء .

﴿وَالسَّماءِ ذاتِ الْحُبُكِ﴾ قال: «ذات الحسن والزّينة»[7] .

وفي رواية قال: «هي محبوكة إلى الأرض ، وشبّك بين أصابعه»[8] . يعني على كلّ

١ ـ ما بين المعقوفتين من «ب» .

٢ إلى ٥ ـ القمّي ٢: ٣٢٧ ، عن أبي عبد الله ، عن أمير المؤمنين عليه السلام ؛ الاحتجاج ١: ٣٨٦ ، عن أمير المؤمنين عليه السلام .

٦ ـ القمّي ٢: ٣٢٧ .

٧ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ١٥٣ ، عن أمير المؤمنين عليه السلام .

٨ ـ القمّي ٢: ٣٢٨ ، مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ١٥٣ ، عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام .

أرض سماء، وعلى كلّ سماء أرض، ويأتي بيانه في سورة الطّلاق[١].

﴿إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ﴾ قال: «في أمر الولاية»[٢].

﴿يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ﴾: يصرف عنه من صرف. قال: «من أُفك عن الولاية أُفك عن الجنّة»[٣].

﴿قُتِلَ الخَرّاصُونَ﴾: الكذّابون. القمّي: الّذين يخرصون الدّين بآرائهم من غير علم ولا يقين[٤].

﴿الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ﴾: في جهل وضلال يغمرهم ﴿ساهُونَ﴾: غافلون عمّا أُمروا به

﴿يَسْأَلُونَ أَيّانَ يَوْمُ الدِّينِ﴾: متى يكون يوم الجزاء؟.

﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النّارِ يُفْتَنُونَ﴾: يحرقون ويعذّبون.

﴿ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هٰذا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ﴾.

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنّاتٍ وَعُيُونٍ﴾.

﴿آخِذِينَ ما آتاهُمْ رَبُّهُمْ﴾: قابلين له، راضين به. ومعناه: أنّ كلّ ما آتاهم حسن مرضيّ متلقّى بالقبول. ﴿إِنَّهُمْ كانُوا قَبْلَ ذٰلِكَ مُحْسِنِينَ﴾: قد أحسنوا أعمالهم، فهم مستحقّون لذلك.

﴿كانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ ما يَهْجَعُونَ﴾: ينامون. قال: «كانوا أقلّ اللّيالي يفوتهم[٥] لا يقومون فيها»[٦].

وفي رواية: «كان القوم ينامون، ولكن كلّما انقلب أحدهم قال: الحمد للّه، ولا إله إلّا اللّه، واللّه أكبر»[٧].

١ـ ذيل الآية: ١٢.

٢ و ٣ـ الكافي ١: ٤٢٢، الحديث: ٤٨، عن أبي جعفر عليه السلام.

٤ـ القمّي ٢: ٣٢٩.

٥ـ في المصدر: «تفوتهم».

٦ـ الكافي ٣: ٤٤٦، الحديث: ١٨؛ التّهذيب ٢: ٣٣٦، الحديث: ١٣٨٦، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٧ـ التّهذيب ٢: ٣٣٥، الحديث: ١٣٨٤، عن أبي جعفر عليه السلام.

﴿وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ قال: «كانوا يستغفرون في الوتر، في آخر اللّيل سبعين مرّة»[1].

﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ﴾: نصيب؛ يستوجبونه على أنفسهم تقرّباً إلى اللّه، وإشفاقاً على النّاس ﴿لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾.

قال: «المحروم: المحارَف[2] الّذي قد حرم كدّ يده في الشّراء والبيع»[3].

وفي رواية: «الّذي ليس بعقله بأس، ولا يبسط له في الرّزق؛ وهو محارف»[4].

﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ﴾: دلائل تدلّ على عظمة اللّه وعلمه، وكمال قدرته وفرط رحمته.

﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ﴾ أي: آيات. قال: «يعني أنّه خلقك سميعاً بصيراً، تغضب وترضى وتجوع وتشبع، وذلك كلّه من آيات اللّه»[5].

وسئل أمير المؤمنين عليه السلام: بما عرفت ربّك؟ قال: «بفسخ العزائم ونقض الهمم، لمّا أن هممت فحال بيني وبين همّي، وعزمت فخالفت القضاء عزمي، عَلِمْتُ أنّ المدبّر غيري»[6].

﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾: تنظرون نظر من يعتبر.

﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾. القمّي: المطر ينزل من السّماء فتخرج به أقوات العالَم من الأرض، وما توعدون من أخبار الرّجعة والقيامة، والأخبار الّتي في السّماء[7].

١ ـ التهذيب ٢: ١٣٠، الحديث: ٤٩٨؛ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ١٥٥، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.
٢ ـ المُحارَف: المحدود المدبِر، وهو خلاف قولك: مبارَك. كتاب العين ٣: ٢١٠؛ الصّحاح ٤: ١٣٤٢ (حرف).
٣ ـ الكافي ٣: ٥٠٠، الحديث: ١٢؛ التّهذيب ٤: ١٠٨، الحديث: ٣١٢، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.
٤ ـ المصدر، ذيل الحديث: ١٢؛ التّهذيب ٤: ١٠٨، الحديث: ٣١٣، عن أبي جعفر، وأبي عبد اللّه عليهما السلام.
٥ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ١٥٦، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.
٦ ـ الخصال ١: ٣٣، الحديث: ١، عن أبي عبد اللّه، عن آبائه، عن أمير المؤمنين عليهم السلام؛ التوحيد: ٢٨٨، الباب: ٤١، الحديث: ٦، عن أبي جعفر، عن آبائه، عن أمير المؤمنين عليهم السلام؛ وجاء صدر الحديث في نهج البلاغة: ٥١١، الحكمة: ٢٥٠.
٧ ـ القمّي ٢: ٣٣٠.

وسئل عن أرزاق الخلائق؟ فقال: «في السّماء الرابعة، تنزل بقدر، وتبسط بقدر»[١].

﴿فَوَرَبِّ السَّماءِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ ما أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ﴾ أي: مثل نطقكم، كما أنّه لا شكّ لكم في أنّكم تنطقون؛ ينبغي أن لاتشكّوا في تحقّق ذلك.

﴿هَلْ أَتاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْراهِيمَ الْمُكْرَمِينَ﴾.

﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقالُوا سَلاماً قالَ سَلامٌ﴾ عدل به إلى الرّفع لقصد الثّبات، حتّى يكون تحيّته أحسن من تحيّتهم، ﴿قَوْمٌ مُنْكَرُونَ﴾ أي: أنتم قوم منكرون.

﴿فَراغَ إِلىٰ أَهْلِهِ﴾: فذهب إليهم في خفية من ضيفه، فإنّ من أدب المضيف أن يبادر بالقِرى، حذراً من أن يكفّه الضّيف، أو يصير منتظراً. ﴿فَجاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ﴾ إذ كان عامّة ماله البقر.

﴿فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قالَ أَلا تَأْكُلُونَ﴾.

﴿فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾: فأضمر منهم خوفاً لمّا رآى من إعراضهم عن طعامه، لظنّه أنّهم جاؤوه لشرّ. ﴿قالُوا لا تَخَفْ﴾ إنّا رسل ربّك ﴿وَبَشَّرُوهُ بِغُلامٍ﴾ هو إسحاق ﴿عَلِيمٍ﴾: يكمل علمه إذا بلغ.

﴿فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ﴾: سارة ﴿فِي صَرَّةٍ﴾ قال: «في جماعة»[٢]. ﴿فَصَكَّتْ وَجْهَها﴾ قيل: لطمته تعجّباً[٣]. والقمّي: أي: غطّته[٤]. ﴿وَقالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾ أي: أنا عجوز عاقر، فكيف ألد؟!

﴿قالُوا كَذٰلِكِ قالَ رَبُّكِ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾.

﴿قالَ فَما خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ لمّا علم أنّهم ملائكة، وأنّهم لا ينزلون

١ـ القمّي ٢: ٢٧١، في ذيل الآية: ٧ من سورة الشّورى، عن حسن بن عليّ عليهما السلام.
٢ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ١٥٧، عن أبي عبد الله عليه السلام.
٣ـ المصدر، عن الكلبي ومقاتل؛ الكشّاف ٤: ١٨؛ البيضاوي ٥: ٩٧.
٤ـ القمّي ٢: ٣٣٠.

مجتمعين إلّا لأمر عظيم، سأل عنه.

﴿قالُوا إِنّا أُرْسِلْنا إِلىٰ قَوْمٍ مُجْرِمِينَ﴾ يعنون قوم لوط.

﴿لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجارَةً مِنْ طِينٍ﴾ أي: السّجّيل، فإنّه طين متحجّر.

﴿مُسَوَّمَةً﴾: مُرْسَلَة أو مُعْلَمَة ﴿عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ﴾: المجاوزين الحدّ في الفجور.

﴿فَأَخْرَجْنا مَنْ كانَ فِيها﴾: في قرى قوم لوط ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿فَما وَجَدْنا فِيها غَيْرَ بَيْتٍ﴾: أهل بيت ﴿مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ قال: «هي منزل لوط»[1].

﴿وَتَرَكْنا فِيها آيَةً﴾: علامة ﴿لِلَّذِينَ يَخافُونَ الْعَذابَ الْأَلِيمَ﴾.

﴿وَفِي مُوسىٰ إِذْ أَرْسَلْناهُ إِلىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطانٍ مُبِينٍ﴾.

﴿فَتَوَلّىٰ بِرُكْنِهِ﴾: فأعرض بما يتقوّى به من جنوده ﴿وَقالَ ساحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾.

﴿فَأَخَذْناهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْناهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾: آت بما يلام عليه، من الكفر والعناد.

﴿وَفِي عادٍ إِذْ أَرْسَلْنا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾. سمّيت عقيماً لأنّها أهلكتهم وقطعت دابرهم، أو لأنّها لم تتضمّن منفعة.

ورد: «الرّياح خمسة، منها الرّيح العقيم، فتعوّذوا باللّه من شرّها»[2].

﴿ما تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ﴾: كالرّماد.

﴿وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتّىٰ حِينٍ﴾: تمتّعوا في داركم ثلاثة أيّام.

﴿فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾: فاستكبروا عن امتثاله ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصّاعِقَةُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾.

﴿فَمَا اسْتَطاعُوا مِنْ قِيامٍ وَما كانُوا مُنْتَصِرِينَ﴾: ممتنعين منه.

﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كانُوا قَوْماً فاسِقِينَ﴾: خارجين عن الاستقامة.

﴿وَالسَّماءَ بَنَيْناها بِأَيْدٍ﴾: بقوّة ﴿وَإِنّا لَمُوسِعُونَ﴾ قيل: أي: لقادرون؛ من الوسع

١ ـ علل الشّرائع ٢: ٥٤٨، الباب: ٣٤٠، الحديث: ٤، عن أبي جعفر عليه السلام، عن رسول اللّه صلى الله عليه وآله، بالمضمون.

٢ ـ من لا يحضره الفقيه ١: ٣٤٥، الحديث: ١٥٢٧، عن أمير المؤمنين عليه السلام، وفيه: «فنعوذ باللّه من شرّها».

بمعنى الطّاقة، أو لموسعون السّماء[1].

﴿وَالأَرْضَ فَرَشْناها﴾: مهّدناها لتستقرّوا عليها ﴿فَنِعْمَ الماهِدُونَ﴾ نحن.

﴿وَمِنْ كُلِّ شَيءٍ خَلَقْنا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾. قال: «بمضادّته بين الأشياء عرف أن لا ضدّ له، وبمقارنته بين الأشياء عرف أن لا قرين له، ضادّ النّور بالظّلمة، واليبس بالبلل، والخشن باللّين، والصّرد بالحرور، مؤلّفاً بين متعادياتها، مفرّقاً بين متدانياتها، دالّة بتفريقها على مفرّقها، وبتأليفها على مؤلّفها، وذلك قوله: "ومن كلّ شيء خلقنا زوجين لعلّكم تذكّرون" ففرّق بين قبل وبعد؛ ليعلم أن لا قبل له ولا بعد» الحديث[2].

﴿فَفِرُّوا إِلَى اللّهِ﴾ قال: «حجّوا إلى الله»[3]. والحجّ القصد والقدوم. قيل: أي: فرّوا من عقابه إلى الإيمان والتّوحيد وملازمة الطّاعة[4]. ﴿إِنّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾.

﴿وَلا تَجْعَلُوا مَعَ اللّهِ إِلهاً آخَرَ إِنّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾. كرّره للتّأكيد، أو الأوّل مرتّب على ترك الإيمان والطّاعة، والثّاني على الإشراك.

﴿كَذٰلِكَ﴾ إشارة إلى تكذيبهم وتسميتهم الرّسول ساحراً أو مجنوناً ﴿ما أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلّا قالُوا ساحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾.

﴿أَتَواصَوْا بِهِ﴾ أي: كأنّ الأوّلين والآخرين منهم أوصى بعضهم بعضاً بهذا القول، حتّى قالوه جميعاً. ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ طاغُونَ﴾ إضراب عن كونه تواصياً إلى أنّ الجامع لهم على هذا القول مشاركتهم في الطّغيان الحامل عليه.

﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾: فأعرض عن مجادلتهم بعد ما كرّرت عليهم الدّعوة، فأبوا إلّا الإصرار

١ ـ البيضاوي ٥: ٩٧.

٢ ـ الكافي ١: ١٣٩، ذيل الحديث: ٤، عن أبي عبد الله، عن أمير المؤمنين عليهما السلام.

٣ ـ الكافي ٤: ٢٥٦، الحديث: ٢١؛ معاني الأخبار: ٢٢٢، الحديث: ١، عن أبي جعفر عليه السلام، وفي مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ١٦٠، عن أبي عبد الله عليه السلام ما يقرب منه.

٤ ـ البيضاوي ٥: ٩٨.

والعناد . ﴿فما أنت بملوم﴾ على الإعراض بعد بذل جهدك في البلاغ .

﴿وذكّر فإنّ الذكرى تنفع المؤمنين﴾: فإنّها تزداد بصيرة . قال: «أراد هلاكهم ، ثمّ بدا للّه فقال: "وذكّر"»[1] .

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: «لمّا نزلت "فتولّ عنهم" لم يبق أحد منّا إلّا أيقن بالهلكة ، فلمّا نزل "وذكّر" الآية طابت أنفسنا[2]» .

﴿وما خلقت الجنّ والإنس إلّا ليعبدون﴾ قال: «خلقهم ليأمرهم بالعبادة»[3] .

والقمّي: خلقهم للأمر والنّهي والتّكليف ، ليست خلقة جبر أن يعبدوه ، ولكن خلقة اختيار ؛ ليختبرهم بالأمر والنّهي ومن يطع اللّه ومن يعصي[4] .

وفي رواية: «ما خلق العباد إلّا ليعرفوه ، فإذا عرفوه عبدوه ، وإذا عبدوه استغنوا بعبادته عن عبادة من سواه ، قيل: فما معرفة اللّه؟ قال: معرفة أهل كلّ زمان إمامهم الّذي تجب عليهم طاعته»[5] .

﴿ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون﴾ كما هو شأن السّادة مع عبيدهم ، فإنّهم إنّما يملكونهم ليستعينوا بهم في تحصيل معايشهم ، تعالى اللّه عن ذلك .

﴿إنّ اللّه هو الرّزّاق ذو القوّة المتين﴾ .

﴿فإنّ للّذين ظلموا ذنوباً﴾: نصيباً من العذاب ﴿مثل ذنوب أصحابهم﴾: مثل نصيب نظرائهم من الأمم السّالفة ﴿فلا يستعجلون﴾ القمّي: العذاب[6] .

﴿فويل للّذين كفروا من يومهم الّذي يوعدون﴾: من يوم القيامة ، أو الرّجعة .

١ ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ١: ١٨١ ، الباب: ١٣ ، ذيل الحديث: ١ .

٢ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ١٦١ ، عن أمير المؤمنين عليه السلام .

٣ ـ علل الشّرائع ١: ١٣ ، الباب: ٩ ، الحديث: ١٠ ؛ العيّاشي ٢: ١٦٤ ، الحديث: ٨٣ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .

٤ ـ القمّي ٢: ٣٣١ .

٥ ـ علل الشّرائع ١: ٩ ، الباب: ٩ ، الحديث: ١ ، عن أبي عبد اللّه ، عن حسين بن عليّ عليهما السلام .

٦ ـ لم نعثر عليه في تفسير القمّي المطبوع ، ولعلّه سقط من النّسّاخ ؛ لأنّه بعينه موجود في النّسخة المخطوطة من تفسير القمّي ، الموجودة في مكتبة الإعلام الإسلامي ، تحت رقم: ٢٦٨١٨ .

سورة الطّور

[مكيّة، وهي تسع وأربعون آية][1]

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم

﴿وَالطُّورِ﴾: طور سينين، وهو جبل بِمَدْيَن، سمع فيها موسى كلام الله.

﴿وَكِتابٍ مَسْطُورٍ﴾.

﴿فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ﴾. الرّقّ: الجلد الّذي يكتب فيه، أُستعير لما كتب فيه. وفي التّنكير تعظيم، وإشعار بأنّهما ليسا من المتعارف بين النّاس.

﴿وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ﴾. ورد: «إنّ الله وضع تحت العرش أربع أساطين وسمّاهنّ الضّراح، وهو البيت المعمور، وقال للملائكة: طوفوا به»[2].

وفي رواية: «ويدخله كلّ يوم سبعون ألف ملك، ثمّ لا يعودون إليه أبداً»[3].

﴿وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ﴾ قال: «السّماء»[4].

﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ﴾: الموقد. القمّي: يسجر يوم القيامة[5].

١ـ ما بين المعقوفتين من «ب».

٢ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٢٠٧، عن أبي جعفر عليه السلام.

٣ و ٤ـ المصدر ٩ـ١٠: ١٦٣، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

٥ـ القمّي ٢: ٣٣١.

وروي: «إنّ اللّه يجعل يوم القيامة البحار ناراً يسجر بها جهنّم»[1].

﴿إِنَّ عَذابَ رَبِّكَ لَواقِعٌ﴾ جواب القسم باقسامه.

﴿ما لَهُ مِنْ دافِعٍ﴾.

﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّماءُ مَوْراً﴾: تضطرب.

﴿وَتَسِيرُ الْجِبالُ سَيْراً﴾ القمّي: أي: تسير مثل الرّيح[2]. وفي رواية: «يعني تبسط»[3].

﴿فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾.

﴿الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ﴾: يخوضون في المعاصي.

﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلى نارِ جَهَنَّمَ دَعًّا﴾: يدفعون بعُنف.

﴿هذِهِ النّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِها تُكَذِّبُونَ﴾.

﴿أَفَسِحْرٌ هذا﴾ أي: كنتم تقولون للوحي: هذا سحر، فهذا المصداق أيضاً سحر؟!

﴿أَمْ أَنْتُمْ لا تُبْصِرُونَ﴾ كما كنتم لا تبصرون في الدّنيا ما يدلّ عليه؛ وهو تقريع وتهكّم.

﴿اِصْلَوْها فَاصْبِرُوا أَوْ لا تَصْبِرُوا سَواءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّما تُجْزَوْنَ ما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنّاتٍ وَنَعِيمٍ﴾.

﴿فاكِهِينَ﴾: ناعمين متلذّذين ﴿بِما آتاهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقاهُمْ رَبُّهُمْ عَذابَ الْجَحِيمِ﴾.

﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئاً بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

﴿مُتَّكِئِينَ عَلى سُرُرٍ مَصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْناهُمْ بِحُورٍ عِينٍ﴾.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمانٍ أَلْحَقْنا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾.

قال: «قصرت الأبناء عن عمل الآباء، فالحقوا الأبناء بالآباء، لتقرّ بذلك أعينهم»[4].

١ ـ الكشّاف ٤: ٢٣؛ البيضاوي ٥: ٩٩.

٢ ـ القمّي ٢: ٣٣٢.

٣ ـ المصدر: ٢٥٢، ذيل الآية: ٦٨ من سورة الزّمر، عن عليّ بن الحسين عليهما السلام.

٤ ـ الكافي ٣: ٢٤٩، الحديث: ٥؛ من لا يحضره الفقيه ٣: ٣١٦، الحديث: ١٥٣٧؛ التّوحيد: ٣٩٤، الباب: ٦١، ←

وفي رواية: «أطفال المؤمنين يهدون إلى آبائهم يوم القيامة»[١].

﴿وَما أَلَتْناهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيءٍ﴾: وما نقصناهم بهذا الإلحاق، بل نتفضّل عليهم.

قال: «الّذين آمنوا النّبيّ وأمير المؤمنين وذرّيّته الأئمّة والأوصياء عليهم السلام ألحقنا بهم، ولم ننقص ذرّيّتهم الحجّة الّتي جاء بها محمّد في عليّ؛ وحجّتهم واحدة، وطاعتهم واحدة»[٢].

﴿كُلُّ امْرِيءٍ بِما كَسَبَ رَهِينٌ﴾ فإنْ عَمِلَ صالحاً فكّه، وإلّا أهلكه.

﴿وَأَمْدَدْناهُمْ بِفاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِمّا يَشْتَهُونَ﴾ وقتاً بعد وقت.

﴿يَتَنازَعُونَ فِيها﴾: يتعاطون هم وجلساؤهم بتجاذب ﴿كَأْساً﴾: خمراً ﴿لا لَغْوٌ فِيها وَلا تَأْثِيمٌ﴾: لا يتكلّمون بلَغْوِ الحديث في أثناء شربها، ولا يفعلون ما يؤثم به فاعله؛ كما هو عادة الشّاربين في الدّنيا.

﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ﴾: مصون في الصّدف من بياضهم وصفائهم.

ورد: «والّذي نفسي بيده: إنّ فضل المخدوم على الخادم كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب»[٣].

﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلىٰ بَعْضٍ يَتَساءَلُونَ﴾.

﴿قالُوا إنّا كُنّا قَبْلُ فِي أَهْلِنا مُشْفِقِينَ﴾. القمّي: أي: خائفين من العذاب[٤].

﴿فَمَنَّ اللّهُ عَلَيْنا﴾ بالرّحمة ﴿وَوَقانا عَذابَ السَّمُومِ﴾ القمّي: الحرّ الشّديد[٥].

← الحديث: ٧، عن أبي عبد الله عليه السلام.

١ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ١٦٦، عن أبي عبد الله عليه السلام؛ وفي القمّي ٢: ٣٣٢، عنه عليه السلام ما يقرب منه.

٢ ـ الكافي ١: ٢٧٥، الحديث: ١؛ القمّي ٢: ٣٣٢، عن أبي عبد الله عليه السلام.

٣ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ١٦٦، عن رسول الله صلّى الله عليه وآله.

٤ و ٥ ـ القمّي ٢: ٣٣٢.

﴿إنّا كُنّا مِنْ قَبْلُ﴾ في الدّنيا ﴿نَدْعُوهُ﴾: نعبده ﴿إنّهُ هُوَ البَرُّ الرَّحِيمُ﴾.

﴿فَذَكِّرْ﴾: فاثبت على التّذكير، ولا تكترث بقولهم ﴿فَما أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ﴾: بحمد الله وإنعامه ﴿بِكاهِنٍ وَلا مَجْنُونٍ﴾ كما يقولون.

﴿أَمْ يَقُولُونَ شاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ المَنُونِ﴾: ما يقلق النّفوس من حوادث الدّهر.

﴿قُلْ تَرَبَّصُوا فَإنّي مَعَكُمْ مِنَ المُتَرَبِّصِينَ﴾: أتربّص هلاككم، كما تتربّصون هلاكي.

﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلامُهُمْ﴾: عقولهم، القمّي: لم يكن في الدّنيا أحلم من قريش[1].

﴿بِهذا﴾: بهذا التّناقض في القول، فإنّ الكاهن يكون ذا فطنة ودقّة نظر، والمجنون مغطّى عقله، والشّاعر يكون ذا كلام مخيّل موزون، ولا يتأتّى ذلك من المجنون. ﴿أَمْ هُمْ قَوْمٌ طاغُونَ﴾: مجاوزون الحدّ في العناد.

﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ﴾: اختلقه من تلقاء نفسه ﴿بَلْ لا يُؤْمِنُونَ﴾ فيرمون بهذه المطاعن لكفرهم وعنادهم.

﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ﴾: مثل القرآن ﴿إنْ كانُوا صادِقِينَ﴾.

﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ﴾: أم أحدِثوا وقدّروا من غير محدث ومقدّر، فلذلك لايعبدونه؟! ﴿أَمْ هُمُ الخالِقُونَ﴾: أم خلقوا أنفسهم؟!

﴿أَمْ خَلَقُوا السَّمواتِ وَالأَرْضَ بَلْ لا يُوقِنُونَ﴾ إذ لو أيقنوا لَما أعرضوا عن عبادته.

﴿أَمْ عِنْدَهُمْ خَزائِنُ رَبِّكَ﴾: خزائن علمه ورزقه، حتّى يختاروا للنّبوّة، ويرزقوها من شاؤوا ﴿أَمْ هُمُ المُصَيْطِرُونَ﴾: الغالبون على الأشياء، يدبّرونها كيف شاؤوا.

﴿أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ﴾: مرقاة إلى السّماء ﴿يَسْتَمِعُونَ فِيهِ﴾: صاعدين فيه إلى كلام الملائكة، وما يوحى إليهم من علم الغيب، حتّى يعلموا ما هو كائن ﴿فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُمْ بِسُلْطانٍ مُبِينٍ﴾: بحجّة واضحة، تصدّق استماعه.

١ ـ القمّي ٢: ٣٣٢.

﴿أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ﴾ حيث قالوا: إنّ الملائكة بنات اللّه . فيه تسفيه لهم ، وإشعار بأنّ مَنْ هذا رأيه لا يعدّ من العقلاء ، فضلاً أن يترقّى بروحه إلى عالم الملكوت ، فيتطلّع على الغيوب .

﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْراً فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ﴾: من التزام غرم ﴿مُثْقَلُونَ﴾ فلذلك زهدوا في اتّباعك .

﴿أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾ منه .

﴿أَمْ يُرِيدُونَ كَيْداً فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ﴾: هم الّذين يحيق بهم الكيد .

﴿أَمْ لَهُمْ إِلٰهٌ غَيْرُ اللّٰهِ﴾ يعينهم ويحرسهم من عذابه ﴿سُبْحانَ اللّٰهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ .

﴿وَإِنْ يَرَوْا كِسْفاً﴾: قطعة ﴿مِنَ السَّماءِ ساقِطاً يَقُولُوا﴾ من فرط طغيانهم وعنادهم ﴿سَحابٌ مَرْكُومٌ﴾: هذا سحاب تراكَمَ بعضها على بعض . وهو جواب قولهم: "فَأَسْقِطْ عَلَيْنا كِسَفاً مِنَ السَّماءِ"[1] .

﴿فَذَرْهُمْ حَتّىٰ يُلاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ﴾ .

﴿يَوْمَ لا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً وَلا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾ .

﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذاباً دُونَ ذٰلِكَ﴾: دون عذاب الآخرة . القمّي: عذاب الرّجعة بالسّيف[2] . ﴿وَلٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾ .

﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ في إمهالهم وإبقائك في عنائهم ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنا﴾: في حفظنا وحرزنا ، بحيث نراك ونكلؤك[3] . وجمع العين مبالغة بكثرة أسباب الحفظ . ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ

١ ـ الشّعراء (٢٦): ١٨٧ .

٢ ـ القمّي ٢: ٣٣٣ .

٣ ـ كَلَأك اللّهُ كَلاءةً ، أي حفظك وحرسك . كتاب العين ٥: ٤٠٧ (كلأ) .

رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾ القمّي: لصلاة اللّيل[١].

﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ﴾: وإذا أدبرت النّجوم من آخر اللّيل. قال: «يعني الرّكعتين قبل صلاة الفجر»[٢].



١ ـ القمّي ٢: ٣٣٣.

٢ ـ الكافي ٣: ٤٤٤، الحديث: ١١، عن أبي جعفر عليه السلام؛ القمّي ٢: ٣٣٣، عن الرّضا عليه السلام؛ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ١٧٠، عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام؛ وفيه أيضاً: ١٥٠، عن عليّ بن أبي طالب وحسن بن عليّ، عن رسول الله صلوات الله عليهم.

سورة النّجم

[مكيّة ، وهي اثنتان وستّون آية][1]

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم

﴿وَالنَّجْمِ إِذا هَوىٰ﴾: أُقسم بالنّجم إذا سقط .

﴿ما ضَلَّ صاحِبُكُمْ﴾: ما عدلَ محمّد صلى الله عليه وآله عن الطّريق المستقيم ﴿وَما غَوىٰ﴾: وما اعتقد باطلاً . والمراد نفي ما ينسبون إليه .

﴿وَما يَنْطِقُ عَنِ الْهَوىٰ﴾ .

﴿إِنْ هُوَ﴾ أي: الّذي ينطق به ﴿إِلَّا وَحْيٌ يُوحىٰ﴾: يوحيه اللّه إليه .

قال: «يقول: ما ضلَّ في عليّ وما غوى ، وما ينطق فيه عن الهوى ، وما كان ما قاله فيه إلّا بالوحي الّذي أُوحي إليه»[2] .

و ورد: «إنّه قال سينقضّ كوكب من السّماء مع طلوع الفجر فيسقط في دار أحدكم ، فمن سقط ذلك الكوكب في داره فهو وصيّي وخليفتي والإمام بعدي ؛ فلمّا كان قرب الفجر جلس كلٌّ ينتظر سقوطَ الكوكب في داره . فلمّا طلع الفجر انقضّ الكوكب من الهواء في دار عليّ عليه السلام . فقال صلى الله عليه وآله لعليّ: والّذي بعثني بالنّبوة ، لقد وجبت لك الوصيّة والخلافة والإمامة

١ ـ ما بين المعقوفتين من «ب» .

٢ ـ القمّي ٢: ٣٣٤ ، عن أبي جعفر عليه السلام .

بعدي فقال المنافقون: لقد ضلّ محمّد في محبّة ابن عمّه وغوى، وما ينطق في شأنه إلّا بالهوى. فأنزل اللّه الآيات. يقول اللّه عزّوجلّ: وخالق النّجم إذا هوى، ما ضلّ صاحبكم، يعني في محبّة عليّ، وما غوى، وما ينطق عن الهوى، يعني في شأنه»[١].

وفي رواية قال: «أُقسم بقبر[٢] محمّد إذا قبض ما ضلّ صاحبكم بتفضيله أهل بيته وما غوى، وما ينطق عن الهوى يقول: ما يتكلّم بفضل أهل بيته بهواه»[٣].

﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ﴾ قيل: يعني جبرئيل[٤]. والقمّي: يعني اللّه عزّوجلّ[٥].

﴿ذُو مِرَّةٍ﴾ قيل: أي: ذو حصافة[٦] في عقله ورأيه[٧] ﴿فَاسْتَوَىٰ﴾: فاستقام. قيل: يعني جبرئيل استقام على صورته الحقيقيّة الّتي خلقه اللّه عليها[٨]. فإنّه روي: «ما رآه أحد من الأنبياء في صورته غير محمّد صلّى الله عليه وآله، مرّة في السّماء ومرّة في الأرض»[٩]. والقمّي: يعني رسول اللّه صلّى الله عليه وآله[١٠].

و ورد: «ما بعث اللّه نبيّاً إلّا صاحب مرّة سوداء صافية»[١١].

﴿وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ﴾ قيل: يعني جبرئيل[١٢]. والقمّي: يعني رسول اللّه[١٣].

١ ـ الأمالي (للصدوق): ٤٥٣، المجلس: ٨٣، الحديث: ٤، عن ابن عبّاس، عن رسول اللّه صلّى الله عليه وآله؛ وفيه أيضاً: ٤٦٨، المجلس: ٨٦، عن أبي عبد اللّه، عن أبيه، عن آبائه عليهم السلام ما يقرب منه.

٢ ـ في المصدر: «أُقسم بقبض محمّد».

٣ ـ الكافي ٨: ٣٨٠، الحديث: ٥٧٤، عن أبي جعفر عليه السلام.

٤ ـ تفسير القرآن العظيم (لابن كثير) ٤: ٢٦٥؛ البيضاوي ٥: ١٠١.

٥ ـ القمّي ٢: ٣٣٤.

٦ ـ الحَصيف: المُحْكَمُ العقل. الصّحاح ٤: ١٣٤٤ (حصف).

٧ ـ الكشّاف ٤: ٢٨؛ البيضاوي ٥: ١٠١.

٨ ـ البيضاوي ٥: ١٠١.

٩ ـ البيضاوي ٥: ١٠١.

١٠ ـ القمّي ٢: ٣٣٤.

١١ ـ المصدر، عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام.

١٢ ـ جامع البيان (للطّبري) ٢٧: ٢٦، عن الربيع؛ وتفسير القرآن العظيم (لابن كثير) ٤: ٢٦٥، عن عكرمة.

١٣ ـ القمّي ٢: ٣٣٤.

﴿ثُمَّ دَنا﴾ قيل: يعني جبرئيل من رسول اللّه[1]

والقمّي: يعني رسول اللّه من ربّه[2]. ﴿فَتَدَلّىٰ﴾: فزاد منه دنوّاً؛ وأصل التّدلّي استرسال مع تعلّق.

قال: «لا تقرأ هكذا، إقرأ: ثمّ دنا فتداني»[3].

وفي رواية: «إنّ هذه لغة قريش؛ إذا أراد الرّجل منهم أن يقول: قد سمعت، يقول: قد تدلّيت، وإنّما التّدلّي الفهم»[4].

﴿فَكانَ قابَ قَوْسَيْنِ﴾: قدرهما. قال: «ما بين سيتها إلى رأسها»[5].

أقول: سية القوس ما عطف من طرفيها، وهو تمثيل للمقدار المعنوي الرّوحاني بالمقدار الصّوري الجسماني، والقرب المكانتي بالدّنوّ المكاني، تعالى اللّه عمّا يقول المشبّهون علوّاً كبيراً. فسّر عليه السلام مقدار القوسين بمقدار طرفي القوس الواحد المنعطفين، كأنّه جعلا كلّاً منهما قوساً على حدّة. فيكون مقدار مجموع القوسين مقدار قوس واحد، وهي المسمّاة بقوس الحلقة، وهي قبل أن يهيّأ للرّمي فإنّها حينئذ تكون شبه دائرة، والدّائرة تنقسم بما يسمّى بالقوس. وفي التعبير عن مثل هذا المعنى بمثل هذه العبارة إشارة لطيفة إلى أنّ السّائر بهذا السّير منه سبحانه نزل وإليه صعد، وأنّ الحركة الصّعوديّة كانت انعطافيّة، وأنّها لم تقع على نفس المسافة النّزوليّة، بل على مسافة أُخرى، فسيره كان من اللّه، وإلى اللّه، وفي اللّه، وباللّه، ومع اللّه جلّ جلاله.

﴿أَوْ أَدْنىٰ﴾ قال «أي: بل أدنى»[6]. وفي رواية: «دنا من حجب النّور فرأى ملكوت

١ ـ جامع البيان (للطّبري) ٢٧: ٢٦؛ الجامع لأحكام القرآن (للقرطبي) ١٧: ٨٩.

٢ ـ القمّي ٢: ٣٣٤.

٣ ـ علل الشّرايع ١: ٢٧٧، الباب: ١٨٥، الحديث: ١، عن أبي جعفر عليه السلام.

٤ ـ الاحتجاج ٢: ١٥٧، عن موسى بن جعفر عليهما السلام.

٥ ـ الكافي ١: ٤٤٣، ذيل الحديث: ١٣، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٦ ـ القمّي ١: ٢٤٦، ذيل الآية: ١٧٢ من سورة الأعراف، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

السّماوات، ثمّ تدلّى فنظر من تحته إلى ملكوت الأرض، حتّى ظنّ أنّه في القرب من الأرض كقاب قوسين أو أدنى»[١].

وفي أُخرى: «فدنا بالعلم، فتدلّى؛ فدلّى له من الجنّة رفرف أخضر وغشي النّور بصره، فرأى عظمة ربّه عزّوجلّ بفؤاده ولم يرها بعينه، فكان قوسين بينها وبينه أو أدنى»[٢]

و ورد: «كان بينهما حجاب يتلألأ بخفق[٣] ولا أعلمه إلّا وقد قال: زبرجد، فنظر في مثل سمّ الإبرة إلى ما شاء اللّه من نور العظمة. فقال اللّه تبارك وتعالى: يا محمّد. قال: لبّيك ربّي. قال: مَنْ لِأُمّتك من بعدك؟ قال: اللّه أعلم. قال: عليّ بن أبي طالب أمير المؤمنين وسيّد المسلمين وقائد الغرّ المحجّلين»[٤].

أقول: لعلّ الحجاب الّذي كان بينهما حجاب البشريّة، وإنّما يتلألأ لانغماسه في نور الرّبّ تعالى بخفق، أي: باضطراب وتحرّك، وذلك لما كاد أن يفنى عن نفسه بالكلّيّة في نور الأنوار بغلبة سطوات الجلال، وبانجذابه بشراشره إلى جناب القدس المتعال، وهذا هو المعنيّ بالتّدلّي المعنوي. ووصف الحجاب بالزّبرجد كناية عن خضرته، وذلك لأنّ النّور الإلهيّ الّذي يشبّه بلون البياض في التّمثيل، كان قد شابته ظلمة بشريّة فصار يتراءى كأنّه أخضر على لون الزّبرجد. وإنّما سأله اللّه عزّوجلّ عن خليفته؛ لأنّه صلى الله عليه وآله كان قد أهمّه أمر الأُمّة، وكان في قلبه أن يخلّف فيهم خليفة إذا ارتحل عنهم، وقد علم اللّه ذلك منه، ولذلك سأله عنه. ولمّا كان الخليفة متعيّناً عند اللّه وعنده، قال اللّه ما قال، ووصفه بأوصاف لم يكن لغيره أن ينال.

﴿فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ﴾ في إبهام الموحى به تفخيم له. القمّي: وحي

١ ـ علل الشّرائع ١: ١٣٢، الباب: ١١٢، الحديث: ١، عن عليّ بن الحسين عليهما السلام.

٢ ـ الاحتجاج ١: ٣٢٧، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

٣ ـ في المصدر: «يخفق».

٤ ـ الكافي ١: ٤٤٣، الحديث: ١٣، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

مشافهة[١].

ورد: «كان فيما أوحى إليه الآية الّتي في سورة البقرة: "لِلّٰهِ مٰا فِي السَّمٰواتِ وَمٰا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبْدُوا مٰا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحاسِبْكُمْ بِهِ اللّٰهُ" الآية[٢]. قال: وكانت الآية قد عرضت على الأنبياء من لدن آدم إلى أن بعث الله محمّداً وعرضت على الأُمم فأبوا أن يقبلوها من ثِقْلها، وقَبِلَها رسول اللهﷺ، وعرضها على أُمّته فقَبِلوها»[٣].

﴿ما كَذَبَ الفُؤادُ ما رَأىٰ﴾. سئل هل رأى رسول اللهﷺ ربّه عزّوجلّ؟ فقال: «نعم، بقلبه رآه، أما سمعت الله يقول: "ما كذب الفؤاد ما رأى" لم يره بالبصر ولكن رآه بالفؤاد»[٤].

وفي رواية: «رأى عظمة ربّه تعالى بفؤاده ولم يرها بعينه»[٥] كما مرّ.

وفي أُخرى: «ما كذب فؤاد محمّد ما رأت عيناه، ثمّ أخبر بما رأى فقال: "لَقَد رأى من آيات ربّه الكبرى" فآيات الله غير الله»[٦].

وفي النّبويّ: سئل عن هذه الآية فقال: «رأيت نوراً»[٧].

أقول: إنّما اختلفت الأجوبة لاختلاف مراتب أفهام المخاطبين في الذّكاء وغموض المسألة.

﴿أَفَتُمارُونَهُ عَلىٰ ما يَرىٰ﴾: أفتجادلونه عليه؛ من المراء.

﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرىٰ﴾: مرّة أخرى، بنزول ودنوّ.

١ ـ القمّي ٢: ٣٣٤.

٢ ـ البقرة (٢): ٢٨٤.

٣ ـ الاحتجاج ١: ٣٢٧، عن أمير المؤمنينعليه السلام.

٤ ـ التوحيد: ١١٦، الباب: ٨، الحديث: ١٧، عن الكاظمعليه السلام.

٥ ـ الاحتجاج ١: ٣٢٧، عن أمير المؤمنينعليه السلام.

٦ ـ الكافي ١: ٩٦، الحديث: ٢؛ التّوحيد: ١١١، الباب: ٨، الحديث: ٩، عن أبي الحسن الرّضاعليه السلام.

٧ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ١٧٥.

﴿عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهىٰ﴾ «الّتي ينتهي إليها أعمال أهل الأرض». كذا ورد[١].

﴿عِنْدَها جَنَّةُ الْمَأْوىٰ﴾ الّتي يأوي إليها المتّقون.

قال: «وإنّ غلظ السّدرة لمسيرة مائة عام من أيّام الدّنيا، وانّ الورقة منها تغطّي أهل الدّنيا»[٢].

وفي النّبوي: «رأيت على كلّ ورقة من ورقها[٣] ملكاً قائماً يسبّح اللّه عزّوجلّ»[٤].

﴿إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ ما يَغْشىٰ﴾ تفخيمٌ وتكثير لما يغشاها، بحيث لا يَكْتَنِهُها[٥] نَعْتٌ ولا يحصيها عَدٌّ. القمّي: لمّا رفع الحجاب بينه وبين رسول اللّهﷺ غَشِيَ نوره السّدرة[٦].

﴿ما زاغَ الْبَصَرُ﴾: ما مال بصر رسول اللّهﷺ عمّا رآه ﴿وَما طَغىٰ﴾: وما تجاوزه، بل أثبته إثباتاً صحيحاً مستقيماً.

﴿لَقَدْ رَأىٰ مِنْ آياتِ رَبِّهِ الْكُبْرىٰ﴾ قال: «يعني أكبر الآيات»[٧]. القمّي: يقول: لقد سمع كلاماً لولا أنّه قويّ ما قَوِيَ[٨].

و ورد: «رأى جبرئيل على ساقه الدّرّ مثل القَطْر على البقل له ستّمائة جناح قد ملأ ما بين السّماء والأرض»[٩].

و ورد: «رأى جبرئيل في صورته مرّتين، هذه المرّة ومرّة أُخرى، وذلك أنّ خلق

١ـ علل الشّرائع ١: ٢٧٧، الباب: ١٨٥، قطعة من حديث: ١، عن أبي جعفرؑ.

٢ـ المصدر: ٢٧٨، الباب: ١٨٥، ذيل الحديث: ١، عن أبي جعفرؑ.

٣ـ في المصدر: «من أوراقها».

٤ـ مجمع البيان ٩ـ١٠: ١٧٥.

٥ـ لا يكتنِهُهُ الوصفُ، بمعنى لا يبلغ كُنْهَه، أي: قدرَه وغايتَهُ. الصّحاح ٦: ٢٢٤٧ (كنه).

٦ـ القمّي ٢: ٣٣٨.

٧ـ علل الشرائع ١: ٢٧٨، الباب: ١٨٥، ذيل الحديث: ١، عن أبي جعفرؑ.

٨ـ القمّي ٢: ٣٣٥.

٩ـ التّوحيد: ١١٦، الباب: ٨، الحديث: ١٨، عن أبي عبد اللّهؑ.

جبرئيل عظيم ، فهو من الرّوحانيّين الّذين لا يدرك خلقهم وصفتهم إلّا اللّه ربّ العالمين»[١].

وفي رواية: «يا عليّ إنّ اللّه أشهدك معي في سبع مواطن: أمّا أوّل ذلك: فليلة أُسري بي إلى السّماء ، قال لي جبرئيل: أين أخوك؟ فقلت: خلّفته ورائي ، قال: ادع اللّه فليأتك بـه ، فدعوت اللّه فإذاً مثالك معي ، وإذ الملائكة صفوف ، فقلت: يا جبرئيل مَنْ هؤلاء؟ قال: هم الّذين يباهيهم اللّه بك يوم القيامة ، فدنوت ونطقت بما كـان ويكـون[٢] إلى يـوم القـيامة . والثّاني: حين أُسري بي في المرّة الثّانية ، فقال لي جبرئيل: أين أخوك؟ قلت: خلّفته ورائي ، قال: ادع اللّه فليأتك به ، فدعوت اللّه فإذاً مثالك معي فكشط لي عن سبع سماوات ، حتّى رأيت سكّانها وعمّارها وموضع كلّ ملك منها» الحديث[٣].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: «ما للّه عزّوجلّ آية هي أكبر منّي»[٤].

﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ﴾ .

﴿وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ﴾ هي أصنام كانت لهم يعبدونها .

﴿أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ﴾ قيل: إنكار لقولهم: الملائكة بنات اللّه وهذه الأصـنام هياكلها ، أو استوطنها جنّيّات هنّ بناته[٥]!! تعالى اللّه عن ذلك .

﴿تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ﴾: جائرة ، حيث جعلتم له ما تستنكفون منه .

﴿إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم﴾ أي: الأصنام ما هي باعتبار الأُلوهيّة إلّا أسماء تطلقونها عليها . ﴿مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ﴾: من حجّة وبرهان يتعلّقون بها ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَىٰ﴾: الرسول والكـتاب

١ ـ التّوحيد: ٢٦٣ ، الباب: ٣٦ ، قطعة من حديث: ٥ ، عن أمير المؤمنين عليه السلام .

٢ ـ في المصدر: «وبما يكون».

٣ ـ القمّي ٢: ٣٣٥ ، عن رسول اللّه صلى الله عليه وآله .

٤ ـ الكافي ١: ٢٠٧ ، قطعة من حديث: ٣ ، عن أبي جعفر ، عن أمير المؤمنين عليه السلام .

٥ ـ البيضاوي ٥: ١٠٢ .

فتركوه.

﴿أَمْ لِلْإِنْسانِ ما تَمَنّىٰ﴾ أي: ليس له كلّ ما يتمنّى، والمراد نفي طمعهم في شفاعة الآلهة وغير ذلك ممّا يتمنّون.

﴿فَلِلَّهِ الآخِرَةُ وَالأُولىٰ﴾ يعطي منهما ما يشاء لمن يريد، وليس لأحد أن يتحكّم عليه في شيء منهما.

﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمٰواتِ لا تُغْنِي شَفاعَتُهُمْ شَيْئاً إِلّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللّٰهُ﴾ في الشّفاعة ﴿لِمَنْ يَشاءُ وَيَرْضىٰ﴾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ المَلائِكَةَ تَسْمِيَةَ الأُنْثىٰ﴾ بأن سمّوهم بنات.

﴿وَما لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِي مِنَ الحَقِّ شَيْئاً﴾.

﴿فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلّىٰ عَنْ ذِكْرِنا وَلَمْ يُرِدْ إِلّا الحَياةَ الدُّنْيا﴾: فاعرض عن دعوته والاهتمام بشأنه، فإنّ من غفل عن اللّه وأعرض عن ذكره وانهمك في الدّنيا، بحيث كانت منتهى همّته ومبلغ علمه، لا تزيده الدّعوة إلّا عناداً وإصراراً على الباطل.

﴿ذٰلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ العِلْمِ﴾ لا يتجاوزه علمهم؛ اعتراض مقرّر لقصور هممهم على الدّنيا. ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدىٰ﴾ يعني إنّما يعلم اللّه من يجيب ممّن لا يجيب، فلا تتعب نفسك في دعوتهم، إذ ما عليك إلّا البلاغ؛ وقد بلّغت.

﴿وَلِلَّهِ ما فِي السَّمٰواتِ وَما فِي الأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَساءُوا بِما عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنىٰ﴾: بالمثوبة الحسنى.

﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبائِرَ الإِثْمِ﴾: ما يكبر عقابه من الذّنوب، وهو ما رتّب الوعيد عليه بخصوصه ﴿وَالفَواحِشَ﴾ من الكبائر خصوصاً ﴿إِلّا اللَّمَمَ﴾: إلّا ما قلّ وصغر، فإنّه مغفور من مجتنبي الكبائر؛ والاستثناء منقطع.

قال: «الفواحش: الزّنا والسّرقة، واللّمم: الرّجل يلمّ بالذّنب فيستغفر اللّه منه»[1].

أقول: يلمّ بالذّنب، أي: يقاربه وينزل إليه فيفعله.

و ورد: «ما من ذنب إلّا وقد طبع عليه عبد مؤمن، يهجره الزّمان ثمّ يلمّ به، وهو قول اللّه عزّ وجلّ: "الّذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلّا اللّمم". قال: اللّمام: العبد الّذي يلمّ بالذّنب[2] بعد الذّنب، ليس من سليقته، أي: من طبيعته»[3].

أقول: وقد طبع عليه، أي: لعارض عرض له يمكن زواله عنه، ولو كان مطبوعاً عليه في أصل الخلقة وكان من سجيّته وسليقته، لما أمكنه الهجرة عنه.

﴿إِنَّ رَبَّكَ واسِعُ الْمَغْفِرَةِ﴾ حيث يغفر الصغائر باجتناب الكبائر، وله أن يغفر ما شاء من الذّنوب، صغيرها وكبيرها، لمن يشاء. ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ﴾: أعلم بأحوالكم منكم ﴿إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهاتِكُمْ﴾: عَلِمَ مصارف أُموركم حين ابتدأ خلقكم من التّراب، وحيثما صوّركم في الأرحام.

﴿فَلا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ﴾: فلا تثنوا عليها بزكاء العمل وزيادة الخير، والطّهارة عن المعاصي والرّذائل. ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقى﴾ فإنّه يعلم التّقيّ وغيره منكم قبل أن يخرجكم من صلب آدم.

قال: «يقول: لا يفتخر أحدكم بكثرة صلاته وصيامه وزكاته ونسكه، لأنّ اللّه أعلم بمن اتّقى منكم»[4].

و ورد: «إنّ قوماً كانوا يصبحون فيقولون: صلّينا البارحة، وصمنا أمس، فقال

١ ـ الكافي ٢: ٤٤٢، الحديث: ٣، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٢ ـ في المصدر: «يلمّ الذّنب».

٣ ـ الكافي ٢: ٤٤٢، الحديث: ٥، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٤ ـ علل الشّرائع ٢: ٦١٠، الباب: ٣٨٥، ذيل الحديث الطّويل: ٨١، عن أبي جعفر عليه السلام.

عليّ عليه السلام: لكنّي أنام اللّيل والنّهار، ولو أجد بينهما شيئاً لنمته»[1].

قال: «ويجوز إذا اضطرّ إليه كما قال يوسف: "إجْعَلْني عَلى خَزائِنِ الأرْضِ إنّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ"»[2].

﴿أفَرَأيْتَ الّذي تَوَلّىٰ﴾.

﴿وَأعْطىٰ قَلِيلاً وَأكْدىٰ﴾: وقطع العطاء.

قيل: نزلت الآيات السّبع ـ يعني هذه وما بعدها ـ في عثمان بن عفّان، كان يتصدّق وينفق، فقال له أخوه من الرّضاعة عبد اللّه بن سعد بن أبي سرح[3]: ما هذا الّذي تصنع يوشك أن لا يبقى لك شيء؟! فقال عثمان: إنّ لي ذنوباً، وإنّي أطلب بما أصنع رضا اللّه وأرجو عفوه. فقال له عبد اللّه: أعطني ناقتك برحلها، وأنا أتحمّل عنك ذنوبك كلّها!! فأعطاه وأشهد عليه وأمسك عن النّفقة، فنزلت "أفرأيت الّذي تولّى" أي: يوم أُحد حين ترك المركز "وأعطى قليلاً" ثمّ قطع النّفقة إلى قوله: "وأنّ سعيه سوف يرى" فعاد عثمان إلى ما كان عليه[4].

﴿أعِنْدَهُ عِلْمُ الغَيْبِ فَهُوَ يَرىٰ﴾: يعلم أنّ صاحبه يتحمّل عنه.

﴿أمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِما فِي صُحُفِ مُوسىٰ﴾.

﴿وَإبْراهِيمَ الّذي وَفّىٰ﴾: وفّر وأتمّ ما أُمر به، والتزمه على نفسه.

القمّي: وفّى بما أمره اللّه به من الأمر والنّهي وذبح ابنه[5].

١ ـ معاني الأخبار: ٢٤٣، الحديث: ١، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٢ ـ العيّاشي ٢: ١٨١، الحديث: ٤٠، عن أبي عبد اللّه عليه السلام، والآية في سورة يوسف (١٢): ٥٥.

٣ ـ مرّت ترجمته ذيل الآية: ١٣٦ من سورة النساء.

٤ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ١٧٨، عن ابن عباس والسدي والكلبي وجماعة من المفسّرين؛ وفي الكشّاف ٤: ٣٣، مع تفاوت يسير.

٥ ـ القمّي ٢: ٣٣٨.

وفي رواية: «كلمات[1] بالغ فيهنّ؛ كان يقولها إذا أصبح ثلاثاً وإذا أمسى ثلاثاً»[2].

﴿أَلَّا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرىٰ﴾ أي: لم ينبأ بما في صحفهما، أنّه لا يؤاخذ أحد بذنب غيره؟!

﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنسانِ إِلَّا ما سَعىٰ﴾: وأن لا يثاب أحد بفعل غيره.

﴿وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرىٰ﴾: يراه في الآخرة.

﴿ثُمَّ يُجْزاهُ الْجَزاءَ الْأَوْفىٰ﴾: يُجزى العبد سعيه بالجزاء الأوفر.

﴿وَأَنَّ إِلىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهىٰ﴾: انتهاء الخلائق ورجوعهم. قال: «فإذا انتهى الكلام إلى الله فامسكوا»[3].

﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكىٰ﴾ القمّي: أبكى السّماء بالمطر، وأضحك الأرض بالنّبات[4].

﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَماتَ وَأَحْيا﴾. ﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثىٰ﴾. ﴿مِنْ نُطْفَةٍ إِذا تُمْنىٰ﴾. ﴿وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْأُخْرىٰ﴾.

﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنىٰ وَأَقْنىٰ﴾: وأعطى القنية، أي: أصل المال، أو الكسب والرّضا.

قال: «أغنى كلّ إنسان بمعيشته، وأرضاه بكسب يده»[5].

﴿وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرىٰ﴾ القمّي: نجم في السّماء، كانت قريش وقوم من العرب

١ـ وهنّ الكلمات كما في المصدر: «أصبحت وربّي محمود، أصبحت لا أُشرك بالله شيئاً ولا أدعو معه إلهاً ولا أتّخذ من دونه وليّاً».

٢ـ الكافي ٢: ٥٣٥، قطعة من حديث: ٣٨، عن أبي جعفر؛ وفي علل الشّرائع ١: ٣٧، الباب: ٣٣، الحديث: ١، عن أبي عبد الله ما يقرب منه.

٣ـ الكافي ١: ٩٢، الحديث: ٢؛ التّوحيد: ٤٥٦، الباب: ٦٧، الحديث: ٩، عن أبي عبد الله.

٤ـ القمّي ٢: ٣٣٩.

٥ـ معاني الأخبار: ٢١٥، الحديث: ١، القمّي ٢: ٣٣٩، عن أبي عبد الله، عن آبائه، عن أمير المؤمنين.

يعبدونه، يطلع في آخر اللّيل[1].

﴿وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عاداً الأُولىٰ﴾. ﴿وَثَمُوداْ فَما أَبْقىٰ﴾. ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِن قَبْلُ إِنَّهُمْ كانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغىٰ﴾.

﴿وَالمُؤْتَفِكَةَ﴾: والقرى الّتي ائتفكت بأهلها، أي: انقلبت، وهي قرى قوم لوط. ﴿أَهْوىٰ﴾ بعد أن رفعها وقلّبها.

و ورد: «هم أهل البصرة، هي المؤتفكة»[2].

القمّي: وقد ائتفكت بأهلها مرّتين، وعلى اللّه تمام الثّالثة، ويكون في الرّجعة[3].

﴿فَغَشّاها ما غَشّىٰ﴾ فيه تهويلٌ وتعميمٌ لما أصابهم.

﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكَ تَتَمارىٰ﴾: «تتشكّك». كذا ورد[4]. والقمّي: بأيّ سلطان تخاصم[5]. والخطاب لكلّ أحد.

﴿هٰذا نَذِيرٌ مِنَ النُّذُرِ الأُولىٰ﴾. قال: «إنّ اللّه تبارك وتعالى لمّا ذرأ الخلق في الذّرّ الأوّل أقامهم صفوفاً قدّامه، وبعث اللّه محمّداً صلّى الله عليه وآله، فآمَنَ به قوم وأنكره قوم، فقال اللّه عزّوجلّ: "هذا نذير من النّذر الأولى" يعني محمّداً حيث دعاهم إلى اللّه في الذّرّ الأوّل»[6].

﴿أَزِفَتِ الآزِفَةُ﴾. القمّي: يعني قربت القيامة[7].

﴿لَيْسَ لَها مِنْ دُونِ اللّهِ كاشِفَةٌ﴾: ليس لها نفس قادرة على كشفها إلّا اللّه.

---

١ ـ القمّي ٢: ٣٣٩.

٢ ـ الكافي ٨: ١٨٠، ذيل الحديث: ٢٠٢، عن أبي عبد اللّه عليه السلام؛ القمّي ٢: ٣٣٩، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

٣ ـ القمّي ٢: ٣٤٠، عن أمير المؤمنين عليه السلام، وفيه: «وتمام الثالثة في الرّجعة».

٤ ـ الكافي ٢: ٣٩٢، قطعة من حديث: ١، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

٥ ـ القمّي ٢: ٣٤٠.

٦ ـ المصدر عن أبي عبد اللّه عليه السلام؛ وفي بصائر الدّرجات: ٨٤، الباب: ١٤، الحديث: ٦، عن أبي عبد اللّه عليه السلام، ذيل الرّواية فقط.

٧ ـ القمّي ٢: ٣٤٠.

﴿أَفَمِنْ هٰذا الحَدِيثِ﴾ . قال: «يعني بالحديث ما تقدّم من الأخبار»[١] . ﴿تَعْجَبُونَ﴾ إنكاراً.

﴿وَتَضْحَكُونَ﴾ استهزاءً ﴿وَلا تَبْكُونَ﴾ تحزّناً على ما فرّطتم.

﴿وَأَنْتُمْ سامِدُونَ﴾ القمّي: أي: لاهون[٢] .

﴿فَاسْجُدُوا لِلّٰهِ وَاعْبُدُوا﴾: واعبدوه دون الآلهة.



١ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ١٨٤، عن أبي عبد الله عليه السلام .

٢ ـ القمّي ٢: ٣٤٠.

سورة القمر

[مكيّة، وهي خمس وخمسون آية][1]

بسم الله الرّحمن الرّحيم

﴿إِقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ﴾ القمّي: اقتربت القيامة، فلا يكون بعد رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله إلّا القيامة، وقد انقضت النّبوة والرّسالة[2]. وفي رواية: «خروج القائم»[3].

﴿وَٱنْشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾. روي: «إنّ المشركين سألوا رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله أن يشقّ لهم القمر فرقتين، فقال لهم: إن فعلت تؤمنون؟ قالوا: نعم. وكانت ليلة بدر، فسأل ربّه أن يعطيه ما قالوا، فانشقّ القمر فرقتين ورسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله ينادي: يا فلان يا فلان اشهدوا. فقال ناس: سحرنا محمّد. فقال رجل: إن كان سحركم فلم يسحر النّاس كلّهم». كذا في المجمع[4].

وفيه: وإنّما ذكر سبحانه اقتراب السّاعة مع انشقاق القمر، لأنّ انشقاقه من علامة نبوّة نبيّنا صلّى اللّه عليه وآله، ونبوّته وزمانه من آيات اقتراب السّاعة[5].

﴿وَإِنْ يَرَوْا آيَـةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ﴾: مطّرد. وقيل: أي: قويّ شديد،

١ ـ ما بين المعقوفتين من «ب».

٢ و ٣ ـ القمّي ٢: ٣٤٠.

٤ و ٥ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ١٨٦.

يعلو كلّ سحر[١].

﴿وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْواءَهُمْ﴾ القمّي: أي: كانوا يعملون برأيهم، ويكذّبون أنبياءهم[٢].

﴿وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقِرٌّ﴾: مُنتَهٍ إلى غاية.

﴿وَلَقَدْ جاءَهُمْ مِنَ الأَنْباءِ ما فِيهِ مُزْدَجَرٌ﴾ أي: متّعظ من تعذيب أو وعيد.

﴿حِكْمَةٌ بالِغَةٌ﴾ غايتها، لا خلل فيها ﴿فَما تُغْنِ النُّذُرُ﴾. نفي، أو استفهام إنكار.

﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ لعلمك أنّ الإنذار لا يؤثّر فيهم ﴿يَوْمَ يَدْعُ الدّاعِ إِلىٰ شَيْءٍ نُكُرٍ﴾: فظيع ينكره النّفوس؛ لأنّها لم تعهد مثله.

القمّي: الإمام إذا خرج يدعوهم إلى ما ينكرون[٣].

وقيل: هو هول يوم القيامة[٤]. ويأتي ما يؤيّده[٥].

﴿خُشَّعاً أَبْصارُهُمْ﴾: ذليلة عند رؤية العذاب ﴿يَخْرُجُونَ مِنَ الأَجْداثِ﴾: من القبور ﴿كَأَنَّهُمْ جَرادٌ مُنْتَشِرٌ﴾ في الكثرة والتّموّج والانتشار في الأمكنة.

﴿مُهْطِعِينَ إِلَى الدّاعِ﴾: مسرعين، مادّي أعناقهم إليه؛ أو ناظرين إليه. القمّي: إذا رجع فيقول: ارجعوا[٦]. ﴿يَقُولُ الكافِرُونَ هٰذا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾.

ورد في حديث القيامة: «فيشرف الجبّار عليهم من فوق عرشه في ظلال من الملائكة، فيأمر ملكاً من الملائكة، فينادي فيهم: يا معشر الخلائق! انصتوا واستمعوا منادي الجبّار. قال: فيسمع آخرهم كما يسمع أوّلهم. قال: فتنكسر أصواتهم عند ذلك، وتخشع أبصارهم، وتضطرب فرائصهم، وتفزع قلوبهم، ويرفعون رؤوسهم إلى ناحية الصّوت؛ "مهطعين إلى الدّاع". قال: فعند ذلك يقول الكافر: "هذا يوم عسر"»[٧].

١ـ المصدر، عن الضحّاك وأبي العالية وقتادة.

٢ و ٣ـ القمّي ٢: ٣٤١.

٤ـ البيضاوي ٥: ١٠٥.

٥ـ ذيل الآية: ٨ من نفس السّورة.

٦ـ القمّي ٢: ٣٤١.

٧ـ الكافي ٨: ١٠٤، الحديث: ٧٩، عن عليّ بن الحسين، عن أبيه، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنا﴾: نوحاً ﴿وَقالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ﴾: و زجر عن التّبليغ بأنواع الأذيّة .

﴿فَدَعا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ﴾: فانتقم منهم ، وذلك بعد يأسه منهم .

قال: «لبث فيهم نوح ألف سنة إلّا خمسين عاماً يدعوهم سرّاً وعلانية ، فلمّا أبوا وعتوا قال: ربّ إنّي مغلوب فانتصر»[1] .

﴿فَفَتَحْنا أَبْوابَ السَّماءِ بِماءٍ مُنْهَمِرٍ﴾: منصبّ .

﴿وَفَجَّرْنا الأَرْضَ عُيُوناً﴾: وجعلنا الأرض كلّها كأنّها عيون منفجرة . وأصلها: وفجّرنا عيون الأرض ، فغيّر للمبالغة . ﴿فَالْتَقَى الماءُ﴾: ماء السّماء وماء الأرض ﴿عَلىٰ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾: قدّره اللّه تعالى .

ورد: «لم تنزل قطرة من السّماء من مطر إلّا بعدد معدود ووزن معلوم ، إلّا ما كان من يوم الطّوفان على عهد نوح ، فإنّه نزل ماء مُنْهَمِرٌ بلا وزن ولا عدد»[2] .

﴿وَحَمَلْناهُ عَلىٰ ذاتِ أَلْواحٍ﴾: ذات أخشاب عريضة ﴿وَدُسُرٍ﴾ القمّي: الألواح: السّفينة ، والدّسر: المسامير[3] .

﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنا﴾: بمرأى منّا ، القمّي: بأمرنا وحفظنا[4] . ﴿جَزاءً لِمَنْ كانَ كُفِرَ﴾ أي: فعلنا ذلك جزاء لنوح ، لأنّه نعمة كفروها ، فإنّ كلّ نبيّ نعمة من اللّه ورحمة على أُمّته .

﴿وَلَقَدْ تَرَكْناها آيَةً﴾ يعتبر بها ، إذ شاع خبرها ﴿فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾: معتبر .

﴿فَكَيْفَ كانَ عَذابِي وَنُذُرِ﴾: وإنذاراتي ، أو رسلي . وتمام القصّة في هود[5] .

﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا القُرْآنَ﴾: سهّلناه ﴿لِلذِّكْرِ﴾: للادّكار والاتّعاظ لمن يذكّر ، بأن صرّفنا

١ ـ الكافي ٨: ٢٨٣ ، ذيل الحديث: ٤٢٤ ، عن أبي جعفر عليه السلام .

٢ ـ الكافي ٨: ٢٣٩ ، ذيل الحديث: ٣٢٦ ، عن أبي عبد اللّه ، عن أمير المؤمنين عليهما السلام .

٣ و ٤ ـ القمّي ٢: ٣٤٢ .

٥ ـ هود (١١): ٢٥ إلى ٤٩ .

فيه أنواع المواعظ والعِبَر . ﴿فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾: متّعظ .

﴿كَذَّبَتْ عادٌ فَكَيْفَ كانَ عَذابِي وَنُذُرِ﴾ .

﴿إِنّا أَرْسَلْنا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَراً﴾: باردة ﴿فِي يَوْمِ نَحْسٍ﴾: شؤم ﴿مُسْتَمِرٍّ﴾: مستمرّ شؤمه إلى مثله .

قال: «كان يوم الأربعاء»[1] . وزاد في رواية: «في آخر الشّهر لايدور»[2]

و ورد: «الأربعاء يوم نحس مستمرّ ، لأنّه أوّل يوم وآخر يوم من الأيّام الّتي قال اللّه: "سَخَّرَها عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيالٍ وَثَمانِيَةَ أَيّامٍ حُسُوماً"»[3] .

﴿تَنْزِعُ النّاسَ﴾: تقلعهم ، روي: «إنّهم دخلوا في الشّعاب والحفر ، وتمسّك بعضهم ببعض ، فنزعتهم الرّيح منهم ، وصرعتهم موتى»[4] . ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ﴾: أُصول نخل منقلع عن مغارسه ، ساقط على الأرض .

قيل: شبّهوا بالأعجاز؛ لأنّ الرّيح طيّرت رؤوسهم وطرحت أجسادهم[5] .

﴿فَكَيْفَ كانَ عَذابِي وَنُذُرِ﴾ كرّره للتّهويل .

وقيل: الأوّل لما حاق بهم في الدّنيا ، والثّاني لما يحيق بهم في الآخرة ، كما قال في قصّتهم أيضاً: "لِنُذِيقَهُمْ عَذابَ الْخِزْيِ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا وَلَعَذابُ الآخِرَةِ أَخْزى"[6] .

وتمام القصة في الأعراف ، وهود[7] .

﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾ .

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ﴾ .

١ و ٢ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ١٩٠ ، عن أبي جعفر عليه السلام ، نقلاً عن العيّاشي .

٣ ـ علل الشّرائع ٢: ٣٨١ ، الباب: ١١٢ ، الحديث: ٢ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام . والآية في سورة الحاقّة (٦٩): ٧ .

٤ و ٥ ـ البيضاوي ٥: ١٠٦ .

٦ ـ البيضاوي ٥: ١٠٦ . والآية في سورة فصّلت (٤١): ١٦ .

٧ ـ الأعراف (٧): ٦٥ إلى ٧١ ؛ هود (١١): ٥٠ إلى ٦٠ .

﴿فَقالُوا أَبَشَراً مِنّا﴾: من جنسنا ﴿واحِداً﴾: منفرداً لا تبعَ له ﴿نَتَّبِعُهُ إِنّا إِذاً لَفِي ضَلالٍ وَسُعُرٍ﴾: جَمْع سعير. كأنّهم عكسوا عليه، فرتّبوا على اتّباعهم إيّاه ما رتّبه على ترك اتّباعهم له.

﴿أَءُلْقِيَ الذِّكْرُ﴾: الكتاب والوحي ﴿عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنا﴾ وفينا مَنْ هو أحقّ منه بذلك ﴿بَلْ هُوَ كَذّابٌ أَشِرٌ﴾: حَمَلَه بطره على الترفّع علينا بادّعائه.

﴿سَيَعْلَمُونَ غَداً مَنِ الْكَذّابُ الْأَشِرُ﴾: الّذي حمله أشره على الاستكبار عن الحقّ، أصالح، أم من كذّبه؟

﴿إِنّا مُرْسِلُوا النّاقَةِ فِتْنَةً لَهُمْ﴾: اختباراً ﴿فَارْتَقِبْهُمْ﴾: فانتظرهم، وتبصّر ما يصنعون ﴿وَاصْطَبِرْ﴾ على أذاهم.

﴿وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْماءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ﴾: مقسوم، لها يوم ولهم يوم ﴿كُلُّ شِرْبٍ مُحْتَضَرٌ﴾: يحضره صاحبه في نوبته.

﴿فَنادَوْا صاحِبَهُمْ﴾ قُدارُ بن سالف[1]؛ أُحيمر ثمود. ﴿فَتَعاطى فَعَقَرَ﴾ فاجترأ على تعاطي قتلها، فقتلها، أو فتعاطى السّيف فقتلها.

﴿فَكَيْفَ كانَ عَذابِي وَنُذُرِ﴾.

﴿إِنّا أَرْسَلْنا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً واحِدَةً فَكانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ﴾: كالحشيش اليابس الّذي يجمعه صاحب الحظيرة لماشيته في الشّتاء وتمام القصّة في الأعراف[2].

﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾.

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ﴾.

﴿إِنّا أَرْسَلْنا عَلَيْهِمْ حاصِباً﴾: ريحاً تحصبهم بالحجارة، أي: ترميهم. ﴿إِلّا آلَ لُوطٍ

١ ـ قُدارُ بن سالِف: الّذي يقال له: أُحَيْمرُ ثمود، عاقر ناقة صالح عليه السلام. قال الأزهري: وقالت العرب للجزّار: قُدارٌ، تشبيهاً به. لسان العرب ٥: ٨٠ (قدر).

٢ ـ ذيل الآية: ٧٩.

نـجَّيْناهُمْ بِسَحَرٍ﴾.

﴿نِعْمَةً مِنْ عِنْدِنا كَذٰلِكَ نَجْزِي مَنْ شَـكَرَ﴾: شكر نعمتنا بالإيمان والطّاعة.

﴿وَلَـقَدْ أَنْذَرَهُمْ﴾ لوط ﴿بَطْشَـتَنا﴾: أخذتنا بالعذاب ﴿فَتَمارَوْا بِالنُّـذُرِ﴾: فشكّـوا ولم يصدّقوا.

﴿وَلَقَدْ راوَدُوهُ عَنْ ضَيْـفِهِ﴾: قصدوا الفجور بهم ﴿فَطَمَسْنا أَعْيُـنَهُمْ﴾: فـمسحناها وسوّيناها بسائر الوجه.

قال: «أهوى جبرئيل بإصبعه نحوهم فذهبت أعينهم»[1].

وفي رواية: «أخذ كفّاً من بطحاء فضرب بها وجوههم، وقال: شاهت الوجوه[2]، فعمي أهل المدينة كلّهم»[3]. وتمام القصّة في هود[4]. ﴿فَذُوقُوا عَذابِي وَنُـذُرِ﴾.

﴿وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذابٌ مُسْتَقِـرٌّ﴾: يستقرّ بهم، حتّى يسلّمهم إلى النّار.

﴿فَذُوقُوا عَذابِي وَنُـذُرِ﴾.

﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾. كرّر ذلك في كلّ قـصّة؛ إشـعاراً بأنّ تكذيب كلّ رسول مقتض لنزول العذاب، واستماع كلّ قصّة مستدع للادّكار والاتّـعاظ، واستئنافاً للتّنبيه والإيقاظ، لئلّا يغلبهم السّهو والغفلة.

﴿وَلَقَدْ جاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّـذُرُ﴾.

﴿كَـذَّبُوا بِآياتِنا كُلِّها فَأَخَذْناهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ﴾: أخذ مـن لا يـغالب ولا يـعجزه شيء.

﴿أَكُفّارُكُمْ﴾ يا معشر قريش ﴿خَيْرٌ مِنْ أُولـٰئِكُمْ﴾: من هذه الأُمم الهالكة ﴿أَمْ لَكُـمْ

١ ـ الكافي ٥: ٥٤٨، ذيل الحديث: ٦، عن أبي عبد الله عليه السلام.

٢ ـ شاهَت الوجوهُ: قَبُحَتْ. الصّحاح ٦: ٢٢٣٨ (شوه).

٣ ـ الكافي ٥: ٥٤٦، ذيل الحديث: ٥، عن أبي جعفر عليه السلام.

٤ ـ هود (١١): ٧٧ إلى ٨٣.

بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ﴾: براءة في الكتب: أن لا تهلكوا كما هلكوا.

﴿أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ﴾ القمّي: قال قريش: قد اجتمعنا لننتصر بقتلك يا محمّد؛ فأنزل اللّه[1].

﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾ القمّي: يعني يوم بدر حين هزموا وأُسروا وقتلوا[2].

﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ﴾ يعني القيامة موعد عذابهم الأصليّ، وما يحيق بهم في الدّنيا فمن طلائعه ﴿وَالسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ﴾: أشدّ وأغلظ وأمرّ مذاقاً من عذاب الدّنيا.

﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ﴾ عن الحقّ في الدّنيا ﴿وَسُعُرٍ﴾: ونيران في الآخرة.

﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ﴾: يجرّون ﴿فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾: حرّها وألمها.

ورد: «إنّ في جهنّم لوادياً للمتكبّرين يقال لها: سقر، شكا إلى اللّه شدّة حرّه، وسأله: أن يأذن له أن يتنفّس، فتنفّس فأحرق جهنّم»[3].

﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾: مقدّراً مكتوباً في اللّوح قبل وقوعه. القمّي: له وقت وأجل ومدّة[4].

ورد: «إنّ القدريّة مجوس هذه الأمّة، وهم الّذين أرادوا أن يصفوا اللّه بعدله فأخرجوه من سلطانه، وفيهم نزلت هذه الآية: "يوم يسحبون" إلى قوله "بقدر"»[5].

وفي رواية: «ما أنزل اللّه هذه الآيات إلّا في القدريّة "إنّ المجرمين" إلى قوله: "بقدر"»[6].

١ و ٢ _ القمّي ٢: ٣٤٢.

٣ _ ثواب الأعمال: ٢٦٥، الحديث: ٧، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٤ _ القمّي ٢: ٣٤٢.

٥ _ التّوحيد: ٣٨٢، الباب: ٦٠، الحديث: ٢٩، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٦ _ ثواب الأعمال: ٢٥٢، الحديث: ٢، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

﴿وَما أَمْرُنا إِلّا واحِدَةٌ﴾ القمّي: يعني نقول: كن فيكون[١] . ﴿كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾ في اليُسر والسّرعة .

﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنا أَشْياعَكُمْ﴾: أتباعكم ونظراءكم في الكفر من عبّاد الأصنام ﴿فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾: متعظ .

﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ﴾: مكتوب في كتب الحفظة .

﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ﴾ من الأعمال ﴿مُسْتَطَرٌ﴾: مسطور .

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنّاتٍ وَنَهَرٍ﴾ .

﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ﴾: حقّ لا لغو فيه ولا تأثيم ﴿عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ﴾: مقرّبين عند مَنْ تعالى أمره في الملك والاقتدار .

١ ـ القمّي ٢: ٣٤٢ .

سورة الرّحمٰن

[جلَ ذكره . مكيّة أو مدنيّة ، وهي ثمان وسبعون آية][1]

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم

﴿الرَّحْمٰنُ﴾ . ﴿عَلَّمَ القُرْآنَ﴾ . ﴿خَلَقَ الإِنْسانَ﴾ . ﴿عَلَّمَهُ البَيانَ﴾ .

قيل: لمّا كانت هذه السّورة مشتملة على تعداد نِعَمِ الدّنيويّة والأُخرويّة ، صدّرها بـ "الرّحمن" ، وقدّم أجلّ النّعم وأشرفها ، وهو تعليم القرآن ، فإنّه أساس الدّين ومنشأ الشّرع ، وأعظم الوحي وأعزّ الكتب ؛ إذ هو بإعجازه واشتماله على خلاصتها مصدّق لنفسه ولها ، ثمّ أتبعه بنعمة خلق الإنسان وإيتائه ما تميّز به عن سائر الحيوان ، من التّعبير عمّا في الضّمير وإفهام الغير ما أدركه[2] .

وقال: «البيان: الاسم الأعظم الّذي علم به كلّ شيء»[3] .

وفي رواية: «الإنسان أمير المؤمنين عليه السلام ، عَلَّمَه بيان كلّ شيء يحتاج إليه النّاس»[4] .

١ ـ ما بين المعقوفتين من «ب» .

٢ ـ البيضاوي ٥: ١٠٨ .

٣ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ١٩٧ ، عن أبي عبد الله عليه السلام .

٤ ـ القمّي ٢: ٣٤٣ ؛ بصائر الدرجات: ٥٠٦ ، ذيل الحديث: ٥ ؛ تأويل الآيات الظاهرة: ٦١١ ، عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام .

﴿الشَّمْسُ وَالقَمَرُ بِحُسْبانٍ﴾: يجريان بحساب معلوم مقدَّر في بروجهما ومنازلهما، ويتّسق بذلك أُمور الكائنات، ويختلف الفصول والأوقات، ويعلم السّنون والحساب.

﴿وَالنَّجْمُ﴾: النّبات الّذي يَنْجُمُ، أي: يَطْلَعُ من الأرض ولا ساق له ﴿والشَّجَرُ﴾: والذي له ساق ﴿يَسْجُدانِ﴾: ينقادان للّه فيما يريد بهما طبعاً، انقياد السّاجد من المكلّفين طوعاً.

﴿وَالسَّماءَ رَفَعَها﴾: خلقها مرفوعة محلّاً ومرتبةً فإنّها منشأ أقضيته، ومتنزّل أحكامه، ومحلّ ملائكته. ﴿وَوَضَعَ المِيزانَ﴾: العدل، بأن وفّر على كلّ مستعدٍ مستحقّه، ووفّى كلّ ذي حقّ حقّه، حتّى انتظم أمر العالم واستقام.

و ورد: «بالعدل قامت السّماوات والأرض»[1].

﴿أَلّا تَطْغَوْا فِي المِيزانِ﴾: لئلّا تطغوا فيه، أي: لا تعتدوا ولا تجاوزوا الانصاف.

﴿وَأَقِيمُوا الوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلا تُخْسِرُوا المِيزانَ﴾: ولا تنقصوه، فإنّ مِنْ حقّه أن يسوّى، لأنّه المقصود مِنْ وَضْعه.

ورد: «الميزان أمير المؤمنين عليه السلام، نصبه لخلقه»[2].

قال: «"ألّا تطغوا"، أي: لا تعصوا الإمام»[3].

﴿وَالأَرْضَ وَضَعَها﴾: خفضها مدحوّة ﴿لِلأَنامِ﴾: للخلق.

﴿فِيها فاكِهَةٌ﴾: ضروب ممّا يتفكّه به ﴿وَالنَّخْلُ ذاتُ الأَكْمامِ﴾: أوعية التّمر.

﴿وَالحَبُّ﴾ كالحنطة والشّعير وسائر ما يتغذّى به ﴿ذُو العَصْفِ﴾ قال: «التّبن»[4].

﴿وَالرَّيْحانُ﴾ قال: «ما يؤكل منه»[5].

﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ﴾ قال: «فبأيّ النّعمتين تكفران، بمحمّد أم بعليّ؟!»[6].

١ـ البيضاوي ٥: ١٠٨.

٢ و ٣ـ القمّي ٢: ٣٤٣، عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام.

٤ و ٥ـ القمّي ٢: ٣٤٤، عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام.

٦ـ المصدر: ٣٤٤، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

وفي رواية: «أبالنّبيّ أم بالوصيّ»[١]. والقمّي: في الظّاهر مخاطبة الجنّ والإنس، وفي الباطن فلان وفلان[٢].

﴿خَلَقَ الإنْسانَ مِنْ صَلْصالٍ كَالْفَخّارِ﴾. الصّلصال: الطّين اليابس الّذي له صلصلة. والفخّار: الخزَف[٣]. وقد خلق اللّه آدم من تراب جعله طيناً، ثمّ حمأ مسنوناً، ثمّ صلصالاً؛ فلا تنافي بين ما ورد بكلّ منها.

﴿وَخَلَقَ ٱلْجانَّ﴾: أبا الجنّ ﴿مِنْ مارِجٍ﴾: من صاف من الدّخان ﴿مِنْ نارٍ﴾ بيان لمارج، فإنّه في الأصل للمضطرب.

﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ﴾.

﴿رَبُّ المَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ المَغْرِبَيْنِ﴾: مشرقي الشّتاء والصّيف ومغربيهما. قال: «إنّ مشرق الشّتاء على حدة، ومشرق الصّيف على حدة، أما تعرف ذلك من قُرْبِ الشّمس وبُعْدِها»[٤].

﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ﴾.

﴿مَرَجَ البَحْرَيْنِ﴾: أرسل البحر العذب والبحر الملح ﴿يَلْتَقِيانِ﴾: يتجاوران.

﴿بَيْنَهُما بَرْزَخٌ﴾: حاجز من قدرة اللّه ﴿لا يَبْغِيانِ﴾: لا يبغي أحدهما على الآخر بالممازجة وإبطال الخاصيّة.

﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ﴾.

﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجانُ﴾: كبار الدّرّ وصغاره.

قال: «"يخرج منهما"، يعني من ماء السّماء ومن ماء البحر، فإذا أمطرت فتحت

---

١ ـ الكافي ١: ٢١٧، الحديث: ٢، مرفوعة؛ تأويل الآيات الظاهرة: ٦١٤، مرفوعة عن الصادق عليه السلام.

٢ ـ القمّي ٢: ٣٤٤.

٣ ـ كلّ ما عمل من طين وشوي بالنّار حتّى يكون فخّاراً فهو خَزَفٌ. مجمع البحرين ٥: ٤٤ (خزف).

٤ ـ الاحتجاج ١: ٣٨٦، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

الأصداف أفواهها في البحر فيقع فيها من ماء المطر ، فتخلق اللّؤلؤة الصّغيرة من القطرة الصّغيرة ، واللّؤلؤة الكبيرة من القطرة الكبيرة»[١] .

﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ﴾ .

﴿وَلَهُ الْجَوارِ﴾: السّفن ﴿الْمُنْشَآتُ﴾ قيل: المرفوعات الشّرع[٢] ﴿فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلامِ﴾: كالجبال ؛ جمع عَلَم ، وهو الجبل الطّويل .

﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ﴾ .

﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْها فانٍ﴾: مَنْ على وجه الأرض .

﴿وَيَبْقى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالْإِكْرامِ﴾: ذو الاستغناء المطلق والفضل العامّ ، وذلك لأنّك إذا استقريت جهات الموجودات وتفحّصت وجوهها ، وجدتها بأسرها فانية في حدّ ذاتها إلّا وجه اللّه ، أي: الوجه الّذي يلي جهته .

قال: «إذا أفنى اللّه الأشياء أفنى الصّور والهجاء ، ولا ينقطع ولا يزال من لم يزل عالماً»[٣] .

وفي رواية: «نحن وجه اللّه»[٤] .

وفي أُخرى: «وجه ربّك ، أي: دين ربّك»[٥] .

﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ﴾ .

﴿يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّماواتِ وَالْأَرْضِ﴾ فإنّهم مفتقرون إليه في ذواتهم وصفاتهم وسائر ما يهمّهم ويعنّ لهم . والمراد بالسّؤال ما يدلّ على الحاجة إلى تحصيل الشّيء ، نطقاً

١ ـ قرب الإسناد: ١٣٧ ، الحديث: ٤٨٥ ، عن أبي عبد اللّه ، عن أبيه ، عن أمير المؤمنين عليهم السلام .

٢ ـ البيضاوي ٥: ١٠٩ .

٣ ـ التّوحيد: ١٩٣ ، الباب: ٢٩ ، الحديث: ٧ ، عن الجواد عليه السلام .

٤ ـ التّوحيد: ١٥٠ ، الباب: ١٢ ، الحديث: ٤ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .

٥ ـ القمّي ٢: ٣٤٥ ، منه رحمه الله .

كان أو غيره .

﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ قال: «من إحداث بديع لم يكن»[١] . وفي رواية: «من شأنه أن يغفر ذنباً ويفرّج كرباً ، ويرفع قوماً ويضع آخرين»[٢] . والقمّي: يحيي ويميت ، ويرزق ويزيد وينقص[٣] .

﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ﴾ .

﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّها الثَّقَلانِ﴾ قيل: أي: سنتجرّد لحسابكم وجزائكم أيّها الجنّ والإنس[٤] .

﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ﴾ .

﴿يا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطارِ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ﴾: أن تخرجوا من جوانبها ، هاربين من الله ، فارّين من قضائه ﴿فَانْفُذُوا لا تَنْفُذُونَ﴾: لا تقدرون على النّفوذ ﴿إِلَّا بِسُلْطانٍ﴾: إلّا بقوّة وقهر ، وأنّى لكم ذلك!

ورد: «يحاط على الخلق بالملائكة وبلسان من نار ، ثمّ ينادون بذلك»[٥] .

وفي رواية: «يهبط أهل سبع سماوات ، فتصير الجنّ والإنس في سبع سرادقات من الملائكة ثمّ ينادي منادٍ "يا معشر الجنّ والإنس" الآية ، فينظرون ، فإذا قد أحاط بهم سبعة أطواق من الملائكة»[٦] .

﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ﴾ .

﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُما شُواظٌ مِنْ نارٍ﴾: لهب منها ﴿وَنُحاسٌ﴾: دخان أو صفر مذاب ، يصبّ

١ ـ الكافي ١: ١٤١ ، الحديث: ٧ ، عن أمير المؤمنين عليه السلام .
٢ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٢٠٢ ، عن رسول الله صلى الله عليه وآله .
٣ ـ القمّي ٢: ٣٤٥ .
٤ ـ البيضاوي ٥: ١١٠ .
٥ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٢٠٥ ، في الخبر .
٦ ـ المصدر ، عن أبي عبد الله عليه السلام .

على رؤوسهم. كذا قيل[١]. ﴿فَلا تَنْتَصِرانِ﴾: فلا تمتنعان.

﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ﴾.

﴿فَإِذَا انْشَقَّتِ السَّماءُ فَكانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهانِ﴾ قيل: أي: حمراء كَوَرْدَة، مذابة كالدّهن[٢]. وقيل: الدّهان: الأديم الأحمر[٣].

﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ﴾.

﴿فَيَوْمَئِذٍ لا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلا جانٌّ﴾.

قال: «من اعتقد الحقّ ثمّ أذنب ولم يَتُبْ في الدّنيا، عُذّب عليه في البرزخ، ويخرج يوم القيامة وليس له ذنب يُسأل عنه»[٤].

﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ﴾.

﴿يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيماهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّواصِي وَالْأَقْدامِ﴾.

قال: «كيف يحتاج تبارك وتعالى إلى معرفة خلق أنشأهم وهو خَلَقَهم، لو قام قائمنا أعطاه اللّه السّيماء، فيأمر بالكافرين فيؤخذ بنواصيهم وأقدامهم، ثمّ يخبط بالسّيف خبطاً»[٥].

﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ﴾.

﴿هٰذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ﴾.

﴿يَطُوفُونَ بَيْنَها وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ﴾: ماء حارّ بلغ النّهاية في الحرارة.

﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ﴾.

١ـ البيضاوي ٥: ١١٠.

٢ـ البيضاوي ٥: ١١٠.

٣ـ التّبيان ٩: ٤٧٦.

٤ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٢٠٦، عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام.

٥ـ بصائر الدّرجات: ٣٥٦، الباب: ١٧، الحديث: ٨، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

﴿ وَلِمَنْ خافَ مَقامَ رَبِّهِ جَنَّتانِ ﴾ .

قال: «من علم أنّ اللّه يراه ويسمع ما يقول ويعلم ما يعمله من خير أو شرّ فيحجزه[1] ذلك عن القبيح من الأعمال ، فذلك الّذي خاف مقام ربّه ونهى النّفس عن الهوى»[2] .

و ورد: «من عرضت له فاحشة أو شهوة فاجتنبها من مخافة اللّه عزّوجلّ ؛ حرّم اللّه عليه النّار ، وآمنه من الفزع الأكبر ، وأنجز له ما وعده في كتابه في قوله: "ولمن خاف مقام ربّه جنّتان"»[3] .

﴿ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ ﴾ .

﴿ ذَواتا أَفْنانٍ ﴾: ذواتا ألوان من النّعيم .

﴿ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ ﴾ .

﴿ فِيهِما عَيْنانِ تَجْرِيانِ ﴾ . ﴿ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ ﴾ .

﴿ فِيهِما مِنْ كُلِّ فاكِهَةٍ زَوْجانِ ﴾: صنفان . قيل: غريب ومعهود ، أو رطب ويابس[4] .

﴿ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ ﴾ .

﴿ مُتَّكِئِينَ عَلىٰ فُرُشٍ بَطائِنُها مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ﴾: ديباج ثخين ، فما ظنّك بالظّهائر ﴿ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دانٍ ﴾: مجنيهما قريب ، يناله القاعد والمضطجع .

﴿ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ ﴾ .

﴿ فِيهِنَّ قاصِراتُ الطَّرْفِ ﴾: نساء قصرن أبصارهنّ على أزواجهنّ ، لم يردن غيرهم ﴿ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلا جانٌّ ﴾: لم يمسّ الإنسيّات إنس ، ولا الجنيّات جنّ .

﴿ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ ﴾ .

١ ـ في «ألف»: «فحجزه» .

٢ ـ الكافي ٢: ٧٠ ، الحديث: ١٠ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .

٣ ـ من لا يحضره الفقيه ٤: ٧ ، ذيل الحديث: ١ ، عن أبي عبد اللّه ، عن أبيه ، عن آبائه ، عن أمير المؤمنين عليهم السلام .

٤ ـ البيضاوي ٥: ١١١ .

﴿كَأَنَّهُنَّ الياقُوتُ وَالْمَرْجانُ﴾ في حمرة الوجنة وبياض البَشَرة وصفائهما .

ورد: «إنّ المرأة من أهل الجنّة يُرىٰ مُخُّ ساقِها وراء سبعين حلّة»[1] .

﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ﴾ .

﴿هَلْ جَزاءُ الإِحْسانِ إِلّا الإِحْسانُ﴾ قال: «هل جزآء من أنعمنا عليه بالتّوحيد إلّا الجنّة»[2] . وفي رواية: «مَنْ أنعمتُ عليه بالمعرفة»[3] . وفي أُخرى: «هل جزاء من قال: لا إله إلّا الله إلّا الجنّة»[4] . و ورد: «إنّ هذه الآية جرت في الكافر والمؤمن ، والبرّ والفاجر ، من صَنَعَ إليه معروف فعليه أن يكافئ به ، وليس المكافاة أن تصنع كما صنع حتّى تربي ، فإن صنعت كما صنع كان له الفضل بالابتداء»[5] .

﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ﴾ .

﴿وَمِنْ دُونِهِما جَنَّتانِ﴾ . ﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ﴾ .

﴿مُدْهامَّتانِ﴾ .

﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ﴾ ومن دون تَيْنك الجنّتين ـ الموعودتين للخائفين مقام ربّهم ـ جنّتان لمن دونهما ، خضراوان تضربان إلى السّواد .

ورد: «جنّتان من فضّة أبنيتهما وما فيهما ، وجنّتان من ذهب أبنيتهما وما فيهما»[6] .

قيل له: النّاس يتعجّبون إذا قلنا: يخرج قوم من النّار فيدخلون الجنّة! فيقولون لنا:

١ ـ الكافي ٨: ٩٩ ، ذيل الحديث: ٦٩ ، عن أبي جعفر عليه السلام ، عن رسول الله صلى الله عليه وآله ؛ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٢٠٨ ، في الحديث .

٢ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٢٠٨ ، عن رسول الله صلى الله عليه وآله .

٣ ـ التّوحيد: ٢٨ ، الباب: ١ ، الحديث: ٢٩ ، عن موسى الكاظم ، عن آبائه ، عن أمير المؤمنين عليهم السلام ؛ القمّي ٢: ٣٤٥ .

٤ ـ علل الشّرائع ١: ٢٥١ ، الباب: ١٨٢ ، الحديث: ٨ ، عن حسن بن عليّ ، عن أمير المؤمنين عليهما السلام ، عن رسول الله صلى الله عليه وآله .

٥ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٢٠٨ ، عن أبي عبد الله عليه السلام .

٦ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٢١٠ ، عن رسول الله صلى الله عليه وآله ، وفيه: «آنيتهما» .

فيكونون مع أولياء الله في الجنّة؟ فقال عليه السلام: «إن الله يقول: "ومن دونهما جنّتان" لا والله ما يكونون مع أولياء الله»[١].

و ورد: «لا تقولنّ: الجنّة واحدة، إنّ الله يقول: "ومن دونهما جنّتان" ولا تقولنّ: درجة واحدة، إنّ الله يقول: "دَرَجاتٌ بَعْضُهَا فوقَ بَعْضٍ"[٢]، إنّما تفاضل القوم بالأعمال»[٣].

وفي رواية: سئل عن هذه الآية، قال: «خضراوان في الدّنيا، يأكل المؤمنون منهما حتّى يفرغ من الحساب»[٤]. وفي أُخرى: «يتّصل[٥] ما بين مكّة والمدينة نخلاً»[٦].

﴿فِيهِما عَيْنانِ نَضّاخَتانِ﴾: فوّارتان. قال: «تفوران»[٧].

﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ﴾.

﴿فِيهِما فاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمّانٌ﴾ قيل: عطفهما على الفاكهة لفضلهما، فإنّ ثمرة النّخل فاكهة وغذاء، والرّمان فاكهة ودواء[٨].

ورد: «الفاكهة مائة وعشرون لوناً، سيّدها الرّمان»[٩].

وفي رواية: «خمس من فواكه الجنّة في الدّنيا: الرّمان الأمليسيّ، والتّفاح الشّيسقان[١٠]، والسّفرجل، والعنب الرّازقي، والرّطب المُشان»[١١].

﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ﴾.

١ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٢١٠، عن أبي عبد الله عليه السلام.
٢ ـ اقتباس من الآية: ٢١ من سورة الإسراء، والآية: ٤ من سورة الأنفال، والآية: ٣٢ من سورة الزّخرف.
٣ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٢١٠، عن أبي عبد الله عليه السلام.
٤ ـ القمّي ٢: ٣٤٥، عن أبي عبد الله عليه السلام.
٥ ـ في «ب» و«ج»: «متّصل».
٦ و ٧ ـ القمّي ٢: ٣٤٦، عن أبي عبد الله عليه السلام.
٨ ـ البيضاوي ٥: ١١١.
٩ ـ الكافي ٦: ٣٥٢، الحديث: ٢، عن أبي عبد الله عليه السلام.
١٠ ـ وفي الأمالي (للشّيخ الطّوسي) ١: ٣٧٩: الشّعشماني، يعني الشّامي.
١١ ـ الكافي ٦: ٣٤٩، الحديث: ١، عن أبي عبد الله عليه السلام.

﴿فِيهِنَّ خَيْراتٌ حِسانٌ﴾ قال: «نساء خيرات الأخلاق، حسان الوجوه»[١].

و ورد: «هنّ من نساء أهل الدّنيا، وهنّ أجمل من الحور العين»[٢].

وفي رواية: «هنّ جوار نابتات على شطّ الكوثر، كلّما قلعت منها واحدة نبتت مكانها أُخرى»[٣].

﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ﴾.

﴿حُورٌ مَقْصُوراتٌ فِي الْخِيامِ﴾ قال: «الحور هنّ البيض المضمرات المخدّرات، في خيام الدّرّ والياقوت والمرجان؛ لكلّ خيمة أربعة أبواب، على كلّ باب سبعون كاعباً حجّاباً لهنّ، ويأتيهنّ في كلّ يوم كرامة من اللّه عزّ ذكره، يبشّر اللّه عزّوجلّ بهنّ المؤمنين»[٤].

والقمّي: مقصورات: يقصر الطّرف عنها[٥].

و ورد: «الخيمة. درّة واحدة طولها في السّماء ستّون ميلاً، في كلّ زاوية منها أهل للمؤمن لا يراه الآخرون»[٦].

﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ﴾.

﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلا جانٌّ﴾. ﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ﴾.

﴿مُتَّكِئِينَ عَلىٰ رَفْرَفٍ﴾: وسائد أو نمارق أو بسط ﴿خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسانٍ﴾

١ـ مجمع البيان ٩ـ ١٠: ٢١١، عن رسول اللّه صلى الله عليه وآله.
٢ـ من لا يحضره الفقيه ٣: ٢٩٩، الحديث: ١٤٣٢، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.
٣ـ القمّي ٢: ٣٤٦، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.
٤ـ الكافي ٨: ١٥٦، الحديث: ١٤٧، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.
٥ـ القمّي ٢: ٣٤٦.
٦ـ مجمع البيان ٩ـ ١٠: ٢١١، عن رسول اللّه صلى الله عليه وآله.

قيل: زرابيّ[١]، وقيل: كلّ ثوب موشّي[٢] فهو عبقريّ[٣]، وقيل: الدّيباج[٤]، وقيل: منسوب إلى عبقر، تزعم العرب أنّه اسم بلد الجنّ، فينسبون إليه كلّ شيء عجيب، أُريد به الجنس، أو هو جمع[٥].

﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ﴾.

﴿تَبارَكَ اسْمُ رَبِّكَ﴾ فما ظنّك بذاته ﴿ذِي الجَلالِ وَالإِكْرامِ﴾ قال: «نحن جلال الله وكرامته، الّتي أكرم الله العباد بطاعتنا ومحبّتنا»[٦].



١ ـ التّبيان ٩: ٤٨٦، عن ابن عبّاس وسعيد بن جبير وقتادة. الزّرابيّ: البُسُط. زرابيّ النّبت إذا اصفرّ واحمرّ وفيه خُضرة. فلمّا رأوا الألوان في البُسُط والفُرُش شبّهوها بزرابيّ النّبت. وكذلك العبقريّ من الثّياب والفُرُش. لسان العرب ١: ٤٤٧ (زرب).

٢ ـ وشَيْتُ الثّوبَ وَشْياً: رَقَمْتُهُ ونَقَشْتُهُ فهو موشيّ ومُوَشّىً. الصّحاح ٦: ٢٥٢٤؛ المصباح المنير ٢: ٣٨١ (وشي).

٣ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٢١١، عن القتيبي.

٤ ـ التّبيان ٩: ٤٨٦، عن مجاهد.

٥ ـ الكشّاف ٤: ٥٠؛ البيضاوي ٥: ١١٢.

٦ ـ القمّي ٢: ٣٤٦، عن أبي جعفر عليه السلام، ولم ترد فيه كلمة «ومحبّتنا».

سورة الواقعة

[مكيّة، وهي ستّ وتسعون آية][1]

بسم اللّه الرّحمٰن الرّحيم

﴿إذا وَقَعَتِ الواقِعَةُ﴾ قال: «يعني القيامة»[2].

﴿لَيْسَ لِوَقْعَتِها كاذِبَةٌ﴾: نفس كاذبة. القمّي: القيامة هي حقّ[3].

﴿خافِضَةٌ رافِعَةٌ﴾ قال: «خفضت واللّه بأعداء اللّه إلى النّار، ورفعت واللّه أولياء اللّه إلى الجنّة»[4].

﴿إذا رُجَّتِ الأرْضُ رَجّاً﴾: تحرّكت تحرّكاً شديداً. القمّي: يدقّ بعضها على بعض[5].

﴿وَبُسَّتِ الجِبالُ بَسّاً﴾: فُتّتت كالسّويق الملتوت. القمّي: قلعت قَلْعاً[6].

﴿فَكانَتْ هَباءً مُنْبَثّاً﴾: غباراً منتشراً.

١ ـ ما بين المعقوفتين من «ب».

٢ ـ الخصال ١: ٦٤، الحديث: ٥، عن عليّ بن الحسين عليهما السلام.

٣ ـ القمّي ٢: ٣٤٦.

٤ ـ الخصال ١: ٦٤، الحديث: ٥، عن عليّ بن الحسين عليهما السلام.

٥ و ٦ ـ القمّي ٢: ٣٤٦.

﴿وَكُنْتُمْ أَزْواجاً﴾: أصنافاً ﴿ثَلاثَةً﴾.

﴿فَأَصْحابُ الْمَيْمَنَةِ ما أَصْحابُ الْمَيْمَنَةِ﴾. القمّي: هم المؤمنون من أصحاب التّبعات، يوقفون للحساب[١].

﴿وَأَصْحابُ الْمَشْأَمَةِ ما أَصْحابُ الْمَشْأَمَةِ﴾. ﴿وَالسّابِقُونَ السّابِقُونَ﴾.

﴿أُولئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾.

﴿فِي جَنّاتِ النَّعِيمِ﴾ القمّي: هم الّذين سبقوا إلى الجنّة بغير حساب[٢].

ورد: «هم رسل اللّه وخاصّة اللّه من خلقه، جعل فيهم خمسة أرواح: أيّدهم بروح القدس، فيه عرفوا الأشياء؛ وأيّدهم بروح الإيمان، فبه خافوا اللّه عزّوجلّ؛ وأيّدهم بروح القوّة، فبه قدروا على طاعة اللّه؛ وأيّدهم بروح الشّهوة، فبه اشتهوا طاعة اللّه عزّوجلّ وكرهوا معصيته؛ وجعل فيهم روح المدرج الّذي به يذهب النّاس ويجيئون. وجعل في المؤمنين ـ أصحاب الميمنة ـ روح الإيمان، فبه خافوا اللّه؛ وجعل فيهم روح القوّة، فبه قوّوا[٣] على طاعة اللّه؛ وجعل فيهم روح الشّهوة، فبه اشتهوا طاعة اللّه؛ وجعل فيهم روح المدرج الّذي به يذهب النّاس ويجيئون»[٤].

﴿ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ﴾ أي: هم كثير من الأوّلين، يعني الأمم السّالفة من لدن آدم إلى محمّد صلّى اللّه عليه وآله.

﴿وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾ يعني أُمّة محمّد صلّى اللّه عليه وآله.

﴿عَلى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ﴾: منسوجة بالذّهب، مشبّكة بالدّرّ والياقوت.

﴿مُتَّكِئِينَ عَلَيْها مُتَقابِلِينَ﴾.

﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ﴾ للخدمة ﴿وِلْدانٌ مُخَلَّدُونَ﴾ القمّي: أي: مسوّرون[٥]. وقيل: أي:

١ ـ ٢ ـ القمّي ٢: ٣٤٦.

٣ ـ في المصدر: «قدروا».

٤ ـ الكافي ١: ٢٧١، الحديث: ١، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٥ ـ القمّي ٢: ٣٤٨.

مبقون أبداً على هيئة الولدان وطراوتهم[١] . ورد: «هم أولاد أهل الدّنيا»[٢] . وسئل عن أطفال المشركين ، قال: «هم خدم أهل الجنّة»[٣] .

﴿ بِأَكْوابٍ وَأَبارِيقَ ﴾ . الكوب: إناء لا عروة له ولا خرطوم ، والإبريق: إنـاء له ذلك .

﴿ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ ﴾: خمر .

﴿ لا يُصَدَّعُونَ عَنْها ﴾ لخمار ﴿ وَلا يُنْزِفُونَ ﴾: ولا ينزف عقولهم ، أو لاينفد شرابهم .

﴿ وَفاكِهَةٍ مِمّا يَتَخَيَّرُونَ ﴾: ممّا يختارون .

﴿ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمّا يَشْتَهُونَ ﴾: يتمنّون . ورد: «سيّد إدام الجنّة اللّحم»[٤] .

﴿ وَحُورٌ عِينٌ ﴾ . ﴿ كَأَمْثالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ ﴾ . ﴿ جَزاءً بِما كانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ .

﴿ لا يَسْمَعُونَ فِيها لَغْواً ﴾: باطلاً ﴿ وَلا تَأْثِيماً ﴾: ولا نسبة إلى الإثم . القمّي: الفحش والكذب والغناء[٥] .

﴿ إِلّا قِيلاً سَلاماً سَلاماً ﴾: يكون السّلام بينهم فاشياً .

﴿ وَأَصْحابُ الْيَمِينِ ما أَصْحابُ الْيَمِينِ ﴾ .

﴿ فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ ﴾: مقطوع الشّوك .

﴿ وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ ﴾: وشجر موز نضد حمله من أسفله إلى أعلاه . وفي قراءتهم عليهم السلام: «وطلع منضود»[٦] . قال: «بعضه إلى بعض»[٧] .

﴿ وَظِلٍّ مَمْدُودٍ ﴾ . ورد: «إنّ في الجنّة شجرة يسير الرّاكب في ظلّها مائة سنة

١ ـ البيضاوي ٥: ١١٣ .
٢ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٢١٦ ، عن أمير المؤمنين عليه السلام .
٣ ـ المصدر ، عن رسول الله صلى الله عليه وآله .
٤ ـ الكافي ٦: ٣٠٨ ، الحديث: ٣ ، عن أبي عبد الله عليه السلام ، عن رسول الله صلى الله عليه وآله .
٥ ـ القمّي ٢: ٣٤٨ .
٦ ـ القمّي ٢: ٣٤٨ ، عن أبي عبد الله عليه السلام ؛ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٢١٨ ، عن أمير المؤمنين عليه السلام .
٧ ـ القمّي ٢: ٣٤٨ ، عن أبي عبد الله عليه السلام .

لايقطعها. اقرأوا إن شئتم: "وظلّ ممدود"»[١].

قال: «ويتنعّمون في جنّاتهم[٢] في ظلّ ممدود، في مثل ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشّمس وأطيب من ذلك»[٣].

وروي: «إنّ أوقات الجنّة كغدوات الصّيف، لا يكون فيه حرّ ولا برد»[٤].

﴿وَماءٍ مَسْكُوبٍ﴾ القمّي: أي: مرشوش[٥].

﴿وَفاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ﴾.

﴿لا مَقْطُوعَةٍ وَلا مَمْنُوعَةٍ﴾. سُئل: من أين؟ قالوا: إنّ أهل الجنّة، يأتي الرّجل منهم إلى ثمرة يتناولها فإذا أكلها عادت كهيئتها، قال: «نعم، ذلك على قياس السّراج؛ يأتي القابس فيقتبس منه فلا ينقص من ضوئه شيئاً، وقد امتلأت منه الدّنيا سراجاً»[٦].

وفي رواية: سئل عن هذه الآية، فقال: «واللّه ليس حيث يذهب النّاس، إنّما هو العالم وما يخرج منه»[٧].

﴿وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ﴾ «بعضها فوق بعض، من الحرير والدّيباج بألوان مختلفة، وحشوها المسك والعنبر والكافور» كما ورد[٨]. وربّما تفسّر بالنّساء وارتفاعهنّ على الأرائك، أو في جمالهنّ وكمالهنّ، بدليل ما بعدها.

﴿إِنَّا أَنْشَأْناهُنَّ إِنْشاءً﴾ أي: ابتدأناهنّ ابتداءً من غير ولادة. القمّي: الحور العين في

١ـ مجمع البيان ٩ـ ١٠: ٢١٨.

٢ـ في «ج»: «جنانهم».

٣ـ الكافي ٨: ٩٩، قطعة من حديث: ٦٩، عن أبي جعفر عليه السلام، عن رسول اللّه صلى الله عليه وآله.

٤ـ مجمع البيان ٩ـ ١٠: ٢١٨.

٥ـ القمّي ٢: ٣٤٨.

٦ـ الاحتجاج ٢: ٩٩، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٧ـ بصائر الدّرجات: ٥٠٥، الباب: ١٧، الحديث: ٣، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٨ـ الكافي ٨: ٩٧، قطعة من حديث: ٦٩؛ القمّي ٢: ٢٤٦، ذيل الآية: ٢٠ من سورة الزّمر، عن أبي عبد اللّه عليه السلام، عن رسول اللّه صلى الله عليه وآله.

الجنّة[1].

﴿فَجَعَلْناهُنَّ أَبْكاراً﴾ يعني دائماً وفي كلّ إتيان.

سُئل: كيف تكون الحوراء في كلّ ما أتاها زوجها عذراء؟ قال: «خلقت من الطّيب لايعتريها عاهة، ولا يخالط جسمها آفة، ولا يجري في ثقبها شيء، ولا يدنّسها حيض، فالرّحم ملتزقة؛ إذ ليس فيه لسوى الإحليل مجرى»[2].

﴿عُرُباً﴾ قال: «العروبة هي الغَنِجة[3] الرّضيّة الشّهيّة»[4]. والقمّي: يتكلّمن بالعربيّة[5]. وربّما تفسّر بالمتحنّنات على أزواجهنّ المتحبّبات إليهم.

﴿أَتْراباً﴾ القمّي: يعني مستويات الأسنان[6].

ورد: «على كلّ سرير أربعون فراشاً غلظ، كلّ فراش أربعون ذراعاً، على كلّ فراش زوجة من الحور العين، عرباً أتراباً»[7].

وفي رواية: «هنّ اللّواتي قبضن في دار الدّنيا عجائز شَمْطاء[8] رَمْصاء[9]، جعلهنّ اللّه بعد الكبر أتراباً، على ميلاد واحد في الاستواء، كلّما أتاهنّ أزواجهنّ وجدوهنّ أبكاراً»[10].

﴿لِأَصْحابِ الْيَمِينِ﴾: أنشأناهنّ لهم.

١ ـ القمّي ٢: ٣٤٨.

٢ ـ الاحتجاج ٢: ٩٩، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٣ ـ الغُنْج في الجارية: تكسّرٌ وتدلّلٌ. لسان العرب ٢: ٣٣٧ (غنج).

٤ ـ مجمع البيان ١ ـ ٢: ٥٣٨، عن أبي الحسن الرّضا، عن الحسين بن عليّ، عن أمير المؤمنين عليهم السلام.

٧ و ٨ ـ القمّي ٢: ٣٤٨.

٧ ـ مجمع البيان ١ ـ ٢: ٥٣٨، عن أبي الحسن الرّضا، عن الحسين بن عليّ، عن أمير المؤمنين، عن رسول اللّه صلوات اللّه عليهم.

٨ ـ الشَّمَطُ: بياض شَعْر الرأس يخالط سواده. والرجل: أشْمَط، والمرأة: شَمْطاء. الصّحاح ٣: ١١٣٨.

٩ ـ وهو البياض الذي تَقْطَعه العين ويجتمع في زوايا الأجفان، والرَّمَص: الرَّطْب منه، والغَمَص: اليابس. النّهاية ٢: ٢٦٣ (رمص).

١٠ ـ جوامع الجامع: ٤٧٨؛ الكشّاف ٤: ٥٤، عن رسول اللّه صلى الله عليه وآله.

﴿ثُلَّةٌ مِنَ الأَوَّلِينَ﴾ القمّي: من الطّبقة الّتي كانت مع النّبيّ صلى الله عليه وآله[١].

﴿وَثُلَّةٌ مِنَ الآخِرِينَ﴾ بعد النّبيّ من هذه الأُمّة، ويؤيّده ما ورد: «إنّ جميع الثُّلّتين من أُمّتي»[٢].

وقيل: بل الأوّلين الأُمم الماضية، والآخرين هذه الأُمّة[٣]. ويؤيّده ما ورد: «ثلّة من الأوّلين: حزقيل مؤمن آل فرعون. وثلّة من الآخرين: عليّ بن أبي طالب عليه السلام»[٤].

و ورد: «أهل الجنّة مائة وعشرون صفّاً، هذه الأُمّة منها ثمانون صفّاً»[٥].

﴿وَأَصْحَابُ الشِّمالِ ما أَصْحابُ الشِّمالِ﴾.

﴿فِي سَمُومٍ﴾: في حرّ نار ينفذ في المسامّ ﴿وَحَمِيمٍ﴾: ماء متناه في الحرارة.

﴿وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ﴾: من دخان أسود.

﴿لا بارِدٍ﴾ كسائر الظّلّ ﴿وَلا كَرِيمٍ﴾: ولا نافع. القمّي: السّموم: اسم النّار. والحميم: ماء قد حمي. "وظلّ من يحموم": ظلمة شديدة الحرّ. "لا بارد ولا كريم": ليس بطيّب[٦].

﴿إِنَّهُمْ كانُوا قَبْلَ ذلِكَ مُتْرَفِينَ﴾: منهمكين في الشّهوات.

﴿وَكانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنْثِ الْعَظِيمِ﴾: الذّنب العظيم. قيل: يعني الشّرك[٧].

﴿وَكانُوا يَقُولُونَ أَئِذا مِتْنا وَكُنّا تُراباً وَعِظاماً أَإِنّا لَمَبْعُوثُونَ﴾. ﴿أَوَ آباؤُنَا الأَوَّلُونَ﴾. ﴿قُلْ إِنَّ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ﴾.

﴿لَمَجْمُوعُونَ إِلى مِيقاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ﴾: إلى ما وقّت به الدّنيا؛ من يوم معيّن عند

١ـ القمّي ٢: ٣٤٩.

٢ـ مجمع البيان ٩ـ ١٠: ٢١٩، عن رسول الله صلى الله عليه وآله.

٣ـ تفسير القرآن العظيم ٤: ٣٠٤، عن مجاهد والحسن البصري.

٤ـ القمّي ٢: ٣٤٨، عن أبي عبد الله عليه السلام.

٥ـ الخصال ٢: ٦٠١، الحديث: ٥، عن رسول الله صلى الله عليه وآله؛ وفيه: «عشرون ومائة صنف».

٦ـ القمّي ٢: ٣٤٩.

٧ـ التّبيان ٩: ٥٠٠، مجمع البيان ٩ـ ١٠: ٢٢١، عن الحسن والضّحّاك وابن زيد.

اللّه ، معلوم له .

﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّها الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ﴾ بالبعث .

﴿لَآكِلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زَقُّومٍ﴾ .

﴿فَمالِئُونَ مِنْها الْبُطُونَ﴾ من شدّة الجوع .

﴿فَشارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ﴾ لغلبة العطش .

﴿فَشارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ﴾ قال: «الابل»[١] . قيل: يعني الابل الّتي بها الهيام ، وهي داء يشبه الاستسقاء[٢] . وفي رواية: «الهيم: الرّمل»[٣] . قيل: أي: الرّمل الّذي لايتماسك[٤] .

﴿هٰذا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ﴾ قيل: النّزل ما يعدّ للنّازل تكرمة له ؛ وفيه تهكّم بهم[٥] . وقيل: النّزل: ما ينزل عليه صاحبه[٦] . والقمّي: هذا ثوابهم يوم المجازاة[٧] .

﴿نَحْنُ خَلَقْناكُمْ فَلَوْلا تُصَدِّقُونَ﴾ .

﴿أَفَرَأَيْتُمْ ما تُمْنُونَ﴾: ما تقذفونه في الأرحام من النّطف ﴿أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ﴾: تجعلونه بشراً سويّاً . ﴿أَمْ نَحْنُ الْخالِقُونَ﴾

﴿نَحْنُ قَدَّرْنا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ﴾: قسمناه عليكم ، واقّتنا موت كلّ بوقت معين ﴿وَما نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾: بمغلوبين .

﴿عَلىٰ أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثالَكُمْ﴾: أن نبدّل منكم أشباهكم فنخلق بدلكم ﴿وَنُنْشِئَكُمْ فِي ما لاتَعْلَمُونَ﴾: في نشأة لاتعلمونها .

١ ـ من لا يحضره الفقيه ٣: ٢٢٣ ، الحديث: ١٠٤١ ؛ التهذيب ٩: ٩٤ ، الحديث: ٤١٠ ؛ معاني الأخبار: ١٥٠ ، الحديث: ٣ ؛ المحاسن ٢: ٥٧٦ ، الباب: ٧ ، الحديث: ٣٣ و ٣٤ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .

٢ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٢٢١ ، عن ابن عباس وعكرمة وقتادة ؛ البيضاوي ٥: ١١٤ .

٣ ـ معاني الأخبار: ١٥٠ ، ذيل الحديث: ٣ ؛ المحاسن ٢: ٥٧٧ ، الباب: ٧ ، الحديث: ٣٦ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .

٤ و ٥ ـ الكشّاف ٤: ٥٦ ؛ البيضاوي ٥: ١١٤ .

٦ ـ التّبيان ٩: ٥٠٢ ؛ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٢٢١ .

٧ ـ القمّي ٢: ٣٤٩ .

﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الأُولىٰ فَلَوْلا تَذَكَّرُونَ﴾ إنّ من قدَرَ عليها قدَرَ على النّشأة الأُخرى.

ورد: «العجب كلّ العجب لمن أنكر النّشأة الآخرة وهو يرى النّشأة الأُولى»[١].

﴿أَفَرَأَيْتُمْ ما تَحْرُثُونَ﴾: تبذرون حبّه.

﴿أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ﴾: تنبتونه ﴿أَمْ نَحْنُ الزّارِعُونَ﴾. ورد: «لا يقولنّ أحدكم: زَرَعْتُ، وليقل: حَرَثْتُ»[٢].

﴿لَوْ نَشاءُ لَجَعَلْناهُ حُطاماً﴾: هشيماً ﴿فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾: تتحدّثون فيه تعجّباً وتندّماً على ما أنفقتم فيه. والتفكّه: التنقّل بصنوف الفاكهة، وقد استعير للتنقّل بالحديث.

﴿إِنّا لَمُغْرَمُونَ﴾: لملزمون غرامة ما أنفقنا، أو مهلكون لهلاك رزقنا من الغرام.

﴿بَلْ نَحْنُ﴾ قوم ﴿مَحْرُومُونَ﴾: حرمنا رزقنا.

﴿أَفَرَأَيْتُمُ الماءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ﴾.

﴿أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ المُزْنِ﴾: من السّحاب ﴿أَمْ نَحْنُ المُنْزِلُونَ﴾ بقدرتنا.

﴿لَوْ نَشاءُ جَعَلْناهُ أُجاجاً﴾: زُعاقاً[٣] ﴿فَلَوْلا تَشْكُرُونَ﴾.

﴿أَفَرَأَيْتُمُ النّارَ الَّتِي تُورُونَ﴾: تقدحون.

﴿أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَها﴾ يعني الشّجرة الّتي منها الزّناد ﴿أَمْ نَحْنُ المُنْشِئُونَ﴾.

﴿نَحْنُ جَعَلْناها تَذْكِرَةً﴾ لنار يوم القيامة.

ورد: «إنّ ناركم هذه جزء من سبعين جزءاً من نار جهنّم، وقد اطفئت سبعين مرّة بالماء ثمّ التهبت، ولولا ذلك ما استطاع آدميّ أن يطفئها، وإنّها لتؤتى يوم القيامة حتّى توضع على النّار، فتصرخ صرخة لا يبقى ملك مقرّب ولا نبيّ مرسل إلّا جثا على ركبتيه، فزعاً من

١ ـ الكافي ٣: ٢٥٨، الحديث: ٢٨، عن عليّ بن الحسين عليهما السلام.

٢ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٢٢٣، عن رسول الله صلى الله عليه وآله.

٣ ـ الزُّعاق: ماءٌ مُرٌّ غليظ. كتاب العين ١: ١٣٣ (زعق).

صرختها»[1].

﴿وَمَتاعاً لِلْمُقْوِينَ﴾: ومنفعة للّذين ينزلون القواء، وهي القفر؛ أو الّذين خلت بطونهم أو مزاودهم من الطّعام. القمّي: المحتاجين[2].

﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾: فاحدث التّسبيح بذكر اسمه.

ورد: «لمّا نزلت قال النبيّ صلّى الله عليه وآله: اجعلوها في ركوعكم»[3].

﴿فَلا أُقْسِمُ بِمَواقِعِ النُّجُومِ﴾: بمساقطها. القمّي: معناه: فأُقسم بمواقع النّجوم[4].

﴿وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾.

ورد: «إنّ مواقع النّجوم: رجومها للشّياطين، وكان المشركون يقسمون بها. فقال سبحانه: فلا أُقسم بها»[5]. وزاد في رواية: «عظم أمر من يحلف بها»[6].

وفي أُخرى: «يعني به اليمين بالبراءة من الأئمّة عليهم السلام، يحلف بها الرّجل؛ أنّ ذلك عند الله عظيم»[7].

﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾: كثير النّفع، لاشتماله على أُصول العلوم المهمّة في إصلاح المعاش والمعاد.

﴿فِي كِتابٍ مَكْنُونٍ﴾: مصون، وهو اللّوح.

﴿لا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾: لا يطّلع عليه إلّا المطهّرون من الكدورات البشريّة، أو

١ ـ القمّي ١: ٣٦٦، ذيل الآية: ٣٥ من سورة الرّعد، عن أبي عبد الله عليه السلام.

٢ ـ القمّي ٢: ٣٤٩.

٣ ـ من لايحضره الفقيه ١: ٢٠٧، الحديث: ٩٣٢، عن أبي عبدالله عليه السلام، عن رسول الله صلّى الله عليه وآله؛ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٢٢٤، عن رسول الله صلّى الله عليه وآله.

٤ ـ القمّي ٢: ٣٤٩.

٥ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٢٦٦، عن أبي جعفر وعن أبي عبد الله عليهما السلام.

٦ ـ الكافي ٧: ٤٥٠، الحديث: ٤، عن أبي عبد الله عليه السلام.

٧ ـ من لا يحضره الفقيه ٣: ٢٣٧، الحديث: ١١٢٣، عن أبي عبد الله عليه السلام.

لا يمسّه إلّا المطهّرون من الأحداث .

ويؤيّد الأوّل قول أمير المؤمنين عليه السلام حين جمع القرآن وطلبوا منه أن يخرجه بعد ما حرّفوا ما عندهم منه ، فقال: «إنّ القرآن الذي عندي لا يمسّه إلّا المطهّرون والأوصياء من ولدي ، إذا قام القائم من ولدي يظهره ويحمل النّاس عليه ، فتجري به السّنّة»[١] .

ويؤيّد الثّاني ما ورد: «المصحف لا تمسّه على غير طهور ولا جنباً ، ولا تمسّ خيطه[٢] ولا تعلّقه ، إنّ اللّه تعالى يقول: "لا يمسّه إلّا المطهّرون"»[٣] .

﴿تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ العالَمِينَ﴾ .

﴿أَفَبِهٰذا الحَدِيثِ أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ﴾: متهاونون .

﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ﴾ أي: شكر رزقكم ﴿أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ . في قراءتهم عليهم السلام «وتجعلون شكركم»[٤] . قال: «وكانوا إذا مطروا قالوا: أمطرنا بنوء[٥] كذا وكذا ، قال: فأنزل اللّه: "وتجعلون شكركم أنّكم تكذّبون"»[٦] .

﴿فَلَوْلا إِذا بَلَغَتِ الحُلْقُومَ﴾ أي: النّفس .

﴿وَأَنْتُمْ حِينَئِذٍ تَنْظُرُونَ﴾ . الخطاب لِمَنْ حول المحتضر .

﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ﴾ أي: إلى المحتضر ﴿مِنْكُمْ وَلٰكِنْ لا تُبْصِرُونَ﴾ .

﴿فَلَوْلا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ﴾ غير مجزيين يوم القيامة ، أو غير مملوكين مقهورين .

﴿تَرْجِعُونَها﴾: ترجعون النّفس إلى مقرّها ﴿إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ﴾ في تكذيبكم وتعطيلكم . والمعنى: إن كنتم غير مملوكين مجزيين ، كما دلّ عليه جحدكم أفعال اللّه

١ ـ الاحتجاج ١: ٢٢٨ ، عن أمير المؤمنين عليه السلام .

٢ ـ في الاستبصار و«ب»: «خطّه» .

٣ ـ الاستبصار ١: ١١٤ ، الحديث: ٣٧٨ ؛ التّهذيب ١: ١٢٧ ، الحديث: ٣٤٤ ، عن أبي الحسن الكاظم عليه السلام .

٤ ـ القمّي ٢: ٣٥٠ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام ؛ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٢٢٤ ، عن رسول اللّه صلى الله عليه وآله .

٥ ـ مرّت ترجمته في ذيل الآية: ٥٠ من سورة الفرقان ، ج٢ ص١٣٧ .

٦ ـ القمّي ٢: ٣٤٩ ، عن أمير المؤمنين عليه السلام ، عن رسول اللّه صلى الله عليه وآله .

وتكذيبكم بآياته. فلولا ترجعون نفس من يَعِزُّ عليكم إلى بدنه بعد بلوغها الحلقوم.

﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ أي: إن كان المتوفّى من السّابقين.

﴿فَرَوْحٌ﴾: فله استراحة. وفي قراءتهم عليهم السلام: «فَرُوح» بالضّمّ[1]. وفسّر بالرّحمة والحياة الدّائمة[2]. ﴿وَرَيْحَانٌ﴾: ورزق طيّب ﴿وَجَنَّةُ نَعِيمٍ﴾: ذات تنعّم. قال: «"فروح وريحان" يعني في قبره، "وجنّة نعيم" يعني في الآخرة»[3].

﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾.

﴿فَسَلَامٌ لَكَ﴾ يا صاحب اليمين ﴿مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾ أي: من إخوانك يسلّمون عليك. كذا قيل[4].

و ورد: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله لعليّ عليه السلام: «هم شيعتك، فسلم ولدك منهم أن يقتلوهم»[5].

﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ﴾ يعني من أصحاب الشّمال، وإنّما وصفهم بأفعالهم زجراً عنها، وإشعاراً بما أوجب لهم ما أوعد به. قال: «فهؤلاء: المشركون»[6].

والقمّي: أعداء آل محمّد صلّى الله عليه وآله[7].

﴿فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ﴾ قال: «يعني في قبره»[8].

١ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٢٢٧، عن رسول الله صلّى الله عليه وآله، وعن أبي جعفر عليه السلام.

٢ـ الكشّاف ٤: ٦٠؛ البيضاوي ٥: ١١٥.

٣ـ الأمالي (للصّدوق): ٢٣٩، المجلس: ٤٨، الحديث: ١٢، عن الكاظم، عن أبي عبد الله عليه السلام؛ و٣٨٣، المجلس: ٧٢، الحديث: ١١؛ القمّي ٢: ٣٥٠، عن أبي عبد الله عليه السلام.

٤ـ الكشّاف ٤: ٦٠؛ البيضاوي ٥: ١١٥.

٥ـ الكافي ٨: ٢٦٠، الحديث: ٣٧٣، عن أبي عبد الله عليه السلام، عن رسول الله صلّى الله عليه وآله.

٦ـ الكافي ٢: ٣٠، قطعة من حديث: ١، عن أبي جعفر عليه السلام.

٧ـ القمّي ٢: ٣٥٠.

٨ـ الأمالي (للصّدوق): ٢٣٩، المجلس: ٤٨، الحديث: ١٢، عن الكاظم، عن أبي عبد الله عليه السلام؛ القمّي ٢: ٣٥٠، عن أبي عبد الله عليه السلام.

﴿وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ﴾ قال: «يعني في الآخرة»[1].

﴿إِنَّ هٰذا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ﴾.

﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ فنزّهه عمّا لا يليق بعظمة شأنه.



١ـ الأمالي (للصّدوق): ٢٣٩، المجلس: ٤٨، الحديث: ١٢، عن الكاظم، عن أبي عبد الله عليه السلام؛ القمّي ٢: ٣٥٠، عن أبي عبد الله عليه السلام.

سورة الحديد

[مدنيّة، وهي تسع وعشرون آية][1]

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم

﴿سَبَّحَ لِلّٰهِ ما فِي السَّمٰواتِ وَالأَرْضِ﴾ أتى بصيغة الماضي في بعض السّور، وبصيغة المستقبل في آخر وفي آخر بصيغة المصدر؛ إشعاراً بأنّ من شأن ما أُسند إليه أن يسبّحه في جميع الأوقات، لأنّه دلالة جبلّيّة لا تختلف باختلاف الحالات. وإنّما عدّي باللّام وهو معدّى بنفسه؛ إشعاراً بأنّ إيقاع الفعل لأجل اللّه وخالصاً لوجهه. ﴿وَهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ﴾ فيه إشعار بما هو المبدأ للتّسبيح.

﴿لَهُ مُلْكُ السَّمٰواتِ وَالأَرْضِ﴾ فإنّه الخالق لها والمتصرّف فيها ﴿يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلىٰ كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿هُوَ الأَوَّلُ﴾: قبل كلّ شيء ﴿وَالآخِرُ﴾: بعد كلّ شيء ﴿وَالظّاهِرُ﴾ على كلّ شيء؛ بالقهر له ﴿وَالباطِنُ﴾: الخبير بباطن كلّ شيء. وأيضاً: هو الأوّل يبتدأ منه الأسباب، والآخر ينتهي إليه المسبّبات: «والظّاهر وجوده من كلّ شيء بما يرى في خلقه من علامات التّدبير. والباطن الّذي بطن من خفيّات الأُمور، فلا يكتنه حقيقة ذاته العقول». كذا ورد. أو

١ ـ ما بين المعقوفتين من «ب».

ما يقرب منه[١]. ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾: يستوي عنده الظّاهر والخفي.

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمٰوٰاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيّامٍ ثُمَّ اسْتَوىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ قد مرّ تفسيره في الأعراف[٢]. ﴿يَعْلَمُ ما يَلِجُ فِي الْأَرْضِ﴾ كالبذور ﴿وَما يَخْرُجُ مِنْها﴾ كالزّروع ﴿وَما يَنْزِلُ مِنَ السَّماءِ﴾ كالأمطار ﴿وَما يَعْرُجُ فِيها﴾ كالأبخرة ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ ما كُنْتُمْ﴾ فلا ينفكّ علمه وقدرته عنكم بحال ﴿وَاللّٰهُ بِما تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ فيجازيكم عليه.

﴿لَهُ مُلْكُ السَّمٰوٰاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ذكره مع الإعادة، كما ذكره مع الإبداء؛ لأنّه كالمقدّمة لهما ﴿وَإِلَى اللّٰهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾.

﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهارِ وَيُولِجُ النَّهارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ﴾: بمكنوناتها.

﴿آمِنُوا بِاللّٰهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ من الأموال الّتي جعلكم اللّٰه خلفاء في التّصرّف فيها، فهي في الحقيقة له لا لكم، أو الّتي استخلفكم عمّن قبلكم في تملّكها والتّصرّف فيها، وفيه توهين للإنفاق على النّفس. ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ وعدٌ فيه مبالغات.

﴿وَما لَكُمْ لا تُؤْمِنُونَ بِاللّٰهِ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثاقَكُمْ﴾: وقد أخذ اللّٰه ميثاقكم بالإيمان قبل ذلك ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

﴿هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلىٰ عَبْدِهِ آياتٍ بَيِّناتٍ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَى النُّورِ﴾: من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان ﴿وَإِنَّ اللّٰهَ بِكُمْ لَرَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾.

﴿وَما لَكُمْ أَلّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللّٰهِ﴾: فيما يكون قربة إليه ﴿وَلِلّٰهِ مِيراثُ السَّمٰوٰاتِ وَالْأَرْضِ﴾: يرث كلّ شيء فيهما ولا يبقى لأحد مال، وإذا كان كذلك فإنفاقه بحيث يستخلف عوضاً يبقى، وهو الثّواب، كان أولى.

﴿لا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقاتَلَ﴾ بيانٌ لتفاوت المنفقين والمقاتلين؛

١ ـ الكافي ١: ١٤١، قطعة من حديث: ٧، عن أمير المؤمنين عليه السلام؛ وانظر نهج البلاغة: ٨٧، الخطبة: ٤٩.
٢ ـ ذيل الآية: ٥٤.

باختلاف أحوالهم من السّبق وقوّة اليقين، وتحرّي الحاجة. وقسيمه محذوف لوضوحه ودلالة ما بعده عليه. والفتح فتح مكّة، إذ عزّ الإسلام به وكثر أهله، وقلّت الحاجة إلى المقاتلة والإنفاق. ﴿أُولـٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقاتَلُوا وَكُلّاً وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنىٰ وَاللَّهُ بِما تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾.

﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً﴾: ينفق ماله في سبيله رجاء أن يعوّضه، وحسّنه بالإخلاص، وتحرّى الحلال، وأفضل الجهات، ومحبّة المال، ورجاء الحياة ﴿فَيُضاعِفَهُ لَهُ﴾: فيعطي أجره أضعافاً ﴿وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾: وذلك الأجر كريم في نفسه وإن لم يضاعف.

قال: «نزلت في صلة الإمام في دولة الفسّاق»[1].

و ورد: «إنّ اللّه لم يسأل خلقه ممّا في أيديهم قرضاً من حاجة به إلى ذلك، وما كان للّه من حقّ فإنّما هو لوليّه»[2].

﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِناتِ يَسْعىٰ نُورُهُمْ﴾: ما يهتدون به إلى الجنّة ﴿بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمانِهِمْ﴾ من حيث يؤتون صحائف أعمالهم. ﴿بُشْراكُمُ الْيَوْمَ جَنّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها ذٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنافِقُونَ وَالْمُنافِقاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انْظُرُونا﴾: انتظرونا، أو انظروا إلينا. وعلى قراءة فتح الهمزة: أمهلونا ﴿نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَراءَكُمْ﴾: إلى الدّنيا ﴿فَالْتَمِسُوا نُوراً﴾ بتحصيل المعارف الإلهيّة والأخلاق الفاضلة والأعمال الصّالحة، فإنّ النّور يتولّد منها. ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ﴾: بحائط ﴿لَهُ بابٌ باطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ﴾ لأنّه يلي الجنّة ﴿وَظاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ﴾: من جهته ﴿الْعَذابُ﴾ لأنّه يلي النّار.

﴿يُنادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ﴾ يريدون موافقتهم في الظّاهر. ﴿قالُوا بَلىٰ وَلـٰكِنَّكُمْ

١ ـ الكافي ٨: ٣٠٢، الحديث: ٤٦١، عن الكاظم عليه السلام.

٢ ـ الكافي ١: ٥٣٧، الحديث: ٣، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

فَــتَنْتُمْ أَنْـفُسَكُمْ﴾ بـالنّفاق. والقـمّي: بـالمعاصي[١]. ﴿وَتَـرَبَّصْتُمْ﴾ بـالمؤمنين الدّوائـر ﴿وَارْتَبْتُمْ﴾: وشككتم في الدّين ﴿وَغَرَّتْكُمُ الأَمانِـيُّ حَتّىٰ جاءَ أَمْرُ اللّهِ﴾ وهـو المـوت ﴿وَغَرَّكُمْ بِاللّهِ الغَرُورُ﴾: الشّيطان أو الدّنيا.

﴿فَالْـيَوْمَ لا يُـؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ظاهراً وباطناً ﴿مأْواكُمُ النّارُ هِيَ مَوْلاكُمْ﴾ القمّي: هي أولى بكم[٢]. ﴿وَبِئْسَ المَصِـيرُ﴾ النّار.

القمّي: يقسم النّور بين النّاس يوم القيامة على قدر إيمانهم: يقسم للمنافق فيكون نوره بين إبهام رجله اليسرى، فينظر نوره ثمّ يقول للمؤمنين: مكانكم حتّى أقتبس من نوركم، فيقول المؤمنون لهم: "ارجعوا وراءكم فالتمسوا نوراً"، فيرجعون، فيضرب بينهم بسور. ثمّ قال: واللّه ما عنى بذلك اليهود ولا النّصارى، وما عنى به إلّا أهل القبلة[٣].

﴿أَلَمْ يَأْنِ﴾: ألم يأت وقته ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللّهِ وَما نَزَلَ مِـنَ الحَقِّ وَلا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الكِتابَ مِنْ قَبْلُ فَطالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِـيرٌ مِنْهُمْ فاسِقُونَ﴾: خارجون عن دينهم.

قال: «نزلت هذه الآية في القائمعليه السلام "ولا يكونوا"، الآية»[٤].

أقول: لعلّ المراد: إنّها نزلت في شأن غيبة القائمعليه السلام وأهلها المؤمنين.

﴿إِعْلَمُوا أَنَّ اللّهَ يُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها﴾ قال: «يحييها اللّه بالقائم بعد موتها. قال: يعني بموتها كفر أهلها، والكافر ميّت»[٥]. وفي رواية: «العدل بعد الجور»[٦]. وقيل: تـمثيل لإحياء القلوب القاسية بالذّكر والتّلاوة[٧]. ﴿قَدْ بَيَّـنّا لَكُمُ الآياتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾.

١ـالقمّي ٢: ٣٥١.

٢ و ٣ـالقمّي ٢: ٣٥١.

٤ـكمال الدّين ٢: ٦٦٨، الباب: ٥٨، الحديث: ١٢، عن أبي عبد اللّهعليه السلام.

٥ـكمال الدّين ٢: ٦٦٨، الباب: ٥٨، الحديث: ١٣، عن أبي جعفرعليه السلام.

٦ـالكافي ٨: ٢٦٧، الحديث: ٣٩٠، عن أبي عبد اللّهعليه السلام.

٧ـالبيضاوي ٥: ١١٨.

﴿إِنَّ المُصَّدِّقِينَ﴾ أي: المتصدّقين، إن شدّد الصّاد؛ والذين صدّقوا اللّه ورسوله، إن خفّف. ﴿وَالمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً يُضاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَداءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ قال: «إنّ هذه لنا ولشيعتنا»[1].

وقال: «ما من شيعتنا إلّا صدّيق، شهيد. قيل: أنّى يكون ذلك وعامّتهم يموتون على فرشهم[2]؟! فقال: أما تتلو كتاب اللّه في الحديد "والّذين آمنوا باللّه ورسله" الآية. قال: لو كان الشّهداء كما يقولون، كان الشّهداء قليلاً»[3].

﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾: أجر الصّدّيقين والشّهداء ونورهم ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآياتِنا أُولئِكَ أَصْحابُ الجَحِيمِ﴾.

﴿اعْلَمُوا أَنَّما الحَياةُ الدُّنْيا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكاثُرٌ فِي الأَمْوالِ وَالأَوْلادِ﴾.

لمّا ذكر حال الفريقين، حقّر أُمور الدّنيا، أعني ما لا يتوصّل به منها إلى سعادة الآخرة، بأن بيّن أنّها أُمور وهميّة، عديمة النّفع، سريعة الزّوال، وإنّما هي لعب يتعب النّاس فيه أنفسهم جداً، إتعاب الصّبيان في الملاعب من غير فائدة، ولهو يلهون به أنفسهم عمّا يهمّهم، وزينة من ملابس شهيّة ومراكب بهيّة ومنازل رفيعة ونحو ذلك، وتفاخر بالأنساب والأحساب، وتكاثر بالعُدَد والعَدَد، وهذه ستّة أُمور جامعة لمشتهيات الدّنيا ممّا لا يتعلّق منها بالآخرة، مترتّبة في الذّكر ترتّب مرورها على الإنسان غالباً.

﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الكُفّارَ نَباتُهُ﴾. ثمّ قرّر تحقير الدّنيا، ومثّل لها في سرعة تقضّيها وقلّة جدواها بحال نبات أنبته الغيث واستوى، فأعجب به الحرّاث أو الكافرون باللّه؛

١ ـ التهذيب ٦: ١٦٧، الحديث: ٣١٨، عن عليّ بن الحسين عليهما السلام.

٢ ـ في المصدر: «فراشهم».

٣ ـ المحاسن: ١٦٣، الباب: ٣٢، الحديث: ١١٥، عن الحسين بن عليّ عليهما السلام.

لأنّهم أشدّ إعجاباً بزينة الدّنيا، ولأنّ المؤمن إذا رأى معجباً انتقل فكره إلى قدرة صانعه فأعجب بها، والكافر لا يتخطّى فكره عمّا أحسّ به؛ فيستغرق فيه إعجاباً.

﴿ثُمَّ يَهِيجُ﴾ أي: ييبس بعاهة ﴿فَتَراهُ مُصْفَرّاً ثُمَّ يَكُونُ حُطاماً﴾: هشيماً ﴿وَفِي الآخِرَةِ عَذابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللّهِ وَرِضْوانٌ﴾. ثمّ عظّم أمور الآخرة، وأكّد ذلك تنفيراً عن الانهماك في الدّنيا، وحثّاً على ما يوجب كرامة العقبى ﴿وَمَا الْحَياةُ الدُّنْيا إِلّا مَتاعُ الْغُرُورِ﴾ أي: لمن أقبل عليها ولم يطلب الآخرة بها.

﴿سابِقُوا﴾: سارعوا مسارعة السّابقين في المضمار ﴿إِلى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾: إلى موجباتها ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُها كَعَرْضِ السَّماءِ وَالأَرْضِ﴾: كعرض مجموعهما إذا بسطتا.

ورد: «إنّ أدنى أهل الجنّة منزلاً من لو نزل به الثّقلان ـ الجنّ والإنس ـ لَوَسِعَهم طعاماً وشراباً»[1].

﴿أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللّهِ وَرُسُلِهِ ذلِكَ فَضْلُ اللّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشاءُ وَاللّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾.

﴿ما أَصابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ﴾ كجدب وعاهة ﴿وَلا فِي أَنْفُسِكُمْ﴾ كمرض وآفة ﴿إِلّا فِي كِتابٍ﴾: إلّا مكتوبة ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَها﴾: نخلقها.

قال: «كتابه في السّماء: علمه بها، وكتابه في الأرض: علومنا في ليلة القدر، وفي غيرها»[2].

ورد: «إنّ ملك الأرحام يكتب كلّ ما يصيب الإنسان في الدّنيا بين عينيه، فذلك قوله عزّوجلّ: "ما أصاب من مصيبة" الآية»[3].

﴿إِنَّ ذلِكَ﴾: إنّ ثبته في كتاب ﴿عَلَى اللّهِ يَسِيرٌ﴾.

١ـ القمّي ٢: ٨٢، ذيل الآية: ٢٣ من سورة الحجّ، عن أبي عبد الله عليه السلام.
٢ـ القمّي ٢: ٣٥١، عن أبي عبد الله عليه السلام.
٣ـ علل الشّرائع ١: ٩٥، الباب: ٨٥، الحديث: ٤، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

﴿لِكَيْلا تَأْسَوْا﴾ أي: أثبت وكتب لئلّا تحزنوا ﴿عَلىٰ ما فاتَكُمْ﴾ من نعم الدّنيا ﴿وَلا تَفْرَحُوا بِما آتاكُمْ﴾: بما أعطاكم اللّه منها، فإنّ من علم أنّ الكلّ مقدّر هانَ عليه الأمر.

قال: «الزّهد كلّه بين كلمتين من القرآن. قال اللّه تعالى: "لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم" ومن لم يأس على الماضي ولم يفرح بالآتي؛ فقد أخذ الزّهد بطرفيه»[1].

﴿وَاللّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتالٍ فَخُورٍ﴾. فيه إشعار بأنّ المراد بالأسى: الأسى المانع عن التّسليم لأمر اللّه، وبالفرح: الفرح الموجب للبطر والاختيال، إذ قلّ من يثبت نفسه حال الضّرّاء والسّرّاء.

﴿الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَنْ يَتَوَلَّ﴾ أي: ومن يعرض عن الإنفاق ﴿فَإِنَّ اللّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾: غنيّ عنه وعن إنفاقه، محمود في ذاته، لا يضرّه الإعراض عن شكره، ولا ينتفع بالتّقرّب إليه بشيء من نعمه. فيه تهديد وإشعار بأنّ الأمر بالإنفاق لمصلحة المنفق.

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنا رُسُلَنا بِالْبَيِّناتِ وَأَنْزَلْنا مَعَهُمُ الْكِتابَ﴾. قال: «الكتاب: الاسم الأكبر الّذي يعلم به علم كلّ شيء، الّذي كان مع الأنبياء عليهم السلام»[2].

﴿وَالْمِيزانَ﴾. روي: «إنّ جبرئيل عليه السلام نزل بالميزان فدفعه إلى نوح، وقال: مُرْ قومك يَزِنُوا به»[3]. والقمّي: الميزان: الإمام[4]. ﴿لِيَقُومَ النّاسُ بِالْقِسْطِ﴾: بالعدل.

﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ﴾ قال: «إنزاله ذلك خلقه له»[5]. ﴿فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ فإنّ آلات

١ ـ نهج البلاغة: ٥٥٣، الحكمة: ٤٣٩.

٢ ـ الكافي ١: ٢٩٣، الحديث: ٣، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٣ ـ جوامع الجامع: ٤٨٢.

٤ ـ القمّي ٢: ٣٥٢.

٥ ـ الاحتجاج ١: ٣٧٢، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

الحروب متّخذة منه. قال: «يعني السّلاح»[١]. ﴿وَمَنافِعُ لِلنّاسِ﴾ إذ ما من صنعة إلّا والحديد آلتها.

ورد: «إنّ اللّه عزّوجلّ أنزل أربع بركات من السّماء إلى الأرض، أنزل الحديد والنّار والماء والملح»[٢].

﴿وَلِيَعْلَمَ اللّهُ﴾. عطف على محذوف دلّ عليه ما قبله، فإنّه يتضمّن تعليلاً. ﴿مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ﴾ باستعمال الأسلحة في مجاهدة الكفّار ﴿إِنَّ اللّهَ قَوِيٌّ﴾ على إهلاك من أراد إهلاكه ﴿عَزِيزٌ﴾ لا يفتقر إلى نصرة، وإنّما أمرهم بالجهاد لينتفعوا به، ويستوجبوا ثواب الامتثال فيه.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنا نُوحاً وَإِبْراهِيمَ وَجَعَلْنا فِي ذُرِّيَّتِهِما النُّبُوَّةَ وَالْكِتابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فاسِقُونَ﴾.

﴿ثُمَّ قَفَّيْنا عَلى آثارِهِمْ بِرُسُلِنا وَقَفَّيْنا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ أي: أرسلنا رسولاً بعد رسول حتّى انتهى إلى عيسى ﴿وَآتَيْناهُ الْإِنْجِيلَ وَجَعَلْنا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبانِيَّةً ابْتَدَعُوها﴾. قيل: هي المبالغة في العبادة والرّياضة والانقطاع عن النّاس؛ منسوبة إلى الرّهبان وهو المبالغ في الخوف، من رهب[٣]. قال: «صلاة اللّيل»[٤].

﴿ما كَتَبْناها عَلَيْهِمْ﴾: ما فرضناها عليهم ﴿إِلّا ابْتِغاءَ رِضْوانِ اللّهِ﴾ ولكنّهم ابتدعوها، ابتغاء رضوان اللّه ﴿فَما رَعَوْها﴾ أي: فما رعوا جميعاً ﴿حَقَّ رِعايَتِها﴾ قال: «لتكذيبهم بمحمّد صلّى الله عليه وآله»[٥]. ﴿فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فاسِقُونَ﴾:

١ ـ التّوحيد: ٢٦٦، الباب: ٣٦، قطعة من حديث: ٥، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

٢ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٢٤٣، عن رسول اللّه صلّى الله عليه وآله.

٣ ـ البيضاوي ٥: ١٢٠.

٤ ـ الكافي ٣: ٤٨٨، الحديث: ١٢؛ من لا يحضره الفقيه ١: ٢٩٩، الحديث: ١٣٦٥؛ التّهذيب ٢: ١٢٠، الحديث: ٤٥٢٠؛ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ١: ٢٢٠، الباب: ٢٨، الحديث: ٩، عن أبي الحسن الكاظم عليه السلام.

٥ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٢٤٣، عن النّبيّ صلّى الله عليه وآله.

خارجون عن الاتّباع.

ورد: «اختلف من كان قبلكم على ثنتين[1] وسبعين فرقة، نجا منها ثنتان[2] وهلك سائرهنّ، فرقة قاتلوا الملوك، على دين عيسى عليه السلام فقتلوهم. وفرقة لم يكن لهم طاقة لموازاة الملوك، ولا أن يقيموا بين ظهرانيهم يدعونهم إلى دين اللّه ودين عيسى عليه السلام، فساحوا في البلاد وترهّبوا، وهم الّذين قال اللّه عزّوجلّ: "ورهبانيّة ابتدعوها ما كتبناها عليهم" ثمّ قال النّبيّ صلى الله عليه وآله: من آمن بي وصدّقني واتّبعني فقد رعاها حقّ رعايتها، ومن لم يؤمن بي فأولئك هم الهالكون»[3].

وفي رواية: «قال: ظهرت عليهم الجبابرة بعد عيسى عليه السلام يعملون بمعاصي اللّه، فغضب أهل الإيمان فقاتلوهم، فهزم أهل الإيمان ثلاث مرّات فلم يبق منهم إلّا القليل، فقالوا: إنّ ظهرنا لهؤلاء أفنونا ولم يبق للدّين أحد يدعو إليه، فتعالوا نتفرّق في الأرض إلى أن يبعث اللّه النّبيّ الّذي وعدنا عيسى عليه السلام، يعنون محمّداً صلى الله عليه وآله، فتفرّقوا في غيران الجبال وأحدثوا رهبانيّة، فمنهم من تمسّك بدينه، ومنهم من كفر، ثمّ تلا هذه الآية»[4].

﴿يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾ القمّي: نصيبين من رحمته: أحدهما؛ أن لا يدخله النّار، وثانيهما: أن يدخله الجنّة[5]. ﴿وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِ﴾ يعني الإيمان، وفي رواية: «يعني إماماً تأتمّون به»[6]. ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

روي: «لمّا نزل قوله تعالى: "أُولئك يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بما صبروا" في أهل الكتاب

١ ـ في المصدر: «اثنتين».

٢ ـ في المصدر: «اثنتان».

٣ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٢٤٣، عن رسول اللّه صلى الله عليه وآله.

٤ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٢٤٣، عن رسول اللّه صلى الله عليه وآله.

٥ ـ القمّي ٢: ٣٥٢.

٦ ـ الكافي ١: ١٩٥، ذيل الحديث: ٣؛ عن أبي جعفر عليه السلام؛ وص ٤٣٠، ذيل الحديث: ٨٦، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

الّذين آمنوا بمحمّد صلى الله عليه وآله ، وسمع ذلك الّذين لم يؤمنوا به ، فَخَرُوا على المسلمين وقالوا: يا معشر المسلمين أمّا من آمن منّا بكتابكم وكتابنا فله أجران ، ومن آمن منّا بكتابنا فله أجر كأُجوركم ، فما فضلكم علينا؟ فنزل: "يا أيّها الّذين آمنوا" الآية»[١] .

﴿لِئَـلّا يَعْلَمَ أَهْلُ الكِتابِ﴾ أي: ليعلموا . و«لا» مزيدة . ﴿أَنْ لا يَقْدِرُونَ عَلىٰ شَيءٍ مِنْ فَضْلِ اللّهِ وَأَنَّ الفَضْلَ بِيَدِ اللّهِ يُؤْتِـيهِ مَنْ يَشاءُ وَاللّهُ ذُو الفَضْلِ العَظِـيمِ﴾ .

روي: «فَخَرَ الّذين آمنوا منهم بمحمّد صلى الله عليه وآله على أصحابه ، وقالوا: نحن أفضل منكم ، لنا أجران ولكم أجر واحد ، فنزل: "لئلّا يعلم" الآية»[٢] .



١ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٢٤٤ ؛ وفي الدرّ المنثور ٨: ٦٧ مع تفاوت . والآية في سورة القصص (٢٨): ٥٤ .

٢ ـ المصدر ؛ الدرّ المنثور ٨: ٦٧ .

سورة المجادلة

[مدنيّة ، وهي اثنتان وعشرون آية][1]

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم

﴿قَدْ سَمِعَ اللّٰهُ قَوْلَ الَّتِي تُجادِلُكَ فِي زَوْجِها وَتَشْتَكِي إِلَى اللّٰهِ وَاللّٰهُ يَسْمَعُ تَحاوُرَكُما﴾: تراجعكما الكلام ﴿إِنَّ اللّٰهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ للأقوال والأحوال .

﴿الَّذِينَ يُظاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسائِهِمْ﴾ . الظّهار: أن يقول الرّجل لامرأته: أنت عليَّ كظهر أُمّي ، وكانت المرأة تحرم بذلك على زوجها في الجاهليّة: «فقاله رجل لامرأته في الإسلام ، فجاءت المرأة إلى رسول اللّهﷺ ، فشكت إلى اللّه وإليه ، وجادلت رسول اللّه في زوجها فنزلت» . كذا ورد[2] .

﴿ما هُنَّ أُمَّهاتِهِمْ﴾ على الحقيقة ﴿إِنْ أُمَّهاتُهُمْ إِلَّا اللّائِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَراً مِنَ الْقَوْلِ وَزُوراً وَإِنَّ اللّٰهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾ لما سلف منه .

﴿وَالَّذِينَ يُظاهِرُونَ مِنْ نِسائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِما قالُوا﴾ قال: «يعني ما قال الرّجل

١ ـ ما بين المعقوفتين من «ب» .

٢ ـ الكافي ٦: ١٥٢ ، الحديث: ١ ، عن أبي جعفر ، عن أمير المؤمنينؑ ؛ من لا يحضره الفقيه ٣: ٣٤٠ ، الحديث: ١٦٤١ ، عن أبي عبد اللّهؑ ؛ القمّي ٢: ٣٥٣ ، عن أبي جعفرؑ .

الأوّل لامرأته: أنت عليّ[1] كظهر أُمّي»[2]. ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ قال: «فمن قالها بعد ما عفا اللّه وغفر للّرجل الأوّل، فإنّ عليه تحرير رقبة»[3]. ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَماسّا﴾ قال: «يعني مجامعتها»[4]، ﴿ذٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ﴾ لكي ترتدعوا عن مثله ﴿وَاللّٰهُ بِما تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾.

﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ﴾ الرّقبة ﴿فَصِيامُ شَهْرَيْنِ مُتَتابِعَيْنِ﴾ «بأن يصوم شهراً ومن الآخر شيئاً متّصلاً به، ثمّ يتمّ الآخر متوالياً أو متفرّقاً». كذا ورد[5]. ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَماسّا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعامُ سِتِّينَ مِسْكِيناً ذٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللّٰهِ وَرَسُولِهِ﴾ فرض ذلك لتصدّقوا باللّه ورسوله في قبول شرائعه، ورفض ما كنتم عليه في جاهليّتكم. ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللّٰهِ﴾ لا يجوز تعدّيها ﴿وَلِلْكافِرِينَ﴾ الّذين لا يقبلونها ﴿عَذابٌ أَلِيمٌ﴾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحادُّونَ اللّٰهَ وَرَسُولَهُ﴾: يعادونهما، فإنّ كلّاً من المتعاديين في حدّ غير حدّ الآخر، وقيل: يضعون حدوداً غير حدودهما[6]. ﴿كُبِتُوا﴾: أُخزوا أو أُهلكوا، وأصل الكبت: الكبّ. ﴿كَما كُبِتَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنْزَلْنا آياتٍ بَيِّناتٍ﴾ تدلّ على صدق الرّسول وما جاء به ﴿وَلِلْكافِرِينَ عَذابٌ مُهِينٌ﴾ يذهب عزّهم وتكبّرهم.

﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللّٰهُ جَمِيعاً﴾: كلّهم، لا يدع أحداً؛ أو مجتمعين. ﴿فَيُنَبِّئُهُمْ﴾ على رؤوس الأشهاد ﴿بِما عَمِلُوا أَحْصاهُ اللّٰهُ وَنَسُوهُ وَاللّٰهُ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللّٰهَ يَعْلَمُ ما فِي السَّمٰواتِ وَما فِي الْأَرْضِ ما يَكُونُ مِنْ نَجْوىٰ ثَلاثَةٍ﴾: من تناجي ثلاثة، أو من متناجين ثلاثة ﴿إِلّا هُوَ رابِعُهُمْ﴾: إلّا اللّه يجعلهم أربعة، إذ هو مشاركهم في الاطّلاع عليها ﴿وَلا خَمْسَةٍ إِلّا هُوَ سادِسُهُمْ وَلا أَدْنىٰ مِنْ ذٰلِكَ وَلا أَكْثَرَ إِلّا هُوَ مَعَهُمْ﴾ يعلم ما يجري بينهم بإحاطته بهم وشهوده لديهم ﴿أَيْنَ ما كانُوا﴾.

١ ـ في المصدر: «أنت عليّ حرام».

٢ و ٣ و ٤ ـ الكافي ٦: ١٥٢ ـ ١٥٣، ذيل الحديث: ١، عن أبي جعفر، عن أمير المؤمنين عليهما السلام.

٥ ـ الكافي ٤: ١٣٨، الحديث: ١، ٢ و ٣؛ وص ١٣٨، الحديث: ٧، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٦ ـ البيضاوي ٥: ١٢٢.

سئل عن اللّه أين هو؟ فقال: «هو ها هنا وها هنا، وفوق وتحت ومحيط بنا ومَعنا» ثمّ تلا هذه الآية[١].

﴿ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِما عَمِلُوا يَوْمَ القِيامَةِ إِنَّ اللّٰهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِما نُهُوا عَنْهُ﴾ قيل: نزلت في اليهود والمنافقين، كانوا يتناجون فيما بينهم، ويتغامزون بأعينهم إذا رأوا المؤمنين، فنهاهم رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله، ثمّ عادوا لمثل فعلهم[٢]. ﴿وَيَتَناجَوْنَ بِالإِثْمِ وَالعُدْوانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ﴾ أي: بما هو إثم وعدوان للمؤمنين، وتواص بمعصية الرّسول. ﴿وَإِذا جاءُوكَ حَيَّوْكَ بِما لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللّٰهُ﴾.

روي: «إنّ اليهود أتت النّبيّ صلّى اللّه عليه وآله، فقالوا: السّام عليك يا محمّد. والسّام بلغتهم: الموت. فقال: وعليكم، فأنزل اللّه»[٣].

والقمّي: إذا أتوه قالوا له: أنعم صباحاً وأنعم مساء. وهي تحيّة أهل الجاهليّة، فأنزل اللّه هذه الآية. فقال لهم رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله: قد أبدلنا اللّه بخير من ذلك؛ تحيّة أهل الجنّة: السّلام عليكم[٤].

﴿وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ﴾: فيما بينهم ﴿لَوْلا يُعَذِّبُنا اللّٰهُ بِما نَقُولُ﴾: هلّا يعذّبنا بذلك لو كان محمّد نبيّاً. ﴿حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ﴾ عذاباً ﴿يَصْلَوْنَها فَبِئْسَ المَصِيرُ﴾.

﴿يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إِذا تَناجَيْتُمْ فَلا تَتَناجَوْا بِالإِثْمِ وَالعُدْوانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ﴾ كما يفعله المنافقون ﴿وَتَناجَوْا بِالبِرِّ وَالتَّقْوىٰ﴾: بما يتضمّن خير المؤمنين والاتّقاء عن معصية الرّسول صلّى اللّه عليه وآله ﴿وَاتَّقُوا اللّٰهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾.

١ـ الكافي ١: ١٣٠، ذيل الحديث: ١، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

٢ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٢٤٩، عن ابن عباس؛ البيضاوي ٥: ١٢٢.

٣ـ الدرّ المنثور ٨: ٨٠؛ الجامع لأحكام القرآن ١٧: ٢٩٢؛ روضة الواعظين ٢: ٤٥٨.

٤ـ القمّي ٢: ٣٥٥.

﴿إِنَّمَا النَّجْوَىٰ مِنَ الشَّيْطَانِ﴾ فإنّه المزيّن لها والحامل عليها ﴿لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بتوهّمهم أنّها في نكبة إصابتهم ﴿وَلَيْسَ﴾ الشّيطان أو التّناجي ﴿بِضَارِّهِمْ﴾: بضارّ المؤمنين ﴿شَيْئاً إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾: بمشيئته ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ ولايبالوا بنجواهم.

ورد: «إذا كنتم ثلاثة فلا يتناج اثنان دون صاحبهما فإنّ ذلك يحزنه»[1].

وقيل: المراد بالآية الأحلام الّتي يراها الإنسان في نومه فيحزنه[2]. ويؤيّده ما رواه القمّي في سبب نزولهما من رؤيا فاطمة عليها السلام في قصّة طويلة[3].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ﴾: توسّعوا فيها، وليفسح بعضكم عن بعض. قيل: كانوا يتضامّون بمجلس النّبيّ صلّى الله عليه وآله؛ تنافساً على القرب منه، وحرصاً على استماع كلامه[4]. ﴿فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ﴾ فيما تريدون التّفسّح فيه، من المكان والرّزق والصّدر وغيرها ﴿وَإِذَا قِيلَ انْشُزُوا﴾: انهضوا ﴿فَانْشُزُوا﴾.

القمّي: كان رسول الله صلّى الله عليه وآله إذا دخل المسجد يقوم له النّاس، فنهاهم الله أن يقوموا له، فقال: "تفسّحوا" أي: وسّعوا له في المجلس، "وإذا قيل انشزوا فانشزوا" يعني إذا قال: قوموا، فقوموا[5].

﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ﴾ بالنّصر وحسن الذّكر في الدّنيا، وإيوائهم غرف الجنّات في الآخرة. ﴿وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾: ويرفع العلماء منهم خاصّة مزيد رفعة.

١ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٢٥١، عن رسول الله صلّى الله عليه وآله.

٢ ـ المصدر.

٣ ـ القمّي ٢: ٣٥٥، عن أبي عبد الله عليه السلام.

٤ ـ البيضاوي ٥: ١٢٣.

٥ ـ القمّي ٢: ٣٥٦.

ورد: «فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب»[١].

وفي رواية: «عالم ينتفع بعلمه أفضل من سبعين ألف عابد»[٢].

﴿وَاللَّهُ بِما تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾.

﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذا ناجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْواكُمْ صَدَقَةً﴾: فتصدّقوا قدّامها. القمّي: ليكون أقضى لحوائجكم[٣].

قيل: في هذا الأمر تعظيم الرّسول، وإنفاع الفقراء، والنّهي عن الإفراط في السّؤال، والميز بين المخلص والمنافق، ومحبّ الآخرة ومحبّ الدّنيا[٤].

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «إنّ في كتاب الله لآية ما عمل بها أحد قبلي ولا يعمل بها أحد بعدي، آية النّجوى، إنّه كان لي دينار فبعته بعشرة دراهم، فجعلت أُقدّم بين يدي كلّ نجوى أُناجيها النّبيّ صلى الله عليه وآله درهماً. قال: فنسختها قوله: "ءأشفقتم" الآية»[٥].

﴿ذٰلِكَ﴾ أي: التّصدّق ﴿خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ﴾ لأنفسكم من الزّينة وحبّ المال ﴿فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ لمن لم يجد، حيث رخّص له في المناجاة بلا تصدّق.

﴿أَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْواكُمْ صَدَقاتٍ﴾: أخِفْتُم الفقر من تقديم الصّدقة، أو أخِفْتُم التقديم لما يعدكم الشّيطان عليه من الفقر. وجمع الصّدقات لجمع المخاطبين أو لكثرة التّناجي.

﴿فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ بأن رخّص لكم أن لا تفعلوه.

قال: «فهل تكون التّوبة إلّا عن ذنب»[٦]. ﴿فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكاةَ﴾ فلا تفرّطوا

١ـ جوامع الجامع: ٤٨٥، عن رسول الله صلى الله عليه وآله.

٢ـ الكافي ١: ٣٣، الحديث: ٨، عن أبي جعفر عليه السلام.

٣ـ القمّي ٢: ٣٥٧.

٤ـ البيضاوي ٥: ١٢٣.

٥ـ القمّي ٢: ٣٥٧؛ وفي الخصال ٢: ٥٧٤، قطعة من حديث: ١، ما يقرب منه.

٦ـ الخصال ٢: ٥٧٤، قطعة من حديث: ١، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

في أدائهما ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ في سائر الأُمور، لعلّها تجبر تفريطكم في ذلك ﴿وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِما تَعْمَلُونَ﴾.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْماً غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ يعني اليهود ﴿ما هُمْ مِنْكُمْ وَلا مِنْهُمْ﴾ لأنّهم منافقون، مذبذبون بين ذلك ﴿وَيَحْلِفُونَ عَلَى الكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أنّ المحلوف عليه كذب، كمن يحلف بالغَمُوس[1].

﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذاباً شَدِيداً إِنَّهُمْ ساءَ ما كانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

﴿إِتَّخَذُوا أَيْمانَهُمْ جُنَّةً﴾: وقاية دون دمائهم وأموالهم ﴿فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾: فصدّوا النّاس عن دين الله بالتّحريش والتّثبيط، ﴿فَلَهُمْ عَذابٌ مُهِينٌ﴾.

﴿لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوالُهُمْ وَلا أَوْلادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً أُولئِكَ أَصْحابُ النّارِ هُمْ فِيها خالِدُونَ﴾.

﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعاً فَيَحْلِفُونَ لَهُ﴾ أي: لله عزّوجلّ ﴿كَما يَحْلِفُونَ لَكُمْ﴾ في الدّنيا ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلى شَيْءٍ﴾ إذ تمكّن النّفاق في نفوسهم، بحيث يخيّل إليهم في الآخرة أنّ الأيمان الكاذبة تروّج الكذب على الله، كما تروّجه عليكم في الدّنيا ﴿أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الكاذِبُونَ﴾: البالغون الغاية في الكذب، حيث يكذبون مع عالم الغيب والشّهادة، ويحلفون عليه. وقد مرّ في هذه الآية حديث في حم السّجدة[2].

﴿إِسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطانُ﴾: استولى عليهم ﴿فَأَنْساهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ﴾: لا يذكرونه بقلوبهم ولا بألسنتهم ﴿أُولئِكَ حِزْبُ الشَّيْطانِ﴾: جنوده وأتباعه ﴿أَلا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطانِ هُمُ الخاسِرُونَ﴾ لأنّهم فوّتوا على أنفسهم النّعيم المؤبّد، وعرضوها للعذاب المخلّد.

القمّي: نزلت في الثّاني، مرّ به رسول الله صلّى الله عليه وآله وهو جالس عند يهوديّ يكتب خبر رسول الله صلّى الله عليه وآله، فأنزل الله: "ألم تر إلى الذين تولّوا" الآيات. فجاء إلى النّبيّ صلّى الله عليه وآله، فقال له

١ ـ اليمين الغَموس: الّتي تَغْمِسُ صاحبها في الإثم. والأمر الغموس: الشّديد. الصّحاح ٣: ٩٥٦ (غمس).
٢ ـ ذيل الآية: ٢٠ من سورة فصّلت.

رسول اللّه: رأيتك تكتب عن اليهود، وقد نهى اللّه عن ذلك. قال: كتبت عنه ما في التّوراة من صفتك، وأقبل يقرأ ذلك على رسول اللّه وهو غضبان. فقال رجل من الأنصار: ويلك، أما ترى غضب النّبيّ عليك؟ فقال: أعوذ باللّه من غضب اللّه وغضب رسوله، إنّي إنّما كتبت ذلك لمّا وجدت فيه من خبرك. فقال له رسول اللّه صلى الله عليه وآله: يا فلان لو أنّ موسى بن عمران فيهم قائماً ثمّ أتيته رغبة عمّا جئت به لكنت كافراً بما جئت به، وهو قوله: "اتّخذوا أيمانهم جنّة" أي: حجاباً بينهم وبين الكفّار، وإيمانهم إقرار باللّسان؛ خوفاً من السّيف ورفع الجزية[1].

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحادُّونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ أُولٰئِكَ فِي الأَذَلِّينَ﴾: في جملة من هو أذلّ خلق اللّه.

﴿كَتَبَ اللّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾.

روي: «إنّ المسلمين قالوا لمّا رأوا ما يفتح اللّه عليهم من القرى: ليفتحنّ اللّه علينا الرّوم وفارس. فقال المنافقون: أتظنّون أنّ فارس والرّوم كبعض القرى الّتي غلبتم عليها؟! فأنزل اللّه هذه الآية»[2].

﴿لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوادُّونَ مَنْ حادَّ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كانُوا آباءَهُمْ أَوْ أَبْناءَهُمْ أَوْ إِخْوانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾: ولو كان المحادّون أقرب النّاس إليهم ﴿أُولٰئِكَ﴾ أي: الذين لم يوادّوهم ﴿كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمانَ﴾: أثبته فيها ﴿وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ﴾: من عنده. قال: «هو الإيمان»[3].

و ورد: «ما من مؤمن إلّا ولقلبه أذنان في جوفه: أذن ينفث فيها الوسواس الخنّاس،

١ ـ القمّي ٢: ٣٥٧.

٢ ـ التفسير الكبير ٢٩: ٢٧٦؛ الجامع لأحكام القرآن (للقرطبي) ١٧: ٣٠٦، عن مقاتل مع تفاوت يسير.

٣ ـ الكافي ٢: ١٥، الحديث: ١، عن أبي جعفر عليه السلام؛ والحديث: ٥، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

وأُذن ينفث فيها الملك . فيؤيّد اللّه المؤمن بالملك . فذلك قوله: "وأيّدهم بروح منه"»[١] .

وفي رواية: «إنّ اللّه تبارك وتعالى أيّد المؤمن بروح منه ، تحضره في كلّ وقت يحسن فيه ويتّقي ، وتغيب عنه في كلّ وقت يذنب فيه ويعتدي ، فهي معه تهتزّ سروراً عند إحسانه ، وتسيخ[٢] في الثّرى عند إساءته ، فتعاهدوا عباد اللّه نعمه بإصلاح أنفسكم ؛ تزدادوا يقيناً وتربحوا نفيساً ثميناً ، رحم اللّه امرءاً هَمَّ بخير فعمله ، أو هَمَّ بشرّ فارتدع عنه . ثمّ قال: نحن نؤيّد الرّوح بالطّاعة للّه والعمل له»[٣] .

وورد في قول رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله: «إذا زنى الرّجل فارَقه روح الإيمان . قال: هو قوله: "وأيّدهم بروح منه" ذاك الّذي يفارقه»[٤] .

﴿وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها رَضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ﴾ بطاعتهم ﴿وَرَضُوا عَنْهُ﴾ بقضائه ، وبما وعدهم من الثّواب . ﴿أُولئِكَ حِزْبُ اللّهِ﴾: جنده وأنصار دينه ﴿أَلا إِنَّ حِزْبَ اللّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾: الفائزون خير الدّارين .

١ ـ الكافي ٢: ٢٦٧ ، الحديث: ٣ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .

٢ ـ قوله: «تهتزّ سروراً» كناية عن تمكّنها في الإنسان وأُلفتها له وأُنسها به . وقوله: «تسيخ في الثرى» كناية عن انفعالها وسقوطها من الإنسان بعوده إلى ما كان عليه من الحال .

٣ ـ الكافي ٢: ٢٦٨ ، الحديث: ١ ، عن أبي الحسن الكاظم عليه السلام .

٤ ـ المصدر: ٢٨٠ ، الحديث: ١١ ، عن أبي جعفر عليه السلام .

سورة الحشر

[مدنيّة ، وهي أربع وعشرون آية][1]

بسم الله الرّحمن الرّحيم

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ ما فِي السَّمٰواتِ وَما فِي الأَرْضِ وَهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ﴾ .

﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الكِتابِ مِنْ دِيارِهِمْ لِأَوَّلِ الحَشْرِ﴾: «لأوّل جلائهم إلى الشّام ، وآخر حشرهم إليه يكون في الرّجعة» . كما ورد[2] .

والحشر: إخراج جمع من مكان إلى آخر .

ورد: إنّ النّبيّ صلى الله عليه وآله قال لهم: «اُخرجوا . قالوا: إلى أين؟ قال: إلى أرض المحشر»[3] .

والقمّي ما ملخّصه: إنّه كان بالمدينة ثلاثة أبطن من اليهود: بني النّضير وقريظة وقينقاع ، وكان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وآله عهد ومدّة . فنقض بنوالنّضير عهدهم وهمّوا بقتله ، فأخبرهم: إنّ الله قد أخبرني بما هممتم به من الغدر ، فإمّا أن تخرجوا من بلدنا ، وإمّا أن تأذنوا بحرب ، فقالوا: نخرج من بلادك . فبعث إليهم عبد الله بن أُبيّ[4] ألّا تخرجوا

١ ـ ما بين المعقوفتين من «ب» .

٢ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٢٥٨ ، عن ابن عباس والزّهري والجباني ؛ جامع البيان ٢٨: ٢٠ .

٣ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٢٥٨ .

٤ ـ عبدالله‌بن أبي بن مالك بن الحارث، المشهور بابن سلول، وسلول جدّته لأبيه: رأس المنافقين في الإسلام ←

وتقيموا وتنابذوا محمّداً الحرب ، فإنّي أنصركم أنا وقومي وحلفائي ، فإن خرجتم خرجت معكم ، وإن قاتلتم قاتلت معكم .

فأقاموا وأصلحوا حصونهم وتهيّئوا للقتال ، وبعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله: أنّا لانخرج ، فاصنع ما أنت صانع . فقام رسول الله صلى الله عليه وآله ، وكبّر ، وكبّر أصحابه ، وقال لأمير المؤمنين عليه السلام : تقدّم إلى بني النّضير . فأخذ أمير المؤمنين عليه السلام الرّاية وتقدّم . وجاء رسول الله صلى الله عليه وآله وأحاط بحصنهم . وغدر بهم عبد الله بن أُبيّ ، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا ظهر بمقدّم بيوتهم حصّنوا ما يليهم وخرّبوا ما يليه ، وكان الرّجل منهم ممّن كان له بيت حسَنٌ خرّبه ، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله أمر بقطع نخلهم ، فجزعوا من ذلك وقالوا: يا محمّد إنّ الله يأمرك بالفساد؟ إن كان لك هذا فخذه ، وإن كان لنا فلا تقطعه . فلمّا كان بعد ذلك قالوا: يا محمّد نخرج من بلادك فأعطنا مالنا . فقال: لا ، ولكن تخرجون ولكم ما حملت الإبل ، فلم يقبلوا ذلك . فبقوا أيّاماً ، ثمّ قالوا: نخرج ولنا ما حملت الإبل ، فقال: لا ، ولكن تخرجون ولا يحمل أحد منكم شيئاً، فمن وجدنا معه شيئاً من ذلك قتلناه. فخرجوا على ذلك. ووقع منهم قوم إلى فدك ووادي القرى ، وخرج قوم منهم إلى الشّام . فأنزل الله فيهم: "هو الّذي أخرج الّذين كفروا" الآيات[1] .

﴿ما ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا﴾ لشدّة بأسهم ومنعتهم ﴿وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللّهِ﴾ أي: إنّ حصونهم تمنعهم من بأس الله ﴿فَأَتاهُمُ اللّهُ﴾ أي: عذابه ، وهو الرّعب والاضطرار إلى الجلاء . قال: «يعني أرسل عليهم عذاباً»[2] . ﴿مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا﴾ لقوّة وثوقهم ﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ﴾: الخوف الذي يرعبها ، أي: يملأها ﴿يُخْرِبُونَ

→ من أهل المدينة . كان سيّد الخزرج في آخر جاهليّتهم . وأظهر الإسلام بعد وقعة بدر ، تقيّة . وكان كلّما حلّت بالمسلمين نازلة شمت بهم . وكلّما سمع بسيّئة نشرها . وله في ذلك أخبار . توفّي سنة: ٩ هـ. الأعلام (للزركلي) ٤: ٦٥ .

١ ـ القمّي ٢: ٣٥٩ ـ ٣٦٠ .

٢ ـ التّوحيد: ٢٦٦ ، الباب: ٣٦ ، قطعة من حديث: ٥ ، عن أمير المؤمنين عليه السلام .

﴿بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ﴾ ضنّاً[١] بها على المسلمين، وإخراجاً لما استحسنوا من آلاتها ﴿وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ فإنّهم أيضاً كانوا يخربون ظواهرها، نكايةً وتوسيعاً لمجال القتال.

﴿فَاعْتَبِرُوا يا أُولِي الْأَبْصارِ﴾: فاتّعظوا بحالهم، فلا تغدروا ولا تعتمدوا على غير اللّه.

﴿وَلَوْلا أَنْ كَتَبَ اللّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلاءَ﴾: الخروج من أوطانهم ﴿لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيا﴾ بالقتل والسّبي، كما فعل ببني قريظة ﴿وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذابُ النّارِ﴾ يعني إن نجوا من عذاب الدّنيا لم ينجوا من عذاب الآخرة.

﴿ذلِكَ بِأَنَّهُمْ شاقُّوا اللّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشاقِّ اللّهَ فَإِنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقابِ﴾.

﴿ما قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ﴾: نخلة كريمة، قال: «يعني العجوة، وهي أمّ التمر، وهي الّتي أنزلها اللّه من الجنّة لآدم»[٢]. ﴿أَوْ تَرَكْتُمُوها قائِمَةً عَلى أُصُولِها فَبِإِذْنِ اللّهِ﴾: فبأمره. القمّي: نزلت فيما عابوه من قطع النّخل[٣]. ﴿وَلِيُخْزِيَ الْفاسِقِينَ﴾: وأذن لكم في القطع، ليجزيهم على فسقهم بما غاظهم منه.

﴿وَما أَفاءَ اللّهُ عَلى رَسُولِهِ﴾ أي: ردّه عليه «فإنّ جميع ما بين السّماء والأرض للّه عزّوجلّ ولرسوله، ولأتباعهم من المؤمنين المتّصفين بما وصفهم اللّه به في قوله: "التّائِبُونَ الْعابِدُونَ" الآية[٤]. فما كان منه في أيدي المشركين والكفّار والظّلمة والفجّار فهو حقّهم، أفاء اللّه عليهم وردّه إليهم». كذا ورد[٥].

﴿مِنْهُمْ﴾: من بني النّضير ﴿فَما أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ﴾: فما أجريتم على تحصيله؛ من الوجيف: وهو سرعة السّير. ﴿مِنْ خَيْلٍ وَلا رِكابٍ﴾: ما يركب من الإبل، غلب فيه.

١ ـ ضَنِنْتُ بالشيء ضِنّاً وضَنانَةً: إذا بَخِلْتَ به. الصّحاح ٦: ٢١٥٦ (ضنن).

٢ ـ الكافي ٦: ٣٤٧، الحديث: ١٠، عن أبي عبد اللّه عليه السلام. وفيه: «وهي الّتي أنزلها اللّه عزّوجلّ لآدم من الجنّة».

٣ ـ القمي ٢: ٣٦٠.

٤ ـ التوبة (٩): ١١٢.

٥ ـ الكافي ٥: ١٦، قطعة من حديث: ١؛ التّهذيب ٦: ١٣٠، قطعة من حديث: ٢٢٤، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

قيل: وذلك لأنّ قراهم كانت على ميلين من المدينة، فمشوا اليها رجالاً غير رسول الله صلّى الله عليه وآله فإنّه ركب جملاً أو حماراً، ولم يجر مزيد قتال، ولذلك لم يعط الأنصار منه شيئاً إلّا رجلين أو ثلاثة؛ كانت بهم حاجة[1].

﴿وَلٰكِنَّ اللّٰهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلىٰ مَنْ يَشاءُ﴾ بقذف الرّعب في قلوبهم ﴿وَاللّٰهُ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ فيفعل ما يريد؛ تارة بالوسائط الظّاهرة، وتارة بغيرها.

﴿ما أَفاءَ اللّٰهُ عَلىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرىٰ﴾. بيان للأوّل، ولذلك لم يعطف عليه. ﴿فَلِلّٰهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبىٰ﴾.

قال: «نحن والله الذين عنى الله بذي القربى الذين قرنهم الله بنفسه ونبيّه صلّى الله عليه وآله وسلّم»[2].

﴿وَالْيَتامىٰ وَالْمَساكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ قال: «منّا خاصّة، ولم يجعل لنا سهماً في الصّدقة أكرم الله نبيّه وأكرمنا أن يطعمنا أوساخ ما في أيدي النّاس»[3].

﴿كَيْ لا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِياءِ مِنْكُمْ﴾: كيلا يكون الفيء شيئاً يتداوله الأغنياء ويدور بينهم، كما كان في الجاهليّة ﴿وَما آتاكُمُ الرَّسُولُ﴾ من الأمر ﴿فَخُذُوهُ﴾: فتمسّكوا به ﴿وَما نَهاكُمْ عَنْهُ﴾: عن إتيانه ﴿فَانْتَهُوا﴾ عنه ﴿وَاتَّقُوا اللّٰهَ﴾ في مخالفة الرّسول ﴿إِنَّ اللّٰهَ شَدِيدُ الْعِقابِ﴾ لمن خالف.

و ورد: «"واتّقوا الله" في ظلم آل محمّد صلّى الله عليه وآله؛ "إنّ الله شديد العقاب" لمن ظلمهم»[4].

قال: «إنّ الله أدّب رسوله حتّى قوّمه على ما أراد، ثمّ فوّض إليه. فقال عزّ ذكره: "ما آتاكم الرّسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا" فما فوّض الله إلى رسوله فقد فوّضه إلينا»[5].

١ ـ البيضاوي ٥: ١٢٥.

٢ و ٣ ـ الكافي ١: ٥٣٩، الحديث: ١؛ التّهذيب ٤: ١٢٦، الحديث: ٣٦٢، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

٤ ـ الكافي ٨: ٦٣، ذيل الحديث: ٢١، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

٥ ـ الكافي ١: ٢٦٨، الحديث: ٩، عن أبي عبد الله عليه السلام.

وفي رواية: «فوّض إلى نبيّه أمر خلقه لينظر كيف طاعتهم ، ثمّ تلا هذه الآية»[١] .

﴿لِلْفُقَراءِ الْمُهاجِرِينَ﴾ الّذين هاجروا من مكّة إلى المدينة ، ومن دار الحرب إلى دار الإسلام . قيل: بدلٌ من "لذي القربى" وما عطف عليه ، ومن أعطى أغنياء ذوى القربى خصّ الإبدال بما بعده ، والفيء بفيء بني النّضير[٢] . ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيارِهِمْ وَأَمْوالِهِمْ﴾: أخرجوهم كفّار مكّة وأخذوا أموالهم ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللّٰهِ وَرِضْواناً وَيَنْصُرُونَ اللّٰهَ وَرَسُولَهُ﴾ بأنفسهم وأموالهم ﴿أُولٰئِكَ هُمُ الصّادِقُونَ﴾ في إيمانهم .

﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُا الدّارَ وَالإِيمانَ﴾ . عطفٌ على المهاجرين ، أو استئناف ، خبره : يحبّون ؛ ويؤيّد الثّاني: أنّه لم يقسم لهم الفيء ، فإنّ المراد بهم الأنصار ، فإنّهم لزموا المدينة والإيمان وتمكّنوا فيهما ، أو لزموا دار الهجرة ودار الإيمان . فقد ورد: «الإيمان بعضه من بعض وهو دار ، وكذلك الإسلام دار والكفر دار»[٣] .

﴿مِنْ قَبْلِهِمْ﴾: من قبل هجرة المهاجرين ﴿يُحِبُّونَ مَنْ هاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾ ولا يثقل عليهم ﴿وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حاجَةً مِمّا أُوتُوا﴾: ممّا أُعطي المهاجرون من الفيء وغيره ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلىٰ أَنْفُسِهِمْ﴾: ويقدّمون على أنفسهم ﴿وَلَوْ كانَ بِهِمْ خَصاصَةٌ﴾: فقر وحاجة ﴿وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ﴾ حتّى يخالفها فيما يغلب عليها من حبّ المال ﴿فَأُولٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾: الفائزون بالثّناء العاجل والثّواب الآجل .

ورد: «إنّه جاء رجل إلى النّبيّ صلّى الله عليه وآله فشكا إليه الجوع ، فبعث رسول الله صلّى الله عليه وآله إلى بيوت أزواجه ، فقلن: ما عندنا إلّا الماء . فقال: من لهذا الرّجل اللّيلة؟ فقال عليّ بن أبي طالب عليه السلام: أنا له يا رسول الله . وأتى فاطمة عليها السلام فقال لها: ما عندك يا ابنة رسول الله؟ فقالت: ما عندنا إلّا قوت العشيّة ، لكنّا نؤثر ضيفنا . فقال: يا ابنة محمّد ، نوّمي الصّبية

١ ـ الكافي ١: ٢٦٦ ، الحديث: ٣ ، عن أبي جعفر وعن أبي عبد الله عليهما السلام .

٢ ـ البيضاوي ٥: ١٢٦ .

٣ ـ الكافي ٢: ٢٧ ، الحديث: ١ ، عن أبي عبد الله عليه السلام .

وأطفي المصباح. فلمّا أصبح عليّ عليه السلام غدا على رسول الله صلّى الله عليه وآله، فأخبره الخبر، فلم يبرح حتّى أنزل الله عزّوجلّ: "ويؤثرون على أنفسهم" الآية»[1].

﴿وَالَّذِينَ جاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ﴾: من بعد المهاجرين والأنصار؛ يعمّ سائر المؤمنين. ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنا وَلِإِخْوانِنا﴾ أي: في الدّين ﴿الَّذِينَ سَبَقُونا بِالإِيمانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنا غِلّاً﴾: حقداً ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ فحقيق بأن تجيب دعاءنا.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نافَقُوا﴾. القمّي: نزلت في ابن أُبيّ وأصحابه[2]. ﴿يَقُولُونَ لِإِخْوانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الكِتابِ﴾ يعني بني النّضير ﴿لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ﴾ من دياركم ﴿لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلا نُطِيعُ فِيكُمْ﴾: في قتالكم أو خذلانكم ﴿أَحَداً أَبَداً﴾ من رسول الله والمسلمين ﴿وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكاذِبُونَ﴾ لعلمه بأنّهم لايفعلون ذلك.

﴿لَئِنْ أُخْرِجُوا لا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لا يَنْصُرُونَهُمْ﴾ وكان كذلك، فإنّ ابن أُبيّ وأصحابه راسلوا بني النّضير بذلك، ثمّ أخلفوهم كما مرّ[3]. ﴿وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ﴾ على الفرض والتّقدير ﴿لَيُوَلُّنَّ الأَدْبارَ﴾ انهزاماً ﴿ثُمَّ لا يُنْصَرُونَ﴾.

﴿لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً﴾: مرهوبيّة ﴿فِي صُدُورِهِمْ﴾ فإنّهم كانوا يضمرون مخافتهم من المؤمنين ﴿مِنَ اللَّهِ﴾ على ما يظهرونه نفاقاً. ﴿ذٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَفْقَهُونَ﴾: لا يعلمون عظمة الله، حتّى يخشوه حقّ خشيته ويعلموا أنّه الحقيق بأن يخشى.

﴿لا يُقاتِلُونَكُمْ﴾ اليهود والمنافقون ﴿جَمِيعاً﴾: مجتمعين ﴿إِلّا فِي قُرىً مُحَصَّنَةٍ﴾ بالدّروب[4] والخنادق ﴿أَوْ مِنْ وَراءِ جُدُرٍ﴾ لفرط رهبتهم ﴿بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ﴾ أي:

١ـ الأمالي (للشّيخ الطّوسي) ١: ١٨٨، عن أبي هريرة.

٢ـ القمّي ٢: ٣٦٠.

٣ـ ذيل الآية: ٢ من نفس السّورة.

٤ـ الدَّرْب: المَدْخَل بين جبلين، والجمع: الدُّروب، مثل فَلْس وفلوس. وليس أصله عربيّاً، والعرب تستعمله في ←

وليس ذلك لضعفهم وجبنهم، فإنّه يشتدّ بأسهم إذا حارب بعضهم بعضاً، بل لقذف اللّه الرّعب في قلوبهم، ولأنّ الشّجاع يجبن والعزيز يذلّ إذا حارب اللّه ورسوله.

﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً﴾: مجتمعين متّفقين ﴿وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى﴾: متفرّقة لافتراق عقائدهم واختلاف مقاصدهم ﴿ذٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَعْقِلُونَ﴾ ما فيه صلاحهم؛ وأنّ تشتّت القلوب يوهن قواهم.

﴿كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ القمّي: يعني بني قينقاع[1]. ﴿قَرِيباً﴾: في زمان قريب ﴿ذاقُوا وَبالَ أَمْرِهِمْ﴾: سوء عاقبة كفرهم في الدّنيا ﴿وَلَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ﴾ في الآخرة.

﴿كَمَثَلِ الشَّيْطانِ﴾ أي: مثل المنافقين في إغراء اليهود على القتال ثمّ نكوصهم، كمثل الشّيطان ﴿إِذْ قالَ لِلْإِنْسانِ اكْفُرْ فَلَمّا كَفَرَ قالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخافُ اللّٰهَ رَبَّ العالَمِينَ﴾.

﴿فَكانَ عاقِبَتَهُما أَنَّهُما فِي النّارِ خالِدَيْنِ فِيها وَذٰلِكَ جَزاءُ الظّالِمِينَ﴾.

﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللّٰهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ ما قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾: ليوم القيامة، سمّاه به لدنوّه، أو لأنّ الدّنيا كيوم والآخرة غده؛ وتنكيره للتّعظيم. ﴿وَاتَّقُوا اللّٰهَ إِنَّ اللّٰهَ خَبِيرٌ بِما تَعْمَلُونَ﴾.

﴿وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللّٰهَ﴾: نسوا حقّه ﴿فَأَنْساهُمْ أَنْفُسَهُمْ﴾: فجعلهم ناسين لها، حتّى لم يسمعوا ما ينفعها، ولم يفعلوا ما يخلّصها ﴿أُولٰئِكَ هُمُ الفاسِقُونَ﴾.

﴿لا يَسْتَوِي أَصْحابُ النّارِ وَأَصْحابُ الْجَنَّةِ أَصْحابُ الْجَنَّةِ هُمُ الفائِزُونَ﴾.

ورد: «إنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله تلا هذه الآية، فقال: أصحاب الجنّة من أطاعني، وسلّم لعليّ بن أبي طالب بعدي، وأقرّ بولايته. وأصحاب النّار من سخط الولاية، ونقض العهد،

← معنى الباب فيقال لباب السّكّة: دَرْب، وللمَدْخَل الضيّق: دَرْب؛ لأنّه كالباب لما يفضي إليه. المصباح المنير ١: ٢٣١ (درب).

١ ـ القمّي ٢: ٣٦٠.

وقاتله بعدي»[1].

﴿لَوْ أَنْزَلْنا هـٰذَا الْقُرْآنَ عَلىٰ جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْيَةِ اللّٰهِ﴾: متشقّقاً منها، وهو تمثيل فيه توبيخ للإنسان على عدم تخشّعه عند تلاوة القرآن؛ لقساوة قلبه وقلّة تدبّره. ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثالُ نَضْرِبُها لِلنّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

﴿هُوَ اللّٰهُ الَّذِي لا إِلـٰهَ إِلّا هُوَ عالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهادَةِ﴾. قال: «الغيب ما لم يكن، والشّهادة ما كان»[2]. ﴿هُوَ الرَّحْمـٰنُ الرَّحِيمُ﴾.

﴿هُوَ اللّٰهُ الَّذِي لا إِلـٰهَ إِلّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ﴾: البليغ في النّزاهة عمّا يوجب نقصاناً ﴿السَّلامُ﴾: ذو السّلامة من كلّ نقص وآفة ﴿الْمُؤْمِنُ﴾: واهب الأمن. القمّي: يؤمن أولياءه من العذاب[3]. ﴿الْمُهَيْمِنُ﴾: الرّقيب الحافظ لكلّ شيء ﴿الْعَزِيزُ﴾: الّذي ينفذ مشيئته في كلّ أحد ولا ينفذ فيه مشيئة أحد ﴿الْجَبّارُ﴾: الّذي يصلح أحوال خلقه ﴿الْمُتَكَبِّرُ﴾: الذي تكبّر عن كلّ ما يوجب حاجة ونقصاناً ﴿سُبْحانَ اللّٰهِ عَمّا يُشْرِكُونَ﴾.

سئل عن تفسير سبحان الله، فقال: «هو تعظيم جلال الله وتنزيهه عمّا قال فيه كلّ مشرك، فإذا قالها العبد، صلّى عليه كلّ ملك»[4].

﴿هُوَ اللّٰهُ الْخالِقُ الْبارِئُ الْمُصَوِّرُ﴾. كلّ ما يخرج من العدم إلى الوجود فيفتقر إلى تقدير أوّلاً، وإلى الإيجاد ثانياً، وإلى التّصوير بعد الإيجاد ثالثاً. فالله سبحانه هو الخالق البارئ المصوّر بالاعتبارات الثّلاثة. ﴿لَهُ الْأَسْماءُ الْحُسْنىٰ﴾ الدّالّة على محاسن المعاني.

ورد: «إنّ لله تبارك وتعالى تسعة وتسعين اسماً ـ مائة إلّا واحداً ـ من أحصاها دخل

١ ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ١: ٢٨٠، الباب: ٢٨، الحديث: ٢٢، عن عليّ بن موسى الرّضا، عن أبيه، عن آبائه، عن أمير المؤمنين عليهم السلام.

٢ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٢٦٦، عن أبي جعفر عليه السلام.

٣ ـ القمّي ٢: ٣٦٠.

٤ ـ التّوحيد: ٣١٢، الباب: ٤٥، الحديث: ١، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

الجنّة، ثمّ ذكر تلك الأسماء»[1].

قيل: إحصاؤها هو الإحاطة بها والوقوف على معانيها، وليس معنى الإحصاء عدّها[2].

أقول: وللإحصاء معان أُخر[3] ليس ها هنا محلّ ذكرها.

﴿يُسَبِّحُ لَهُ ما فِي السَّمٰوٰاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ﴾.



١ ـ التّوحيد: ١٩٤، الباب: ٢٩، الحديث: ٨، عن أبي عبد اللّه، عن أبيه، عن آبائه، عن أمير المؤمنين، عن رسول اللّه صلوات اللّه عليهم.

٢ ـ المصدر: ١٩٥، الباب: ٢٩، ذيل الحديث: ٩، عن الصّدوق عليه الرحمة.

٣ ـ وقد فصّل البحث في كتابه علم اليقين ١: ١٠٢.

سورة الممتحنة

[مدنيّة، وهي ثلاث عشرة آية][1]

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم

﴿يا أيُّها الَّذينَ آمَنُوا لا تتَّخِذُوا عَدُوّي وعَدُوَّكُمْ أوْلِياءَ﴾.

القمّي ما ملخّصه: أنّها نزلت في حاطب بن أبي بَلْتَعَة[2]، حيث كتب إلى قريش بمكّة، أخبرهم أنّ رسول اللّه صلى الله عليه وآله يريد غزوهم، فنزل جبرئيل على رسول اللّه صلى الله عليه وآله وأخبره بذلك، فبعث أمير المؤمنين عليه السلام، فأخذ الكتاب من رسوله في بعض الطّريق وجاء به إلى رسول اللّه صلى الله عليه وآله. فقال: يا حاطب ما هذا؟ فقال: واللّه يا رسول اللّه ما نافقت ولا غيّرت ولا بدّلت، وإنّي أشهد أن لا إله إلاّ اللّه، وأنّك رسول اللّه حقّاً، ولكن أهلي وعيالي كتبوا إليّ بحسن صنيع قريش إليهم. فأحببت أن أُجازي قريشاً بحسن معاشرتهم. فأنزل اللّه: "يا

---

١ ـ ما بين المعقوفتين من «ب».

٢ ـ حاطب بن أبي بَلْتَعَة اللّخمي: رجل من أهل اليمن، وكان حليفاً للزّبير، وكان من أصحاب رسول اللّه صلى الله عليه وآله وشهد بدراً، وكان بنوه وأخوه بمكّة. ولمّا أراد رسول اللّه صلى الله عليه وآله أن يغزو مكّة عام الفتح، كتب حاطب إلى كبار قريش يعلمهم بما يريده صلى الله عليه وآله من غزوهم، فأعلم اللّه رسوله. مات حاطب في سنة: ٣٠ في خلافة عثمان وله خمس وستّون سنة. أُسد الغابة ١: ٣٦٠؛ الإصابة ١: ٣١٤.

أيها الّذين آمنوا" الآية[1].

﴿تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ﴾: تفضون إليهم المودّة بالمكاتبة.

﴿وَقَدْ كَفَرُوا بِما جاءَكُمْ مِنَ الحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيّاكُمْ﴾ أي: من مكّة ﴿أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللّهِ رَبِّكُمْ﴾: بسبب إيمانكم ﴿إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ﴾ من أوطانكم ﴿جِهاداً فِي سَبِيلِي وَابْتِغاءَ مَرْضاتِي﴾. جواب الشرط محذوف، دلّ عليه "لا تتخذوا". ﴿تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِما أَخْفَيْتُمْ وَما أَعْلَنْتُمْ﴾ أي: منكم ﴿وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَواءَ السَّبِيلِ﴾.

﴿إِنْ يَثْقَفُوكُمْ﴾: يظفروا بكم ﴿يَكُونُوا لَكُمْ أَعْداءً﴾ ولا ينفعكم إلقاء المودّة إليهم ﴿وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُمْ بِالسُّوءِ﴾ كالقتل والشتم ﴿وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ﴾: وتمنّوا ارتدادكم. وفي مجيئه وحده بلفظ الماضي إشعار بأنهم ودّوا ذلك قبل كلّ شيء وأنّ ودّهم حاصل وإن لم يثقفوكم.

﴿لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحامُكُمْ﴾: قراباتكم ﴿وَلا أَوْلادُكُمْ﴾ الّذين توالون المشركين لأجلهم ﴿يَوْمَ القِيامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ﴾: يفرّق بينكم بما عراكم من الهول، فيفرّ بعضكم من بعض، فما لكم ترفضون حقّ اللّه لمن يفرّ عنكم غداً.

﴿وَاللّهُ بِما تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

﴿قَدْ كانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾: قدوة ﴿فِي إِبْراهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنّا بُرَءاؤُا مِنْكُمْ وَمِمّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللّهِ كَفَرْنا بِكُمْ﴾ قال: «تبرّأنا منكم»[2].

قال: «الكفر في هذه الآية: البراءة»[3].

﴿وَبَدا بَيْنَنا وَبَيْنَكُمُ العَداوَةُ وَالبَغْضاءُ أَبَداً حَتّى تُؤْمِنُوا بِاللّهِ وَحْدَهُ﴾ فتنقلب

١ ـ القمّي ٢: ٣٦١.

٢ ـ الكافي ٢: ٣٩٠، ذيل الحديث: ١، عن أبي عبد اللّه عليه السلام؛ التّوحيد: ٢٦٠، الباب: ٣٦، قطعة من حديث: ٥، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

٣ ـ التّوحيد: ٢٦٠، الباب: ٣٦، قطعة من حديث: ٥، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

العداوة والبغضاء أُلفة ومحبّة ﴿إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ﴾ . استثناء من قوله: "أُسوة حسنة" ، لأنّه ليس ممّا يؤتسى به ، وكان ذلك لموعدة وعدها إيّاه ، كما سبق في سورة التّوبة[1] .

﴿وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ من تمام قوله المستثنى ، ولا يلزم من استثناء المجموع استثناء جميع أجزائه . ﴿رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ متّصل بما قبل الاستثناء .

﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بأن تسلّطهم علينا فيفتنونا بعذاب لا نتحمّله ، أو تشمتهم بنا .

ورد: «ما كان من ولد آدم مؤمن إلّا فقيراً ، ولا كافر إلّا غنيّاً ؛ حتّى جاء إبراهيم عليه السلام . فقال: "ربّنا لا تجعلنا فتنة للّذين كفروا" فصيّر الله في هؤلاء أموالاً وحاجة ، وفي هؤلاء أموالاً وحاجة»[2] .

﴿وَاغْفِرْ لَنَا﴾ ما فرط منّا ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ .

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ تكرير لمزيد الحثّ على التّأسّي بإبراهيم ، ولذلك صدّر بالقسم وأكّد بما بعده . ﴿لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ فأشعر بأنّ تركه ينبئ عن سوء العقيدة . ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ .

﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ﴾ على ذلك ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ لما فرط منكم من موالاتهم من قبل ولما بقي في قلوبكم من ميل الرّحم .

«لمّا نزلت هذه الآية أظهر المسلمون العداوة للكفّار ، ولمّا أسلم أهل مكّة وأنجز الله وعده بقوله: "عسى الله أن يجعل بينكم وبين الّذين عاديتم منهم مودّة" خالطوهم

١ ـ الأصفى ١: ٤٩٤ ، ذيل الآية: ١١٤ .
٢ ـ الكافي ٢: ٢٦٢ ، الحديث: ١٠ ، عن أبي عبد الله عليه السلام .

وناكحوهم، وتزوّج رسول الله صلى الله عليه وآله حبيبة بنت أبي سفيان بن حرب». كذا ورد[١].

﴿لا يَنْهاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ﴾ تقضوا إليهم بالعدل ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾: العادلين.

روي: «إنّ قتيلة بنت عبد العزّى قدمت مشركة على بنتها أسماء بنت أبي بكر بهدايا فلم تقبلها، ولم تأذن لها بالدّخول، فنزلت»[٢].

﴿إِنَّما يَنْهاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيارِكُمْ وَظاهَرُوا عَلىٰ إِخْراجِكُمْ﴾ كمشركي مكّة، فإنّ بعضهم سعوا في إخراج المؤمنين، وبعضهم أعانوا المخرجين. ﴿أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ لوضعهم الولاية غير موضعها.

﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذا جاءَكُمُ الْمُؤْمِناتُ مُهاجِراتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ﴾: فاختبروهنّ ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِناتٍ﴾ بحلفهنّ وظهور الأمارات ﴿فَلا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ﴾: إلى أزواجهنّ الكفرة ﴿لا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾.

القمّي: إذا لحقت امرأة من المشركين بالمسلمين؛ تمتحن بأن تحلف بالله أنّه لم يحملها على اللّحوق بالمسلمين بغض لزوجها الكافر ولا حبّ لأحد من المسلمين، فإنّما حملها على ذلك الإسلام، فإذا حلفت على ذلك قُبل إسلامها[٣].

﴿وَآتُوهُمْ ما أَنْفَقُوا﴾ القمّي: يعني تردّ المسلمة على زوجها الكافر صداقها، ثمّ يتزوّجها المسلم[٤]. ﴿وَلا جُناحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ﴾ فإنّ الإسلام حال بينهنّ وبين

١ ـ القمّي ٢: ٣٦٢، عن أبي جعفر عليه السلام.

٢ ـ الدرّ المنثور ٨: ١٣٠؛ تفسير القرآن العظيم (لابن كثير) ٤: ٣٧٣؛ تفسير القرطبي ١٨: ١٩، عن عبد الله بن الزبير.

٣ ـ القمّي ٢: ٣٦٢.

٤ ـ القمّي ٢: ٣٦٣.

أزواجهنّ الكفّار ﴿إذا آتيتُموهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ . فيه إشعار بأنّ ما أعطى أزواجهنّ لا يقوم مقام المهر . ﴿وَلا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الكَوافِرِ﴾: بما يعتصم به الكافرات من عقد ونسب .

قال: «يقول: من كانت عنده امرأة كافرة ـ يعني على غير ملّة الإسلام وهو على ملّة الإسلام ـ فليعرض عليها الإسلام ، فإن قبلت فهي امرأته وإلّا فهي بريئة منه ، فنهاه اللّه أن يمسك بعصمتها»[١] .

﴿وَآسْأَلُوا ما أَنْفَقْتُمْ﴾ من مهور نسائكم اللّاحقات بالكفّار ﴿وَلْيَسْأَلُوا ما أَنْفَقُوا﴾ من مهور أزواجهم المهاجرات ﴿ذٰلِكُمْ حُكْمُ اللّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ .

قال: «"وإن فاتكم شيء من أزواجكم" فلحقن بالكفّار من أهل عهدكم فاسألوهم صداقها ، وإن لحقن بكم من نسائهم شيء فأعطوهم صداقها" ذلكم حكم اللّه يحكم بينكم"»[٢] .

﴿وَإِنْ فاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْواجِكُمْ إِلَى الكُفّارِ﴾ أي: سبقكم وانفلت منكم إليهم ﴿فَعاقَبْتُمْ﴾: فتزوّجتم بأخرى عقيبها ﴿فَآتُوا﴾ أيّها المؤمنون ﴿الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْواجُهُمْ مِثْلَ ما أَنْفَقُوا﴾ .

القمّي: يقول: وإن ألحقن بالكفّار الّذين لا عهد بينكم وبينهم ، فأصبتم غنيمة فأتوا[٣] .

أقول: كأنّه جعل معنى "فعاقبتم": فأصبتم من الكفّار عقبى ، وهي الغنيمة . يعني فأتوا بدل الفائت من الغنيمة .

ورد: سئل: ما معنى العقوبة ها هنا؟ قال: «إنّ الّذي ذهبت امرأته فعاقب على امرأة أُخرى غيرها . يعني تزوّجها ، فإذا هو تزوّج إمرأة أُخرى غيرها ، فعلى الإمام أن يعطيه مهر امرأته الذّاهبة . فسُئل: كيف صار المؤمنون يردّون على زوجها المهر بغير فعل منهم في ذهابها ، وعلى المؤمنين أن يردّوا على زوجها ما أنفق عليها ممّا يصيب المؤمنين؟! قال: يردّ

١ و ٢ ـ القمّي ٢: ٣٦٣ ، عن أبي جعفر عليه السلام .
٣ ـ المصدر .

الإمام عليه أصابوا من الكفّار أو لم يصيبوا ، لأنّ على الإمام أن يجيز حاجته من تحت يده ، وإن حضرت القسمة فله أن يسدّ كلّ نائبة تنوبه قبل القسمة ، وإن بقي بعد ذلك شيء قسّمه بينهم ، وإن لم يبق شيء فلا شيء لهم»[1] .

وروي: «لمّا نزلت الآية المتقدّمة أدّى المؤمنون ما أُمروا به من نفقات المشركين على نسائهم ، وأبى المشركون أن يردّوا شيئاً من مهور الكوافر إلى أزواجهنّ المسلمين ، فنزلت»[2] .

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾ .

﴿يا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذا جاءَكَ الْمُؤْمِناتُ يُبايِعْنَكَ﴾ . قال: «لمّا فتح رسول الله صلى الله عليه وآله مكّة بايع الرّجال ، ثمّ جاءت النّساء يبايعنه . فأنزل اللّه: "يا أيّها النّبيّ" ، الآية»[3] .

﴿عَلى أَنْ لا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئاً وَلا يَسْرِقْنَ وَلا يَزْنِينَ وَلا يَقْتُلْنَ أَوْلادَهُنَّ﴾ بالوأد والإسقاط ﴿وَلا يَأْتِينَ بِبُهْتانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ﴾ .

قيل: كانت المرأة تلتقط المولود ، فتقول لزوجها: هذا ولدي منك . كنّى بالبهتان المفترى بين يديها ورجليها عن الولد الّذي تلصقه بزوجها كذباً ؛ لأنّ بطنها الذي تحمله فيه بين اليدين ، وفرجها الذي تلده به بين الرّجلين[4] .

﴿وَلا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ﴾: في حسنة تأمرهنّ بها .

قال: «هو مافرض اللّه عليهنّ من الصّلاة والزّكاة ، وما أمرهنّ به من خير»[5] .

وفي رواية: «سألته : ما ذلك المعروف الّذي أمرنا اللّه أن لا تعصيك فيه؟ قال: لا تلطمن

١ ـ علل الشّرائع ٢: ٥١٧ ، الباب: ٢٨٩ ، الحديث: ٦ ، عن أبي عبد اللّه وعن أبي جعفر عليهما السلام ؛ وفي التّهذيب ٦: ٣٦٣ ، الحديث: ٨٦٥ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام ، مع تفاوت يسير .

٢ ـ الكشّاف ٤: ٩٤ .

٣ ـ الكافي ٥: ٥٢٧ ، الحديث: ٥ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .

٤ ـ جوامع الجامع: ٤٩١ ؛ الكشّاف ٤: ٩٤ .

٥ ـ القمّي ٢: ٣٦٤ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .

خدّاً ولا تخمشن وجهاً ولا تنتفن شعراً ولا تشـقّقن جـيباً ولا تسـوّدن ثـوباً ولا تـدعين بوَيْل»[١].

وفي رواية: «ولا تقمن على قبر»[٢].

وفي أُخرى: «ولا تنشرن شعراً»[٣].

﴿فَبايِعْهُنَّ﴾ بضمان الثّواب على الوفاء بهذه الأشياء.

قال: «جمعهنّ حوله ثمّ دعا بِتَوْرِ بَرام[٤] فصبّ فيه ماء نضوحاً، ثمّ غمس يده فيه، ثمّ قال: اسمعن يا هؤلاء! أُبايعكنّ على أن لا تشركن باللّه شيئاً، ولا تسـرقن ولا تـزنين ولا تقتلن أولادكنّ، ولا تأتين ببهتان تفترينه بين أيديكنّ وأرجلكنّ، ولا تعصين بعولتكنّ في معروف، أقررتنّ؟ قلن: نعم! فأخرج يده من التّور، ثمّ قال لهنّ: اغمسن أيديكنّ، ففعلن، فكانت يد رسول اللّه صلّى الله عليه وآله الطّاهرة أطيب من أن يمسّ بها كفّ أُنثى ليست له بمَحرَم»[٥].

﴿وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللّهَ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

﴿يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَوَلَّوْا قَوْماً غَضِبَ اللّهُ عَلَيْهِمْ﴾. القمّي: معطوف على قوله: "لا تتّخذوا عدوّي وعدوّكم أولياء"[٦].

وروي: «إنّها نزلت في بعض فقراء المسلمين، كانوا يواصـلون اليـهود لـيصيبوا مـن ثمارهم»[٧].

١ ـ الكافي ٥: ٥٢٧، الحديث: ٥، عن أبي عبد اللّه عليه السلام، عن رسول اللّه صلّى الله عليه وآله.

٢ ـ القمّي ٢: ٣٦٤، عن رسول اللّه صلّى الله عليه وآله.

٣ ـ الكافي ٥: ٥٢٧، الحديث: ٣، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٤ ـ التور: إناء يشرب فيه «الصّحاح ٢: ٦٠٢ ـ تور». وبَرام ـ يروى بكسر أوّله وفتحه والفتح أكثر ـ جبل في بلاد بني سُلَيم عند الحرّة من ناحية البقيع، وقيل: هو عشرين فرسخاً من المدينة. معجم البلدان ١: ٣٦٦.

٥ ـ الكافي ٥: ٥٢٦، الحديث: ٢، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٦ ـ القمي ٢: ٣٦٤.

٧ ـ الكشّاف ٤: ٩٥؛ البيضاوي ٥: ١٣٠.

﴿قَدْ يَـئِسُوا مِنَ الآخِرَةِ﴾ لكفرهم بها، أو لعلمهم بأنّه لا حظّ لهم فيها؛ لعنادهم الرّسول المنعوت في التّوراة المؤيّد بالمعجزات. ﴿كَما يَـئِسَ الكُفّارُ مِنْ أَصْحابِ القُبُورِ﴾ أن يبعثوا، أو يثابوا، أو ينالهم خير منهم، أو كما يئس الكفّار الّذين ماتوا فعاينوا الآخرة.



سورة الصّفّ

[مدنيّة ، وهي أربع عشر آية][1]

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم

﴿سَبَّحَ لِلّٰهِ ما فِي السَّمٰواتِ وَما فِي الأَرْضِ وَهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ﴾ .

﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ .

روي: «إنّ المسلمين قالوا: لو علمنا أحبّ الأعمال إلى اللّه لبذلنا فيه أموالنا وأنفسنا . فأنزل اللّه: "إنّ اللّه يحبّ الذين يقاتلون في سبيله صفّاً"[2] فولّوا يوم أُحد ، فنزلت»[3] .

والقمّي: مخاطبة لأصحاب رسول اللّه صلى الله عليه وآله الذين وعدوه أن ينصروه ، ولا يخالفوا أمره ، ولا ينقضوا عهده في أمير المؤمنين ، فعلم اللّه أنّهم لا يفون بما يقولون ، وقد سمّاهم اللّه المؤمنين بإقرارهم وإن لم يصدّقوا[4] .

﴿كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللّٰهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ المقت: أشدّ البغض .

١ ـ ما بين المعقوفتين من «ب» .

٢ ـ نفس السورة: ٤ .

٣ ـ البيضاوي ٥: ١٣٠ .

٤ ـ القمّي ٢: ٣٦٥ .

قال: «الخلف يوجب المقت عند اللّه وعند النّاس ، قال اللّه تعالى "كبر مقتاً" ، الآية»[١] .

و ورد: «عِدة المؤمن أخاه نذر لا كفّارة له ، فمن أخلف فبخلف اللّه بدأ ، ولمقته تعرّض . وذلك قوله: "يا أيّها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون" ، الآيتين»[٢] .

﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا﴾: مصطفّين ﴿كَأَنَّهُمْ بُنْيانٌ مَرْصُوصٌ﴾ في تراصّهم من غير فرجة . والرّصّ: اتّصال بعض البناء بالبعض واستحكامه .

وعن أمير المؤمنين عليه السلام في هذه الآية: «أنا سبيل اللّه الذي نصبني للاتّباع بعد نبيّه صلى الله عليه وآله»[٣] .

﴿وَإِذْ قالَ مُوسىٰ لِقَوْمِهِ يا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾ .

روي: إنّ قارون دسّ إليه امرأة وزعم أنّه زنى بها ، ورموه بقتل هارون»[٤] .

﴿فَلَمَّا زاغُوا﴾ عن الحقّ ﴿أَزاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ عن قبول الحقّ والميل إلى الصّواب .

والقمّي: أي: شكّك قلوبهم[٥] . ﴿وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفاسِقِينَ﴾ .

﴿وَإِذْ قالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يا بَنِي إِسْرائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقاً لِما بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْراةِ وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ يعني محمّداً صلى الله عليه وآله .

ورد: «إنّ اللّه لمّا بشّر عيسى بظهور نبيّنا ، قال له في صفته: واستوص بصاحب الجمل الأحمر ، والوجه الأقمر ، نكّاح النّساء»[٦] .

و ورد: «إنّه لمّا بعث اللّه المسيح عليه السلام ، قال: إنّه سوف يأتي من بعدي نبيّ اسمه أحمد من ولد إسماعيل ، يجيء بتصديقي وتصديقكم ، وعذري وعذركم»[٧] .

والقمّي: سأل بعضُ اليهود رسولَ اللّه: لِمَ سمّيتَ أحمد؟ قال: لأنّني في السّماء أحمد

١ ـ نهج البلاغة (صبحي الصّالح): ٤٤٤ ، الكتاب: ٥٣ .

٢ ـ الكافي ٢: ٣٦٣ ، الحديث: ١ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .

٣ ـ مصباح المتهجّد: ٧٠١ ، من خطبة أمير المؤمنين عليه السلام يوم الغدير .

٤ ـ الجامع لأحكام القرآن ١٢: ٣١٠ ؛ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٢٧٨ . وتفصيل القصّة في البيضاوي ٤: ١٣٢ .

٥ ـ القمّي ٢: ٣٦٥ .

٦ ـ عوالي اللآلي ٣: ٢٨٢ ، الحديث: ٧ .

٧ ـ الكافي ١: ٢٩٣ ، الحديث: ٣ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .

منّي في الأرض[١].

و ورد: «إنّ اسمه في صحف إبراهيم الماحي ، وفي توارة موسى الحادّ، وفي إنجيل عيسى أحمد ، وفي الفرقان محمّد»[٢].

﴿فَلَمَّا جاءَهُمْ بِالْبَيِّناتِ قالُوا هٰذا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرىٰ عَلَى اللّٰهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعىٰ إِلَى الْإِسْلامِ وَاللّٰهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظّالِمِينَ﴾ أي: لا أحد أظلم ممّن يدعى إلى الإسلام الظّاهر حقّيّته الموجب له خير الدّارين ، فيضع موضع إجابته الافتراء على اللّه ؛ بتكذيب رسوله وتسمية آياته سحراً.

﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللّٰهِ بِأَفْواهِهِمْ﴾ قال: «ليطفئوا ولاية أمير المؤمنين»[٣]. ﴿وَاللّٰهُ مُتِمُّ نُورِهِ﴾: مبلّغ غايته بنشره وإعلانه. قال: «متمّ الإمامة»[٤].

القمّي: "واللّه متمّ نوره" بالقائم من آل محمّد إذا خرج ؛ يظهره اللّه على الدّين كلّه ، حتّى لا يعبد غير اللّه[٥]. ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْكافِرُونَ﴾ إرغاماً لهم.

﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾: ليغلبه[٦] على جميع الأديان ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾.

قال: «إنّ ذلك عند خروج المهديّ من آل محمّد ، فلا يبقى أحد إلّا أقرّ بمحمّد صلّى اللّه عليه وآله»[٧].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام إنّه قال: «أظهر ذلك بعد؟ قالوا: نعم . قال: كلّا ، فوالّذي نفسي بيده ، حتّىٰ لا تبقى قرية إلّا وتنادي بشهادة أن لا إله إلّا اللّه ومحمّداً رسول اللّه بكرة

١ ـ القمّي ٢: ٣٦٥.

٢ ـ من لا يحضره الفقيه ٤: ١٣٠ ، الحديث: ٤٥٤ ، عن أبي جعفر عليه السلام.

٣ و ٤ ـ الكافي ١: ١٩٦ ، الحديث: ٦ ، عن أبي الحسن الكاظم عليه السلام.

٥ ـ القمّي ٢: ٣٦٥.

٦ ـ في «ب» و«ج»: «ليُغلّبه».

٧ ـ مجمع البيان ٥ ـ ٦: ٢٥ ، عن أبي جعفر عليه السلام ، ذيل الآية: ٣٣ ، من سورة التوبة.

وعشيّاً»[١].

وقد مرّ تمام بيانه في سورة التّوبة[٢].

﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلىٰ تِجارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذابٍ أَلِيمٍ﴾ قال: «فقالوا: لو نعلم ما هي لبذلنا فيها الأموال والأنفس، فقال الله ...»[٣].

﴿تُؤْمِنُونَ بِاللّٰهِ وَرَسُولِهِ وَتُجاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّٰهِ بِأَمْوالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهارُ وَمَساكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنّاتِ عَدْنٍ ذٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

﴿وَأُخْرىٰ تُحِبُّونَها﴾: ولكم إلى هذه النّعمة المذكورة نعمة أُخرى محبوبة؛ فيه تعريض بأنّهم يؤثرون العاجل على الآجل. ﴿نَصْرٌ مِنَ اللّٰهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ﴾: عاجل. القمّي: يعني في الدّنيا، بفتح القائمعليه السلام، وأيضاً قال: فتح مكّة[٤]. ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصارَ اللّٰهِ كَما قالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوارِيِّينَ مَنْ أَنْصارِي إِلَى اللّٰهِ﴾ أي: مَنْ جندي، متوجّهاً إلى نصرة الله؟ والحواريّون: أصفياؤه. وقد سبق في آل عمران تفسيره[٥]. ﴿قالَ الْحَوارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصارُ اللّٰهِ فَآمَنَتْ طائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرائِيلَ وَكَفَرَتْ طائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظاهِرِينَ﴾: فصاروا غالبين.

١ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٢٨٠.

٢ ـ الأصفى ١: ٤٦٢، ذيل الآية: ٣٣.

٣ ـ القمّي ٢: ٣٦٥، عن أبي جعفرعليه السلام.

٤ ـ المصدر: ٣٦٦.

٥ ـ الأصفى ١: ١٥٢، ذيل الآية: ٥٢.

سورة الجمعة

[مدنيّة ، وهي إحدى عشرة آية][1]

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم

﴿يُسَبِّحُ لِلّٰهِ ما فِي السَّمٰواتِ وَما فِي الأَرْضِ المَلِكِ القُدُّوسِ العَزِيزِ الحَكِيمِ﴾ .

﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ﴾ قال: «كانوا يكتبون ، ولكن لم يكن معهم كتاب من عند اللّه ، ولا بعث إليهم رسول ؛ فنسبهم اللّه إلى الأُمّيّين»[2] .

﴿رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آياتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ﴾ من خبائث العقائد والأخلاق ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الكِتابَ وَالحِكْمَةَ﴾: القرآن والشّريعة ﴿وَإِنْ﴾ : وإنّه ﴿كانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾ من الشّرك وخبث الجاهليّة .

﴿وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾: لم يلحقوا بهم بعد وسيلحقون .

قيل: وهم الّذين جاؤوا بعد الصّحابة إلى يوم الدّين . فإنّ دعوته وتعليمه يعمّ الجميع[3] .

و ورد: «هم الأعاجم ، ومن لا يتكلّم بلغة العرب»[4] .

١ ـ ما بين المعقوفتين من «ب» .

٢ ـ القمّي ٢: ٣٦٦ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .

٣ ـ البيضاوي ٥: ١٣٢ .

٤ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٢٨٤ ، عن أبي جعفر عليه السلام .

وروي: إنّ النّبيّ صلّى الله عليه وآله قرأ هذه الآية فقيل له: من هؤلاء؟ فوضع يده على كتف سلمان وقال: «لو كان الإيمان في الثّريا لنالته رجال من هؤلاء»[1]. ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

﴿ذٰلِكَ فَضْلُ اللّٰهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشاءُ وَاللّٰهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾.

﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْراةَ﴾: علّموها، وكلّفوا العمل بها. ﴿ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوها﴾: لم يعملوا بها، ولم ينتفعوا بما فيها ﴿كَمَثَلِ الْحِمارِ يَحْمِلُ أَسْفاراً﴾: كتباً من العلم، يتعب في حملها ولا ينتفع بها.

القمّي: الحمار يحمل الكتب ولا يعلم ما فيها ولا يعمل بها، كذلك بنو إسرائيل قد حملوا مثل الحمار، لا يعلمون ما فيه ولا يعملون به[2].

﴿بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِ اللّٰهِ وَاللّٰهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظّالِمِينَ﴾.

﴿قُلْ يا أَيُّهَا الَّذِينَ هادُوا﴾: تهوّدوا ﴿إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِياءُ لِلّٰهِ﴾ إذ كانوا يقولون نحن أولياء الله وأحبّاؤه ﴿مِنْ دُونِ النّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ﴾: فتمنّوا من الله أن يميتكم، وينقلكم من دار البليّة إلى دار الكرامة.

القمّي: في التّوراة مكتوب: أولياء الله يتمنّون الموت[3]. ﴿إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ﴾.

﴿وَلا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَداً بِما قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾: بسبب ما قدّموا من الكفر والمعاصي ﴿وَاللّٰهُ عَلِيمٌ بِالظّالِمِينَ﴾. سبق تمام تفسيره في سورة البقرة[4].

﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ﴾ وتخافون أن تتمنّوه بلسانكم مخافة أن يصيبكم فتؤخذوا بأعمالكم ﴿فَإِنَّهُ مُلاقِيكُمْ﴾ لا تفوتونه، لاحق بكم.

ورد: «كلّ امرئ لاق في فراره ما منه يفرّ، والأجل مساق النّفس إليه، والهرب منه

١ـ الكشّاف ٤: ١٠٢؛ مجمع البيان ٩ـ١٠: ٢٨٤.

٢ـ القمّي ٢: ٣٦٦.

٣ـ القمّي ٢: ٣٦٦.

٤ـ الأصفى ١: ٥٥، ذيل الآية: ٩٤.

موافاته»[١].

﴿ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلىٰ عالِمِ الغَيْبِ وَالشَّهادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذا نُودِيَ لِلصَّلاةِ﴾ أي: أُذن لها ﴿مِنْ يَوْمِ الجُمُعَةِ﴾.

ورد: «إنّ اللّه جمع فيها خلقه لولاية محمّد ووصيّه في الميثاق، فسمّاه يوم الجمعة، لجمعه فيه خلقه»[٢].

﴿فَاسْعَوْا﴾ قال: «أي: امضوا»[٣]. و ورد قراءتهم به أيضاً[٤]. وفي رواية: «معنى "فاسعوا" هو الانكفاء»[٥]. والقمّي: الإسراع في المشي[٦].

أقول: وذلك أنّ السّعي دون العَدْوِ، وهو القصد في المشي.

﴿إِلىٰ ذِكْرِ اللّٰهِ﴾ يعني إلى الصّلاة، كما يدلّ عليه ما قبله وما بعده. ﴿وَذَرُوا البَيْعَ﴾: واتركوا المعاملة.

وروي: «إنّه كان بالمدينة؛ إذا أذّن المؤذّن يوم الجمعة، نادى منادٍ: حرّم البيع حرّم البيع»[٧].

﴿ذٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ أي: السّعي إلى ذكر اللّه خير لكم من المعاملة، فإنّ نفع الآخرة خير وأبقى ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ الخير والشّرّ.

قال: «فرض اللّه على النّاس من الجمعة إلى الجمعة خمساً وثلاثين صلاة، منها صلاة واحدة فرضها اللّه في جماعة؛ وهي الجمعة، ووضعها عن تسعة: عن الصّغير والكبير

١ـ القمّي ٢: ٣٦٧، عن أمير المؤمنين عليه السلام.
٢ـ الكافي ٣: ٤١٥، الحديث: ٧، عن أبي جعفر عليه السلام.
٣ـ القمّي ٢: ٣٦٧، عن أبي جعفر عليه السلام.
٤ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٢٨٨، عن أمير المؤمنين وأبي جعفر وأبي عبد اللّه عليهم السلام.
٥ـ علل الشّرائع ٢: ٣٥٧، الباب: ٧٣، الحديث: ١، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.
٦ـ القمّي ٢: ٣٦٧.
٧ـ من لا يحضره الفقيه ١: ١٩٥، الحديث: ٩١٤.

والمجنون والمسافر والعبد والمرأة والمريض والأعمى ومن كان على رأس فرسخين»[١].

﴿فَإِذا قُضِيَتِ الصَّلاةُ﴾: أُدّيت وفرغ منها ﴿فَانْتَشِرُوا فِي الأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللّٰهِ﴾. ورد: «الصّلاة يوم الجمعة، والانتشار يوم السّبت»[٢]. ﴿وَاذْكُرُوا اللّٰهَ كَثِيراً﴾ أي: في مجامع أحوالكم، ولا تخصّوا ذكره بالصّلاة ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ بخير الدّارين.

﴿وَإِذا رَأَوْا تِجارَةً أَوْ لَهْواً انْفَضُّوا إِلَيْها﴾ قال: «انصرفوا إليها»[٣]. ﴿وَتَرَكُوكَ قائِماً﴾ قال: «تخطب على المنبر»[٤]. ﴿قُلْ ما عِنْدَ اللّٰهِ﴾ من الثّواب ﴿خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجارَةِ﴾ فإنّ ذلك محقّق مخلّد، بخلاف ما تتوهّمون من نفعهما. قال: «نزلت "خير من اللّهو ومن التّجارة للّذين اتّقوا"»[٥]. و ورد قراءتهم به أيضاً[٦]. ﴿وَاللّٰهُ خَيْرُ الرّازِقِينَ﴾ فتوكّلوا عليه واطلبوا الرّزق منه.

القمّي: كان رسول اللّه صلّى الله عليه وآله يصلّي بالنّاس يوم الجمعة، ودخلت مِيْرَة[٧] وبين يديها قوم يضربون بالدّفوف والملاهي، فترك النّاس الصّلاة ومرّوا ينظرون إليهم، فأنزل اللّه[٨].

١ ـ الكافي ٣: ٤١٩، الحديث: ٦، عن أبي جعفر عليه السلام.

٢ ـ المحاسن: ٣٤٦، الباب: ٢، الحديث: ٨؛ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٢٨٩، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٣ ـ القمّي ٢: ٣٦٧؛ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٢٨٩، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٤ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٢٨٩، عن أبي عبد اللّه عليه السلام؛ عوالي اللآلي ٢: ٥٧، الحديث: ١٥٣.

٥ ـ القمّي ٢: ٣٦٧، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٦ ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ٢: ١٨٣، الباب: ٤٤، قطعة من حديث: ٥.

٧ ـ المِيْرَة: طعام يمتاره الإنسان، أي: يجلبه من بلد إلى بلد. مجمع البحرين ٣: ٤٨٦ (مير).

٨ ـ القمّي ٢: ٣٦٧.

سورة المنافقون

[مدنيّة ، وهي إحدى عشرة آية][1]

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم

﴿إِذا جاءَكَ الْمُنافِقُونَ قالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللّٰهِ وَاللّٰهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللّٰهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنافِقِينَ لَكاذِبُونَ﴾ لأنّهم لم يعتقدوا ذلك . لمّا كانت الشّهادة إخباراً عن علم ، لأنّها من الشّهود بمعنى الحضور والاطّلاع ، صدّق المشهود به ، وكذّبهم في الشهادة .

﴿اتَّخَذُوا أَيْمانَهُمْ﴾: حلفهم الكاذب ﴿جُنَّةً﴾: وقاية عن القتل والسّبي ﴿فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللّٰهِ﴾ صدّاً أو صُدوداً . ﴿إِنَّهُمْ ساءَ ما كانُوا يَعْمَلُونَ﴾ من نفاقهم وصدّهم .

﴿ذٰلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ حتّى تمرنوا على الكفر واستحكموا فيه ﴿فَهُمْ لا يَفْقَهُونَ﴾ .

﴿وَإِذا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسامُهُمْ﴾ لضخامتها وصباحتها[2] . ﴿وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ﴾ لذلاقتهم[3] وحلاوة كلامهم ﴿كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ﴾ إلى الحائط ، في كونهم

١ ـ ما بين المعقوفتين من «ب» .

٢ ـ الصباحة: الجمال . الصّحاح ١: ٣٨٠ (صبح) .

٣ ـ لسان ذَلِق: بليغ فصيح . مجمع البحرين ٥: ١٦٥ (ذلق) .

أشباحاً خاليةً عن العلم والنَظر . قال: يقول: «لا يسمعون ولا يعقلون»[1] . ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾ أي: واقعة عليهم ؛ لجبنهم واتّهامهم ﴿هُمُ الْعَدُوُّ﴾ استئناف . ﴿فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ﴾ دعاءٌ عليهم ﴿أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾: كيف يصرفون عن الحقّ .

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ﴾ عطفوها إعراضاً واستكباراً ﴿وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ﴾: يعرضون عن الاستغفار ﴿وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾ عن الاعتذار .

﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ لرسوخهم في الكفر ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ .

﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ﴾ أي: للأنصار ﴿لَا تُنْفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ﴾ يعنون فقراء المهاجرين ﴿حَتَّىٰ يَنْفَضُّوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: بيده الأرزاق والقِسَم ﴿وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾ ذلك ؛ لجهلهم باللّه .

﴿يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ .

القمّي: ما ملخّصه: إنّ أنصارياً من قوم عبد اللّه بن أُبيّ ومهاجرياً تنازعا في بعض الغزوات على ماء ، وكاد أن تقع الفتنة ، فأُخبر ابن أُبيّ بذلك ، فأقبل على أصحابه ، فقال: هذا عملكم ، أنزلتموهم منازلكم وواسيتموهم بأموالكم ، ووقيتموهم بأنفسكم ، وأبرزتم نحوركم للقتل ، فأرمل نساءكم ، وأيتم صبيانكم ، ولو أخرجتموهم لكانوا عيالاً على غيركم . ثمّ قال: "لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجنّ الأعزّ منها الأذلّ" . وكان في القوم زيد بن أرقم[2] ، وكان غلاماً قد راهق ، فجاء إلى رسول اللّه ﷺ وأخبره بما قال ابن أُبيّ فقال له: لعلّك وَهَمْتَ يا غلام . قال: لا واللّه ما وهمتُ . فقال: لعلّك غضبت عليه قال: لا واللّه ما

١ ـ القمّي ٢: ٣٧٠ ، عن أبي جعفر عليه السلام .

٢ ـ زيد بن أرقم الخزرجيّ الأنصاري: صحابيّ ، غزا مع النبيّ ﷺ سبع عشرة غزوة ، وشهد صفّين مع عليّ ، ومات بالكوفة سنة: ٦٨ . راجع: أعيان الشيعة ٧: ٨٧ ؛ تنقيح المقال ١: ٤٦١ ؛ معجم رجال الحديث ٧: ٣٣٣ ؛ تهذيب التهذيب ٣: ٣٩٤ .

غضبتُ عليه. قال: فلعلّه سفه عليك. قال: لا والله. فرحل رسول الله ﷺ في غير وقت رحيل، ورحل النّاس معه، فسار يومه كلّه لا يكلّمه أحد. فأقبلت الخزرج على عبد الله بن أُبيّ يعذلونه. فحلف أنّه لم يقل شيئاً من ذلك. فقالوا: فقم بنا إلى رسول الله حتّى نعتذر إليه، فلوّى عنقه. فلمّا كان من الغد نزل رسول الله ونزل أصحابه، فجاء ابن أُبيّ إليه وحلف أنّه لم يقل شيئاً من ذلك، وأنّه ليشهد أن لا إله إلّا الله، وأنّك لرسول الله، وأنّ زيداً قد كذب عليّ. فقبل رسول الله ﷺ منه.

وأقبلت الخزرج على زيد بن أرقم يشتمونه ويقولون له: كذبت على عبد الله سيّدنا، وكان زيد يقول: اللّهمّ إنّك لتعلم أنّي لم أكذب على عبد الله بن أُبيّ. فما سار إلّا قليلاً حتّى أخذ رسول الله ﷺ ما كان يأخذه من البُرَحاء[1] عند نزول الوحي، فثقل حتّى كادت ناقته أن تبرك، فسرى عنه وهو يسكب العرق عن جبهته، ثمّ أخذ بأُذن زيد فرفعه من الرّحل، ثمّ قال: يا غلام صدق فوك ووعي قلبك وأنزل الله فيما قُلْتَ قرآناً.

فلمّا نزل، جمع أصحابه وقرأ عليهم سورة المنافقين. ففضح الله ابن أُبيّ وأصحابه، فمشى إليهم عشائرهم فقالوا لهم: قد افتضحتم ويلكم فاتوا نبيّ الله يستغفر لكم، فلوّوا رؤوسهم وزهدوا في الاستغفار[2].

﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُلْهِكُمْ أَمْوالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ﴾ لا يشغلكم تدبيرها والاهتمام بها ﴿عَنْ ذِكْرِ اللّهِ﴾ كالصّلاة وسائر العبادات ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذٰلِكَ فَأُولٰئِكَ هُمُ الخاسِرُونَ﴾ لأنّهم باعوا العظيم الباقي بالحقير الفاني.

﴿وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْناكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ المَوْتُ﴾: أن يرى دلائله ﴿فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلا أَخَّرْتَنِي﴾: أمهلتني ﴿إِلىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ﴾: فأتصدّق. قال: «أصّدّق، من

١ـ بُرَحاء: شدّة الأذى. الصّحاح ١: ٣٥٥ (برح).
٢ـ القمّي ٢: ٣٦٨ـ ٣٧٠.

الصّدقة»[١]. ﴿وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ قال: «أحجّ»[٢]. وقال: «الصّلاح الحجّ»[٣].

﴿وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللّهُ نَفْساً إِذا جاءَ أَجَلُها﴾.

قال: «إنّ عند اللّه كتباً موقوفة يقدّم منها ما يشاء ويؤخّر ما يشاء، فإذا كان ليلة القدر أنزل اللّه فيها كلّ شيء يكون إلى مثلها، فذلك قوله "ولن يؤخّر اللّه نفساً إذا جاء أجلها": إذا أنزله اللّه، وكتبه كتاب السّماوات، وهو الّذي لا يؤخّره»[٤].

﴿وَاللّهُ خَبِيرٌ بِما تَعْمَلُونَ﴾.



١ و ٢ ـ من لا يحضره الفقيه ٢: ١٤٢، الحديث: ٦١٨.

٣ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٢٩٦، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٤ ـ القمّي ٢: ٥٤٧، عن أبي جعفر عليه السلام.

سورة التّغابن

[مدنيّة ، وهي ثماني عشرة آية][1]

بسم اللّه الرّحمٰن الرّحيم

﴿يُسَبِّحُ لِلّٰهِ ما فِي السَّمٰواتِ وَما فِي الأَرْضِ لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ وَهُوَ عَلىٰ كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ﴾ .

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ﴾ . قال: «عرف اللّه إيمانهم بولايتنا وكفرهم بتركها ، يوم أخذ عليهم الميثاق في صلب آدم وهم ذرّ»[2] . ﴿وَاللّٰهُ بِما تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ .

﴿خَلَقَ السَّمٰواتِ وَالأَرْضَ بِالحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ حيث زيّنكم بصفوة أوصاف الكائنات ، وخصّكم بخلاصة خصائص المبدعات ، وجعلكم أُنموذج جميع المخلوقات . ﴿وَإِلَيْهِ المَصِيرُ﴾ فأحسنوا سرائركم حتّى لا يمسخ بالعذاب ظواهركم .

﴿يَعْلَمُ ما فِي السَّمٰواتِ وَالأَرْضِ وَيَعْلَمُ ما تُسِرُّونَ وَما تُعْلِنُونَ وَاللّٰهُ عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ﴾ .

١ ـ ما بين المعقوفتين من «ب» .

٢ ـ الكافي ١: ٤٢٦ ، الحديث: ٧٤ ؛ القمّي ٢: ٣٧١ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .

﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ﴾ كقوم نوح وهود وصالح ﴿فَذاقُوا وَبالَ أَمْرِهِمْ﴾: ضرر كفرهم في الدّنيا. وأصل الوبال: الثّقل. ﴿وَلَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ﴾ في الآخرة.

﴿ذٰلِكَ بِأَنَّهُ كانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّناتِ فَقالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنا﴾: أنكروا وتعجّبوا أن يكون الرّسل بشراً. والبشر يطلق على الواحد والجمع. ﴿فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا وَاسْتَغْنَى اللّٰهُ﴾ عن كلّ شيء فضلاً عن طاعتهم ﴿وَاللّٰهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾.

﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِما عَمِلْتُمْ وَذٰلِكَ عَلَى اللّٰهِ يَسِيرٌ﴾.

﴿فَآمِنُوا بِاللّٰهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنا﴾ قيل: يعني القرآن[1].

وقال: «النّور هو الإمام»[2].

وفي رواية: «النّور والله الأئمّة[3]، لنور الإمام في قلوب المؤمنين أنور من الشّمس المضيئة بالنّهار، وهم الّذين ينوّرون[4] قلوب المؤمنين، ويحجب الله نورهم عمّن يشآء فتظلم قلوبهم»[5]. ﴿وَاللّٰهُ بِما تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾.

﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ﴾ لأجل ما فيه من الحساب والجزاء، والجمع: جمع الأوّلين والآخرين ﴿ذٰلِكَ يَوْمُ التَّغابُنِ﴾ يغبن فيه بعضهم بعضاً.

قال: «يوم يغبن أهلُ الجنّة أهلَ النّار»[6].

وقال: «ما من عبد يدخل الجنّة إلّا أُري مقعده من النّار لو أساء، ليزداد شكراً. وما من عبد يدخل النّار إلّا أُري مقعده من الجنّة لو أحسن، ليزداد حسرة»[7].

١ ـ التّبيان ١٠: ٢١؛ الكشّاف ٤: ١١٥؛ البيضاوي ٥: ١٣٥.

٢ ـ الكافي ١: ١٩٦، ذيل الحديث: ٦، عن أبي الحسن الكاظم عليه السلام.

٣ ـ في المصدر: «والله نور الأئمّة».

٤ ـ في المصدر: «وهم والله ينوّرون».

٥ ـ الكافي ١: ١٩٤، الحديث: ١، عن أبي جعفر عليه السلام.

٦ ـ معاني الأخبار: ١٥٦، الحديث: ١، عن أبي عبد الله عليه السلام.

٧ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٢٩٩، عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم.

﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صالِحاً يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها أَبَداً ذٰلِكَ الفَوْزُ العَظِيمُ﴾.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآياتِنا أُولٰئِكَ أَصْحابُ النّارِ خالِدِينَ فِيها وَبِئْسَ المَصِيرُ﴾. الآيتان بيان للتّغابن وتفصيل له.

﴿ما أَصابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ بتقديره ومشيئته ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾.

قال: «إنّ القلب لَيَتَرَجْرَجُ[1] فيما بين الصّدر والحنجرة، حتّى يعقد على الإيمان، فإذا عقد على الإيمان قرّ؛ وذلك قول اللّه عزّوجلّ: "ومن يؤمن باللّه يهد قلبه"»[2].

﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ حتّى القلوب وأحوالها.

﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّما عَلىٰ رَسُولِنَا البَلاغُ المُبِينُ﴾.

﴿اللَّهُ لا إِلٰهَ إِلّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ المُؤْمِنُونَ﴾.

﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْواجِكُمْ وَأَوْلادِكُمْ عَدُوّاً لَكُمْ﴾ يشغلكم عن طاعة اللّه، ويخاصمكم في أمر الدّين أو الدّنيا.

﴿فَاحْذَرُوهُمْ﴾ ولا تأمنوا غوائلهم ﴿وَإِنْ تَعْفُوا﴾ عن ذنوبهم، بترك المعاقبة ﴿وَتَصْفَحُوا﴾ بالإعراض، وترك التّثريب عليها ﴿وَتَغْفِرُوا﴾ بإخفائها، وتمهيد معذرتهم فيها ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ يعاملكم بمثل ما عاملتم، ويتفضّل عليكم.

قال: «إنّ الرّجل كان إذا أراد الهجرة إلى رسول اللّه صلّى الله عليه وآله تعلّق به ابنه وامرأته، وقالوا: ننشدك اللّه أن تذهب عنّا وتدعنا فنضيع بعدك، فمنهم من يطيع أهله فيقيم، ومنهم من يمضي ويذرهم ويقول: أما واللّه لئن لم تهاجروا معي، ثمّ يجمع اللّه بيني وبينكم في دار الهجرة، لا أنفعكم بشيء أبداً، فلمّا جمع اللّه بينه وبينهم أمره اللّه أن يحسن إليهم ويصلهم،

١ ـ تَرَجْرَجَ الشيء، أي: جاء وذهب. الصّحاح ١: ٣١٧ (رجج).

٢ ـ الكافي ٢: ٤٢١، الحديث: ٤، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

فقال: "وإن تعفوا"، الآية»[1].

﴿إِنَّما أَمْوالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ اختبار لكم. ﴿وَاللّٰهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ لمن آثر محبّة اللّه وطاعته على محبّة الأموال والأولاد والسّعي لهم.

﴿فَاتَّقُوا اللّٰهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾: فابذلوا في تقواه جهدكم وطاقتكم ﴿وَاسْمَعُوا﴾ مواعظه ﴿وَأَطِيعُوا﴾ أوامره ﴿وَأَنْفِقُوا﴾ في وجوه الخير خالصاً لوجهه ﴿خَيْراً﴾: إنفاقاً خيراً ﴿لِأَنْفُسِكُمْ﴾ حثّ على الإنفاق. ﴿وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾. سبق تفسيره[2].

﴿إِنْ تُقْرِضُوا اللّٰهَ﴾ بصرف المال فيما أمره ﴿قَرْضاً حَسَناً﴾: مقروناً بإخلاص وطيب نفس ﴿يُضاعِفْهُ لَكُمْ﴾: يجعل لكم بالواحد عشراً إلى سبعمائة وأكثر ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ ببركة الإنفاق ﴿وَاللّٰهُ شَكُورٌ﴾: يعطي الجزيل بالقليل ﴿حَلِيمٌ﴾: لا يعاجل بالعقوبة.

﴿عالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهادَةِ﴾: لا يخفى عليه شيء ﴿الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾: تامّ القدرة والعلم.

١ ـ القمّي ٢: ٣٧٢، عن أبي جعفر عليه السلام.

٢ ـ ذيل الآية: ١٢٨ من سورة النّساء.

سورة الطّلاق

[مدنيّة، وهي اثنتا عشرة آية][1]

بسم الله الرّحمن الرّحيم

﴿يا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّساءَ﴾. القمّي: المخاطبة للنّبيّ والمعنى للنّاس[2].

﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾ قال: «في قبل عدّتهنّ»[3].

وقال: «العدّة: الطّهر من المحيض»[4].

وفي رواية: «إذا أراد الرّجل الطّلاق، طلّقها في قبل عدّتها بغير جماع»[5].

﴿وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ﴾: اضبطوها، وأكملوها ثلاثة قروء ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ﴾ في تطويل العدّة والإضرار بهنّ. ﴿لا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ﴾ من مساكنهنّ حتّى تنقضي عدّتهنّ ﴿وَلا يَخْرُجْنَ﴾.

قال: «إنّما عني بذلك التي تطلّق تطليقة بعد تطليقة، فتلك الّتي لا تخرج ولا تخرج

---

١ ـ ما بين المعقوفتين من «ب».

٢ ـ القمّي ٢: ٣٧٣.

٣ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٣٠٢، عن عليّ بن الحسين وأبي عبد الله عليهما السلام.

٤ ـ القمّي ٢: ٣٧٣، عن أبي جعفر عليه السلام.

٥ ـ الكافي ٦: ٦٩، الحديث: ٩، عن أبي عبد الله، عن أمير المؤمنين عليهما السلام.

حتّى تطلّق الثالثة ، فإذا طلّقت الثالثة فقد بانت منه ، ولا نفقة لها . والمرأة التي يطلّقها الرّجل تطليقة ، ثمّ يدعها حتّى يخلو أجلها ، فهذه أيضاً تقعد في منزل زوجها ، ولها النّفقة والسّكنى حتّى تنقضي عدّتها»[١] .

﴿إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ﴾ قال: «يعني بالفاحشة المبيّنة أن تؤذي أهل زوجها ، فإذا فعلت ، فإن شاء أن يخرجها من قبل أن تنقضي عدّتها ، فَعَلَ»[٢] .

وفي رواية: «إلّا أن تزني ، فتخرج ويقام عليها الحدّ»[٣] .

وفي أخرى: «السّحق»[٤] .

والقمّي: أن تزني أو تشرف على الرّجال . ومن الفاحشة السّلاطة[٥] على زوجها[٦] .

﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لا تَدْرِي﴾ أي: النّفس ﴿لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْراً﴾ قال: «لعلّها أن تقع في نفسه فيراجعها»[٧] .

﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾: شارفن آخر عدّتهنّ ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ﴾: راجعوهنّ ﴿بِمَعْرُوفٍ﴾: بحسن عُشْرَةٍ وإنفاق مناسب ﴿أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ بإيفاء الحقّ والتّمتيع واتّقاء الضّرار ﴿وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾ على الطّلاق . القمّي: معطوف على قوله: "إذا طلّقتم النّساء فطلّقوهنّ لعدّتهنّ"[٨] .

قال لأبي يوسف القاضي[٩]: «إنّ الله تبارك وتعالى أمر في كتابه بالطّلاق وأكّد فيه

١ ـ الكافي ٦: ٩٠ ، الحديث: ٥ ، عن الكاظم عليه السلام .

٢ ـ المصدر: ٩٧ ، الحديث: ٢ ، عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام .

٣ ـ من لا يحضره الفقيه ٣: ٣٢٢ ، الحديث: ١٥٦٥ ، عن أبي عبد الله عليه السلام .

٤ ـ كمال الدّين ٢: ٤٥٩ ، الباب: ٤٣ ، قطعة من حديث: ٢١ ، عن القائم عليه السلام .

٥ ـ السّلاطة: حدّة اللّسان . يقال: رجل سَليط ، أي: صخّاب بذي اللّسان ، وامرأة سليطة كذلك . مجمع البحرين ٤: ٢٥٥ (سلط) .

٦ ـ القمّي ٢: ٣٧٤ .

٧ ـ الكافي ٦: ٩٢ ، الحديث: ١٤ ، عن أبي عبد الله عليه السلام .

٨ ـ القمّي ٢: ٣٧٣ .

٩ ـ يعقوب بن إبراهيم بن حبيب الأنصاري الكوفي البغدادي ، أبو يوسف: صاحب أبي حنيفة وتلميذه وأوّل من ←

بشاهدين ، ولم يرض بهما إلّا عدلين ، وأمر في كتابه بالتّزويج ، فأهمله بلا شهود ؛ فأثبتم شاهدين فيما أهمل ، وأبطلتم الشّاهدين فيما أكّد!»[١].

﴿وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ﴾ أيّها الشّهود عند الحاجة ﴿لِلَّهِ﴾: خالصاً لوجهه ﴿ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً﴾ قال: «من شبهات الدّنيا ومن غمرات الموت وشدائد يوم القيامة»[٢].

وقال: «مخرجاً من الفِتَن ونوراً من الظُّلَم»[٣].

ورد: «هي آية لو أخذ بها النّاس لكفتهم»[٤].

﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ قال: «في دنياه»[٥]. وقال: «أي: يبارك له فيما آتاه»[٦].

و ورد: «من أتاه اللّه برزق لم يخط إليه برِجْله ، ولم يمدّ إليه يده ، ولم يتكلّم فيه بلسانه ، ولم يشدّ إليه ثيابه ، ولم يتعرّض له ، كان ممّن ذكره اللّه في كتابه: "ومن يتّق اللّه"، الآية»[٧].

و ورد: «إنّ قوماً لمّا نزلت هذه الآية أغلقوا الأبواب وأقبلوا على العبادة ، فقال لهم النّبيّ صلى الله عليه وآله: من فعل ذلك لم يستجب له ، عليكم بالطّلب»[٨].

← نشر مذهبه . تولّى القضاء في بغداد أيّام المهدي والهادي والرشيد ، وهو أوّل من دُعي «قاضي القضاة». ولد بالكوفة سنة: ١١٣هـ ، ومات في خلافته ببغداد ، سنة: ١٨٢هـ. الأعلام (للزّركلي) ٨: ١٩٣

١ ـ الكافي ٥: ٣٨٧ ، الحديث: ٤ ، عن أبي الحسن الكاظم عليه السلام .

٢ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٣٠٦ ، عن رسول اللّه صلى الله عليه وآله .

٣ ـ نهج البلاغة (صبحي الصّالح) ٢٦٦ ، الخطبة: ١٨٣ .

٤ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٣٠٦ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .

٥ ـ القمّي ٢: ٣٧٥ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .

٦ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٣٠٦ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .

٧ ـ من لا يحضره الفقيه ٣: ١٠١ ، الحديث: ٣٩٩ ، عن أبي عبد اللّه ، عن أبيه ، عن آبائه ، عن أمير المؤمنين عليهم السلام .

٨ ـ الكافي ٥: ٨٤ ، الحديث: ٥ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .

وفي رواية: «هؤلاء قوم من شيعتنا ضعفاء، ليس عندهم ما يتحمّلون به إلينا، فيسمعون حديثنا ويقتبسون من علمنا، فيرحل قوم فوقهم وينفقون أموالهم ويتعبون أبدانهم، حتّى يدخلوا علينا؛ فيسمعوا حديثنا فينقلوه إليهم؛ فيعيه هؤلاء ويضيّعه هؤلاء. فأُولئك الّذين يجعل اللّه لهم مخرجاً، ويرزقهم من حيث لا يحتسبون»[١].

﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾: كافيه ﴿إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ﴾: يبلغ ما يريده، ولا يفوته مراد ﴿قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً﴾ تقديراً أو مقداراً لا يتغيّر. وهو بيان لوجوب التّوكّل، وتقرير لما تقدّم من الأحكام، وتمهيد لما سيأتي من المقادير.

قال: «التّوكّل على اللّه درجات، منها: أن تتوكّل على اللّه في أُمورك كلّها؛ فما فعل بك كنت عنه راضياً، تعلم أنّه لا يألوك خيراً وفضلاً، وتعلم أنّ الحكم في ذلك له»[٢].

وسأل النّبيّ صلّى الله عليه وآله جبرئيل: ما التّوكّل على اللّه؟ فقال: «العلم بأنّ المخلوق لا يضرّ ولا ينفع ولا يعطي ولا يمنع، واستعمال اليأس من الخلق. فإذا كان العبد كذلك؛ لم يعمل لأحد سوى اللّه، ولم يرج ولم يخف سوى اللّه، ولم يطمع في أحد سوى اللّه، فهذا هو التّوكّل»[٣].

﴿وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ﴾ فلا يحضن ﴿إِنِ ارْتَبْتُمْ﴾: شككتم في أمرهنّ، فلا تدرون لكبر ارتفع حيضهنّ أم لعارض ﴿فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ﴾.

قال: «هنّ اللّواتي أمثالهنّ يحضن؛ لأنّهنّ لو كنّ في سنّ من لا تحيض لم يكن للارتياب معنى»[٤].

﴿وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ﴾ يعني واللّائي لم يحضن بعد كذلك ﴿وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ

١ ـ الكافي ٨: ١٧٨، الحديث: ٢٠١، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.
٢ ـ الكافي ٢: ٦٥، الحديث: ٥، عن الكاظم عليه السلام.
٣ ـ معاني الأخبار: ٢٦٠، الحديث: ١.
٤ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٣٠٧، عن أئمّتنا عليهم السلام.

أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ قال: «هي في الطّلاق خاصّة»[1].

أقول: وذلك لأنّ عدّتهنّ في الموت أبعد الأجلين، كما ورد في أخبار كثيرة[2].

﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ﴾ في أحكامه، فيراعي حقوقها ﴿يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْراً﴾: يسهّل عليه أمره ويوفّقه للخير.

﴿ذٰلِكَ﴾ إشارة إلى ما ذكر من الأحكام ﴿أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ﴾ في أمره ﴿يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ﴾ فإنّ الحسنات يذهبن السّيّئات ﴿وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْراً﴾ بالمضاعفة.

﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ﴾ أي: مكاناً من سكناكم ﴿مِنْ وُجْدِكُمْ﴾ من وسعكم ﴿وَلا تُضارُّوهُنَّ﴾ في السّكنى ﴿لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ﴾: «فتلجئوهنّ إلى الخروج قبل انقضاء عدّتهنّ». كذا ورد[3].

قال: «والمطلّقة ثلاثاً ليس لها نفقة على زوجها، إنّما هي التي لزوجها عليها رجعة»[4].

﴿وَإِنْ كُنَّ أُولاتِ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ فيخرجن من العدّة ﴿فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ﴾ بعد انقطاع علاقة النّكاح ﴿فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ على الإرضاع ﴿وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ﴾: وليأتمر بعضكم بعضاً بجميل في الإرضاع والأجر. ﴿وَإِنْ تَعاسَرْتُمْ﴾: تضايقتم ﴿فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرىٰ﴾: امرأة أخرى؛ وفيه معاتبة للأمّ على المعاسرة.

﴿لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمّا آتاهُ اللَّهُ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلّا ما آتاها سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْراً﴾ عاجلاً أو آجلاً.

١ـ مجمع البيان ٩ـ ١٠: ٣٠٧، عن أئمتنا عليهم السلام.

٢ـ الكافي ٦: ١١٤، الحديث: ٢، ٤، ٥ و ٦؛ المصدر ٥: ٤٢٧، الحديث: ٤ و ٥؛ من لا يحضره الفقيه ٣: ٣٣٠، الحديث: ١٥٩٧.

٣ـ الكافي ٦: ١٢٣، الحديث: ١، عن أبي عبد الله عليه السلام.

٤ـ المصدر: ١٠٤، الحديث: ١ و ٤، عن أبي جعفر عليه السلام.

هذا الحكم يجري في كلّ إنفاق فقد ورد: إنّه سئل عن الرّجل الموسر يتّخذ الثّياب الكثيرة الجياد، والطّيالسة[1] والقمص الكثيرة؛ يصون بعضها بعضاً، يتجمّل بها، أيكون مسرفاً؟ قال: «لا، لأنّ اللّه عزّوجلّ يقول: "لينفق ذو سعة من سعته"»[2].

﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ﴾: أهل قرية ﴿عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّها وَرُسُلِهِ﴾: أعرضت عنه إعراض العاتي ﴿فَحاسَبْناها حِساباً شَدِيداً﴾ بالاستقصاء والمناقشة ﴿وَعَذَّبْناها عَذاباً نُكْراً﴾: منكراً.

﴿فَذاقَتْ وَبالَ أَمْرِها وَكانَ عاقِبَةُ أَمْرِها خُسْراً﴾.

﴿أَعَدَّ اللّهُ لَهُمْ عَذاباً شَدِيداً فَاتَّقُوا اللّهَ يا أُولِي الْأَلْبابِ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْراً﴾.

﴿رَسُولاً﴾. «الذّكر: رسول اللّه». كذا ورد[3]. ﴿يَتْلُو عَلَيْكُمْ آياتِ اللّهِ مُبَيِّناتٍ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّالِحاتِ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَى النُّورِ﴾: من الضّلالة إلى الهدى ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللّهِ وَيَعْمَلْ صالِحاً يُدْخِلْهُ جَنّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها أَبَداً قَدْ أَحْسَنَ اللّهُ لَهُ رِزْقاً﴾.

﴿اللّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَماواتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾. في العدد ﴿يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾: يجري أمر اللّه وقضاؤه بينهنّ، وينفذ حكمه فيهنّ ﴿لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللّهَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللّهَ قَدْ أَحاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً﴾.

ورد ما ملخّصه: «إنّ السّماء الدّنيا فوق هذه الأرض قبّة عليها، والأرض الثّانية فوق السّماء الدّنيا والسّماء الثّانية فوقها قبّة، والأرض الثّالثة فوق السّماء الثّانية والسّماء الثّالثة

١ـ الطّيالسة، واحدة: الطّيلسان، مثلّثة اللّام: ثوب يحيط بالبدن يُنسج للّبس، خالٍ عن التفصيل والخياطة. وهو من لباس العجم. والهاء في الجمع للعجمة؛ لأنّه فارسي، معرّب: تالِشان. مجمع البحرين ٤: ٨٢(طيلس).

٢ـ الكافي ٦: ٤٤٣، الحديث: ١٢، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٣ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ١: ٢٣٩، الباب: ٢٣، قطعة من حديث: ١.

فوقها قبّة ، وهكذا إلى السّابعة من كلّ منهما . وعرش الرّحمان فوق السّماء السّابعة ، وهو قول اللّه: "الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمٰاوٰاتٍ طِبٰاقاً" الآية[۱] . قال: فأمّا صاحب الأمر فهو رسول اللّه ، والوصيّ بعد رسول اللّه قائم هو على وجه الأرض ، فإنّما يتنزّل الأمر إليه من فوق السّماء بين السّماوات والأرضين . وقال: ما تحتنا إلّا أرض واحدة وإنّ السّتّ لهي فوقنا»[۲] .

أقول: كأنّه عليه السلام جعل كلّ سماء أرضاً بالإضافة إلى ما فوقها وسماء بالإضافة إلى ما تحتها ، فيكون التّعدّد باعتبار تعدّد سطحيها .



۱ ـ سورة الملك (۶۷): ۳ .

۲ ـ القمّي ۲: ۳۲۹ ، ذيل الآية: ۷ من سورة الذّاريات ، عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام .

سورة التّحريم

[مدنيّة، وهي اثنتا عشرة آية][1]

بسم الله الرّحمن الرّحيم

﴿يا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ ما أَحَلَّ اللّٰهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضاتَ أَزْواجِكَ وَاللّٰهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

قال: «اطّلعت عائشة وحفصة على النّبيّ ﷺ وهو مع مارية، فقال ﷺ: واللّه ما أقربها. فأمره اللّه أن يكفّر عن يمينه»[2].

وروي: «إنّه خلا بمارية في يوم حفصة أو عائشة، فاطّلعت على ذلك حفصة فعاتبته فيه؛ فحرّم مارية، فنزلت»[3].

﴿قَدْ فَرَضَ اللّٰهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمانِكُمْ﴾: قد شرع لكم تحليلها، وهو حلّ ما عقدتم بالكفّارة. ﴿وَاللّٰهُ مَوْلاكُمْ﴾: متولّي أمركم ﴿وَهُوَ الْعَلِيمُ﴾ بما يصلحكم. ﴿الْحَكِيمُ﴾: المتقن في أفعاله وأحكامه.

﴿وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلىٰ بَعْضِ أَزْواجِهِ﴾ يعني حفصة ﴿حَدِيثاً﴾.

١ ـ ما بين المعقوفتين من «ب».

٢ ـ القمّي ٢: ٣٧٥، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٣ ـ البيضاوي ٥: ١٣٨.

ورد: «إنّه لمّا حرّم مارية على نفسه أخبر حفصة: أنّه يملك من بعده أبو بكر وعمر»[١].

وفي رواية: «قال لها: إن أنت أخبرت به فعليك لعنة الله والملائكة والنّاس أجمعين، فأخبرت حفصة عائشة من يومها ذلك، وأخبرت عائشة أبا بكر»[٢].

﴿فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ﴾: أخبرت به ﴿وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ﴾: وأطلع اللّه النّبيّ صلى الله عليه وآله على الحديث، أي: على إفشائه ﴿عَرَّفَ بَعْضَهُ﴾: عرّف الرّسول بعض ما فعلت ﴿وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ﴾: عن إعلام بعض تكرّماً.

قال: «إنّ كلّ واحدة منهما حدّثت أباها بذلك، فعاتبهما في أمر مارية. وما أفشتا عليه من ذلك، وأعرض عن أن يعاتبهما في الأمر الآخر»[٣].

﴿فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَٰذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ﴾.

﴿إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ﴾ خطابٌ لحفصة وعائشة على الالتفات للمبالغة في المعاتبة ﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾: فقد وجد منكما ما يوجب التّوبة، وهو ميل قلوبكما عن الواجب، من مخالصة الرّسول صلى الله عليه وآله بحبّ ما يحبّه وكراهة ما يكرهه. ﴿وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ﴾: وإن تتظاهرا عليه بما يسوؤه.

وفي قراءتهم عليهم السلام: «وإن تظاهروا عليه»[٤]. كأنّهم عليهم السلام أشركوا معهما أبويهما. ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ﴾: فلن يعدم من يظاهره، فإنّ اللّه ناصره، وجبريل رئيس الكرّوبيين قرينه، وعليّ بن أبي طالب أخوه ووزيره ونفسه ﴿وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾: مظاهرون.

قال: «لمّا نزلت هذه الآية أخذ رسول اللّه صلى الله عليه وآله بيد عليّ عليه السلام وقال: يا أيّها النّاس هذا

١ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٣١٤؛ الكشّاف ٤: ١٢٤.
٢ ـ القمّي ٢: ٣٧٦.
٣ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٣١٤، عن أبي جعفر عليه السلام.
٤ ـ جوامع الجامع: ٤٩٩، عن الكاظم عليه السلام.

صالح المؤمنين»[1]. وفي معناه أخبار كثيرة[2].

﴿عَسىٰ رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْواجاً خَيْراً مِنكُنَّ مُسْلِماتٍ مُؤْمِناتٍ قانِتاتٍ تائِباتٍ عابِداتٍ سائِحاتٍ﴾: صائمات، كما مرّ في سورة التّوبة[3] ﴿ثَيِّباتٍ وَأَبْكاراً﴾ وسّط العاطف بينهما لتنافيهما ولأنّهما في حكم صفة واحدة، إذ المعنى مشتملات على الثّيّبات والأبكار.

﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ بترك المعاصي وفعل الطّاعات ﴿وَأَهْلِيكُمْ﴾ بالنّصح والتّأديب ﴿ناراً وَقُودُهَا النّاسُ وَالحِجارَةُ عَلَيْها مَلائِكَةٌ﴾ تلي أمرها، وهم الزّبانية ﴿غِلاظٌ شِدادٌ لا يَعْصُونَ اللّهَ ما أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ ما يُؤْمَرُونَ﴾.

قال: «لمّا نزلت هذه الآية جلس رجل من المسلمين يبكي، وقال: عجزت عن نفسي، كلّفت أهلي. فقال رسول اللّه صلى الله عليه وآله: حسبك أن تأمرهم بما تأمر به نفسك، وتنهاهم عمّا تنهى عنه نفسك»[4].

وزاد في رواية: «فإن أطاعوك كنت قد وقيتهم، وإن عصوك كنت قد قضيت ما عليك»[5].

﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَعْتَذِرُوا اليَوْمَ إِنَّما تُجْزَوْنَ ما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي: يقال لهم ذلك عند دخولهم النّار، والنّهي عن الاعتذار لأنّه لا عذر لهم، أو العذر لا ينفعهم.

﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللّهِ تَوْبَةً نَصُوحاً﴾: بالغة في النّصح. أسند صفة التّائب إلى التّوبة مبالغة. ورد: إنّه سئل عنها، فقال: «يتوب العبد من الذّنب ثمّ لا يعود

١ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٣١٦، عن أبي جعفر عليه السلام.

٢ ـ التبيان ١٠: ٤٨؛ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٣١٦؛ الجامع لأحكام القرآن (للقرطبي) ١٨: ١٩٢؛ تفسير القرآن العظيم (لابن كثير) ٤: ٤١٥؛ الدّرّ المنثور ٨: ٢٢٤.

٣ ـ ذيل الآية: ١١٢.

٤ ـ الكافي ٥: ٦٢، الحديث: ١، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٥ ـ المصدر، الحديث: ٢؛ القمّي ٢: ٣٧٧، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

فيه»[1]. قيل له: وأيّنا لم يعد؟! فقال: «إنّ اللّه يحبّ من عباده المفتّن التوّاب»[2].

وفي رواية: «التّوبة النّصوح: أن يكون باطن الرّجل كظاهره وأفضل»[3].

و ورد: «إذا تاب العبد توبة نصوحاً أحبّه اللّه ؛ فستر عليه في الدّنيا والآخرة. قيل: وكيف يستر عليه؟ قال: ينسي ملكيه ما كتبا عليه من الذّنوب، ويوحي إلى جوارحه: اكتُمي عليه ذنوبه، ويوحي إلى بقاع الأرض: اكتُمي ما كان يعمل عليك من الذّنوب، فيلقى اللّه حين يلقاه وليس شيء يشهد عليه بشيء من الذّنوب»[4].

﴿عَسىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهارُ﴾.

ذكر بصيغة الإطماع، جرياً على عادة الملوك، وإشعاراً بأنّه تفضّل، وأنّ العبد ينبغي أن يكون بين خوف ورجاء. ﴿يَوْمَ لا يُخْزِي اللّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسعىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمانِهِمْ﴾.

قال: «يسعى أئمّة المؤمنين يوم القيامة بين أيدي المؤمنين وبأيمانهم، حتّى ينزلوهم منازلهم في الجنّة»[5].

وفي رواية: «فمن كان له نور يومئذٍ نجا، وكلّ مؤمن له نور»[6].

﴿يَقُولُونَ رَبَّنا أَتْمِمْ لَنا نُورَنا وَاغْفِرْ لَنا إِنَّكَ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿يا أَيُّهَا النَّبِيُّ جاهِدِ الكُفّارَ وَالمُنافِقِينَ﴾ قال: «بإلزام الفرائض»[7].

وفي رواية: «فجاهد رسول اللّه صلى الله عليه وآله الكفّار، وجاهد عليّ عليه السلام المنافقين، فجاهد

١ ـ الكافي ٢: ٤٣٢، الحديث: ٣، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.
٢ ـ المصدر، الحديث: ٤، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.
٣ ـ معاني الأخبار: ١٧٤، الحديث: ٣، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.
٤ ـ الكافي ٢: ٤٣٠، الحديث: ١، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.
٥ ـ القمّي ٢: ٣٧٨؛ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٣١٨، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.
٦ ـ القمّي ٢: ٣٧٨، عن أبي جعفر عليه السلام.
٧ ـ القمّي ١: ٣٠١، ذيل الآية: ٧٣ من سورة التّوبة، عن أبي جعفر عليه السلام.

عليّ عليه السلام جهاد رسول الله صلى الله عليه وآله»[١].

وفي أُخرى: إنّه قرأ: «جاهد الكفّار بالمنافقين. قال: إنّ رسول اللّه صلى الله عليه وآله لم يقاتل منافقاً قطّ، إنّما كان يتألّفهم»[٢]. وتمام بيانه مضى في التّوبة[٣].

﴿وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾.

﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا﴾ بالنّفاق والتّظاهر على الرّسولين. مثّل اللّه حال الكفّار والمنافقين ـ في أنّهم يعاقبون بكفرهم ونفاقهم، ولا يحابون بما بينهم وبين النّبيّ والمؤمنين؛ من النّسبة والوصلة ـ بحال إمرأة نوح وإمرأة لوط.

وفيه تعريض بعائشة وحفصة في خيانتهما رسول اللّه صلى الله عليه وآله، بإفشاء سرّه، ونفاقهما إيّاه، وتظاهرهما عليه، كما فعلت امرأتا الرّسولين.

﴿فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئاً﴾: فلم يغن الرّسولان عنهما بحق الزّواج إغناء مّا ﴿وَقِيلَ﴾ لهما بعد موتهما وقيام السّاعة ﴿ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ﴾ الّذين لا وصلة بينهم وبين الأنبياء.

﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ﴾. ومثّل حال المؤمنين في أنّ وصلة الكافرين لا تضرّهم بحال آسية ومنزلتها عند اللّه، مع أنّها كانت تحت أعدى أعداء اللّه ﴿إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ﴾: من نفسه الخبيثة وعمله السّيّئ ﴿وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾: من القبط التّابعين له في الظّلم.

﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ القمّي: لم ينظر إليها[٤]. ﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ﴾:

١ ـ القمّي ٢: ٣٧٧، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.
٢ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٣١٩، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.
٣ ـ ذيل الآية: ٧٣.
٤ ـ القمّي ٢: ٧٥، ذيل الآية: ٩١ من سورة الأنبياء.

في فرجها ﴿مِنْ رُوحِنا﴾ قال: «روح مخلوقة»[١] . ﴿وَصَدَّقَتْ بِكَلِماتِ رَبِّها وَكُتُبِهِ وَكانَتْ مِنَ الْقانِتِينَ﴾ القمّي: من الدّاعين[٢] . والتّذكير للتّغليب والإشعار بأنّ طاعتها لم تقصر عن طاعة الرّجال الكاملين ؛ حتّى عدّت منهم .

ورد: «كمل من الرّجال كثير ، ولم يكمل من النّساء إلّا أربع: آسية بنت مزاحم امرأة فرعون ، ومريم بنت عمران ، وخديجة بنت خويلد ، وفاطمة بنت محمّد عليها السلام»[٣] .

ورد: «إنّهنّ أفضل نساء أهل الجنّة أجمعين»[٤] .



١ ـ القمّي ٢: ٧٥ ، ذيل الآية: ٩١ من سورة الأنبياء .

٢ ـ المصدر: ٣٧٨ .

٣ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٣٢٠ ، عن رسول الله صلى الله عليه وآله .

٤ ـ الخصال ١: ٢٠٦ ، ذيل الحديث: ٢٢ ، عن رسول الله صلى الله عليه وآله ، مع تفاوت .

سورة الملك

[مكيّة ، وهي ثلاثون آية][1]

بسم اللّه الرّحمن الرّحيم

﴿تَبارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾: بقبضة قدرته التّصرّف في الأُمور كلّها ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ .

﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَياةَ﴾ القمّي: قدّرهما . ومعناه: قدّر الحياة ثمّ الموت[2] . ورد: «إنّ اللّه خلق الحياة قبل الموت»[3] .

وقال: «الحياة والموت خلقان من خلق اللّه . فإذا جاء الموت فدخل في الإنسان ، لم يدخل في شيء إلّا وقد خرجت منه الحياة»[4] .

﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾: ليعاملكم معاملة المختبر بالتّكليف ﴿أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾ وذلك لأنّ الموت داع إلى حُسْن العمل ، وموجب لعدم الوثوق بالدّنيا ولذّاتها الفانية ، وبالحياة يقتدر على الأعمال الصّالحة الخالصة .

١ ـ ما بين المعقوفتين من «ب» .

٢ ـ القمّي ٢: ٣٧٨ .

٣ ـ الكافي ٨: ١٤٥ ، الحديث: ١١٦ ، عن أبي جعفر عليه السلام .

٤ ـ الكافي ٣: ٢٥٩ ، الحديث: ٣٤ ، عن أبي جعفر عليه السلام .

قال: «أيّكم أحسن عقلاً ، ثمّ قال: أتمّكم عقلاً ، وأشدّكم لله خوفاً ، وأحسنكم فيما أمر الله به ونهى عنه نظراً ؛ وإن كانوا أقلّكم تطوّعاً»[١] .

وقال: «ليس يعني أكثر عملاً ، ولكن أصوبكم عملاً . وإنّما الإصابة خشية الله والنيّة الصّادقة ثمّ قال: الإبقاء على العمل حتّى يخلص أشدّ من العمل . والعمل الخالص الّذي لاتريد أن يحمدك عليه أحد إلّا الله عزّوجلّ»[٢] .

﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾: الغالب الذي لا يعجزه من أساء العمل ﴿الْغَفُورُ﴾ لمن تاب منهم .

﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمٰوَاتٍ طِبَاقاً﴾: مطابقة . قال: «بعضها فوق بعض»[٣] . ﴿مَا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمٰنِ مِنْ تَفَاوُتٍ﴾: من اختلاف . القمّي: يعني من فساد[٤] . ﴿فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِنْ فُطُورٍ﴾: من خلل . يعني قد نظرتَ إليها مراراً . فانظر إليها مرّة أُخرى متأمّلاً فيها ؛ لتعاين ما أخبرت به من تناسبها واستقامتها .

﴿ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ﴾ أي: رَجْعتين أُخريين في ارتياد الخلل . والمراد بالتّثنية التّكرير والتّكثير ، كما في لبّيك وسعديك . والقمّي: اُنظر في ملكوت السّماوات والأرض[٥] . ﴿يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئاً﴾: بعيداً عن إصابة المطلوب ، كأنّه طرد عنه طرداً بالصّغار ﴿وَهُوَ حَسِيرٌ﴾: كليل ، من طول المعاودة وكثرة المراجعة .

﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا﴾: أقرب السّماوات إلى الأرض ﴿بِمَصَابِيحَ﴾: بالنّجوم ﴿وَجَعَلْنَاهَا رُجُوماً لِلشَّيَاطِينِ﴾ ترجم بها . قيل: أُريد به انقضاض الشّهب المسبّبة عنها[٦] . وقيل: أي رجوماً بالغيب لشياطين الإنس ، وهم المنجّمون[٧] . ﴿وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ

١ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٣٢٢ ، عن رسول الله صلّى الله عليه وآله .

٢ ـ الكافي ٢: ١٦ ، الحديث: ٤ ، عن أبي عبد الله عليه السلام .

٣ ـ القمّي ٢: ٣٨٧ ، ذيل الآية: ١٥ من سورة نوح ، عن أبي جعفر عليه السلام .

٤ ـ المصدر .

٥ ـ القمّي ٢: ٣٧٨ .

٦ ـ البيضاوي ٥: ١٤١ .

٧ ـ الكشّاف ٤: ١٣٦ .

السَّعِيرِ﴾ في الآخرة بعد الإحراق بالشّهب في الدّنيا .

﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ﴾ من الشّياطين وغيرهم ﴿عَذابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ .

﴿إِذا أُلْقُوا فِيها سَمِعُوا لَها شَهِيقاً﴾: صوتاً كصوت الحمير ﴿وَهِيَ تَفُورُ﴾: تغلي بهم غليان المِرْجَل[1] بما فيه .

﴿تَكادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ﴾: تتفرّق غضباً عليهم ، وهو تمثيل لشدّة اشتعالها . القمّي: "من الغيظ" على أعداء الله[2] . ﴿كُلَّما أُلْقِيَ فِيها فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُها أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾ يخوّفكم هذا العذاب ؛ وهو توبيخ وتبكيت .

﴿قالُوا بَلى قَدْ جاءَنا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنا وَقُلْنا ما نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلالٍ كَبِيرٍ﴾ أي: نفينا الإنزال والإرسال رأساً ، وبالغنا في نسبتهم إلى الضّلال .

﴿وَقالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ﴾ كلام الرّسل فنقبله جملة من غير بحث وتفتيش ؛ اعتماداً على صدقهم ﴿أَوْ نَعْقِلُ﴾ فنتفكّر في حكمه ومعانيه تفكّر المستبصرين ﴿ما كُنَّا فِي أَصْحابِ السَّعِيرِ﴾ .

﴿فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ﴾ حين لا ينفعهم ﴿فَسُحْقاً لِأَصْحابِ السَّعِيرِ﴾ فأسحقهم الله سحقاً ، أي: أبعدهم بُعداً من رحمته . والقمّي: قد سمعوا وعقلوا ، ولكنّهم لم يطيعوا ولم يقبلوا ؛ كما يدلّ عليه اعترافهم بذنبهم[3] .

ورد: «إنّ هذه الآيات في أعداء عليّ وأولاده ، والّتي بعدها في أوليائهم»[4] .

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ﴾ لذنوبهم ﴿وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ تصغر دونه لذائذ الدّنيا .

١ـ المِرْجَلُ: قِدْر من نُحاس . الصّحاح ٤: ١٧٠٥ (رجل) .

٢ـ القمّي ٢: ٣٧٨ .

٣ـ القمّي ٢: ٣٧٨ .

٤ـ الاحتجاج ١: ٨٠، عن أبي عبد الله عليه السلام، عن رسول الله صلى الله عليه وآله، في خطبة الغديريّة .

﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ﴾. روي: «إنّ المشركين كانوا يتكلّمون فيما بينهم بأشياء، فيخبر اللّه بها رسوله، فيقولون: أسرّوا قولكم لئلّا يسمع إله محمّدﷺ، فنبّه اللّه على جهلهم»[1]. ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ﴾: بالضّمائر قبل أن يعبّر بها.

﴿أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾: يصل علمه إلى ما بَطَنَ وإن صَغُرَ ولَطُفَ، ولا يعزب عنه شيء.

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولاً﴾: ليّنة؛ يسهل لكم السّلوك فيها ﴿فَامْشُوا فِي مَناكِبِها﴾: في جوانبها أو جبالها، فإذا كانت في الذّلّ بحيث يمشي في مناكبها؛ لم يبق شيء منها لم يتذلّل. ﴿وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ﴾: والتمسوا من نعم اللّه ﴿وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾: المرجع، فيسألكم عن شكر ما أنعم عليكم.

﴿أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّماءِ﴾ يعني الملائكة الموكّلين على تدبير هذا العالم ﴿أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ﴾ فيغيبكم فيها، كما فعل بقارون ﴿فَإِذا هِيَ تَمُورُ﴾: تضطرب.

﴿أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّماءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حاصِباً﴾: أن يمطر عليكم حصباء ﴿فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ﴾: كيف إنذاري إذا شاهدتم المنذر به، ولكن لا ينفعكم العلم حينئذ.

﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كانَ نَكِيرِ﴾: إنكاري عليهم، بإنزال العذاب؛ وهو تسلية للرّسولﷺ وتهديد لقومه.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صافَّاتٍ﴾: باسطات أجنحتهنّ في الجوّ عند طيرانها، فإنّهنّ إذا بسطنها صففن قوادمها ﴿وَيَقْبِضْنَ﴾: ويضممنها إذا ضربن بها جنوبهنّ وقتاً بعد وقت، للاستعانة بها على التحرّك ﴿ما يُمْسِكُهُنَّ﴾ في الجوّ على خلاف الطّبع ﴿إِلَّا الرَّحْمنُ﴾: الواسع رحمته كلّ شيء ﴿إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ﴾: يعلم كيف ينبغي أن يخلقه.

١ ـ البيضاوي ٥: ١٤٢.

﴿أَمْ مَنْ هـٰذا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَكُمْ يَنْصُرُكُمْ مِنْ دُونِ الرَّحْمـٰنِ﴾ يعني: أولم تنظروا في أمثال هذه الصّنائع، فتعلموا قدرتنا على تعذيبكم بنحو خسف أو إرسال حاصب، أم هذا الذي تعبدونه من دون اللّه، لكم جند ينصركم من دون اللّه؛ أن يرسل عليكم عذابه؟!. فهو كقوله: "أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا"[1]. وفيه إشعار بأنّهم اعتقدوا القسم الثّاني. ﴿إِنِ الكافِرُونَ إِلّا فِي غُرُورٍ﴾: لا معتمد لهم.

﴿أَمْ مَنْ هـٰذا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ﴾ بإمساك المطر وسائر الأسباب المحصّلة والموصلة له إليكم ﴿بَلْ لَجُّوا﴾: تمادوا ﴿فِي عُتُوٍّ﴾: عناد ﴿وَنُفُورٍ﴾: وشراد عن الحقّ لتنفّر طباعهم عنه.

﴿أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبّاً عَلىٰ وَجْهِهِ﴾: يعثر كلّ ساعة ويخرّ على وجهه لِوُعُورَةِ[2] طريقه، بحيث لا يستأهل أن يسلك ﴿أَهْدىٰ أَمْ مَنْ يَمْشِي سَوِيّاً﴾: قائماً سالماً من العثار ﴿عَلىٰ صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾: مستوي الأجزاء والجهة، صالح للسّلوك؛ وهو تمثيل للمشرك والموحّد بالسّالكين، ولدينيهما بالمسلكين.

و ورد: «القلوب أربعة: قلب فيه نفاق وإيمان، وقلب منكوس، وقلب مطبوع، وقلب أزهر أنور. فأمّا المطبوع فقلب المنافق، وأما الأزهر فقلب المؤمن؛ إن أعطاه اللّه عزّوجلّ شكَرَ، وإن ابتلاه صَبَرَ. وأمّا المنكوس فقلب المشرك، ثمّ قرأ هذه الآية وذكر الرّابع»[3].

وقال: «إنّ اللّه ضرب مثل من حاد عن ولاية عليّ كمَنْ يمشي على وجهه لا يهتدي لأمره، وجعل من تبعه سويّاً على صراط مستقيم. والصّراط المستقيم: أمير المؤمنين عليه السلام»[4].

---

١ ـ الانبياء (٢١): ٤٣.

٢ ـ الوَعْرُ: المكان الحَزْن ذو الوُعُورَة، ضدّ السَّهْل. لسان العرب ٥: ٢٨٥ (وعر).

٣ ـ الكافي ٢: ٤٢٢، الحديث: ٢؛ معاني الأخبار: ٣٩٥، الحديث: ٥١، عن أبي جعفر عليه السلام.

٤ ـ الكافي ١: ٤٣٣، قطعة من حديث: ٩١، عن الكاظم عليه السلام.

﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصارَ وَالأَفْئِدَةَ﴾ لتسمعوا مواعظه، وتنظروا إلى صنائعه، وتتفكّروا وتعتبروا ﴿قَلِيلاً ما تَشْكُرُونَ﴾ باستعمالها فيما خلقت لأجلها.

﴿قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾.

﴿وَيَقُولُونَ مَتىٰ هٰذا الوَعْدُ﴾ أي: الحشر ﴿إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ﴾.

﴿قُلْ إِنَّما العِلْمُ﴾: علم وقته ﴿عِنْدَ اللّٰهِ﴾: لا يطّلع عليه سواه ﴿وَإِنَّما أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾.

﴿فَلَمّا رَأَوْهُ زُلْفَةً﴾: ذا قرب ﴿سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: بان عليها الكآبة[1]؛ وساءتها رؤيته ﴿وَقِيلَ هٰذا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدَّعُونَ﴾: تطلبون وتستعجلون.

و ورد: «هذه نزلت في أمير المؤمنين عليه السلام وأصحابه؛ الّذين عملوا ما عملوا. يرون أمير المؤمنين عليه السلام في أغبط الأماكن[2] لهم، فيسيء وجوههم، ويقال لهم: "هذا الّذي كنتم به تدّعون"، الّذي انتحلتم اسمه»[3].

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ اللّٰهُ﴾: أماتني ﴿وَمَنْ مَعِيَ﴾ من المؤمنين ﴿أَوْ رَحِمَنا﴾ بتأخير آجالنا ﴿فَمَنْ يُجِيرُ الكافِرِينَ مِنْ عَذابٍ أَلِيمٍ﴾ أي: لا ينجيهم أحد من العذاب؛ متنا أو بقينا. وهو جواب لقولهم: "نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ المَنُونِ"[4].

﴿قُلْ هُوَ الرَّحْمٰنُ﴾ الّذي أدعوكم إليه، مولى النّعم كلّها ﴿آمَنّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾ منّا ومنكم.

١ ـ كَئِبَ يَكْأَبُ كَآبَةً وكَأْباً وكَأْبَةً: حزن أشدّ الحزن. المصباح المنير ٢: ٢٣٧ (كئب).

٢ ـ أي: أحسن مكان يغبط الناس عليه ويتمنّونه. وفي القاموس المحيط (٢: ٣٨٩ ـ غبط): الغِبطة ـ بالكسر ـ حسن الحال والمسرّة وتمنّي نعمة على أن لا تتحوّل عن صاحبها. مرآة العقول ٥: ٨٥.

٣ ـ الكافي ١: ٤٢٥، الحديث: ٦٨، عن أبي جعفر عليه السلام.

٤ ـ الطّور (٥٢): ٣٠.

قال: «فستعلمون يا معشر المكذّبين، حيث أنبأتكم رسالة ربّي في ولاية عليّ عليه السلام والأئمّة من بعده، من هو في ضلال مبين. كذا أُنزلت»[1].

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ ماؤُكُمْ غَوْراً﴾: غائراً في الأرض، بحيث لا تناله الدّلاء ﴿فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِماءٍ مَعِينٍ﴾: جارٍ أو ظاهرٍ سَهْل التّناول.

قال: «هذه نزلت في الإمام القائم. يقول: إن أصبح إمامكم غائباً عنكم لا تدرون أين هو؟ فمن يأتيكم بإمام ظاهر يأتيكم بأخبار السّماوات والأرض، وحلال الله وحرامه؟ ثمّ قال: والله ما جاء تأويل هذه الآية، ولا بدّ أن يجيء تأويلها»[2].



١ ـ الكافي ١: ٤٢١، الحديث: ٤٥، عن أبي عبد الله عليه السلام.

٢ ـ كمال الدّين ١: ٣٢٦، الباب: ٣٢، الحديث: ٣، عن أبي جعفر عليه السلام.

سورة القلم

[مكيّة ، وهي اثنتان وخمسون آية][1]

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم

﴿نٓ وَالقَلَمِ وَما يَسْطُرُونَ﴾ قال: «وأمّا "ن" فهو نهر في الجنّة . قال اللّه عزّ وجلّ: أجْمِدْ ، فجَمَدَ ، فصار مداداً ، ثمّ قال عزّوجلّ للقلم: اكتُبْ ، فسطر القلم في اللّوح المحفوظ ما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة . فالمداد مدادٌ من نور ، والقلم قلمٌ من نور ، واللّوح لوحٌ من نور ، ثمّ قال: فنون ملك يؤدّي إلى القلم وهو ملك ، والقلم يؤدّي إلى اللّوح وهو ملك ، واللّوح يؤدّي إلى إسرافيل ، وإسرافيل يؤدّي إلى ميكائيل ، وميكائيل يؤدّي إلى جبرئيل ، وجبرئيل يؤدّي إلى الأنبياء والرّسل صلوات اللّه عليهم»[2] .

و ورد: «أوّل ما خلق اللّه القلم فقال له: اكتُبْ ، فكتب القلم ما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة»[3] .

وفي رواية: «"ن" اسم رسول اللّه صلّى الله عليه وآله»[4] .

١ ـ ما بين المعقوفتين من «ب» .

٢ ـ معاني الأخبار: ٢٣ ، ذيل الحديث: ١ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .

٣ ـ القمّي ٢: ١٩٨ ، ذيل الآية: ٣ من سورة سبأ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .

٤ ـ الخصال ٢: ٤٢٦ ، الحديث: ٢ ، عن أبي جعفر عليه السلام ؛ تأويل الآيات الظاهرة: ٦٨٥ ، عن أبي الحسن موسى عليه السلام .

﴿ما أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾ جواب القسم ، أي: ما أنت بمجنون ، منعماً عليك بالنبوّة وحصافة الرّأي ؛ وهو جواب لقولهم: "يا أيّها الّذي نُزِّلَ عَلَيهِ الذِّكْرُ إنَّكَ لَمَجنُونٌ"[١] .

﴿وَإِنَّ لَكَ﴾ على تحمّل أعباء الرّسالة وقيامك بمواجبها ﴿لَأَجْراً﴾: لثواباً ﴿غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾: غير مقطوع ، أو غير ممنون به عليك .

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ إذ تحتمل من قومك ما لا يحتمله غيرك .

قال: «إنّ اللّه أدّب نبيّه على محبّته[٢] ، فلمّا أكمل له الأدب . قال: "إنّك لعلى خلق عظيم"»[٣] .

وفي رواية: «يقول على دين عظيم»[٤] . وفي أُخرى: «هو الإسلام»[٥] .

﴿فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ﴾ .

﴿بِأَيِّكُمُ الْمَفْتُونُ﴾: أيّكم الذي فتن بالجنون ، والباء مزيدة ؛ أو بأيّكم أحرى هذا الاسم ، قال: «قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله: ما من مؤمن إلّا وقد خلص ودّي إلى قلبه ، وما خلص ودّي إلى قلب أحد إلّا وقد خلص ودّ عليّ إلى قلبه ، كَذَبَ يا عليّ من زعم أنّه يحبّني ويبغضك . قال: فقال رجلان من المنافقين: لقد فتن رسول اللّه بهذا الغلام! فأنزل اللّه تبارك وتعالى: "فستبصر ويبصرون بأيّكم المفتون" . قال: نزلت فيهما . إلى آخر الآيات»[٦] .

والمشهور أنّها نزلت في الوليد بن المغيرة[٧] ، كان يمنع عشيرته عن الإسلام ، وكان

١ ـ الحجر (١٥): ٦ .

٢ ـ الكافي ١: ٢٦٥ ، الحديث: ١ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .

٣ ـ المصدر: ٢٦٦ ، الحديث: ٤ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .

٤ ـ القمّي ٢: ٣٨٢ ، عن أبي جعفر عليه السلام ؛ معاني الأخبار: ١٨٨ ، ذيل الحديث: ١ .

٥ ـ معاني الأخبار: ١٨٨ ، الحديث: ١ ، عن أبي جعفر عليه السلام .

٦ ـ المحاسن: ١٥١ ، الحديث: ٧١ ، عن أبي جعفر عليه السلام .

٧ ـ الوليد بن المغيرة بن عبد اللّه بن عمرو بن مخزوم ، أبو عبد شمس: من قضاة العرب في الجاهليّة ، ومن زعماء قريش ، ومن زنادقتها ، وأدرك الإسلام وهو شيخ هرم ، فعاداه وقاوم دعوته ، هلك بعد الهجرة بثلاثة أشهر ، وهو والد خالد بن الوليد . الأعلام (للزّركلي) ٨: ١٢٢ .

موسراً وله عشر بنين ، فكان يقول لهم ولِلُحْمَتِهِ: من أسلم منكم منعته رفدي ، وكان دعيّاً ادّعاه أبوه بعد ثماني عشرة من مولده .

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ . ﴿فَلا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ﴾.

﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾: تُلاينُهم فيُلايِنُونَكَ . القمّي: أي: أحبّوا أن تغشّ في عليّ فيغشّون معك[١] .

﴿وَلا تُطِعْ كُلَّ حَلّافٍ﴾: كثير الحلف ﴿مَهِينٍ﴾: حقير الرّأي .

﴿هَمّازٍ﴾: عيّاب طعّان ﴿مَشّاءٍ بِنَمِيمٍ﴾: نقّال للحديث على وجه السّعاية .

﴿مَنّاعٍ لِلْخَيْرِ﴾: يمنع النّاس عن الخير من الإيمان والإنفاق والعمل الصّالح ﴿مُعْتَدٍ﴾: متجاوز في الظّلم ﴿أَثِيمٍ﴾: كثير الآثام .

﴿عُتُلٍّ﴾: جاف غليظ . قال: «عظيم الكفر»[٢]. ﴿بَعْدَ ذَلِكَ﴾: بعد ما عدّ من مثالبه ﴿زَنِيمٍ﴾ قال: «الذي لا أصل له»[٣] وفي رواية: «المستهتر بكفره»[٤] .

وسئل النّبيﷺ عن العتلّ الزّنيم ، فقال: «هو الشّديدُ الخُلق ، المصحَّحُ ، الأكول الشّروب ، الواجدُ للطّعام والشّراب ، الظّلومُ للنّاس ، الرّحبُ[٥] الجوف»[٦] . والقمّي: الزّنيم الدّعيّ[٧] .

١ ـ القمّي ٢: ٣٨٠ .

٢ ـ معاني الأخبار: ١٤٩ ، الحديث: ١ ، عن أبي عبد اللهعليه السلام ؛ تأويل الآيات الظاهرة: ٦٨٧ ، عنهم صلوات الله عليهم .

٣ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٣٣٤ ، عن أمير المؤمنينعليه السلام .

٤ ـ معاني الاخبار: ١٤٩ ، الحديث: ١ ، عن أبي عبد اللهعليه السلام .

٥ ـ في المصدر: «الرحيب الجوف». ورجل رَحِيبُ الجوف: واسعها. لسان العرب ١: ٤١٤ (رحب).

٦ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٣٣٤ ؛ كنز العمّال ٢: ٥٤٠ ، الحديث: ٤٦٧٨ .

٧ ـ القمّي ٢: ٣٨٠ .

﴿أَنْ كانَ ذا مالٍ وَبَنِينَ﴾: لأن كان متموّلاً مستظهراً بالبنين.

﴿إِذا تُتْلىٰ عَلَيْهِ آياتُنا قالَ أَساطِيرُ الأَوَّلِينَ﴾ أي: أكاذيبهم، قاله من فرط غروره.

﴿سَنَسِمُهُ عَلَى الخُرْطُومِ﴾: على الأنف. قيل: وقد أصاب أنف الوليد جراحة يوم بدر، فبقي أثره[1]. وقيل: إنّه كناية عن أن يذلّه غاية الإذلال، كقولهم: جدع أنفه ورغم أنفه[2].

والقمّي: كناية عن الثّاني. وأنّ أمير المؤمنين عليه السلام إذا رجع ورجع أعداؤه يسمهم بميسم معه، كما توسم البهائم على الخراطيم،، الأنف والشّفتان[3].

﴿إِنّا بَلَوْناهُمْ﴾: اختبرنا أهل مكّة بالقحط ﴿كَما بَلَوْنا أَصْحابَ الجَنَّةِ﴾ قيل: أصحاب البستان الذي كان دون صنعاء لشيخ، وكان يمسك منها قدر كفايته ويتصدّق بالباقي فلمّا مات قال بنوه: نحن أحقّ بها لكثرة عيالنا، ولا يسعنا أن نفعل كما فعل أبونا، وعزموا على حرمان المساكين[4]. ﴿إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّها مُصْبِحِينَ﴾: ليقطعنّها وقت الصّباح.

﴿وَلا يَسْتَثْنُونَ﴾: ولا يقولون: إن شاء اللّه.

﴿فَطافَ عَلَيْها﴾: على الجنّة ﴿طائِفٌ﴾: بلاء طائف ﴿مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نائِمُونَ﴾.

﴿فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ﴾ قيل: كالبستان الذي صرم ثماره بحيث لم يبق فيه شيء، أو كاللّيل المظلم باحتراقها واسودادها، أو كالنّهار بابيضاضها من فرط اليبس[5]. والصّريمان اللّيل والنّهار لانصرام أحدهما من الآخر[6].

﴿فَتَنادَوْا مُصْبِحِينَ﴾.

﴿أَنِ اغْدُوا عَلىٰ حَرْثِكُمْ﴾: أخرجوا إليه غدوة؛ ضمن معنى الإقبال أو الاستيلاء،

١ و ٢ ـ البيضاوي ٥: ١٤٤؛ تفسير الكبير ٣٠: ٨٦.

٣ ـ القمّي ٢: ٣٨١.

٤ ـ الجامع لأحكام القرآن (للقرطبي) ١٨: ٢٤٠، عن ابن عبّاس.

٥ ـ البيضاوي ٥: ١٤٥.

٦ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٣٣٦، عن ابن عباس وأبي عمرو بن العلاء.

فعُدّي بـ«على» . ﴿إنْ كُنْتُمْ صارِمِينَ﴾: قاطعين له .

﴿فَانْطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخافَتُونَ﴾: يتسارّون فيما بينهم .

﴿أنْ لا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مِسْكِينٌ﴾ .

﴿وَغَدَوْا عَلىٰ حَرْدٍ قادِرِينَ﴾ قيل: أي: على نكد قادرين لا غير ، مكان قدرتهم على الانتفاع يعني: إنّهم عزموا أن يتنكّدوا على المساكين ، فتنكّد عليهم ، بحيث لم يقدروا فيها إلّا على النّكد والحرمان[1] .

﴿فَلَمّا رَأَوْها قالُوا إنّا لَضالُّونَ﴾: ظللنا طريق جنّتنا وما هي بها .

﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾ أي: بعدما تأمّلوا وعرفوا أنّها هي ، قالوا: بل نحن حُرمنا خيرها لجنايتنا على أنفسنا .

﴿قالَ أوْسَطُهُمْ﴾: خيرهم وأعدلهم قولاً ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلا تُسَبِّحُونَ﴾: لولا تذكرون اللّه ، وتشكرونه بأداء حقّه .

﴿قالُوا سُبْحانَ رَبِّنا إنّا كُنّا ظالِمِينَ﴾ .

﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلىٰ بَعْضٍ يَتَلاوَمُونَ﴾: يلوم بعضهم بعضاً ، فإنّ منهم من أشار بذلك ، ومنهم من استصوبه ، ومنهم من سكت راضياً ، ومنهم من أنكره .

﴿قالُوا يا وَيْلَنا إنّا كُنّا طاغِينَ﴾: متجاوزين حدود اللّه .

﴿عَسىٰ رَبُّنا أنْ يُبْدِلَنا خَيْراً مِنْها إنّا إلىٰ رَبِّنا راغِبُونَ﴾: راجون العفو ، طالبون الخير . روي: «إنّهم أبدلوا خيراً منها»[2] .

﴿كَذٰلِكَ﴾: مثل ما بلونا به أهل مكّة وأصحاب الجنّة ﴿العَذابُ﴾ في الدّنيا ﴿وَلَعَذابُ الآخِرَةِ أكْبَرُ لَوْ كانُوا يَعْلَمُونَ﴾ لاحترزوا عمّا يؤدّيهم إلى العذاب .

﴿إنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنّاتِ النَّعِيمِ﴾ .

١ ـ البيضاوي ٥: ١٤٥ .

٢ ـ الكشّاف ٤: ١٤٥ ؛ البيضاوي ٥: ١٤٥ .

﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ﴾ إنكار لقولهم: إن صحّ أنّا نبعث كما يزعم محمّد ومن معه لم يفضلونا ، بل نكون أحسن حالاً منهم ، كما نحن عليه في الدّنيا .

﴿ما لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ التفاتٌ فيه تعجيبٌ مِن حكمهم واستبعادٌ له ، وإشعارٌ بأنّه صادر من اختلال فكر واعوجاج رأي .

﴿أَمْ لَكُمْ كِتابٌ﴾ من السّماء ﴿فِيهِ تَدْرُسُونَ﴾: تقرؤون .

﴿إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَما تَخَيَّرُونَ﴾: إنّ لكم ما تختارونه وتشتهونه .

﴿أَمْ لَكُمْ أَيْمانٌ عَلَيْنا﴾: عهود مؤكّدة بالإيمان ﴿بالِغَةٌ﴾: متناهية في التّوكيد ﴿إِلى يَوْمِ الْقِيامَةِ﴾ ثابتة لكم علينا إلى يوم القيامة ، لا نخرج عن عهدته حتّى نحكّمكم في ذلك اليوم ﴿إِنَّ لَكُمْ لَما تَحْكُمُونَ﴾ جواب القسم المضمّن في "أم لكم أيمان" .

﴿سَلْهُمْ أَيُّهُمْ بِذلِكَ زَعِيمٌ﴾: بذلك الحكم كفيل يدّعيه ويصحّحه .

﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكاءُ﴾ يجعلونهم في الآخرة مثل المؤمنين ، أو يشاركونهم في هذا القول ؛ فهم يقلّدونهم ﴿فَلْيَأْتُوا بِشُرَكائِهِمْ إِنْ كانُوا صادِقِينَ﴾ .

﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ ساقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلا يَسْتَطِيعُونَ﴾ .

﴿خاشِعَةً أَبْصارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾: يوم يشتدّ الأمر ويصعب الخطب . وكشف السّاق مَثَلٌ في ذلك ، وأصله تشمير المخدّرات عن سوقهنّ في الهرب .

قال: «أُفْحِمَ[1] القوم ودخلتهم الهيبة وشخصت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر ؛ لما رهقهم من النّدامة والخزي والذّلّة»[2] .

وقال: «حجاب من نور يكشف ، فيقع المؤمنون سجّداً ، ويُدَبَّخُ[3] أصلاب المنافقين ،

١ ـ الإفحام: الإسكات بالحجّة . المصباح المنير ٢: ١٣٥ (فحم) .

٢ ـ التّوحيد: ١٥٤ ، الباب: ١٤ ، الحديث: ٢ ، عن أبي عبد الله عليه السلام ؛ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٣٣٩ ، عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام .

٣ ـ دبّخ الرجل تدبيخاً: إذا قبّب ظهره وطأطأ رأسه ، «الصّحاح ١: ٤٢٠ ـ دبخ» . وفي المصدرين: تُدْمَجُ». ←

فلا يستطيعون السّجود»[١]. ﴿وَقَدْ كانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سالِمُونَ﴾ قال: «أي: مستطيعون، يستطيعون الأخذ بما أُمروا به، والتّرك لما نهوا عنه، ولذلك ابتلوا»[٢].

﴿فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهٰذَا الحَدِيثِ﴾: كِلْهُ إليّ، فإنّي أكفيكه ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُمْ﴾: سندينهم من العذاب درجة درجة، بالإمهال وإدامة الصّحّة وازدياد النّعمة وإنساء الذّكر ﴿مِنْ حَيْثُ لايَعْلَمُونَ﴾ أنّه استدراج.

﴿وَأُمْلِي لَهُمْ﴾: وأُمهلهم ﴿إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾: لا يدفع بشيء. وقد مضى تمام تفسيره في سورة الأعراف[٣].

﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْراً﴾ على الإرشاد ﴿فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ﴾: من غرامة ﴿مُثْقَلُونَ﴾ بحملها، فيعرضون عنك.

﴿أَمْ عِنْدَهُمُ الغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾ منه ما يحكمون ويستغنون به عن علمك.

﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ وهو إمهالهم وتأخير نصرتك عليهم. ﴿وَلا تَكُنْ كَصاحِبِ الحُوتِ﴾ يعني يونس بن متى، لمّا دعا على قومه ثمّ ذهب مغاضباً للّه ﴿إِذْ نادىٰ﴾ في بطن الحوت ﴿وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ قال: «أي: مغموم»[٤].

﴿لَوْلا أَنْ تَدارَكَهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾: التّوفيق للتّوبة وقبولها. القمّي: النّعمة: الرّحمة[٥].

﴿لَنُبِذَ بِالعَراءِ﴾ القمّي: الموضع الذي لا سقف له[٦]. ﴿وَهُوَ مَذْمُومٌ﴾: مليم.

← والدمج: دخول شيء في شيء مستحكماً؛ كأنّه يدخل في أصلابهم شيء يمنعهم عن الانحناء فلا يستطيعون السجود.

١ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ١: ١٢١، الباب: ١١، ذيل الحديث: ١٤؛ التّوحيد: ١٥٤، الباب: ١٤، الحديث: ١، عن أبي الحسن عليه السلام.

٢ـ التّوحيد: ٣٤٩، الباب: ٥٦، الحديث: ٩، عن أبي عبد اللّه عليه السلام، وفيه: «وبذلك ابتلوا».

٣ـ ذيل الآية: ١٨٢ـ ١٨٣.

٤ـ القمّي ٢: ٣٨٣، عن أبي جعفر عليه السلام.

٥ـ القمّي ٢: ٣٨٣.

٦ـ القمّي ٢: ٣٨٣.

﴿فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ﴾ بأن ردّ الوحي إليه ﴿فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾.

﴿وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ﴾.

﴿وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ يعني أنّهم لشدّة عداوتهم، وانبعاث بغضهم وحسدهم عند سماع القرآن والدّعاء إلى الخير، ينظرون إليك شَزْراً[1]، بحيث يكادون يزلّون قدمك فيصرعونك، من قولهم: نظر إليّ نظراً يكاد يصرعني. أي: لو أمكنه بنظره الصّرع لفعله. والمعنى: أنّهم يكادون يصيبونك بالعين.

ورد: «إنّ العين حقّ»[2]. و: «إنّ العين ليدخل الرّجل القبر والجمل القدر»[3]. و: «إنّه لو كان شيء يسبق القدر لسبقه العين»[4].



١ ـ نظر إليه شَزْراً، وهو نظر الغضبان بمؤخر العين. الصّحاح ٢: ٦٩٦ (شزر).

٢ ـ مجمع البيان ٥ ـ ٦: ٢٤٩، ذيل الآية: ٦٧ من سورة يوسف؛ التّفسير الكبير ٣٠: ١٠٠، عن النّبيّ ﷺ.

٣ ـ البيضاوي ٥: ١٤٧؛ التّفسير الكبير ٣٠: ١٠٠ عن النّبيّ ﷺ.

٤ ـ مجمع البيان ٥ ـ ٦: ٢٤٩، ذيل الآية: ٦٧ من سورة يوسف؛ و ٩ ـ ١٠: ٣٤١، عن النّبيّ ﷺ.

سورة الحاقّة

[مكيّة ، وهي أثنتان وخمسون آية][1]

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم

﴿الحاقَّةُ﴾: السّاعة التي يحقّ وقوعها ، أو تحقّ فيها الأُمور ، أي: تجب وتعرف حقائقها ، أو تقع فيها حواقّ الأُمور من الحساب والجزاء .

﴿ما ٱلحاقَّةُ﴾ استفهام ، معناه التّفخيم لحالها والتّعظيم لشأنها .

﴿وَما أَدْراكَ ما ٱلحاقَّةُ﴾ زيادة في التّهويل ، أي: إنّك لا تعلم كنهها ، فإنّها أعظم من أن يبلغها دراية .

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعادُ بِالقارِعَةِ﴾: بالحالة التي تقرع النّاس بالأفزاع والأهوال ، والأجرام بالانفطار والانتشار . وإنّما وضعت موضع الضّمير الحاقّة ، زيادة في وصف شدّتها .

﴿فَأَمّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطّاغِيَةِ﴾: بالواقعة المجاوزة للحدّ في الشّدّة ، وهي الصّيحة والرّجفة ؛ كما مضى بيانه[2] .

١ ـ ما بين المعقوفتين من «ب» .

٢ ـ الأعراف (٧): ٧٨ ؛ هود (١١): ٦٠ .

﴿وَأَمّا عادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عاتِيَةٍ﴾: باردة؛ خارجة أكثر ممّا أُمرت به، كما مرّ ذكره[1].

﴿سَخَّرَها عَلَيْهِمْ﴾: سلّطها الله عليهم بقدرته ﴿سَبْعَ لَيالٍ وَثَمانِيَةَ أَيّامٍ حُسُوماً﴾: متتابعات. القمّي: كان القمر منحوساً بزحل سبع ليال وثمانية أيّام حتّى هلكوا[2]. ﴿فَتَرَى الْقَوْمَ فِيها صَرْعىٰ﴾: موت؛ جمع «صريع». ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجازُ نَخْلٍ خاوِيَةٍ﴾: أُصول نخل متآكلة الأجواف.

﴿فَهَلْ تَرىٰ لَهُمْ مِنْ باقِيَةٍ﴾.

﴿وَجاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكاتُ﴾: قرى قوم لوط؛ والمراد أهلها. ﴿بِالْخاطِئَةِ﴾: بالخطأ.

﴿فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ﴾: فعصى كلّ أُمّة رسولها ﴿فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رابِيَةً﴾: زائدة في الشّدّة، زيادة أعمالهم في القبح.

قال: «الرّابية: الّتي أربت على ما صنعوا»[3].

﴿إِنّا لَمّا طَغَا الْماءُ﴾: جاوز حدّه المعتاد، يعني في الطّوفان ﴿حَمَلْناكُمْ فِي الْجارِيَةِ﴾: حملنا آباءكم وأنتم في أصلابهم، في سفينة نوح.

﴿لِنَجْعَلَها﴾: لنجعل الفعلة، وهي إنجاء المؤمنين وإغراق الكافرين ﴿لَكُمْ تَذْكِرَةً﴾: عبرة ودلالة على قدرة الصّانع، وحكمته وكمال قهره ورحمته. ﴿وَتَعِيَها﴾: وتحفظها ﴿أُذُنٌ واعِيَةٌ﴾: من شأنها أن تحفظ ما يجب حفظه؛ بتذكّره وإشاعته والتّفكّر فيه والعمل بموجبه.

قال: «لمّا نزلت: "وَتَعِيَها أُذُنٌ واعِيَةٌ" قال رسول الله ﷺ: هي أُذنك يا عليّ»[4].

---

١ ـ فصّلت (٤١): ١٦؛ القمر (٥٤): ١٩.

٢ ـ القمّي ٢: ٣٨٣.

٣ ـ القمّي ٢: ٣٨٥، عن أبي جعفر عليه السلام.

٤ ـ الكافي ١: ٤٢٣، الحديث: ٥٧، عن أبي عبد الله عليه السلام.

وفي رواية قال: «اللّهمّ اجعلها أُذن عليّ . قال عليّ عليه السلام: فما سمعت شيئاً من رسول الله فنسيته[١] ، وما كان لي أن أنسى»[٢] .

﴿فَإِذا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ واحِدَةٌ﴾ هي النّفخة الأُولى التي عندها خراب العالم .

﴿وَحُمِلَتِ الأَرْضُ وَالجِبالُ﴾: رفعت من أماكنها ﴿فَدُكَّتا دَكَّةً واحِدَةً﴾ القمّي: وقعت فدُكّ بعضها على بعض[٣] .

﴿فَيَوْمَـئِذٍ﴾: فحينئذ ﴿وَقَعَتِ الواقِعَةُ﴾: قامت القيامة .

﴿وَانْشَقَّتِ السَّماءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ واهِيَةٌ﴾: ضعيفة مُسترخِيَة .

﴿وَالْـمَلَكُ﴾: والجنس المتعارف بالملك ﴿عَلىٰ أَرْجائِها﴾: على جوانبها . ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمانِـيَةٌ﴾ .

قال: «إنّهم اليوم أربعة ، فإذا كان يوم القيامة أيّدهم بأربعة أُخرى[٤] ؛ فيكونون ثمانية»[٥] .

وفي رواية: «حملة[٦] العرش ـ والعرش العلم ـ ثمانية ، أربعة منّا وأربعة ممّن شاء الله»[٧] .

وفي أُخرى: «أربعة من الأوّلين وأربعة من الآخرين ، فأمّا الأربعة من الأوّلين فنوح وإبراهيم وموسى وعيسى ، وأمّا الآخرين فمحمّد وعليّ والحسن والحسين عليهم السلام . قال:

١ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٣٤٥ ؛ جامع البيان (للطّبري) ٢٩: ٣٥ ، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله .

٢ ـ جوامع الجامع: ٥٠٧ ، عن أمير المؤمنين عليه السلام .

٣ ـ القمّي ٢: ٣٨٤ .

٤ ـ في المصدر: «بأربعة آخرين» .

٥ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٣٤٦ ؛ جوامع الجامع: ٥٠٧ ، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله .

٦ ـ في «ب» و«ج»: «حملت» .

٧ ـ الكافي ١: ١٣٢ ، الحديث: ٦ ، عن أبي عبد الله عليه السلام .

ومعنى "يحملون العرش" يعني العلم»[١].

﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لا تَخْفىٰ مِنْكُمْ خافِيَةٌ﴾.

﴿فَأَمّا مَنْ أُوتِيَ كِتابَهُ بِيَمِينِهِ﴾ تفصيل للعَرْض. ﴿فَيَقُولُ﴾ تبجّحاً ﴿هاؤُمُ اقْرَءُوا كِتابِيَهْ﴾ هاؤم: اسم لخُذُوا، والهاء في كتابيه ونظائره للسَّكْت.

﴿إِنِّي ظَنَنْتُ﴾ أي: تيقّنت.

قال: «الظنّ ظنّان: ظنّ شكّ، وظنّ يقين؛ فما كان من أمر المعاد من الظّنّ فهو ظنّ يقين، وما كان من أمر الدّنيا فهو ظنّ شكّ»[٢].

﴿أَنِّي مُلاقٍ حِسابِيَهْ﴾ قال: «إنّي أبعث وأُحاسب»[٣].

﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ راضِيَةٍ﴾ القمّي: أي: مرضيّة[٤].

﴿فِي جَنَّةٍ عالِيَةٍ﴾.

﴿قُطُوفُها﴾ جمع قطف، وهو ما يجتنى بسرعة. ﴿دانِيَةٌ﴾ يتناولها القائم والقاعد.

﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئاً بِما أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيّامِ الْخالِيَةِ﴾: في الماضية من أيّام الدّنيا، من الأعمال الصّالحة.

﴿وَأَمّا مَنْ أُوتِيَ كِتابَهُ بِشِمالِهِ فَيَقُولُ يا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتابِيَهْ﴾.

﴿وَلَمْ أَدْرِ ما حِسابِيَهْ﴾.

﴿يا لَيْتَها﴾: ياليت الموتة الّتي متّها ﴿كانَتِ الْقاضِيَةَ﴾: القاطعة لأمري فلم أُبعث بعدها.

١ ـ القمّي ٢: ٣٨٤.

٢ ـ التّوحيد: ٢٦٧، الباب: ٣٦، ذيل الحديث الطّويل: ٥؛ الاحتجاج ١: ٣٦٣، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

٣ ـ التّوحيد: ٢٦٧، الباب: ٣٦، ذيل الحديث الطّويل: ٥، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

٤ ـ القمّي ٢: ٣٨٤.

﴿ما أَغْنىٰ عَنِّي مالِيَهْ﴾ قيل: مالي من المال والتبع[١]. والقمّي: يعني ماله الّذي جَمَعَه[٢].

﴿هَلَكَ عَنِّي سُلْطانِيَهْ﴾ قيل: ملكي وتسلّطي على النّاس[٣]. والقمّي: أي: حجّته[٤].

﴿خُذُوهُ﴾: يقال لخزنة النّار: "خذوه" ﴿فَغُلُّوهُ﴾.

﴿ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ﴾.

﴿ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُها سَبْعُونَ ذِراعاً فَاسْلُكُوهُ﴾.

قال: «لو أنّ حلقة واحدة من السّلسلة ـ الّتي طولها سبعون ذراعاً ـ وضعت على الدّنيا، لذابت الدّنيا من حرّها»[٥].

قال: «وكان معاوية صاحب السّلسلة التي قال اللّه، وكان فرعون هذه الأمة»[٦].

ورد: «كنت خلف أبي وهو على بغلته، فنفرت بغلته، فإذا شيخ في عنقه سلسلة ورجل يتبعه، فقال: يا عليّ بن الحسين! اسقني. فقال الرّجل: لا تسقه، لا سقاه اللّه. قال: وكان الشيخ معاوية»[٧].

والقمّي: السّبعون ذراعاً في الباطن هم الجبابرة السّبعون[٨].

﴿إِنَّهُ كانَ لا يُؤْمِنُ بِاللّٰهِ الْعَظِيمِ﴾.

﴿وَلا يَحُضُّ﴾: ولا يحثّ ﴿عَلىٰ طَعامِ الْمِسْكِينِ﴾.

١ ـ البيضاوي ٥: ١٤٩.

٢ ـ القمّي ٢: ٣٨٤.

٣ ـ الكشّاف ٤: ١٥٣؛ البيضاوي ٥: ١٤٩.

٤ ـ القمّي ٢: ٣٨٤.

٥ ـ المصدر: ٨١، ذيل الآية: ٢٢ من سورة الحجّ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام، عن جبرئيل عليه السلام.

٦ ـ الكافي ٤: ٢٤٤، ذيل الحديث: ١، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٧ ـ بصائر الدّرجات: ٢٨٥، الباب: ٧، الحديث: ١، عن أبي جعفر عليه السلام.

٨ ـ القمّي ٢: ٣٨٤.

﴿فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هٰهُنَا حَمِيمٌ﴾: قريب يحميه.

﴿وَلا طَعامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ﴾: غسالة أهل النّار وصديدهم. والقمّي: عرق الكفّار[١].

﴿لا يَأْكُلُهُ إِلَّا الخاطِئُونَ﴾: أصحاب الخطايا؛ مِنْ خطأ الرّجل: إذا تعمّد الذّنب.

﴿فَلا أُقْسِمُ﴾ «لا» مزيدة. ﴿بِما تُبْصِرُونَ﴾.

﴿وَما لا تُبْصِرُونَ﴾ بالمشاهدات والمغيبات.

﴿إِنَّهُ﴾: إنّ القرآن ﴿لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ على الله، يبلّغه عن الله، فإنّ الرّسول لايقول عن نفسه. قال: «يعني جبرئيل عن الله»[٢].

﴿وَما هُوَ بِقَوْلِ شاعِرٍ﴾ كما تزعمون تارة. ﴿قَلِيلاً ما تُؤْمِنُونَ﴾.

﴿وَلا بِقَوْلِ كاهِنٍ﴾ كما تدّعون أُخرى ﴿قَلِيلاً ما تَذَكَّرُونَ﴾ ولذلك يلتبس الأمر عليكم. قيل: ذكر الإيمان مع نفي الشّاعريّة، والتّذكّر مع نفي الكاهنيّة، لأنّ عدم مشابهة القرآن للشّعر أمر بَيِّنٌ لا يُنْكِرهُ إلّا معاند؛ بخلاف مباينته للكهانة، فإنّ العلم بها يتوقّف على تذكّر أحوال الرّسول ومعاني القرآن المنافية لطريق الكَهَنَةِ ومعاني أقوالهم[٣].

﴿تَنْزِيلٌ﴾: هو تنزيل نزّله على لسان جبرئيل ﴿مِنْ رَبِّ العالَمِينَ﴾.

﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنا بَعْضَ الأَقاوِيلِ﴾ القمّي: يعني رسول الله صلّى الله عليه وآله[٤].

﴿لَأَخَذْنا مِنْهُ بِاليَمِينِ﴾: بيمينه أو بقوّتنا. القمّي: انتقمنا منه بقوّة[٥].

﴿ثُمَّ لَقَطَعْنا مِنْهُ الوَتِينَ﴾ قيل: أي: نياط قلبه[٦]. والقمّي: عِرْق في الظَّهْر يكون منه الولد[٧].

١ ـ القمّي ٢: ٣٨٤.

٢ ـ الكافي ١: ٤٣٣، قطعة من حديث: ٩١، عن الكاظم عليه السلام.

٣ ـ البيضاوي ٥: ١٤٩.

٤ و ٥ ـ القمّي ٢: ٣٨٤.

٦ ـ الكشّاف ٤: ١٥٥؛ البيضاوي ٥: ١٤٩.

٧ ـ القمّي ٢: ٣٨٤.

﴿فَما مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حاجِزِينَ﴾: مانعين دافعين، يعني أنّه لا يتكلّف الكذب علينا لأجلكم، مع علمه أنّه لو تكلّف ذلك لعاقبناه، ثمّ لم تقدروا على دفع عقوبتنا عنه.

﴿وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِلْمُتَّقِينَ﴾.

﴿وَإِنّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُكَذِّبِينَ﴾.

﴿وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الكافِرِينَ﴾ إذا رأوا ثواب المؤمنين به.

﴿وَإِنَّهُ لَحَقُّ اليَقِينِ﴾: اليقين الّذي لا ريب فيه.

﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ العَظِيمِ﴾: فسبّح اللّه بذكر اسمه العظيم، تنزيهاً له عن الرّضا بالتقوّل عليه، وشكراً على ما أُوحي إليك.

ورد: «قالوا: إنّ محمّداً كذب على ربّه!! وما أمره اللّه بهذا في عليّ، فأنزل اللّه بذلك قرآناً، فقال: إنّ ولاية عليّ "تنزيل من ربّ العالمين"، الآيات»[1].

١ ـ الكافي ١: ٤٣٣، قطعة من حديث: ٩١، عن الكاظم عليه السلام.

سورة المعارج

[مكيّة ، وهي أربع وأربعون آية][1]

بسم اللّه الرّحمٰن الرّحيم

﴿ سَأَلَ سائِلٌ بِعَذابٍ واقِعٍ ﴾ أي: دعا داعٍ به ، بمعنى استدعاه .

﴿ لِلْكافِرينَ ﴾ . قال: «نزلت للكافرين بولاية عليّ عليه السلام ، هكذا واللّه نزل بها جبرئيل على محمّد صلى الله عليه وآله»[2] . وهكذا هو واللّه مثبت في مصحف فاطمة»[3] .

أقول: ويدلّ على هذا ما مرّ في سبب نزولها في سورة الأنفال ، عند قوله تعالى: "وإِذْ قالُوا اللّهُمَّ إِنْ كانَ هٰذا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنا حِجارَةً مِنَ السَّماءِ أَوِ ائْتِنا بِعَذابٍ أَليمٍ"[4] .

وفي رواية: «لمّا اصطفّت الخيلان يوم بدر ، رفع أبو جهل يده فقال: اللّهمّ اقطعنا للرّحم وآتانا بما لا نعرفه ، فأَجِنْهُ العذاب ، فنزلت»[5] .

١ ـ ما بين المعقوفتين من «ب» .

٢ ـ الكافي ١: ٤٢٢ ، الحديث: ٤٧ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .

٣ ـ الكافي ٨: ٥٨ ، ذيل الحديث: ١٨ .

٤ ـ الأنفال (٨): ٣٢ .

٥ ـ القمّي ٢: ٣٨٥ ، في حديث .

وفي أُخرى سئل عنها فقال: «نار تخرج من المغرب وملك يسوقها من خلفها، حتّى تأتي دار بني سعد بن همّام عند مسجدهم، فلا تدع داراً لبني أُميّة إلّا أحرقتها وأهلها، ولاتدع داراً فيها وتر لآل محمّد إلّا أحرقتها؛ وذلك المهديّ عليه السلام»[1].

﴿لَيْسَ لَهُ دافِعٌ﴾ يردّه.

﴿مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعارِجِ﴾: ذي المصاعد، وهي الدّرجات الّتي تصعد فيها الكلم الطّيّب والعمل الصّالح، ويترقّى فيها المؤمنون في سلوكهم وتعبّدهم، وتعرج الملائكة والرّوح فيها.

﴿تَعْرُجُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كانَ مِقْدارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾. استئناف لبيان ارتفاع تلك المعارج وبُعْد مداها، تمثيلاً للملكوت بالملك في الامتداد الزّمانيّ، المنزّه عنه الملكوت.

قال: «تعرج الملائكة والرّوح في صبيحة ليلة القدر إليه من عند النّبيّ صلى الله عليه وآله والوصيّ»[2].

و ورد في حديث المعراج: «إنّه أُسري به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، مسيرة شهر، وعرج به في ملكوت السماوات مسيرة خمسين ألف عام؛ أقلّ من ثلث ليلة، حتّى انتهى إلى ساق العرش»[3].

و ورد: «إنّ للقيامة خمسين موقفاً، كلّ موقف مقام ألف سنة، ثمّ تلا "في يوم"، الآية»[4].

و ورد: «إنّه قيل: يا رسول اللّه! ما أطول هذا اليوم؟ فقال: والّذي نفس محمّد بيده، إنّه

١ـ القمّي ٢: ٣٨٥، عن أبي جعفر عليه السلام.
٢ـ القمّي ٢: ٣٨٦، عن أبي الحسن عليه السلام، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله.
٣ـ الاحتجاج ١: ٣٢٧، عن أمير المؤمنين عليه السلام.
٤ـ الكافي ٨: ١٤٣، الحديث: ١٠٨، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

ليخفّ على المؤمن حتّى يكون أخفّ عليه من صلاة مكتوبة يصلّيها في الدّنيا»[١].

وفي رواية: «لو وَلِيَ الحساب غير اللّه لمكثوا فيه خمسين ألف سنة من قبل أن يفرغوا، واللّه سبحانه يفرغ من ذلك في ساعة. وقال: لا ينتصف ذلك اليوم حتى يقيل أهل الجنّة في الجنّة، وأهل النّار في النّار»[٢].

﴿فَاصْبِرْ صَبْراً جَمِيلاً﴾ القمّي: أي: لتكذيب من كذّب أنّ ذلك يكون[٣].

﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيداً﴾ من الإمكان.

﴿وَنَراهُ قَرِيباً﴾ من الوقوع.

﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّماءُ كَالْمُهْلِ﴾ القمّي: الرّصاص الذّائب والنّحاس؛ كذلك تذوب السّماء[٤].

﴿وَتَكُونُ الجِبالُ كَالْعِهْنِ﴾: كالصّوف المصبوغ ألواناً.

﴿وَلا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيماً﴾ عن حاله.

﴿يُبَصَّرُونَهُمْ﴾ قال: «يقول: يعرفونهم ثمّ لا يتسائلون»[٥]. ﴿يَوَدُّ المُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ﴾.

﴿وَصاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ﴾.

﴿وَفَصِيلَتِهِ﴾ قيل: وعشيرته الّتي فصل عنهم[٦]. ﴿الَّتِي تُؤْوِيهِ﴾: تضمّه في النّسب وعند الشّدائد. القمّي: هي أُمّه الّتي ولدته[٧].

﴿وَمَنْ فِي الأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ يُنْجِيهِ﴾.

١ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٣٥٢.

٢ ـ المصدر، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٣ و ٤ ـ القمّي ٢: ٣٨٦.

٥ ـ القمي ٢: ٣٨٦، عن أبي جعفر عليه السلام.

٦ ـ الكشّاف ٤: ١٥٨؛ البيضاوي ٥: ١٥٦.

٧ ـ القمي ٢: ٣٨٦.

﴿كَلّا﴾ ردع للمجرم عن الودادة، ودلالة عن أنّ الافتداء لا ينجيه. ﴿إنّها لَظىٰ﴾: إنّ النّار لهب خالص.

﴿نَزّاعَةً لِلشَّوىٰ﴾: الأطراف أو جلود الرّأس. القمّي: تنزع عينيه وتسوّد وجهه[1].

﴿تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلّىٰ﴾: تجرّه إليها.

﴿وَجَمَعَ فَأَوْعىٰ﴾ القمّي: جمع مالاً ودفنه ووعاه، ولم ينفقه في سبيل اللّه[2].

﴿إِنَّ الإنْسانَ خُلِقَ هَلُوعاً﴾: شديد الحرص، قليل الصّبر.

﴿إذا مَسَّهُ الشَّرُّ﴾: الفقر والفاقة ﴿جَزُوعاً﴾.

﴿وَإذا مَسَّهُ الخَيْرُ﴾: الغنى والسّعة. ﴿مَنُوعاً﴾.

﴿إلّا المُصَلِّينَ﴾. قال: «ثمّ استثنى، فوصفهم بأحسن أعمالهم»[3].

﴿الَّذِينَ هُمْ عَلىٰ صَلاتِهِمْ دائِمُونَ﴾. قال: «يقول: إذا فرض على نفسه شيئاً من النّوافل دام عليه»[4].

وفي رواية: «يعني الّذين يقضون ما فاتهم من اللّيل بالنّهار وما فاتهم من النّهار باللّيل»[5].

﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ﴾.

﴿لِلسّائِلِ وَالمَحْرُومِ﴾.

قال: «الحقّ المعلوم: الشّيء يخرجه من ماله ليس من الزّكاة ولا من الصّدقة المفروضتين، هو الشّيء يخرجه من ماله، إن شاء أكثر وإن شاء أقلّ على قدر ما يملك؛ يصل

١ و ٢ ـ القمي ٢: ٣٨٦.

٣ ـ المصدر، عن أبي جعفر عليه السلام.

٤ ـ المصدر.

٥ ـ الخصال ٢: ٦٢٨، الحديث: ١٠، عن أبي عبد اللّه، عن آبائه، عن أمير المؤمنين عليهم السلام.

به رحماً، ويقوّي به ضعيفاً، ويحمل به كلّاً ويصل به أخاً له في اللّه، أو لنائبة تنوبه»[١].

وقال: «المحروم: المحارف الّذي قد حرم كدّ يده في الشّراء والبيع»[٢].

﴿وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ﴾ قال: «بخروج القائم»[٣].

﴿وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ﴾: خائفون على أنفسهم.

﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ﴾. اعتراضٌ يدلّ على أنّه لاينبغي لأحد أن يأمن من عذاب اللّه، وإن بالغ في طاعته.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حافِظُونَ﴾.

﴿إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ ما مَلَكَتْ أَيْمانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾.

﴿فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ العادُونَ﴾. مضى تفسيرها في سورة المؤمنين[٤].

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾: حافظون.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ﴾: لا يكتمون ولا ينكرون.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ فيراعون شرائطها وآدابها.

قال: «هي الفريضة، وَ "الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِم دَائِمُونَ" هي النّافلة»[٥].

وفي رواية: «أولئك أصحاب الخمسين صلاة من شيعتنا»[٦].

﴿أُولَٰئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ﴾.

﴿فَمَا لِلَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ﴾: حولك ﴿مُهْطِعِينَ﴾: مسرعين.

١ ـ الكافي ٣: ٥٠٠، الحديث: ١١، عن أبي جعفر، عن عليّ بن الحسين عليهما السلام.

٢ ـ المصدر، الحديث: ١٢، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٣ ـ الكافي ٨: ٢٨٧، الحديث: ٤٣٢، عن أبي جعفر عليه السلام.

٤ ـ ذيل الآيات ٥، ٦ و ٧، ولم أجد فيها تفسيراً، وليكن فسّرها في الصافي ٣: ٣٩٤.

٥ ـ الكافي ٣: ٢٧٠، الحديث: ١٢؛ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٣٥٦ ـ ٣٥٧، عن أبي جعفر عليه السلام.

٦ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٣٥٧، عن أبي الحسن الكاظم عليه السلام.

﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمالِ عِزِينَ﴾ قيل: فِرَقاً شتّى[١]. والقمّي يقول: قعود[٢].

و ورد في المنافقين: «إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله ما زال يتألّفهم ويقرّبهم ويجلسهم عن يمينه وشماله، حتّى أذن الله عزّوجلّ له في إبعادهم بقوله: "وَاهْجُرْهُم هَجْراً جَميلاً"[٣]، وبقوله: "فَمالِ الَّذينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهطِعينَ"، الآيات»[٤].

﴿أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِيءٍ مِنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ﴾ بلا إيمان. قيل: هو إنكار لقولهم: لو صحّ ما يقوله لنكون فيها أفضل حظّاً منهم، كما في الدّنيا[٥].

﴿كَلَّا﴾ ردعٌ عن هذا الطّمع. ﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ﴾ القمّي: من نطفة ثمّ علقة[٦].

أقول: يعني إنّ المخلوق من النّطفة القذرة لا يتأهّل لعالم القدس ما لم يستكمل بالإيمان والطّاعة ولم يتخلّق بالأخلاق الملكيّة.

﴿فَلا أُقْسِمُ﴾ «لا» مزيدة للتّأكيد. القمّي: أي: أقسم[٧]. ﴿بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ﴾.

قال: «لها ثلاثمائة وستّون مشرقاً وثلاثمائة وستّون مغرباً، فيومها الّذي تشرق فيه لاتعود فيه إلى قابل[٨]، ويومها الّذي تغرب فيه لا تعود فيه إلّا من قابل»[٩].

وفي رواية: «لها ثلاثمائة وستّون برجاً، تطلع كلّ يوم من برج وتغيب في آخر، فلاتعود إليه إلّا من قابل في ذلك اليوم»[١٠].

١ـ الكشّاف ٤: ١٦٠؛ البيضاوي ٥: ١٥١.

٢ـ القمّي ٢: ٣٨٦.

٣ـ المزّمّل (٧٣): ١٠.

٤ـ الاحتجاج ١: ٣٧٧، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

٥ـ البيضاوي ٥: ١٥١.

٦ و ٧ـ القمّي ٢: ٣٨٦.

٨ـ في المصدر: «إلّا من قابل».

٩ـ معاني الأخبار: ٢٢١، الحديث: ١، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

١٠ـ الاحتجاج ١: ٣٨٦، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

﴿إِنَّا لَقادِرُونَ﴾ .

﴿عَلىٰ أَنْ نُبَدِّلَ خَيْراً مِنْهُمْ﴾ أي: نهلكهم ونأتي بخلق أمثل منهم ﴿وَما نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾: بمغلوبين إن أردنا ذلك .

﴿فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتّىٰ يُلاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾ .

﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الأَجْداثِ﴾: من القبور ﴿سِراعاً﴾: مسرعين ﴿كَأَنَّهُمْ إِلىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ﴾: إلى منصوبات للعبادة أو أعلام يسرعون . القمّي: إلى الدّاعي يبادرون[1] .

﴿خاشِعَةً أَبْصارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذٰلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كانُوا يُوعَدُونَ﴾ .



١ ـ القمّي ٢: ٣٨٧ ، وفيه: «إلى الدّاعي ينادون» .

سورة نوح

[مكيّة ، وهي ثمان وعشرون آية][1]

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم

﴿إنّا أرْسَلْنا نُوحاً إلىٰ قَوْمِهِ أنْ أنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أنْ يَأْتِيَهُمْ عذابٌ ألِيمٌ﴾ .

﴿قالَ يا قَوْمِ إنّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ .

﴿أنِ اعْبُدُوا اللّهَ وَاتَّقُوهُ وَأطِيعُونِ﴾ .

﴿يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ﴾ قيل: بعض ذنوبكم ، وهو ما سبق ؛ فإنّ الإسلام يجبّه[2] .

﴿وَيُؤَخِّرْكُمْ إلىٰ أجَلٍ مُسَمًّى﴾ هو أقصى ما قُدّر لكم ، بشرط الإيمان والطّاعة . ﴿إنَّ أجَلَ اللّهِ﴾: إنّ الأجل الّذي قدّره اللّه ﴿إذا جاءَ لا يُؤَخَّرُ﴾ فبادروا في أوقات الإمهال والتأخير ﴿لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ صحّة ذلك . فيه: إنّهم لانهماكهم في حبّ الحياة ، كأنّهم شاكّون في الموت .

﴿قالَ رَبِّ إنّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلاً وَنَهاراً﴾ أي: دائماً .

﴿فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعائِي إلّا فِراراً﴾ عن الإيمان والطّاعة .

﴿وَإنّي كُلَّما دَعَوْتُهُمْ﴾ إلى الإيمان ﴿لِتَغْفِرَ لَهُمْ﴾ بسببه ﴿جَعَلُوا أصابِعَهُمْ فِي

---

١ ـ ما بين المعقوفتين من «ب» .

٢ ـ البيضاوي ٥: ١٥٢ .

آذانِهِمْ﴾: سدّوا مسامعهم عن استماع حقّ الدّعوة ﴿وَاسْتَغْشَوْا ثِيابَهُمْ﴾ القمّي: استتروا بها[١]. ﴿وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْباراً﴾ القمّي: عزموا على أن لا يسمعوا شيئاً[٢].

﴿ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهاراً﴾.

﴿ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْراراً﴾ يعني دعوتهم مرّة بعد أُخرى، وكرّة بعد أُولى، سرّاً وعلانية، وعلى أيّ وجه أمكنني، و "ثمّ" لتفاوت الوجوه أو لتراخي بعضها عن بعض.

﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كانَ غَفّاراً﴾.

﴿يُرْسِلِ السَّماءَ عَلَيْكُمْ مِدْراراً﴾: كثير الدّرّ.

﴿وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهاراً﴾ قيل: لمّا طالت دعوتهم وتمادى إصرارهم، حبس الله عنهم القطر أربعين سنة، وأعقم أرحام نسائهم، فوعدهم بذلك[٣].

﴿ما لَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلّهِ وَقاراً﴾ قال: «لا تخافون لله عظمة»[٤].

﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْواراً﴾ القمّي: على اختلاف الأهواء والإرادات والمشيئات[٥]. وقيل: أي تارات: تراباً ثمّ نطفة ثمّ علقة ثمّ مضغة ثمّ عظاماً ولحوماً، ثمّ أنشأ خلقاً آخر، فإنّه يدلّ على عظيم قدرته وكمال حكمته[٦].

﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللّهُ سَبْعَ سَماواتٍ طِباقاً﴾ قال: «بعضها فوق بعض»[٧].

﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُوراً وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِراجاً﴾.

﴿وَاللّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَباتاً﴾: أنشأكم منها.

١ و ٢ ـ القمّي ٢: ٣٨٧.

٣ ـ البيضاوي ٥: ١٥٢.

٤ ـ القمّي ٢: ٣٨٧، عن أبي جعفر عليه السلام.

٥ ـ المصدر.

٦ ـ البيضاوي ٥: ١٥٣.

٧ ـ القمّي ٢: ٣٨٧، عن أبي جعفر عليه السلام.

﴿ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيها﴾ مقبورين ﴿وَيُخْرِجُكُمْ إِخْراجاً﴾ بالحشر.

﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِساطاً﴾ تتقلّبون عليها.

﴿لِتَسْلُكُوا مِنْها سُبُلاً فِجاجاً﴾: واسعة.

﴿قالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَساراً﴾: واتّبعوا رؤساءهم البطرين بأموالهم، المغترّين بأولادهم، بحيث صار ذلك سبباً لزيادة خسارهم في الآخرة، وفيه: إنّهم إنّما اتّبعوهم لوجاهة حصلت لهم بأموال وأولاد؛ أدّت بهم إلى الخسار. القمّي: واتّبعوا الأغنياء[1].

﴿وَمَكَرُوا مَكْراً كُبّاراً﴾: كبيراً في الغاية.

﴿وَقالُوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ﴾ أي: عبادتها ﴿وَلا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلا سُواعاً وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْراً﴾: وخصوصاً هؤلاء المسمّون.

قيل: هي أسماء رجال صالحين كانوا بين آدم ونوح، فلمّا ماتوا صوّروا تبرّكاً بهم وأُنساً، فلمّا طال الزّمان عبدوهم، وقد انتقلت إلى العرب[2]. والقمّي: ما في معناه مبسوطاً[3].

﴿وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيراً وَلا تَزِدِ الظّالِمِينَ إِلّا ضَلالاً﴾ القمّي: هلاكاً وتدميراً[4].

﴿مِمّا خَطِيئاتِهِمْ﴾: من أجل خطيئاتهم. و«ما» مزيدة للتّأكيد والتّفخيم. ﴿أُغْرِقُوا﴾ بالطّوفان. ﴿فَأُدْخِلُوا ناراً فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللّهِ أَنْصاراً﴾

﴿وَقالَ نُوحٌ رَبِّ لا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الكافِرِينَ دَيّاراً﴾ أي: أحداً.

﴿إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبادَكَ وَلا يَلِدُوا إِلّا فاجِراً كَفّاراً﴾.

١ ـ القمّي ٢: ٣٨٧.

٢ ـ البيضاوي ٥: ١٥٣.

٣ ـ القمّي ٢: ٣٨٧.

٤ ـ المصدر: ٣٨٨.

سئل: ما كان علم نوح حين دعا على قومه: أنهم لا يلدوا إلّا فاجراً كفّاراً؟ فقال: «أما سمعت قول الله تعالى لنوح: "إِنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ"»[1].

﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِناً﴾ قال: «يعني الولاية. من دخل في الولاية دخل في بيت الأنبياء»[2]. ﴿وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِناتِ وَلا تَزِدِ الظّالِمِينَ إِلّا تَباراً﴾ قال: «أي: خساراً»[3].



١ ـ القمّي ٢: ٢٨٨، عن أبي جعفرعليه السلام. والآية في سورة هود (١١): ٣٦.

٢ ـ المصدر، عن أبي عبد اللهعليه السلام.

٣ ـ المصدر، عن أبي جعفرعليه السلام.

سورة الجنّ

[مكيّة، وهي ثمان وعشرون آية][1]

بسم اللّه الرّحمٰن الرّحيم

﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ ٱلْجِنِّ فَقالُوا إِنّا سَمِعْنا قُرْآناً عَجَباً﴾: كتاباً بديعاً مبايناً لكلام النّاس، في حسن نظمه ودقّة معناه.

﴿يَهْدِي إِلَى ٱلرُّشْدِ﴾: إلى الحقّ والصّواب ﴿فَآمَنّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنا أَحَداً﴾ قد سبق بعض قصّتهم في الأحقاف[2].

﴿وَأَنَّهُ تَعالىٰ جَدُّ رَبِّنا﴾ قيل: أي: عظمته، مستعار من الجدّ الّذي هو البخت[3]. قال: «إنّما هو شيء قالته الجنّ بجهالة، فحكى اللّه عنهم»[4]. والقمّي: ولم يرضه اللّه منهم[5]. ﴿مَا ٱتَّخَذَ صاحِبَةً وَلا وَلَداً﴾.

١ ـ ما بين المعقوفتين من «ب».

٢ ـ الآيات: ٢٩ ـ ٣٢.

٣ ـ الكشّاف ٤: ١٦٧؛ البيضاوي ٥: ١٥٤.

٤ ـ الخصال ١: ٥٠، الحديث: ٥٩؛ التّهذيب ٢: ٣١٦، الحديث: ١٢٩٠، عن أبي جعفر عليه السلام؛ من لا يحضره الفقيه ١: ٢٦١، الحديث: ١١٩٠، عن أبي عبد اللّه عليه السلام؛ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٣٦٨، عن أبي جعفر وأبي عبد اللّه عليهما السلام.

٥ ـ القمّي ٢: ٣٨٨.

﴿وَأَنَّهُ كانَ يَقُولُ سَفِيهُنا عَلَى اللّهِ شَطَطاً﴾: قولاً بعيداً عن الحق، مجاوزاً عن الحدّ.

﴿وَأَنّا ظَنَنّا أَنْ لَنْ تَقُولَ الإنْسُ وَالجِنُّ عَلَى اللّهِ كَذِباً﴾ اعتذارٌ عن اتّباعهم السّفيه في ذلك.

﴿وَأَنَّهُ كانَ رِجالٌ مِنَ الإنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجالٍ مِنَ الجِنِّ﴾.

قال: «كان الرّجل ينطلق إلى الكاهن الذي يوحي إليه الشّيطان فيقول: قل لشيطانك: فلان قد عاذ بك»[1].

﴿فَزادُوهُمْ رَهَقاً﴾: فزادوا الجنّ باستعاذتهم بهم كبراً وعتوّاً. والقمّي: أي: خسراناً[2].

﴿وَأَنَّهُمْ﴾: وأنّ الإنس ﴿ظَنُّوا كَما ظَنَنْتُمْ﴾ أيّها الجنّ أو بالعكس ﴿أَنْ لَنْ يَبْعَثَ اللّهُ أَحَداً﴾ والآيتان إمّا من كلام الجنّ بعضهم لبعض، أو استئناف كلام من اللّه. ومن فتح «أنّ» فيهما جعلهما من الموحى به.

﴿وَأَنّا لَمَسْنا السَّماءَ﴾: التمسناها، أي: طلبنا بلوغها أو خبرها ﴿فَوَجَدْناها مُلِئَتْ حَرَساً شَدِيداً﴾: حرّاساً قويّاً، وهم الملائكة الذين يمنعونهم عنها ﴿وَشُهُباً﴾.

﴿وَأَنّا كُنّا نَقْعُدُ مِنْها مَقاعِدَ لِلسَّمْعِ﴾: مقاعد خالية عن الحرس والشّهب، صالحة للتّرصّد والاستماع ﴿فَمَنْ يَسْتَمِعِ الآنَ يَجِدْ لَهُ شِهاباً رَصَداً﴾ أي: شهاباً راصداً له ولأجله، يمنعه عن الاستماع بالرّجم، وقد مضى في الحجر والصّافّات[3].

وفي حديث سبب أخبار الكاهن قال: «وأمّا أخبار السّماء: فإنّ الشّياطين كانت تقعد مقاعد استراق السّمع إذ ذاك، وهي لا تحجب ولا ترجم بالنّجوم، وإنّما منعت من استراق السّمع لئلّا يقع في الأرض سبب يشاكل الوحي من خبر السّماء، ويلبس على أهل الأرض ما جاءهم عن اللّه لإثبات الحجّة ونفي الشّبهة. وكان الشّيطان يسترق الكلمة الواحدة من خبر السّماء بما يحدث من اللّه في خلقه، فيختطفها ثم يهبط بها إلى الأرض فيقذفها إلى

١ ـ القمّي ٢: ٣٨٩، عن أبي جعفر عليه السلام.

٢ ـ المصدر.

٣ ـ الحجر (١٥): ١٧ و ١٨؛ الصّافّات (٣٧): ٧ ـ ١٠.

الكاهن ، فإذاً قد زاد كلمات من عنده ؛ فيختلط الحقّ بالباطل . فما أصاب الكاهن من خبر ممّا كان يخبر به ، فهو ما أدّاه إليه شيطانه ممّا سمعه ؛ وما أخطأ فيه ، فهو من باطل ما زاد فيه ، فمنذ منعت الشّياطين عن استراق السّمع انقطعت الكهانة»[١] .

﴿وَأَنَّا لا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الأَرْضِ أَمْ أَرادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَداً﴾: خيراً .

﴿وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذٰلِكَ﴾: قوم دون ذلك ﴿كُنَّا طَرائِقَ قِدَداً﴾: متفرّقة . القمّي: أي: على مذاهب مختلفة[٢] .

﴿وَأَنَّا ظَنَنَّا﴾: علمنا ﴿أَنْ لَنْ نُعْجِزَ اللَّهَ فِي الأَرْضِ﴾ كائنين أينما كنّا فيها ﴿وَلَنْ نُعْجِزَهُ هَرَباً﴾: هاربين منها إلى السّماء ، ولن نعجزه في الأرض إن أراد بنا أمراً ، ولن نعجزه هرباً إن طلبنا .

﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الهُدىٰ آمَنّا بِهِ فَمَنْ يُؤْمِنْ بِرَبِّهِ فَلا يَخافُ بَخْساً وَلا رَهَقاً﴾ . القمّي: البخس: النّقصان . والرّهق: العذاب[٣] .

﴿وَأَنَّا مِنَّا المُسْلِمُونَ وَمِنَّا القاسِطُونَ﴾: الجائرون عن طريق الحقّ ﴿فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولٰئِكَ تَحَرَّوْا﴾: توخّوا ﴿رَشَداً﴾: رشداً عظيماً يبلغهم إلى دار الثّواب . قال: «أي: الذين أقرّوا بولايتنا»[٤] .

﴿وَأَمَّا القاسِطُونَ فَكانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَباً﴾ .

﴿وَأَنْ لَوِ اسْتَقامُوا﴾: وأنّه لو استقاموا ﴿عَلَى الطَّرِيقَةِ﴾: الطّريقة المثلى ﴿لَأَسْقَيْناهُمْ ماءً غَدَقاً﴾: لوسّعنا عليهم الرّزق ؛ والغدق: الكثير .

١ ـ الاحتجاج ٢: ٨١ ، عن أبي عبد الله ﷺ ، مع اختلاف يسير .
٢ ـ القمّي ٢: ٣٨٩ .
٣ ـ المصدر .
٤ ـ المصدر ، عن أبي عبد الله ، عن أبي جعفر ﷺ .

قال: «معناه: لأفدناهم علماً كثيراً ؛ يتعلّمونه من الأئمّة»[1].

وفي رواية: «يعني لو استقاموا على ولاية أمير المؤمنين عليّ والأوصياء من ولده، وقبلوا طاعتهم في أمرهم ونهيهم، "لَأَسقَيْناهُمْ ماءاً غَدَقاً". يقول: لأشربنا قلوبهم الإيمان»[2].

﴿لِنَفْتِنَهُم فِيهِ﴾: لنختبرهم كيف يشكرونه ﴿وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذاباً صَعَداً﴾: يدخله عذاباً شاقّاً يعلو المعذّب ويغلبه.

﴿وَأَنَّ المَساجِدَ لِلّٰهِ﴾: مختصّة به ﴿فَلا تَدْعُوا مَعَ اللّٰهِ أَحَداً﴾ قال: «يعني بالمساجد: الوجه واليدين والرّكبتين والإبهامين»[3]. وفي رواية: «هم الأوصياء»[4].

﴿وَأَنَّه لَمّا قامَ عَبْدُ اللّٰهِ﴾ يعني محمّداً ﴿يَدْعُوهُ﴾: يعبد الله ﴿كادُوا﴾ يعني قريشاً ﴿يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَداً﴾ أي: أبداً. يعني يتعاونون عليه.

وقيل: معناه: كاد الجنّ يكونون عليه متراكمين من ازدحامهم عليه: تعجّباً ممّا رأوا من عبادته وسمعوا من قراءته[5].

﴿قُلْ إِنَّما أَدْعُوا رَبِّي وَلا أُشْرِكُ بِهِ أَحَداً﴾ فليس ذلك ببدع ولا منكر؛ يوجب إطباقكم على مقتي أو تعجّبكم.

﴿قُلْ إِنِّي لا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرّاً وَلا رَشَداً﴾.

قال: «إنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله دعا النّاس إلى ولاية عليّ عليه السلام، فاجتمعت إليه قريش وقالوا:

١ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٣٧٢، عن أبي عبد الله عليه السلام.

٢ ـ الكافي ١: ٢٢٠، الحديث: ١، عن أبي جعفر عليه السلام.

٣ ـ من لا يحضره الفقيه ٢: ٣٨١، الحديث: ١٦٢٧، عن أمير المؤمنين عليه السلام؛ وفي الكافي ٣: ٣١٢، ذيل الحديث: ٨، عن أبي عبد الله عليه السلام؛ والعيّاشي ١: ٣١٩، الحديث: ١٠٩، عن الجواد عليه السلام؛ والقمّي ٢: ٣٩٠، عن ابن عبّاس ما بمعناه.

٤ ـ الكافي ١: ٤٢٥، الحديث: ٦٥، عن أبي الحسن الكاظم عليه السلام.

٥ ـ البيضاوي ٥: ١٥٥.

يا محمّد اعفنا من هذا . فقال: هذا إلى اللّه ليس إليّ ، فاتّهموه وخرجوا من عنده ، فأنزل اللّه: "قُلْ إنّي لا أملِكُ لَكُمْ" الآية»[1] .

﴿قُلْ إنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللّهِ أَحَدٌ﴾ قال: إن عصيته ﴿وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَداً﴾: منحرفاً وملتجأً .

﴿إلّا بَلاغاً مِنَ اللّهِ وَرِسالاتِهِ﴾ قال: «في عليّ»[2] . ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللّهَ وَرَسُولَهُ﴾ قال: «في ولاية عليّ»[3] . ﴿فَإنَّ لَهُ نارَ جَهَنَّمَ خالِدِينَ فِيها أَبَداً﴾ .

﴿حَتّىٰ إذا رَأَوْا ما يُوعَدُونَ﴾ قال: «يعني الموت والقيامة»[4] . وفي رواية: «القائم وأنصاره»[5] . والقمّي: في الرّجعة[6] . ﴿فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ ناصِراً﴾ هو أو هم ﴿وَأَقَلُّ عَدَداً﴾ .

﴿قُلْ إنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ ما تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَداً﴾ القمّي: لمّا أخبرهم رسول اللّه صلّى الله عليه وآله ما يكون من الرّجعة . قالوا: متى يكون هذا؟ قال اللّه: قل يا محمّد: "إن أدري" الآية[7] .

﴿عالِمُ الغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلىٰ غَيْبِهِ أَحَداً﴾: فلا يطّلع .

﴿إلّا مَنِ ارْتَضىٰ مِنْ رَسُولٍ﴾ قال: «وكان محمّد ممّن ارتضاه»[8] .

وفي رواية: «ونحن ورثة ذلك الرّسول الّذي أطلعه اللّه على ما يشاء من غيبه ، فعلّمنا ما كان وما يكون إلى يوم القيامة»[9] .

﴿فَإنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ﴾: بين يدي المرتضى ﴿وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَداً﴾ . القمّي: يخبر

١ و ٢ و ٣ ـ الكافي ١: ٤٣٤ ، قطعة من حديث: ٩١ ، عن الكاظم عليه السلام .

٤ ـ القمّي ٢: ٣٩٠ ، عن رسول اللّه صلّى الله عليه وآله .

٥ ـ الكافي ١: ٤٣٤ ، قطعة من حديث: ٩١ ، عن الكاظم عليه السلام .

٦ و ٧ ـ القمّي ٢: ٣٩١ .

٨ ـ الكافي ١: ٢٥٦ ، الحديث: ٢ ، عن أبي جعفر عليه السلام .

٩ ـ الخرائج والجرائح: ٣٠٦ ، عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام .

اللّه رسولَه الذي يرتضيه، بماكان قبله من الأخبار وما يكون بعده من أخبار القائم والرّجعة والقيامة[١].

وقيل: رصداً، أي: حرساً من الملائكة، يحرسونه من اختطاف الشّياطين وتخاليطهم[٢].

﴿لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا﴾ قيل: أي: ليعلم النّبيّ الموحى إليه: أن قد أبلغ جبرئيل والملائكة النّازلون بالوحي، أو ليعلم اللّه: أن قد أبلغ الأنبياء. بمعنى ليتعلّق علمه به موجوداً[٣].

﴿رِسالاتِ رَبِّهِمْ﴾ كما هي محروسة عن التّغيير ﴿وَأَحاطَ بِما لَدَيْهِمْ﴾ بما عند الرّسل ﴿وَأَحْصىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَداً﴾ حتّى القطر والرّمل.

١ ـ القمّي ٢: ٣٩١.

٢ و ٣ ـ البيضاوي ٥: ١٥٦.

سورة المزّمّل

[مكيّة، وهي عشرون آية][1]

بسم الله الرّحمن الرّحيم

﴿يا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ﴾ أصله المتزمّل، من تزمّل بثيابه إذا تلفّف بها. القمّي: هو النّبيّ كان يتزمّل بثوبه وينام. فقال الله: "يا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ"[2].

﴿قُمِ اللَّيْلَ﴾ أي: إلى الصّلاة ﴿إِلَّا قَلِيلاً﴾.

﴿نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً﴾.

﴿أَوْ زِدْ عَلَيْهِ﴾. قال: «القليل: النّصف، أو انقص من القليل قليلاً، أو زِدْ على القليل قليلاً»[3]. ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾ قال: «بيّنه بياناً ولا تهذّه هذّ الشعر ولا تنثره نثر الرّمل، ولكن افزعوا قلوبكم القاسية، ولا يكن همّ أحدكم آخر السّورة»[4].

﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً﴾ قيل: أي: القرآن، فإنّه لِما فيه من التّكاليف ثقيلٌ على

١ ـ ما بين المعقوفتين من «ب».

٢ ـ القمّي ٢: ٣٩٢.

٣ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٣٧٧، عن أبي عبد الله عليه السلام.

٤ ـ الكافي ٢: ٦١٤، الحديث: ١، عن أبي عبد الله، عن أمير المؤمنين عليه السلام؛ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٣٧٨، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

المكلّفين[١]. وقيل: أي: ثقيل نزوله عليه؛ فإنّه كان يتغيّر حاله عند نزوله ويعرق[٢].

والقمّي: "قَولاً ثَقِيلاً": قيام اللّيل، وهو قوله[٣]:

﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ﴾ قيل: أي: النّفس الّتي تنشأ من مضجعها إلى العبادة، أي: تنهض؛ أو العبادة التي تنشأ باللّيل، أي: تحدث[٤]. ﴿هِيَ أَشَدُّ وَطْأً﴾ أي: كُلْفَةً أو ثبات قدم. وعلى قراءة "وِطَاءً" على فعال، أي: مواطاة القلب اللّسان لها أو فيها. ﴿وَأَقْوَمُ قِيلاً﴾: وأسدّ مقالاً وأثبت قراءة؛ لحضور القلب وهدوء الأصوات. والقمّي: أصدق القول[٥].

و ورد: «ناشئة اللّيل: قيام الرّجل عن فراشه، يريد به اللّه لا يريد به غيره»[٦].

﴿إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحاً طَوِيلاً﴾ قال: «فراغاً طويلاً لنومك وحاجتك»[٧].

﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً﴾: وانقطع إليه بالعبادة، وجرّد نفسك عمّا سواه. القمّي: يقول: أخلص إليه إخلاصاً[٨].

و ورد: «التّبتّل هنا رفع اليدين في الصّلاة»[٩].

وفي رواية: «هو رفع يدك إلى اللّه وتضرّعك إليه»[١٠].

وفي أُخرى: «الإيماء بالإصبع»[١١].

وفي أُخرى: «أن تقلّب كفّيك في الدّعاء إذا دعوت»[١٢].

١ و ٢ ـ الكشّاف ٤: ١٧٥؛ البيضاوي ٥: ١٥٦ ـ ١٥٧.

٣ ـ القمّي ٢: ٣٩٢.

٤ ـ البيضاوي ٥: ١٥٧.

٥ ـ القمّي ٢: ٣٩٢.

٦ ـ الكافي ٣: ٤٤٦، الحديث: ١٧؛ من لا يحضره الفقيه ١: ٢٩٩، الحديث: ١٣٦٧؛ التّهذيب ٢: ٣٣٦، الحديث: ١٣٨٥؛ علل الشّرائع ٢: ٣٦٣، الباب: ٨٤، الحديث: ٥، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٧ ـ القمّي ٢: ٣٩٢، عن أبي جعفر عليه السلام.

٨ ـ القمّي ٢: ٣٩٢.

٩ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٣٧٩، عن أبي جعفر وأبي عبد اللّه عليهما السلام.

١٠ ـ المصدر، في رواية أبي بصير.

١١ ـ الكافي ٢: ٤٨١، الحديث: ٧، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

١٢ ـ معاني الأخبار: ٣٧٠، الحديث: ٢، عن أبي الحسن الكاظم عليه السلام.

﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلاً﴾.

﴿وَاصْبِرْ عَلىٰ ما يَقُولُونَ﴾ قال: «ما يقولون فيك»[1]. ﴿وَاهْجُرْهُمْ هَجْراً جَمِيلاً﴾ بأن تُجانِبَهم وتُداريهم، وتَكِلَ أمرهم إلى الله.

﴿وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ﴾: دَعْني وإيّاهم، وكِلْ إليّ أمرهم، فإنّ بي غُنية عنك في مجازاتهم. ﴿أُولِي النَّعْمَةِ﴾: أرباب التّنعّم ﴿وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلاً﴾.

﴿إِنَّ لَدَيْنا أَنْكالاً وَجَحِيماً﴾. تعليل للأمر، والنّكل: القيد الثّقيل.

﴿وَطَعاماً ذا غُصَّةٍ﴾: ينشب في الحلق، كالضّريع والزّقّوم ﴿وَعَذاباً أَلِيماً﴾: ونوعاً آخر من العذاب مؤلماً، لا يعرف كنهه إلّا الله.

وفسّر بالحرمان عن لقاء الله، فإنّ النّفوس العاصية المنهمكة في الشّهوات تبقى مقيّدة بحبّها والتّعلّق بها عن التّخلّص إلى عالم القدس، متحرّقة بحرقة الفرقة، متجرّعة غصّة الهجران، معذّبة بالحرمان عن تجلّي أنوار القدس.

﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبالُ﴾: تضطرب وتتزلزل ﴿وَكانَتِ الْجِبالُ كَثِيباً مَهِيلاً﴾ مثل الرّمل تنحدر.

﴿إِنّا أَرْسَلْنا إِلَيْكُمْ رَسُولاً شاهِداً عَلَيْكُمْ﴾: يشهد عليكم يوم القيامة بالإجابة والامتناع ﴿كَما أَرْسَلْنا إِلىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولاً﴾.

﴿فَعَصىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْناهُ أَخْذاً وَبِيلاً﴾: ثقيلاً.

﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْماً يَجْعَلُ الْوِلْدانَ شِيباً﴾ القمّي: من الفزع، حيث يسمعون الصّيحة. يقول: كيف إن كفرتم تتّقون ذلك اليوم؟![2].

﴿السَّماءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ﴾: منشق ﴿كانَ وَعْدُهُ مَفْعُولاً﴾.

﴿إِنَّ هٰذِهِ﴾: الآيات الموعدة ﴿تَذْكِرَةٌ﴾: عِظَةٌ ﴿فَمَنْ شاءَ اتَّخَذَ إِلىٰ رَبِّهِ سَبِيلاً﴾

١ ـ الكافي ١: ٤٢٤، قطعة من حديث: ٩١، عن أبي الحسن الكاظم عليه السلام.
٢ ـ القمّي ٢: ٣٩٣.

تقرّب إليه بسلوك التّقوى.

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنىٰ مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللّٰهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهارَ﴾: لا يعلم مقادير ساعاتهما كما هي إلّا اللّه ﴿عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ﴾: أن لن تحصوا تقدير الأوقات، ولن تستطيعوا ضبط السّاعات. قال: «يقول: متى يكون النّصف والثّلث»[1]. ﴿فَتابَ عَلَيْكُمْ﴾ بالتّرخيص في ترك القيام المقدّر، ورفع التّبعة فيه. ﴿فَاقْرَءُوا ما تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ﴾: فصلّوا بما تيسّر عليكم من القراءة.

قال: «ما تيسّر منه لكم، فيه خشوع القلب وصفاء السّرّ»[2].

قال: «وكان الرّجل يقوم ولا يدري متى ينتصف اللّيل، ومتى يكون الثّلثان، وكان الرّجل يقوم حتّى يصبح مخافة أن لا يحفظه. فأنزل اللّه: "إن ربك يعلم ـ إلى قوله ـ: لن تُحصُوهُ"، ثمّ نسخت بهذه الآية: "فاقرءوا ما تيسّر من القرآن". قال: واعلموا أنّه لم يأت نبيّ قطّ إلّا خلا بصلاة اللّيل، ولا جاء نبيّ قطّ بصلاة اللّيل في أوّل اللّيل»[3].

﴿عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضىٰ﴾: استئناف يبيّن حكمة أُخرى مقتضية للتّرخيص والتّخفيف. ﴿وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللّٰهِ﴾: يسافرون للتّجارة ﴿وَآخَرُونَ يُقاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّٰهِ فَاقْرَءُوا ما تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكاةَ وَأَقْرِضُوا اللّٰهَ قَرْضاً حَسَناً﴾ يريد به سائر الإنفاقات في سبيل الخير. القمّي: هو غير الزّكاة[4].

﴿وَما تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللّٰهِ هُوَ خَيْراً﴾ أي: تجدوه خيراً، والضّمير للفصل والعماد. ﴿وَأَعْظَمَ أَجْراً وَاسْتَغْفِرُوا اللّٰهَ﴾ في مجامع أحوالكم، فإنّكم لاتخلون من تفريط ﴿إِنَّ اللّٰهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

١ ـ القمّي ٢: ٣٩٢، عن أبي جعفر عليه السلام.
٢ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٣٨٢، عن أبي الحسن الرّضا، عن أبيه، عن جدّه عليهم السلام.
٣ ـ القمّي ٢: ٣٩٢، عن أبي جعفر عليه السلام.
٤ ـ القمّي ٢: ٣٩٣.

سورة المدّثّر

[مكيّة، وهي ستّ وخمسون آية][1]

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم

﴿يا أيُّها المُدَّثِّر﴾ أي: المتدثّر، وهو لابس الدّثار. القمّي: تدثّر رسول اللّه صلى الله عليه وآله فالمدّثّر يعني المدّثّر بثوبه[2].

﴿قُمْ فَأَنْذِرْ﴾.

﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾ صِفْهُ بالكبرياء عقداً وقولاً.

روي: «إنّه لمّا نزلت؛ كبّر وأيقن أنّه الوحي، وذلك أنّ الشّيطان لا يأمر بذلك»[3].

وروي: «إنّه كان ذلك في أوائل بعثته»[4].

﴿وَثِيابَكَ فَطَهِّرْ﴾ قال: «أي: فشمّر»[5]. وقال: «ارفعها ولا تجرّها»[6]. وفي رواية:

١ ـ ما بين المعقوفتين من «ب».

٢ ـ القمّي ٢: ٣٩٣.

٣ ـ البيضاوي ٥: ١٥٨.

٤ ـ الكشّاف ٤: ١٨١؛ البيضاوي ٥: ١٥٨؛ جامع البيان (للطبري) ٢٩: ٩٠.

٥ ـ الكافي ٦: ٤٥٥، الحديث: ١، عن أبي عبد اللّه عليه السلام؛ الخصال ٢: ٦٢٣، قطعة من حديث: ١٠، عن أبي عبد اللّه، عن آبائه، عن أمير المؤمنين عليهم السلام.

٦ ـ الكافي ٦: ٤٥٦، الحديث: ٢، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

«وكانت ثيابه طاهرة، وإنّما أمره بالتّشمير»[١]. وفي أُخرى: «تشمير الثّياب: طهورها»[٢]. وفي أُخرى: «معناه: وثيابك فقصّر»[٣].

﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾. القمّي: الرّجز: الخبيث[٤].

﴿وَلا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ﴾ قال: «لا تعط العطيّة تلتمس أكثر منها»[٥]. وفي رواية: «لا تستكثر ما عملت من خير للّه»[٦].

﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾ على مشاقّ التّكاليف وأذى المشركين.

﴿فَإِذا نُقِرَ فِي النّاقُورِ﴾: فإذا نفخ في الصّور.

﴿فَذٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ﴾.

﴿عَلَى الكافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ﴾.

﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً﴾.

﴿وَجَعَلْتُ لَهُ مالاً مَمْدُوداً﴾.

﴿وَبَنِينَ شُهُوداً﴾ قيل: نزلت في الوليد بن المغيرة[٧] ـ عمّ أبي جهل ـ فإنّه كان يلقّب بالوحيد، سمّاه اللّه به تهكّماً[٨].

القمّي: وإنّما سمّي وحيداً لأنّه قال لقريش: أنا أتوحّد بكسوة البيت سنة، وعليكم في جماعتكم سنة، وكان له مال كثير وحدائق، وعشر بنين بمكّة وعشرة عبيد؛ عند كلّ ألف

١ـ الكافي ٦: ٤٥٦، الحديث: ٤، عن أبي الحسن عليه السلام.

٢ و ٣ـ مجمع البيان ٩ـ١٠: ٣٨٥، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٤ـ القمّي ٢: ٣٩٣.

٥ـ المصدر، في رواية أبي الجارود.

٦ـ الكافي ٢: ٤٩٩، الحديث: ١، عن أبي عبد اللّه عليه السلام، عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله.

٧ـ مرّت ترجمته في ذيل الآية: ٦ من سورة القلم.

٨ـ الكشّاف ٤: ١٨٢؛ البيضاوي ٥: ١٥٩.

دينار يتّجر بها[١].

وفي رواية: «إنّما نزلت في عمر؛ في إنكاره الولاية»[٢].

وإنّه إنّما سمّي وحيداً لأنّه كان ولد زنا. وقال: «إنّ الوحيد من لا يعرف له أب»[٣].

﴿وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيداً﴾: وبسطت له في الرّئاسة والجاه العريض، حتّى لقّب ريحانة قريش والوحيد.

﴿ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ﴾.

﴿كَلَّا إِنَّهُ كانَ لِآياتِنا عَنِيداً﴾.

﴿سَأُرْهِقُهُ صَعُوداً﴾: سأغشيه عقبة شاقّة المصعد؛ وهو مثل لما يلقى من الشّدائد.

وروي: «إنّ الصّعود جبل من النّار، يصعد فيه سبعين خريفاً، ثمّ يهوي فيه كذلك أبداً، فإذا وضع يده عليها ذابت وإذا رفعها عادت، وكذلك رجله»[٤].

﴿إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ﴾: فكّر فيما تخيّل طعناً في القرآن، وقدّر في نفسه ما يقول فيه، وذلك بعد ما اقشعرّ جلده من سماعه، وقامت كلّ شعرة في رأسه ولحيته.

القمّي: قال له أبو جهل: أخطب هو؟ قال: لا، إنّ الخطب كلام متّصل، وهذا كلام منثور ولا يشبه بعضه بعضاً. قال: أفشِعرٌ هو؟ قال: لا، أما أنّي لقد سمعت أشعار العرب بسيطها ومديدها ورملها ورجزها، وما هو بشعر. قال: فما هو؟ قال: دَعْني أُفكّر فيه. فلمّا كان من الغَدِ قالوا له: ما تقول فيما قلناه؟ قال: قولوا: هو سحر، فإنّه آخذ بقلوب النّاس، فنزلت[٥].

وروي: «إنّه قال: واللّه لقد سمعت من محمّد آنفا كلاماً ما هو من كلام الإنس ولا من

١ـ القمّي ٢: ٣٩٤.

٢ـ المصدر: ٣٩٥، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٣ـ مجمع البيان ٩ـ١٠: ٣٨٧، عن أبي جعفر عليه السلام.

٤ـ الكشّاف ٤: ١٨٢.

٥ـ القمّي ٢: ٣٩٤.

كلام الجنّ ، إنّ له لحلاوة وإنّ عليه لطلاوة[1] ، وإنّ أعلاه لمثمر وإنّ أسفله لمغدق ، وإنّه يعلو وما يعلى! فقالت قريش: صَبَأ[2] والله وليد! ليصبأنّ قريش . فقال أبو جهل: أنا أكفيكموه ، وقعد إليه حزيناً ، وكلّمه بما أحماه . فقام فأتاهم ، فقال: تزعمون: أنّ محمّداً مجنون! فهل رأيتموه يخنق؟ وتقولون: إنّه كاهن! فهل رأيتموه يتحدّث بما يتحدّث به الكهنة؟ وتزعمون: أنّه شاعر! فهل رأيتموه يتعاطى شعراً قطّ؟ وتزعمون: أنّه كذّاب! فهل جرّبتم عليه شيئاً من الكذب؟ فقالوا في ذلك كلّه: اللّهمّ لا . قالوا له: فما هو؟ ففكّر فقال: ما هو إلّا ساحر ، أما رأيتموه يفرّق بين الرّجل وأهله وولده ومواليه ، وما يقوله سحر يؤثر عن أهل بابل ، فتفرّقوا متعجّبين منه[3] .

﴿فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾ تعجيب من تقديره .

﴿ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾ التّكرير للمبالغة ، و«ثمّ» للدّلالة على أنّ الثّانية أبلغ من الأُولى .

﴿ثُمَّ نَظَرَ﴾ في أمر القرآن مرّة أُخرى .

﴿ثُمَّ عَبَسَ﴾: قَطَبَ وجهه لمّا لم يجد فيه طعناً ، ولم يدر ما يقول ﴿وَبَسَرَ﴾ اتباع لعبس .

﴿ثُمَّ أَدْبَرَ﴾ عن الحقّ ﴿وَاسْتَكْبَرَ﴾ عن اتّباعه .

﴿فَقَالَ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ﴾: يُروى ويتعلّم .

﴿إِنْ هَٰذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾ .

﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾ .

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ﴾ تفخيمٌ لشأنها .

﴿لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ﴾: لا تبقي على شيء يلقى فيها ، ولا تدعه حتّى تهلكه .

١ ـ الطّلاوة: الحُسن والقبول . الصّحاح ٦: ٢٤١٤ (طلا) .

٢ ـ صَبَأ الرّجل صُبوءاً: إذا خرج من دينٍ إلى دين . الصّحاح ١: ٥٩ (صبأ) .

٣ ـ جوامع الجامع: ٥١٧ ؛ الكشّاف ٤: ١٨٣ .

﴿لَوّاحَةٌ لِلْبَشَرِ﴾: مسودّة لأعالي الجلد.

﴿عَلَيْها تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ ملكاً يلون أمرها. القمّي: قال: لكلّ رجل تسعة عشر من الملائكة يعذّبونه[1].

﴿وَما جَعَلْنا أَصْحابَ النّارِ إِلّا مَلائِكَةً﴾ ليخالفوا جنس المعذّبين، فلا يرقّوا لهم ولا يستروحون إليهم، ولأنّهم أقوى الخلق بأساً وأشدّهم غضباً للّه.

روي: «إنّ أبا جهل لمّا سمع: "عليها تِسعَةَ عَشَر" قال لقريش: أيعجز كلّ عشرة منكم أن يبطشوا برجل منهم، فنزلت»[2].

﴿وَما جَعَلْنا عِدَّتَهُمْ إِلّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾: وما جعلنا عددهم إلّا العدد الّذي اقتضى فتنتهم، وهو التّسعة عشر.

قيل: افتتانهم به استقلالهم له واستهزاؤهم به، واستبعادهم أن يتولّى هذا العدد القليل تعذيب أكثر الثّقلين[3].

﴿لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ﴾: ليكتسبوا اليقين بنبوّة محمّد ﷺ وصدق القرآن، لمّا رأوا ذلك موافقاً لما في كتابهم.

قال: «يستيقنون أنّ اللّه ورسوله ووصيّه حقّ»[4].

﴿وَيَزْدادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيماناً﴾ بتصديق أهل الكتاب له ﴿وَلا يَرْتابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ أي: في ذلك، وهو تأكيد للاستيقان، وزيادة الإيمان، ونفي لما يعرض المتيقّن حيثما عراه شبهة. ﴿وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾: شكّ أو نفاق ﴿وَالْكافِرُونَ﴾: الجازمون في التّكذيب ﴿ماذا أَرادَ اللّهُ بِهذا مَثَلاً﴾ أيّ شيء أراد بهذا

١ ـ القمّي ٢: ٣٩٥.

٢ ـ الكشّاف ٤: ١٨٤؛ البيضاوي ٥: ١٦٠.

٣ ـ البيضاوي ٥: ١٦٠.

٤ ـ الكافي ١: ٤٣٤، قطعة من حديث: ٩١، عن الكاظم ﷺ.

العدد المستغرب استغراب المثل؟

﴿كَذٰلِكَ يُضِلُّ اللّهُ مَنْ يَشاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشاءُ وَما يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ﴾: أصناف خلقه على ما هي عليه ﴿إِلّا هُوَ وَما هِيَ﴾ قيل: وما سقر، أو عدّة الخزنة، أو السّورة[1]. و ورد: «يعني ولاية عليّ»[2]. ﴿إِلّا ذِكْرىٰ لِلْبَشَرِ﴾: إلّا تذكرة لهم.

﴿كَلّا﴾ ردع لمن أنكرها، أو إنكار لأن يتذكّروا بها. ﴿وَالْقَمَرِ﴾.

﴿وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ﴾.

﴿وَالصُّبْحِ إِذا أَسْفَرَ﴾: أضاء.

﴿إِنَّها لَاِحْدَى الْكُبَرِ﴾: لإحدى البلايا الكبر. قال: «الولاية»[3].

﴿نَذِيراً لِلْبَشَرِ﴾: إنذاراً لهم أو منذرة.

﴿لِمَنْ شاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾: ليتقدّم إلى الخير أو يتأخّر عنه.

قال: «من تقدّم إلى ولايتنا أخّر عن سقر، ومن تأخّر عنها تقدّم إلى سقر»[4].

﴿كُلُّ نَفْسٍ بِما كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾: مرهونة عند اللّه.

﴿إِلّا أَصْحابَ الْيَمِينِ﴾ فإنّهم فكّوا رقابهم بما أحسنوا من أعمالهم.

قال: «هم واللّه شيعتنا»[5].

﴿فِي جَنّاتٍ يَتَساءَلُونَ﴾: يسأل بعضهم بعضاً.

﴿عَنِ الْمُجْرِمِينَ﴾.

﴿ما سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ﴾ حكايةٌ لما جرى بين المسؤولين والمجرمين.

﴿قالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ﴾ يعني: «الصّلاة المفروضة». كذا ورد[6].

وفي رواية: «عنى لم نك من أتباع الأئمّة الّذين قال اللّه فيهم: "وَالسّابِقُونَ السّابِقُونَ

١ـ البيضاوي ٥: ١٦١.

٢ و ٣ و ٤ و ٥ ـ الكافي ١: ٤٣٤، قطعة من حديث: ٩١، عن الكاظم عليه السلام.

٦ـ نهج البلاغة ٣١٦، الخطبة: ١٩٩، بالمضمون.

أُولٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ"[١] . قال: أما ترى النّاس يسمّون الّذي يلي السّابق في الحَلْبة[٢] مصلّياً ، وذلك الّذي عنى ، حيث قال: "لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ" ، أي: لم نك من أتباع السّابقين»[٣] .

وفي أُخرى: «يعني أنّا لم نتولّ وصيّ محمّد والأوصياء من بعده ، ولم نصلّ عليهم»[٤] .

﴿وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ﴾: ما يجب إعطاؤه . القمّي: حقوق آل محمّد صلّى الله عليه وآله من الخمس[٥] .

﴿وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخائِضِينَ﴾: نشرع في الباطل مع الشّارعين فيه .

﴿وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ﴾ أي: وكنّا بعد ذلك كلّه مكذّبين بالقيامة . وتأخيره لتعظيمه .

﴿حَتّىٰ أَتانَا الْيَقِينُ﴾: الموت .

﴿فَما تَنْفَعُهُمْ شَفاعَةُ الشّافِعِينَ﴾ لو شفعوا لهم جميعاً .

﴿فَما لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ﴾ قال: «أي: عن الولاية معرضين»[٦] .

﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ﴾ .

﴿فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ﴾ . شبّههم في إعراضهم ونفارهم عن استماع الذّكر بحمر نافرة فرّت من أسد .

﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتىٰ صُحُفاً مُنَشَّرَةً﴾ قال: «وذلك انّهم قالوا يا محمّد! قد بلغنا أنّ الرّجل من بني إسرائيل كان يذنب الذّنب فيصبح وذنبه مكتوب عند رأسه وكفّارته ، فنزل جبرئيل عليه السلام على رسول الله صلّى الله عليه وآله ، وقال: يسألك قومك سنّة بني

١ـ الواقعة (٥٦): ١٠ـ١١ .

٢ـ الحَلْبَة: خيل تجمع للسباق من كلّ أوبٍ ، لا تخرج من اصطبل واحد . الصّحاح ١: ١١٥ (حلب) .

٣ـ الكافي ١: ٤١٩ ، الحديث: ٣٨ ، عن أبي عبد الله عليه السلام .

٤ـ الكافي ١: ٤٣٤ ، قطعة من حديث: ٩١ ، عن الكاظم عليه السلام .

٥ـ القمّي ٢: ٣٩٥ .

٦ـ الكافي ١: ٤٣٤ ، قطعة من حديث: ٩١ ، عن الكاظم عليه السلام .

إسرائيل في الذّنوب، فإن شاؤوا فعلنا ذلك بهم، وأخذناهم بما كنّا نأخذ به بني إسرائيل فزعموا أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله كرِهَ ذلك لقومه»[1].

﴿كَلَّا﴾ ردعٌ عن اقتراحهم. ﴿بَلْ لا يَخافُونَ الآخِرَةَ﴾ فلذلك أعرضوا عن التّذكرة.

﴿كَلَّا﴾ ردعٌ عن إعراضهم. ﴿إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ﴾.

﴿فَمَنْ شاءَ ذَكَرَهُ﴾.

﴿وَما يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ التَّقْوىٰ وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ﴾.

قال: «قال الله تعالى: أنا أهل أن أُتقى، ولا يشرك بي عبدي شيئاً، وأنا أهل إن لم يشرك بي عبدي شيئاً أن أُدخله الجنّة»[2].



١ـ القمّي ٢: ٣٩٦، عن أبي جعفر عليه السلام.

٢ـ التّوحيد: ٢٠، الباب: ١، الحديث: ٦، عن أبي عبد الله عليه السلام.

سورة القيامة

[مكيّة ، وهي أربعون آية][1]

بسم اللّه الرّحمٰن الرّحيم

﴿لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيامَةِ﴾ القمّي: يعني أُقسم[2].

﴿وَلا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوّامَةِ﴾: الّتي تلوم نفسها أبداً وإن اجتهدت في الطّاعة.

﴿أَيَحْسَبُ الإِنْسانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظامَهُ﴾ بعد تفرّقها.

قيل: نزل في عديّ بن ربيعة ، سأل رسول اللّه صلى الله عليه وآله عن أمر القيامة ، فأخبره به ، فقال: لو عاينت ذلك اليوم لم أُصدّقك ، أو يجمع اللّه هذه العظام[3].

﴿بَلىٰ﴾: نجمعها ﴿قادِرِينَ عَلىٰ أَنْ نُسَوِّيَ بَنانَهُ﴾ بجمع سُلامَياتِهِ[4] وضمّ بعضها إلى بعض ، كما كانت مع صغرها ولطافتها ، فكيف بكبار العظام.

﴿بَلْ يُرِيدُ الإِنْسانُ لِيَفْجُرَ أَمامَهُ﴾: ليدوم على فجوره فيما يستقبله من الزّمان.

١ ـ ما بين المعقوفتين من «ب».

٢ ـ القمّي ٢: ٢٩٦.

٣ ـ البيضاوي ٥: ١٦٢.

٤ ـ السُّلامَيات: عظام الأصابع. الصّحاح ٥: ١٩٥١ (سلم).

القمّي: يقدّم الذّنب ويؤخّر التّوبة، ويقول: سوف أتوب[١].

﴿يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ﴾: متى يكون؟ استبعاداً واستهزاءً.

﴿فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ﴾: تحيّر فزعاً. القمّي: يبرق البصر فلا يقدر أن يطرف[٢].

﴿وَخَسَفَ الْقَمَرُ﴾: ذهب ضوؤه.

﴿وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾.

ورد: إنّه سئل: متى يكون هذا الأمر؟ فقال: «إذا حيل بينكم وبين سبيل الكعبة، واجتمع الشّمس والقمر، واستدار بهما الكواكب والنّجوم. فقيل: متى؟ فقال: في سنة كذا وكذا تخرج دابّة الأرض من بين الصّفا والمروة، معه عصا موسى وخاتم سليمان يسوق النّاس إلى المحشر»[٣].

وقيل: أُريد بهذه الآيات ظهور أمارات الموت[٤].

﴿يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ﴾: يقوله قول الآيس من وجدانه المتمنّي.

﴿كَلَّا﴾ ردع عن طلب المفرّ ﴿لَا وَزَرَ﴾: لا ملجأ.

﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ﴾: إليه وحده، وإلى حكمه ومشيئته موضع القرار.

﴿يُنَبَّأُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ قال: «بما قدّم من خير وشرّ وما أخّر، فما سنّ من سنّة ليستنّ بها من بعده، فإن كان شرّاً كان عليه مثل وزرهم ولا ينقص من وزرهم شيئاً، وإن كان خيراً كان له مثل أُجورهم ولا ينقص من أُجورهم شيئاً»[٥].

﴿بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾: حجّة بيّنة على أعمالها، لأنّه شاهد بها أو عين بصيرة بها، فلا يحتاج إلى الإنباء.

﴿وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ﴾: ولو جاء بكلّ مايمكن أن يعتذر به. القمّي: يعلم ماصنع وإن اعتذر.

١ ـ القمّي ٢: ٣٩٦.

٢ ـ القمّي ٢: ٣٩٦.

٣ ـ الغيبة: ٢٦٦، ذيل الحديث: ٢٢٨، عن المهديّ عليه السلام.

٤ ـ البيضاوي ٥: ١٦٢؛ تفسير الكبير ٣٠: ٢١٩.

٥ ـ القمّي ٢: ٣٩٧، عن أبي جعفر عليه السلام.

و ورد: «ما يصنع أحدكم أن يظهر حسناً ويستر سيّئاً ، أليس إذا راجع إلى نفسه يعلم أنّه ليس كذلك ، واللّه عزّوجلّ يقول: "بَلِ الإنسانَ عَلىٰ نَفسِهِ بَصِيرَةٌ" إنّ السّريرة إذا صلحت قويت العلانية»[١] .

وفي رواية: إنّه تلا هذه الآية فقال: «ما يصنع الانسان أن يعتذر إلى النّاس»[٢] .

﴿لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾: لا تحرّك يا محمّد بالقرآن لسانك قبل أن يتمّ وحيه لتأخذه على عجلة ، مخافة أن ينفلت منك .

روي: «إنّه إذا نزل عليه القرآن عجّل بتحريك لسانه ؛ لحبّه إيّاه وحرصه على أخذه وضبطه مخافة أن ينساه ، فنهاه اللّه عن ذلك»[٣] .

﴿إنَّ عَلَيْنا جَمْعَهُ﴾ في صدرك ﴿وَقُرْآنَهُ﴾: وإثبات قراءته في لسانك ، وهي تعليل للنّهي .

﴿فَإذا قَرَأْناهُ﴾ بلسان جبرئيل عليك ﴿فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾: قراءته بتكراره ، حتّى تقرّر في ذهنك .

روي: «فكان النّبيّ عليه السلام بعد هذا إذا نزل عليه جبرئيل أطرق ، فإذا ذهب قرأ»[٤] .

﴿ثُمَّ إنَّ عَلَيْنا بَيانَهُ﴾: بيان ما أُشكل عليك من معانيه .

﴿كَلّا﴾ لعلّه ردع عن إلقاء الإنسان المعاذير مع أنّه على نفسه بصيرة ؛ وما بينهما اعتراض . ﴿بَلْ تُحِبُّونَ العاجِلَةَ﴾: الدّنيا .

﴿وَتَذَرُونَ الآخِرَةَ﴾ .

١ ـ الكافي ٢: ٢٩٥ ، الحديث: ١١ ؛ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٣٩٦ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .

٢ ـ المصدر: ٢٩٦ ، الحديث: ١٥ ؛ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٣٩٦ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام ، وفيهما: «ما يصنع الإنسان أن يعتذر إلى النّاس بخلاف ما يعلم اللّه منه» .

٣ ـ التبيان ١٠: ١٩٥ ؛ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٣٩٧ ؛ جامع البيان (للطبري) ١٩: ١١٧ .

٤ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٣٩٧ .

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ ناضِرَةٌ﴾ قال: «يعني مشرقة»[١].

﴿إِلىٰ رَبِّها ناظِرَةٌ﴾ قال: «ينتظر ثواب ربّها»[٢].

ورد: «ينتهي أولياء اللّه بعد ما يفرغ من الحساب إلى نهر يسمّى الحيوان، فيغتسلون فيه ويشربون منه، فتبيضّ وجوههم إشراقاً، فيذهب عنهم كلّ قذى ووَعْث، ثمّ يؤمرون بدخول الجنّة. فمن هذا المقام ينظرون إلى ربّهم كيف يثيبهم. قال: فذلك قوله تعالى: "إلى ربّها ناظِرَةٌ" وإنّما يعني بالنّظر إليه النّظر إلى ثوابه تبارك وتعالى»[٣].

قال: «والنّاظرة في بعض اللّغة هي المنتظرة. ألم تسمع إلى قوله: "فَناظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ" أي: منتظرة»[٤].

﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ باسِرَةٌ﴾ شديدة العبوس.

﴿تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِها فاقِرَةٌ﴾ داهية تكسر الفقار.

﴿كَلّا﴾ ردع عن إيثار الدّنيا على الآخرة. ﴿إِذا بَلَغَتِ التَّراقِيَ﴾ القمّي: يعني النّفس إذا بلغت التّرقوة[٥].

﴿وَقِيلَ مَنْ راقٍ﴾ يقال له: من يرقيك؟ قال: «ذلك ابن آدم إذا حلّ به الموت؛ قال: هل من طبيب؟»[٦].

﴿وَظَنَّ أَنَّهُ الفِراقُ﴾: علم أنّه الّذي نزل به فراق الدّنيا ومحابها. قال: «أيقن بمفارقة الأحبّة»[٧].

﴿وَالْتَفَّتِ السّاقُ بِالسّاقِ﴾: إلتوت شدّة فراق الدّنيا بشدّة خوف الآخرة. قال:

١ و ٢ ـ عيون أخبار الرضا عليه السلام ١: ١١٥، الباب: ١١، الحديث: ٢.

٣ ـ التّوحيد: ٢٦٢، الباب: ٣٦، قطعة من حديث: ٥؛ الاحتجاج ١: ٣٦١، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

٤ ـ الاحتجاج ١: ٣٦٢، عن أمير المؤمنين عليه السلام. والآية في سورة النّمل (٢٧): ٣٥.

٥ ـ القمّي ٢: ٣٩٧.

٦ و ٧ ـ الكافي ٣: ٢٥٩، الحديث: ٣٢، عن أبي جعفر عليه السلام.

«إلتفّت الدّنيا بالآخرة»[1] .

﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ﴾ قال: «المصير إلى ربّ العالمين»[2] .

﴿فَلَا صَدَّقَ﴾ بما يجب تصديقه ﴿وَلَا صَلَّىٰ﴾ ما فرض عليه .

﴿وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾ عن الطّاعة .

﴿ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِ يَتَمَطَّىٰ﴾: يتبختر ؛ افتخاراً بذلك .

﴿أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ﴾ قال: «يقول الله عزّوجلّ بُعداً لك من خير الدّنيا وبعداً لك من خير الآخرة»[3] .

﴿ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ﴾ .

﴿أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾: مهملاً . القمّي: لا يحاسب ولا يعذّب ولا يسأل عن شيء[4] .

﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ﴾ .

﴿ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ﴾: فقدّره فعدله .

﴿فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ﴾: الصّنفين ﴿الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ﴾ .

﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ﴾ .

ورد: «إنّه إذا قرأ هذه السّورة قال عند فراغها: سبحانك اللّهمّ بلى»[5] .

١ و ٢ ـ الكافي ٣: ٢٥٩ ، الحديث: ٣٢ ، عن أبي جعفر عليه السلام .

٣ ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ٢: ٥٤ ، الباب: ٣١ ، الحديث: ٢٠٥ ، عن أبي جعفر الجواد عليه السلام .

٤ ـ القمّي ٢: ٣٩٧ .

٥ ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ٢: ١٨٣ ، الباب: ٤١ ، الحديث: ٥ ، عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام ؛ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٤٠٢ ، عن رسول الله صلّى الله عليه وآله ؛ وأبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام .

سورة الدّهر[1]

[مدنيّة، وهي إحدى وثلاثون آية][2]

بسم الله الرّحمن الرّحيم

﴿هَلْ أَتىٰ عَلَى الإنْسانِ﴾ استفهام تقرير وتقريب؛ ولذلك فسّر بـقد. ﴿حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ﴾: طائفة من الزّمان ﴿لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً﴾ قال: «كان مقدوراً غير مذكور»[3]. وفي رواية: «كان مذكوراً في العلم ولم يكن مذكوراً في الخَلْق»[4].

﴿إنّا خَلَقْنا الإنْسانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشاجٍ﴾: أخلاط. قال: «ماء الرّجل والمرأة اختلطا جميعاً»[5].

﴿نَبْتَلِيهِ﴾: نختبره ﴿فَجَعَلْناهُ سَمِيعاً بَصِيراً﴾ ليتمكّن من استماع الآيات ومشاهدة الدّلائل.

﴿إنّا هَدَيْناهُ السَّبِيلَ إمّا شاكِراً وَإمّا كَفُوراً﴾ قال: «عرّفناه؛ إمّا آخذاً وإمّا تاركاً»[6].

١ـ في «ج»: «سورة الإنسان».

٢ـ ما بين المعقوفتين من «ب».

٣ـ الكافي ١: ١٤٧، الحديث: ٥، عن أبي عبد الله عليه السلام.

٤ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٤٠٦، عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام.

٥ـ القمّي ٢: ٣٩٨، عن أبي جعفر عليه السلام.

٦ـ الكافي ١: ١٦٣، الحديث: ٣؛ التّوحيد: ٤١١، الباب: ٦٤، الحديث: ٤، عن أبي عبد الله عليه السلام.

وفي رواية: «إمّا آخذٌ فشاكرٌ، وإمّا تاركٌ فكافرٌ»[١].

﴿إِنَّا أَعْتَدْنا لِلْكافِرِينَ سَلاسِلَ﴾ بها يقادون ﴿وَأَغْلالاً﴾ بها يقيّدون ﴿وَسَعِيراً﴾ بها يحرقون.

﴿إِنَّ الْأَبْرارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ﴾: من خمر ﴿كانَ مِزاجُها﴾: ما يمزج بها ﴿كافُوراً﴾ لبَرده وعذوبته وطيب عَرْفه[٢].

﴿عَيْناً يَشْرَبُ بِها﴾ القمّي: أي: منها[٣]. ﴿عِبادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَها تَفْجِيراً﴾ يجرونها حيث شاؤوا، إجراءً سهلاً.

قال: «هي عين في دار النبيّ صلى الله عليه وآله، يفجر إلى دور الأنبياء والمؤمنين»[٤].

﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ﴾ بيان لما رزقوه لأجله، وهو أبلغ في وصفهم بالتوفّر على أداء الواجبات، لأنّ من وفى بما أوجبه على نفسه كان أوفى بما أوجبه اللّه عليه.

﴿وَيَخافُونَ يَوْماً كانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيراً﴾: شدائده فاشياً منتشراً غاية الانتشار. قال: «كلوحاً عابساً»[٥].

﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعامَ عَلى حُبِّهِ﴾: حبّ الطّعام. قال: «يقول على شهوتهم للطعام وإيثارهم له»[٦]. ﴿مِسْكِيناً﴾ قال: «من مساكين المسلمين»[٧]. ﴿وَيَتِيماً﴾. قال: «من يتامى المسلمين»[٨]. ﴿وَأَسِيراً﴾ قال: «من أُسارى المشركين»[٩].

﴿إِنَّما نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزاءً وَلا شُكُوراً﴾.

قال: «يقولون إذا أطعموهم ذلك. قال: واللّه ما قالوا هذا لهم ولكنّهم أضمروه في أنفسهم، فأخبر اللّه بإضمارهم يقولون: لا نريد جزاء تكافونا به، ولا شكوراً تثنون علينا

١ ـ القمّي ٢: ٣٩٨، عن أبي جعفر عليه السلام.
٢ ـ العَرْف: الرّيح طيّبةً أو مُنتِنةً، وأكثر استعماله في الطّيّبة. القاموس المحيط ٣: ١٧٨ (عرف).
٣ ـ القمّي ٢: ٣٩٨.
٤ ـ الأمالي (للصدوق): ٢١٥، المجلس: ٤٤، قطعة من حديث: ١١، عن أبي عبد اللّه، عن أبيه عليهما السلام.
٥ ـ إلى ٩ ـ الأمالي (للصدوق): ٢١٥، المجلس: ٤٤، قطعة من حديث: ١١، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

به، ولكنّا إنّما أطعمناكم لوجه اللّه وطلب ثوابه»[1].

﴿إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْماً عَبُوساً﴾: يعبس فيه الوجوه ﴿قَمْطَرِيراً﴾: شديد العبوس.

في المجمع: قد روى الخاصّ والعامّ: «إنّ الآيات من هذه السّورة، وهي قوله: "إنّ الأبرار يشربون" إلى قوله: "وكان سعيكم مشكوراً" نزلت في عليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام وجارية لهم تسمّى فضّة. والقصّة طويلة؛ جملتها: إنّه مرض الحسن والحسين فعادهما جدّهما ووجوه العرب، وقالوا: يا أبا الحسن لو نذرت على ولديك نذراً! فنذر صوم ثلاثة أيّام إن شفاهما اللّه سبحانه، ونذرت فاطمة عليها السلام، وكذلك فضّة، فبرءا وليس عندهم شيء، فاستقرض عليّ عليه السلام ثلاثة أصوع من شعير من يهوديّ ـ وروي: أنّه أخذها ليغزل له صوفاً ـ وجاء به إلى فاطمة، فطحنت صاعاً منها فاختبزته، وصلّى عليّ عليه السلام المغرب وقرّبته إليهم، فأتاهم مسكين يدعو لهم، وسألهم فأعطوه، ولم يذوقوا إلّا الماء. فلمّا كان اليوم الثاني أخذت صاعاً فطحنته واختبزته، وقدّمته إلى عليّ عليه السلام، فإذا يتيم بالباب يستطعم، فأعطوه ولم يذوقوا إلّا الماء. فلمّا كان اليوم الثّالث عمدت إلى الباقي فطحنته واختبزته، وقدّمته إلى عليّ عليه السلام، فإذا أسير بالباب يستطعم، فأعطوه ولم يذوقوا إلّا الماء. فلمّا كان اليوم الرّابع ـ وقد قضوا نذورهم ـ أتى عليّ ومعه الحسن والحسين عليهما السلام إلى النّبيّ صلّى اللّه عليه وآله وبهما ضعف، فبكى رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله، ونزل جبرئيل عليه السلام بسورة هل أتى»[2].

أقول: وردت هذه القصّة بأنحاء أُخر[3]؛ اختلافها لا يؤثّر في المعنى المطلوب منها، والمذكور أشهر.

١ ـ الأمالي (للصدوق): ٢١٥، المجلس: ٤٤، قطعة من حديث: ١١، عن أبي عبدالله، عن أبيه عليهما السلام.

٢ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٤٠٤؛ الكشّاف ٤: ١٩٧؛ البيضاوي ٥: ١٦٥؛ تفسير الكبير ٣٠: ٢٤٤؛ روح المعاني ٢٩: ١٥٧.

٣ ـ الأمالي (للصدوق): ٢١٢، المجلس: ٤٤، الحديث: ١١، عن أبي عبد اللّه، عن أبيه عليهما السلام؛ المناقب ٣: ٣٧٣، عن أبي جعفر عليه السلام؛ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٤٠٤، عن ابن عبّاس.

والمذكور أشهر.

﴿فَوَقاهُمُ اللّهُ شَرَّ ذلِكَ الْيَوْمِ وَلَقّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُوراً﴾ قال: «نضرة في الوجوه، وسروراً في القلوب»[1].

﴿وَجَزاهُمْ بِما صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيراً﴾ قال: «جنّة يسكنونها، وحريراً يفترشونه ويلبسونه»[2].

﴿مُتَّكِئِينَ فِيها عَلَى الأَرائِكِ﴾ قال: «الأريكة: السّرير عليه الحجلة»[3]. ﴿لا يَرَوْنَ فِيها شَمْساً وَلا زَمْهَرِيراً﴾ قيل: يعني إنّه يمرّ عليهم هواء معتدل، لا حارّ محمي ولا بارد مؤذي[4].

﴿وَدانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلالُها﴾: قريبة منهم ﴿وَذُلِّلَتْ قُطُوفُها تَذْلِيلاً﴾: سهل التّناول. قال: «من قربها منهم؛ يتناول المؤمن من النّوع الذي يشتهيه من الثّمار بفيه وهو متكئ»[5].

﴿وَيُطافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوابٍ﴾ القمّي: الأكواب: الأكواز العظام التي لا إذان لها ولا عرى[6]. ﴿كانَتْ قَوارِيرَا﴾.

﴿قَوارِيرَا مِنْ فِضَّةٍ﴾ أي: تكون جامعة بين صفاء الزّجاجة وشفيفها، وبياض الفضّة ولينها.

قال: «ينفذ البصر في فضّة الجنّة كما ينفذ في الزّجاج»[7].

﴿قَدَّرُوها تَقْدِيراً﴾ قيل: أي: قدّروها في أنفسهم، فجاءت مقاديرها وأشكالها كما

١ و ٢ و ٣ـ الأمالي (للصدوق): ٢١٥ ـ ٢١٦، المجلس: ٤٤، قطعة من حديث: ١١، عن أبي عبد اللّه، عن أبيه عليهما السلام.

٤ـ البيضاوي ٥: ١٦٥.

٥ـ الكافي ٨: ٩٩، قطعة من حديث: ٦٩، عن أبي جعفر عليه السلام، عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله.

٦ـ القمّي ٢: ٣٩٩.

٧ـ مجمع البيان ٩ـ ١٠: ٤١٠، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

تمنّوه[1]. والقمّي: يقول: صنعت لهم على قدر رتبتهم، لا تحجّر فيها ولا فضل[2].

﴿وَيُسْقَوْنَ فِيها كَأْساً كانَ مِزاجُها زَنْجَبِيلاً﴾: ما يشبه الزّنجبيل في الطّعم. قيل: كانت العرب يستلذّون الشّراب الممزوج به[3].

﴿عَيْناً فِيها تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلاً﴾ قيل: لسلاسة انحدارها في الحلق وسهولة مساغها؛ على أن تكون الباء زائدة. والمراد به: أن ينفى عنها لذع الزّنجبيل[4].

قال النّبيّ صلّى الله عليه وآله: «أعطاني الله خمساً وأعطى عليّاً خمساً. أعطاني الكوثر وأعطاه السّلسبيل»[5].

﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدانٌ مُخَلَّدُونَ﴾ قيل: أي: دائمون[6]. والقمّي: مسوّرون[7]. ﴿إِذا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤاً مَنْثُوراً﴾ مِنْ صفاء ألوانهم وانبثاثهم في مجالسهم، وانعكاس شعاع بعضهم إلى بعض.

﴿وَإِذا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيماً وَمُلْكاً كَبِيراً﴾ قال: «لا يزول ولا يفنى»[8].

وفي رواية: «يعني بذلك وليّ الله؛ وما هو فيه من الكرامة والنّعيم والملك العظيم، وإنّ الملائكة من رسل الله ليستأذنون عليه؛ فلا يدخلون عليه إلّا باذنه»[9].

﴿عالِيَهُمْ ثِيابُ سُنْدُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ﴾: يعلوهم ثياب الحرير الخضر؛ ما رقّ منها

١ ـ البيضاوي ٥: ١٦٥.

٢ ـ القمّي ٢: ٣٩٩.

٣ و ٤ ـ البيضاوي ٥: ١٦٥.

٥ ـ الخصال ١: ٢٩٣، الحديث: ٥٧، عن رسول الله صلّى الله عليه وآله.

٦ ـ البيضاوي ٥: ١٦٥.

٧ ـ القمّي ٢: ٣٩٩.

٨ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٤١١، عن أبي عبد الله عليه السلام.

٩ ـ الكافي ٨: ٩٨، ذيل الحديث: ٦٩، عن أبي جعفر عليه السلام، عن رسول الله صلّى الله عليه وآله؛ القمّي ٢: ٢٤٨، ذيل الآية: ٢٠، من سورة الزّمر، عن أبي جعفر، عن أمير المؤمنين، عن رسول الله صلوات الله عليهم.

وما غلظ. قال: «يعلوهم الثّياب فيلبسونها»[١].

﴿وَحُلُّوا أَساوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقاهُمْ رَبُّهُمْ شَراباً طَهُوراً﴾.

قال: «وعلى باب الجنّة شجرة؛ إنّ الورقة منها ليستظلّ تحتها ألف رجل من النّاس، وعن يمين الشّجرة عين مطهّرة مزكّية. قال: فيسقون منها شربة، فيطهّر اللّه بها قلوبهم من الحسد، ويسقط عن أبشارهم الشّعر، وذلك قول اللّه عزّوجلّ "وَسَقاهُم رَبُّهُم شَراباً طَهُوراً"»[٢].

وفي رواية: «يطهّرهم عن كلّ شيء سوى اللّه»[٣].

﴿إِنَّ هٰذا كانَ لَكُمْ جَزاءً وَكانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُوراً﴾: غير مضيّع.

﴿إِنّا نَحْنُ نَزَّلْنا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلاً﴾: مفرّقاً منجّماً. قال: «بولاية عليّ عليه السلام»[٤].

﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ بتأخير نصرتك على الأعداء ﴿وَلا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِماً أَوْ كَفُوراً﴾.

﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾ القمّي: بالغداة ونصف النّهار[٥].

﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلاً طَوِيلاً﴾. سئل: وما ذلك التّسبيح؟ قال: «صلاة اللّيل»[٦].

﴿إِنَّ هٰؤُلاءِ يُحِبُّونَ العاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَراءَهُمْ يَوْماً ثَقِيلاً﴾.

﴿نَحْنُ خَلَقْناهُمْ وَشَدَدْنا أَسْرَهُمْ﴾: وأحكمنا ربط مفاصلهم بالأعصاب. القمّي: أي:

١ـ مجمع البيان ٩ـ١٠: ٤١١، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.
٢ـ الكافي ٨: ٩٦، ذيل الحديث: ٦٩، عن أبي جعفر عليه السلام، عن رسول اللّه صلى الله عليه وآله.
٣ـ مجمع البيان ٩ـ١٠: ٤١١، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.
٤ـ الكافي ١: ٤٣٥، قطعة من حديث: ٩١، عن الكاظم عليه السلام.
٥ـ القمّي ٢: ٣٩٩.
٦ـ مجمع البيان ٩ـ١٠: ٤١٣، عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام.

خلقهم[١] . ﴿وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلاً﴾ في الدّنيا والآخرة .

﴿إِنَّ هَٰذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلاً﴾: تقرّب إليه بالطّاعة . قال: «الولاية»[٢] .

﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ . سئل عن المفوّضة ، قال: «كذبوا : بل قلوبنا أوعية لمشيئة الله عزّوجلّ ، فإذا شاء شئنا ، ثمّ تلا هذه الآية[٣]» . ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً﴾: لا يشاء إلّا ما يقتضيه علمه وحكمته .

﴿يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ﴾ بالهداية والتّوفيق للطّاعة . قال: «في ولايتنا»[٤] . ﴿وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً﴾ .



١ ـ القمّي ٢: ٣٩٩ .

٢ ـ الكافي ١: ٤٣٥ ، قطعة من حديث: ٩١ ، عن الكاظم عليه السلام .

٣ ـ الغيبة: ٢٤٧ ، ذيل الحديث: ٢١٦ ؛ الخرائج والجرائح ١: ٤٥٩ ، ذيل الحديث: ٤ ، عن القائم عليه السلام .

٤ ـ الكافي ١: ٤٣٥ ، قطعة من حديث: ٩١ ، عن الكاظم عليه السلام .

سورة المرسلات

[مكيّة ، وهي خمسون آية][1]

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم

﴿وَالْمُرْسَلاتِ عُرْفاً﴾ .

﴿فَالْعاصِفاتِ عَصْفاً﴾ .

﴿وَالنّاشِراتِ نَشْراً﴾ .

﴿فَالفارِقاتِ فَرْقاً﴾ .

﴿فَالْمُلْقِياتِ ذِكْراً﴾ . ﴿عُذْراً أَوْ نُذْراً﴾: «أقسم بطوائف من الملائكة ، أرسلهنّ اللّه بالمعروف من أوامره ونواهيه» . كذا ورد عن أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام[2] .

والقمّي: "وَالمُرسَلاتِ عُرفاً": آيات تتبع بعضها بعضاً . "فَالعاصِفاتِ عَصفاً": القبر . "وَالنّاشِراتِ نَشراً": نشر الأموات ، "فَالفارِقاتِ فَرقاً": الدابّة . "فالملقيات ذِكراً": الملائكة . "عذرا أو نذرا": أعذركم وأنذركم بما أقول ؛ وهو قَسَمٌ[3] .

أقول: كأنّه أشار بذلك إلى الملائكة المرسلة بآيات الرّجعة وأشراط السّاعة ، ولإثارة

١ـ ما بين المعقوفتين من «ب» .

٢ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٤١٥ ، عن أمير المؤمنين عليه السلام .

٣ـ القمّي ٢: ٤٠٠ .

التّراب من القبور ونشر الأموات منها، وإخراج دابّة الأرض، وفرق المؤمن من الكافر، وإلقاء الذّكر في القلوب.

﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ﴾ جواب القسم. ومعناه: أنّ الذي توعدونه من مجيء القيامة كائن لا محالة.

﴿فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ﴾. قال: «طموسها: ذهاب ضوئها»[1].

﴿وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ﴾ القمّي: تنفرج وتنشقّ[2].

﴿وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ﴾: جعلت كالرّمل. والقمّي: تقلع[3].

﴿وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ﴾ قال: «بعثت في أوقات مختلفة»[4].

أقول: يعني عيّن لها وقتها الذي يحضرون فيه للشّهادة على الأمم.

﴿لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ﴾: أُخّرت وضُرِبَ لهم الأجل، وهو تعظيم لليوم وتعجيب من هوله.

﴿لِيَوْمِ الْفَصْلِ﴾ بيان ليوم التّأجيل.

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ﴾.

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ قيل: أي: بذلك[5]. قال: «بما أوحيت إليك من ولاية عليّ عليه السلام»[6].

﴿أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ﴾ قال: «الّذين كذّبوا الرّسل في طاعة الأوصياء»[7].

﴿ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الْآخِرِينَ﴾.

﴿كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ﴾ قال: «من أجرم إلى آل محمّد صلّى الله عليه وآله، وركب من وصيّه ما

١ـ القمّي ٢: ٤٠٠، عن أبي جعفر عليه السلام.

٢ و ٣ـ القمّي ٢: ٤٠٠.

٤ـ مجمع البيان ٩ـ١٠: ٤١٥، عن أبي عبد الله عليه السلام.

٥ـ البيضاوي ٥: ١٦٧.

٦ـ الكافي ١: ٤٣٥، الحديث: ٩١، عن الكاظم عليه السلام.

٧ـ الكافي ١: ٤٣٥، الحديث: ٩١، عن الكاظم عليه السلام.

ركب»[١].

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ تأكيد.

﴿أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ ماءٍ مَهِينٍ﴾: من نطفة قذرة ذليلة.

﴿فَجَعَلْناهُ فِي قَرارٍ مَكِينٍ﴾: في الرّحم.

﴿إِلىٰ قَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾: إلى مقدار معيّن من الوقت، قدّره الله للولادة.

﴿فَقَدَرْنا﴾ على ذلك ﴿فَنِعْمَ الْقادِرُونَ﴾ نحن.

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ بقدرتنا.

﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفاتاً﴾.

﴿أَحْياءً وَأَمْواتاً﴾. ورد: «إنّه نظر إلى المقابر فقال: هذه كفات الأموات، أي: مساكنهم. ثمّ نظر إلى بيوت الكوفة فقال: هذه كفات الأحياء، ثمّ تلا هذه الآية»[٢].

وفي رواية: «دفن الشّعر والظّفر»[٣].

﴿وَجَعَلْنا فِيها رَواسِيَ شامِخاتٍ﴾ القمّي: جبالاً مرتفعة[٤].

﴿وَأَسْقَيْناكُمْ ماءً فُراتاً﴾: عذباً، بخلق الأنهار والمنابع فيها.

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ بأمثال هذه النّعم.

﴿انْطَلِقُوا﴾ أي: يقال لهم: انطلقوا ﴿إِلىٰ ما كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ من العذاب.

﴿انْطَلِقُوا﴾ خصوصاً ﴿إِلىٰ ظِلٍّ ذِي ثَلاثِ شُعَبٍ﴾ قال: «من دخان النّار. قال: فيحسبون أنّها الجنّة، ثمّ يدخلون النّار أفواجاً»[٥].

---

١ ـ الكافي ١: ٤٣٥، الحديث: ٩١، عن الكاظم عليه السلام.

٢ ـ معاني الأخبار: ٣٤٢، الحديث: ١، عن أبي عبد الله عليه السلام؛ القمّي ٢: ٤٠٠، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

٣ ـ الكافي ٦: ٤٩٣، الحديث: ١، عن أبي عبد الله عليه السلام؛ معاني الأخبار: ٣٤٢، ذيل الحديث: ١.

٤ ـ القمّي ٢: ٤٠٠.

٥ ـ القمّي ٢: ١١٣، ذيل الآية: ٢٤ من سورة الفرقان، عن أبي جعفر عليه السلام.

﴿لا ظَلِيلٍ وَلا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ﴾ .

﴿إِنَّها تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ﴾ في عِظَمِها . القمّي: شرر النّار كالقصور والجبال[1] .

﴿كَأَنَّهُ جِمالَتٌ﴾: جمع «جمال» ، جمع جمع «جمل» . ﴿صُفْرٌ﴾ القمّي: أي: سود[2] .

قيل: وذلك لأنّ سواد الإبل يضرب إلى الصّفرة . والأوّل تشبيه في العظم ، وهذا في اللّون والكثرة والتّتابع والاختلاط وسرعة الحركة[3] .

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ .

﴿هذا يَوْمُ لا يَنْطِقُونَ﴾ من فرط الحيرة والدّهشة ، يعني: «في بعض مواقفه» . كما ورد[4] .

﴿وَلا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾ . عطفٌ على «يؤذن» ليس بجواب له ؛ ليوهم أنّ لهم عذراً .

قال: «اللّه أجلّ وأعدل وأعظم من أن يكون لعبده عذر لا يدعه يعتذر به ، ولكنّه فلج فلم يكن له عذر»[5] .

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ .

﴿هذا يَوْمُ الْفَصْلِ﴾ بين المحقّ والمبطل ﴿جَمَعْناكُمْ وَالْأَوَّلِينَ﴾ .

﴿فَإِنْ كانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ﴾ . تقريعٌ لهم على كيدهم للمؤمنين في الدّنيا ، وإظهار لعجزهم يومئذ .

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ إذ لاحيلة لهم في التّخلّص من العذاب .

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلالٍ وَعُيُونٍ﴾ .

١ و ٢ ـ القمّي ٢: ٤٠٠ .

٣ ـ البيضاوي ٥: ١٦٨ .

٤ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٤١٨ ، عن قتادة ، عن عكرمة .

٥ ـ الكافي ٨: ١٧٨ ، الحديث: ٢٠٠ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .

﴿وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾: مستقرّون في أنواع الطّرفة. القمّي: في ظلال من نور أنور من الشّمس[1].

قال: «نحن والله وشيعتنا؛ ليس على ملّة إبراهيم غيرنا، وسائر النّاس منها برآء»[2].

﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئاً بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾. ﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾. ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾.

﴿كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلاً إِنَّكُمْ مُجْرِمُونَ﴾ يقال لهم ذلك تذكيراً بحالهم في الدّنيا، وبما جنوا على أنفسهم من إيثار المتاع القليل على النّعيم المقيم.

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ حيث عرضوا أنفسهم للعذاب الدّائم بالتّمتّع القليل.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ﴾. روي: «أنّها نزلت في ثقيف حين أُمروا بالصّلاة، فقالوا: لا نحني ـ بالحاء المهملة والنّون، أي: لا نعطف ـ ظهورنا»[3].

وفي رواية: «لا نُجبّي ـ بالجيم والموحّدة المشدّدة، أي: لا ننكّب على وجوهنا ـ فإنّها مسبّة. قال: فقال: لا خير في دين ليس فيه ركوع وسجود»[4].

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾.

﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ﴾: بعد القرآن ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ إذا لم يؤمنوا به.

١ ـ القمّي ٢: ٤٠٠.

٢ ـ الكافي ١: ٤٣٥، قطعة من حديث: ٩١، عن الكاظم عليه السلام.

٣ ـ الكشّاف ٤: ٢٠٥؛ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٤١٩.

٤ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٤١٩؛ الكشّاف ٤: ٢٠٥، عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

سورة النّبأ

[مكيّة ، وهي أربعون آية][1]

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم

﴿عَمَّ يَتَساءَلُونَ﴾: عمّا يسأل بعضهم بعضاً.

﴿عَنِ النَّبَأِ العَظِيمِ﴾.

﴿الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ﴾ قيل: كانوا يتساءلون عن البعث[2].

و ورد: «النّبأ العظيم: الولاية»[3].

وفي رواية: «هي في أمير المؤمنين عليه السلام كان يقول: ما للّه عزّوجلّ آيةٌ هي أكبر منّي ، ولا للّه نبأ أعظم منّي»[4].

﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾ رَدْعٌ عن التّساؤل ووعيدٌ عليه.

﴿ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾. كرّر للمبالغة ، و«ثمّ» للإشعار بأنّ الوعيد الثّاني أشدّ. ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ مِهاداً﴾ للنّاس.

١ـ ما بين المعقوفتين من «ب».

٢ـ الكشّاف ٤: ٢٠٦؛ البيضاوي ٥: ١٦٩.

٣ـ الكافي ١: ٤١٨، الحديث: ٣٤، عن أبي عبد الله عليه السلام.

٤ـ المصدر: ٢٠٧، الحديث: ٣، عن أبي جعفر عليه السلام.

﴿وَالجِبالَ أَوْتاداً﴾. للأرض.

﴿وَخَلَقْناكُمْ أَزْواجاً﴾: ذكراً وأُنثى.

﴿وَجَعَلْنا نَوْمَكُمْ سُباتاً﴾ قطعاً عن الاحساس والحركة؛ استراحة للقوى.

﴿وَجَعَلْنا اللَّيْلَ لِباساً﴾: غطاء يستتر بظلمته من أراد الاختفاء. والقمّي: يلبس على النّهار[1].

﴿وَجَعَلْنا النَّهارَ مَعاشاً﴾: وقت معاش تتقلّبون فيه، لتحصيل ما تعيشون به.

﴿وَبَنَيْنا فَوْقَكُمْ سَبْعاً شِداداً﴾: سبع سماوات أقوياء محكمات، لا يؤثّر فيها مرور الدّهر.

﴿وَجَعَلْنا سِراجاً وَهّاجاً﴾: متلألئاً وقّاداً، يعني الشّمس.

﴿وَأَنْزَلْنا مِنَ المُعْصِراتِ﴾: السّحائب إذا أعصرت، أي: شارفت أن تعصرها الرّياح فتمطر. ﴿ماءً ثَجّاجاً﴾: منصبّاً بكثرة.

﴿لِنُخْرِجَ بِهِ حَبّاً وَنَباتاً﴾ ما يقتات به، وما يعتلف من التِّبْنِ[2] والحشيش.

﴿وَجَنّاتٍ أَلْفافاً﴾: ملتفة بعضها ببعض.

﴿إِنَّ يَوْمَ الفَصْلِ كانَ مِيقاتاً﴾: حدّاً يوقّت به الدّنيا وتنتهي عنده، أو حدّاً للخلائق ينتهون إليه.

﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْواجاً﴾: جماعات من القبور إلى المحشر.

روي أنّه سئل عنه فقال: «تحشر عشرة أصناف من أُمّتي أشتاتاً، قد ميّزهم اللّه من المسلمين وبدّل صورهم، فبعضهم على صورة القردة، وبعضهم على صورة الخنازير، وبعضهم منكوسون أرجلهم من فوق و وجوههم من تحت ثمّ يُسْحَبون عليها، وبعضهم عُمي يتردّدون، وبعضهم صُمٌّ بُكْمٌ لا يعقلون، وبعضهم يمضغون ألسنتهم؛ تسيل القيح من أفواههم لعاباً يتقذّرهم أهل الجمع، وبعضهم مقطّعة أيديهم وأرجلهم، وبعضهم مصلوبون

١ ـ القمّي ٢: ٤٠١.

٢ ـ التِّبْنُ: عصيفة الزّرع من البُرّ ونحوه، واحدته: تبنة. لسان العرب ١٣: ٧١ (تبن).

على جذوع من نار، وبعضهم أشدّ نتناً من الجيف، وبعضهم ملبّسون جباباً سابغة من قطران لازقة بجلودهم. ثمّ فسّرهم بالقتّات[١]، وأهل السّحت، وأكلة الرّبا، والجائرين في الحكم، والمعجبين بأعمالهم، والعلماء والقضاة الّذين خالف أعمالهم أقوالهم، والمؤذين جيرانهم، والسّاعين بالنّاس إلى السّلطان، والتابعين للشّهوات المانعين حقّ اللّه، والمتكبّرين من الخيلاء»[٢].

﴿وَفُتِحَتِ السَّماءُ فَكانَتْ أَبْواباً﴾ قيل: شقّت شقوقاً[٣]. والقمّي: انفتح أبواب الجنان[٤].

﴿وَسُيِّرَتِ الجِبالُ فَكانَتْ سَراباً﴾ القمّي: تسير الجبال مثل السّراب الّذي يلمع في المفازة[٥].

﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كانَتْ مِرْصاداً﴾: موضع رصد.

﴿لِلطّاغِينَ مَآباً﴾: مرجعاً ومأوى.

﴿لابِثِينَ فِيها أَحْقاباً﴾: دهوراً متتابعة.

ورد: «الأحقاب ثمانية أحقاب، والحُقب ثمانون سنة، والسّنة ثلثمائة وستّون يوما، واليوم كألف سنة ممّا تعدّون»[٦]. و ورد غير ذلك[٧].

﴿لا يَذُوقُونَ فِيها بَرْداً﴾ قيل: البرد ما يروّحهم وينفّس عنهم حرّ النّار[٨]. والقمّي: البرد النوم[٩]. ﴿وَلا شَراباً﴾.

١ ـ القتّات: النّمام المزوّر، من قتّ الحديث: نمّه وأشاعه بين النّاس. مجمع البحرين ٢: ٢١٤ (قتت).

٢ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٤٢٣؛ الكشّاف ٤: ٢٠٨؛ الجامع لأحكام القرآن (للقرطبي) ١٩: ١٧٥، عن رسول اللّه ﷺ.

٣ ـ التّبيان ١٠: ٢٤٣؛ البيضاوي ٥: ١٦٩.

٤ و ٥ ـ القمّي ٢: ٤٠١.

٦ ـ معاني الأخبار: ٢٢٠، باب معنى الأحقاب، الحديث: ١، عن أبي عبد اللّه ؑ، وفيه: «الحقبة ثمانون سنة».

٧ ـ القمّي ٢: ٤٠٢؛ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٤٢٤؛ بحار الأنوار ٨: ٢٧٦.

٨ ـ الكشّاف ٤: ٢٠٩؛ البيضاوي ٥: ١٧٠.

٩ ـ القمّي ٢: ٤٠٢.

﴿إلّا حَمِيماً وَغَسّاقاً﴾. مضى تفسيره في صٓ[1].

﴿جَزاءً وِفاقاً﴾: موافقاً لأعمالهم وعقائدهم.

﴿إنَّهُمْ كانُوا لا يَرْجُونَ حِساباً﴾.

﴿وَكَذَّبُوا بِآياتِنا كِذّاباً﴾: تكذيباً. وفي قراءتهم عليهم السلام بالتّخفيف[2]، بمعنى الكذب. كأنّه أُقيم مقام التّكذيب؛ للدّلالة على أنّهم كذبوا في تكذيبهم.

﴿وَكُلَّ شَيءٍ أحْصَيْناهُ كِتاباً﴾ اعتراضٌ.

﴿فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إلّا عَذاباً﴾ لكفركم بالحساب وتكذيبكم بالآيات، ومجيئه على طريقة الالتفات للمبالغة. ورد: «هذه الآية أشدّ ما في القرآن على أهل النّار»[3].

﴿إنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفازاً﴾ القمّي: يفوزون[4]. و ورد: «هي الكرامات»[5].

﴿حَدائِقَ وَأعْناباً﴾.

﴿وَكَواعِبَ﴾ قال: «أي: الفتيات النّاهدات»[6]. ﴿أتْراباً﴾: على سنّ واحد.

﴿وَكَأْساً دِهاقاً﴾: ممتلئة.

﴿لا يَسْمَعُونَ فِيها لَغْواً وَلا كِذّاباً﴾.

﴿جَزاءً مِنْ رَبِّكَ عَطاءً حِساباً﴾.

قال: «حَسَبَ لهم حسناتهم ثمّ أعطاهم، وبكلّ واحدة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف. قال اللّه تعالى: "جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَاباً"»[7].

١ ـ ذيل الآية: ٥٧.

٢ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٤٢٢، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

٣ ـ الكشّاف ٤: ٢١٠، عن رسول اللّه صلى الله عليه وآله.

٤ ـ القمّي ٢: ٤٠٢.

٥ و ٦ ـ المصدر، عن أبي جعفر عليه السلام. ونَهَدَ ثدي الجارية: إذا أشرف وكَعَّبَ؛ فهي نـاهِدٌ ونـاهِدَة. وسمّي الثّدي «نهداً» لارتفاعه. الصّحاح ٢: ٥٤٥؛ مجمع البحرين ٣: ١٥٢ (نهد).

٧ ـ الأمالي (للشّيخ الطوسي) ١: ٢٥، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

﴿رَبِّ السَّمٰواتِ وَالأَرْضِ وَما بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمٰنِ لا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطاباً﴾: لا يملك أهل السّماوات والأرض خطابه والاعتراض عليه في ثواب أو عقاب؛ لأنّهم مملوكون له على الإطلاق. وذلك لا ينافي الشّفاعة بإذنه.

﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالمَلائِكَةُ صَفّاً﴾ قال: «الرّوح أعظم من جبرئيل وميكائيل؛ كان مع رسول الله صلّى الله عليه وآله وهو مع الأئمة عليهم السلام»[1].

﴿لا يَتَكَلَّمُونَ إِلّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمٰنُ وَقالَ صَواباً﴾. قال: «نحن والله المأذون لهم يوم القيامة، والقائلون صواباً. قيل: ما تقولون إذا تكلّمتم؟ قال: نمجّد ربّنا ونصلّي على نبيّنا، ونشفع لشيعتنا، ولا يردّنا ربّنا»[2].

﴿ذٰلِكَ اليَوْمُ الحَقُّ﴾: الكائن لا محالة ﴿فَمَنْ شاءَ ٱتَّخَذَ إِلىٰ رَبِّهِ مَآباً﴾ بالإيمان والطّاعة.

﴿إِنّا أَنْذَرْناكُمْ عَذاباً قَرِيباً﴾ يعني عذاب الآخرة، وقربه لتحقّقه؛ فإنّ كلّ ما هو آتٍ قريب، ولأنّ مبدأه الموت.

﴿يَوْمَ يَنْظُرُ المَرْءُ ما قَدَّمَتْ يَداهُ﴾ من خير أو شرّ ﴿وَيَقُولُ الكافِرُ يا لَيْتَنِي كُنْتُ تُراباً﴾ في الدنيا، فلم أُخلق، ولم أُكلّف، أوفي هذا اليوم فلم أُبعث.

١ ـ القمّي ٢: ٢٧، ذيل الآية: ٨٥ من سورة الإسراء، عن أبي عبد الله عليه السلام.

٢ ـ الكافي ١: ٤٣٥، ذيل الحديث: ٩١، عن الكاظم عليه السلام؛ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٤٢٧، عن أبي عبد الله عليه السلام مع تفاوت يسير.

سورة النّازعات

[مكيّة ، وهي ستّ وخمسون آية][1]

بسم الله الرّحمن الرّحيم

﴿وَالنَّازِعاتِ غَرْقاً﴾ .

﴿وَالنَّاشِطاتِ نَشْطاً﴾ .

﴿وَالسَّابِحاتِ سَبْحاً﴾ .

﴿فَالسَّابِقاتِ سَبْقاً﴾ .

﴿فَالْمُدَبِّراتِ أَمْراً﴾ . هذه صفات ملائكة الموت . أقسم الله بهم على قيام السّاعة ، وإنّما حذف لدلالة ما بعده عليه . «وهم الّذين ينزعون أرواح الكفّار من أبدانهم بالشّدّة . "غَرقاً" أي: إغراقاً في النّزع كما يغرق النّازع في القوس فيبلغ به غاية المدّ . وينشطون أرواحهم ، أي: ينزعونها ما بين الجلد والأظفار حتّى يخرجونها من أجوافهم بالكرب والغمّ . ويقبضون أرواح المؤمنين ؛ يسلّونها سلّاً رفيقاً ، ثمّ يدعونها حتّى تستريح . كالسّابح بالشّيء في الماء يرمي به ؛ فتسبق بأرواح المؤمنين إلى الجنّة . وتدبّر الملائكة أمر العباد

١ ـ ما بين المعقوفتين من «ب» .

من السَّنَة إلى السَّنَة» . كذا ورد[١] .

وفي رواية: «هو الموت تنزع النّفوس»[٢] .

﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ﴾ القمّي: تنشقّ الأرض بأهلها[٣] .

﴿ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ ﴾ القمّي: الرادفة: الصّيحة[٤] .

﴿ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ واجِفَةٌ ﴾: شديدة الاضطراب .

﴿ أَبْصارُها خاشِعَةٌ ﴾ أي: أبصار أهلها ذليلة من الخوف .

﴿ يَقُولُونَ أَإِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الحافِرَةِ ﴾: في الحالة الأُولى ، يعنون الحياة بعد الموت ؛ من قولهم: رجع فلان في حافرته ، أي: طريقته التي جاء فيها فحفرها ، أي: أثّر فيها بمشيئته .

قال: «يقول: في الخلق الجديد»[٥] . والقمّي: قالت قريش: أنرجع بعد الموت[٦] ؟

﴿ أَإِذا كُنّا عِظاماً نَخِرَةً ﴾: بالية .

﴿ قالُوا تِلْكَ إِذاً كَرَّةٌ خاسِرَةٌ ﴾: ذات خسران . والمعنى: أنّها إن صحّت فنحن إذاً خاسرون ؛ لتكذيبنا بها . القمّي: قالوا هذا على حدّ الاستهزاء[٧] .

﴿ فَإِنَّما هِيَ زَجْرَةٌ واحِدَةٌ ﴾ أي: لا تستصعبوها ، فما هي إلّا صيحة واحدة .

القمّي: الزّجرة: النفخة الثّانية في الصّور[٨] .

﴿ فَإِذا هُمْ بِالسّاهِرَةِ ﴾: فإذا هم أحياء على وجه الأرض ، بعد ما كانوا أمواتاً في بطنها .

قال: «السّاهرة: الأرض . كانوا في القبور ، فلمّا سمعوا الزّجرة خرجوا من قبورهم فاستووا على الأرض»[٩] .

١ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٤٢٩ ـ ٤٣٠ ؛ الدرّ المنثور ٨: ٤٠٣ ، عن أمير المؤمنين عليه السلام .

٢ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٤٢٩ ، عن أبي عبد الله عليه السلام .

٣ و ٤ ـ القمّي ٢: ٤٠٣ .

٥ ـ المصدر ، عن أبي جعفر عليه السلام .

٦ ـ المصدر .

٧ و ٨ ـ القمّي ٢: ٤٠٣ .

٩ ـ القمّي ٢: ٤٠٣ ، عن أبي جعفر عليه السلام .

﴿هَلْ أَتاكَ حَدِيثُ مُوسىٰ﴾: أليس قد أتاك حديثه فيسلّيك على تكذيب قومك، ويهدّدهم عليه بأن يصيبهم مثل ما أصاب من هو أعظم منهم.

﴿إِذْ ناداهُ رَبُّهُ بِالْوادِ الْمُقَدَّسِ طُوىً﴾ مرّ بيانه في طه[1].

﴿اذْهَبْ إِلىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغىٰ﴾.

﴿فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلىٰ أَنْ تَزَكّىٰ﴾: هل لك ميلٌ إلى أن تتطهّر من الكفر والطّغيان.

﴿وَأَهْدِيَكَ إِلىٰ رَبِّكَ﴾: وأرشدك إلى معرفته ﴿فَتَخْشىٰ﴾ بأداء الواجبات وترك المحرّمات، إذ الخشية إنّما تكون بعد المعرفة، وهذا كالبيان لقوله: "فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَيِّناً"[2].

﴿فَأَراهُ الْآيَةَ الْكُبْرىٰ﴾ أي: ذهب وبلغ فأراه المعجزة الكبرى.

﴿فَكَذَّبَ وَعَصىٰ﴾.

﴿ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعىٰ﴾: أدبر عن الطّاعة ساعياً في إبطال أمره. ﴿فَحَشَرَ فَنادىٰ﴾ فجمع جنوده.

﴿فَقالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلىٰ﴾.

﴿فَأَخَذَهُ اللّٰهُ نَكالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولىٰ﴾. القمّي: النّكال: العقوبة، والآخرة قوله: "أَنَا رَبُّكُمُ الأَعلىٰ"، والأُولى قوله: "ما عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلهٍ غَيرِي"[3] فأهلكه اللّه بهذين القولين[4].

ورد: «كان بين الكلمتين أربعون سنة»[5]. قال: «قال: رسول اللّه ﷺ: قال جبرئيل: قلت: يا ربّ تدع فرعون وقد قال "أَنَا رَبُّكُمُ الأَعلىٰ" فقال: إنّما يقول هذا مثلك من يخاف الفوت»[6].

١ـ ذيل الآية: ١٢.

٢ـ طه (٢٠): ٤٤.

٣ـ القصص (٢٨): ٣٨.

٤ـ القمّي ٢: ٣٠٤.

٥ـ الخصال ٢: ٥٣٩، الحديث: ١١؛ مجمع البيان ٩ـ ١٠: ٤٣٢، عن أبي جعفر عليه السلام.

٦ـ مجمع البيان ٩ـ ١٠: ٤٣٢، عن أبي جعفر عليه السلام؛ وفي الخصال ٢: ٥٣٩، الحديث: ١١، عنه عليه السلام ما يقرب ذلك.

﴿إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشىٰ﴾ .

﴿أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَمِ السَّماءُ بَناها﴾ .

﴿رَفَعَ سَمْكَها فَسَوّاها﴾ .

﴿وَأَغْطَشَ لَيْلَها﴾: أظلمه ﴿وَأَخْرَجَ ضُحاها﴾: وأبرز ضوء شمسها .

﴿وَالأَرْضَ بَعْدَ ذٰلِكَ دَحاها﴾: بسطها ومهّدها للسّكنى .

﴿أَخْرَجَ مِنْها ماءَها﴾ بتفجير العيون ﴿وَمَرْعاها﴾ .

﴿وَالْجِبالَ أَرْساها﴾: أثبتها .

﴿مَتاعاً لَكُمْ وَلِأَنْعامِكُمْ﴾ .

﴿فَإِذا جاءَتِ الطَّامَّةُ﴾: الدّاهية الّتي تطمّ ، أي: تعلو على سائر الدّواهي ﴿الْكُبْرىٰ﴾: الّتي هي أكبر الطّامّات .

قال: «هي خروج دابّة الأرض»[1] . وجواب «إذا» محذوف ، دلّ عليه ما بعده .

﴿يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الإِنْسانُ ما سَعىٰ﴾ بأن يراه مدوّناً في صحيفته ، وكان قد نسيها من فرط الغفلة وطول المدّة . القمّي: يذكر ما عمله كلّه .

﴿وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ﴾: وأظهرت ﴿لِمَنْ يَرىٰ﴾: لكلّ راءٍ ، بحيث لا تخفى على أحد .

﴿فَأَمّا مَنْ طَغىٰ﴾ قال: «ضلّ على عمدٍ بلا حجّة»[2] .

﴿وَآثَرَ الْحَياةَ الدُّنْيا﴾: فانهمك فيها ، ولم يستعدّ للآخرة بالعبادة وتهذيب النّفس .

﴿فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوىٰ﴾: هي مأواه .

﴿وَأَمّا مَنْ خافَ مَقامَ رَبِّهِ﴾: مقامه بين يدي ربّه ؛ لعلمه بالمبدأ والمعاد ﴿وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوىٰ﴾ لعلمه بأنّ الهوى يُرديه .

قال: «من علم أنّ الله يراه ويسمع ما يقول ويفعل ، ويعلم ما يعمله من خير أو شرّ ؛

١ ـ كمال الدّين ٢: ٥٢٧ ، الباب: ٤٧ ، قطعة من حديث: ١ ، عن أمير المؤمنين عليه السلام .

٢ ـ الكافي ٢: ٣٩٤ ، قطعة من حديث: ١ ، عن أمير المؤمنين عليه السلام .

فيحجزه ذلك، عن القبيح من الأعمال؛ فذلك الذي خاف مقام ربّه ونهى النّفس عن الهوى»[١].

﴿فَإِنَّ الجَنَّةَ هِيَ المَأْوىٰ﴾: ليس له سواها مأوى.

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيّانَ مُرْساها﴾: متى إرساؤها، أي: إقامتها وإثباتها. القمّي: متى تقوم؟

﴿فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْراها﴾: في أيّ شيء أنت من أن تذكّر وقتها لهم! أي: ما أنت من ذكرها لهم وتبيين وقتها في شيء، فإنّه ممّا استأثره اللّه بعلمه.

﴿إِلىٰ رَبِّكَ مُنْتَهاها﴾ أي: منتهى علمها. القمّي: أي: علمها عند اللّه[٢].

﴿إِنَّما أَنْتَ مُنْذِرُ مَنْ يَخْشاها﴾.

﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَها لَمْ يَلْبَثُوا﴾ في الدّنيا ﴿إِلّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحاها﴾ أي: عشيّة يوم أو ضُحاه، كقوله: إلّا ساعة من نهار. ولذلك أضاف الضحى إلى العشيّة، لأنّهما من يوم واحد. القمّي: بعض يوم[٣].

١ ـ الكافي ١: ٧٠، الحديث: ١٠، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٢ و ٣ ـ القمّي ٢: ٤٠٤.

سورة عبس

[مكيّة ، وهي اثنتان وأربعون آية][1]

بسم اللّه الرّحمٰن الرّحيم

﴿عَبَسَ وَتَوَلّىٰ﴾ .

﴿أَنْ جاءَهُ الأَعْمىٰ﴾ . قال: «نزلت في رجل من بني أميّة كان عند النّبي صلّى الله عليه وآله فجاء ابن أُمّ مكتوم ، فلمّا رآه تَقَذَّرَ منه وجَمَعَ نفسه ، وعبس وأعرض بوجهه عنه . فحكى اللّه ذلك وأنكره عليه»[2] .

والقمّي: نزلت في عثمان وابن أُمّ مكتوم ، وكان ابن أُمّ مكتوم مؤذّنا لرسول اللّه صلّى الله عليه وآله ؛ وكان أعمى ، وجاء إلى رسول صلّى الله عليه وآله وعنده أصحابه وعثمان عنده ، فقدّمه رسول اللّه صلّى الله عليه وآله على عثمان ، فعبس عثمان وجهه وتولّى عنه ، فأنزل اللّه: "عبس وتولّى" يعني عثمان "أن جاءه الأعمى"[3] .

﴿وَما يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكّىٰ﴾ القمّي: أي: يكون طاهراً أزكىٰ[4] .

﴿أَوْ يَذَّكَّرُ﴾: أو يذكّره رسول اللّه صلّى الله عليه وآله ﴿فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرىٰ﴾ .

١ ـ ما بين المعقوفتين من «ب» .

٢ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٤٣٧ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .

٣ و ٤ ـ القمّي ٢: ٤٠٥ .

﴿أَمّا مَنِ اسْتَغْنىٰ﴾ .

﴿فَأَنْتَ لَهُ تَصَدّىٰ﴾ . القمّي: ثمّ خاطب عثمان ، قال: أنت إذا جاءك غنيّ تتصدّى له وترفعه[1] .

﴿وَما عَلَيْكَ أَلّا يَزَّكّىٰ﴾ أي: لا تبالي أزكيّاً كان أو غير زكيّ ، إذا كان غنيّاً .

﴿وَأَمّا مَنْ جاءَكَ يَسْعىٰ﴾ يعني ابن أُمّ مكتوم .

﴿وَهُوَ يَخْشىٰ﴾ .

﴿فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهّىٰ﴾: تلهو ولا تلتفت إليه .

أقول: وأمّا ما اشتهر من تنزيل هذه الآيات في النّبيّ صلّى الله عليه وآله دون عثمان ، فيأباهُ سياق هذه المعاتبات وما ذكر بعدها من الآيات ، كما لا يخفى على العارف برتبة النّبوات وأساليب المخاطبات ، ويشبه أن يكون من مختلقات أهل النّفاق ، خذلهُمُ اللّه .

﴿كَلّا﴾ ردعٌ عن المعاتب عليه ومعاودة مثله ﴿إِنَّها تَذْكِرَةٌ﴾ القمّي: القرآن[2] .

﴿فَمَنْ شاءَ ذَكَرَهُ﴾ .

﴿فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ﴾ .

﴿مَرْفُوعَةٍ﴾ عند اللّه ﴿مُطَهَّرَةٍ﴾: منزّهة عن أيدي الشّياطين .

﴿بِأَيْدِي سَفَرَةٍ﴾ .

﴿كِرامٍ بَرَرَةٍ﴾ قيل: أي: كتبة من الملائكة[3] . والقمّي: بأيدي الأئمّة عليهم السلام[4] .

ورد: «الحافظ للقرآن العامل به ، مع السّفرة الكرام البررة»[5] .

﴿قُتِلَ الإِنْسانُ ما أَكْفَرَهُ﴾ دعاءٌ عليه بأشنع الدّعوات . وتعجّب من إفراطه في

١ ـ القمّي ٢: ٤٠٥ .

٢ ـ القمّي ٢: ٤٠٥ .

٣ ـ التّبيان ١٠: ٢٧٢ عن ابن عبّاس ؛ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٤٣٨ ، عن ابن عباس ومجاهد ؛ البيضاوي ٥: ١٧٤ .

٤ ـ القمّي ٢: ٤٠٥ .

٥ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٤٣٨ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .

الكفران. قال: «أي: لعن الإنسان»[١].

﴿مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ الاستفهام للتحقير.

﴿مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ﴾: فهيّأه لما يصلح له من الأعضاء والأشكال، أطواراً إلى أن تمّ خلقه.

﴿ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ﴾ القمّي: يسّر له طريق الخير[٢].

﴿ثُمَّ أَماتَهُ فَأَقْبَرَهُ﴾. عدّهما من النّعم، لأنّ الإماتة وصلة إلى الحياة الأبديّة واللّذات الخالصة، والقبر تكرمة وصيانة.

﴿ثُمَّ إِذا شاءَ أَنْشَرَهُ﴾.

﴿كَلَّا﴾ ردعٌ للإنسان عمّا هو عليه ﴿لَمَّا يَقْضِ ما أَمَرَهُ﴾: لم يقض بعد من لدن آدم إلى هذه الغاية ما أمره الله بأسره، إذ لا يخلو أحد من تقصير مّا.

﴿فَلْيَنْظُرِ الإِنْسانُ إِلى طَعامِهِ﴾ إتباع للنّعم الذّاتية بالنّعم الخارجيّة.

و ورد في تأويله: «طعامه: علمه الّذي يأخذه، عمّن يأخذه»[٣]. وبيانه في الصّافي[٤].

﴿أَنَّا صَبَبْنَا الْماءَ صَبًّا﴾.

﴿ثُمَّ شَقَقْنَا الأَرْضَ شَقًّا﴾.

﴿فَأَنْبَتْنا فِيها حَبًّا﴾.

﴿وَعِنَباً وَقَضْباً﴾ يعني الرّطبة. القمّي: القتّ[٥].

﴿وَزَيْتُوناً وَنَخْلاً﴾.

١ ـ الاحتجاج ١: ٣٧٢، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

٢ ـ القمّي ٢: ٤٠٥.

٣ ـ الكافي ١: ٥٠، الحديث: ٨، عن أبي جعفر عليه السلام.

٤ ـ الصّافي ٥: ٢٨٧.

٥ ـ القمّي ٢: ٤٠٦.

﴿وَحَدائِقَ غُلْباً﴾: عظاماً. وَصَفَها به لتكاثفها وكثرة أشجارها.

﴿وَفاكِهَةً وَأَبّاً﴾: ومرعى. القمّي: الحشيش للبهائم[1].

﴿مَتاعاً لَكُمْ وَلِأَنْعامِكُمْ﴾. قيل: إنّ أبا بكر سئل عنه فلم يعلمه، فبلغ ذلك أمير المؤمنين عليه السلام فقال: سبحان الله! أما علم أنّ الأبّ هو الكلأ والمرعى، وأنّ قوله: "وفاكهة وأبّاً" اعتدادٌ من الله بإنعامه على خلقه فيما غذّاهم به، وخلقه لهم ولأنعامهم؛ ممّا تحيى به أنفسهم وتقوم به أجسادهم[2].

﴿فَإِذا جاءَتِ الصّاخَّةُ﴾ أي: النّفخة. وصفت بها مجازاً، لأنّ النّاس يصخّون لها.

﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ﴾.

﴿وَأُمِّهِ وأبيه﴾.

﴿وَصاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ﴾ وذلك لاشتغاله بشأنه، وعلمه بأنّهم لا ينفعونه، أو للحذر من مطالبتهم بما قصّر في حقّهم، وتأخير الأحبّ فالأحبّ للمبالغة، كأنّه قيل: يفرّ من أخيه، بل من أُمّه وأبيه، بل من صاحبته وبنيه.

وفي رواية: «سئل من هم؟ قال: قابيل يفرّ من هابيل، وموسى من أمّه، وإبراهيم من الأب المربّي لا الوالد، ولوط من صاحبته، ونوح من ابنه كنعان»[3].

قيل: إنّما يفرّ موسى من أُمّه خشية أن يكون قصّر فيما وجب عليه من حقّها[4].

﴿لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾: يشغله عن غيره.

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ﴾: مضيئة بما ترى من النّعم.

١ ـ القمّي ٢: ٤٠٦.

٢ ـ الارشاد (للمفيد): ١٠٧.

٣ ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ١: ٢٤٥، الباب: ٢٤، قطعة من حديث: ١، عنه، عن آبائه، عن أمير المؤمنين عليهم السلام؛ والخصال ١: ٣١٨، قطعة من حديث: ١٠٢، عن عليّ بن الحسين عليهما السلام.

٤ ـ الخصال ١: ٣١٨، ذيل الحديث: ١٠٢.

﴿ضاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ﴾.

﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْها غَبَرَةٌ﴾: غبار وكدورة.

﴿تَرْهَقُها قَتَرَةٌ﴾: يغشاها سواد وظلمة.

﴿أُولَئِكَ هُمُ الكَفَرَةُ الفَجَرَةُ﴾.



سورة التّكوير

[مكيّة، وهي تسع وعشرون آية][1]

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم

﴿إذا الشّمسُ كُوِّرَتْ﴾: لفّ ضوؤها فذهب انبساطه في الآفاق. القمّي: تصير سوداء مظلمة[2].

﴿وَإذا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ﴾: يذهب ضوؤها.

﴿وَإذا الجِبالُ سُيِّرَتْ﴾: تمرّ مرّ السّحاب.

﴿وَإذا العِشارُ﴾ النّوق التي أتت على حملهنّ عشرة أشهر ﴿عُطِّلَتْ﴾ فلا يكون من يحلبها.

﴿وَإذا الوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾: جمعت من كلّ جانب أو بعثت.

﴿وَإذا البِحارُ سُجِّرَتْ﴾ القمّي: يتحوّل كلّها نيراناً[3].

﴿وَإذا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾. قال: «أمّا أهل الجنّة فزوّجوا الخيرات الحسان، وأمّا أهل النّار فمع كل إنسان منهم شيطان، يعني قرنت نفوس الكافرين والمنافقين بالشّياطين، فهم

١ ـ ما بين المعقوفتين من «ب».

٢ و ٣ ـ القمّي ٢: ٤٠٧.

قرناؤهم»[١].

﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ﴾.

﴿بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾ يعني أنّ المدفونة حيّة سئلت عن سبب قتلها، تبكيتاً لوائدها.

القمّي: كانت العرب يقتلون البنات للغيرة، فإذا كان يوم القيامة سئلت الموؤدة بأيّ ذنب قتلت؟[٢].

وفي رواية: «يقول: أسألكم عن المودّة الّتي أنزلت عليكم فضلها، مودّة ذي القربى، بأيّ ذنب قتلتموهم؟»[٣].

﴿وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾ القمّي: صحف الأعمال[٤].

﴿وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ﴾: قلعت وأزيلت.

﴿وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ﴾: أُوقدت إيقاداً شديداً.

﴿وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ﴾: قربت من المؤمنين.

﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أَحْضَرَتْ﴾ جواب «إذا».

﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ﴾ القمّي: أي: أقسم بالخنّس، وهو اسم النّجوم[٥]. قيل: هي النّجوم تخنس بالنّهار وتبدو باللّيل[٦].

ورد: «هي خمسة أنجم: زحل والمشتري والمرّيخ والزّهرة وعطارد»[٧].

أقول: ولهذا وصفت بالجوار، فإنّ هذه الخمسة هي السّيارات الرّواجع، ولهذا قيل: إنّ الخنّس بمعنى الرّواجع؛ من خنس: إذا تأخّر[٨].

١ ـ القمّي ٢: ٤٠٧، عن أبي جعفر عليه السلام.

٢ ـ القمّي ٢: ٤٠٧.

٣ ـ الكافي ١: ٢٩٥، قطعة من حديث: ٣، عن أبي عبد الله عليه السلام.

٤ ـ القمّي ٢: ٤٠٧.

٥ ـ القمّي ٢: ٤٠٨.

٦ ـ التّبيان ١٠: ٢٨٥، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

٧ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٤٤٦؛ الجامع لأحكام القرآن (للطبري) ٢٠: ٢٣٦، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

٨ ـ البيضاوي ٥: ١٧٥.

﴿الْجَوارِ﴾ أي: السّيّارات تجري في أفلاكها . ﴿الْكُنَّسِ﴾ قيل: المتواريات تحت ضوء الشّمس[١] . القمّي: النّجوم تكنس بالنّهار فلا تبين[٢] .

و ورد: إنّه سئل عنها . فقال: «إمام يخنس سنة ستّين ومائتين ، ثمّ يظهر كالشّهاب يتوقّد في اللّيلة الظّلماء ، وإن أدركت زمانه قرّت عينك»[٣] .

﴿وَاللَّيْلِ إِذا عَسْعَسَ﴾ قال: «إذا أدبر بظلامه»[٤] . والقمّي: إذا أظلم[٥] .

﴿وَالصُّبْحِ إِذا تَنَفَّسَ﴾ القمّي: إذا ارتفع[٦] . قيل: عبّر بالتّنفس عن إقبال روح ونسيم[٧] .

﴿إِنَّهُ﴾ أي: القرآن ﴿لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ يعني جبرئيل ، فإنّه قال عن اللّه .

﴿ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ .

﴿مُطاعٍ﴾ في ملائكته ﴿ثَمَّ أَمِينٍ﴾ على الوحي .

روي: إنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله قال لجبرئيل: «ما أحسن ما أثنى عليك ربّك "ذي قوّة عند ذي العرش مكين مطاع ثمّ أمين" فما كانت قوّتك ، وما كانت أمانتك؟ فقال: أمّا قوّتي ، فإنّي بعثت إلى مدائن لوط ، وهي أربع مدائن في كلّ مدينة أربعمائة ألف مقاتل سوى الذّراري ، فحملتهم من الأرض السّفلى حتّى سمع أهل السماوات أصوات الدّجاج ونُباح الكلاب ، ثمّ هويت بهنّ فقلبتهنّ . وأمّا أمانتي ؛ فإنّي لم أؤمر بشيء فعدوته إلى غيره»[٨] .

و ورد: «"ذي قوة عند ذي العرش مكين" ، يعني جبرئيل . "مطاع ثمّ أمين" يعني رسول

١ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٤٤٦ ؛ البيضاوي ٥: ١٧٥ بالمضمون .

٢ ـ القمّي ٢: ٤٠٨ .

٣ ـ الكافي ١: ٤٣١ ، الحديث: ٢٢ ، عن أبي جعفر عليه السلام ؛ وفي كمال الدّين ١: ٣٣٠ ، الباب: ٣٢ ، الحديث: ١٤ ، عنه عليه السلام ما يقرب منه .

٤ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٤٤٦ ، عن أمير المؤمنين عليه السلام .

٥ و ٦ ـ القمّي ٢: ٤٠٨ .

٧ ـ الكشّاف ٤: ٢٢٤ ؛ البيضاوي ٥: ١٧٥ .

٨ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٤٤٦ ؛ الدّرّ المنثور ٨: ٤٣٣ .

الله ؛ هو المطاع عند ربّه ، الأمين يوم القيامة»[١] .

﴿وَما صاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ﴾ قال: «يعني النّبيﷺ في نصبه أمير المؤمنين علماً للنّاس»[٢] .

أقول: هو ردّ لما بهته المنافقون .

﴿وَلَقَدْ رَآهُ﴾ قيل: ولقد رأى رسول اللهﷺ جبرئيلعليه السلام[٣] . ﴿بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ﴾ سئل: ما الأُفق المبين؟ قال: «قاع بين يدي العرش ، فيه أنهار تطرد ، فيه من القدحان عدد النّجوم»[٤] .

﴿وَما هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾ قال: «وما هو تبارك وتعالى على نبيّه بغيبه بضنين عليه»[٥] .

وقيل: وما محمّد على تبليغ الوحي ببخيل ، أو متّهم إن قرأ بالظّاء[٦] .

﴿وَما هُوَ بِقَوْلِ شَيْطانٍ رَجِيمٍ﴾ قال: «يعني الكهنة الذين كانوا في قريش ، فنسب كلامهم إلى كلام الشّياطين الذين كانوا معهم يتكلّمون على ألسنتهم . فقال: "وما هو بقول شيطان رجيم" مثل أُولئك»[٧] .

﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾ .

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعالَمِينَ﴾ .

﴿لِمَنْ شاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾ .

﴿وَما تَشاؤُنَ إِلَّا أَنْ يَشاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعالَمِينَ﴾ .

١ و ٢ ـ القمّي ٢: ٤٠٨ ، عن أبي عبد اللهعليه السلام .
٣ ـ البيضاوي ٥: ١٧٦ .
٤ ـ الخصال ٢: ٥٨٢ ، الحديث: ٥ ، عن أبي عبد اللهعليه السلام .
٥ ـ القمّي ٢: ٤٠٨ ، عن أبي عبد اللهعليه السلام .
٦ ـ التبيان ١٠: ٢٨٧ ؛ البيضاوي ٥: ١٧٦ .
٧ ـ القمّي ٢: ٤٠٨ ، عن أبي عبد اللهعليه السلام .

سورة الانفطار

[مكيّة ، وهي تسع عشرة آية][1]

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم

﴿إذا السَّماءُ انْفَطَرَتْ﴾: انشقّت .

﴿وَإذا الكَواكِبُ انْتَثَرَتْ﴾: تساقطت متفرّقة .

﴿وَإذا البِحارُ فُجِّرَتْ﴾: فتح بعضها إلى بعض ، فصار الكلّ بحراً واحداً .

﴿وَإذا القُبُورُ بُعْثِرَتْ﴾: قلب ترابها وأخرج موتاها . قيل: إنّه مركّب من بعث وراء الإثارة[2] . القمّي: تنشقّ فتخرج النّاس منها[3] .

﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ﴾ جواب «إذا» ﴿ما قَدَّمَتْ﴾ من خير وشرّ ﴿وَأَخَّرَتْ﴾ من سنّة حسنة استنّ بها بعده ، أو سنّة سيّئة .

﴿يا أَيُّها الإنْسانُ ما غَرَّكَ بِرَبِّكَ الكَرِيمِ﴾: أيّ شيء خدعك وجرّأك على عصيانه . قيل: ذكر الكريم للمبالغة في المنع عن الاغترار ، والإشعار بما به يغرّه الشّيطان[4] .

١ ـ ما بين المعقوفتين من «ب» .

٢ ـ البيضاوي ٥: ١٧٦ .

٣ ـ القمّي ٢: ٤٠٩ .

٤ ـ البيضاوي ٥: ١٧٦ .

وقيل: بل هو تلقين للجواب، حتّى يقول غرّني كرمه[١].

روي: «إنّ النّبيّ ﷺ لمّا تلا هذه الآية، قال: غرّه جهله»[٢].

﴿الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ﴾: جعل أعضاءك مسوّاة معدّة لمنافعها ﴿فَعَدَلَكَ﴾ قيل: أي: عدل بعض أعضائك ببعض حتّى اعتدلت[٣]. وعلى قراءة التّشديد أي: جعل بُنيتك معتدلة متناسبة الأعضاء.

﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ ما شاءَ رَكَّبَكَ﴾ أي: ركّبك في أيّ صورة شاء، و«ما» مزيدة. قال: «لو شاء ركّبك على غير هذه الصّورة»[٤].

﴿كَلَّا﴾ ردعٌ عن الاغترار بكرم الله ﴿بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ﴾ بالجزاء؛ إضرابٌ إلى ما هو السّبب الأصليّ للاغترار.

﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحافِظِينَ﴾ قال: «الملكان الموكّلان بالإنسان»[٥].

﴿كِراماً كاتِبِينَ﴾: «يبادرون بكتابة الحسنات لكم ويتوانون بكتابة السّيّئات عليكم؛ لعلّكم تتوبون وتستغفرون» كذا ورد[٦].

﴿يَعْلَمُونَ ما تَفْعَلُونَ﴾. قال: «استعبدهم الله بذلك، وجعلهم شهوداً على خلقه، ليكون العباد لملازمتهم إيّاهم أشدّ على طاعة الله مواظبة، وعن معصيته أشدّ انقباضاً، وكم من عبد يهمّ بمعصية فذكر مكانهم فارعوى وكفّ. فيقول: ربّي يراني وحفظتي عليّ بذلك تشهد»[٧].

١ـ الكشّاف ٤: ٢٢٨.
٢ـ مجمع البيان ٩ـ١٠: ٤٤٩؛ الجامع لأحكام القرآن (للقرطبي) ١٩: ٢٤٥.
٣ـ الكشّاف ٤: ٢٢٨؛ البيضاوي ٥: ١٧٦.
٤ـ القمّي ٢: ٤٠٩؛ مجمع البيان ٩ـ١٠: ٤٤٩، عن أبي عبد الله عليه السلام.
٥ـ القمّي ٢: ٤٠٩.
٦ـ الكافي ٢: ٤٢٩، الحديث: ٤، عن أبي عبد الله عليه السلام، عن رسول الله ﷺ.
٧ـ الاحتجاج ٢: ٩٥، عن أبي عبد الله عليه السلام.

﴿إِنَّ الأَبْرارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾.

﴿وَإِنَّ الفُجّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾.

﴿يَصْلَوْنَها يَوْمَ الدِّينِ﴾.

﴿وَما هُمْ عَنْها بِغائِبِينَ﴾ إذ يجدون سمومها في القبور.

﴿وَما أَدْراكَ ما يَوْمُ الدِّينِ﴾.

﴿ثُمَّ ما أَدْراكَ ما يَوْمُ الدِّينِ﴾ تعجيبٌ وتفخيم لشأن اليوم.

﴿يَوْمَ لا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئاً وَالأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلّٰهِ﴾ وحده. تقريرٌ لشدّة هوله وفخامة أمره.

قال: «إذا كان يوم القيامة بادت الأحكام[1]، فلم يبق حاكم إلّا اللّه تعالى»[2].

١ ـ في المصدر: «الحكّام».

٢ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٤٥٠، عن أبي جعفر عليه السلام.

سورة المطفّفين

[مكيّة . وهي ستّ ثلاثون آية][1]

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم

﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ﴾ القمّي: الذين يبخسون المكيال والميزان[2] .

ورد: «نزلت على نبيّ الله حين قدم المدينة ، وهم يومئذ أسوأ النّاس كيلاً ، فأحسنوا بعدُ عمل الكيل ، فأمّا "الويل" فبلغنا ـ والله أعلم ـ أنّها بئر في جهنّم»[3] .

و ورد: «وأنزل في الكيل: "ويل للمطفّفين" ولم يجعل الويل لأحد حتّى يسمّيه كافراً، قال الله تعالى: "فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم"»[4]

﴿الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾: إذا اكتالوا من النّاس حقوقهم ، يأخذونها وافية .

﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ﴾: إذا كالوا للنّاس أو وزنوا لهم ﴿يُخْسِرُونَ﴾ .

١ ـ ما بين المعقوفتين من «ب» .

٢ ـ القمّي ٢: ٤١٠ .

٣ ـ المصدر ، عن أبي جعفر عليه السلام .

٤ ـ الاحتجاج ١: ٣٧٢، عن أمير المؤمنين عليه السلام. والآية في سورة مريم (١٩): ٣٧ .

﴿أَلا يَظُنُّ أُولـٰئِكَ أَنَّـهُمْ مَبْعُوثُونَ﴾ قال: «أليس يوقنون أنّهم مبعوثون؟!»[١].

﴿لِـيَوْمٍ عَظِـيمٍ﴾ عظّمه لعظم ما يكون فيه.

﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ العالَمِينَ﴾: لحكمه.

روي: «إنّهم يقومون في رشحهم إلى أنصاف آذانهم»[٢].

و ورد: «مَثَل النّاس يوم القيامة إذا قاموا الربّ العالمين مَثَل السّهم في القراب[٣]؛ ليس له من الأرض إلّا موضع قدمه، كالسّهم في الكنانة، لا يقدر أن يزول هاهنا ولا هاهنا»[٤].

﴿كَـلّا﴾ ردعٌ عن التّطفيف، والغفلة عن البعث والحساب. ﴿إِنَّ كِتابَ الفُـجّارِ لَـفِي سِجِّينٍ﴾.

﴿وَما أَدْراكَ ما سِـجِّينٌ﴾.

﴿كِتابٌ مَرْقُومٌ﴾ القمّي: ما كتب اللّه لهم من العذاب لفي سجين[٥].

ورد: «السّجّين: الأرض السّابعة، وعلّيّون: السّماء السّابعة»[٦].

وقال: «أمّا المؤمنون فترفع أعمالهم وأرواحهم إلى السّماء، فتفتح لهم أبوابها، وأمّـا الكافر فيصعد بعمله وروحه حتّى إذا بلغ إلى السّماء نادى مناد: اهبطوا به إلى سجّين؛ وهو واد بحضرموت يقال له: برهوت»[٧].

وفي رواية: «هم الذين فجروا في حقّ الأئمّة واعتدوا عليهم»[٨].

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾. ﴿الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ﴾. ﴿وَما يُكَذِّبُ بِهِ إِلّا كُلُّ

١ـ الاحتجاج ١: ٣٧٢، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

٢ـ الجامع لأحكام القرآن (القرطبي) ١٩: ٢٥٥؛ التفسير الكبير ٣١: ٩٠، عن النبيّ صلى الله عليه وآله؛ مجمع البيان ٩ـ ١٠: ٤٥٢.

٣ـ في المصدر: «القرب».

٤ـ الكافي ٨: ١٤٣، الحديث: ١١٠، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٥ـ القمّي ٢: ٤١٠.

٦ـ المصدر، عن أبي جعفر عليه السلام.

٧ـ نور الثقلين ٥: ٥٣٠، الحديث: ١٤، عن أبي جعفر عليه السلام.

٨ـ الكافي ١: ٤٣٥، ذيل الحديث: ٩١، عن الكاظم عليه السلام.

مُعْتَدٍ أَثِيمٍ﴾ . ﴿إذا تُتلىٰ عَلَيْهِ آياتُنا قالَ أَساطِيرُ الأَوَّلِينَ﴾ .

﴿كَلّا﴾ ردعٌ عن قوله: "أساطير الأوّلين" . ﴿بَلْ رانَ عَلىٰ قُلُوبِهِمْ ما كانُوا يَكْسِبُونَ﴾ .

قال: «ما من عبد مؤمن إلّا وفي قلبه نكتة بيضاء ، فإذا أذنب ذنباً خرج في تلك النّكتة نكتة سوداء ، فإن تاب ذهب ذلك السّواد ، وإن تمادى في الذّنوب زاد ذلك السّواد حتّى يغطّي البياض ، فإذا غطّى البياض لم يرجع صاحبه إلى خير أبداً . وهو قول الله عزّوجلّ: "كَلّا بَل رانَ عَلىٰ قُلوبِهِم ما كانُوا يَكسِبُون"»[1] .

﴿كَلّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ . قال: «إنّ الله لا يوصف بمكان يحلّ فيه فيحجب عنه فيه عباده ، ولكنّه يعني إنّهم عن ثواب ربّهم لمحجوبون»[2] .

﴿ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصالُوا الجَحِيمِ﴾: يدخلون النّار ويصلون بها .

﴿ثُمَّ يُقالُ هٰذا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ .

﴿كَلّا إِنَّ كِتابَ الأَبْرارِ لَفِي عِلِّيِّينَ﴾ القمّي: أي: ما كتب لهم من الثّواب[3] .

﴿وَما أَدْراكَ ما عِلِّيُّونَ﴾ . ﴿كِتابٌ مَرْقُومٌ﴾ .

﴿يَشْهَدُهُ المُقَرَّبُونَ﴾ . ورد: «إنّ الله خلقنا من أعلى علّيّين ، وخلق قلوب شيعتنا ممّا خلقنا منه ، وخلق أبدانهم من دون ذلك ، وقلوبهم تهوي إلينا ؛ لأنّها خُلقت ممّا خُلقنا ، ثمّ تلا هذه الآية "كَلّا إنّ كِتابَ الأَبرار" الآية. وخلق عدوّنا من سجّين ، وخلق قلوب شيعتهم ممّا خلقهم منه ، وأبدانهم من دون ذلك ، فقلوبهم تهوي إليهم ؛ لأنّها خلقت ممّا خلقوا منه .

١ ـ الكافي ٢: ٢٧٣ ، الحديث: ٢٠ ؛ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٤٥٣ ، عن أبي جعفر عليه السلام .

٢ ـ التّوحيد: ٢٦٥ ، الباب: ٣٦ ، ذيل الحديث الطّويل: ٥ ، عن أمير المؤمنين عليه السلام ؛ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ١: ١٢٥ ، الباب: ١١ ، الحديث: ١٩ .

٣ ـ القمّي ٢: ٤١١ .

ثمّ تلا هذه الآية: "كَلّا إنّ كِتابَ الفُجّار" الآية»[١].

أقول: العقائد الرّاسخة والأعمال المتكرّرة في النّفوس بمنزلة النّقوش الكتابيّة في الألواح، فمن كانت معلوماته أُموراً قدسيّة وأعماله صالحة وأخلاقه زكيّة؛ يأتي كتابه بيمينه، أي: من جانبه الأقوى الرّوحاني وجهة علّيّين؛ لأنّه من جنس تلك النّشأة. ومن كانت معلوماته مقصورة على الأُمور الدّنيويّة وأعماله خبيثة؛ يأتي كتابه بشماله، أي: من جانبه الأضعف الجسمانيّ وجهة سجّين؛ لأنّه من جنس هذه النّشأة، وإنّما عود الأرواح إلى ما خلقت منه، كما قال سبحانه: "كما بدأكُم تعُودُون"[٢] فما خلق من علّيّين فكتابه في علّيّين، وما خلق من سجّين فكتابه في سجّين.

﴿إِنَّ الأَبْرارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾.

﴿عَلَى الأَرائِكِ﴾: على الأسرّة في الحجال ﴿يَنْظُرُونَ﴾ إلى ما يسرّون به من النّعيم.

﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ﴾: بهجة التّنعّم وبريقه.

﴿يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ﴾: شراب خالص ﴿مَخْتُومٍ﴾.

﴿خِتامُهُ مِسْكٌ﴾. قيل: أي: مختوم أوانيه بالمسك مكان الطّين، ولعلّه تمثيل لنفاسته[٣].

والقمّي: ماء إذا شربه المؤمن وجد رائحة المسك فيه[٤].

أقول: لعلّه أراد أن يجدها في آخر شربه. ﴿وَفِي ذٰلِكَ فَلْيَتَنافَسِ المُتَنافِسُونَ﴾.

﴿وَمِزاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ﴾: علم لعين بعينها سمّيت بها، لأنّها تأتيهم من فوق. القمّي:

١ ـ الكافي ١: ٣٩٠، الحديث: ٤، عن أبي جعفر عليه السلام.

٢ ـ الأعراف (٧): ٢٩.

٣ ـ البيضاوي ٥: ١٧٨.

٤ ـ القمّي ٢: ٤١١.

هي أشرف شراب أهل الجنّة ، يأتيهم من عالي ، يسنم عليهم في منازلهم[١] .

﴿عَيْناً يَشْرَبُ بِها الْمُقَرَّبُونَ﴾ . القمّي: هم آل محمّدﷺ قال: «يشربون من تسنيم صرفاً وسائر المؤمنين ممزوجاً»[٢] .

﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ﴾: يستهزئون .

﴿وَإِذا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغامَزُونَ﴾: يغمز بعضهم بعضاً ويشيرون بأعينهم.

﴿وَإِذا انْقَلَبُوا إِلى أَهْلِهِمُ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ﴾: ملتذّين بالسّخرية منهم .

قيل: إنّ الذين أجرموا: منافقوا قريش ، والذين آمنوا: عليّ ابن أبي طالبعليه السلام[٣] .

﴿وَإِذا رَأَوْهُمْ قالُوا إِنَّ هؤُلاءِ لَضالُّونَ﴾: وإذا رأوا المؤمنين نسبوهم إلى الضّلال .

﴿وَما أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ﴾: على المؤمنين ﴿حافِظِينَ﴾: يحفظون عليهم أعمالهم ويشهدون برشدهم وضلالهم .

﴿فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفّارِ يَضْحَكُونَ﴾ حين يرونهم أذلّاء مغلولين في النّار .

روي: «إنّه يفتح لهم باب إلى الجنّة ، فيقال لهم: اخرجوا إليها ، فإذا وصلوا أُغلق دونهم ، فيضحك المؤمنون منهم»[٤] .

﴿عَلَى الْأَرائِكِ يَنْظُرُونَ﴾ .

﴿هَلْ ثُوِّبَ الْكُفّارُ﴾: هل أُثيبوا ﴿ما كانُوا يَفْعَلُونَ﴾ .

١ ـ القمّي ٢: ٤١١ .

٢ ـ القمّي ٢: ٤١٢ .

٣ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٤٥٧ ، عن أبي صالح ، عن ابن عبّاس ؛ شواهد التّنزيل ٢: ٤٢٧ ، الحديث: ١٠٨٥ ، عن ابن عبّاس .

٤ ـ الكشّاف ٤: ٢٣٣ ؛ البيضاوي ٥: ١٧٨ بلفظ «قيل» ؛ في تفسير الكبير ٣١: ١٠٢ ؛ الجامع لأحكام القرآن (للقرطبي) ؛ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٤٥٧ عن أبي صالح .

سورة الانشقاق

[مكيّة، وهي خمس وعشرون آية][1]

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم

﴿إِذَا السَّماءُ انْشَقَّتْ﴾ قيل: بالغَمام؛ لقوله: "يومَ تَشَقَّقُ السَّماء بِالغَمام"[2].

وروي: «تنشقّ من المجرة»[3]. القمّي: يوم القيامة[4].

﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّها﴾: واستمعت له، أي: انقادت لتأثير قدرته حين أراد انشقاقها، انقياد المطواع الذي يأذن للأمير ويذعن له. ﴿وَحُقَّتْ﴾: وجعلت حقيقة بالاستماع والانقياد.

﴿وَإِذَا الأَرْضُ مُدَّتْ﴾: بسطت، بأن تزال جبالها وآكامها.

روي: «تبدّل الأرض غير الأرض والسّماوات، فيبسطها ويمدّها مدّ الأديم العكاظي "لا تَرى فيها عِوَجاً وَلا أَمتاً"»[5].

﴿وَأَلْقَتْ ما فِيها﴾: ما في جوفها من الكنوز والأموات ﴿وَتَخَلَّتْ﴾: وتكلّفت في

١ـ ما بين المعقوفتين من «ب».

٢ـ الكشّاف ٤: ٢٣٤؛ البيضاوي ٥: ١٧٨. الآية في سورة الفرقان (٢٥): ٢٥.

٣ـ المصدر؛ البيضاوي ٥: ١٧٨؛ الدرّ المنثور ٨: ٤٥٥؛ عن أمير المؤمنين عليه السلام.

٤ـ القمّي ٢: ٤١٢.

٥ـ البيضاوي ٣: ١٦٤؛ مجمع البيان ٥ـ٦: ٣٢٤، عن النبيّ صلى الله عليه وآله، الآية في سورة طه (٢٠): ١٠٧.

الخلوّ أقصى جهدها، حتّى لم يبق شيء في باطنها.

القمّي: تمدّ الأرض فتنشقّ، فيخرج النّاس منها[1].

﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّها﴾ في الإلقاء والتّخلية ﴿وَحُقَّتْ﴾ للإذن، وجواب «إذا» محذوف.

﴿يا أَيُّهَا الْإِنْسانُ إِنَّكَ كادِحٌ إِلى رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلاقِيهِ﴾: ساع إليه، سعياً إلى لقاء جزائه.

﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتابَهُ بِيَمِينِهِ﴾.

﴿فَسَوْفَ يُحاسَبُ حِساباً يَسِيراً﴾: سهلاً لا مناقشة فيه. قال: «ذاك العرض، يعني التّصفّح»[2].

وروي: «إنّ الحساب اليسير هو الإثابة على الحسنات والتّجاوز عن السّيّئات، ومن نوقش في الحساب عذّب»[3].

﴿وَيَنْقَلِبُ إِلى أَهْلِهِ مَسْرُوراً﴾: إلى عشيرته المؤمنين والحور العين.

﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتابَهُ وَراءَ ظَهْرِهِ﴾ قيل: أي: يؤتى كتابه بشماله من وراء ظهره[4].

وقيل: تغلّ يمناه إلى عنقه، وتجعل يسراه وراء ظهره[5].

﴿فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُوراً﴾: يتمنّى الثّبور. ويقول: واثبوراه! وهو الهلاك. والقمّي: الثّبور: الويل[6].

﴿وَيَصْلى سَعِيراً﴾.

﴿إِنَّهُ كانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُوراً﴾: بطراً بالمال والجاه، فارغاً عن الآخرة.

﴿إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ﴾: لن يرجع بعد ما يموت.

١ ـ القمّي ٢: ٤١٢.

٢ ـ معاني الأخبار: ٢٦٢، الحديث: ١، عن أبي جعفر عليه السلام، عن النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم.

٣ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٤٦١؛ جوامع الجامع: ٥٣٥.

٤ ـ البيضاوي ٥: ١٧٩؛ تفسير البغوي ٤: ٤٦٤.

٥ ـ الكشّاف ٤: ٢٣٥؛ البيضاوي ٥: ١٧٩؛ تفسير البغوي ٤: ٤٦٤.

٦ ـ القمّي ٢: ٤١٢.

﴿بَلىٰ﴾: يرجع ﴿إِنَّ رَبَّهُ كانَ بِهِ بَصِيراً﴾: عالماً بأعماله فلا يهمله ، بل يرجعه ويجازيه .

﴿فَلا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ﴾ القمّي: الحمرة بعد غروب الشّمس[1] .

﴿وَاللَّيْلِ وَما وَسَقَ﴾: وما جمعه وستره .

﴿وَالقَمَرِ إِذا اتَّسَقَ﴾: إذا اجتمع وتمّ بدراً .

﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقاً عَنْ طَبَقٍ﴾: حالاً بعد حال ؛ مطابقة لأُختها .

قال: «لتسلكنّ سبيل من كان قبلكم من الأُمم ؛ في الغدر بالأوصياء بعد الأنبياء»[2] .

وقال: «أولم تركب هذه الأُمّة بعد نبيّها طبقاً عن طبق ، في أمر فلان وفلان وفلان»[3] .

وفي رواية: «لتركبنّ سبيل من كان قبلكم حذو النّعل بالنّعل والقُذَّة[4] بالقُذَّة ، لا تخطئون طريقهم ولا يخطئ ، شبر بشبر وذراع بذراع وباع بباع ، حتّى أن لو كان من قبلكم دخل جحر ضبّ لدخلتموه»[5] .

﴿فَما لَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ﴾ .

﴿وَإِذا قُرِئَ عَلَيْهِمُ القُرْآنُ لا يَسْجُدُونَ﴾: لا يخضعون ، أو لا يسجدون لتلاوته . روي: «إنّه قرأ ذات يوم: "واسجد واقترب"[6] فسجد هو ومن معه من المؤمنين وقريش تصفق فوق رؤسهم وتصفر ، فنزلت»[7] .

١ ـ القمّي ٢: ٤١٢ .

٢ ـ الاحتجاج ١: ٣٦٩ ، عن أمير المؤمنين عليه السلام .

٣ ـ الكافي ١: ٤١٥ ، الحديث: ١٧ ؛ القمّي ٢: ٤١٣ ، عن أبي جعفر عليه السلام .

٤ ـ القُذَّة ـ بالضم والتشديد ـ: ريش السهم ، والجمع: قُذَذ ؛ ضرب مثلاً للشيئين يستويان ولا يتفاوتان . مجمع البحرين ٣: ١٨٦ (قذذ) .

٥ ـ القمّي ٢: ٤١٣ ، عن النبيّ صلى الله عليه وآله .

٦ ـ العلق (٩٦): ١٩ .

٧ ـ جوامع الجامع: ٥٣٥ ، عن النبيّ صلى الله عليه وآله .

﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ﴾ .

﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِما يُوعُونَ﴾: بما يضمرون في صدورهم من الكفر والعداوة .

﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذابٍ أَلِيمٍ﴾ .

﴿إِلّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّالِحاتِ﴾ استثناء منقطع أو متّصل ، وأُريد بهم من تاب وآمن منهم . ﴿لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾: غير مقطوع ، أو غير ممنون به عليهم .



سورة البروج

[مكّيّة، وهي اثنتان وعشرون آية][1]

بسم اللّه الرّحمٰن الرّحيم

﴿وَالسَّماءِ ذاتِ الْبُرُوجِ﴾ يعني البروج الاثنى عشر، وقد سبق بيانها في الحجر[2].

﴿وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ﴾ قال: «يوم القيامة»[3].

﴿وَشاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾ قال: «النّبيّ وأمير المؤمنين عليهما السلام»[4].

وفي رواية: «أمّا الشّاهد فمحمّد، لقوله: "إنّا أرسلناكَ شاهِداً"[5] وأمّا المشهود فيوم القيامة، لقوله: "وَذٰلِكَ يَوْمٌ مَشهُود"[6]»[7].

وفي أُخرى: «الشّاهد: يوم الجمعة، والمشهود: يوم عرفة»[8].

١ ـ ما بين المعقوفتين من «ب».

٢ ـ ذيل الآية: ١٦.

٣ ـ معاني الأخبار: ٢٩٩، الحديث: ٣، عن أبي عبد اللّه عليه السلام؛ الحديث: ٦، عن أحدهما عليهما السلام.

٤ ـ الكافي ١: ٤٢٥، الحديث: ٦٩؛ معاني الأخبار: ٢٩٩، الحديث: ٧، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٥ ـ الأحزاب (٣٣): ٤٤؛ الفتح (٤٨): ٨.

٦ ـ هود (١١): ١٠٥.

٧ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٤٦٦، عن حسن بن عليّ عليهما السلام.

٨ ـ المصدر، عن النّبيّ والباقر والصّادق صلوات اللّه عليهم؛ معاني الأخبار: ٢٩٩، الحديث: ٢، عن ←

وفي أُخرى: «الشّاهد: يوم عرفة، والمشهود: يوم القيامة»[1].

﴿قُتِلَ أَصْحابُ الأُخْدُودِ﴾ أي: الخدّ، وهو الشّقّ في الأرض.

﴿النّارِ ذاتِ الوَقُودِ﴾.

﴿إِذْ هُمْ عَلَيْها قُعُودٌ﴾: على جوانبها قاعدون.

﴿وَهُمْ عَلىٰ ما يَفْعَلُونَ بِالمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ﴾.

﴿وَما نَقَمُوا﴾: وما أنكروا ﴿مِنْهُمْ إِلّا أَنْ يُؤْمِنُوا﴾: إلّا لأن يؤمنوا ﴿بِاللّٰهِ العَزِيزِ الحَمِيدِ﴾.

﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمٰواتِ وَالأَرْضِ وَاللّٰهُ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾.

ورد: «إنّ اللّه بعث رجلاً حبشيّاً نبيّاً ـ وهم حبشة ـ فكذّبوه، فقاتلهم، فقتلوا أصحابه وأسروه وأسروا أصحابه، ثمّ بنوا له حيراً ثمّ ملؤوه ناراً، ثم جمعوا النّاس فقالوا: من كان على ديننا وأمرنا فليعتزل، ومن كان على دين هؤلاء فليرم نفسه في النّار معه، فجعل أصحابه يتهافتون في النّار! فجاءت إمرأة معها صبيّ لها ابن شهر، فلمّا هجمت هابت ورقّت على ابنها، فناداها الصّبيّ: لا تهابي وارمي بي وبنفسك في النّار، فإنّ هذا واللّه في اللّه قليل. فرمت بنفسها في النّار وصبيّها؛ وكان ممّن تكلّم في المهد»[2]. وفيه رواية أُخرى[3].

﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا المُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِناتِ﴾: بلوهم بالأذى ﴿ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذابُ جَهَنَّمَ﴾ بكفرهم ﴿وَلَهُمْ عَذابُ الحَرِيقِ﴾: الزّائد في الإحراق بفتنتهم. وقيل: أُريد بالذين فتنوا أصحاب الأُخدود، وبالعذاب الحريق ما روي: «إنّ النّار انقلبت على أصحاب الأُخدود فأحرقتهم»[4].

← أبي عبد اللّه: الحديث: ٦، عن أحدهما عليهما السلام.

١ ـ معاني الأخبار: ٢٩٩، الحديث: ٥، عن أبي جعفر عليه السلام.

٢ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٤٦٥، عن أبي جعفر عليه السلام.

٣ ـ المصدر، ٤٦٤ ـ ٤٦٥، عن النبيّ صلّى اللّه عليه وآله؛ المحاسن (للبرقي): ٢٥٠، الحديث: ٢٦٢، عن أبي جعفر عليه السلام.

٤ ـ الكشّاف ٤: ٢٣٨؛ البيضاوي ٥: ١٨٠.

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِها الأَنْهارُ ذٰلِكَ الفَوْزُ الكَبِيرُ﴾.

﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾: مضاعف عنفه، فإنّ البطش أخذ بعنف.

﴿إِنَّهُ هُوَ يُبْدِيءُ﴾: يبدئ الخلق ﴿وَيُعِيدُ﴾.

﴿وَهُوَ الغَفُورُ الوَدُودُ﴾ لمن تاب وأطاع.

﴿ذُو العَرْشِ المَجِيدُ﴾.

﴿فَعّالٌ لِما يُرِيدُ﴾.

﴿هَلْ أَتاكَ حَدِيثُ الجُنُودِ﴾.

﴿فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ﴾. أُريد بفرعون هو وقومه. والمعنى: قد عرفت تكذيبهم للرّسل وما حاق بهم؛ فتسل واصبر على تكذيب قومك، وحذّرهم مثل ما أصابهم.

﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ﴾ لا يرعوون عنه.

﴿وَاللّهُ مِنْ وَرائِهِمْ مُحِيطٌ﴾ لا يفوتونه.

﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ﴾: بل هذا الذي كذّبوا به كتاب شريف، وحيد في النّظم والمعنى.

﴿فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ﴾ من التّحريف والتّبديل.

سورة الطّارق

[مكيّة ، وهي سبع عشرة آية][1]

بسم اللّه الرّحمن الرّحيم

﴿وَالسَّماءِ وَالطّارِقِ﴾: الكوكب الذي يبدو باللّيل .

﴿وَما أَدْراكَ ما الطّارِقُ﴾ .

﴿النَّجْمُ الثّاقِبُ﴾: المضيء ، كأنّه يثقب الأفلاك بضوئه فينفذ فيه .

ورد: «إنّه قال لرجل من أهل اليمن: ما زحل عندكم في النّجوم؟ قال اليماني: نجم نحس . فقال: لا تقولنّ هذا ، فإنّه نجم أمير المؤمنين عليه السلام وهو نجم الأوصياء ، وهو النّجم الثّاقب ، الذي قال اللّه في كتابه . فقال له اليماني: فما يعني بالثّاقب؟ قال: لأنّ مطلعه في السّماء السّابعة ، وأنّه ثقب بضوئه حتّى أضاء في السّماء الدّنيا ، فمن ثمّ سمّاه اللّه النّجم الثّاقب»[2] .

﴿إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمّا عَلَيْها حافِظٌ﴾ جواب القسم ، و«لمّا» بمعنى إلّا ، و«إن» نافية . وعلى قراءة تخفيف الميم «ما» مزيدة و«إن» هي المخفّفة . القمّي: حافظ: الملائكة[3] .

١ ـ ما بين المعقوفتين من «ب» .

٢ ـ الخصال ٢: ٤٨٩ ، الحديث: ٦٨ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .

٣ ـ القمّي ٢: ٤١٥ .

﴿فَلْيَنْظُرِ الإِنْسانُ مِمَّ خُلِقَ﴾ ليعلم صحّة إعادته، فلا يملي على حافظه إلّا ما ينفعه في عاقبته.

﴿خُلِقَ مِنْ ماءٍ دافِقٍ﴾ القمّي: النّطفة الّتي تخرج بقوّة[1].

﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرائِبِ﴾: من بين صلب الرّجل وترائب المرأة، وهي عظام صدرها.

﴿إِنَّهُ عَلىٰ رَجْعِهِ لَقادِرٌ﴾: كما خلقه من نطفة يقدر أن يردّه إلى الدّنيا وإلى القيامة[2].

﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرائِرُ﴾: تختبر وتتعرّف، وتتميّز بين ما طاب منها وما خبث القمّي: تكشف عنها[3].

ورد: إنّه سئل: ما هذه السّرائر التي ابتلى اللّه بها العباد في الآخرة؟ فقال: «سرائركم هي أعمالكم من الصلاة والصيام والزّكاة والوضوء والغسل من الجنابة وكلّ مفروض لأنّ الأعمال كلّها سرائر خفيّة، فإن شاء الرّجل قال: صلّيت ولم يصلّ، وإن شاء قال: توضّأت ولم يتوضّأ، فذلك قوله: "يوم تبلى السرائر"»[4].

﴿فَما لَهُ﴾: فما للإنسان ﴿مِنْ قُوَّةٍ وَلا ناصِرٍ﴾ القمّي مقطوعاً: ماله من قوّة يقوى بها على خالقه، ولا ناصر من اللّه ينصره إن أراد به سوءاً[5].

﴿وَالسَّماءِ ذاتِ الرَّجْعِ﴾ قيل: ترجع في كلّ دورة إلى الموضع الذي تحرّكت عنه[6].

والقمّي: ذات المطر[7]. قيل: إنّما سمّي المطر رجعاً وأوباً، لأنّ اللّه يرجعه وقتاً فوقتاً[8].

١ و ٢ ـ القمّي ٢: ٤١٥.

٣ ـ القمّي ٢: ٤١٥.

٤ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٤٧٢، عن رسول اللّه ﷺ.

٥ ـ القمّي ٢: ٤١٦، عن أبي بصير.

٦ ـ البيضاوي ٥: ١٨١.

٧ ـ القمّي ٢: ٤١٦.

٨ ـ الكشّاف ٤: ٢٤٢؛ البيضاوي ٥: ١٨١.

﴿ وَالأَرْضِ ذاتِ الصَّدْعِ ﴾ القمّي: ذات النّبات[1].

أقول: يعني تتصدّع بالنّبات وتشقّ بالعيون.

﴿ إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ﴾ قال: «يعني إنّ القرآن يفصل بين الحقّ والباطل، بالبيان عن كلّ واحد منهما»[2].

﴿ وَما هُوَ بِالهَزْلِ ﴾ فإنّه جدّ كلّه.

﴿ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْداً ﴾ في إبطاله وإطفاء نوره.

﴿ وَأَكِيدُ كَيْداً ﴾: وأُقابلهم بكيدي في استدراجهم وانتقامي منهم، بحيث لايحتسبون.

﴿ فَمَهِّلِ الكافِرِينَ ﴾ فلا تشتغل بالانتقام منهم، ولا تستعجل بإهلاكهم ﴿ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْداً ﴾: إمهالا يسيراً. القمّي: دعهم قليلاً[3].

١ـ القمّي ٢: ٤١٦.

٢ـ مجمع البيان ٩ـ١٠: ٤٧٢، عن أبي عبد الله عليه السلام.

٣ـ القمّي ٢: ٤١٦.

سورة الأعلى

[مكيّة ، وهي تسع عشرة آية][1]

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم

﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ القمّي: قل: سبحان ربّي الأعلى[2] .

و ورد: «إذا قرأت "سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى" فقل: سبحان ربّي الأعلى ، وإن كنت في الصّلاة فقل فيما بينك وبين نفسك»[3] .

وروي: «لمّا نزلت ، قال: اجعلوها في سجودكم»[4] .

﴿ٱلَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ﴾: خلق كلّ شيء فسوّى خلقه ، بأن جعل له ما به يتأتّى كماله ويتمّ معاشه .

﴿وَٱلَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾ القمّي: قدّر الأشياء بالتّقدير الأوّل ، ثمّ هدى إليه من يشاء[5]

---

١ ـ ما بين المعقوفتين من «ب» .

٢ ـ القمّي ٢: ٤١٦ .

٣ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٤٧٤ ، عن أبي جعفر عليه السلام .

٤ ـ من لا يحضره الفقيه ١: ٢٠٧ ، الحديث: ٩٣٢ ، عن أبي عبد الله عليه السلام ، عن رسول الله صلّى الله عليه وآله ؛ التّهذيب ٢: ٣١٣ ، الحديث: ١٢٧٣ ؛ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٤٧٣ ؛ الكشّاف ٤: ٢٤٣ ؛ البيضاوي ٥: ١٨٢ ؛ الجامع لأحكام القرآن (للقرطبي) ٢٠: ١٤ ، عن رسول الله صلّى الله عليه وآله .

٥ ـ القمّي ٢: ٤١٦ .

﴿وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعىٰ﴾: النّبات.

﴿فَجَعَلَهُ﴾ بعد بلوغه ﴿غُثاءً أَحْوىٰ﴾: يابساً أسود.

﴿سَنُقْرِئُكَ﴾: نعلّمك ﴿فَلا تَنْسىٰ﴾.

﴿إِلّا ما شاءَ اللّهُ﴾ لأنّ الذي لا ينسى هو اللّه ﴿إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَما يَخْفىٰ﴾: ما ظهر من أحوالكم وما بطن.

﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرىٰ﴾: للطّريقة اليسرى في حفظ الوحي.

﴿فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرىٰ﴾.

﴿سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشىٰ﴾: سيتّعظ وينتفع بها من يخشى اللّه.

﴿وَيَتَجَنَّبُهَا﴾: ويتجنّب الذّكرى ﴿الْأَشْقَى﴾.

﴿الَّذِي يَصْلَى النّارَ الْكُبْرىٰ﴾ القمّي: نار يوم القيامة[1].

﴿ثُمَّ لا يَمُوتُ فِيها﴾ فيستريح ﴿وَلا يَحْيىٰ﴾ حياة تنفعه.

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكّىٰ﴾ قيل: تطهّر من الشّرك والمعصية[2]. وقال: «من أخرج زكاة الفطر»[3].

﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ﴾ بقلبه ولسانه ﴿فَصَلّىٰ﴾ قال: «خرج إلى الجبّانة[4] فصلّى»[5]، يعني صلاة العيد. وفي رواية: «كلّما ذكر اسم ربّه صلّى على محمّد وآله»[6].

﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَياةَ الدُّنْيا﴾.

﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقىٰ﴾ فإنّ نعيمها خالص لا انقطاع لها.

﴿إِنَّ هٰذا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولىٰ﴾.

١ـ القمّي ٢: ٤١٧.

٢ـ البيضاوي ٥: ١٨٢.

٣ـ من لا يحضره الفقيه ١: ٣٢٣، الحديث: ١٤٧٨، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٤ـ الجبّانة: الصحراء. وتسمّى بها المقابر؛ لأنّها تكون في الصّحراء. مجمع البحرين ٦: ٢٢٤ (جبن).

٥ـ من لا يحضره الفقيه ١: ٣٢٣، الحديث: ١٤٧٨، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٦ـ الكافي ٢: ٤٩٥، ذيل الحديث: ١٨، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام.

﴿صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾ إشارة إلى ما سبق من قوله: "قَدْ أَفْلَحَ".

سئل: ما كان صحف إبراهيم؟ قال: «كانت أمثالاً كلّها . وسئل: فما كانت صحف موسى؟ قال: كانت عبراً كلّها ، قيل: فهل في أيدينا ممّا أنزل اللّه عليك شيء ممّا كان في صحف إبراهيم وموسى؟ قال: اقرأ "قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ" إلى آخر السّورة»[1].

قال: «وعندنا الصّحف الّتي قال اللّه عزّوجلّ "صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ" . قيل: هي الألواح؟ قال: نعم!»[2].



١ ـ الخصال ٢: ٥٢٥ ، قطعة من حديث: ١٣ ؛ معاني الأخبار: ٣٣٤ ، الحديث: ١ ؛ الأمالي (للشّيخ الطّوسي) ٢: ١٥٣ ، عن رسول اللّه صلّى الله عليه وآله .

٢ ـ الكافي ١: ٢٢٥ ، الحديث: ٥ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .

سورة الغاشية

[مكيّة، وهي ستّ وعشرون آية][1]

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم

﴿هَلْ أَتاكَ حَدِيثُ الْغاشِيَةِ﴾: الدّاهية التي تغشى النّاس بشدائدها، يعني يوم القيامة.

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خاشِعَةٌ﴾: ذليلة.

﴿عامِلَةٌ ناصِبَةٌ﴾: عملت ونصبت في أعمال لا تعنيها. قال: «كلّ ناصب وإن تعبّد واجتهد فمنسوب إلى هذه الآية»[2].

﴿تَصْلىٰ ناراً حامِيَةً﴾: متناهية في الحرّ.

﴿تُسْقىٰ مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ﴾ قيل: بلغت إناها في الحرّ[3].

﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعامٌ إِلّا مِنْ ضَرِيعٍ﴾.

﴿لا يُسْمِنُ وَلا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ﴾ القمّي: عرق أهل النّار وما يخرج من فروج

---

١ ـ ما بين المعقوفتين من «ب».

٢ ـ الكافي ٨: ٢١٣، قطعة من حديث: ٢٥٩؛ الأمالي (للصّدوق): ٥٠١، ذيل الحديث: ٤، عن أبي عبد الله، عن أبيه، عن أمير المؤمنين عليهم السلام.

٣ ـ البيضاوي ٥: ١٨٣.

الزّواني[1].

روي: «الضّريع شيء يكون في النّار يشبه الشّوك، أمرّ من الصّبر وأنتن من الجيفة، وأشدّ حرّاً من النّار، سمّاه اللّه "الضّريع"»[2].

و ورد: عن جبرئيل: «لو أنّ قطرة من الضّريع قطرت في شراب أهل الدّنيا، لمات أهلها من نتنها»[3].

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ ناعِمَةٌ﴾: ذات بهجة.

﴿لِسَعْيِها راضِيَةٌ﴾. ﴿فِي جَنَّةٍ عالِيَةٍ﴾.

﴿لا تَسْمَعُ فِيها لاغِيَةً﴾ القمّي: الهزل والكذب[4].

﴿فِيها عَيْنٌ جارِيَةٌ﴾. ﴿فِيها سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ﴾. ﴿وَأَكْوابٌ مَوْضُوعَةٌ﴾.

﴿وَنَمارِقُ مَصْفُوفَةٌ﴾ بعضها إلى بعض.

﴿وَزَرابِيُّ مَبْثُوثَةٌ﴾ قيل: النّمارق: المساند، والزّرابيّ: البسط الفاخرة. مبثوثة أي مبسوطة[5].

والقمّي: كلّ شيء خلقه اللّه في الجنّة له مثال في الدّنيا إلّا الزّرابيّ فإنّه لا يدري ما هي[6].

و ورد: «لولا أنّ اللّه قدّرها لهم لالتمعت أبصارهم بما يرون»[7].

﴿أَفَلا يَنْظُرُونَ﴾ نظر اعتبار ﴿إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ خلقاً دالاًّ على كمال قدرته وحسن تدبيره، حيث خلقها لجرّ الأثقال إلى البلاد النّائية؛ فجعلها عظيمة، باركة للحمل، ناهضة بالحمل، منقادة لمن اقتادها، طوال الأعناق لتنوء بالأوقار، ترعى كلّ نابت،

١ـ القمّي ٢: ٤١٨.

٢ـ الجامع لأحكام القرآن (للقرطبي) ٢٠: ٣٠؛ مجمع البيان ٩ـ١٠: ٤٧٩، عن رسول اللّه ﷺ.

٣ـ القمّي ٢: ٨١، ذيل الآية: ٢٢، من سورة الحجّ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٤ـ المصدر: ٤١٨.

٥ـ البيضاوي ٥: ١٨٣؛ الجامع لأحكام القرآن (للقرطبي) ٢٠: ٣٤.

٦ـ القمّي ٢: ٤١٨.

٧ـ مجمع البيان ٩ـ١٠: ٤٨٠، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

وتحتمل العطش؛ ليتأتّى لها قطع البراري والمفاوز. قال الله تعالى "وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ"[1] مع مالها من منافع أُخر.

﴿وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ﴾ بلا عَمَد.

﴿وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ﴾ راسخة لا تميل.

﴿وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾: بسطت حتّى صارت مهاداً.

وقرأ عليّ عليه السلام بفتح الأوائل وضمّ التاء[2].

﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ﴾ فلا عليك إن لم ينظروا ولم يذكروا.

﴿لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ﴾: بمتسلّط. والقمّي: لست بحافظ ولا كاتب عليهم[3].

﴿إِلَّا مَنْ تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ﴾: ولكن من تولّى وكفر.

﴿فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ﴾: الغليظ الشديد الدائم.

﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ﴾: رجوعهم ومصيرهم بعد الموت.

﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾: جزاءهم على أعمالهم. قال: «إذا كان يوم القيامة وكّلنا الله بحساب شيعتنا، فما كان لله سألنا الله أن يهبه لنا؛ فهو لهم، وما كان لنا فهو لهم»[4].

وفي رواية: «وما كان بينهم وبين النّاس استوهبناه منهم وأجابوا إلى ذلك وعوّضهم الله عزّ وجلّ»[5].

١ ـ النّحل (١٦): ٧.

٢ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٤٧٧، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

٣ ـ القمّي ٢: ٤١٩.

٤ ـ الأمالي (للشّيخ الطّوسي) ٢: ٢١، عن أبي عبد الله عليه السلام.

٥ ـ الكافي ٨: ١٦٢، الحديث: ١٦٧، عن الكاظم عليه السلام.

سورة الفجر

[مكيّة، وهي ثلاثون آية][1]

بسم اللّه الرّحمن الرّحيم

﴿وَالْفَجْرِ﴾.

﴿وَلَيالٍ عَشْرٍ﴾ القمّي: عشر ذي الحجّة[2].

﴿وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ﴾. قال: «الشّفع يوم التّروية، والوتر يوم عرفة»[3].

والقمّي: الشّفع ركعتان والوتر ركعة[4].

وفي حديث آخر: «الشّفع الحسن والحسين، والوتر أمير المؤمنين»[5].

وقيل: الأشياء كلّها شفعها ووترها[6].

﴿وَاللَّيْلِ إِذا يَسْرِ﴾: إذا يمضي، كقوله: "وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ"[7]. والقمّي: هي ليلة جمع[8].

١ ـ ما بين المعقوفتين من «ب».

٢ ـ القمّي ٢: ٤١٩.

٣ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٤٨٥، عن أبي جعفر وأبي عبد اللّه عليهما السلام.

٤ و ٥ ـ القمّي ٢: ٤١٩.

٦ ـ الكشّاف ٤: ٢٤٩؛ البيضاوي ٥: ١٨٤.

٧ ـ المدّثّر (٧٤): ٣٣.

٨ ـ القمّي ٢: ٤١٩.

﴿هَلْ فِي ذٰلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ﴾ يعتبره. قال: «يقول: لذي عقل»[1]. والمقسم عليه محذوف، أي: ليعذّبنّ، يدلّ عليه ما بعده.

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعادٍ﴾ يعني أولاد عاد بن عوص بن أرم بن سام بن نوح؛ قوم هود سمّوا باسم أبيهم.

﴿إِرَمَ ذاتِ العِمادِ﴾: ذات البناء الرّفيع، أو القدود الطّوال.

﴿الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُها فِي البِلادِ﴾. قيل: كان لعاد ابنان: شدّاد وشديد، فملكا وقهرا، ثمّ مات شديد، فخلص الأمر لشدّاد وملك المعمورة، ودانت له ملوكها. فسمع بذكر الجنّة، فبنى على مثالها في بعض صحاري عَدَن جنّة وسمّاها إرم. فلمّا تمّ سار إليها بأهله. فلمّا كان منها على مسيرة يوم وليلة، بعث الله عليهم صيحة من السّماء فهلكوا[2].

﴿وَثَمُودَ الَّذِينَ جابُوا الصَّخْرَ﴾: قطعوه واتّخذوه منازل، لقوله: "وَتَنحِتُونَ مِنَ الجِبالِ بُيُوتاً"[3]. ﴿بِالوادِ﴾ وادي القرى.

﴿وَفِرْعَوْنَ ذِي الأَوْتادِ﴾. مضى وجه تسميته به في «صٓ»[4].

﴿الَّذِينَ طَغَوْا فِي البِلادِ﴾.

﴿فَأَكْثَرُوا فِيهَا الفَسادَ﴾ بالكفر والظّلم.

﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذابٍ﴾.

﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصادِ﴾: المكان الذي يترقّب فيه الرّصد.

قال: «معناه إنّ ربّك قادر على أن يجزي أهل المعاصي جزاءهم»[5].

١ ـ القمّي ٢: ٤١٩، عن أبي جعفر عليه السلام.

٢ ـ الكشّاف ٤: ٢٥٠؛ البيضاوي ٥: ١٨٤.

٣ ـ الشعراء (٢٦): ١٤٩.

٤ ـ ص (٣٨) ذيل الآية: ١٢.

٥ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٤٨٧، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

وفي رواية: «المرصاد قنطرة على الصّراط، لا يجوزها عبد بمظلمة عبد»[1]. ويأتي فيه حديث آخر[2].

﴿فَأَمَّا الْإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ﴾: اختبره بالغنى واليُسر ﴿فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ﴾ بالجاه والمال ﴿فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ﴾.

﴿وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ﴾ بالفقر والتّقتير ﴿فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ﴾ قال: «فضيّق عليه وقتر»[3]. ﴿فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ﴾ لقصور نظره وسوء فكره، فإنّ التّقتير قد يؤدّي إلى كرامة الدّارين، والتّوسعة قد تفضي إلى قصد الأعداء والانهماك في حبّ الدّنيا، ولذلك ذمّه على قوليه، و رَدَعَه.

﴿كَلَّا بَل لَّا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ﴾.

﴿وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾ أي: بل فِعْلهم أسوء من قولهم وأدلّ على تهالكهم بالمال، وهو أنّهم لا يكرمون اليتيم بالتّفقّد والمبرّة، وإغنائهم عن ذلّ السّؤال، ولايحثّون أهلهم على طعام المسكين.

﴿وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ﴾: الميراث ﴿أَكْلًا لَّمًّا﴾: ذا لَمّ، أي: جمع بين الحلال والحرام فإنّهم كانوا لا يورّثون النّساء والصّبيان ويأكلون أنصباءهم، أو يأكلون ما جمعه المورّث من حلال وحرام؛ عالمين بذلك.

﴿وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾: كثيراً مع حرص وشهوة.

﴿كَلَّا﴾ رَدْعٌ لهم عن ذلك، وما بعده وعيد عليه. ﴿إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾: دكّاً بعد دكّ، حتّى صارت منخفضة الجبال والتّلال، أو هباء منبثّاً.

١ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٤٨٧، عن أبي عبد الله عليه السلام.
٢ـ ذيل الآية: ٢٣ من هذه السّورة.
٣ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ١: ٢٠١، الباب: ١٥، قطعة من حديث: ١.

قال: «هي الزّلزلة»[1].

﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ قال: «أي: أمر ربّك»[2].

أقول: يعني ظهرت آيات قدرته وآثار قهره. ﴿وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ بحسب منازلهم ومراتبهم.

﴿وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ﴾ كقوله: "وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ"[3].

قال: «لمّا نزلت هذه الآية سئل عن ذلك رسول الله ﷺ. فقال: أخبرني الرّوح الأمين: أنّ الله لا إله غيره إذا برز الخلائق وجمع الأوّلين والآخرين، أُتي بجهنّم تقاد بألف زمام، أخذ بكلّ زمام مائة ألف يقودها؛ من الغلاظ الشّداد. لها هَدّة وغضب وزفير وشهيق، وإنّها لتزفر الزّفرة، فلولا أنّ الله أخّرهم للحساب لأهلكت الجميع، ثمّ يخرج منها عنق فيحيط بالخلائق، البرّ منهم والفاجر، ما خلق الله عبداً من عباد الله ملكاً ولا نبيّاً إلّا ينادي: ربّ نفسي نفسي! وأنت يا نبيّ الله تنادي: أُمّتي أُمّتي! ثمّ يوضع عليها الصّراط، أدقّ من الشّعر وأحدّ من حدّ السّيف، عليه ثلاث قناطر. فأمّا واحدة فعليها الأمانة والرّحم، والثّانية فعليها الصّلاة، والثّالثة فعليها ربّ العالمين لا إله غيره. فيكلّفون الممرّ عليها، فيحبسهم الرّحم والأمانة، فإن نجوا منها حبستهم الصّلاة، فإن نجوا منها كان المنتهى إلى ربّ العالمين، وهو قوله: "إنّ ربّك لبالمرصاد" والنّاس على الصّراط فمتعلّق بيد وتزلّ قدم ويستمسك بقدم، والملائكة حولها ينادون يا حليم اعف واصفح، وعُدْ بفضلك، وسلّم سلّم. والنّاس يتهافتون في النّار كالفراش فيها. فإذا نجا ناج برحمة الله مرّ بها فقال: الحمد

١ ـ القمّي ٢: ٤٢٠، عن أبي جعفر عليه السلام.

٢ ـ التّوحيد: ١٦٢، الباب: ١٩، الحديث: ١؛ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ١: ١٢٦، الباب: ١١، الحديث: ١٩، عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام.

٣ ـ الشّعراء (٢٦): ٩١؛ النّازعات (٧٩): ٣٦.

لله وبنعمته تتمّ الصّالحات وتزكو الحسنات، والحمد لله الذي نجاني منك بعد إياس[1]، بمنّه وفضله، إنّ ربّنا لغفور شكور»[2]. ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الإِنْسانُ وَأَنّىٰ لَهُ الذِّكْرىٰ﴾ أي: منفعة الذّكرى.

﴿يَقُولُ يا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَياتِي﴾ أي: لحياتي هذه، أو وقت حياتي في الدّنيا أعمالاً صالحة.

﴿فَيَوْمَئِذٍ لا يُعَذِّبُ عَذابَهُ أَحَدٌ﴾ أي: مثل عذابه.

﴿وَلا يُوثِقُ وَثاقَهُ أَحَدٌ﴾ أي: مثل وثاقه؛ لتناهيه في كفره وعناده.

﴿يا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ التي اطمأنّت إلى الحقّ.

﴿ارْجِعِي إِلىٰ رَبِّكِ﴾ كما بدأت منه ﴿راضِيَةً مَرْضِيَّةً﴾.

﴿فَادْخُلِي فِي عِبادِي﴾.

﴿وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾.

ورد ما ملخّصه: «إنّ المؤمن إذا أتاه ملك الموت ليقبض روحه جزع، فيقول له مالك الموت: لا تجزع يا وليّ الله، فوالّذي بعث محمّداً لأنا أبرّ بك وأشفق عليك من والد رحيم، افتح عينيك فانظر. قال: ويمثّل له رسول الله والأئمة ـ عليهم السلام ـ فيقال له: هؤلاء رفقاؤك فينظر فينادي روحه منادٍ من قبل ربّ العزّة فيقول: "يا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ" إلى محمّد وأهل بيته "ارْجِعِي إِلىٰ رَبِّكِ راضِيَةً" بالولاية "مَرْضِيَّةً" بالثّواب "فَادْخُلِي فِي عِبادِي" يعني محمّداً وأهل بيته "وَادْخُلِي جَنَّتِي" فما من شيءٍ أحبّ إليه من استلال روحه واللّحوق بالمنادي»[3].

١ ـ في المصدر: «بعد اليأس».

٢ ـ القمّي ٢: ٤٢٦، عن أبي جعفر عليه السلام، مع تفاوت يسير.

٣ ـ الكافي ٣: ١٢٧، الحديث: ٢، عن أبي عبد الله عليه السلام.

سورة البلد

[مكيّة، وهي عشرون آية][1]

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم

﴿لا أُقْسِمُ بِهٰذَا الْبَلَدِ﴾.

﴿وَأَنْتَ حِلٌّ بِهٰذَا الْبَلَدِ﴾. قيل: أي: أُقسم بهذا البلد الحرام؛ يعني مكّة؛ لشرف من حلّ به؛ وهو النّبيّ صلّى الله عليه وآله[2].

و ورد: «كانت قريش تعظّم البلد وتستحلّ محمّداً فيه. فقال الله: "لا أُقسم بهذا البلد وأنت حلّ بهذا البلد" يريد أنّهم استحلّوك فيه فكذّبوك وشتموك. وكان لا يأخذ الرّجل منهم فيه قاتل أبيه، ويتقلّدون لحاء شجر الحرم فيأمنون بتقليدهم إيّاه. فاستحلّوا من رسول الله ما لم يستحلّوا من غيره؛ فعاب الله ذلك عليهم»[3].

﴿وَوَالِدٍ وَما وَلَدَ﴾ قال: «يعني آدم وما ولد من الأنبياء والأوصياء وأتباعهم»[4].

وفي رواية: «أمير المؤمنين ومن ولد من الأئمّة عليهم السلام»[5].

١ـ ما بين المعقوفتين من «ب».

٢ـ التّبيان ١٠: ٣٥٠؛ البيضاوي ٥: ١٨٦.

٣ و ٤ـ مجمع البيان ٩ـ ١٠: ٤٩٣، عن أبي عبد الله عليه السلام.

٥ـ الكافي ١: ٤١٤، الحديث: ١١.

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإنسانَ فِي كَبَدٍ﴾ قيل: أي: في تعب ومشقّة، فإنّه يكابد مصائب الدّنيا وشدائد الآخرة[١]. والقمّي: أي: منتصباً[٢]. و ورد: «إنّ ابن آدم منتصب في بطن أُمّه، وذلك قول الله: "لقد خلقنا الإنسان في كبد" وما سوى ابن آدم فرأسه في دبره ويداه بين يديه»[٣].

﴿أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ﴾ فينتقم منه. قال: «يعني يقتل في قتله ابنة النّبيّ ﷺ»[٤]. **أقول:** أُريد به الثّالث.

﴿يَقُولُ أَهْلَكْتُ مالاً لُبَداً﴾: كثيراً، من تلبّد الشّيء إذا اجتمع.

قال: «يعني الذي جهّز به النّبيّ ﷺ في جيش العسرة»[٥].

وفي رواية: «هو عمرو بن عبد ودّ، حين عرض عليه عليّ بن أبي طالب عليه السلام الإسلام يوم الخندق، وقال: فأين ما أنفقت فيكم مالاً لبداً؟! وكان أنفق مالاً في الصّدّ عن سبيل الله، فقتله عليّ عليه السلام»[٦].

﴿أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ﴾.

﴿أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ﴾ يبصر بهما.

﴿وَلِساناً﴾ يترجم به عن ضمائره ﴿وَشَفَتَيْنِ﴾ يستر بهما فاه، ويستعين بهما على النّطق والأكل والشّرب وغيرها.

﴿وَهَدَيْناهُ النَّجْدَيْنِ﴾ قال: «سبيل الخير وسبيل الشّرّ»[٧].

﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ﴾ أي: فلم يشكر تلك الأيادي باقتحام العقبة؛ وهو الدّخول في أمر شديد.

﴿وَما أَدْراكَ مَا الْعَقَبَةُ﴾.

١ـ البيضاوي ٥: ١٨٦.
٢ـ القمّي ٢: ٤٢٣.
٣ـ علل الشرائع ٢: ٤٩٥، الباب: ٢٤٧، الحديث: ١، عن أبي عبد الله عليه السلام.
٤ و ٥ ـ القمّي ٢: ٤٢٣، عن أبي جعفر عليه السلام.
٦ـ القمّي ٢: ٤٢٢، عن أبي جعفر عليه السلام.
٧ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٤٩٤، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

﴿فَكُّ رَقَبَةٍ﴾.

﴿أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ﴾: ذي مجاعة.

﴿يَتِيماً ذا مَقْرَبَةٍ﴾: ذا قرابة.

﴿أَوْ مِسْكِيناً ذا مَتْرَبَةٍ﴾: ذا فقر. القمّي: لا يقيه من التراب شيء[1].

قال: «علم الله أنّه ليس كلّ إنسان يقدر على عتق رقبة، فجعل لهم السّبيل إلى الجنّة»[2].

وقال: «من أكرمه الله بولايتنا فقد جاز العقبة، ونحن تلك العقبة التي من اقتحمها نجا، ثمّ قال: النّاس كلّهم عبيد النّار غيرك وأصحابك، فإنّ الله فكّ رقابكم من النّار بولايتنا أهل البيت»[3].

وقال: «بنا تفكّ الرّقاب وبمعرفتنا، ونحن المطعمون في يوم الجوع، وهو المسغبة»[4].

﴿ثُمَّ كانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَواصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَواصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾.

﴿أُولئِكَ أَصْحابُ الْمَيْمَنَةِ﴾.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآياتِنا هُمْ أَصْحابُ الْمَشْأَمَةِ﴾.

﴿عَلَيْهِمْ نارٌ مُؤْصَدَةٌ﴾: مطبقة.

١ ـ القمّي ٢: ٤٢٢.

٢ ـ الكافي ٤: ٥٢، الحديث: ١٢؛ المحاسن: ٣٨٩، الباب: ١، الحديث: ٢٠، عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام.

٣ ـ الكافي ١: ٤٣٠، الحديث: ٨٨، عن أبي عبد الله عليه السلام.

٤ ـ القمّي ٢: ٤٢٣، عن أبي عبد الله عليه السلام.

سورة الشّمس

[مكيّة ، وهي خمس عشرة آية][1]

بسم الله الرّحمن الرّحيم

﴿وَالشَّمْسِ وَضُحاها﴾: امتداد ضوئها وانبساطه وإشراقه .

﴿وَالْقَمَرِ إِذا تَلاها﴾: طلع عند غروبها ، آخذاً من نورها .

﴿وَالنَّهارِ إِذا جَلّاها﴾ عند انبساطه .

﴿وَاللَّيْلِ إِذا يَغْشاها﴾ فيظلم الآفاق ويلبسها سواده .

قال: «الشّمس رسول الله صلّى الله عليه وآله ؛ به أوضح الله للنّاس دينهم ، والقمر أمير المؤمنين عليه السلام ، تلا رسول الله ونفثه بالعلم نفثاً . واللّيل أئمّة الجور الّذين استبدّوا بالأمر دون آل الرّسول ، وجلسوا مجلساً كان آل الرّسول أولى به منهم ، فغشّوا دين الله بالظّلم والجور . فحكى الله فعلهم فقال: "واللّيل إذا يغشيها" . والنّهار الإمام من ذرّيّة فاطمة ، يسأل عن دين رسول الله فيجلّيه لمن سأله فحكى الله قوله فقال: "والنّهار إذا جلّيها"»[2] .

---

١ ـ ما بين المعقوفتين من «ب» .

٢ ـ الكافي ٨: ٥٠ ، الحديث: ١٢ ؛ القمّي ٢: ٤٢٤ ، عن أبي عبد الله عليه السلام .

﴿وَالسَّماءِ وَما بَناها﴾: والقادر الّذي بناها.

﴿وَالْأَرْضِ وَما طَحاها﴾: والصّانع الّذي دحاها.

﴿وَنَفْسٍ وَما سَوّاها﴾: والخالق الّذي سوّاها، أي عدّل خلقها. القمّي: خلقها وصوّرها[١].

﴿فَأَلْهَمَها فُجُورَها وَتَقْواها﴾ قال: «بيّن لها ما تأتي وما تترك»[٢].

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكّاها﴾: طهّر نفسه.

﴿وَقَدْ خابَ مَنْ دَسّاها﴾: أغواها.

قال: «قد أفلح من أطاع، وقد خاب من عصى»[٣].

وقال: «من زكّاها أميرالمؤمنين زكّاه ربّه». ومن دسّاها هو الأوّل والثّاني، في بيعته إيّاه؛ حين مسح على كفّه»[٤].

قيل: «قد أفلح» جواب القسم، وحذف اللّام للطّول[٥].

وقيل: بل استطرد بذكر أحوال النّفس، والجواب محذوف، تقديره: ليُدَمْدِمَنَّ اللّه على كفّار مكّة لتكذيبهم رسوله، كما دَمْدَمَ على ثمود لتكذيبهم صالحاً[٦].

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْواها﴾ قال: «يقول: الطّغيان حملها على التّكذيب»[٧].

﴿إِذِ انْبَعَثَ أَشْقاها﴾: أشقى ثمود، وهو قدار بن سالف. القمّي: الّذي عقر النّاقة[٨].

﴿فَقالَ لَهُمْ رَسُولُ اللّهِ﴾: صالح ﴿ناقَةَ اللّهِ﴾ أي: ذروا ناقة اللّه، واحذروا عقرها

١ ـ القمّي ٢: ٤٢٤.

٢ ـ الكافي ١: ١٦٣، الحديث: ٣، عن أبي عبد اللّه عليه السلام؛ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٤٩٨، عن أبي جعفر وأبي عبد اللّه عليهما السلام.

٣ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٤٩٨، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٤ ـ القمّي ٢: ٤٢٤، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٥ ـ البيضاوي ٥: ١٨٧.

٦ ـ الكشّاف ٤: ٢٥٩؛ البيضاوي ٥: ١٨٧.

٧ ـ القمّي ٢: ٤٢٤، عن أبي جعفر عليه السلام.

٨ ـ القمّي ٢: ٤٢٤.

﴿وَسُقْيَاهَا﴾ فلا تذودوها[1] عنها.

﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ فيما حذّرهم من حلول العذاب إن فعلوا ﴿فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ﴾ فأطبق عليهم العذاب ﴿بِذَنْبِهِمْ﴾: بسببه ﴿فَسَوَّاهَا﴾: فسوّى الدمدمة، فلم يفلت منها صغير ولا كبير. القمّي: أخذهم بغتة وغفلة بالليل[2].

﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾: عاقبة الدمدمة، فيبقى بعض الإبقاء، كذا قيل[3].

والقمّي: من بعد هؤلاء الذين أهلكناهم لا يخافون[4].



١ ـ أي: لا تطردوها عن السّقي. ذاده: دفعه وطرده. المعجم الوسيط: ٣١٧ (ذود).

٢ ـ القمّي ٢: ٤٢٤.

٣ ـ البيضاوي ٥: ١٨٧.

٤ ـ القمّي ٢: ٤٢٤.

سورة اللّيل

[مكيّة، وهي إحدى وعشرون آية][1]

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم

﴿وَاللَّيْلِ إِذا يَغْشىٰ﴾: يغشى الشّمس أو النّهار.

﴿وَالنَّهارِ إِذا تَجَلّىٰ﴾: ظهر بزوال ظلمة اللّيل.

قال: «اللّيل في هذا الموضع الثّاني، غشي أمير المؤمنين عليه السلام في دولته الّتي جرت له عليه، وأمير المؤمنين عليه السلام يصبر في دولتهم، حتّى تنقضي. والنّهار هو القائم منّا أهل البيت، إذا قام غلب دولة الباطل. قال: والقرآن ضرب فيه الأمثال للنّاس، وخاطب نبيّه به ونحن، فليس يعلمه غيرنا»[2].

﴿وَما خَلَقَ﴾: والّذي خلق ﴿الذَّكَرَ وَالْأُنْثىٰ﴾.

﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتّىٰ﴾: إنّ مساعيكم لمختلفة، منكم من يسعى في الخير ومنكم من يسعى في الشرّ.

﴿فَأَمّا مَنْ أَعْطىٰ﴾ الطّاعة ﴿وَاتَّقىٰ﴾ المعصية.

١ ـ ما بين المعقوفتين من «ب».

٢ ـ القمّي ٢: ٤٢٥، عن أبي جعفر عليه السلام.

﴿وَصَدَّقَ بِالْحُسْنىٰ﴾: بالكلمة الحسنى، والمثوبة من اللّه. وفي رواية: «بالولاية»[١].

﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرىٰ﴾: فسنوفّقه حتّى تكون الطّاعة أيسر الأُمور عليه.

﴿وَأَمّا مَنْ بَخِلَ﴾ بما أُمر به ﴿وَاسْتَغْنىٰ﴾ بشهوات الدّنيا عن نعيم العقبى.

﴿وَكَذَّبَ بِالْحُسْنىٰ﴾.

﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرىٰ﴾: فسنخذله حتّى تكون الطّاعة له أعسر شيء.

﴿وَما يُغْنِي عَنْهُ مالُهُ إِذا تَرَدّىٰ﴾: إذا هلك.

«نزلت الآيات في أبي الدّحداح، حين اشترى نخلة كانت في دار رجل، لآخر يؤذيه بالدّخول عليه بغير إذن، فشكاه إلى رسول اللّه صلى الله عليه وآله. فقال لصاحب النّخلة: بعني نخلتك هذه بنخلة في الجنّة. فلم يقبل. فقال: بحديقة في الجنّة. فلم يقبل فاشتراها أبو الدّحداح منه بحائط له ـ وفي رواية: «بأربعين نخلة وأعطاها صاحب الدّار»[٢] ـ فقال رسول اللّه صلى الله عليه وآله لأبي الدّحداح: لك في الجنّة حدائق وحدائق. فأنزل اللّه في ذلك: "فأمّا من أعطى" الآيات». كذا ورد[٣].

وفي رواية. قال: «"فأمّا من أعطى" ممّا آتاه اللّه "واتّقى وصدّق بالحسنى"، أي: بأنّ اللّه يعطي بالواحد عشراً إلى مائة ألف فما زاد، "فسنيسّره لليسرى": لا يريد شيئاً من الخير إلّا يسّر اللّه له. و"أمّا من بخل" بما آتاه اللّه و"كذّب بالحسنى"، بأنّ اللّه يعطي بالواحد عشراً إلى مائة ألف، "فسنيسّره للعسرى": لا يريد شيئاً من الشّرّ إلّا يسّر له، "وما يغني عنه ماله إذا تردّى". قال: واللّه ما تردّى من جبل ولا من حائط ولا في بئر، ولكن تردّى في نار جهنّم»[٤].

﴿إِنَّ عَلَيْنا لَلْهُدىٰ﴾ القمّي: علينا أن نبيّن لهم[٥].

١ ـ القمّي ٢: ٤٢٦، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٢ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٥٠١، عن ابن عبّاس.

٣ ـ قرب الإسناد: ٣٥٥، الحديث: ١٢٧٣، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام؛ القمّي ٢: ٤٢٦.

٤ ـ الكافي ٤: ٤٦، الحديث: ٥، عن أبي جعفر عليه السلام.

٥ ـ القمّي ٢: ٤٢٦.

﴿ وَإِنَّ لَنا لَلآخِرَةَ وَالأُولىٰ ﴾ فنعطي في الدّارين ما تشاء لمن تشاء .

﴿ فَأَنْذَرْتُكُمْ ناراً تَلَظّىٰ ﴾: تتلهّب .

﴿ لا يَصْلاها إِلَّا الأَشْقَىٰ ﴾ .

﴿ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلّىٰ ﴾ القمّي: يعني هذا الذي بخل على رسول اللّه صلى الله عليه وآله ، أراد صاحب النّخلة[1] .

و ورد: «في جهنّم وادٍ فيه نار لا يصلاها إلّا الأشقى: فلان الذي كذّب رسول اللّه في عليّ ، وتولّى عن ولايته . ثمّ قال: النّيران بعضها دون بعض ، فما كان من نار بهذا الوادي فللنّصّاب»[2] .

﴿ وَسَيُجَنَّبُهَا الأَتْقَى ﴾ .

﴿ الَّذِي يُؤْتِي مالَهُ يَتَزَكّىٰ ﴾ القمّي: أبو الدّحداح[3] .

﴿ وَما لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزىٰ ﴾ فيقصد بإيتائه مكافأتها .

﴿ إِلَّا ابْتِغاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الأَعْلىٰ ﴾ ولكن يؤتيه للّه عزّوجلّ خالصاً مخلصاً .

﴿ وَلَسَوْفَ يَرْضىٰ ﴾ إذا أدخله اللّه الجنّة .

١ ـ القمّي ٢: ٤٢٦ .

٢ ـ القمّي ٢: ٤٢٦ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .

٣ ـ المصدر .

سورة الضّحى

[مكيّة ، وهي إحدى عشرة آية][1]

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم

﴿والضُّحىٰ﴾: أُقسم بوقت ارتفاع الشّمس .

﴿وَاللَّيْلِ إِذَا سَجىٰ﴾: وباللّيل إذا سكن أهله وركد ظلامه .

﴿ما وَدَّعَكَ رَبُّكَ﴾: ما قطعك قطع المودّع ، وبالتّخفيف: ما تركك ﴿وَما قَلىٰ﴾: وما أبغضك .

قال: «أبطأ جبرئيل على رسول اللّه . فقالت خديجة: لعلّ ربّك قد تركك فلا يرسل إليك ، فنزلت»[2] .

وفي رواية: «إنّ الوحي قد احتبس عنه أيّاماً ، فقال المشركون: إنّ محمّداً ودّعه ربّه وقلاه ، فنزلت»[3] .

﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولىٰ﴾ قال: «يعني الكرّة»[4] .

١ ـ ما بين المعقوفتين من «ب» .

٢ ـ القمّي ٢: ٤٢٨ ، عن أبي جعفر عليه السلام .

٣ ـ جوامع الجامع: ٥٤٤ .

٤ ـ القمّي ٢: ٤٢٧ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .

﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضىٰ﴾ . قال: «يعطيك من الجنّة حتّى ترضى»[١] .

وقال: «رضي جدّي أن لا يبقى في النّار موحّد»[٢] .

﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوىٰ﴾ .

﴿وَوَجَدَكَ ضالاًّ فَهَدى﴾ .

﴿وَوَجَدَكَ عائِلاً فَأَغْنىٰ﴾ . تعديد لما أنعم عليه ، تنبيهاً على أنّه كما أحسن إليه فيما مضى يُحْسِنُ فيما يستقبل .

قال: «يتيماً: فَرْداً لا مِثْلَ لك في المخلوقين ، فآوى النّاس إليك ، وضالاًّ في قوم لايعرفون فضلك»[٣] .

وفي رواية: «يعني عند قومك ؛ فهداهم إليك ، وعائلاً: تعول أقواماً بالعلم ؛ فأغناهم اللّه بك»[٤] . والقمّي: فأغناك بالوحي ، فلا تسأل عن شيء أحداً[٥] .

وفي رواية: «فأغنى بأن جعل دعاءك مستجاباً»[٦] . قال صلى الله عليه وآله: «مَنَّ عَلَيَّ ربّي ؛ وهو أهل المنّ»[٧] .

﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلا تَقْهَرْ﴾ القمّي: فلا تظلم ، والمخاطبة للنّبيّ والمعنيّ النّاس[٨] .

﴿وَأَمَّا السّائِلَ فَلا تَنْهَرْ﴾: لا تطرد .

١ ـ القمّي ٢: ٤٢٧ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .

٢ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٥٠٥ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .

٣ ـ المصدر: ٥٠٦ ، عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام ؛ القمّي ٢: ٤٢٧ ، عن أحدهما عليهما السلام .

٤ ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ١: ٢٠٠ ، الباب: ١٥ ، ذيل الحديث: ١ ؛ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٥٠٦ ، عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام .

٥ ـ القمّي ٢: ٤٢٧ .

٦ ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ١: ٢٠٠ ، الباب: ١٥ ، ذيل الحديث: ١ ؛ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٥٠٦ ، عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام .

٧ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٥٠٦ .

٨ ـ القمّي ٢: ٤٢٧ .

﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ قال: «بما أعطاك اللّه وفضّلك ورزقك وأحسن اليك وهداك»[١].

وفي رواية: «أمره أن يُحدّث بما أنعم اللّه عليه من دينه»[٢].

وفي أُخرى: «فحدّث بدينه وما أعطاه اللّه وما أنعم به عليه»[٣].

ورد: «إذا أنعم اللّه على عبده بنعمة وظهرت عليه، سمّي حبيب اللّه، محدّثاً بنعمة اللّه، وإذا أنعم اللّه على عبده بنعمة فلم تظهر عليه، سمّي بغيض اللّه، مكذّباً بنعمة اللّه»[٤].



١ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٥٠٧، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٢ـ المحاسن: ٢١٨، الحديث: ١١٥، عن حسين بن عليّ عليهما السلام.

٣ـ الكافي ٢: ٩٤، الحديث: ٥، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٤ـ الكافي ٦: ٤٣٨، الحديث: ٢، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

سورة الانشراح

[مكيّة ، وهي ثماني آيات][1]

بسم اللّه الرّحمٰن الرّحيم

﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ قيل: ألم نفسحه بالعلم والحكمة وتلقّى الوحي والصّبر على الأذى والمكاره ، حتّى وسع مناجاة الحقّ ودعوة الخلق ، فكان غائباً حاضراً[2] .

والقمّي: بعليّ عليه السلام ، فجعلناه وصيّك ، وبفتح مكّة ، ودخول قريش في الإسلام[3] .

ورد: «قيل له أينشرح الصّدر؟ قال: نعم . قالوا: يا رسول اللّه وهل لذلك علامة يعرف بها؟ قال: نعم ، التّجافي عن دارالغرور ، والإنابة إلى دارالخلود ، والإعداد للموت قبل نزوله»[4] .

﴿وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ﴾: ما ثقل عليك احتماله . القمّي: ثقل الحرب[5] .

﴿الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ﴾ قيل: أثقل ظهرك حتّى حمله على النّقيض ، وهو صوت

١ ـ ما بين المعقوفتين من «ب» .

٢ ـ البيضاوي ٥: ١٨٩ .

٣ ـ القمّي ٢: ٤٢٨ .

٤ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٥٠٨ ، عن ابن عبّاس ، عن رسول اللّه صلى الله عليه وآله .

٥ ـ القمّي ٢: ٤٢٨ .

الرّحل من ثقل الحمل[١]. وهو مَثَل، معناه: لو كان حملاً لسمع نقيض ظهره.

﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ القمّي: تذكر إذا ذكرت، وهو قول النّاس: أشهد أن لا إله إلاّ اللّه وأشهد أن محمّداً رسول اللّه[٢].

و ورد عنه في تفسيره: «قال لي جبرئيل: قال اللّه: إذا ذكرت ذكرت معي»[٣].

﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ﴾ كضيق الصّدر، والوزر المنقض للظّهر، وضلال القوم وإيذائهم ﴿يُسْراً﴾ كشرح الصّدر، ووضع الوزر، وتوفيق القوم للاهتداء والطّاعة. فلا تيأس من روح اللّه إذا عراك ما يغمّك.

﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً﴾ تأكيد أو استئناف بوعد يسر آخر، كثواب الآخرة.

﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ﴾.

﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾ يعني إذا فرغت من عبادة عقّبها بأُخرى و أوصل بعضها ببعض، ولا تخلِ وقتك من عبادة.

قال: «فإذا فرغت من الصّلاة المكتوبة، فانصب إلى ربّك في الدّعاء، وارغب إليه في المسألة يعطك»[٤].

وفي رواية: «فإذا فرغت من نبوّتك، فانصب عليّاً، وإلى ربّك فارغب في ذلك»[٥].

أقول: بناء هذه الرّواية على أنّه بكسر الصّاد، من النّصب بالتّسكين، بمعنى الرّفع والوضع، يعني إذا فرغت من أمر التّبليغ فارفع عَلَمَ هدايتك للنّاس، وضَعْ من يقوم به خلافَتك موضعَك.

١ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٥٠٨؛ البيضاوي ٥: ١٨٩.

٢ ـ القمّي ٢: ٤٢٨.

٣ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٥٠٨، عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله.

٤ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٥٠٩، عن أبي جعفر وأبي عبد اللّه عليهما السلام.

٥ ـ القمّي ٢: ٤٢٩، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

سورة التّين

[مكيّة ، وهي ثماني آيات][1]

بسم الله الرّحمن الرّحيم

﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ﴾ . قيل: خصّهما من الثّمار لفضلهما ، فإنّ التّين فاكهة طيّبة لاعجم له ، وغذاء لطيف سريع الهضم ، ودواء كثير النّفع ، فإنّه يليّن الطّبع ، ويحلّل البلغم ، ويطهّر الكليتين ، ويزيل رمل المثانة ، ويفتح سدّة الكبد والطّحال ، ويسمن البدن[2] .

وفي الحديث: «إنّه يقطع البواسير وينفع من النّقرس ، والزّيتون فاكهة وإدام ودواء ، وله دهن لطيف كثير المنافع»[3] .

﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾ قيل: يعني الجبل الّذي ناجى عليه موسى ربّه . وسينين وسيناء اسمان للموضع الّذي هو فيه[4] .

﴿وَهَـٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾ أي: الآمن يعني مكّة .

و ورد: «التّين المدينة ، والزّيتون بيت المقدس ، وطور سينين الكوفة ، وهـذا البـلد

١ ـ ما بين المعقوفتين من «ب» .

٢ ـ البيضاوي ٥: ١٨٩ .

٣ ـ المصدر ؛ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٥١٠ ، عن رسول الله صلى الله عليه وآله .

٤ ـ البيضاوي ٥: ١٩٠ .

الأمين مكّة»[١].

وفي روايه: «التّين والزّيتون الحسن والحسين. وطور سينا عليّ بن أبي طالب، وهذا البلد الأمين محمّد صلى الله عليه وآله»[٢].

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ تعديل، بأنْ خصّ بانتصاب القامة وحسن الصّورة، واستجماع خواصّ الكائنات ونظائر سائر الموجودات.

﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾ قيل: بأن جعلناه من أهل النّار[٣].

ورد: «الإنسان: الأوّل، ثمّ رددناه أسفل سافلين ببُغْضه أمير المؤمنين»[٤].

﴿إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾. قال: «عليّ بن أبي طالب»[٥]. ﴿فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾.

﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ﴾ قيل: فأيّ شيء يكذّبك يا محمّد، دلالة أو نطقاً، بعد ظهور هذه الدّلائل؟![٦] ﴿بِالدِّينِ﴾ قال: «بولاية عليّ»[٧]. وقيل: بالجزاء[٨]. ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ﴾.

١ـ الخصال ١: ٢٢٥، الحديث: ٥٨؛ معاني الأخبار: ٣٦٥، الحديث: ١، عن موسى بن جعفر، عن أبيه، عن آبائه، عن رسول الله (صلوات الله عليهم).

٢ـ المناقب (لابن شهرآشوب) ٣: ٣٩٣، عن أبي جعفر عليه السلام.

٣ـ البيضاوي ٥: ١٩٠.

٤ و ٥ـ المناقب (لابن شهرآشوب) ٣: ٣٩٤، عن موسى بن جعفر عليهما السلام.

٦ـ البيضاوي ٥: ١٩٠.

٧ـ المناقب (لابن شهرآشوب) ٣: ٣٩٤، عن موسى بن جعفر عليهما السلام.

٨ـ البيضاوي ٥: ١٩٠.

سورة العلق

[مكيّة ، وهي تسع عشرة آية][1]

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم

﴿إِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ . قال: «إنّها أوّل سورة نزلت[2] ، نزل بها جبرئيل على محمّد ، فقال: يا محمّد اقرأ . قال: وما أقرأ؟ قال: "اقرأ باسم ربّك الّذي خلق" يعني خلق نورك القديم قبل الأشياء»[3] .

﴿خَلَقَ الإِنْسانَ مِنْ عَلَقٍ﴾: من دم جامد بعد نطفة .

﴿إِقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ﴾ .

﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالقَلَمِ﴾ القمّي: علّم الإنسان بالكتابة ، الّتي بها تتمّ أُمور الدّنيا في مشارق الأرض ومغاربها»[4] .

﴿عَلَّمَ الإِنْسانَ ما لَمْ يَعْلَمْ﴾ . من أنواع الهدى والبيان .

﴿كَلّا﴾ رَدْعٌ لمن كفر بنعم الله لطغيانه ﴿إِنَّ الإِنْسانَ لَيَطْغى﴾ .

١ ـ ما بين المعقوفتين من «ب» .

٢ ـ القمّي ٢: ٤٢٨ ، عن أبي جعفر عليه السلام .

٣ ـ المصدر: ٤٣٠ ، عن أبي جعفر عليه السلام .

٤ ـ المصدر: ٤٣٠ .

﴿أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَىٰ﴾: لأن رأى نفسه مستغنية.

﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ﴾ الخطاب للإنسان على الالتفات، تهديداً وتحذيراً من عاقبة الطّغيان.

﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ﴾.

﴿عَبْداً إِذَا صَلَّىٰ﴾ ماذا يكون جزاؤه وما يكون حاله.

القمّي: كان الوليد بن المغيرة ينهى النّاس عن الصّلاة وأن يطاع اللّه ورسوله، فنزلت.[1] وروي: «إنّها نزلت في أبي جهل»[2].

﴿أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَىٰ﴾ يعني العبد المنهي عن الصّلاة وهو محمّد صلّى اللّه عليه وآله.

﴿أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَىٰ﴾ عن الشّرك، يعني أمر بالإخلاص والتّوحيد ومخافة اللّه، كيف يكون حال من ينهاه عن الصّلاة؟

﴿أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ﴾ من ينهاه ﴿وَتَوَلَّىٰ﴾ عن الإيمان وأعرض عن قبوله والإصغاء إليه، ما الّذي يستحقّ عليه من العقاب؟

﴿أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ﴾ ما يفعله ويعلم ما يصنعه.

﴿كَلَّا﴾ ردعٌ للناهي ﴿لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ﴾ عمّا هو فيه ﴿لَنَسْفَعاً بِالنَّاصِيَةِ﴾: لنأخذنّ بناصيته ولنسحبنّه بها إلى النّار. والسّفع: القبض على الشّيء وجذبه بشدّة.

﴿نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾.

﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ﴾ أي: أهل ناديه ليعينوه، وهو المجلس الّذي يتحدّث فيه القوم.

روي: «إنّ أبا جهل مرّ برسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله وهو يصلّي، فقال: ألم أنهك؟ فأغلظ له رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله. فقال: أتهدّدني وأنا أكثر أهل الوادي نادياً، فنزلت»[3].

والقمّي: لمّا مات أبو طالب نادى أبو جهل والوليد: هلمّ فاقتلوا محمّداً فقد مات

١ـ القمّي ٢: ٤٣٠.

٢ـ الدّرّ المنثور ٨: ٥٦٥، عن قتادة؛ جامع البيان (للطّبري) ٣٠: ١٦٣، عن مجاهد وقتادة.

٣ـ الكشّاف ٤: ٢٧٢؛ البيضاوي ٥: ١٩١.

ناصره. فقال الله: "فليدع ناديه"[1].

﴿سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ﴾ ليجرّوه إلى النّار. القمّي: كما دعا إلى قتل محمّد رسول الله، نحن أيضاً ندعو الزّبانية[2].

﴿كَلَّا لا تُطِعْهُ﴾ واثبت أنت على عبادة ربّك. ﴿وَاسْجُدْ﴾: ودُمْ على سجودك ﴿وَاقْتَرِبْ﴾: وتقرّبْ إلى ربّك.

ورد: «أقرب ما يكون العبد من الله وهو ساجد، وذلك قوله تعالى: "واسجد واقترب"»[3].



١ و ٢ ـ القمّي ٢: ٤٣١.

٣ ـ الكافي ٣: ٢٦٥، الحديث: ٣؛ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ٢: ٧، الباب: ٣٠، الحديث: ١٥، عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام؛ من لا يحضره الفقيه ١: ١٣٤، الحديث: ٦٢٨، عن أبي عبد الله عليه السلام.

سورة القدر

[مكيّة، وهي خمس آيات][1]

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم

﴿إِنّا أَنْزَلْناهُ﴾ يعني القرآن ﴿فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾. قال: «إنّ الله قدّر فيها ما هو كائن إلى يوم القيامة»[2].

وفي رواية: «فيها يقدّر كلّ شيء يكون في تلك السّنة إلى مثلها من قابل؛ من خيرٍ أو شرٍّ أو طاعةٍ أو معصيةٍ أو مولودٍ أو أجلٍ أو رزقٍ»[3].

و ورد: «أُنزل القرآن في ليلة ثلاث وعشرين من شهر رمضان»[4]. وقال: «نزل القرآن جملة واحدة في شهر رمضان إلى البيت المعمور، ثمّ نزل في طول عشرين سنة»[5].

﴿وَما أَدْراكَ ما لَيْلَةُ الْقَدْرِ﴾ فيه تفخيم لها.

﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾. ورد: «إنّ رسول الله ﷺ أُري في منامه أنّ بني أُميّة

١ـ ما بين المعقوفتين من «ب».

٢ـ معاني الأخبار: ٣١٥، الحديث: ١، عن أمير المؤمنين ؑ، عن رسول الله ﷺ.

٣ـ الكافي ٤: ١٥٧، الحديث: ٦، عن أبي جعفر ؑ، وفيه بدل «أو»، «و» في جميع المواضع.

٤ـ الكافي ٢: ٦٢٩، ذيل الحديث: ٦، عن النّبيّ ﷺ.

٥ـ المصدر، الحديث: ٦، عن أبي عبد الله ؑ.

يصعدون على منبره من بعده، ويضلّون النّاس عن الصّراط القهقرى، فأصبح كئيباً حزيناً»[١].

وفي رواية: «أُري كأنّ قروداً تصعد منبره ؛ فغمّه ذلك . فأنزل اللّه سورة القدر: "إنّا أنزلناه" الآيات»[٢].

قال: «"ليلة القدر خير من ألف شهر" تملكه بنو أُميّة ، ليس فيها ليلة القدر»[٣].

﴿تَنَزَّلُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيها بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾ . القمّي: تنزّل الملائكة وروح القدس على إمام الزّمان ، ويدفعون إليه ما قد كتبوه[٤].

و ورد: «إنّ الرّوح أعظم من جبرئيل ، إنّ جبرئيل من الملائكة وإنّ الرّوح هو خلق أعظم من الملائكة . أليس اللّه يقول: "تَنَزَّل المَلائِكةُ والرُّوح"»[٥].

﴿سَلامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾ . قال: «يقول: يسلّم عليك يا محمّد ملائكتي وروحي سلامي من أوّل ما يهبطون إلى مطلع الفجر»[٦].

وفي أدعيتهم: «سلام دائم البركة إلى طلوع الفجر ، على من يشاء من عباده بما أحكم من قضائه»[٧].

والقمّي: تحيّة يُحَيّى بها الإمام إلى أن يطلع الفجر[٨].

١ ـ الكافي ٤: ١٥٩ ، الحديث: ١٠ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .

٢ ـ القمّي ٢: ٤٣١ .

٣ ـ الصّحيفة السّجّادية: ١٨ ، عن أبي عبد اللّه ، عن آبائه ، عن عليّ عليهم السلام .

٤ ـ القمّي ٢: ٤٣١ .

٥ ـ الكافي ١: ٣٨٦ ، ذيل الحديث: ١ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .

٦ ـ المصدر: ٢٤٨ ، الحديث: ٤ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام . ، وفيه: «بسلامي» .

٧ ـ الصّحيفة السّجّادية: ٢٢٠ ، الدّعاء: ٤٤ من دعائه عليه السلام إذا دخل شهر رمضان .

٨ ـ القمّي ٢: ٤٣١ .

سورة البيّنة

[مكيّة ، وهي ثماني آيات][1]

بسم الله الرّحمن الرّحيم

﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ القمّي: يعني قريشاً[2] . ﴿مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِّينَ﴾ عن كفرهم ﴿حَتّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ . قال: «البيّنة محمّد صلى الله عليه وآله»[3] .

﴿رَسُولٌ مِنَ اللّٰهِ يَتْلُوا صُحُفاً مُطَهَّرَةً﴾ في السّماء لا يمسّها إلّا الملائكة المطهّرون . وقيل: مطهّرة عن الباطل ، وأُريد بالصّحف ما كتب فيها ، فإنّه كان يتلو عن ظهر قلبه لا عن كتاب ، لكنّه لمّا تلا مثل ما في الصّحف كان كالتّالي لها[4] .

﴿فِيها كُتُبٌ قَيِّمَةٌ﴾: مكتوبات مستقيمة عادلة غير ذات عوج .

﴿وَما تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ﴾ عمّا كانوا عليه ﴿إِلّا مِنْ بَعْدِ ما جاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ . قيل: يعني لم يزل كانوا مجتمعين في تصديق محمّد صلى الله عليه وآله حتّى بعثه الله ، فلمّا بعث تفرّقوا

١ ـ ما بين المعقوفتين من «ب» .

٢ ـ القمّي ٢: ٤٣٢ .

٣ ـ المصدر ، عن أبي جعفر عليه السلام .

٤ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٥٢٣ ؛ الجامع لأحكام القرآن (للقرطبي) ٢٠: ١٤٢ ، عن قتادة .

في أمره واختلفوا، فآمن به بعضهم وكفر آخرون[١]. والقمّي: لمّا جاءهم رسول اللّه بالقرآن خالفوه وتفرّقوا بعده[٢].

﴿وَما أُمِرُوا إِلّا لِيَعْبُدُوا اللّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ أي: لا يشركون به ﴿حُنَفاءَ﴾: مائلين عن العقائد الزّائغة. القمّي: طاهرين[٣]. ﴿وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكاةَ وَذٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ أي: دين الملّة القيّمة.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نارِ جَهَنَّمَ خالِدِينَ فِيها أُولٰئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّالِحاتِ أُولٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾. قال: «هم شيعتنا أهل البيت»[٤]. القمّي: نزلت في آل محمّد عليهم السلام[٥].

﴿جَزاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها أَبَداً رَضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ لأنّه بلغهم أقصى أمانيهم ﴿ذٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾ فإنّ الخشية ملاك الأمر والباعث على كلّ خير.

ورد: أنّه قال لرجل من الشّيعة: «أنتم أهل الرّضا عن اللّه جلّ ذكره برضاه عنكم، والملائكة إخوانكم في الخير، فإذا اجتهدتم ادعوا، وإذا غفلتم اجهدوا، وأنتم خير البريّة، دياركم لكم جنّة، وقبوركم لكم جنّة، للجنّة خُلِقتم، وفي الجنّة نعيمكم، وإلى الجنّة تصيرون»[٦].

١ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٥٢٣.

٢ و ٣ ـ القمّي ٢: ٤٣٢.

٤ ـ المحاسن: ١٧١، الباب: ٣٦، الحديث: ١٤٠، عن أبي جعفر عليه السلام.

٥ ـ القمّي ٢: ٤٣٢.

٦ ـ الكافي ٨: ٣٦٦، الحديث: ٥٥٦، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

سورة الزّلزال

[مدنيّة، وهي ثماني آيات][1]

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم

﴿إِذا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ زِلْزالَها﴾: اضطرابها.

﴿وَأَخْرَجَتِ الأَرْضُ أَثْقالَها﴾ القمّي: من النّاس[2].

﴿وَقالَ الإِنْسانُ ما لَها﴾.

﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبارَها﴾.

﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحىٰ لَها﴾. قال أمير المؤمنين عليه السلام: «أنا الإنسان الّذي يقول لها: مالَكِ، وإيّاي تحدّث الأخبار»[3].

ورد: «أخبارها أن تشهد على كلّ عبد وأمة بما عمله على ظهرها، تقول: عمل كذا وكذا، يوم كذا وكذا»[4].

﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النّاسُ﴾ من القبور إلى الموقف ﴿أَشْتاتاً﴾: متفرّقين بحسب مراتبهم.

١ ـ ما بين المعقوفتين من «ب».

٢ ـ القمّي ٢: ٤٣٣.

٣ ـ علل الشّرائع ٢: ٥٥٦، الباب: ٣٤٣، الحديث: ٨، عن فاطمة عليها السلام، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

٤ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٥٢٦، عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

القمّي: يجيئون أشتاتاً مؤمنين وكافرين ومنافقين[1]. ﴿لِيُرَوْا أعْمالَهُمْ﴾.

﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ﴾.

﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ﴾. قيل: هي أحكم آية في القرآن، وكان رسول الله صلّى الله عليه وآله يسمّيها الجامعة[2].



١ ـ القمّي ٢: ٤٣٣، وفيه: «يحيون أشتاتاً».

٢ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٥٢٧، عن عبد الله بن مسعود.

سورة العاديات

[مكيّة ، وهي إحدى عشرة آية][1]

بسم الله الرّحمن الرّحيم

﴿ وَالْعادِياتِ ضَبْحاً﴾ . قال: «يعني بالعاديات الخيل تعدو بالرّجال ، والضّبح ضبحها أعنّتها ولجمها»[2] .

أقول: الضّبح صوت أنفاس الخيل عند العدو .

﴿ فَالْمُورِياتِ قَدْحاً﴾ الّتي توري النّار ، أي: تخرجها بحوافرها من حجارة الأرض .

﴿ فَالْمُغِيراتِ صُبْحاً﴾ تغير أهلها على العدوّ في وقت الصّبح .

﴿ فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعاً﴾: فهيّجن بذلك الوقت غباراً . قال: «يعني الخيل يأثرن بالوادي نقعاً»[3] .

﴿ فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعاً﴾ من جموع الأعداء . القمّي: توسّط المشركون بجمعهم[4] .

١ ـ ما بين المعقوفتين من «ب» .

٢ ـ القمّي ٢: ٤٣٨ ، عن أبي عبد الله عليه السلام .

٣ ـ المصدر: ٤٣٩ ، عن أبي عبد الله عليه السلام .

٤ ـ المصدر .

أقول: كأنّه أراد به إحاطتهم بالمشركين، وهو في قراءة عليّ عليه السلام بتشديد السّين[١].

«نزلت في أهل وادي اليابس. اجتمعوا اثني عشر ألف فارس، وتعاقدوا على قتل محمّد وعليّ عليهما السلام، فنزل جبرئيل فأخبر بقصّتهم، فوجّه رسول اللّه صلى الله عليه وآله أبا بكر إليهم في سريّة بعد ما وصّاه بأمور، فرجع منهزماً يجبن أصحابه، مخالفاً لما أُمر به. ثمّ وجّه عمر إليهم كذلك، فرجع منهزماً يجبن أصحابه، مخالفاً لما أُمر به. فقال لعليّ عليه السلام: أنت صاحب القوم فسار إليهم، فلمّا كان عند وجه الصّبح أغار عليهم، فأقبل بالغنيمة والأُسارى، فأنزل اللّه: "والعاديات" إلى آخر السّورة». كذا ورد في قصّة طويلة[٢].

﴿إِنَّ الإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾ قال: «لكفور»[٣]. وهو جواب القسم. ﴿وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ﴾: يشهد على نفسه بالكنود لظهور أثره عليه، أو: إنّ اللّه على كنوده لشهيد.

﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾. قال: «يعنيهما أبا بكر وعمر، قد شهدا جميعاً وادي اليابس، وكانا لحبّ الحياة حريصين»[٤].

﴿أَفَلا يَعْلَمُ إِذا بُعْثِرَ ما فِي القُبُورِ﴾.

﴿وَحُصِّلَ ما فِي الصُّدُورِ﴾: جمع وظهر.

﴿إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَخَبِيرٌ﴾. قال: «نزلت الآيتان فيهما خاصّة، يضمران ضمير السّوء ويعملان به، فأخبر اللّه خبرهما وفعالهما»[٥].

١ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٥٢٨، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

٢ ـ القمّي ٢: ٤٣٤، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

٣ ـ تأويل الآيات ٢: ٨٤٣، الحديث: ٣، عن أبي جعفر عليه السلام.

٤ و ٥ ـ القمّي ٢: ٤٣٩، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

سورة القارعة

[مكيّة ، وهي إحدى عشرة آية][1]

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم

﴿القارِعَةُ﴾ الّتي تقرع النّاس بالإفزاع ، والأجرام بالانفطار والانتشار .

﴿مَا ٱلقارِعَةُ﴾ ما هي؟ أي: أيّ شيء هي؟ وهو تعظيم لشأنها وتهويل لها .

﴿وَما أدْراكَ مَا ٱلقارِعَةُ﴾: وأيّ شيء أعلمك ما هي؟! أي: أنّك لا تعلم كُنهها .

﴿يَوْمَ يَكُونُ النّاسُ كَالفَراشِ المَبْثُوثِ﴾ في كثرتهم وذلّتهم ، وانتشارهم واضطرابهم .

﴿وَتَكُونُ الجِبالُ كَالعِهْنِ المَنْفُوشِ﴾: كالصّوف ذي الألوان المندوف ، لتفرّق أجزائها وتطايرها في الجوّ .

﴿فَأَمّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوازِينُهُ﴾ بالحسنات ، بأن ترجّحت مقادير أنواع حسناته .

﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ﴾: في عيش ﴿راضِيَةٍ﴾: ذات رضى ، أي: مرضيّة .

﴿وَأمّا مَنْ خَفَّتْ مَوازِينُهُ﴾ من الحسنات ، بأن لم تكن له حسنة يعبأ بها ، أو ترجّحت سيّئاته على حسناته . وقد سبق تحقيق الوزن في الأعراف[2] .

١ ـ ما بين المعقوفتين من «ب» .

٢ ـ ذيل الآية: ٨ و ٩ .

﴿ فَأُمُّهُ هاوِيَةٌ ﴾: فمأواه النّار يأوي إليها، كما يأوي الولد إلى أُمّه. والهاوية من أسماء النّار. والقمّي: أُمّ رأسه يُقلّب في النّار على رأسه[1].

أقول: يعني يهوي فيها على أُمّ رأسه.

﴿ وَما أدْراكَ ما هِيَهْ ﴾.

﴿ نارٌ حامِيَةٌ ﴾: ذات حَمْيٍ أي: شديد الحرارة.



١ ـ القمّي ٢: ٤٤٠.

سورة التّكاثر

[مكيّة، وهي ثماني آيات][1]

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم

﴿أَلْهاكُمُ التَّكاثُرُ﴾: شغلكم التّباهي بالكثرة.

﴿حَتّىٰ زُرْتُمُ المَقابِرَ﴾: حتّى إذا استوعبتم عدد الأحياء صرتم إلى المقابر فتكاثرتم بالأموات. عبّر عن انتقالهم إلى ذكر الموتى بزيارة المقابر.

وقيل: ألهاكم التّكاثر بالأموال والأولاد إلى أن متّم وقبرتم؛ مضيّعين أعماركم في طلب الدّنيا عمّا هو أهمّ لكم، وهو السّعي لآخرتكم. فتكون زيارة القبور كناية عن الموت[2].

ويؤيّد الأوّل ما ورد: «أفبمصارع آبائهم يفخرون؟! أم بعديد الهلكى يتكاثرون؟! قال: ولأن يكونوا عِبَراً أحقّ من أن يكونوا مفتخراً. ولأن يهبطوا منهم جناب ذلّة أحجى من أن يقوموا بهم مقام عزّة»[3].

ويدلّ على الثّاني ما ورد أنّه قرأها فقال: «تكاثُر الأموال جَمْعُها من غير حقّها ومنعها

---

١ ـ ما بين المعقوفتين من «ب».

٢ ـ الكشّاف ٤: ٢٨١؛ البيضاوي ٥: ١٩٤.

٣ ـ نهج البلاغة (الصبحي الصالح): ٣٣٨، الخطبة: ٢٢١.

من حقّها وشدّها في الأوعية . "حتّى زرتم المقابر": حتّى دخلتم قبوركم»[1] .

و ورد أنّه تلا هذه السّورة فقال: «يقول ابن آدم: مالي مالي! ومالَك من مالِك إلّا ما أكلت فأفنيت، أو لبست فأبليت، أو تصدّقت فأمضيت»[2] .

﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ قال: «لو دخلتم قبوركم»[3] .

﴿ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ قال: «لو خرجتم من قبوركم إلى محشركم»[4] .

﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ﴾ .

﴿لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ﴾ . قال: «ذلك حين يؤتى بالصّراط فينصب بين جسري جهنّم»[5] . وفي رواية . قال: «المعاينة»[6] .

﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ﴾ . ولعلّ ذلك حين ورودها .

﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ . قال: «إنّ النّعيم الّذي يُسأل عنه رسولُ اللّه ومن حلّ محلّه من أصفياء اللّه ، فإنّ اللّه أنعم بهم على من اتّبعهم من أوليائهم»[7] .

وفي رواية: «إنّ اللّه عزّوجلّ لا يسأل عباده عمّا تفضّل عليهم به ، ولا يمنّ بذلك عليهم ، والامتنان بالإنعام مستقبح من المخلوقين فكيف يضاف إلى الخالق عزّوجلّ ما لا يرضي المخلوقين ، ولكن النّعيم حبّنا أهل البيت وموالاتنا ، يسأل اللّه عنه بعد التوحيد والنّبوّة ، لأنّ العبد إذا وفي بذلك أدّاه إلى نعيم الجنّة الّذي لا يزول»[8] .

١ ـ روضة الواعظين: ٤٩٣ ، عن رسول اللّه ﷺ .

٢ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٥٣٤ ، عن رسول اللّه ﷺ .

٣ و ٤ و ٥ ـ روضة الواعظين: ٤٩٣ ، عن رسول اللّه ﷺ .

٦ ـ المحاسن: ٢٤٧ ، الباب: ٢٩ ، الحديث: ٢٥٠ ، عن أبي عبد اللّه ؑ .

٧ ـ الاحتجاج ١: ٣٧٥ ، عن أمير المؤمنين ؑ .

٨ ـ عيون أخبار الرّضا ؑ ٢: ١٢٩ ، الباب: ٣٥ ، الحديث: ٨ .

سورة العصر

[مكيّة ، وهي ثلاث آيات][1]

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم

﴿وَالعَصْرِ﴾ . ﴿إنَّ الإنْسانَ لَفِي خُسْرٍ﴾ .

﴿إلاّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَواصَوْا بِالحَقِّ وَتَواصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ . قيل: أقسم بصلاة العصر أو بعصر النّبوّة ، أنّ النّاس لفي خسران في مساعيهم وصرف أعمارهم في مطالبهم ، "إلاّ الَّذينَ آمَنُوا وَعَمِلوا الصَّالِحَات وَتَواصَوا بِالحَقِّ" . الثّابت الذي لا يصحّ إنكاره من اعتقاد أو عمل ، "وتواصوا بالصّبر" عن المعاصي وعلى الطّاعات والمصائب ، فإنّهم اشتروا الآخرة بالدّنيا ، ففازوا بالحياة الأبديّة والسّعادة السّرمديّة[2] .

و ورد: «العصر عصر خروج القائم ، "إنَّ الانسانَ لَفِي خُسر" يعني أعداءنا . "إلاّ الَّذين آمنوا" يعني بآياتنا . "وعَمِلوُا الصَّالِحَات" يعني بمواساة الإخوان . "وَتَواصَوا بِالحَقِّ" يعني الإمامة . وَتَواصَوا بِالصَّبر" يعني بالعترة»[3] .

وفي قراءتهم عليهم السلام : «لفي خسر إلى آخر الدّهر»[4] .

١ ـ ما بين المعقوفتين من «ب» .

٢ ـ البيضاوي ٥: ١٩٤ .

٣ ـ كمال الدّين ٢: ٦٥٦ ، الباب: ٥٨ ، الحديث: ١ ، عن أبي عبد الله عليه السلام .

٤ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٥٣٦ ، عن أمير المؤمنين عليه السلام .

سورة الهمزة

[مكيّة، وهي تسع آيات][1]

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم

﴿وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ﴾. الهمز الكسر، واللّمز الطّعن، وشاعا في كسر الأعراض والطّعن فيها.

القمّي: همزة: الّذي يَغْمِزُ النّاس ويستحقر الفقراء، ولمزة: الّذي يلوي عنقه ورأسه، ويغضب إذا رأى فقيراً أو سائلاً[2].

﴿الَّذِي جَمَعَ مالاً وَعَدَّدَهُ﴾ وجعله عُدّة للنّوازل، أو عَدّه مرّة بعد أُخرى. القمّي: أعدّه ووضعه[3].

﴿يَحْسَبُ أَنَّ مالَهُ أَخْلَدَهُ﴾: تركه خالداً في الدّنيا. القمّي: يبقيه[4].

﴿كَلّا لَيُنْبَذَنَّ﴾: ليطرحنّ ﴿فِي الحُطَمَةِ﴾ النّار الّتي تحطم كلّ شيء.

﴿وَما أَدْراكَ مَا الحُطَمَةُ﴾.

﴿نارُ اللّٰهِ المُوقَدَةُ﴾ الّتي أوقدها الله، وما أوقده الله لا يقدر غيره أن يطفئه.

﴿الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الأَفْئِدَةِ﴾ القمّي: تلتهب على الفؤاد[5].

١ ـ ما بين المعقوفتين من «ب».

٢ و ٣ و ٤ ـ القمّي ٢: ٤٤١.

٥ ـ القمّي ٢: ٤٤١.

﴿إِنَّها عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ﴾: مطبقة .

﴿فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ﴾ أي: موثّقين في أعمد ممدودة .

قال في حديث: «ثمّ مدّت العمد فأوصدت عليهم ، وكان والله الخلود»[1] .



١ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠ : ٥٣٩ ، عن أبي جعفر عليه السلام .

سورة الفيل

[مكيّة، وهي خمس آيات][1]

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾.

﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ﴾ في هدم الكعبة ﴿فِي تَضْلِيلٍ﴾: في تضييع وإبطال، بأن دمّرهم وعظّم شأنها.

﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْراً أَبَابِيلَ﴾: جماعات.

﴿تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ﴾: من طين متحجّر.

﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ﴾: كتبْنٍ أكلته الدّوابّ.

قال: «نزلت في الحبشة حين جاؤوا بالفيل ليهدموا به الكعبة. فلمّا أدنوه من باب المسجد قال له عبد المطّلب: تدري أين يُؤَمُّ بك؟ قال برأسه: لا. قال: أتوا بك لتهدم كعبة اللّه، أتفعل ذلك؟ فقال برأسه: لا. فجهدت به الحبشة ليدخل المسجد فامتنع، فحملوا عليه بالسّيوف وقطعوه. فأرسل اللّه عليهم طيراً أبابيل، قال: بعضها إلى أثر بعض "ترميهم بِحِجَارَةٍ مِن سِجّيل". قال: كان مع كلّ طير ثلاثة أحجار؛ حجر في منقاره وحجران في مَخالبه، وكانت ترفرف على رؤوسهم، وترمي في دماغهم فيدخل الحجر في دماغهم

١ـ ما بين المعقوفتين من «ب».

ويخرج من أدبارهم وينتقض أبدانهم . فكانوا كما قال: "فَجَعَلهُم كَعَصفٍ مَأكُـول" . قـال: العصف: التِّبْن ، والمأكول هو الذي يبقى من فضله»[١] .

وهذه القصّة وردت بروايات مختلفة في ألفاظها مع زيادات في بعضها .



١ ـ الكافي ١: ٤٤٧ ، الحديث: ٢٥ ؛ و٤: ٢١٦ ، الحديث: ٢ ، عن أبي عبد الله‌ عليه السلام ؛ الأمـالي (للـطّوسي) ١: ٧٨ ، عن أبي عبد الله ، عن أبيه ، عن جدّه عليهم السلام .

سورة قريش

[مكيّة ، وهي أربع آيات][1]

بسم اللّه الرّحمٰن الرّحيم

﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ﴾ متعلّق بقوله: فليعبدوا ، أو بمحذوف ، أو كعصف مأكول .

﴿إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ﴾ .

﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ﴾ .

﴿الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ .

القمّي: نزلت في قريش ، لأنّه كان معاشهم من الرّحلتين: رحلة في الشّتاء إلى اليمن ، ورحلة في الصّيف إلى الشّام ، وكانوا يحملون من مكّة الأدم واللّبّ ، وما يقع من ناحية البحر من الفلفل وغيره ، فيشترون بالشّام الثّياب والدّرمك والحبوب ، وكانوا يتألّفون في طريقهم ، ويثبتون في الخروج في كلّ خرجة رئيساً من رؤساء قريش ، وكان معاشهم من ذلك . فلمّا بعث اللّه نبيّه صلّى اللّه عليه وآله ، استغنوا عن ذلك ، لأنّ النّاس وفدوا على رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله وحجّوا إلى البيت . فقال اللّه: "فَلْيَعْبُدوا رَبَّ هٰذَا البَيتِ الَّذي أطعَمَهُم مِن جُوع" فلايحتاجون أن يذهبوا إلى الشّام . "وآمَنَهُم مِن خوف" يعني خوف الطّريق[2] .

١ ـ ما بين المعقوفتين من «ب» .

٢ ـ القمّي ٢: ٤٤٤ .

سورة الماعون

[مكيّة ، وهي سبع آيات][1]

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم

﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ﴾ بالجزاء . القمّي: نزلت في أبي جهل وكفّار قريش[2] .

﴿فَذٰلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ﴾ القمّي: يدفعه عن حقّه[3] . قيل: كان أبو جهل وصيّاً ليتيم ، فجاءه عرياناً يسأله من مال نفسه فدفعه ، وأبو سفيان نحر جزوراً فسأله يتيم لحماً ، فقرعه بعصاه[4] .

﴿وَلا يَحُضُّ عَلىٰ طَعامِ الْمِسْكِينِ﴾: ولا يرغب لعدم اعتقاده بالجزاء ، ولذلك رتّب الجملة على يكذّب بالفاء .

﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ﴾ . الفاء جزائيّة . يعني إذا كان عدم المبالاة باليتيم والمسكين من تكذيب الدين ، فالسّهو عن الصّلاة الّتي هي عماد الدين والمراءاة بها ، ومنع الزّكاة أحقّ بذلك ، ولهذا رتّب عليه الويل .

١ ـ ما بين المعقوفتين من «ب» .

٢ و ٣ ـ القمّي ٢: ٤٤٤ .

٤ ـ البيضاوي ٥: ١٩٦ .

﴿ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلاتِهِمْ ساهُونَ ﴾: غافلون غير مبالين بها .

سُئل: أهي وسوسة الشّيطان؟ فقال: «لا ، كلّ أحد يصيبه هذا ، ولكن أن يغفلها ويدع أن يصلّي في أوّل وقتها»[١] .

وقال: «هو تأخير الصّلاة عن أوّل وقتها لغير عذر»[٢] .

و ورد: «ليس عمل أحبّ إلى الله عزّوجلّ من الصّلاة ، فلا يشغلنّكم عن أوقاتها شيء من أمور الدّنيا فإنّ الله عزّوجلّ ذمّ أقواماً فقال: "الّذين هُم عَن صَلاتِهِم ساهُون" يعني إنّهم غافلون ، استهانوا بأوقاتها»[٣] .

وفي رواية: «هو التّرك لها والتّواني عنها»[٤] . وفي أُخرى: «هو التّضييع»[٥] .

﴿ الَّذِينَ هُمْ يُراءُونَ ﴾ النّاس بصلاتهم ليثنوا عليهم .

قال: «يريد بهم المنافقين الّذين لا يرجون لها ثواباً إن صلّوا ، ولا يخافون عليها عقاباً إن تركوا ، فهم عنها غافلون حتّى يذهب وقتها ، فإذا كانوا مع المؤمنين صلّوها رياء ، وإذا لم يكونوا معهم لم يصلّوا ، وهو قوله: "الّذين هُم يُرآؤون"»[٦] .

﴿ وَيَمْنَعُونَ الماعُونَ ﴾ . قال: «هو الزّكاة المفروضة»[٧] .

وفي رواية: «هو ما يتعاوره النّاس بينهم من الدّلو والفأس ، وما لا يمنع كالماء والملح»[٨] .

١ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٥٤٨ ، عن أبي عبد الله عليه السلام .

٢ ـ القمّي ٢: ٤٤٤ ، عن أبي عبد الله عليه السلام .

٣ ـ الخصال ٢: ٦٢١ ، قطعة من حديث: ١٠ ، عن أبي عبد الله ، عن آبائه ، عن أمير المؤمنين عليهم السلام .

٤ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٥٤٨ ، عن أبي عبد الله عليه السلام .

٥ ـ الكافي ٣: ٢٦٨ ، الحديث: ٥؛ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٥٤٨ ، عن أبي الحسن عليه السلام .

٦ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٥٤٧ ، عن أمير المؤمنين عليه السلام .

٧ ـ المصدر: ٥٤٨ ، عن أمير المؤمنين وأبي عبد الله عليهما السلام .

٨ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٥٤٧ .

وفي أُخرى: «هو القرض تقرضه والمعروف تصنعه ومتاع البيت تعيره، ومنه الزّكاة. قيل له: إنّ لنا جيراناً إذا أعرناهم متاعاً كسروه وأفسدوه؛ فعلينا جناح إن نمنعهم؟ فقال: لا، ليس عليكم جناح أن تمنعوهم إذا كانوا كذلك»[١].



١ ـ الكافي ٣: ٤٩٩، الحديث: ٩؛ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٥٤٨، عن أبي عبد الله عليه السلام.

سورة الكوثر

[مكيّة ، وهي ثلاث آيات][1]

بسم الله الرّحمن الرّحيم

﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾: الخير الكثير في الغاية ، وفسّر بالعلم والعمل ، وبالنّبوّة والكتاب ، وبشرف الدّارين ، وبالذّريّة الطّيّبة ، وبالشّفاعة . والأخير مرويّ[2] .

وفي رواية: «هو نهر في الجنّة ؛ أعطاه اللّه نبيّه عوضاً من ابنه»[3] .

و ورد: «الكوثر نهر يجري تحت عرش اللّه تعالى ، ماؤه أشدّ بياضاً من اللّبن وأحلى من العسل وألين من الزّبد ، حصاه الزّبرجد والياقوت والمرجان ، حشيشه الزّعفران ، ترابه المسك الأذفر . ثمّ قال: يا عليّ هذا النّهر لي ولك ولمحبّيك من بعدي»[4] .

وسئل عنه النّبيّ صلى الله عليه وآله حين نزلت السّورة ، فقال: «نهر وعدنيه ربّي ، عليه خير كثير ؛ هو حوضي ترد عليه أُمّتي يوم القيامة ، آنيته عدد نجوم السّماء ، فيختلج القرن منهم ، فأقول: يا ربّ إنّهم من أُمّتي ، فيقال: إنّك لا تدري ما أحدثوا بعدك»[5] .

١ ـ ما بين المعقوفتين من «ب» .

٢ و ٣ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٥٤٩ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .

٤ ـ الأمالي (للطّوسي) ١: ٦٧ ، عن رسول اللّه صلى الله عليه وآله .

٥ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٥٤٩ ، عن رسول اللّه صلى الله عليه وآله .

﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ﴾: فدُمْ على الصّلاة ﴿وَٱنْحَرْ﴾. قال: «هو رفع يديك حذاء وجهك»[١].

و ورد: «قال النّبيّ صلّى الله عليه وآله لجبرئيل عليه السلام: ما هذه النّحيرة الّتي أمرني بها ربّي؟ قال: ليست بنحيرة، ولكنّه يأمرك إذا تحرّمت للصّلاة أن ترفع يديك إذا كبّرت، وإذا ركعت، وإذا رفعت رأسك من الرّكوع، وإذا سجدت، فإنّه صلاتنا وصلاة الملائكة في السّماوات السّبع، فإنّ لكلّ شيء زينة، وإنّ زينة الصّلاة رفع الأيدي عند[٢] كلّ تكبيرة»[٣].

وفي رواية: «النّحر الاعتدال في القيام؛ أن يقيم صلبه ونحره»[٤].

﴿إِنَّ شَانِئَكَ﴾: مبغضك ﴿هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾: الّذي لا عقب له، إذ لا يبقى له نسل ولا حُسْن ذكر، وأمّا أنت فتبقى ذرّيّتك وحسن صيتك وآثار فضلك إلى يوم القيامة، ولك في الآخرة ما لا يدخل تحت الوصف.

القمّي: دخل رسول الله صلّى الله عليه وآله المسجد وفيه عمرو بن العاص والحكم بن العاص، فقال عمرو: يا أبا الأبتر! وكان الرّجل في الجاهليّة إذا لم يكن له ولد سمّي أبتر. ثمّ قال عمرو: إنّي لأشنأُ محمّداً، أي: أبغضه، فأنزل الله على رسوله السّورة. "إِنَّ شَانِئَكَ" أي: مبغضك "هُوَ الأَبْتَرُ" يعني لا دين له ولا نسب[٥].

١ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٥٥٠، عن أبي عبد الله عليه السلام.

٢ـ في «ألف» و«ج»: «على كلّ».

٣ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٥٥٠، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

٤ـ الكافي ٣: ٣٣٦، الحديث: ٩، عن أبي جعفر عليه السلام.

٥ـ القمّي ٢: ٤٤٥.

سورة الكافرون[1]

[مكيّة، وهي ستّ آيات][2]

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم

﴿قُلْ يا أَيُّهَا الكافِرُونَ﴾.

﴿لا أَعْبُدُ ما تَعْبُدُونَ﴾.

﴿وَلا أَنْتُمْ عابِدُونَ ما أَعْبُدُ﴾.

﴿وَلا أَنَا عابِدٌ ما عَبَدْتُمْ﴾.

﴿وَلا أَنْتُمْ عابِدُونَ ما أَعْبُدُ﴾.

﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾: لا تتركونه ولا أتركه.

قال: «سبب نزولها وتكرارها: أنّ قريشاً قالت لرسول الله صلّى الله عليه وآله تعبد آلهتنا[3] سنة ونعبد إلهك سنة، وتعبد آلهتنا سنة ونعبد إلهك سنة!! فأجابهم الله بمثل ما قالوا»[4].

١ ـ في «ج»: «سورة الجحد».

٢ ـ ما بين المعقوفتين من «ب».

٣ ـ في «ألف» و«ج»: «إلهنا» في الموضعين.

٤ ـ القمّي ٢: ٤٤٥، عن أبي عبد الله عليه السلام.

سورة النّصر

[مدنيّة ، وهي ثلاث آيات][1]

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم

﴿إِذا جاءَ نَصْرُ اللّٰهِ﴾ إيّاك على أعدائك ﴿وَالْفَتْحُ﴾: فتح مكّة .

﴿وَرَأَيْتَ النّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللّٰهِ أَفْواجاً﴾: جماعات ، كأهل مكّة والطّائف واليمن وسائر قبائل العرب .

﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾: فنزّهه ، حامداً له على أن صدق وعده ﴿وَاسْتَغْفِرْهُ﴾ هضماً لنفسك أو لأُمّتك ﴿إِنَّهُ كانَ تَوّاباً﴾ .

القمّي: نزلت بمنى في حجّة الوداع ، فلمّا نزلت قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله: «نعيت إليّ نفسي»[2] .

قيل: لعلّ ذلك لدلالتها على تمام الدّعوة وكمال أمر الدّين[3] .

و ورد: «أوّل ما نزل: "إقرأ بِاسمِ رَبِّكَ" وآخره: "إذا جاءَ نَصرُ اللّٰهِ"»[4] .

١ ـ ما بين المعقوفتين من «ب» .

٢ ـ القمّي ٢: ٤٤٦ ؛ الكشّاف ٤: ٢٩٥ .

٣ ـ البيضاوي ٥: ١٩٨ .

٤ ـ الكافي ٢: ٦٢٨ ، الحديث: ٥ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام ؛ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ٢: ٦ ، الباب: ٣٠ ، الحديث: ١٢ ، عن أبي الحسن الرّضا ، عن أبيه ، عن جدّه عليهم السلام .

سورة تبّت[1]

[مكيّة ، وهي خمس آيات][2]

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم

﴿تَبَّتْ يَدا أَبِي لَهَبٍ﴾ أي: خسرت وهلكت ، فإنّ التّباب خسران يؤدّي إلى الهلاك . قيل: أُريد بيديه نفسه كقوله: ﴿وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ﴾[3] . وقيل: بل المراد دنياه وأُخراه[4] .

﴿وَتَبَّ﴾ إخبار بعد إخبار ، أو دعاء عليه بعد دعاء .

ورد: «إنّه قال لرسول الله صلّى الله عليه وآله: تبّاً لك ، فأنزل الله السّورة»[5] .

القمّي: كان اسم أبي لهب: عبد مناف ، فكنّاه الله ؛ لأنّ منافاً اسم صنم يعبدونه[6] .

﴿ما أَغْنىٰ عَنْهُ مالُهُ وَما كَسَبَ﴾ حين نزل به التّباب .

قيل: إنّه مات بالعَدَسَة[7] بعد وقعة بدر بأيّام معدودة ، وترك ثلاثاً حتّى أنتن ، ثمّ

١ ـ في «ألف» و«ب»: «سورة اللهب» .

٢ ـ ما بين المعقوفتين من «ب» .

٣ ـ البيضاوي ٥: ١٩٨ . والآية في سورة البقرة (٢): ١٩٥ .

٤ ـ المصدر .

٥ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٥٥٩ ، عن ابن عبّاس ؛ الكشّاف ٤: ٢٩٦ .

٦ ـ القمّي ٢: ٤٤٨ .

٧ ـ العَدَسَة: بَثْرَةٌ تخرج في البدن كالطّاعون ، وقلّما يسلم صاحبها . المعجم الوسيط: ٥٨٧ (عدس) .

استوجر بعض السّودان فدفنوه[١].

﴿سَيَصْلَىٰ ناراً ذاتَ لَهَبٍ﴾.

﴿وَٱمْرَأَتُهُ﴾ وهي أُمّ جميل أُخت أبي سفيان ﴿حَمّالَةَ الحَطَبِ﴾ قيل: يعني حطب جهنّم، فإنّها كانت تحمل الأوزار بمعاداة الرّسول صلى الله عليه وآله، وتحمل زوجها على إيذائه[٢]. وقيل: بل أُريد به حزمة الشّوك والحَسَك[٣]؛ كانت تحملها فتنثرها باللّيل في طريق رسول الله صلى الله عليه وآله[٤].

القمّي: وكانت تنمّ على رسول الله، وتنقل أحاديثه إلى الكفّار[٥].

﴿فِي جِيدِها حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ﴾ أي: ممّا مسد، يعني فتل. القمّي: أي: من نار[٦].



١ و ٢ ـ البيضاوي ٥: ١٩٩.

٣ ـ الحَسَك: نبات له ثمرة خشنة تتعلّق بأصواف الغنم وأوبار الإبل. المعجم الوسيط: ١٧٣ (حسك).

٤ ـ الكشّاف ٤: ٢٩٧؛ البيضاوي ٥: ١٩٩.

٥ و ٦ ـ القمّي ٢: ٤٤٨.

سورة الإخلاص[1]

[مكيّة، وهي أربع آيات][2]

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم

﴿قُلْ هُوَ اللّٰهُ أَحَدٌ﴾.

﴿اللّٰهُ الصَّمَدُ﴾.

﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾.

﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ﴾.

قال: «إنّ اليهود سألوا رسول الله ﷺ، فقالوا: أنسب لنا ربّك. فلبث ثلاثاً لا يجيبهم، ثمّ نزلت: "قُل هُوَ اللّٰهُ أَحَد" إلى آخرها»[3].

قال: «اللّه معناه المعبود الّذي أَلِهَ الخلق عن درك ماهيّته[4] والإحاطة بكيفيّته، ويقول العرب: أله الرّجل: إذا تحيّر في الشّيء فلم يحط به علماً، ووله: إذا فزع إلى شيء ممّا يخافه ويحذره، والإله هو المستور عن حواسّ الخلق»[5].

١ ـ في «ألف» و«ج»: «سورة التوحيد».

٢ ـ ما بين المعقوفتين من «ب».

٣ ـ الكافي ١: ٩١، الحديث: ١؛ التوحيد: ٩٣، الباب: ٤، الحديث: ٨، عن أبي عبد الله عليه السلام.

٤ ـ في «ألف» و«ج»: «مائيّته».

٥ ـ التّوحيد: ٨٩، الباب: ٤، الحديث: ٢، عن أبي جعفر عليه السلام.

وقال: «الأحد: الفرد المتفرّد، والأحد والواحد بمعنى واحد وهو المتفرّد الّذي لا نظير له. والتّوحيد: الإقرار بالوحدة وهو الانفراد. والواحد: المباين الّذي لا ينبعث من شيء ولايتّحد بشيء، ومن ثَمَّ قالوا: إنّ بناء العدد من الواحد وليس الواحد من العدد؛ لأنّ العدد لايقع على الواحد بل يقع على الاثنين، فمعنى قوله: "اللّه أحد" أي: المعبود الّذي يأله الخلق عن إدراكه والإحاطة بكيفيّته، فَرْدٌ بإلهيته، متعالٍ عن صفات خلقه»[١].

"اللّهُ الصَّمَدُ" قال: «الصّمد: الّذي لا جوف له. والصّمد: الّذي قد انتهى سؤدده، والصّمد: الّذي لا يأكل ولا يشرب، والصّمد: الّذي لا ينام، والصّمد: الدّائم الّذي لم يزل ولايزال. وقال: الصّمد: السّيّد المطاع الّذي ليس فوقه آمر وناهٍ، وقال: الصّمد: الّذي لا شريك له، ولا يؤوده حفظ شيء، ولا يعزب عنه شيء»[٢].

قال: «وكان محمّد بن الحنفيّة يقول: الصّمد: القائم بنفسه، الغنيّ عن غيره. قال: وقال غيره: الصّمد المتعالي عن الكون والفساد، والصّمد الّذي لا يوصف بالتّغاير»[٣].

وسئل عن تفسير الصّمد فقال: «إنّ اللّه سبحانه قد فسّر الصّمد فقال: "اللّهُ أَحَدٌ، اللّهُ الصَّمَدُ" ثمّ فسّره فقال: لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ" لم يلد: لم يخرج منه شيء كثيف كالولد وسائر الأشياء الكثيفة الّتي تخرج من المخلوقين، ولا شيء لطيف كالنّفس، ولا تتشعب منه البدوات، كالسّنة والنّوم والخطرة والهمّ والحزن والبهجة والضّحك والبكاء والخوف والرّجاء والرّغبة والسّامة والجوع والشّبع، تعالى عن أن يخرج منه شيء، وأن يتولّد منه شيء كثيف أو لطيف، ولم يولد: ولم يتولّد من شيء، ولم يخرج من شيء، كما يخرج الأشياء الكثيفة من عناصرها كالشّيء من الشّيء والدّابّة من الدّابة والنّبات من الأرض والماء من الينابيع والثّمار من الأشجار، ولا كما تخرج الأشياء اللّطيفة من مراكزها، كالبصر من العين والسّمع من الأُذن والشّمّ من الأنف والذّوق من الفم والكلام من

١ ـ التّوحيد: ٨٩، الباب: ٤، ذيل الحديث: ٢، عن أبي جعفر عليه السلام.

٢ ـ التّوحيد: ٩٠، الحديث: ٣، عن أبي جعفر، عن أبيه، عن عليّ بن الحسين عليهم السلام.

٣ ـ التّوحيد: ٩٠، الباب: ٤، الحديث: ٣، عن أبي جعفر عليه السلام.

اللّسان والمعرفة والتّمييز من القلب، وكالنّار من الحجر، لا؛ بل هو اللّه الصّمد الّذي لا من شيء ولا في شيء ولا على شيء، مبدع الأشياء وخالقُها، ومنشئ الأشياء بقدرته، يتلاشى ما خلق للفناء بمشيئته، ويبقى ما خلق للبقاء بعلمه، فذلكم اللّه الصّمد الّذي لم يلد ولم يولد، عالم الغيب والشّهادة، الكبير المتعال، ولم يكن له كفواً أحد»[١].

وفي رواية: «لم يلد فيكون له ولد يرثه[٢] ملكه، ولم يولد فيكون له والد يشركه في ربوبيّته وملكه، ولم يكن له كفواً أحد فيعازّه في سلطانه»[٣].

وفي أُخرى: «هو اللّه أحد بلا تأويل عدد، "الصّمد" بلا تبعيض بَدَد، لم يلد فيكون موروثاً هالكاً، ولم يولد فيكون إلهاً مشاركاً ـ وفي لفظ آخر: فيكون في العزّ مشاركاً[٤] ـ ولم يكن له من خلقه كفواً أحد»[٥].



١ ـ التّوحيد: ٩٠، الباب: ٤، الحديث: ٥؛ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٥٦٦، عن أبي عبد اللّه، عن أبيه، عن الحسين بن عليّ عليهم السلام.

٢ ـ في «ج»: «يريد».

٣ ـ التّوحيد: ٩٣، الباب: ٤، الحديث: ٦، عن أبي عبد اللّه، عن أبي جعفر عليهما السلام.

٤ ـ نهج البلاغة (الصبحي الصالح): ٢٦٠، الخطبة: ١٨٢، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

٥ ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٥٦٦، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

سورة الفلق

[مكّيّة . وهي خمس آيات][1]

بسم اللّه الرّحمٰن الرّحيم

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾: ما يفلق عنه ، أي: يفرق عنه ، وخصّ عرفاً بالصّبح وفسّر به .

وسئل عن الفلق ، فقال: «صدع في النار فيه سبعون ألف دار ، في كلّ دار سبعون ألف بيت ، في كلّ بيت سبعون ألف أسود ، في جوف كلّ أسود سبعون ألف جرّة سمّ ، لابدّ لأهل النّار من أن يمرّوا عليها»[2] .

والقمّي: الفلق جبٌّ في جهنّم يتعوّذ أهل النّار من شدّة حرّه ، سأل اللّه أن يأذن له أن يتنفّس فأذن له ؛ فتنفّس فأحرق جهنّم[3] .

﴿مِنْ شَرِّ ما خَلَقَ﴾ كان ما كان .

﴿وَمِنْ شَرِّ غاسِقٍ﴾: ليل عظم ظلامه ﴿إِذا وَقَبَ﴾: دخل ظلامه في كلّ شيء .

﴿وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثاتِ فِي الْعُقَدِ﴾: ومن شرّ النّفوس أو النساء السّواحر اللّواتي يعقدن عقداً في خيوط وينفثن عليها . والنّفث: النّفخ مع ريق .

ورد: «إنّ يهوديّاً سحر النّبيّ ﷺ في إحدى عشر عقدة في وَتَرٍ دسّه في بئر فمرض ،

١ ـ ما بين المعقوفتين من «ب» .

٢ ـ معاني الأخبار: ٢٢٧ ، الحديث: ١ . عن أبي عبد اللّه عليه السلام .

٣ ـ القمّي ٢: ٤٤٩ .

ونزلت المعوّذتان وأخبره جبرئيل عليه السلام بموضع السّحر ، فبعث عليّاً عليه السلام فجاء به فقرأهما عليه ، فكان كلّما قرأ آية انحلّت عقدة ، فعوفي»[1] .

قال: «كان النّبيّ صلى الله عليه وآله يرى إنّه يجامع وليس يجامع ، وكان يريد الباب ولا يبصره حتّى يلمسه بيده ، والسّحر حقّ ، وما سلّط إلّا على العين والفرج»[2] .

أقول: وأمّا قول الكفّار: إنّه مسحور ، فأرادوا به أنّه مجنون بواسطة السّحر .

﴿وَمِنْ شَرِّ حاسِدٍ إذا حَسَدَ﴾: إذا ظهر حسده وعمل بمقتضاه ، فإنّه لا يعود ضرره منه قبل ذلك إلى المحسود ، بل يخصّ به لاغتمامه بسروره .

قال: «أما رأيته إذا فتح عينيه وهو ينظر إليك ، هو ذاك»[3] .

قيل: خصّ الحسد بالاستعاذة منه ، لأنّه العمدة في الإضرار[4] .

ورد: «كاد الحسد أن يغلب القدر»[5] .

١ ـ طبّ الأئمّة: ١١٣ ، عن أبي عبد الله ، عن أمير المؤمنين عليه السلام ؛ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٥٦٨ ؛ البيضاوي ٥: ٢٠٠ ما يقرب منه .

٢ ـ طبّ الأئمّة: ١١٤ ، عن أبي عبد الله عليه السلام .

٣ ـ معاني الأخبار: ٢٢٨ ، الحديث: ١ .

٤ ـ البيضاوي ٥: ٢٠١ .

٥ ـ الكافي ٢: ٣٠٧ ، الحديث: ٤ ، عن أبي عبد الله عليه السلام ، عن رسول الله صلى الله عليه وآله .

سورة النّاس

[مكيّة ، وهي ستّ آيات][1]

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ .

﴿مَلِكِ النَّاسِ﴾ .

﴿إِلَـٰهِ النَّاسِ﴾ .

﴿مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ﴾ يعني الموسوس ، عبّر عنه بالوسواس مبالغةً ﴿الْخَنَّاسِ﴾ .

﴿الَّذِي﴾ عادته أن يخنّس ، أي: يتأخّر إذا ذكر الإنسان ربّه . القمّي: الخنّاس: اسم الشّيطان الّذي ﴿يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾ إذا غفلوا عن ذكر ربّهم[2] .

﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ بيانٌ للوسواس .

قال: «ما من مؤمن إلّا ولقلبه أُذنان في جوفه ، أُذن ينفث فيها الوسواس الخنّاس ، وأُذن ينفث فيها الملك ، فيؤيّد الله المؤمن بالملك ؛ فذلك قوله: "وأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ"»[3] .

وفي رواية: «كذلك من النّاس شيطان يحمل النّاس على المعاصي ، كما حمل الشّيطان

---

١ ـ ما بين المعقوفتين من «ب» .

٢ ـ القمّي ٢: ٤٥٠ .

٣ ـ الكافي ٢: ٢٦٧ ، الحديث: ٣ ، عن أبي عبد الله عليه السلام ؛ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٥٧١ ، عن رسول الله صلى الله عليه وآله ، والآية في سورة المجادلة (٥٨): ٢٢ .

من الجنّ»[١] . وقد سبق تفسير شياطين الإنس في سورة الأنعام[٢] .

تمّ كتاب الأصفى بسنتين بعد تمام الصّافي . والحمد للّه أوّلاً وآخراً وظاهراً وباطناً ، وصلّى اللّه على محمّد وآله أجمعين الطّيّبين الطّاهرين وسلّم .



١ ـ القمّي ٢ : ٤٥٠ ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام .
٢ ـ ذيل الآية : ١١٢ .


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الفهارس*



* يشتمل فهارس الجزءين.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

١ ـ فهرس الآيات الكريمة

يونس «١٠»

هود «١١»

يوسف «١٢»

إبراهيم «١٤»

الحجر «١٥»

النحل «١٦»

الإسراء «١٧»

الكهف «١٨»

الأحقاف «٤٦»

محمّد «٤٧»

الفتح «٤٨»

ق «٥٠»

الذاريات «٥١»

الطور «٥٢»

القمر «٥٤»

الرحمن «٥٥»

الواقعة «٥٦»

الحديد «٥٧»

الحشر «٥٩»

الممتحنة «٦٠»

الصف «٦١»

التغابن «٦٤»

الطلاق «٦٥»

التحريم «٦٦»

القلم «٦٨»

الحاقّة «٦٩»

نوح «٧١»


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

٢ ـ فهرس الأحاديث الشريفة

«ث»

«خ»

«ش»

«غ»

«ف»

«ق»

«ك»

«ل»

«هـ»

«ي»

الأحاديث القدسية

٣ ـ فهرس أسماء الأنبياء والأئمة المعصومين عليهم السلام

٤ ـ فهرس أسماء الملائكة عليهم السلام

٥ ـ فهرس الأعلام


مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

٦ ـ فهرس الكتب المقدسة

٧ ـ فهرس الأماكن والبقاع والأيّام

٨ ـ فهرس الأُمم والقبائل والطوائف والفرق

٩ـ فهرس المصادر

«الاحتجاج». لأبي منصور احمدبن علي بن أبي طالب الطبرسي (ق ٦). قم، مكتبة القدس.

«الإرشاد». لابي عبدالله محمّدبن محمّدبن النعمان البغدادي، الشيخ المفيد (٣٣٦ـ ٤١٣).
قم، مكتبة بصيرتي. [بالأوفست عن مطبعة الحيدرية ومكتبتها في النجف الأشرف].

«الاستغاثة في بدع الثلاثة». للسيّد أبي القاسم علي بن أحمد الكوفي (م٣٥٢). جزءان في مجلد واحد، ٨٢ + ٩٢ ص/ النجف الأشرف.

«أسد الغابة». لأبي الحسن علي بن أبي الكرم الشيباني، ابن الأثير. بيروت، دار إحياء التراث العربي.

«أسرار الآيات». لصدرالدين محمّدبن إبراهيم الشيرازي (١٠٥٠). تقديم وتصحيح محمّد خواجوي، وزارة الثقافة والتعليم العالي، ١٤٠٢.

«الإصابة في تمييز الصحابة». لاحمدبن علي بن محمّد العسقلاني، ابن الحجر (٨٥٢).
الطبعة الأولى، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٣٢٨.

«الاعلام». لخيرالدين الزركلي (١٣١٠ـ ١٣٩٦). الطبعة السادسة، ٨ مجلّدات، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٨٤م.

«أعيان الشيعة». للسيّد محسن بن عبدالكريم الامين الحسيني العاملي الشقرائي

(١٢٨٤ ـ ١٣٧١). إعداد السيّد حسن الأمين. الطبعة الخامسة، ١٠ مجلّدات + الفهرس، بيروت، دار التعارف للمطبوعات، ١٤٠٣/ ١٩٨٣م.

«أقرب الموارد». لسعيد الخوري الشرتوني اللبناني. الطبعة الأولى.

«أمالي الصدوق». لأبي جعفر محمّدبن عليّ بن بابويه القمي، الشيخ الصدوق (٣٨١). تقديم الشيخ حسين الأعلمي، الطبعة الخامسة، بيروت، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ١٤٠٠.

«أمالي الطوسي». لأبي جعفر محمّدبن الحسن، الشيخ الطوسي (٣٨٥ ـ ٤٦٠). إعداد السيّد محمّد صادق بحرالعلوم. مجلّدان، بغداد، المكتبة الأهلية، ١٣٨٤/ ١٩٦٤م.

«أمالي المفيد». لأبي عبدالله محمّدبن محمّدبن النُعمان البغدادي، الشيخ المفيد (٣٣٦ ـ ٤١٣). تحقيق عليّ أكبر الغفّاري وحسين أستاد ولي. الطبعة الثانية، قم، المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد، ١٤١٣.

«بحار الأنوار الجامعة لدُرَرِ أخبار الأئمّة الأطهار». للعلاّمة محمّد باقربن محمّدتقي المجلسي (١٠٣٧ ـ ١١١٠). إعداد عدّةٍ من العلماء. الطبعة الثالثة، ١١٠ مجلّد (إلّا ٦ مجلّدات، من المجلّد ٢٩ ـ ٣٤) + المدخل، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٣/ ١٩٨٣م. [بالأوفست عن طبعة إيران].

«بشارة المصطفى لشيعة المرتضى». لأبي جعفر محمّدبن أبي القاسم محمّدبن عليّ الطبري (القرن السادس). الطبعة الثانية، النجف الأشرف، منشورات المطبعة الحيدرية ومكتبتها، ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٣م.

«بصائر الدرجات». لأبي جعفر محمّدبن الحسن بن فروخ الصفّار (٢٩٠). تقديم وتعليق و تصحيح ميرزامحسن كوچه باغي، شركت چاپ كتاب، ١٣٨٠.

«البيان في تفسير القرآن». للسيّد أبي القاسم الموسوي الخوئي. الطبعة الثانية، النجف الأشرف، مطبعة الآداب، ١٣٨٥/ ١٩٦٦.

«تاج العروس من جواهر القاموس». للسيّد محمّد بن محمّد مرتضى الحسيني الزَبيدي (١١٤٥ـ١٢٠٥). ١٠ مجلّدات، مصر، المطبعة الخيرية، ١٣٠٦ـ١٣٠٧[1].

«تاج العروس من جواهر القاموس». للسيّد محمّدبن محمّد مرتضى الحسيني الزَبيدي (١١٤٥ ـ ١٢٠٥). تحقيق عدّة من الفضلاء. [الطبعة الأولى]، صدر منه حتّى الآن ٢٥ جزءاً، [بيروت]، دار الهداية [بالأوفست عن طبعة الكويت، ١٣٨٥ ـ ١٤٠٩/ ١٩٦٥ـ١٩٨٩م].

«تأويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة الطاهرة». للسيد شرف الدين عليّ الحسيني الأسترابادي الغروي (القرن العاشر). تحقيق حسين أستاد ولي، الطبعة الأولى، قم، مؤسسة النشر الإسلامي.

«التبيان في تفسير القرآن». لأبي جعفر شيخ الطائفة محمّدبن الحسن، الطوسي (٣٨٥ـ ٤٦٠). إعداد أحمد حبيب قصير العاملي. ١٠ مجلّدات، بيروت، دار إحياء التراث العربي. [بالأوفست عن طبعة النجف الأشرف].

«تحف العقول». لحسن بن عليّ بن الحسين بن شعبة الحراني (ق ٤). تصحيح وتعليق عليّ أكبر الغفاري، الطبعة الثانية، قم، مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤٠٤.

«ترتيب كتاب العين». ترتيب وإعداد محمّدحسن بكائي. الطبعة الأولى، قم، مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤١٤.

«تفسير ابن جزي». لمحمّدبن احمدبن جزي الكلبي. بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤٠٣.

«تفسير أبي السعود» = «إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم». للإمام أبي السعود محمّدبن محمّد العمادي (٩٥١). ٩ أجزاء في ٤ مجلّدات، بيروت، دار إحياء التراث العربي.

١ـ كلّما أرجعنا إلى هذه الطبعة ـ لأنّ الطبعة المحقّقة لمّا تكمل بعدُ ـ ذكرنا بعد اسم الكتاب: «الطبعة القديمة»؛ تمييزاً بينها وبين الطبعة الجديدة المحقّقة.

«تفسير البغوي». لأبي محمّد الحسين بن مسعود البغوي (٥١٠). بيروت، دار الفكر، ١٤٠٥.

«تفسير البيضاوي». لأبي سعيد عبدالله بن عمر الشيرازي البيضاوي (٦٨٥). بيروت، دار الجليل.

«تفسير روح البيان». للشيخ إسماعيل حقي البرسوي (م١١٣٧). ١٠ مجلّدات، بيروت، دار إحياء التراث العربي.

«تفسير روح الجنان». لأبي الفتوح الرازي (ق ٦). قم، مكتبة آية الله المرعشي النجفي، ١٤٠٤.

«تفسير الصافي». لمحمّدبن مرتضى المولى محسن الفيض الكاشاني (١٠٩١). تصحيح وتقديم وتعليق الشيخ حسين الأعلمي. الطبعة الأولى، مشهد، دار المرتضى.

«تفسير العياشي». لأبي النضر محمّدبن مسعودبن عياش السمرقندي (ق٣). تصحيح و تحقيق و تعليق السيد هاشم الرسولي المحلاتي. قم، المطبعة العلمية.

«تفسير فرات الكوفي». لفرات بن إبراهيم بن فرات الكوفي (ق٣). قم، مكتبة الداوري.

«تفسير القرآن العظيم». لأبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي (٧٠١ ـ ٧٧٤). الطبعة الجديدة المصحّحة، ٤ مجلّدات، بيروت، دار المعرفة.

«تفسير القمي». لأبي الحسن علي بن إبراهيم القمي (ق ٣ـ٤). تصحيح و تعليق و تقديم السيد طيب الجزائري. الطبعة الثالثة، قم، مؤسسة دار الكتاب، ١٤٠٤.

«التفسير الكبير» = «تفسير الرازي» = «مفاتيح الغيب». لمحمّدبن عُمَر الخطيب فخرالدين الرازي (٥٤٤ ـ ٦٠٦). الطبعة الثالثة، ٣٢ جزءاً في ١٦ مجلّداً، بيروت، دار إحياء التراث العربي.

«التفسير المنسوب إلى الإمام أبي محمّدالحسن بن عليّ العسكري عليهم السلام». تحقيق ونشر مدرسة الإمام المهدي عليه السلام. قم، مطبعة مهر، ١٤٠٩هـ.

«تفسير نور الثقلين». للشيخ عبدعليّ بن جمعة العروسي الحويزي. (م ١١١٢). تصحيح و تعليق السيد هاشم الرسولي المحلاتي. ٥ مجلّدات، قم، مطبعة العلمية [بالأوفست].

«تنقيح المقال في علم الرجال». للشيخ عبدالله بن محمّد حسن المامقاني (١٢٩٠ـ١٣٥١). الطبعة الثانية، ٣ مجلّدات، [قم]. [بالأوفست عن طبعة النجف الأشرف، المطبعة المرتضوية، ١٣٥٢].

«التوحيد». لأبي جعفر محمّدبن عليّ بن الحسين بن بابويه القمي، الشيخ الصدوق (م٣٨١). الطبعة الرابعة، قم، مؤسّسة النشر الإسلامي.

«تهذيب الاحكام». لأبي جعفر شيخ الطائفة محمّدبن الحسن، الشيخ الطوسي (٣٨٥ ـ ٤٦٠). إعداد السيّد حسن الموسوي الخرسان. الطبعة الثالثة، ١٠ مجلّدات، طهران، دار الكتب الإسلامية، ١٣٦٤ هـ.ش.

«تهذيب التهذيب». لأبي الفضل أحمدبن عليّ بن حجر العسقلاني (٨٥٢). الطبعة الأولى، بيروت، دارصادر، ١٣٢٥.

«ثواب الأعمال». لأبي جعفر محمّدبن عليّ بن الحسين بن بابويه القمي (٣٨١). تصحيح وتعليق عليّ أكبر الغفاري، طهران، مكتبة الصدوق، ١٣٩١.

«الجامع لأحكام القرآن». لأبي عبدالله محمّدبن أحمد الأنصاري القرطبي (م ٦٧١). الطبعة الثانية، ٢٠ جزءاً في ١٠ مجلّدات، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٩٦٧م. [بالأوفست عن الطبعة السابقة].

«جامع البيان في تفسير القرآن». لأبي جعفر محمّدبن جرير الطبري (م ٣١٠). ٣٠ جزءاً في ١٢ مجلّداً، بيروت، دار المعرفة.

«جوامع الجامع في تفسير القرآن الكريم». لأبي عليّ أمين الإسلام الفضل بن الحسن الطَبْرِسي (حوالي ٤٧٠ـ ٥٤٨). تحقيق السيد محمّد عليّ القاضي الطباطبائي. مجلّد واحد، تبريز، مطبعة مصباحي. [بالأوفست عن طبعة تبريز، الرجب ١٣٧٩ هـ].

«جوامع الجامع». لأبي عليّ أمين الإسلام الفضل بن الحسن الطَبْرِسي (حوالي ٤٧٠ ـ ٥٤٨). تحقيق أبوالقاسم گُرجي. الطبعة الثانية، مجلّدان حتّى الآن، قم، شورى مديرية الحوزة العلمية بقم، ١٤٠٩/ ١٣٦٧هـ ش.

«الخرائج والجرائح». لقطب الدين الراوندي (٥٧٣). الطبعة الأولى، قم، مؤسسة الإمام المهدي(ع)، ١٤٠٩.

«الخصال». لأبي جعفر محمّدبن علي بن الحسين بن بابويه القمي، الشيخ الصدوق (م ٣٨١). تحقيق عليّ أكبر الغفّاري، قم، مؤسّسة النشر الإسلامي.

«دائرة المعارف الإسلامية». لمجموعة من المستشرقين. ترجمة محمّد ثابت الفندي، أحمد الشنتناوي إبراهيم زكي، عبدالحميد يونس.

«دائرة معارف القرن العشرين». لمحمّد فريد وجدي (١٣٧٣). الطبعة الثانية، بيروت، دار الفكر، ١٣٩٩.

«الدرّ المنثور في التفسير المأثور». لعبدالرحمن جلال الدين السيوطي (٨٤٩ ـ ٩١١). الطبعة الأولى، ٨ مجلّدات، بيروت، دار الفكر.

«الرائد». لجبران مسعود. الطبعة الخامسة، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٨٦.

«روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني». لأبي الفضل شهاب الدين السيد المحمود الآلوسي البغدادي (م ١٢٧٠). ٣٠ جزءاً في ١٥ مجلّداً، بيروت، دار إحياء التراث العربي.

«روضة الواعظين». لمحمّد بن الفتال النيسابوري (٥٠٨). تقديم السيد محمّد مهدي الخرسان، قم، منشورات الشريف الرضي.

«زاد المسير في علم التفسير». لأبي الفرج عبدالرحمن بن عليّ ابن الجوزي (م٥٩٧). تحقيق محمّدبن عبدالرحمن عبدالله. ٨ مجلّدات، بيروت، دار الفكر.

«سعد السعود». لرضي الدين السيّد علي بن موسى بن طاووس الحسني الحلّي

(٥٨٩ ـ ٦٦٤). قم، منشورات الرضي، ١٣٦٣. [بالأوفست عن طبعة النجف الأشرف].

«سنن أبي داود». لأبي داود سليمان بن الأشعث السجِسْتاني (٢٠٢ ـ ٢٧٥). تحقيق محمّد محيي الدين عبدالحميد. ٤ مجلّدات، دار إحياء السنّة النبوية.

«سنن البيهقي» = «السنن الكبرى». لأبي بكر أحمدبن الحسين بن عليّ البيهقي (٣٨٤ ـ ٤٥٨). ١٠ مجلّدات + الفهرس، بيروت، دار المعرفة. [بالأوفست عن طبعة حيدرآباد الدكن].

«سنن التِرمْذي». لأبي عيسى محمّدبن عيسى بن سورة التِرمْذي (٢٠٩ ـ ٢٧٩). تحقيق أحمد محمّد شاكر. ٥ مجلّدات، بيروت، دار إحياء التراث العربي.

«السيرة النبوية». لأبي الفداء إسماعيل بن كثير (٧٤٧). تحقيق مصطفى عبدالواحد. بيروت، دار احياء التراث العربي.

«شرح أُصول الكافي والروضة». للمولى محمّد صالح المازندراني (١٠٨١ أو ١٠٨٦). تعليق الميرزا أبوالحسن الشعراني. تصحيح وتخريج عليّ أكبر الغفاري. طهران، المكتبة الإسلامية، ١٣٨٢.

«شواهد التنزيل». لعبيد الله بن عبدالله، الحاكم الحسكاني (ق ٥). تحقيق و تعليق محمّد باقر المحمودي. الطبعة الأولى، مؤسسة الطبع والنشر التابعة لوزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، ١٤١١.

«الصحاح». لإسماعيل بن حماد الجوهري (٣٩٣). تحقيق أحمد عبدالغفور عطار. الطبعة الثالثة، بيروت، دار العلم للملايين، ١٤٠٤.

«صحيح البخاري». لأبي عبدالله محمّدبن إسماعيل البخاري (١٩٤ ـ ٢٥٦). تحقيق مصطفى ديب البُغا. الطبعة الرابعة، ٦ مجلّدات + الفهرس، دمشق و بيروت، دار ابن كثير و اليمامة للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٠/١٩٩٠م.

«صحيح مسلم» . لأبي الحسين مسلم بن الحجّاج القشيري النيسابوري (٢٠٦ ـ ٢٦١).
تحقيق محمّد فؤاد عبدالباقي. الطبعة الثانية، ٥ مجلّدات، بيروت، دار الفكر، ١٣٩٨
[بالأوفست عن طبعته السابقة].

«الصحيفة السجادية الكاملة». تقديم السيّد محمّد باقر الصدر. بيروت، دارالتعارف
للمطبوعات.

«طب الائمّة» . لأبي عتاب عبدالله بن سابور الزيات والحسين ابني بسطام النيسابوري.
الطبعة الثانية، قم، منشورات الرضي، ١٤١١ـ١٣٧٠ [بالأوفست عن طبعة
النجف الأشرف، ١٣٨٥هـ].

«علم اليقين». لمحمّدبن المرتضى المولى محسن، الفيض الكاشاني (١٠٩١). قم،
انتشارات بيدار، ١٤٠٠.

«علل الشرائع». لأبي جعفر محمّدبن عليّ بن الحسين بن بابويه القمي، الشيخ الصدوق
(م ٣٨١). تقديم السيّد محمّدصادق بحرالعلوم. [الطبعة الأولى]، النجف الأشرف،
المكتبة الحيدرية، ١٤٠٣/١٩٨٣م.

«عوالي اللآلي العزيزيّة في الأحاديث الدينيّة» . للشيخ محمّدبن علي بن إبراهيم الإحسائي،
ابن أبي جمهور. تحقيق مجتبى العراقي. ٤ مجلّدات، قم، مطبعة سيد الشهداء.

«عيون اخبار الرضا ـع ـ». لمحمّدبن علي بن الحسين، الشيخ الصدوق (٣٨١). تصحيح
وتذييل السيد مهدي الحسيني اللاجوردي. الطبعة الثانية، قم، نشر رضا مشهدي.

«غرائب القرآن» . لحسن بن محمّد القمي النيسابوري، نظام النيسابوري. ٣ مجلّدات،
الطبعة الحجرية، ١٢٨٠هـ.

«الغيبة» . لأبي جعفر محمّدبن الحسن، الشيخ الطوسي (٤٦٠). تقديم آغابزرك الطهراني.
الطبعة الثانية، قم، مكتبة بصيرتي، ١٤٠٨.

«فتح القدير الجامع بين فنّي الرواية والدراية من علم التفسير» . لمحمّدبن عليّ بن محمّد

الشوكاني (م ١٢٥٠). ٥ مجلّدات، بيروت، دار المعرفة.

«فيض القدير». لمحمّد عبدالرّؤوف المناوي. بيروت، دار الفكر.

«القاموس المحيط». لمجدالدين محمّدبن يعقوب الفيروزآبادي (٨١٧). الطبعة الأولى، بيروت، دار الجيل.

«قُرْب الإسناد». لأبي العبّاس عبدالله بن جعفر الحميري القمي (م بعد ٣٠٤). تحقيق مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث. الطبعة الأولى، قم، مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ١٤١٣.

«قصص الأنبياء». لقطب الدين سعيدبن هبة الله الراوندي. تصحيح غلامرضا عرفانيان. الطبعة الأولى، رجب ١٤٠٩هـ، مشهد، مؤسسة الطبع والنشر في الآستانة الرضوية المقدسة.

«قصص الأنبياء». لأبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي (٧٠١ ـ ٧٧٤). تحقيق شيخ خليل المسيس. الطبعة السابعة، بيروت، دار القلم، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

«الكافي». لأبي جعفر ثقة الإسلام محمّدبن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي (م ٣٢٩). تحقيق عليّ أكبر الغفّاري. الطبعة الرابعة، ٨ مجلّدات، بيروت، دار صعب و دار التعارف، ١٤٠١. [بالأوفست عن طبعة دار الكتب الإسلامية بطهران].

«كتاب العين». لأبي عبدالرحمان الخليل بن أحمد الفراهيدي (١٧٥). تحقيق الدكتور مهدي المخزومي والدكتور إبراهيم السامرائي. الطبعة الأولى، قم، دار الهجرة، ١٤٠٥.

«الكشّاف عن حقائق غوامض التنزيل و عيون الاقاويل في وجوه التأويل». لأبي القاسم جار الله محمودبن عُمَر الزمخشري (٤٦٧ ـ ٥٣٨). ٤ مجلّدات، [قم]، نشر أدب الحوزة [بالأوفست عن طبعته السابقة، ١٣٦٦/ ١٩٤٧م].

«كشف المهجّة لثمرة المهجة». لأبي القاسم رضي الدين عليّ بن موسى بن طاووس الحسيني (٥٨٩ـ٦٦٤). قم، مكتبة الداوري [بالأوفست عن طبعة النجف،

المطبعة الحيدرية، ١٣٧٠هـ ـ ١٩٥٠م].

«كمال الدين و تمام النعمة». لأبي جعفر محمّدبن عليّ بن الحسين بن بابويه القمي، الشيخ الصدوق (م ٣٨١). تحقيق عليّ أكبر الغفّاري. الطبعة الخامسة، قم، مؤسّسة النشر الإسلامي، ١٣٦٣/١٤٠٥.

«كنز العمّال في سنن الأقوال والأفعال». لعلاء الدين عليّ المتقي بن حسام الدين الهندي (٨٨٨ ـ ٩٧٥). ١٦ مجلّداً + ١٢ الفهارس، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.

«لسان العرب». لجمال الدين محمّدبن مكرم بن منظور المصري (٦٣٠ـ ٧١١). ١٥ مجلّداً، قم، نشر أدب الحوزة، ١٤٠٥ [بالأوفست عن طبعة بيروت، ١٣٧٦].

«مجمع البيان لعلوم القرآن». لأبي عليّ أمين الإسلام الفضل بن الحسن الطَبْرِسي (حوالي ٤٧٠ ـ ٥٤٨). تحقيق الميرزا أبوالحسن الشعراني. الطبعة الخامسة، ١٠ أجزاء في ٥ مجلّدات، طهران، المكتبة الإسلامية، ١٣٩٥.

«مجمع البحرين». لفخر الدين الطريحي (١٠٨٥). تحقيق السيد احمد الحسيني، . الطبعة الثانية، طهران، مكتبة مرتضوي، ١٣٦٥.

«المحاسن». لأبي جعفر أحمد بن محمّدبن خالد البرقي (م ٢٧٤/ ٢٨٠). تحقيق جلال الدين الحسيني، المحدِّث الأرموي. الطبعة الثانية، قم، دار الكتب الإسلامية.

«المحجة البيضاء». لمحمّدبن المرتضى المولى محسن، الفيض الكاشاني (١٠٩١). تصحيح وتعليق عليّ أكبر الغفاري. الطبعة الثانية، قم، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، ١٣٨٣.

«مختصر بصائر الدرجات». للشيخ حسن بن سليمان الحلّي (ق ٩). الطبعة الأولى، قم، انتشارات الرسول المصطفى(ص).

«مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول». للعلامة محمّدباقر بن محمّد تقي المجلسي

(١٠٣٧ ـ ١١١٠). إعداد هاشم الرسولي ومحسن الحسيني الأميني. الطبعة الأولى، ٢٦ مجلّداً، طهران، دار الكتب الإسلامية، ١٤٠٤ ـ ١٤١١/ ١٣٦٣ ـ ١٣٦٩هـ ش.

«المستدرك على الصحيحين». لأبي عبدالله محمّدبن عبدالله، الحاكم النيسابوري (م ٤٠٥). ٤ مجلّدات، بيروت، دار الفكر، ١٣٩٨/١٩٧٨م.

«المسند». لأحمدبن حنبل (٢٤١). ٦ مجلّدات، بيروت، دار الفكر.

«مصباح الشريعة». المنسوب إلى الإمام جعفربن محمّد الصادق(ع) (١٤٨). الطبعة الأولى، بيروت، مؤسسة الأعلمي، ١٤٠٠.

«مصباح المتهجد». لأبي جعفر محمّدبن الحسن الطوسي (٤٦٠). تصحيح و تقديم و نشر إسماعيل الأنصاري الزنجاني.

«المصباح المنير في غريب الشرح الكبير». لأحمدبن محمّدبن عليّ الفيّومي (م حوالي ٧٧٠). جزءان في مجلّد واحد، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٣٩٨/١٩٧٨م.

«المعارف». لابن قتيبة الدينوري (٢١٣ ـ ٢٧٦ق). تصحيح و تعليق محمد إسماعيل عبدالله الصاوي. بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٣٤٩.

«معاني الأخبار». لمحمّدبن علي بن الحسين ابن بابويه، الشيخ الصدوق (٣٨١). تصحيح عليّ اكبر الغفّاري. قم، مؤسسة النشر الإسلامي، ١٣٦١.

«معجم البلدان». لأبي عبد الله شهاب الدين ياقوت بن عبدالله الرومي الحَمَوي (٥٧٤ ـ ٦٢٦). الطبعة الثالثة ٥ مجلّدات، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٣٩٩/ ١٩٧٩م.

«معجم رجال الحديث وتفصيل طبقات الرواة». للسيّد أبي القاسم ابن السيّد عليّ أكبر الموسوي الخوئي (١٣١٧ ـ ١٤١٣). الطبعة الثالثة، ٢٣ مجلّداً + الفهرس، بيروت، ١٤٠٣/١٩٨٣م.

«معجم مفردات ألفاظ القرآن». للراغب الأصفهاني(٥٠٣). تحقيق نديم مرعشلي.

قم، دار الكتب العلمية.

«المعجم الوسيط». لدكتور إبراهيم أنيس، والدكتور عبدالحليم منتصر عطية الصوالحي. محمد خلف الله أحمد. الطبعة الرابعة، قم، مكتبة نشر الثقافة الإسلامية، ١٤١٢هـ.

«المغازي». لمحمّدبن عمر بن واقد، الواقدي (٢٠٧). تحقيق الدكتور مارسدن جونس. نشر دانش إسلامي، ١٤٠٥.

«مناقب ابن شهر آشوب». لأبي جعفر رشيد الدين محمّدبن عليّ بن شهر آشوب (٥٨٨). قم، المطبعة العلمية.

«من لا يحضره الفقيه». لأبي جعفر محمّدبن عليّ بن الحسين بن بابويه القمي، الشيخ الصدوق (م ٣٨١). تحقيق السيّد حسن الموسوي الخرسان. ٤ مجلّدات، بيروت، دارصعب و دارالتعارف، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

«النهايةفي غريب الحديث والأثر». لأبي السعادات مجدالدين المبارك بن محمّد بن محمّد، ابن الأثير الجزري (٥٤٤ ـ ٦٠٦). تحقيق طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمّد الطناحي. الطبعة الرابعة، ٥ مجلّدات، قم، إسماعيليان، ١٣٦٣هـ ش [بالأوفست عن طبعة بيروت].

«نهج البلاغة». (مااختاره المؤلّف من كلام أمير المؤمنين عليه أفضل صلوات المصلّين). لأبي الحسن الشريف الرضيّ محمّدبن الحسين بن موسى الموسوي (٣٥٩ ـ ٤٠٦). تحقيق صبحي الصالح. قم، الهجرة، ١٣٩٥ [بالأوفست عن طبعة بيروت، ١٣٨٧].

«الوافي». لمحمّدبن المرتضى المولى محسن الفيض الكاشاني (١٠٠٧ ـ ١٠٩١). منشورات مكتبة الإمام أمير المؤمنين عليّ عليه السّلام العامّة. ١٧ مجلّداً حتّى الآن، إصفهان، مطبعة نشاط.

«هذا ما اصطفيت من تفسيري القرآن المسمّى بـ«الصافي»، راعيتُ فيه غاية الإيجاز مع التنقيح و نهاية التلخيص مع التوضيح، مقتصراً على بيان مايحتاج إلى البيان من الآيات دون ما يستغني عنه من المحكمات الواضحات فبالحريّ أن يسمّى بـ«الأصفى».
مقدمة المؤلف

AL-ASFĀ FI TAFSIR AL-QURĀN

[The Clearer Interpretation For Qurān]

(Vol. 2)

By:

Al-Mawlā Mohammad Mohsin
Al-Fayd Al-Kāshānī
(1007 - 1091 A.H.)

The center of publication of the office of
Islamic Propagation of the Islamic Seminary of Qum.
P. O. Box: 37185. 917
Qum. I.R. IRAN. phon no: 742155 - 7 Fax: 742154

شمارة كتاب: ۵۹۱
مسلسل انتشار: ۱۱۷۴